

# الشؤون الفلسطينية

آب ( اغسطس ) ١٩٧٥

٤٨



# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

آب ( أغسطس ) ١٩٧٥

رقم ٤٨

- شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
- تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

• **يشارك في التحرير :** محمود درويش .

• **سكرتير التحرير :** ابراهيم العابد **مدير التوزيع :** غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء  
• منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

**العنوان :** بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني  
( متفرع من السادات ) ، رأس بيروت ، بيروت - لبنان ،  
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،  
• برقيا مرأبحاث ، بيروت .

• ثمن العدد : ٣١/٤ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ،  
٤١/٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

• الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ،  
٨٠ ل.ل. في أوروبا وإفريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في أمريكا وأستراليا وآسيا .

• الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

## المحتويات

- صفحة ٣ شؤون فلسطينية ، محمود درويش .
- ٨ خريطة حزب العمل الاسرائيلي... عودة الى المواقف الاسرائيلية السابقة ، صبري جريس .
- ١٧ حول طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، نبيل الرملاوي .
- ٢٣ اعادة تقييم ام مبادرة امريكية جديدة ، الدكتور سامي منصور .
- ٣٠ كينسجر او دبلوماسية « كسب الوقت » بين فيتنام والشرق الاوسط ، عبد العال الباقوري .
- ٤٩ المقاومة واستراتيجية التهذيب النفسي ، عبد الرحمن غنيم .
- ٥٧ على هامش الحوار العربي - الاوروبي : أوروبا الغربية والعرب واسرائيل ، حسين أبو النمل .
- ٧٥ آراء هركابي وموقفه من الشعب الفلسطيني وقضيته ، حمدان بدر .
- ٩٠ ازدياد قوة الجيش الاسرائيلي واثره على الصراع ، الرائد الطيار حسين عويضة .
- ١٠٤ ثروة النفط العربي والموقف السوفيتي من النزاع العربي - الاسرائيلي ، سمير كنعاني .
- ١٢١ النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين ، الدكتور تيسير الناشر .
- ١٦٨ وزارة الخارجية الاسرائيلية وكيف تعمل ، نجدة فتحي صفوة .
- ١٩٣ مراجعات : جسر على النهر الخزين : والقصة الفلسطينية ، ابراهيم الخليل . الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ - ١٩٣٦ ، عبد العال الباقوري . يرتقال يانا ، وايم ابراهام بوجاتير السبعة ، الدكتور فيصل دراج .
- ٢١١ مناقشات : رد على مراجعة وليد نويهض ، سلمى حداد . رد على ملاحظات عبد القادر ياسين ، حسين ابو النمل .
- ٢٢٠ رسالتان : كيف يتم احيانا الوقوع في فخاخ الصهيونية ، ا.ق. السينما الصهيونية في مهرجان « كان » ١٩٧٥ ، مصطفى درويش .
- ٢٢٦ تقارير : (١) تحليل للدعامة الصهيونية في شهر ايار ١٩٧٥ ، ادريس الخالدي . (٢) التطورات على جبهة النفط ، رهب بدوي . (٣) صناعة الاسلحة الاسرائيلية ومخبرونها ، بسام العسلي . (٤) الحزب الشيوعي في اسرائيل ، الدكتور ايدان القزاز .
- ٢٥٥ شهريات : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخيني . (٢) القضية الفلسطينية دوليا . (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي . (٤) اسرائيليات ، يوسف حمدان وحنة شاهين . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، الرائد الطيار حسين عويضة وحمدان بدر وفرحان صالح وعبد العال الباقوري . (٦) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٦/١٣ - ١٤/٧/١٩٧٥ ، غازي خورشيد .

## ترددُ الماء وجماس الحجر

محمود درويش

١ - لا أقول .. وأقول

• جاء وقت الكلام الذي لا يتكلم . هذه الانهار النازلة من لحاء الشجر ومن ينباع المصادفات والغضب تصب الآن .. الآن في بحيرة الصفر .

وأعترف ، باسم الذين جاءوا الى الشارع باللغة العامية وأرتطموا بالحائط المسدود باللغة الفصحى ، أعترف بأنني أدخل هذا البياض بدون خطة جاهزة . ومع ذلك ، فأنني أدخل هذا البياض برشاقة الذاهبين الى غموض أجدى .

وأعترف ، أمام هذا البياض الذي يعترضني كلما صغر ، بأنني لم أصل بعد الى الكلام الذي يليق ببساطة زقاق أنجبتني واختفى في الحروب .

جاء وقت الكلام الذي لا يقال ، الكلام الذي يسفك . جاء منذ عشرين قرناً وأكثر . وفي نهائية العناق الذي يتفتح او يتكسر ندخل في دائرة العناق التي تتكرر . من كان منكم بلا خطيئة فليرجمني بمنفى . ومن كان منكم بلا وطن فليرجمني بحجر .

• وأعترف ، باسم العميون الصغيرة التي ترى القذائف قبل النور ، وباسم الشفاء الصغيرة التي تذوق التراب قبل الحليب ، بأن علاقة القلب بالحنجرة تقود الى الاغتيال أو تقود الى الاعتزال . جاء وقت الكلام حين مضى وقت الكلام . وفي كل حلم نسير الى خيمة أخرى ، وفي الخيمة ثقب واحد يطل على الولادة أو الهزيمة .

انني أضع مسدسي عند حدود الرغبة . وأعلق على حائط الآخرين حصانا اعلى من الحائط . تحته المدينة وخلفه اجتهادي . وهذا يعني ان حالة الانتحار كاملة ، لان الانهار النازلة من ضروع الجبال تسير الى بحيرة الصفر . وأحاول أن أنجز انتحاري وانقذ النهر ، فأضع جسدي صخرة لتغيير المسار الذي لا يروق لي .

وفي أوقات الفراغ ، أمارس هذه الهواية السيئة في النظر الى الادوار : أن يكون السنونو بشاراة الربيع ، وأن يكون السمان بشاراة الخريف . وأن يكون الوطن أجمل من الاغاني .

ولكن أشياء كثيرة تتغير ، كأن تصير الجراح موانئ للسفن وللتجار الذين ينطقون لفظة « الوطن » بشكل صحيح . وأن تتحول العصافير الى جوقسة تصفيق لرئيس الشرطة في مدينة لم تهبط من الخارطة . وأن .. أن .. أن أضبط الآن انفجارات دمي ، وأرجى صرخة احتجاجي الى نهاية سطر آخر . . حيث يكون الرقيب قد نام من السأم .

ان أشياء كثيرة تتغير ، وكان الخروج من المقاهي ذهاب ثوري الى الموقع الامامي ، وكان اللون الفستقي هو لون الغاية . مر بي فارس نسرت ذاكرته النسور . عدد أوصاف السيف ، وتجاهل حينه السهل الى امرأة طعنته . رأى ورقة على رثني اليسرى وقال : هذا صحيح . قلت : هذا كلام ، فقال : السيوف كلام قديم . أليأس يأخذني اليك لانك أليأس النهائي . وقال : باستثناء غرناطة ، لم نودع إلا غرناطة ! .

أشياء كثيرة تتغير ، كأن يتحول السيف الى ايماءة ، وأن تطلب الريح اذنا بالمرور . ولكن طفلا من زقاق الصفيح يتعلم الوطن الآخر ، ويلعب بقتيلة ، ويصدق الكلام .

قال : زدني شعرا أكبر وتنفع القنبلة . كان بوسع الشاعر ان يحول الكلام الى فداء شرط أن يموت . ولكن بوسع الفداء ، دائما ، ان يأخذ الشعراء الى الكلام . لخلايا الجسد المصاب بالبرق والمرأة الجميلة نوافذ . ولكن ليست النوافذ كلها خلايا . اني ادون انطبعا ولا أسجل حكمة : في الضيق العميق متسع ، وفي السنعة العادية ضيق .

وفي العلاقة . . دربني الغياب على الغياب . يقولني القول لمن أخطبها . . بلادا كانت أم امرأة واضحة ، أم غيمة عند باب المطار : انني لا أرى في حضورك الا غيابي . وفي غيابك لا أجد الا الغياب الذي يجعلني حاضرا بكامل حواس الحرس ، وبكامل قلق العشاق المبتدئين . وهكذا . . هكذا أرى غيابك واصحا جارحا مقلما أرى آثاره الصارمة على انتظاري واندفاعي وعلى خفية سفري وعلى بندقية صيد الكأبة ، وعلى خيام تجعل الغابات أصغر .

ولا نصب في الصفر ، بيد انه احتمال . ولا أقول حين أقول ، بيد اني أقول حين أقال . وهكذا . . هكذا أرى غيابك ، لا أرى الا غيابك واصحا جارحا كالدم الذي يغطي حضورني بين القبائل المهاجرة الى وراء .

لم ادخل شيخوخة الوقت لكنني ابحت عن أي عمر لمكان ، لا يتسع لنا ، ويكون لنا ، خندقا ضيقا وسريرا وولادة ، لان المكان الآخر زمن آخر . هانذا أمسك الصوت في يدي ، ولون السماء المزاجي فوق السهول التي تتشعب في خلایاي ، وزيد البحر المتصيب من ساعدي ، ورائحة الصخور التي تكبر بعد المطر الاول وتطردي عنها فرائشة . ولا يكون دمي ، دائما ، لي . فان لموظفي البلديات رأيا في الكمية وجهة السفك . وحين أستقر فلا يكون اطاري غير التابوت او الزنزانة او لاعب الشطرنج .

وعلى شك الكلام يكون الكلام . وبعد الكلام بياض . أحاول ان أتكلم . . ان أتقدم في الورق الدموي . . وفي العرق الدموي . أحاول أن أجد الصيغة المبتغاة لروحي . أحاول أن أكسر الفرق بين انهيارات هذا المؤقت ، وبين انفجارات السر في جهة واحدة : الى الامام . . الى الامام ! .

## ٢ - لا اكون . . واكون

● في الطريق الى الولادة الاخرى أضعت الطريق ، لان اتجاهات الصوت تأخذ شكل الاصابع لا شكل قبضة اليد .

ومن الكتابة نرث الندم . كيف أكون الآخر لأرى بشكل أحسن ؟ . ولكننا ننطلق في تصويب الخناجر التي تقودنا من الظهر . لم يكن الوقت كافيا لكسر قوة استنهاز الخيمة . ولم تكن الخيمة حقيقية لئملأها بالخصى أو لترميها في النهر . يا أيها المدثر !

الليل جادث والفرح حالة . ولم أعدد جروحي لأتعرف على الليمون . واضح . . واضح هذا الخروج القرآني من شعاب مكة . والانصار ينبلجون كالرحمة .

أحيانا ، أسيطر على ضمير المتكلم ، كما يسيطر الصائم على رغيف يأتي من لحظة الغروب . وأحيانا . . أحيانا أسيطر على ضمير المخاطب ، كما يسيطر النائم على حلم لا يأتي من وقت . تارة أقع في النرجس . . وتارة أقع في البخار .

وهاأنذا أعدد أشكالي لأحدد جوهرى ، ولا أصل الى الوقت الا بعد مرور الوقت . أيها النائمون على الغد وعلى الرمل الساخن ! اعطوني سر ساعاتكم لأجد وقتي فيكم .

أيها الذاهبون الى نهائية القصيدة ! اعطوني هذه الدقيقة فلم يبق عندي من العرق غير المسافة بين السور والخندق .

وفي الطريق الى الولادة الاخرى تتزوج الاحلام أصدادها ، وفي آخر الوجد الحاضر نفترق . لم نصل الى الجدار الالامي فلم نفترق . ولم تنفصل عن الجدار الخلفي فلم نفترق . ما زالت المسامير هي الحافز ، وما زلنا في بدايات الطريق .

لم أبدا عملية احصاء ضلوعي فلم أشعر بالخسارة . ولم أراهن على جواد رايح أو خاسر لألهث في صفوف المشاهدين . أنا الجواد الرابع في جدارة العرق . وأنا الجواد الخاسر في حساب التجارة . أنا الجواد الذي قطع نصف الدائرة كقفوس ناجح . أستدير . . وأستطيل وأمزق الهواء كما تمزقون أوراق الحظ الفاسد . أكر ولا أفر ، وأقبل ولا أدبر في الميدان واللغة . خلقي صحيح ، ونطقي صحيح ، لان جروحي صحيحة .

في الطريق الى الاحلام أتزوج السهول ولا جبل الاظهري ، ولا أسرج لا أسرج لا أسرج . ريح وريح وريح وأنا الحصان والفارس والقمح أنا والمنجل . أحيانا . . أطلع من عضلاتي ضمير المتكلم فيندفق مني الشوارع والمنجم والوجوه والحالات وتفاصيل الوطن الرديئة . وأحيانا اقتحم الحالات فلا أذوب ولا أتعرف على اسمي ولا أضع سائر الاسماء . لا أجد الشوارع الا في قلبي ، ولا أجد قلبي الا في الشارع . وهكذا اعتقد أحيانا أحيانا أنني الوطن . .

أكون . . أكون . . ودائما ضد الا أكون ، وضد أن أكون . جاء وقت الكلام الذي لا يتألف من كلمات ولا يخرج من ارتطام صمت بصمت . سأمنع النهر ، أو أنقذ النهر من الوصول الى الصفر ، وهذه أعضائي حاجز .

كل غصن كان ضلعا لي . وكل حصوة كانت ضرخة . وكل صليب كان صفصافة . فلتعد الاشياء المسروقة الى حزنها الجميل .

— لماذا سقط العالم من غزوة القصيدة ؟

— لان القصيدة سقطت من يد الشاعر .

— ولماذا سقطت القصيدة من يد الشاعر ؟

— لان العلوم كثيرة !!

لم تكن بلادي قمرا ، لأعلن براءتي من خديعة الجمال الكاذب بعدما اندس العلم الأميركي بين يدي ونهد حبيبتني . قولني للقمر الشاحب ان بلادي أجمل ، وان كليهما بعيد وفي تناول اليد والصرخة . ولكن بلادي أجمل . . أجمل . وقولي لهيفل ان كلامه قابل للنسخ الآن أكثر مما كان . وأين التعبير الشامل عن الصورة المثالية يا شعرا ؟

هاأنذا أخرج من سياقي التعبيري لأقول : وقع القبر في الاسر النهائي ، وذلك لا يهم لأنه خيبة البدو الذين استبدلوا ساعة النخيل بساعة يابانية الصنع فحسروا وقت النخيل ووقت الثورة . أين التعبير الشامل عن الصورة المثالية يا قصيدة ؟ وقع الوطن في الاسر المؤقت ، وذلك يهم لان الناس أهم من فضول الآلات . وفلسطين تعطي اللغة وعدا والمواطن قيادا ، فكيف نحل العلاقة بين الضمير وبين اللغة ؟ وفلسطين هي الصورة المثالية والطلب اليومي ، فكيف نحل الفوارق بين وضوح الرغيف وبين معاني الزئبق ؟

وها أنذا اعود الى السياق :

أكون . . أن أكون في السؤال الصعب .

للبد الواحد امكانية الورد ، والمسدس ، والمنديل ، والتعبير ، وتناول القهوة او السم .

ومن اليدين يخرج التصفيق ولا ينجز الانتحار .

كيف تكون يداي يدا واحدة . وكيف تكون يدي يدين ؟ في البحث عن الحل الذي قد يكون - أكون .

٣ - أذهب . . وأذهب

● الساعة المتأخرة من الليل هي الساعة المبكرة من النهار .

أعطي مساحة صوتي بيدك الصغيرة . وتغطي يدك الصغيرة برتقالة اكبر . ويغطي البرتقال نشيدي الذي أمشي اليه .

لم أقبض على شعاع ، وشعرك يفر من أصابعي ومن كلمات الوصف .

كل داخل اليك نبي اذا استطاع الخروج . وكل من يخرج من خلاياك ذاهب الى الشيخوخة .

أنني أصغر من نحلة ، حولك ، وهديري محيط . وأذهب نحو الصدى لأنتح الكلمات من الرمل . أذهب نحو الصدى متقلا بالشهداء والجرحى ، فيكون الصدى عنقايد . حبك محقق والرغبة لا تنضب . والعلاقة دائرة تلتحم . .

كل وصول اليك ضلال . أحبك . وشعاب الجبل تؤدي الى الوادي . أحبك . وممرات الوادي تصعد نحو الجبل .

أعلن الحرب على الحرب ، فلا يكون سلام . والقي السلام على السلام فلا تكون التحية .

تظلين ، كالمدينة ، من قاع الوادي فأنحنى لأرى قلبي . . وتضيعان .

الساعات قتلاي ، والدقائق جرحاي ، والثواني اسراي .

في غموضي وضوح الخطأ . وفي وضوحي غموض العلاقة .

أطيعي تجدد حلمي أجد صخرة صغيرة تشهد انفجاري .

أطيعي تردد حلمي أجد حائطا صالحا لانتحاري .

وأطيعي غيابك . . اندمعي في الغياب النهائي كي أعلن ياسي وأجد لغتي .

الساعات قتلاي ، والدقائق جرحاي ، والثواني أسراي .  
كل عشاقك انتحروا ...

كل عشاقك انتحروا . قال لي فـاريس : كدت المسها حين خر جوادتي .

كل عشاقك انتحروا . قال لي شاعر : كدت أكتبها حين تم اغتيالي .

كل عشاقك انتحروا . قال لي عاشق : قد وجدت الحبيبة في صورة البرتقال .

كل عشاقك انتحروا في حروب الطوائف وفي حروب اللغة .

الساعات قتلاي . والدقائق جرحاي . والثواني أسراي .

طردوا موجة من البحر الابيض المتوسط . صارت لاجئة ثم صارت غزالة ترعى في حقول الالغام .

أفرغي حمولة الخيام كلها كلها من بكاء الاطفال الى المفاتيح الصدئة الى صلاحية البؤس لصعود الانتهازي .. الى بساطة الوطن .. وصعوبة الوصول . أفرغي حمولة الخيام كلها في يد تتدرب على اقتحام الجحيم وقطف الالف باء .

وما زلزلت الارض زلزالها . ولكن أقدام الغزالة التي تسمع الزلزال هي الساعة والحدس . أعرف الآن .. أعرف أمس .. وأعرف غدا ، وكل أيامي لم تجد يومها . ذاهب .. ذاهب في اتجاه زفيري ، وفي اتجاه اندفاعات قلبي . ذاهب في اتجاه البنفسج والموت يأخذ لون البنفسج . ذاهب .. ذاهب . قلت مليون مرة : لن أعود . أنا ذاهب في اتجاه دمي ، وضد مصري .

ان تكوني بلادا أكن عاملا في مصانع صهر الحديد وصهر الخيام .

ان تكوني نساء أكن نرجسا أو طيبب ولادة .

ان تكوني خرائط أمسح جروحي وأبحث عن الحجر الاخضر .

ان تكوني نشيدا أضع جثتي بين سطرين أو فاصلة .

ان تكوني خيالا أحول طيور الكلام الى أقمشة .

ان تكوني مرايا أقبل حماسي القديم الى اللعب خارج أهلي ، وخارج بيتي ، وخارج درس الحساب العسير .

ان تكوني زنازين اقرأ الشعر في باحة المحكمة ، ضد قاضي القضاة ، وضد النيابة ، ضد الشهود ، وضد انقلاب الاماني على نفسها .

وأن تكوني فلسطينين معناه معناه ان تكوني الجديد .. الجديد .. الجديد .

ان تكوني فلسطينين معناه أن تسبحي في هدير النشيد

ومعناه ان القرنفل يحكم شعبا من الكلمات الجميلة .

ومعناه أنك أجمل منك ومنا ، ومن جنة مستحيلة .

ومعناه ان المخيم كان درس الحساب العسير .

وكوني كما شئت .. كوني كما شئت .. نذهب اليك ، ونذهب اليك ، ونذهب اليك ..

## خريطة حزب العمل الاسرائيلي — عودة الى المواقف الاسرائيلية السابقة

صبري جريس

في أواخر حزيران (يونيو) الماضي ، ادلى مثير زرمي امين عام حزب العمل الاسرائيلي الحاكم بتصريح امام مؤتمر اتحاد الكفوتسوت والكيوتسيم — احدى المنظمات الاستيطانية التي تشكل جزءا من الهيكل العظمي لحزب العمل — حول خريطة الحدود النهائية التي تطالب اسرائيل بها في اطار تسوية سياسية مع العرب ، بقوله : « ان خريطتنا معروفة ... لن ننزل من هضبة الجولان . الاردن حدودنا الامنية ، دون البت في مسألة السيادة على الضفة [ الغربية ] . ويعني هذا ان الضفة لا يمكن ان تكون قاعدة للعمل العسكري ضد اسرائيل . مستضم [ منطقة ] مشارف رفح الى دولة اسرائيل ... [ مع ] وجود اسرائيل في شرم الشيخ ، بالاضافة الى شريط من الارض يصلها مع اسرائيل ، دون البت في مسألة السيادة الاسرائيلية على هذه الاماكن » . ورغم ان زرمي رسم عمليا بتصريحه هذا خارطة اسرائيل النهائية استنادا الى ما يسمى « المبدأ الشفهي » ( الذي اصبح الآن خطي ) ، سارع الى القول « ان اسرائيل لن ترسم خطوطا على الخريطة ، لكي لا تفوت اية امكانية للسلام بسبب قرارنا حول خط معين » .

وقبل ان يدلي زرمي بتصريحه هذا بنحو شهر ، اعلن يتسحاق رابين رئيس حكومة اسرائيل ، في أواخر ايار (مايو) الماضي ، خلال النقاش السياسي في مركز حزب العمل حول مواقف اسرائيل من التسويات السياسية مع العرب ، ان اسرائيل لن تعود باي حال الى حدود ١٩٦٧ . وكان رابين قد ادلى بتصريحه هذا بعد ان ظهر كأن هناك تعادلا بين « حرائم » الحزب الذين يطالبون بالعودة الى حدود ١٩٦٧ « تقريبا » وبين « الصقور » الذين يريدون الاحتفاظ باكبر مساحة ممكنة من الاراضي المحتلة على الجبهات الثلاث ، ان لم يكن كل تلك المناطق . وخلال حديثه ، اعلن رابين ايضا ان اسرائيل تسعى للوصول الى تسوية سياسية وفق المبادئ الثلاثة التالية : « على الحدود المصرية : عتق اضافي [ لاسرائيل ] في سيناء فيما وراء الحدود القديمة ، السيطرة على شرم الشيخ وامتداد اقليمي اليها ، لم يحدد عرضه حتى الآن ويعتبر خاضعا للمفاوضات . على الحدود السورية : لن ننزل من هضبة الجولان ، رغم اننا لم نقرر نهائيا بشأن عرض المنطقة التي ينبغي علينا الاحتفاظ بها في الهضبة . وعدنا المستوطنات في الهضبة بانها لم تقم هناك لكي تقتلع فيما بعد . على الحدود الاردنية : اقترحنا بشكل عام « مشروع ألون » ، وكذلك مشروعا [ لتقسيم السلطة ؟ ] وظيفيا ، يضم حق الاستيطان اليهودي حتى تحت الحكم الاردني وحدودا مفتوحة » .

والواضح ان خريطة زرمي — رغم الضجة التي ثارت حولها في بعض عواصم العالم العربي في حينه — لا تختلف كثيرا عن مضمون تصريحات رابين بشأن الحدود التي

تطالب اسرائيل بها ، في المرحلة الحالية على الاقل . والواضح ايضا ان هذه المواقف لا تختلف كثيرا عن المواقف الاسرائيلية السابقة في هذا المجال ، التي تبلورت خلال ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، نتيجة لضغوط حزبية داخلية ، خاصة من قبل حزب مابام و« حمائيم » حزب العمل من جهة وبتأثير مشروع روجرز واضطرار اسرائيل لاتخاذ موقف منه ، عند طرحه يومها ، من جهة اخرى . غير انه تجدر الاشارة هنا ، من ناحية ثانية ، الى ان موقف حزب العمل هذا لم يبق على ما هو عليه الآن خلال هذه الفترة بأكملها ، اذ ان تغييرات طرأت عليه خلال السنوات الخمس الاخيرة ، نتيجة للاوضاع السياسية ، الداخلية والخارجية ، التي سادت اسرائيل والمنطقة من حين لآخر . فبعد ايقاف حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية سنة ١٩٧٠ ثم فشل مشروع روجرز ، ازدادت سيطرة الثلاثي المتصلب مئير — دايان — غلبي على السياسة الاسرائيلية ، وهو الاتجاه الذي وجد تعبيرا عنه في اقرار ما يسمى وثيقة غلبي سنة ١٩٧٣ ، قبيل الانتخابات للكنيست الثامن ، التي كان من المقرر ان تعقد في اواخر تشرين الاول ١٩٧٣ . وغسرت وثيقة غلبي في حينه كأنها دعم واضح لسياسة الضم الزاحف التي انتهجتها بعض الدوائر الاسرائيلية ، والهادفة الى ضم المناطق المحتلة بأسرها تدريجيا الى اسرائيل . ولكن وثيقة غلبي هذه لم تعمر طويلا ، ولم يتمكن حزب العمل من خوض الانتخابات العامة استنادا اليها ، اذ ان حزب تشرين التي نشبت قبل عقد الانتخابات اسفرت عن وضع جديد اضطر الحزب على اثره ، نتيجة لتضعف مركز القيادة المتصلبة وسقوط أسهم العديد من أعضائها ، وخاصة دايان ، الى اقرار برنامج انتخابي جديد ، تميز « باعتداله » ، اذا ما قورن بوثيقة غلبي .

أما الآن ، واستنادا الى التصريحات التي اشرنا اليها ، وتصريحات اخرى عديدة غيرها ، فيبدو ان حزب العمل قد عاد الى منطلقاته السابقة . والواضح ان العودة الى تلك المنطلقات بشأن الحدود وغيرها لم تتم ، بالطبع ، صدفة بل جاءت نتيجة للتطورات التي حدثت منذ تشرين وحتى اليوم على عدة اصعدة ، منها الصعيد الاسرائيلي الداخلي ، الاوضاع العسكرية ، الموقف الامركي والمواقف العربية .

### رابين يثبت مركزه ...

من بين الاسباب الرئيسية المهمة التي تدفع حزب العمل الاسرائيلي ، ممثلا في قيادته الحالية ، للعودة الى مواقفه السابقة الاوضاع السياسية الداخلية في اسرائيل ومواقف القوى الحزبية المختلفة ، وبالتالي تأثر ذلك على الحكومة والحزب الحاكم وقياداته . لقد وصلت الحكومة الاسرائيلية الحالية الى الحكم ، في حزيران ( يونيو ) ١٩٧٤ ، بعد عواصف شديدة نشبت داخل اسرائيل بسبب التقصير ، في مجالات عديدة ، أثناء حرب تشرين الذي أرغم معظم القيادات السابقة ، السياسية والعسكرية ، على التخلي عن الحكم . كما ان رئيس الحكومة يتسحاق رابين فاز بمنصبه على منافسه شمعون بيريس ، وزير الدفاع الحالي ، بعد ان حاز على اكثرية ضئيلة من الاصوات في مركز حزب العمل ، الذي دعي لاختيار مرشح الحزب لرئاسة الحكومة ( ٢٩٨ صوتا لرابين مقابل ٢٥٤ صوتا لبيريس ) . وبعد تشكيل الحكومة ، ورغم المحاولات المضنية التي بذلت لتوسيعها ، لم تستطع الفوز بالثقة في الكنيست الا بأكثرية صوت واحد فقط ( ٦١ من ١٢٠ صوتا ) .

تعرضت الحكومة الاسرائيلية — ورئيسها — مع تشكيلها الى حملات عنيفة من قبل المعارضة ، المتمثلة في الكتلة اليسيني ( ليكود ) والحزب الديني القومي ( ممدال ) ، بهدف اسقاطها . واستمرت هذه المحاولات فترة غير قصيرة ، الى ان انتهت اخيرا ...

بضم المفدال ( ١٠ نواب ) الى الحكومة ، بينما انسحبت منها — بسبب ذلك — قائمة حقوق المواطن ( ٣ نواب ) ، وذلك بعد قبول حزب العمل بعدة شروط فرضها عليه المفدال ، أهمها عدم الموافقة على انسحاب من الضفة الغربية قبل حسم الامر في انتخابات عامة . وخلال تلك الاونة ، التي استؤنفت فيها الاتصالات البندئية بشأن انسحاب جزئي آخر من سيناء ، بعد ان كانت الحكومة السابقة قد انجزت اتفاقات فصل القوات على الجبهتين المصرية والسورية ، كثر الطعن في شخصية رابين ، الذي وصف بأنه ضعيف ومتردد وغير قادر على اتخاذ قرارات حاسمة ، بينما لوحظ ان وزير الدفاع بيريس يعمل على تقوية مركزه ودعم قوته ، فيحظى بشعبية متزايدة ويتجه الى طرح حلول استراتيجية بعيدة المدى للمشاكل التي تجابهها اسرائيل ، لا تختلف كثيرا في منهجها عن الطرق البنغوريونية الكلاسيكية — وهي حلول غير غريبة بالنسبة لعقليات بيريس ، تلميذ بن غوريون النجيب .

ويبدو ان رابين ، الذي كان محسوبا على الحمايم ووصل بفضل تأييدهم ، الى حد ما ، الى منصب رئيس الحكومة ، تنبه لهذا الوضع مبكرا ، وراح يعمل على تقوية مركزه كرئيس للحكومة وقائد لحزب العمل في ضوء واقع الاوضاع السياسية داخل اسرائيل التي تنتجها ، عامة ، نحو اليمين والتصلب . وكان من اولى النشاطات التي قام بها رابين في هذا المجال التودد الى غولده مئر ، رئيسة حكومة اسرائيل السابقة ، التي لا تزال تحظى بتأييد الصقور « الادبي » ، ومحاولة كسب رضاها بواسطة استئشارتها من حين لآخر قبل اتخاذ قرارات مهمة ، على الصعيدين الداخلي والخارجي . ويظهر ان رابين نجح في محاولاته هذه ، فكسب بذلك أيضا عطف وتأييد قسم لا بأس به من صقور حزب العمل . وفي مرحلة لاحقة عاد رابين وصحح علاقاته مع ليكود اليميني ، وبعد ان وصف بيغن في احدى جلسات الكنيست بأنه « شخصية متخفية » — وعن حق — تراجع عن وصفه هذا وأجرى « صلحة » مع زعيم ليكود ، راح على أثرها يستشير في الحالات الصعبة . وفي الوقت نفسه يصر رئيس حكومة اسرائيل على عدم قطع علاقاته مع حركة حقوق المواطن ، التي زاد عدد نوابها من ٣ الى ٤ بعد انضمام الياف ، الامين العام السابق لحزب العمل ، اليها اثر انشقاقه عن الحزب ، رغم ان الحركة ليست ضمن الائتلاف الحكومي ، فيقوم أيضا باطلاع زعماء الحركة على مواقف حكومة اسرائيل وتحركاتها ، معلنا أنه تعهد بالقيام بذلك قبل ان تنسحب الحركة من الحكومة . أما آخر تحركات رابين في هذا المجال فكانت اسكات طويل اللسان اريئيل شارون ، الجنرال الذي يتمتع بتأييد فئات واسعة في اسرائيل ، بتعيينه . . . مستشارا له ، وذلك — كما يبدو — في محاولة ( ناجحة ) للحد من تأثير « تحالف » وزير الدفاع بيريس مع رئيس الاركاب الجنرال غور ، الذي قد يشكل تهديدا لمركزه ، خاصة في المجال الامني الحساس . ومن ناحية ثانية ، أدت هذه التحركات الى الحد من نفوذ وزير الخارجية آلون ، الذي يتزعم جناح « الحمايم » ، رسميا ، ويطالب باتباع سياسة أكثر مرونة من تلك التي ينتهجها بيريس او رابين .

ان هذه التحالفات السياسية لا تؤدي ، بالطبع ، الا الى اتخاذ مواقف متصلبة ، تدفع نحو مواقف أكثر تصلبا ، لان اي تحرك قد ينم عن مرونة او اعتدال سيؤدي الى ضعفة تلك التحالفات ، وبالتالي الى سقوط الحكومة واجراء انتخابات جديدة — وهو وضع يرى معظم حكام اسرائيل انفسهم حاليا في غنى عنه ، في المرحلة الحالية على الاقل . وبعبارة أخرى : ان الاوضاع السياسية الداخلية في اسرائيل لا تترك مجالا غير العودة الى المواقف المتصلبة السابقة — وربما كخطوة على الطريق نحو مواقف أكثر

تصلبا . وهذا في رأينا واحد من الاسباب الرئيسية في عودة رئيس حكومة اسرائيل وحزبه الى التمسك بالمواقف السابقة .

### ••• والعسكر يستعيدون نفوذهم

إذا كانت الاوضاع السياسية الداخلية في اسرائيل تدفع نحو المواقف المتصلبة عامة، فان الجيش الاسرائيلي ، بكبار ضباطه ، والى جانبهم أصحاب النظريات الامنية على اختلاف أنواعها ، يدفعون أيضا في الاتجاه نفسه ، رغم ما قيل من تأثير حرب تشرين عليهم . ويبدو الآن ، بعد مرور سنة ونصف السنة على حرب تشرين ، ان عسكر اسرائيل يكاد يفرغ من دراسة احداث الحرب ونتائجها ، وانه استخلص الدروس شبه النهائية منها . ومع الابتعاد ، زمنيا ، عن تلك الحرب واستتباب الهدوء ، نسبيا ، على معظم الجبهات ، يتضح ان الاسرائيليين ، وخاصة عسكرهم ، يتمثلون للشفاء تدريجيا من آثار تلك الحرب ، بينما يعود العديد منهم الى مواقفه وآرائه السابقة .

أسفرت نتائج حرب تشرين ، كما هو معروف ، عن تشكيل عدة لجان تحقيق ، علمية أو عسكرية - داخلية ، لدراسة « التقصير » الذي حدث أثناءها . كذلك نجم عن تلك الحرب نقاش واسع داخل اسرائيل ، لم يترك ناحية واحدة من نواحي الحياة أو النشاط هناك الا وتطرق لها . ويمكننا تلخيص النتائج التي استخلصت من تلك التحقيقات والمناقشات الى شطرين : الأول منها تكتيكي ، للمدى القصير والمتوسط ، يتعلق بالاوضاع والمواقف الراهنة ، وما قد يطرا عليها من تغييرات خلال السنوات القليلة القادمة ، والثاني استراتيجي وللمدى الطويل .

وعلى المدى القصير ، يبدو ان الاكثرية ، وخاصة بين الضباط ، تعتبر ان ما حدث من «تقصير» اثناء الحرب، كان ، عامة، عبارة عن سلسلة من الاخطاء التكتيكية، التي كان بالإمكان تلافيها ، ان كانت تلك التي تمثلت في « مفاهيم » المخابرات العسكرية الخاطئة واستخفافها بقدرة العرب وعدم تقدير تحركاتهم العسكرية حق قدرها ، او تلك التي نجمت عن عدم حشد القوات الكافية في المكان والزمان المناسبين او الانتظار حتى يقوم العرب بتوجيه الضربة الاولى ، الخ. والواضح ان أصحاب هذا الرأي لا يرون حاجة لادخال أية تغييرات على سياسة اسرائيل الخارجية أو مواقفها الاستراتيجية ، ما دامت القوة العسكرية الاسرائيلية قادرة على دعم تلك السياسة ، بواسطة تصحيح الاخطاء التي انكشفت خلال تشرين . ويبدو ان القيادة العسكرية ، والسياسية ، الاسرائيلية تميل بأكثريتها الى الاخذ بهذا الرأي ، كما يتضح من عدد من الاجراءات العسكرية التي اتخذتها منذ الحرب . وكان من بين هذه الاجراءات اعادة تشكيل شعبة المخابرات على أسس جديدة ( ولوحظ في هذا الصدد ازدياد الطلبات على الاشخاص الذين يتقنون اللغة العربية ) ، واقامة شعبة مخابرات مستقلة خاصة بالطيران ، ثم ادخال تغييرات على أسلحة الجيش الأخرى . كذلك تمت زيادة الجيش النظامي الدائم بنحو ٥٠ ٪ ، ويقال ان عدد أفرادها يصل الآن الى نحو ١٢٠ - ١٣٠ الفا ، وهي قوة تستطيع بحسب تقديرات الاسرائيليين صد أي هجوم مفاجيء على اسرائيل او احتوائه لحين دعوة قوات الاحتياط . وفي الوقت نفسه اجريت عملية مسح شامل للقوى البشرية في اسرائيل ، وأعيد بضع عشرات من الآلاف من المعفيين سابقا من الخدمة العسكرية الى الجيش، بينما مددت فترة الخدمة الالزامية الى الحد الأقصى المسموح به قانونيا ، والغيت معظم تسهيلات الاعفاء من الخدمة التي اتبعها الجيش سابقا . كذلك أعادت القيادة العسكرية أكثرية الضباط الكبار ، من درجة عقيد فما فوق ، الى الخدمة في قوات الاحتياط . وهذه الاجراءات تمكن اسرائيل ، استنادا الى

وضع قوتها البشرية ، من تجنيد نحو نصف مليون انسان ، وربما أكثر ، من ذكور وأناث ، في حالة حرب شاملة ، لتشغيل الآلة الحربية من جهة والاهتمام بالمصالح المدنية الحيوية من جهة أخرى . ومن ناحية ثانية ، استعادت اسرائيل من أميركا كل الاسلحة التي فقدتها في تشرين وحصلت على كميات اضافية ، ولا تزال تعمل للحصول على أسلحة متطورة أخرى ، اضافة لبعض الانواع التي تنتجها مصانعها . ويبدو ان لسان حال العسكرية الاسرائيلية ، في تحركاتها هذه ، يعلن انه اذا كان العرب مصممون أو قادرين على منع حزيران آخر ، فنحن أيضا لن نسمح بتشرين آخر .

غير ان التحديات التي أسفرت عنها حرب تشرين بالنسبة للاسرائيليين لا تتقف عند هذا الحد ولا يمكن مجابقتها بالاجراءات « التقليدية » التي أشرنا لها ، مهما بلغت نجاعتها ، خاصة عندما يتعلق الامر بالتحدي الاستراتيجي على المدى البعيد ، المتمثل في تعاضد قدرات العرب المالية والعسكرية والسياسية وتقوية نفوذهم في العالم ، وبالتالي ازدياد امكاناتهم عند مجابهة اسرائيل - وغيرها . والواضح ان هذه الناحية تقلق بال دوائر اسرائيلية عديدة ، وحتى تلك منها التي تؤيد الاجراءات العسكرية الحالية وتعتقد ان اسرائيل تستطيع بواسطة ذلك التصدي لاي هجوم عربي عليها خلال السنوات القليلة المقبلة - وهذا أحد الاسباب التي تدفع تلك الدوائر ، او بعضها على الاقل ، الى السعي حثيثا للوصول الى تسوية سلمية مع العرب . الا انه يبدو ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لم تقدم جوابا على هذا الوضع أيضا ، وذلك بواسطة تصريحاتها العلنية بوجوب قيام اسرائيل بالحصول على الاسلحة الذرية او تطويرها للرد ، استراتيجيا ، على القوة العربية المتعاضمة .

كانت اسرائيل قد لجأت ، في هذا المجال ، الى امتلاك مفاعلات ذرية قبل عدة سنين ، رغم ان الحديث عن مشاريع إنتاج أسلحة ذرية عرض همسا وبشكل « غير جدي » . ولكن هذا الوضع تغير بعد تشرين . فبعد تعيين شمعون بيريس وزيرا للدفاع - وبيريس كان في حينه ، بصفته مدير عام وزارة الدفاع ، من أكبر المؤيدين لبن غوريون في مساعيه للحصول على مفاعلات ذرية - كان من بين أولى نشاطاته تعيين أحد علماء الذرة المعروفين في اسرائيل ، يوفيل نثمان ، مستشارا له . وبعد هذه الخطوة بوقت قصير بدأ الحديث علنا عن ضرورة قيام اسرائيل بإنتاج أسلحة ذرية خاصة بها . وكان أول من طرق هذا المجال رئيس اسرائيل ، كتسير ، نفسه الذي وجد من المناسب أن « يحذر العالم » - على حد قوله - من قدرات اسرائيل الذرية ، ثم تبعه رئيس هيئة تطوير وسائل القتال في الجيش الاسرائيلي الذي أدلى بتصريحات مماثلة . وقبل مدة قصيرة انضم رئيس الاركان الاسرائيلي ، الجنرال غور ، نفسه الى الجوقة فأعلن جوابا على أسئلة وجهت اليه ، في ما اعتبر كأنه رد على التنازلات حول سياسة اسرائيل في المستقبل مقابل القوة العربية المتعاضمة ، انه يتوقع أن تدخل الاسلحة الذرية واجهزة لايزر للمنطقة خلال ١٠ - ١٥ عاما ، بحيث ينشأ عندها ميزان رعب يمنع أي من الطرفين من التفكير في اعادة الآخر . ولم يكد غور ينتهي من الادلاء بتصريحاته هذه ، حتى راحت صحف اسرائيل ووسائط اعلامها الرسمية تتحدث بصراحة عن الموضوع . ومما يلفت النظر في هذا المجال الدعوات المتحمسة لضرورة حصول اسرائيل على الاسلحة الذرية ، التي يطلقها أحد الكتاب الاسرائيليين المعروفين ، ميخائيل بار - زوهار ، كاتب سيرة بن غوريون وأحد المعروفين بصلاتهم الوثيقة مع الدوائر الامنية الاسرائيلية .

وعلى أي حال ، مهما يكن من أمر الاسلحة الذرية واللجوء لاقتنائها على المدى البعيد وجدواها اذا امتلك العرب أسلحة مماثلة - والى ان يتم ذلك ، لكل حادث

حديث — يبدو ، من ناحية ثانية ، أن بضعة أسابيع من القتال خلال تشرين وبعده ، ورغم الخسائر التي لحقت بالاسرائيليين خلالها ، لم تكن كافية لاقناع جيل البلماح الذي لا يزال يشكل الهيكل العظمي للمؤسسة الاسرائيلية العسكرية ، رغم انه دخل في طور الكهولة ، ان استناد اسرائيل الى القوة ليس دائما سليم العواقب . بل على العكس من ذلك ، يبدو أن بعضهم يتوق الى غزوة أو غزوات عسكرية « لتلقين » العرب بعض الدروس والانتقام لتشرين ، خاصة بعد أن اعتادوا على احراز الانتصارات ، الواحد تلو الآخر ، منذ مطلع الاربعينات وحتى اليوم . وهذا سبب آخر وراء عودة اسرائيل الى مواقفها السابقة المتصلبة .

### اوضاع اسرائيل الدولية لا تزال مريحة

تلعب الاوضاع الدولية الراهنة أيضا دورا لا بأس به في دعم موقف اسرائيل المتصلب واصرارها على التمسك به ، رغم النكسات التي تعرضت لها علاقاتها الدولية ، خلال حرب تشرين وبعدها ، اثر الضغوط العربية ، من قطع عدد لا بأس به من الدول لعلاقاتها معها وعلان عدد آخر عن تحفظه من مواقفها في المناطق المحتلة او القضية الفلسطينية . وقد وصلت هذه الاوضاع في حينة الى درجة بدا معها كان عزلة دولية تامة تطبق على اسرائيل . ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا اذ لم تمر الا بضعة اشهر حتى استعادت اسرائيل أنفاسها على الصعيد الدولي . ففي افريقيا ، التي قطعت كل دولها تقريبا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، ظهر أن قطع العلاقات الدبلوماسية لم يؤثر على العلاقات الاقتصادية وغيرها التي كانت قائمة سابقا . ويبدو ان اسرائيل مكتفية حاليا بهذا النوع من العلاقات ، على أمل استئناف العلاقات السابقة عندما تسنح الفرصة لذلك . اما بالنسبة لاروپا الغربية ، فقد ظرأ توتر ما على العلاقات معها بعد الحرب مباشرة ، الا أن هذه العلاقات أخذت تتحسن تدريجيا ، الى أن وقعت اسرائيل مؤخرا اتفاقا اقتصاديا مع السوق الاوروبية المشتركة — رغم الاعتراضات الشكلية التي تقدمت بها بعض الدول العربية بعد قوات الاوان — يؤمن نوعا من الحل لعدد من مشاكلها الاقتصادية .

غير ان الاهم من هذا كله ، بالنسبة لاسرائيل ، على صعيد علاقاتها الدولية هي العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية ، نظرا لما تحصل عليه من مساعدات عسكرية واقتصادية أو دعم سياسي من هذا البلد من جهة وحرصها على الحفاظ على علاقات متينة من اليهود الامريكيين ، الذين يشكلون اكبر التجمعات السكانية اليهودية في العالم ويبلغ عددهم نحو ضعفي عدد سكان اسرائيل من جهة أخرى . والواضح ان أي توتر أو خلل في هذه العلاقات يعود بأضرار كبيرة على اسرائيل .

لقد راهنت بعض الدول العربية ، قبل حرب تشرين وبعدها ، على الاتجاه الداعي الى التصالح مع امريكا وكسب ودها ، في محاولة لحملها على توجيه الضغوط الى اسرائيل للانسحاب من المناطق المحتلة ١٩٦٧ في اطار حل سلمي ، أو عسكري — سلمي ، ان صح التعبير ، لازمة المنطقة والصراع العربي الاسرائيلي . والواضح ان التفكير في مثل هذا الاتجاه ، رغم كره الكثيرين له — ودون ان نتطرق الى الثمن الذي ينبغي دفعه لكسب ود الولايات المتحدة — لا يخلو من منطوق ، اذ أن هذه الدولة الكبرى التي دعمت اسرائيل بشكل يكاد يظهر معه كأن اسرائيل ليست الا ولاية اخرى من الولايات الامريكية ، لا تزال تملك طاقة كبيرة للضغط على اسرائيل وحملها على التخلي عن الكثير من مواقفها المتصلبة ، وذلك رغم ادعاء البعض من أن اسرائيل ايضا قادرة على توجيه ضغوط الى الحكومة الامريكية بواسطة الفئات المؤيدة لها داخل امريكا .

غير انه يبدو ان الذين راهنوا على هذا التحرك السياسي وقعوا في خطأين ، على الاقل ، عندما اتجهوا لتنفيذه . اولهما التقرب اكثر مما ينبغي من اميركا وعدم تجنيد القوى العربية بشكل كاف ، يشعر معه الاميركيون ان مصالحهم في المنطقة ليست مضمونة ما لم يتخذوا موقفا واضحا وصريحا يعترف بحقوق العرب ويعارض مطامع اسرائيل التوسعية — ولا يمكن للمرء ، على أي حال ، ان يتوقع من الولايات المتحدة أكثر من ذلك . وثانيهما ان هذا التحرك تم ، الى حد ما ، من خلال المس بمصالح وهيبة دولة كبرى أخرى هي الاتحاد السوفييتي ، و هي عملية كان من المناسب عدم القيام بها ، خاصة وان الاتحاد السوفييتي ناصر العرب وقدم لهم مساعدات ضخمة خلال العشرين سنة الاخيرة .

أما النتيجة المهمة التي ترتبت على هذا الوضع ، والتي لم تكن في صالح العرب ، فكانت انفراد الولايات المتحدة — تقريبا — في محاولات حل أزمة المنطقة ، ثم ازدياد النفوذ الاميركي فيها دون أن يحصل العرب على مكاسب ملموسة . وأدى ذلك عمليا ، من ناحية ثانية ، الى تقوية الموقف الاسرائيلي في المساومة مع الولايات المتحدة ، خاصة بعد استبعاد الاتحاد السوفييتي وتأمين عدم تدخله الفعلي في المفاوضات ، بحيث استطاعت اسرائيل الاستمرار في سياسة الابتزاز تجاه اميركا ، مثل طلب مساعدات اقتصادية وعسكرية ، بمبالغ خيالية ، والمماطلة في المفاوضات وتقديم شروط جديدة من حين لآخر ، لم تكن تطرا على الببال في الماضي . وان كان قد ظهر أحيانا وكأن علاقات اسرائيل بأميركا قد تدهورت ، وان اميركا ستضطر الى تحديد مواقفها علنا ، خاصة بعد فشل كيسنجر في آذار (مارس) الماضي ثم اعلان الولايات المتحدة عن عزمها على إعادة النظر في سياستها في المنطقة ، فان التطورات التي حصلت بعد ذلك تدل على ان الاوضاع تعود تدريجيا الى ما كانت عليه في السابق من مماطلة وتأجيل ، بل ان آخر الانباء تشير الى أن اسرائيل تسعى الى حمل دول معينة على التوسط بينها وبين اميركا ، لحملها على اتخاذ موقف « معتدل » تجاهها . . .

والاوضاع الدولية المريحة هذه هي السبب الثالث وراء تمسك اسرائيل بمواقفها السابقة .

### المواقف العربية وتأثيرها

يبقى هناك سبب آخر وراء مواقف اسرائيل الراهنة ، اضافة الى الاسباب التي ذكرناها ولا يقل أهمية عنها ، وهو ذلك المتمثل في الموقف العربي من الصراع في المنطقة ، كما تبلور منذ حرب تشرين . وأهم ما يلفت النظر في هذا المجال هو تلك الخلافات في وجهات النظر لدى الاطراف العربية المعنية مباشرة في الصراع — مصر ، سوريا ، الاردن ، منظمة التحرير الفلسطينية — التي ظهرت أكثر من مرة ، حول طرق حل الأزمة في المنطقة او المفاوضات لتسوية سلمية وموقف كل طرف منها ، بل ان شيئا من هذه الخلافات ظهر حتى قبل ان ينتهي القتال . ومما لا شك فيه ان للمواقف العربية المختلفة ، خاصة تلك التي تدور حول تسوية شاملة أو تسوية على مراحل ، دورها في دعم التصلب في الموقف الاسرائيلي ثم توضيحه ، كما يتضح من تقلباته منذ سنتين وحتى اليوم .

في مثل هذا الشهر من سنة ١٩٧٣ نشر حزب العمل الاسرائيلي ما يسمى بوثيقة غليلي حول سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة . وكانت خلاصة هذه الوثيقة ، التي يقال ان دايان هو الذي أملاها ، بعد ان هدد بالانسحاق عن الحزب ، وغليلي هو الذي صاغها ، بمثابة اعلان صريح عن نية الحزب في العمل على ضم المناطق المحتلة السـ

اسرائيل تدريجيا ، بواسطة عدة طرق ، منها مشاريع اسكان اللاجئين في قطاع غزة و« تطوير » الضفة الغربية وتقوية روابطها بالاقتصاد الاسرائيلي ومنح التسهيلات لرأس المال الاسرائيلي في المناطق المحتلة وتنظيم عمل سكانها في اسرائيل ، مع الابقاء على الجسور المفتوحة . كذلك دعت الوثيقة الى تسهيل عمليات شراء الاراضي من قبل الاسرائيليين في المناطق المحتلة ، ثم تجميع تلك المساحات لاقامة المستوطنات عليها . وطالبت الوثيقة أيضا ، في نطاق تقوية الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، باقامة مركز استيطاني اقليمي في مشارف رفح ، جنوبي قطاع غزة ، واستمرار عمليات الاسكان اليهودية في مدينة القدس وضواحيها واقامة ميناء في جنوبي غزة ( يميمت ) ومركز صناعي في منطقتي طولكرم وقلقيلية في الضفة الغربية يكون تابعا لمدينة كنفار سابا الاسرائيلية القريبة من البلدتين العربيتين . ومع نشر هذه الوثيقة سربت معلومات الى وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث عن خطط لاقامة ٢٦ مستوطنة يهودية جديدة في المناطق المحتلة خلال السنوات الاربع التالية . والواضح من تفاصيل وثيقة غليلي هذه ان الذين وصفوها بأنها تكريس لسياسة « الضم الزاحف » للمناطق المحتلة الى اسرائيل ، وهي التي وضعت في وقت وصل استخفاف الاسرائيليين فيه بقدرات العرب الى أوجه ، كانوا على حق .

غير ان وثيقة غليلي ، كما اشرنا ، لم تعبر طويلا اذ لم يمر شهران على نشرها حتى نشبت حرب تشرين ، التي حطمت عددا من البديهيات التي استندت اليها تلك الوثيقة ، مما أجبر دوائر حزب العمل الحاكم على اعادة النظر فيها ، خاصة وان الانتخابات للكنيست الثامن ، التي اجلت لآخريوم من سنة ١٩٧٣ ، كانت على الابواب . وفي نهاية تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٣ ، أي بعد مرور نحو شهرين على نشوب الحرب ، أعلن حزب العمل انه أقر سياسة جديدة ، ضمن برنامج الانتخابي ، أطلق عليها اسم « المبادئ الاربعة عشر » ، التي اعتبرت بمثابة بديل لوثيقة غليلي او ، على الأقل ، تعديلا لها . وجاء مضمون هذه المبادئ أكثر « ليابنة » من مضمون وثيقة غليلي ، اذ اختفى الحديث عن الاستيطان والتطوير واقامة المراكز الصناعية وما شابه ، وحل مكانه الحديث عن حل اقليمي وسط ومؤتمرات سلام واقامة دولة اردنية - فلسطينية الى الشرق من اسرائيل تضم الاردن وأجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة . ومما لا شك فيه ان حرب تشرين قد لعبت دورا معينا في تغيير لهجة الدوائر المسيطرة على حزب العمل ، كما ظهرت في المبادئ الاربعة عشر ، وان كانت تلك المبادئ غير واضحة ومطاطة لجهة تفسير السياسة الاسرائيلية الفعلية التي ترمي اليها .

ومع عودة الهدوء تدريجيا الى المنطقة ، اثر انتهاء القتال ، تم الدخول في مفاوضات طويلة حول التسويات الجزئية على هذه الجبهة او تلك راج الموقف الاسرائيلي يتضح - ويتصلب - أكثر فأكثر ويصاغ على شكل طلبات محددة ، تقدم الى الدول الكبرى والجهات العربية المعنية . كما اتضحت في الوقت نفسه أسس الاستراتيجية الاسرائيلية للتسوية مع العرب ، وذلك بالسعي للوصول الى اتفاق جزئي مع مصر ، يكون عمليا اتفاقا شاملا ، قبل أي دولة عربية أخرى ، وبشكل يسمح للاسرائيليين بحرية الحركة على الجبهات الشرقية ، سوريا والاردن ولبنان . ويبدو ان اسرائيل مستعدة أيضا لتقديم « تنازلات » في سبيل ذلك ، خاصة بالنسبة لمصر ، اذ بينما كانت المواقف الاسرائيلية السابقة تطالب بصراحة ووضوح بضرورة ضم منطقة شرم الشيخ اليها ، والاحتفاظ أيضا بشريط من الارض يصل بينها وبين ايلات ( العقبة ) ، يلاحظ ان بعض الدوائر الاسرائيلية تتحدث مؤخرا عن ترتيبات أخرى يمكن ان توافق اسرائيل عليها بالنسبة لشم شرم الشيخ ، منها عدم الاصرار على المطالبة بالاعتراف بسيادة اسرائيلية

عليها ، أو وضع قوات اجنبية — امريكية مثلا — فيها بدلا من القوات الاسرائيلية . وفي الوقت نفسه ، ومن ناحية ثانية ، تزداد تصريحات الاسرائيليين حدة في تأكيدهم لنيتهم بعدم الانسحاب من الجولان وتشيديد قبضتهم على المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وطرح مشاريع مختلفة « لحل » القضية الفلسطينية ، آخرها مشروع وزير الدفاع الاسرائيلي بيريس الداعي الى اقامة اتحاد فدرالي بين اسرائيل والمناطق المحتلة ، ثم بينهما وبين الاردن ، وبشكل تصان معه السيطرة الاسرائيلية على المناطق المحتلة على أحسن وجه .

ان التصلب الاسرائيلي ، الآخذ في الازدياد ، تجاه الجبهة الشرقية لم يأت صدفة ، وهو بالإضافة الى كونه تعبيراً صادقا عن المطامع التوسعية الاسرائيلية الكلاسيكية من جهة ، يعتبر رد فعل على الأوضاع السائدة على هذه الجبهة ، والخلافات السائدة بين أطرافها من جهة أخرى . وبعبارة أخرى ، ان سكوت هذه الجبهة هو الذي يدفع اسرائيل الى الاستخفاف بها — وهذا هو السبب الاخير وراء تصلب مواقف اسرائيل .

ان الخاسرين الثلاثة من التحركات الاسرائيلية الحالية هم سوريا والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، واحد الاسباب المهمة وراء ذلك هو الشلل الذي أصاب التنسيق بين هذه الأطراف وعدم محاولتها جديا الوصول الى أقل مدى ممكن من التعاون فيما بينها بالنسبة للقضايا المصرية . ان الجبهة الشرقية ، نتيجة لقربها من « بطن اسرائيل وصدرها » — المناطق الصناعية الأهلة في وسط اسرائيل وشمالها — تتمتع بمواقع استراتيجية حساسة في اي ضدام عسكري مع اسرائيل ، كما انها تملك قوات عسكرية لا بأس بها . وقد آن الاوان لتحريك هذه الجبهة .

## حول طرد اسرائيل من الامم المتحدة

نبيل الرملاوي

بعد أن حققت منظمة التحرير الفلسطينية النجاح السياسي الكبير في الدورة التاسعة والعشرين للامم المتحدة بصدور قراراتها ٣٢٣٦ و ٣٢٣٧ ، اثر الانتصار السياسي في مؤتمر القمة العربي السابع بالرباط ، كان من الطبيعي ان لا تكف القوى الصهيونية والامريكية ومعها بعض القوى العربية عن محاولاتها الدؤوبة للالتفاف حول هذه الانتصارات واجهاضها . ولقد نشطت هذه القوى على صعيد تحقيق حلول جزئية عرفت أهدافها ، بتكريس الوجود الصهيوني في فلسطين ، وتمزيق التضامن العربي ، وضرب الثورة الفلسطينية ، وذلك على مدى شهر عديدة بعد صدور قرارات الامم المتحدة المذكورة . وقد وجدت الثورة الفلسطينية نفسها خلال هذه الشهور بعيدة عن موقع الفعل وصناعة الحدث ، بل أكثر من ذلك ، انها كادت ان تلهث وراء الحدث متخلفة عنه ومتأثرة به دون ان تؤثر فيه ، حتى جاء بيان اللجنة التنفيذية للمنظمة الذي وجهته الى الامة العربية في شهر مارس الماضي وحددت فيه بكل صراحة موقف المنظمة والثورة الفلسطينية مما يجري على الساحة العربية من مؤامرات تستهدف رأس الثورة والقضية برمتها ، وقد عزز هذا الموقف العمليات العسكرية البطولية لمقاتلينا في الارض المحتلة الذين استشهدوا ليؤكدوا للعالم كله موقف الثورة الفلسطينية من تلك المؤامرات على صعيد عملي ، فأحدث ذلك ردود فعل عربية ودولية ، وخرجت المنظمة من تخلفها التأثيري ، ولحقت بمصدر الحدث ، وخلخت أركانه ، وتعثرت مساعي المؤامرة .

واليوم ونحن نشهد عودة جديدة لتلك المساعي بزخم سياسي على أعلى المستويات في المسؤولية ، بعد أن اتفقت أطراف موازين القوى السياسية الدولية على استئنافها قد نجد أنفسنا على أبواب تخلف جديد سوف تعمل كل الاطراف ذات المصلحة المتصلة بتلك المساعي على ابتئانا في مواعنا لتحقيق أهدافها التي هي أهداف السياسة الامريكية الصهيونية ذاتها ، كما كانت في المرحلة ما قبل مارس الماضي . كل ذلك يمكن أن يحدث ما لم نستبق المؤامرة ونقبض على زمام المبادرة السياسية ، ولا شك اننا قادرون على ذلك ، فما زالت الظروف السياسية بمجملها ليست في صالح ما يجري ضد ارادة شعبنا وثورته ، ولا بد من استغلالها في الوقت المناسب ، وفتح معركة سياسية جديدة ضد العدو الصهيوني والمخططات الامريكية على المستوى الدولي بالعمل المكثف على جميع المستويات لطرد اسرائيل من الامم المتحدة . وقد يكون من أهم عوامل طرح موضوع طرد اسرائيل من الامم المتحدة والمطالبة به والعمل من أجله هو :

— نقل المعركة السياسية من حدودها الضيقة الى مستوى عالمي بنقلها الى المنظمة الدولية مما يحمل العديد من الدول عربية وغير عربية على تحديد مواقفها بصراحة ووضوح ازاء هذا الموضوع ، الامر الذي يعرض المساعي السياسية المشبوهة في المنطقة الى التعثر في حالة اتخاذ تلك الدول مواقف مؤيدة لهذا المطلب .

— ان قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين الماضية تتعرض لفقدان معانيها وقيمها في ظل تمرد إسرائيل عليها والتنكر لها ما لم تتبعها قرارات أكثر حزماً بحقها ، وقرار طردها من الأمم المتحدة في الدورة المقبلة هو القرار المناسب .

— شعور دول العالم الثالث وبشكل خاص دول عدم الانحياز بأن قراراتها حول تطبيق العقوبات على إسرائيل طبقاً لما جاء في الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة ، أمر يتعذر نحيته نظراً لاضطلاع مجلس الأمن فقط بهذه المسؤولية ، مما حمل هذه الدول ممثلة بمكتب التنسيق لدول عدم الانحياز الذي عقد دورته في الجزائر عام ١٩٧٤ وهافانا عام ١٩٧٥ على اتخاذ توصية لمؤتمر وزراء الخارجية المزمع عقده في ليما عاصمة البيرو في أواخر أغسطس القادم بالعمل على طرد إسرائيل من الأمم المتحدة .  
ولعل طرد إسرائيل من الأمم المتحدة ينطوي على متغيرات سياسية أهمها :

— عزل إسرائيل على المستوى الدولي بفاعلية أكثر شمولاً من أساليب العزل التي اتبعت إزاعها من قبل العديد من الدول والتي تمثلت في الماضي بقطع العلاقات الدبلوماسية وعلى مستوى جزئي من العالم .

— تأكيد الإرادة الدولية التي ظهرت بقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورة الماضية على دعمها ومساندتها لنضال الشعب الفلسطيني .

— تعزيز موقع منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة والعالم باعتبارها الهيئة الوحيدة التي تنطق باسم فلسطين في المحافل الدولية .

— افتتال محاولات التسوية الأمريكية ومخططاتها في المنطقة ، وهي التي حذرت منها ومن خطورتها اللجنة التنفيذية للمنظمة في بيانها المذكور سابقاً ، وذلك إما باحتمال تشدد إسرائيل في تلك المحاولات بعد وقوع هزيمتها الجديدة في الأمم المتحدة ، أو دفعها لقطع أي مفاوضات تجري بهدف الوصول إلى تلك التسوية .

— تعزيز قدرة دول العالم الثالث في الجمعية العامة للأمم المتحدة على اتخاذ القرارات والتعبير عن إرادتها إزاء قضايا الشعوب المكافحة في وجه السيطرة الامبريالية الأمريكية التي بدأت تخبو من سيماء المنظمة الدولية مع نمو دول العالم الثالث وتطورها وامتلاكها لإرادتها وتحقيق حريتها واستقلالها ، بحيث أصبحت تشكل الثقل الإنساني في المنظمة الدولية والكتلة القادرة على اتخاذ القرار في جهازها الرئيسي .

ومما لا شك فيه أن موضوع طرد إسرائيل من الأمم المتحدة يثير تساؤلات قانونية وسياسية تتصل بالنجاح والفتنل في حالة طرحه على الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وأهم هذه التساؤلات هي التساؤلات القانونية يليها ما يتعلق بمواقف الدول والكتل السياسية داخل الجمعية العامة تجاه هذا الموضوع .

### الجانب القانوني

ينقسم الجانب القانوني في موضوع طرد إسرائيل من الأمم المتحدة إلى قسمين وهما :

أولاً : **المرر والتعليل** الذي يتعلق بإسرائيل نفسها كدولة تخضع لتطبيق قرارات الأمم المتحدة والالتزام بمبادئ ميثاقها والامتناع عن القيام بما من شأنه تهديد السلام والأمن الدوليين للخطر ، وعدم الاعتداء على أراضي الغير واكتسابها بالقوة والحفاظة على حقوق الإنسان . ففي هذا المجال يمكن القول أنه منذ ان وافقت الجمعية العامة للأمم

المتحدة في دورتها الثالثة بتاريخ ١١ أيار ( مايو ) ١٩٤٩ على قبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة بناء على توصية مجلس الامن التي اعربت عن قناعة المجلس آنذاك بأن اسرائيل دولة محبة للسلام وراغبة في الالتزام بميثاق ومبادئ الامم المتحدة وقراراتها، شجكت اسرائيل فضلا عن قيامها عنوة واغتصبا بالارض الفلسطينية العربية ، بؤرة للتوتر والحرب في منطقة الشرق الاوسط بسبب تكوينها ونواياها العدوانية والتوسعية التي ترجمتها حروب متتالية اعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ومسا رافق ذلك من اجراءات مستمره ما زالت تهدف الى تهويد مدينة القدس والاراضي العربية المحتلة التي استولت عليها اثر حرب عام ١٩٦٧ .

وكان العالم ممثلا بمنظمة الامم المتحدة يحاول ايجاد علاج للمشاكل الناتجة عن القضية الاساسية ويتخذ بشأنها قرارات في دورات الجمعية العامة للامم المتحدة . وبالرغم من ان طبيعة تلك القرارات كانت قاصره ومشوّهه لما يجب ان يتوجه العالم الى حله بالوسائل الناجعة ، فان اسرائيل لم تلتزم باي من تلك القرارات على الاطلاق . ومع ادراك العالم كله لحقيقة اسرائيل وممارساتها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني والبلدان العربية بما يتعارض مع مبادئ ميثاق الامم المتحدة ، منتهكة بذلك أبسط الحقوق الانسانية ، مهدده الامن والسلام الدوليين استطاع العالم من خلال الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة ان يجابه واقع اسرائيل العدواني الاغتصابي بقرارات نفذت ولاول مرة الى أعماق المشكلة بعيدا عن الضياع في البحث عن مخارج لمرتباتها وانعكاساتها . نذكر هنا القرار رقم ٢٢٣٦ الذي اعترف بحق الشعب الفلسطيني في فلسطين ، وحقه في عودته الى وطنه وممتلكاته ، وحقه في تقرير مصيره بنفسه دون تدخل خارجي وحقه في الاستقلال والسيادة الوطنيين ، وحقه في استعادة حقوقه بجميع الوسائل طبقا لاهداف ومبادئ ميثاق الامم المتحدة . ودعا جميع الدول والمنظمات الدولية لزيادة مساندتها للشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل استعادة حقوقه طبقا لميثاق الامم المتحدة . وكانت الجمعية العامة ومجلس الامن قد اتخذا قرارات عديدة تتعلق بمدينة القدس وتنص صراحة على مبدأ عدم جواز اكتساب الارض باستخدام القوة تأخذ منها ( الجمعية العامة ارقام «ES-V» ٢٢٥٤ و «ES-V» ) ( ومجلس الامن ارقام ٢٥٠ (١٩٦٨) ، ٢٥١ (١٩٦٨) ، ٢٥٢ (١٩٦٨) ، ٢٦٧ (١٩٦٩) ، ٢٧١ (١٩٦٩) ، ٢٩٨ (١٩٧١) ) . كما كانت الجمعية العامة قد اتخذت على مدار سنوات طويلة قرارات عديدة مشابهة .

ولكن ماذا كانت نتيجة هذه القرارات ، ان العجز التنفيذي الذي عرف عن القوانين الدولية واعتبارها قوانين ادبية فحسب لغياب السلطة الدولية التي تقوم بتنفيذ القوانين والقرارات بالقوة حين تتجاوزها دولة او اكثر قد جعل من اسرائيل لا تنظر الى هذه القرارات بأي درجة من الاهتمام مستخفة بها وبالعالم كله وبالارادة الدولية التي عبرت عنها بكل وضوح تلك القرارات . لقد اكدت اسرائيل بالممارسة المتكررة تنكرها واستهتارها بالمبادئ التي أعلنت التزامها بها من اجل قبولها عضوا في الامم المتحدة ، وبهذا وحده يسقط عن اسرائيل حقها في البقاء ضمن المجموعة الدولية كعضو في الامم المتحدة .

**ثانيا : الاجراءات وتطبيق أحكام ميثاق الامم المتحدة على اسرائيل باعتبارها تمثل الدولة المنتهكة لمبادئ الميثاق والمتنكرة لقرارات الامم المتحدة ، والمكتسبة لاراضي الغير بالقوة ، والمهددة للامن والسلام الدوليين بالخطر .**

يحكم ميثاق الامم المتحدة بجواز اتخاذ الجمعية العامة قرار توقيف اي عضو اتخذ

مجلس الامن قبله عملا من أعمال المنع أو القمع ، عن مباشرة حقوق العضوية ومزاياها ، ويكون ذلك بناء على توصية مجلس الامن ، ولمجلس الامن أن يرد لهذا العضو تلك الحقوق والمزايا ( الفصل الثاني - المادة الخامسة ) . كما ان الميثاق قد اجاز للجمعية العامة أن تفصل أي عضو من أعضائها من الهيئة بناء على توصية من مجلس الامن اذا امعن هذا العضو في انتهاك مبادئ الميثاق ( المادة السادسة ) .

ومن ناحية أخرى أعطى الميثاق الحق للجمعية العامة بأن تصدر قراراتها في المسائل الهامة بأغلبية ثلثي الاعضاء الحاضرين المشتركين في التصويت ، وتشمل هذه المسائل من بين ما تشمله ، قبول أعضاء جدد في الأمم المتحدة ، ووقف الأعضاء عن مباشرة حقوق العضوية والتمتع بمزاياها ، وفصل الأعضاء . ( المادة الثامنة عشرة - الفصل الرابع ) .

وبناء على هذه المواد يدعي البعض ومنهم الولايات المتحدة الأمريكية بأنه ليس للجمعية العامة الحق في اتخاذ قرار يقضي بطرد اسرائيل من الامن المتحدة ، استنادا للمضمون الشكلي للميثاق الذي يربط ضرورة قرار من هذا القبيل بتوصية من مجلس الامن ، وعملا بالاعراف الاجرائية الخاطئة التي سادت العلاقة بين مجلس الامن والجمعية العامة في الفترة الطويلة الماضية .

غير أن الجانب القانوني في الميثاق يمنح الجمعية العامة للامم المتحدة الحق باتخاذ قرار التوقيف عن مباشرة حقوق العضوية ومزاياها ، أو الفصل من الهيئة الدولية استنادا الى الاسس التالية :

١ - ان احكام المادة الخامسة غير ملزمة للجمعية العامة الا في حالة واحدة فقط وهي الحالة التي يكون فيها مجلس الامن قد اتخذ ازاء الدولة المعنية عملا من أعمال المنع أو القمع كما هو منصوص عليه في الفصل السابع من الميثاق . أما فيما يتعلق بالحالات الأخرى فمتصل بأحكام المادة الثامنة عشرة التي اجازت للجمعية العامة اتخاذ قرارات التوقيف أو الفصل من الهيئة الدولية بحق أي عضو من أعضائها على أن يتمتع هذا القرار بثلثي أصوات الاعضاء الحاضرين ، وتدخل في هذا النطاق الحالات التي يصمت فيها مجلس الامن أمام مخالفة دولة ما لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة وامعانها بذلك ، وتكررها لقراراتها وتعريض السلام والامن الدوليين للخطر .

٢ - ان المضمون القانوني للمادة السادسة يقضي بأن تتخذ الجمعية العامة قرار الفصل من الهيئة الدولية بناء على توصية مجلس الامن بحق أي عضو يمعن في انتهاك مبادئ الميثاق ، وهذا يعني ان يكون مجلس الامن قد قرر رفع توصية بذلك الى الجمعية العامة ، وهذه حالة محددة أيضا . إذ أن هذا النص الذي ورد في المادة السادسة لم يمنع الجمعية العامة من اتخاذ مثل ذلك القرار منعاً مطلقاً ، وإنما حدد لها حالة واحدة لتتصرف بشأنها وترك لها حرية التصرف ازاء باقي الحالات .

٣ - ان احكام المادتين الخامسة والسادسة من الميثاق تلزم الجمعية العامة بحالات محددة يكون مجلس الامن قد قرر بشأنها رفع التوصيات الى الجمعية العامة ، ولم تتضمن هاتان المادتان ، أي نص أو إشارة تمنع الجمعية العامة من اتخاذ قرار التوقيف أو الفصل من الهيئة اذا ما عزف مجلس الامن عن بحث أو اتخاذ توصية بهذا الشأن .

٤ - لم يتضمن ميثاق الامم المتحدة خارج اطار المادتين الخامسة والسادسة اية مادة أو نص يمنع الجمعية العامة للامم المتحدة من اتخاذ قرارات مشابهة بهذا الشأن على غير ما جرت عليه العادة الاجرائية الخاطئة برفع التوصيات الى مجلس الامن .

هـ - لم يحدد ميثاق الأمم المتحدة أية جهة أخرى غير الجمعية العامة لاتخاذ مثل هذه القرارات ، وان كان قد حاول تقييد الجمعية العامة بأحكام المادة الثانية عشرة ، بحيث منعها حتى في مجال البحث بشأن أي موقف أو نزاع في حالة مباشرة مجلس الأمن ببحث هذا الموقف أو ذلك النزاع . وهو في هذه المادة اعطى مجلس الأمن الحرية في وضع حد لأي بحث لا يرغب في أن تقوم به الجمعية العامة ، بحيث إذا ما شعر مجلس الأمن أن الاتجاه داخل الجمعية العامة يرمي إلى بحث قضية من شأنها استصدار قرار أو توصية تعتبر مدعاة لأحراجها ، بادر على الفور للانعتاد لبحث نفس القضية الأمر الذي يجعل الجمعية العامة تتوقف عن البحث فيها ، وهو بالتالي يملك إبداء الصيغة التي يريد أن يخرج بها بشأن هذه القضية بعد أن يفوت الفرصة على بحثها داخل الجمعية العامة .

ولكن كل هذه المحاذير لا تنفي غياب ما يمنع الجمعية العامة للأمم المتحدة من أن تتخذ قرارها بطرد إسرائيل من الأمم المتحدة .

٦ - ان أسوأ الاحتمالات ان تتخذ الجمعية العامة قرارها بطرد إسرائيل من الأمم المتحدة ، فيتداعى مجلس الأمن للانعتاد ويرفض ذلك القرار كما حدث في الدورة التاسعة والعشرين بالنسبة لجنوب أفريقيا ، وفي هذه الحالة تستطيع الجمعية العامة ان تتمسك بحقها وتدافع عن قرارها القانوني اعتمادا على ما صمت عنه الميثاق وجاز لها الاجتهاد فيه . وهذا اجراء ينطوي على معاني سياسية هامة بالنسبة للرأي العام العالمي من ناحية ، ويعمق النزاع القانوني بين الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أصبحت تعبر عن الإرادة الدولية ، وبين مجلس الأمن الذي يهيمن على المنظمة الدولية بحكم بعض أحكام الميثاق ، وتفسر غياب النصوص لتعزيز طغيان المجلس على الجمعية العامة . ولعل ذلك يدفع باتجاه الاهتمام بشكل فعال نحو إعادة النظر في بعض أحكام الميثاق الإجرائية التي تحول دون نقل الإرادة الدولية إلى موقع التنفيذ ، ولا سيما ان الجمعية العامة قد شكلت لجنة لإعادة النظر بميثاق الأمم المتحدة في الدورة الماضية . وإذا كان الأمر كذلك فان قضية فلسطين تصبح من العوامل الهامة في دعم اتجاه تغليب الإرادة الدولية على النصوص والأحكام التي وضعت في الماضي لتتطابق مع هذه الإرادة، ولكنها أصبحت مع مرور الزمن ، وتحرر الدول والشعوب ، ومشاركتها بإرادتها الحرة في المحافل الدولية ، نقول أصبحت متخلفة عن هذه الإرادة ومتعارضة معها ، الأمر الذي يحمل على إلغاء هذه النصوص والأحكام أو تعديلها بحيث تتطابق مع هذه الإرادة في الوقت الحاضر .

أما التساؤلات السياسية فنندور في الغالب حول مواقف الدول ولا سيما الدول العربية ازاء هذا الموضوع . انه لمن الثابت ان مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط قد قرر في مجال المنظمات والمحافل الدولية :

أ - الاستفادة من الأمم المتحدة ومؤسساتها لكشف إسرائيل واستصدار المزيد من القرارات بشأن قضيتي فلسطين والشرق الأوسط التي من شأنها عزل إسرائيل سياسيا واعلاميا لدى الرأي العام العالمي ومحاولة الحصول على اجراءات أكثر فاعلية لكشف مناورات إسرائيل ورفضها تنفيذ قرارات المنظمات الدولية وابرار ذلك أمام الرأي العام العالمي وتحميلها مسؤولية اعاققة الجهود باتجاه اقامة السلام العادل .

ب - تعزيز التعاون مع مجموعة عدم الانحياز ، والعمل على تنفيذ قرارات مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز ، وطرح موضوع تطبيق عقوبات الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة على إسرائيل ، والمطالبة بطردها من الأمم المتحدة ، وذلك في مؤتمر

وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذي سيعقد في صيف عام ١٩٧٥ ، تمهيدا لطرح الموضوع أمام الدورة الثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة . وبهذا أصبح العمل على طرد اسرائيل من الامم المتحدة التزام عربي اجماعي .

ولقد أثار هذا التوجه لدى منظمة التحرير الفلسطينية والعمل على انجاحه موجة من الغضب لدى الدوائر الامريكية والصهيونية ، فهددت امريكا على لسان الرئيس فورد بأنها ستقاوم موضوع طرد اسرائيل بكل شدة ، وعلان مندوبها لدى الامم المتحدة بأن بلاده سوف تحجب التزاماتها نحو الامم المتحدة اذا ما تقدم العرب بمثل هذا المشروع ، بل ان بعثة الولايات المتحدة الامريكية سوف تطلب من حكومتها الانسحاب من المنظمة الدولية اذا ما تقدم اقتراح كهذا الى الجمعية العامة في الدورة المقبلة . كما أعلنت بعض الصحف الاسرائيلية بتاريخ ٢٥/٦/٧٥ أن على اسرائيل في حالة العمل على طردها من الامم المتحدة ، ان توقف جميع المفاوضات التي تجري مع جيرانها بشأن التسوية . ومن المعروف ان الولايات المتحدة الامريكية تدرك تماما ما يجب ان تفعله منظمة التحرير الفلسطينية استكمالاً للمعركة التي بدأتها في اطار الامم المتحدة في الدورة الماضية ، ولقد جاء تصريح الرئيس فورد الى مجلة الاكسبريس في شهر يونيو الماضي عبارة عن انعكاس لشعور ساسة الولايات المتحدة الامريكية ليس بعزم المنظمة على طرح هذا الموضوع على الجمعية العامة للامم المتحدة في الدورة المقبلة فقط ، ولكن لشعورهم أيضا بإمكانية نجاحه . غير ان موقف الولايات المتحدة الامريكية هذا ومعها معظم دول أوروبا الغربية ، هو موقف طبيعي ومنسجم مع سياساتها المتكاملة مع مصالح الصهيونية واسرائيل ، وقد سبق ان أعلنته بمعارضتها لقرارات الامم المتحدة في دورتها الماضية/لكن تلك المعارضة لم تتمكن من تغيير القدرة على اصدار تلك القرارات التاريخية بالنسبة لقضية فلسطين .

ان طرح موضوع طرد اسرائيل من الامم المتحدة في المؤتمرات الدولية القادمة وهي مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، المنعقد في جدة بتاريخ ١٢/٧/٧٥ ، ومؤتمر القمة الافريقي المنعقد في كمبالا بتاريخ ٢٨/٧/٧٥ ، ومؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المزمع عقده بتاريخ ٢٥/٨/٧٥ في ليبيا عاصمة البيرو ، تمهيدا لطرحه على الدورة المقبلة للجمعية العامة للامم المتحدة التي تبدأ أعمالها بتاريخ ١٦/٩/٧٥ يعتبر استكمالاً طبيعياً للسياسة الفلسطينية التي بدأت بصدور قرارات الامم المتحدة في الدورة الماضية ، والاستنكاف عنه ينطوي على خطورة امسك زمام المبادرة من قبل الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل ومعهم باقي الدول الاستعمارية للالتفاف حول القرارات السابقة واجهاضها .

لم يعد العالم بحاجة الى التأكيد على ان اسرائيل كيان عدواني بطبيعته ، توسعي بأهدافه ، عنصرى بتكوينه ، وبالتالي يشكل امتداداً للقوى الامبريالية الاستعمارية العالمية في المنطقة العربية ، ولم يعد العالم بحاجة للتأكيد على ان اسرائيل لم تقم اي وزن او احترام لمبادئ وميثاق الامم المتحدة وحقوق الانسان وقرارات المنظمة الدولية ، ولم يعد العالم بحاجة الى المزيد من تلك القرارات النظرية التي تطلب من اسرائيل الالتزام بتنفيذ قراراته طواعية ، فسيعة وعشرون عاما من هذا النهج السياسي بنتائجها السلبية لكفيلة بحمل العالم على اتخاذ الاجراءات العملية ، لتأكيد احترام الإرادة الدولية والمحافظة على مبادئ وميثاق الامم المتحدة ولا سيما تلك التي تكفل حق تقرير المصير للشعوب المكافحة وحقها في الحرية والاستقلال والسيادة بأوطانها .

## إعادة تقييم أم مبادرة أميركية جديدة ؟!

الدكتور سامي منصور

(( إعادة تقييم السياسة الأميركية في الشرق الاوسط )) شعار طرحته الحكومة الأميركية في الساحة العربية منذ مارس الماضي . وقد تحقق الهدف من مجرد طرح الشعار . فأصبح المصير العربي — ! — معلقا منتظرا لكلمة الرئيس الأميركي فورد . وأصبح مقبولاً أن الحكومة الأميركية — دعامة إسرائيل الأساسية — هي صاحبة الحل والربط في أخطر قضايا الأمة العربية ، وأكثرها حيوية .

فبعد فشل كيسنجر — وزير الخارجية الأميركية — بعد جولته الطويلة بين عواصم عربية وإسرائيل في الوصول الى ما كانت تمني الولايات المتحدة تحقيقه لإسرائيل ، أعلنت واشنطن شعار إعادة تقييم سياستها في الشرق الاوسط . والايحاء الخاطيء الذي أرادت أن تعطيه الولايات المتحدة بهذا الشعار هو أن هناك احتمالاً أن تتغير السياسة الأميركية عما كانت عليه قبل فشل كيسنجر . فالمفروض ان إعادة التقييم تعني انها تعيد النظر بدراسة موضوعية في ضوء المصالح الأميركية من هذه السياسة ، وتقضي على السلبيات الأساسية فيها التي كانت السبب في فشل هذه السياسة، وتدعم الايجابيات التي تفتح الباب لامكانية التخلص من آثار الفشل للانطلاق الى النجاح ، وبالتالي فهو عملية تمس جوهر السياسة بل واستراتيجيتها .

**والامر الذي لا شك فيه ، ولا تحاول أي حكومة اميركية ان تخفيه هو ان الدعامة الأساسية للسياسة الأميركية في الشرق الاوسط هي الانحياز الكامل والشامل لإسرائيل .**

وفي ضوء هذه الاستراتيجية جاء كيسنجر الى الشرق الاوسط وأخذ يتنقل بين العواصم فيما لم يسبق حدوثه في الدبلوماسية الدولية املا في أن يصل الى نوع من الاتفاق يحقق سلاماً مؤقتاً بشروط أميركية يضمن به احتواء ما حققته الجماهير العربية من انتصارات عسكرية على إسرائيل في حرب أكتوبر ، وامتصاص استعادة هذه الجماهير للثمة بالنفس بما قد يفتح الباب من جديد لتيار النضال الثوري للانسياب عبر رقعة العالم العربي . وفي النهاية يحقق لإسرائيل ما لم تستطع ان تحققه بحروب أربع وبهزيمة سنة ١٩٦٧ بالذات . والغريب انه ما كاد ان يحققه كيسنجر يقل كثيراً عما كانت سوف تحققه إسرائيل بهزيمة العرب سنة ١٩٦٧ . وكأن العرب مع كيسنجر اضحوا يقبلون بانتصارات حرب أكتوبر ما رفضوه في ظل هزيمة ١٩٦٧ !!

وفشلت مهمة كيسنجر ، وخرجت اجهزة الاعلام الأميركية وانسأقت خلفها اجهزة الاعلام العربية تتحدث عن العناد الإسرائيلي وضعف رئيس الوزراء اسحاق رابين وما الى ذلك من أسباب تدخل جميعها تحت دعوى ان إسرائيل كانت السبب في فشل مهمة كيسنجر . وحتى مع التسليم بأن ذلك صحيح فانه ما كان مفروضاً ان يكون مدعاة فخر اعلامي عربي كما حدث طوال الاشهر الماضية ، بل على العكس هي شهادة مثيثة للعرب او على الاقل ليست في صالح الذين يتحدثون باسم التيار الوطني العربي .

فالمسألة ليست سابقا حول حمل لقب « دعاة سلام » ولكنها صراع على الارض ، نضال من أجل تحرير الارض . والتاريخ لم يشهد تحريرا تحقق بدعوة سلام . وتاريخ الصهيونية - ومن خلاله اسرائيل - يشهد ان السلام لا يعني في قاموسهم الا الاستسلام للاهداف الصهيونية .

والسلام في حد ذاته ليس هدفا . والمجتمع الدولي بطبيعته لا ينحني أمام ارادة دعاة السلام ولكنه يحترم الاقوياء . وتكفي نظرة على سنوات الهزيمة منذ سنة ١٩٦٧ وحتى حرب أكتوبر لتوضح ان حديثنا عن السلام كان يثير عطف المجتمع الدولي ولكننا لم نستطع ان نكسب احترامه الا بعد حرب أكتوبر . فالسلام في المجتمع الدولي هو التعبير المادي عما تستطيع ارادة مدعومة بالقوة ان تفرضه . والقوة هنا بمعناها الشامل وليس بالمعنى المحصور في القدرة العسكرية . والمعنى الشامل يشمل ان يكون الهدف مشروعاً ويتفق فيه الحق والعدل . وهذا ما يضيف قوة الى ارادة العمل الوطني .

وبالتالي فان الانسياق وراء اعلام اميركي يلح في ان اسرائيل كانت السبب في فشل مهمة كيسنجر هو سقوط خاطيء فريسة الاعلام الاميركي . فقد يكون ذلك مهما للاعلام والرأي العام الاميركي . ولكنه ، وبالتأكيد ، ليس بنفس القدر من الاهمية لغره . وبالتأكيد فلا قيمة له للانسان العربي الذي يعلم بما لا يقبل التشكيك ان عدوه الاول هو الاستعمار ممثلا في اسرائيل ودعاتها الرئيسية اولايات المتحدة . وهو يعلم ان اسرائيل لا تسعى لسلام وانما لاحتلال الارض العربية وان كيسنجر ممثل الدعم الاميركي لاسرائيل لن يحقق سلاما بشروط عربية ولكنه سلام بشروط اميركية . وبالتالي فطبيعي ان ترفض اسرائيل ما لا يحقق لها مطامعها في الوطن العربي ، بل ان الحركة الوطنية العربية قد أخذت في بعض الاحيان مواقف سلبية أحد أسبابها فناعة ان اسرائيل سوف ترفض ما تعرضه الانظمة العربية .

**والخطأ انه في اطار عام من تداعي الاحداث يصبح طرح شعار اعادة تقييم السياسة الاميركية في الشرق الاوسط هو احياء للجماهير العربية باحتمال ان تعيد الحكومة الاميركية النظر في موقفها من اسرائيل . وبالتالي فسوف تنتظر عملية اعادة التقييم وهي تتوقع ان يتغير الموقف الاميركي من اسرائيل .**

ولعل ذلك يقودنا الى سؤال يفرضه سير الاحداث وهو حول مدى امكانية ان تعيد الولايات المتحدة حقيقة تقييم سياستها في الشرق الاوسط ، وبالتحديد موقفها من اسرائيل ؟

فالاصل كما قلت في الموقف الاميركي هو الانحياز الكامل لاسرائيل والعمل على اخضاع العرب لهذه المخططات . والحكومات الاميركية على مدى السنين وعلى اختلاف الاسماء والاحزاب لم تغير من هذا الخط الاستراتيجي في سياستها وانما كان الخلاف كله تاصرا على التكتيك .

والمواقع ان نظرة سريعة على خريطة الاحداث تؤكد ان هذه الامكانية في التغيير الجوهرية تكاد تكون معدومة ان لم تكن معدومة بالفعل . ودليل ذلك:

١ - ان انتخابات الرئاسة الاميركية على الابواب حيث تجري في العام القادم ، وقد بدأت بالفعل بوادرها . والرئيس الاميركي فورد حريص على ان يخوضها وينجح . وحتى يتحقق له ذلك فهو لا بد ان يقطع خطوات ايجابية على طريق ارضاء مراكز الضغط والتأثير في الانتخابات . وموقف فورد صعب بسبب انه يفتقر الى تاريخ حقيقي من العمل السياسي ، مما يجعله ورقة غير مضمونة لحزبه في الانتخابات حتى رغم انه في

الحكم وعادة ما ينجح في الولايات المتحدة مرشح الرئاسة الجالس في البيت الابيض . ويكفي أن نعرف أن أول اجتماع انتخابي للحزب الجمهوري لم يوقع على قرار تأييد فورد للترشيح في انتخابات الرئاسة سوى ١٦ عضواً من ٤٨ عضواً جمهورياً في مجلس الشيوخ أي ثلث أصوات الجمهوريين في مجلس الشيوخ . وليس معنى ذلك أنه سوف يخرج من المعركة بل هو مؤشر على أن طريقه للوصول طويل وصعب . ولكي يكسبه لا بد أن يقدم أكثر من دليل على خضوعه للخطوط الأساسية للسياسة الأمريكية ، وبالتالي لا يمكن التحدي أو التصدي بالتغيير والتعديل فيها .

ومجال الحركة أمامه محدد الدائرة . فهو يستطيع أن يقوم مثلاً بمغامرة عسكرية مفاجئة مثلاً فعل لفة أسر السفينة الأمريكية التي احتجزتها كميوديا الثورة . فهو بذلك يسير على طريق مصالح العسكرية الأمريكية المتحالفة مع أصحاب الاموال ، ولكنه لا يستطيع أن يقطع خطوة واحدة في طريق مضاد لمخططات إسرائيل .

٢ — ان الكونجرس بمجلسيه مع إسرائيل . وتكفي رسالة شيوخ اميركا الى الرئيس فورد قبل سفره الى النمسا التي يطالبون فيها باستمرار الدعم الحربي والاقتصادي لاسرائيل لتوضيح مدى حجم التأييد الاسرائيلي . فقد وقع الرسالة ٧٦ عضواً من ١٠٠ عضو بمجلس الشيوخ اي ثلاثة ارباع المجلس . وتاريخ الكونجرس على طريق تأييد اسرائيل طويل ولا أظن أنه يحتاج الى مراجعة . والرئيس الاميركي فورد او أي رئيس اميركي لا يستطيع ان يعمل منفرداً ، فهو ليس صاحب القرار الاخر مثلاً يحدث في معظم دول العالم النامي ، بل هو يصدر قراره في ضوء ما تتفق عليه المؤسسات الأمريكية سواء كانت تشريعية او تنظيمات سياسية او جماعات اقتصادية وعسكرية .

وبذلك يصبح اتخاذ موقف من الرئيس الاميركي مستقل عن هذه المؤسسات أمراً غير محتتمل ولا حتى مطروحا في الظروف العادية ويزداد الامر تعقيداً في حالة اقتراب انتخابات الرئاسة الأمريكية حيث يزداد حجم هذه المؤسسات وثقلها .

٣ — ان المصالح الأمريكية في الشرق الاوسط ليست في خطر ، ولا هي في مواجهة احتمالات خطر قريب . صحيح ان حرب اكتوبر قد هزمت نظرية الامن الاسرائيلي ، وان احداث ما بعد الحرب قد طرحت فكرة امكان تنفيذ الاهداف الأمريكية من خلال عواصم بديلة . ومع انها فكرة مقبولة الا انها لا يمكن ان تكون بديلة لدور اسرائيل . فأى دور ممكن لعاصمة أخرى يمكن أن يكون دور مساعد ولكنه ليس الأساس والجوهر . وخاصة وان هناك قناعة اميركية واسرائيلية وان ما حدث في حرب اكتوبر يجب الا يتكرر وانه وقع نتيجة خطأ القياس لاجهزة المخابرات والقياس الأمريكية ، وهو ما لن يتكرر في اعتقادهم !..

حتى مسألة البترول لم يعد ممكناً استمرار ترديد ان الحظر كان ضسد المصالح الأمريكية . فقد تحول الى سلاح لضرب الموقف الأوروبي المستقل وحقق كل اهدافه بينما الشركات الأمريكية شاركت في الكسب والارباح . وبالتالي كان حظر البترول سلاحاً مساعداً في تحقيق الاستراتيجية الأمريكية في السيطرة على العالم . **ولعل مراجعة احداث الأشهر التي مضت منذ حرب اكتوبر حتى الآن تؤكد ان المصالح الأمريكية تزداد اتساعاً في المنطقة وتحصل على مزيد من الامان في المنطقة .**

٤ — ان الاتحاد السوفييتي باعتباره أحد العملاقين في المجتمع الدولي والذي كان دعماً للمعركة العربية ضد اسرائيل ومعها الولايات المتحدة مضروب الآن في المنطقة العربية . فالمسألة ليست مجرد حملة اعلام شرسة ضد الاتحاد السوفييتي ، لان حملات

الإعلام يتغير بين لحظة وأخرى من نقض إلى آخر ولكن الأمر الجوهرى أن الوجود السوفييتى فى المنطقة يتعرض لوجة جزر قوية . وليس موضوعنا البحث وراء المسؤول عن ذلك ولكن المهم فى الحديث عن السياسة الأمريكية هو تحديد الأمر القائم بالفعل .

فهناك موافق كثيرة فى العالم العربى ضرب فيها الاتحاد السوفييتى والخطر أن الولايات المتحدة قد حلت مكانه . ولو كان خروج الاتحاد السوفييتى تحت زاية «التخلص من نفوذ أى دولة عملاقة» لكان الأمر يقبل المناقشة أما أن يصبح ذلك لصالح الولايات المتحدة فهو بالتالى أمر يختلف تماما . والولايات المتحدة تحضب حساب الوجود السوفييتى فى كل موقع بالعالم وترسم خططها لمهازته . ولو كان الوجود السوفييتى فى العالم العربى بعد حرب أكتوبر متعاطفا لكان من الجائز القول أن الولايات المتحدة تعيد النظر فى سياستها أما وهى المنتصرة والمد معها فليس لاعادة النظر سبب مطروح .

هـ — ويضاف للعوامل الأربعة أن الحكومات العربية الصديقة للولايات المتحدة قد أصبحت بعد حرب أكتوبر — على عكس المفروض — أقوى صوتا وأكثر تأثيرا ونفوذا فى المنطقة . وإذا كانت الولايات المتحدة خلال السنوات العشرين الماضية تعمل بلا أمل ملموس على أن يكون للحكومات الصديقة لها صوت فى المنطقة ، فإن الظلم قد أصبح اليوم حقيقة . وما كان مفروضا بالأمس قد أصبح واقعا اليوم .

وهكذا تجتمع العوامل متماسكة على أن احتمال تعديل جوهرى فى السياسة الأمريكية أمر غير محتمل الوقوع ، ولا ممكن الحدوث لسنوات قادمة على الأقل .

اذن ما هى حكاية إعادة التقييم للسياسة الأمريكية إذا كانت إمكانية إعادة التقييم غير متوفرة ؟

لقد أعلن الرئيس الأمريكى فورد فى أكثر من مناسبة أن الاختيارات الثلاثة المطروحة أمامه فى عملية إعادة التقييم هى :

— أن يستأنف هنزى كيسنجر جهوده التى توقفت فى مارس الماضى .

— أن يتقدم الرئيس الأمريكى نفسه بعدد من التوصيات حول الإزمة خلال مؤتمر جنيف المحتمل عقده .

— العودة إلى سياسة « الخطوة خطوة » لتحقيق خطوة أكثر تقدما مع مصر وإسرائيل تحت مظلة مؤتمر جنيف .

وهكذا يكشف فورد نفسه أن المسألة ليست إعادة تقييم السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ولكنها إعادة صياغة اقتراحات أسلوب العمل الأمريكى فى ضوء ما انتهت إليه حرب أكتوبر . وأعتقد أن الفارق الهائل بين الطريقتين واضح لا يحتاج إلى دليل وتأكيد .

فلو كانت الولايات المتحدة تريد فعلا إعادة التقييم لكانت الاقتراحات المطروحة أمام الرئيس الأمريكى تختلف تماما عن هذه الوسائل وتصل إلى المبادئ . وهى فى قضيتنا واحد من ثلاثة :

— اتخاذ موقف الحياد بين العرب وإسرائيل .

— تخفيف الانحياز الأمريكى لإسرائيل والاقتراب نوعا من الموقف العربى .

— الانحياز للعرب والتخلي عن الدعم لإسرائيل .

والوقائع وحدها للسياسة الأمريكية هى التى تحدد مدى التغير فى السياسة الأمريكية واتجاه هذا التغير منذ حرب أكتوبر حتى الآن .

فقد أعلن مكتب المحاسبة الاميركي العام - في آخر يونيو - تقريراً رسمياً يسجل ان قوات النقل الجوي الاميركي قد نقلت خلال حرب اكتوبر ولمدة شهر بعدها ٢٢٠ ألف طن من العتاد الحربي على ٢٢٨ رحلة بمعدل رحلة كل ٣ ساعات . وان تكاليف عملية النقل وحدها قد بلغت ٨٨ مليون دولار .

وقد يقول قائل ان هذا الدعم كان ضروريا ولكن كيسنجر جاء بعد ذلك وتغير الموقف . ومرة أخرى نعود الى الوقائع . فنجد انه خلال سنة ١٩٧٤ أي العام التالي للحرب حصلت اسرائيل على أسلحة تصل قيمتها الى ٣٠٠ ألف مليون دولار . وقيل ان ذلك لاقتناعها بقبول الانسحاب - ! - الذي لم يتحقق بل وكان السلاح لدعم الاحتلال للاراضي العربية .

الاكثر من هذا في يناير من العام الحالي اخطرت وزارة الدفاع الاميركية الكونجرس رسمياً انها قررت بيع ٢٠٠ صاروخ « لانس » لاسرائيل وهو الصاروخ الذي يحمل رؤوساً ذرية ويمكن استخدامه بدونها . ومدى الصاروخ ٧٠ ميلاً .

في فبراير الماضي طلب الرئيس فورد من الكونجرس اعتماداً اضالياً لمساعدة اسرائيل قيمته ٢٤٧ مليون دولار ، بينما كانت لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الاميركي في اسرائيل تبحث احتياجاتها العسكرية على الواقع . وفي ابريل تم توقيع اتفاق يقضي بمنح اسرائيل قرضاً قيمته ١٧٤ مليون دولار لشراء بضائع اميركية . وبذلك ترتفع قيمة القروض الاميركية لاسرائيل خلال السنة المالية التي تنتهي في يونيو ١٩٧٥ الى ٣٢٤ مليون دولار . كما أعلنت الاجهزة الاميركية ان طلبات اسرائيل المقترحة للسنة المالية التي تبدأ في يوليو ١٩٧٥ تبلغ ٢٢٠ مليون دولار أي ثلاثة اضعاف ما حصلت عليه اسرائيل من قبل ، ومنها ١٥٠ مليون دولار للسلاح .

فإذا أضيف ذلك كله الى ما كشف في ابريل الماضي من ان السلاح الجوي الاميركي طلب قرضاً قيمته ٥٢٥ مليون دولار لتمويل تجارب خاصة بتحويل بعض انواع الطائرات المدنية الضخمة مثل البوينج ٧٤٧ الى « خزانات للوقود » طائرة . والسبب كما قيل هو قرار البرتغال بعدم استخدام قاعدة « لاجيس » الاميركية في جزر آزور اذا وقعت حرب جديدة بين العرب واسرائيل .

وكان تقرير المحاسبة العام الاميركي قد اشار الى أن بريطانيا واسبانيا وإيطاليا واليونان وتركيا قد رفضت السماح باستخدام القواعد الاميركية في أراضيها لمد اسرائيل بالاسلحة . **وان على الحكومة الاميركية أن تستعد لمواجهة الحرب الخامسة بين العرب واسرائيل .**

وفي اطار الاستعداد للحرب الخامسة قامت الولايات المتحدة بالدور الاساسي في انقلاب قبرص وتقسيم الجزيرة وهي تحاول اليوم تحويلها الى قاعدة اميركية هي بلا شك أنسب القواعد للعمل الاميركي لدعم اسرائيل ضد العرب .

فان أضفنا أيضاً الى ذلك قرار الكونجرس الاميركي في مايو ١٩٧٥ بمطالبة رومانيا بالسماح بهجرة اليهود منها الى اسرائيل شرطاً للحصول على معاهدة « الدولة الاولى بالرعاية » في المعاملات الاقتصادية ، وهو ما كان شرطاً قتل ذلك على الاتحاد السوفيتي لظهر ان الحكومة الاميركية تحاول الحصول على دعم بشري لاسرائيل . واذا كان يهود اميركا يكتفون بالتمويل والتسليح فهم يستخدمون اجهزة الحكم الاميركي لتهجير اليهود من دول العالم الى اسرائيل مقابل الحصول على اتفاقيات تجارية مع الحكومة الاميركية !

وبهذا تكون الحكومة الاميركية قد زادت من مجالات الدعم الاميركي لاسرائيل .  
والزيادة بسبب الاستعداد لحرب خامسة وامتصاص آثار الحرب الرابعة التي لم تكن  
في صالح اسرائيل .

فالحكومة الاميركية تقدم الدعم المالي والاقتصادي بلا حساب وتقدم السلاح بكميات  
هائلة وصلت الى حد اعتراف وزير الدفاع الاسرائيلي ان كميات السلاح الاميركي كانت  
اكبر من امكانيات الجيش الاسرائيلي البشرية اذ لم يكن هناك عدد يكفي لهذه الاسلحة .  
ويضاف لذلك دعم بشري بالضغط على دول أوروبا الشرقية لتهجير مزيد من اليهود الى  
اسرائيل .

وهكذا يتضح بجلاء الموقف الذي اختارته الحكومة الاميركية وهي تعلن اعادة  
التقييم لسياستها . وهذا ما يؤكد استمرارها على طريق الانحياز الكامل لاسرائيل .  
وفي نفس الوقت تغيير الاسلوب لتحقيق ما تريده اسرائيل ولم تستطع الحصول عليه  
بحروب أربع .

ويصبح الشعار المطروح مجرد مبادرة اميركية جديدة في ضوء الاتصالات التي تمت  
بين الحكومة الاميركية والعرب واسرائيل تنتهي باقتراحات حلول جزئية على حساب  
الهدف العام .

وطالما ان الامر بمثل هذا الوضوح يبقى السؤال المعلق هو حول الاسباب التي دفعت  
بالحكومة الاميركية الى طرح شعار اعادة تقييم سياستها في الشرق الاوسط .  
وفي اعتقادي انه ليس هناك من سبب غير :

١ - ان الحكومة الاميركية تريد كسب الوقت وتهدئة الموقف منعا من اي تصاعد في  
التوتر . فهي ان لم تكن قد طرحت هذا الشعار لكان ضروريا الاتجاه الى جنيف لينكشف  
الدور الاميركي مرة اخرى امام الجماهير العربية ويصبح الطريق مفتوحا امام احتمال  
واحد ، وهو لا بد ان يصل اليه ، وهو الحرب الخامسة .

٢ - ان الولايات المتحدة لا تريد ان تفقد الدور الاميركي في المنطقة الذي كسبته تحت  
شعار انها وحدها صاحبة القدرة على الحل . فمؤكد انها لو فقدت هذا الدور فانها  
تفتح الباب من جديد لتواجد الدور السوفييتي . وهو ما لا تريده واشنطن .

والواقع ان صاحب القدرة على الحل هو ليس الحكومة الاميركية ،  
ولكنه لا يخرج عن دائرة قدرة العرب الحربية على استعادة حقوقهم وارضيتهم .  
والحكومة الاميركية ليست قادرة مساعدة على الحل ولكنها قوة مضافة لدعم احتلال  
الارض . وهو الحل الاميركي وليس الحل العربي !

والحكومة الاميركية لا تريد الحل الشامل ، فليس ذلك هدفها ولكنها تريد تخفيف  
التوتر في المنطقة أي أن تستطيع من خلال الهدنة تحقيق ما لم يتحقق من خلال الحرب !

ويبقى بعد ذلك ان نرى ابعاد الاستراتيجية الاميركية في المنطقة العربية والتي لم  
تتغير حتى بعد هزيمة العسكرية الاميركية في فيتنام وكمبوديا بل انها تحاول دعم هذه  
الاستراتيجية في ضوء هزيمتها في فيتنام وكمبوديا . وابعاد هذه الاستراتيجية :

١ - ضرب الثورة العربية او على الاقل في المدى القريب استيعاب الثورة وتفريغها  
من مضمونها وبعد ذلك ضربها . والذي جرى في لبنان هو جزء من هذا المخطط ، وحلقة  
اساسية فيه .

٢ - محاصرة الوجود السوفييتي والعمل على تصفيته في المنطقة . فان تعذرت التصفية فعلى الأقل فرض حركة تقلص على اكبر ما يمكن ان يكون الانحسار والتقلص . وقطع شرايين الاتصال بين العرب والاتحاد السوفييتي .

٣ - ضمان الحصول على البترول العربي وتوسيع وحماية الاستثمارات الاميركية في الشرق الاوسط .

٤ - دعم الحكومات الصديقة للولايات المتحدة ومحاولة جذب حكومات اخرى الى دائرة الصداقة الاميركية بأي وسيلة سواء كانت بالاغراء او الغواية او الضغط او التغيير .

واذا كانت حرب فيتنام قد فرضت على الولايات المتحدة اعادة النظر في امكان ان تخوض بقواتها حربا محدودة اخرى فانها لم تستبعد هذا . والتغير هو في توفير كل الظروف لتحقيق الهدف المنشود حتى لا تتكرر الهزيمة .

واخطر ما تطرحه الحكومة الاميركية في ضوء هزيمتها في حرب كمبوديا وفيتنام هو التصعيد في تكنولوجيا السلاح بدلا من التصعيد في عدد القوات الاميركية التي تخوض المعركة . . اي معركة .

والولايات المتحدة ومكروها يحاولون استيعاب الهزيمة في فيتنام وتبريرها مثل أي مهزوم . وقد خرج هؤلاء برفض المقارنة بين الشرق الاوسط وفيتنام تحت دعوى بأن اسرائيل ليست مثل الحكومات الاميركية التي سقطت في فيتنام وكمبوديا وان العرب ليسوا مثل ثوار فيتنام وكمبوديا .

وننتهي من ذلك الى ان الاستراتيجية الاميركية ما زالت تعتد على اسرائيل باعتبارها القوة الضاربة لتحقيق اهداف الاستراتيجية الاميركية في المنطقة . وان هزيمة اسرائيل في حرب اكتوبر لم تقنعها بالاستغناء عن اسرائيل بل عكس العكس ازداد اعتمادها عليها . والجديد هو استخدام عواصم اخرى في المنطقة كعوامل مساعدة تهييء الظروف لاسرائيل لتمضي خطوات نحو جولة خامسة مع العرب بأمل اميركي ان تستطيع اسرائيل هذه المرة تحقيق هزيمة جديدة للعرب تلغي ما تحقق في اكتوبر وتحقق ما لم يتحقق في الحروب السابقة .

وتبقى في الموقف صفحة التاريخ في الحرب العالمية الثانية حين تصورت بريطانيا ان الحرب بعيدة عنها وباركت السلام المؤقت بتنازلات جغرافية . فاذا بتشميرلن برفضه ان يحارب من أجل دانزنج ١٩٣٨ فاذا به يموت من أجل بريطانيا المحاصرة المرتبكة والمعزولة سنة ١٩٤٠ .

## كيسنجر أو دبلوماسية « كسب الوقت » بين فييتنام والشرق الاوسط

عبد العال الباقوري

« الحقيقة تنتقل من انسان الى آخر »

مثل فييتنامي

« نحن اقوياء ، لدرجة ان هانوي لا تستطيع ان تقهرنا »

هنري كيسنجر : « سياسة أمريكا الخارجية » ص ١٢٩

« ان الامريكيين يتصورون ( عندما يزورون الدول الاجنبية ) ان هؤلاء الذين يلتقون

معهم في السهرات في العاصمة يمثلون الشعب كله »

الجنرال ديوجول

« انه يوم حزين جدا لأمريكا ، ويوم حزين جدا لإسرائيل » . هكذا اعترف كيسنجر ، والاعتراف سيد الأدلة ، وكان ذلك في ساعة رحيله في مارس الماضي من إسرائيل ، اثر فشل دورائه المكوكي لتنفيذ دبلوماسية الخطوات الصغيرة ، أو الخطوة بخطوة . وهذا الاعتراف يمثل ابلغ الأدلة على من الذي يستفيد من خطوات كيسنجر . هو نفسه يعترف : أمريكا وإسرائيل . ذلك هو الجانب المستفيد من الدبلوماسية الكيسنجرية أو السياسة الأمريكية . الجانب الآخر : العرب وحلفاؤهم ، هو الخاسر . ولم يكن هذا هو الاعتراف الوحيد الذي أدلى به كيسنجر ليؤكد أنه يسعى لضمان مصالح إسرائيل ، ومصالح أمريكا بالطبع . وبعد كل هذا القدر من الوضوح ، هل لا تزال في حاجة الى الحديث عن فييتنام ، ودبلوماسية كيسنجر في فييتنام : ماذا خطط ، وماذا استهدف ، وإلى أي مَصير انتهت خطته ؟

صحيح ان الحقائق واضحة بذاتها ، وان أهداف كيسنجر من حركته المكوكية وخطواته القصيرة في الشرق الاوسط ، أهداف مكشوفة وعارية ، ولكن « المقارنة المنهجية » لها دورها بهذا الخصوص . وبالذات بين ظاهرة اكتملت أو تطورت أكثر من ظاهرة أخرى تتشابهه — بقدر أو آخر — مع الظاهرة الأولى ، ويمكن أن تتأثر بها .

وما أكثر أوجه التشابه بين فييتنام والشرق الاوسط ، من ناحية الاسلوب والتكتيك الدبلوماسي الذي استخدمه — ولا زال — هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا في مواجهة هذين الوضعين وعلاجهما ، بشكل يضمن مصالح أمريكا وحلفائها ، كما تصورها وأرادها كيسنجر .

وقد كتب الكثير حول دبلوماسية كيسنجر في فييتنام ، وكذلك حول دبلوماسيته في الشرق الاوسط . ولكن من النادر — حتى الآن — اخضاع دبلوماسيته في الحالتين لدراسة مقارنة ، وهذه بالطبع محاولة أولية، ومختصرة، تسعى إلى أن تتجنب — بقدر

الامكان - الاهتمام بالتفاصيل والتشابهات الجزئية، لتتوقف عند العموميات أو المبادئ العامة ، والغرض من وراء ذلك لا يحتاج الى تسجيل أو تذكير ، الا وهو الخروج بالدروس المستفادة من الفشل الذي لحق بكيسنجر ودبلوماسيته وسياسة بلاده في فييتنام ، ليتسلح بها المفاوض العربي والشعب العربي في مواجهة كيسنجر . اذ لا يخفى أن فشل كيسنجر في فييتنام ليس فشلا لشخص ، مهما كانت نقاط الضعف وجوانب القصور في دبلوماسيته ، وانما هو فشل لسياسة كاملة متكاملة للدولة الامبريالية الاعظم في عصرنا . وفي نفس الوقت ، فان نجاح المفاوض الفييتنامي - وهو هنالي دوك تو عضو المكتب السياسي لحزب العمل [ الحزب الشيوعي ] الفييتنامي - ليس نجاحا شخصيا او فرديا ، وانما هو نجاح استراتيجيية كاملة متكاملة : عسكريا واقتصاديا وسياسيا ودبلوماسيا . بل ان هذا النجاح ليس نجاحا فييتناميا فقط ، بل ولكنه كسب ونجاح لكل الدول والقوى والمنظمات المعادية للامبريالية .

واعداء النضال العربي يرفضون المقارنة بين فييتنام والشرق الاوسط ، لان هذه المقارنة ليست في صالحهم ولا تخدم اهدافهم او سياساتهم . ويحاولون ، بغباء شديد، مغمضين العين عن الواقع ، الادعاء بأن ما جرى في فييتنام شيء ، وما يجري في الشرق الاوسط شيء آخر ، مختلف تماما ! وهم يتناسون ان الفشل الأمريكي في فييتنام « مهما أخفى ، سوف يستغل من الثوار في كل مكان ، كمدعم لنظرية حرب الجماهير الثورية ، وكبرهان على انه من المستطاع هزيمة حتى الدول العظمى بواسطة جيش من الفلاحين » (١) .

وهذا الدرس ، يخشى أعداء النضال العربي من أن يستفيد العرب به . ولكن دروس النضال ليست في حاجة الى قاعة تدريس . يكفي أن نذكر أنه في سايجون - هو شي منه حاليا - وقبل أن تتحرر كان أستاذ فييتنامي اسمه تون ثان نيين يقول : « لن يصدق أحد الامريكيين بعد اليوم انه سيحدث لاسرائيل ما حدث لنا ، برغم انها قد تكون أقوى وأكثر يقظة منا » (٢) .

هذا هو الدرس الفييتنامي العام لقوى النضال العربي ضد اسرائيل والصهيونية والامبريالية . ويتفرع عنه درس دبلوماسي خاص ، جدير بالاستفادة والاستخلاص ، حين نجد أن « العزيز هنري » « الساحر » و « المعجزة » لم يكن أحسن حظا - ولم يكن ممكنا أن يكون - من أعظم جنرالات أمريكا الذين فتدوا عظمتهم وعبقريتهم العسكرية في أحرش فييتنام ، وتمرغوا في وحلها . وكل ما استطاع الساحر كيسنجر ان يوفره لهم هو الانسحاب بعد أن عجزوا تماما عن تحقيق النصر ، والدولة الكبرى حين تعجز عن تحقيق النصر ، تكون قد فشلت ، هذا ما قاله كيسنجر نفسه ، ولكنه حاول بدبلوماسية وبقدرة فائقة على المناورة والخديعة أن يعطي على هذه الهزيمة ، ويحولها الى نصر ، او الى ضمان الاحتفاظ بالحد الأدنى من المصالح الأمريكية في الهند الصينية . وحتى هذا الهدف لم يمكنه الفييتناميون من تحقيقه .

فكيف جرى ذلك ؟ وما وجه المقارنة بينه وبين ما يقوم به كيسنجر في الشرق الاوسط؟ وما هي احتمالات نجاحه أو فشله هنا ؟ هذه الاسئلة وغيرها يمكن أن نجيب عليها من خلال رصد سريع لاسلوب الدبلوماسية الكيسنجرية اولا ثم ننتقل منه الى مقارنة بين مسرح الاحداث في فييتنام والشرق الاوسط حينما تقدم كيسنجر ليجري الاعييه الدبلوماسية ، وينقلنا هذا مباشرة الى تكتيكات كيسنجر وكيف استهدفت في فييتنام والشرق الاوسط كسب الوقت ، من أجل الحفاظ على مصالح امريكا وحلفاء امريكا . وهنا استطاع ثوار فييتنام أن يسبقوا كيسنجر ، ليأخذوا عنصر الوقت في أيديهم ،

ويجعلوه سلاحهم وليس سلاح عدوهم . أما في الشرق الاوسط ، فالرواية لم تكن فصولها بعد ، بحيث نجدنا مطالبين بالتنبؤ من جانب ، وبالعودة الى التنبه ، والاستفادة من درس فييتنام الدبلوماسي من جانب آخر .

### ١ - دبلوماسية كيسنجر

الدبلوماسية في أبسط معانيها هي فن المفاوضة ، بل ما يعنيه ذلك من أخذ وعطاء ، وتشدد ومرونة ، ومحاولات للف والدوران ، واستغلال نقاط الضعف في الخصم وتقوية نقاط القوة الذاتية وتضخيمها وتغطية نقاط الضعف الذاتي ، وغير ذلك . وأدوات الدبلوماسية هي الارغام والاعراء ، وكل منهما يعتمد على الآخر الى حد كبير ويتدعم به ، القدرة على الارغام تعطي قدرة كبيرة على اعراء الخصم على قبول ما هو معروض عليه .

وقد توصل كيسنجر في يناير ( كانون الثاني ) ١٩٧٣ الى توقيع اتفاق باريس حول فييتنام . قيل الشيء الكثير عن قدراته الدبلوماسية الخارقة ، وهي قدرات لا مجال للتقليل من شأنها ، ولكنها صورت - على الأقل في بلادنا - بأكثر من حقيقتها . جاء كيسنجر من الجامعة الى العمل السياسي التنفيذي : مستشارا للرئيس لشؤون الامن القومي ، ثم وزيرا للخارجية . وكيسنجر رجل الجامعة الاكاديمي يملك فلسفة بمعنى وجهة نظر متكاملة في سياسة بلاده الخارجية . وجهة نظر صاغها وكونها قبل أن يدخل مجال السياسة العملية . وهذا شيء نادر في دنيا السياسة ، حيث نجد اما رجل نظرية وفكر أو تفكير سياسي فقط ، او رجل سياسة عملية فقط . كيسنجر واحد من تلك القلة النادرة التي جمعت بين « النظرية » و« العمل » ، بين « الفكر » و« التطبيق » .

من جانب آخر ، وعى كيسنجر ظروف العصر واستوعبها جيدا ، وحاول أن يوائمها ويتواءم معها ليحقق هدفا مباشرا وأساسيا : أن تكون أمريكا القوة الكبرى الوحيدة القادرة على أن تحدد وتتحكم في مسار ومضير العلاقات الدولية ، لإطول فترة ممكنة ، ولا مانع في ذلك من أن تكون « الاول بين الاوائل » ، أو القوة الاكبر بين القوى الكبرى : تتجمع في يدها كل الخيوط ، فتشد هذا ، وترخي ذلك ، وتتقدم هنا وتتأخر هناك ، وتتنازل في مكان وتتمسك بشدة في مكان آخر ، وتراجع في نقطة وتتقدم في أخرى ، اعتمادا على أسلوب « الجمع بين السلام والقتال » وتطبيقه على مستوى الصراع الدولي ككل ، وعلى كل مشكلة على حدة . وهو الأسلوب الذي برع كيسنجر في تطبيقه .

والبراعة الفردية ، دبلوماسية او غير دبلوماسية ، تحكمها في النهاية الظروف التي تحيط بها . وإذا كان كيسنجر قد وعى ظروف عصره وحاول التواءم مع هذه الظروف لتحقيق « السلام الأمريكي » ، وإذا كان كيسنجر قد أعجب بهيترنيخ رجل التوازن الاوربي والسيادة الاوربية من مؤتمر فيينا في ١٨١٥ الى الحرب العالمية الاولى في ١٩١٤ ، ولدة مائة عام كاملة ، وحاول أن يتشبه به ، فان عصر كيسنجر ، ليس عصر هيترنيخ . وعصر سيادة الاستعمار ثم تحول الاستعمار الى امبريالية شيء ، وعصر الانتقال العالمي من الرأسمالية الى الاشتراكية شيء آخر . وهذا هو القيد « القدري » الذي احاط بدبلوماسية كيسنجر ، وجدد مصيرها ، أيا كانت الانجازات التي تمكن الرجل من تحقيقها في فترة أو أخرى ، على طريق « الانفراج الدولي » أو تهدئة بعض الصراعات الدولية المشتعلة وتبريدها .

ذلك أن دبلوماسية كيسنجر تتسم بأنها « دبلوماسية تهدئة » و« تبريد » للمشاكل الساخنة ، وليست دبلوماسية حلول نهائية أو بعيدة المدى ، كما انها دبلوماسية

« السلام المعلق والمتنظر » الذي يأتي ولا يأتي ، بحيث يكون هناك دائما مجال للمساومة ، وللأخذ والعطاء ، حتى في ظل نيران المعارك ودوي القنابل والمدافع . وكل هذا يرسمه كيسنجر ببراعة وتفوق ، و« يهندس » ، بحيث يحاول أن يتحكم في كافة المتغيرات في الموقف الواحد ، وما تخلفه هذه المتغيرات من تأثيرات في المواقف الدولية الأخرى ، بل وفي الموقف الأصلي ذاته ، الذي بدأ منه ، وبحيث يحاول أيضا أن يتحكم في التوازنات التي خلقها أو « تخلقت » ويسيرها نحو ضمان الهدف الأصلي الذي دفعه إلى اتخاذ الحركة الأولى ، وهذا الهدف هو « جعل الولايات المتحدة القطب الوحيد المتحكم في العالم المعاصر » (٢) . دبلوماسية كيسنجر ، دبلوماسية التهدة والتبريد أو التسكين تحاول أن تتخطى حقائق الموقف كما هي في الواقع ، وترفض تقديم الحلول الكاملة ، وإنما تعتمد على إقامة موازنات ومعادلات شكلية بين قوى متعادلة — لا مانع من أن تبدو هذه الموازنات أحيانا في شكل اضعاف الصديق وتقوية العدو ظاهريا بالطبع — بغرض أن تكون أمريكا وحدها هي التي تمسك بزمام الموقف ، وتتحكم في مصير العالم .

وفي النهاية لا يصح إلا الصحيح ، ويذهب الزبد جفاء ، لذلك لم يكن صدمة بحثة أن الدبلوماسية الكيسنجرية « تتعطل » في الشرق الأوسط ، في وقت اثبات فشلها « العظيم » في فيتنام ، فمتحرر سايجون بعد حوالي شهر من هجر كيسنجر لتفلاته المكوكية بين أسوان وإسرائيل . وبذلك يتأكد أن دبلوماسية تهدة العداوات — مهما كانت براعتها — لن تجد في الشرق الأوسط مصيرا خيرا من مصير لقيته في فيتنام ، رغم أن إسرائيل لا تزال تمثل حتى الآن أنجح نموذج في العالم لسياسة « الفتنمة » ، وهي سياسة تجمع بين الحرب المحدودة والحرب الخاصة ، تمثل جزءا من مبدأ نيكسون — كيسنجر في آسيا ، لأطالة أمد النفوذ والتفوق الأمريكيين ، وهي في حقيقتها أحياء لمبدأ إستعماري معروف هو « دع الآسيويين يقتلون الآسيويين » .

ودبلوماسية كيسنجر في تهدة العداوات ، هي في الواقع دبلوماسية « الفترات المتباعدة » أو الخطوة بخطوة ، سواء في فيتنام أو في الشرق الأوسط ، وأن كان التعبير الأول — الفترات المتباعدة — يصدق على فيتنام بشكل أكبر ، فإن دبلوماسية الخطوة بخطوة ، قد ارتبطت بتحركات كيسنجر وحركاته في الشرق الأوسط . والهدف في الحالتين واحد ، ليس مجرد التبريد والتهدة ، ولكن خلق روح الاستسلام نفسيا لدى العدو ، وخلق الاقتناع لديه بأن القتال لن يفيد ، وأن السلام — الأمريكي بالطبع — هو الممكن الوحيد ، والمفيد الوحيد . ويتم ذلك من خلال عملية انهك نفسي مخططة ومحبوكة وتتم أيضا خطوة بخطوة ، على طريق الاستسلام النهائي ، في أرض المعركة قبل الاستسلام على مائدة المفاوضات .

وفي سبيل تحقيق ذلك ، يعتمد كيسنجر الدبلوماسي والمفاوض البارع على عدة أساليب ، يمكن إجمالها فيما يلي :

أ — الولع والميل إلى الدبلوماسية السرية الكاملة . البعض يحاول أن يعزو ذلك لأسباب نفسية ، اعتمادا على دور التريبة « اليهودية » والألمانية في تكوين كيسنجر ، التي خلقت لديه ميولا تسلطية لا يستطيع ممارستها بطريقة مفتوحة وزائدة في المجتمع الأمريكي ، فلا يجد مفرًا من اللجوء إلى السرية ، « ويقال أنه بسبب ذلك يحس كيسنجر بسهولة أكبر في التعامل مع زعماء الأنظمة الشمولية ، والدكتاتورية ، ولكنه أقل نجاحا وفاعلية حينما يتعامل مع قادة أنظمة ديمقراطية ليبرالية أو شعبية » (٤) . ودون أن نسقط العامل النفسي من الاعتبار ، ودون أن نؤمن بأن السرية صفة ملازمة للدبلوماسية ، فإن أخذ كيسنجر بالسرية الشديدة ، يتناسب مع الأهداف التي يريد تحقيقها ، بحيث أولا لا يكشف أوراقه ، وبحيث يسهل عليه ثانيا التراجع عن وعود

بذلك ، وبحيث يضمن انفراد وانفراد بلاده بالحل بمعزل عن القوى الكبرى الأخرى ، فضلا عن أن هذا الأسلوب يتفق تماما مع ميول شخص مثل كيسنجر لا موضع في تفكيره أو في نشاطه السياسي للجماهير ، ولا اهتمام بالرأي العام . وسرية كيسنجر في فييتنام واضحة من مرحلة المفاوضات السرية التي استغرقت حوالي أربعة أعوام ، وواضحة في الشرق الأوسط في اتفاقات فصل القوات ، التي تشير مصادر كثيرة إلى أنه صاحبها اتفاقات سرية لم تعلن بعد ، وقد أثير ذلك في الفترة الأخيرة بشكل خاص مع إعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، إذ تحدثت إسرائيل عن تعهد مصري بالسماح للبضائع الإسرائيلية بالمرور (٥) .

ب - التدخل للانتقال بالمشكلة من مرحلة « السخونة » إلى « البرودة » ، فالسخونة تجعل التدخل مقبولا وتخلق استجابة لدى أطراف النزاع لذلك ، والانتقال إلى « التبريد » يعني أن هناك انجازا قد تحقق ، لا يتورع كيسنجر - ومحيطوه - عن تضخيمه وتصويره على أنه خطوة كانت مستحيلة لولا لمسات يد الساحر العجيب الدكتور كيسنجر ، وفي نفس الوقت يتخذ كيسنجر ذلك وسيلة لإبطاء الحل ، والتبؤف والمأطلة ، ما دام أن خطوة عظيمة قد تحققت .

ج - يرتبط بذلك الإقدام على خطوة تستهدف نزع فتيل الاشتعال من الموقف المتفجر ، وهي خطوة تعني بالأساس وضع الموقف بالكامل تحت سيطرة كيسنجر ، بواسطة محاولة اقتناع طرفي النزاع بأنه ليس في الإمكان أبدع مما هو كائن حاليا ، ولفترة ما ، وبحيث يصير وجود كيسنجر نفسه هو عامل التوازن في الموقف ، ويخشى كل جانب من أن ينسحب الزجل « المعجزة » من الساحة فينهار كل شيء ، في وقت يرى كل طرف أنه غير ملائم له ، وبالطبع ، فإن التهديد الكيستجزي بين وقت وآخر بالانسحاب أمر وارد ، مع الإشارة بطرف العين إلى طرفي النزاع بأن الكارثة واقعة لا محالة إذا انسحبت . ولا سبب عديدة ، لم يستطع كيسنجر أن يزاو هذه الهواية في فييتنام ، وبرع في ذلك في الشرق الأوسط طوال عام ١٩٧٤ بشكل خاص ، بل كانت براعة كيسنجر الحقيقية وقمة نجاحه هي غزو الوطن العربي على أنه حكم في الصراع العربي - الإسرائيلي وليس طرفا فيه . وهذا لا يعود إلى عبقرية كيسنجر ، بقدر ما يعود إلى سيادة جو معين في القيادة العربية يمكنه من تحقيق ذلك . وأن كان هذا لا يقلل من شأن نجاح كيسنجر في اهتبال فرضة - تكاد تكون نادرة - وجدها متاحة له .

د - التقدم على طريق الحل يعتمد أسلوبا ذا شقين :- الأول : عدم طرح أي حل شامل أو كلي للمشكلة بدعوى أن ذلك يبرز جوانب الخلاف بين الأطراف ولا يتساعد على تحقيق الاتفاق ، الثاني : تجزئة المشكلة إلى العديد من القضايا الفرعية ، التي لا يتم الاقتراب منها مرة واحدة ، وإنما على فترات متباعدة ، بحيث لا يرتبط أي أجزاء المشكلة ببعضها ، وبحيث لا يكون هناك التزام محدد بأن حل جزء معين من المشكلة لا بد وأن يتلوه حل جزء آخر . لقد بدأ كيسنجر بفصل القوات في سيناء ، ثم تلاه فصل القوات في الجولان ، هذه الخطوة الثانية كان يمكن أن لا تحدث بالضرورة ، إذ كان يمكن أن يحل محلها خطوة أخرى في سيناء نفسها ، أو في الضفة الغربية ، وهكذا . وترتيب هذه الخطوات لا يخضع - في تقدير كيسنجر - إلا لما يريده ويتوخاه كيسنجر نفسه .

هـ - المزاوجة والمراوحة بشكل شبه دوري وبشكل متعمد بين القوة والدبلوماسية ، بين المفاوضات والقتال ، بين اختلال التوازن العسكري والتهديد بالقتال ، فالدبلوماسية في قاموس كيسنجر لا تظهر إلا مقترنة بالقوة ، وهو يعتقد أن « الدبلوماسية التي لا ترتبط ارتباطا وثيقا باستخدام القوة هي دبلوماسية عقيمة » (٦) كما أن استخدام القوة من دون الدبلوماسية يسبب « تهورا وقت الانتصار وذلعا وقت المحن » (٧) .

و - الميل أو تفضيل استخدام الإنذار لتحقيق الاهداف ، أكثر من استخدام الحرب أو القوة ، ويعتبر كيسنجر أن التهديد والإنذار يضمن أحيانا تحقيق الاهداف أكثر مما يضمنها استخدام القوة نفسها ، فقد تستخدم القوة وتفشل ، أما الإنذار والتهديد فيمثل رادعا مخيفا ، ومسلطا على رقاب العدو ، وقد يهوي عليهما في أي وقت . ويرى كيسنجر أن الإنذار ليس مجرد القدرة على الكلام أو التهديد ، وهذا كله لا قيمة له ، إذا لم تسانده المقدرة على خوض الحرب والارادة على خوضها إذا لم يحقق الإنذار هدفه (٨) . المثال النموذجي على ذلك ، إنذار كيسنجر الى الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر في ٦ اكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٧٣ بالعودة الى الخطوط التي كانت عليها القوات عند بدء القتال ، عندما لم تستجب مصر لهذا الإنذار ، فتح كيسنجر خزائن الترسانة الأمريكية أمام اسرائيل ، حتى لا يحقق العرب نصرا كبيرا يمثل ضغطا عليه حيثما يتقدم للعمل على حل المشكلة . يومها قال الزيات لكيسنجر ، ان العودة الى خطوط بدء القتال أفضل من وضع تتمنى فيه مصر تحقيق ذلك . ورغم الصياغة الدبلوماسية ، لم يكن أسلوب الإنذار ليخفى على دبلوماسي محنك مثل الزيات .

هذه ، بصفة عامة ، هي الخطوط الاساسية ، والاساليب الاساسية في دبلوماسية كيسنجر . ومن أجل الايجاز لا داعي للحديث عن سياسة امريكا الخارجية قبل كيسنجر ، وما الذي تغير فيها على يديه ، وما علاقة كل هذا بالتغير الذي حدث في العلاقات الدولية وغير ذلك .

## ٢ - مسرح الاحداث

اعني ذلك الموقف القائم في كل من فييتنام والشرق الاوسط حينما تقدم هنري كيسنجر لحل كل من المشكلتين ، مشكلة التورط الأمريكي في فييتنام ، ومشكلة الصراع العربي - الاسرائيلي ودور امريكا فيه ، على مسرح الشرق الاوسط . ونلاحظ بداية بعض وجوه الاتفاق والاختلاف في الموقفين : من ناحية اولى ، يتميز الصراع في المنطقتين بطول مدته ، انه بشكل عام بدأ في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة ، حين تزايدت درجة ومستوى التدخل الأمريكي مع مرور الوقت ، وساعدت امريكا فرنسا في العودة الى فييتنام واعادة احتلالها ، بعد الحاق الهزيمة بالفيتناميين . وقدمت امريكا للفرنسيين قدرا من المعونة ضد حركة الكفاح الفيتنامي . هزمت فرنسا في النهاية . ووقعت اتفاقيات جنيف في عام ١٩٥٤ . رفضت امريكا التوقيع . وخلقتم حكم الجنرالات الذي ظنته وسيلة لصد ما أسمته النفوذ الشيوعي عن الهند الصينية . ومع بداية الستينات بدأ التورط الأمريكي في فييتنام ، وبلغ قمته في تواجد حوالي نصف مليون جندي أمريكي في المنطقة ، وتجنيد نصف مليون آخر من قوات الحلفاء « دافعا عن الحضارة الغربية » وشن حرب جوية قادرة ضد جمهورية فييتنام الديمقراطية ( الشمالية ) . وخلال سنوات الحرب بلغت التكاليف الأمريكية حوالي ١٥ مليار دولار ، وأكثر من ١٥٦ الف قتيل أمريكي . وفوق هذا وقفت قوات امريكا عاجزة عن تحقيق النصر والحاق الهزيمة بقوات جبهة التحرير الوطني في فييتنام الجنوبية . وخلقتم هذه الحرب تصدعا في داخل المجتمع الأمريكي . وكان وعد ريتشارد نيكسون في انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٨ للنخبين بالانسحاب من فييتنام سببا في نجاحه ، بعد أن اضطرت الحزب الرئيس السابق جونسون الى عدم اعادة ترشيح نفسه في هذه الانتخابات . وقد ساعدت حرب فييتنام في تغيير ميزان القوى الاجتماعية داخل المجتمع الأمريكي ، مما أدى الى نجاح نيكسون في الانتخابات ليصبح معبرا عن مصالح الجناح النفطي - المالي أو المصرفي في الرأسمالية الاحتكارية الكبيرة الحاكمة في امريكا . وقد وجد هذا الجناح الذي يجوز وصفه بالليبرالية في مواجهة اختراعات صناعة السلاح ، وجد في كيسنجر خير من

يستطيع خدمة مصالحه (٩) بوضع سياسة خارجية ملائمة ، وهكذا جاء كيسنجر ليعمل مستشارا للرئيس نيكسون لشؤون الامن القومي في مرحلة كانت تفرض الحاجة الى وضع حد للتورط الامريكى في فييتنام . وكان على كيسنجر ان يحقق لبلاده « انسحابا مشرفا » ، ويحقق لها في نفس الوقت ضمانا بان لا تسقط فييتنام الجنوبية في يد الشيوعيين ، ولا يكون الانسحاب على حساب اضعاف مركز امريكا في المنطقة ، ولحساب تقوية مركز قوة منافسة اخرى وهي الاتحاد السوفييتي ، دون ان يخل ذلك باتجاهات التهدة وبسياسة الانفراج الدولي .

وقد حاول كيسنجر بكل ما لديه من قدرات وطاقة ان ينفذ هذه السياسة ، وذلك بحل المشكلة الفيتنامية على اساس « الفتنة » وسحب القوات الامريكية ، مع تجميد الموقف على ما كان قائما عليه عند توقيع اتفاقيات باريس حول فييتنام في ٢٧ يناير ( كانون الاول ) ١٩٧٣ بل والعمل على تحسين هذا الوضع لصالح حكم الجنرال فان ثيو في سايجون .

وهكذا غرضت مشكلة فييتنام ، او مشكلة امريكا في فييتنام ، نفسها على كيسنجر ، لتكون اول اعماله ومن اهمها في منصبه مستشارا للرئيس لشؤون الامن القومي .

من ناحية اخرى ، بالنسبة للشرق الاوسط ، ابدى كيسنجر نوعا من عدم الاكتراث بالموقف ، لانه قابل للانتظار ، وغير مهدد بالانفجار ، وتركه في يد وزارة الخارجية لتعالجه بأساليبها التقليدية المعروفة . السبب في ذلك ان كيسنجر اعطى اغلب اهتمامه لمشكلة فييتنام ، وادعم سياسة التهدة مع السوفييت ، وراى ان العرب غير قادرين على شن القتال ، بحيث يمكن ان تطول سياسة « اللاسلم واللاحرب » لمدى اطول ، وعندئذ لن يملك العرب الا ان يأتوا الى مائدة المفاوضات وهم راغمون ، يقبلون ما يعرض عليهم .

والحقيقة ان هذه هي الصورة التي حاول كيسنجر ان يشيعها خاصة منذ حرب اكتوبر ( تشرين الاول ) عن موقفه تجاه الازمة في الشرق الاوسط ، وعشبة الحرب تماما كان يدعي انه لم يفتح ملف هذه القضية بعد ، ويمكن ان يفعل ذلك بعد الانتخابات الاسرائيلية . ويريد كيسنجر من وراء ذلك الايهام بان حرب اكتوبر قد غيرت موقفه وموقف بلاده تماما ، ونقلته من حالة عدم الاهتمام الى الاهتمام ، ومن تأييد اسرائيل الى موقف آخر .

ولكن كثيرا من الوقائع المعروفة لا تخدم تصوير كيسنجر هذا ، وتؤكد انه كان يلعب بيده ، بشكل او آخر ، في مشكلة الشرق الاوسط ، ومن هذه الوقائع ما يلي :

أولا : منذ تولى كيسنجر منصب مستشار الرئيس لشؤون الامن القومي ، حدد مجموعة من القضايا كبرى لها جهوده وجهود مجلس الامن القومي ، وكسائت قضية الشرق الاوسط واحدة من هذه القضايا (١٠) . وقد أعاد كيسنجر تنظيم هيئات مجلس الامن القومي بحيث أصبح يشرف بنفسه على اغلب فروعه الهامة ، مثل « لجنة الاربعة » التي تتولى الاشراف على كل العمليات السرية لاجهزة المخابرات الامريكية في كل جهات العالم ، و « مجموعة واثنطن الخاصة للعمل » التي تدير الازمات العالمية الطارئة او المفاجئة نيابة عن مجلس الامن القومي او الى حين انعقاده ، وانشاء مذبة ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في الاردن ضد الفلسطينيين ، تولت هذه المجموعة ادارة الموقف (١١) وكان كيسنجر نفسه هو الذي وافق على ان تتدخل اسرائيل ضد سوريا اذا تدخلت القوات السورية ضد الملك حسين .

ثانيا : بناء على ما سبق يبدو صحيحا ان كيسنجر ومساعديه قد اعدوا دراسة حول الموقف في الشرق الاوسط منذ وقت مبكر لتوليه منصب المستشار لشؤون الامن القومي ، وانها تضمنت سبعة حلول بديلة ، تجمل في ثلاثي هي : التزام امريكا بموقف سلبي كامل ، أو الضغط على الاطراف لحل المشكلة ، أو القيام باجراءات بسيطة لتحسين الموقف . واستبعد الحلان الاول والثالث داخل مجلس الامن القومي ، وأخذت امريكا بسياسة الضغط على أطراف المشكلة ، التي قيل انها تمثلت في الاستجابة الامريكية للاقتراح الفرنسي بعقد الاجتماعات الرباعية(١٢) . ومن المعروف ان امريكا هي التي تتحمل مسؤولية فشل هذه الاجتماعات . وبالطبع ، لم يكن المندوب الامريكي فيها يعمل بعيدا عن توجيهات كيسنجر ، ما دام قد اعتبر مشكلة الشرق الاوسط — كما رأينا — واحدة من المشاكل الرئيسية التي ركز عليها جهوده وجهود مجلس الامن القومي .

ثالثا : لعب كيسنجر دورا في تعطيل مبادرة روجرز ومنع تنفيذها ، وقرر الرئيس نيكسون في اكتوبر ( تشرين الاول ) وضع سياسة بديلة عن مبادرة روجرز(١٣) ، وليس متصورا أن يضع أجد هذه السياسة البديلة ، الا كيسنجر .

رابعا : في العام ١٩٧٢ ، جرت محاولة لعقد اجتماع بين كيسنجر وبين احد المسؤولين المصريين ووقع الاختيار يومئذ على محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام ، والرجل الواسع النفوذ في السلطة المصرية ، ولكنه فضل تأجيل هذا(١٤) .

خامسا : في فبراير ( شباط ) ١٩٧٣ ، زار حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي ، واشنطن ، واجتمع بالرئيس نيكسون ، الذي أحاله بدوره الى الدكتور كيسنجر . وعقد حافظ اسماعيل وكيسنجر ثلاثة اجتماعات ، انتهت بأن وضع كيسنجر ثلاثة مبادئ لتعامله مع مصر ، هي : الثقة المتبادلة ، وعدم الخداع ، والسرية المطلقة(١٥) ، وطالب كيسنجر في هذه الاجتماعات بتقديم تنازلات سياسية واقليمية وليس مجرد ضمانات شفوية . ويقول هيكل « كان واضحا من كلام كيسنجر ان مصر البلد المحتلة أرضه ، هو الجانب المطالب بتقديم تنازلات »(١٦) .

وخلاصة ذلك ، أن كيسنجر كان في الفترة من ١٩٦٩ حتى حرب تشرين ( اكتوبر ) لا يثقف بعيدا عن أزمة الشرق الاوسط، بل كان قد بلور فكرة متكاملة وخطة كاملة ازاءها . وحيث انه كان قد فرغ من توقيع اتفاقيات فييتنام في اوائل ١٩٧٣ ، فقد كان متوقعا أن يتحرك في ساحة الشرق الاوسط مع نهاية العام أو بداية العام الجديد . وجاء انفجار القتال على غير ما كان يتوقع . يشير كيسنجر بنفسه الى ذلك فيقول في ٣٠ سبتمبر ( ايلول ) ١٩٧٤ مخاطبا أعضاء الجامعة العربية في نيويورك : « لقد تحدثت الى صديقي عمر السقاف قبل اسبوعين من نشوب حرب تشرين الاول ( اكتوبر ) وأبلغته اننا سنحاول القيام بمجهود دبلوماسي كبير لتعزيز السلام في الشرق الاوسط ، ثم نشبت الحرب ، ومنذ ذلك الحين ، أتحدث لنا الفرصة للتحدث معا عن مشاكل عديدة »(١٧) .

ولذلك ، ليس صحيحا ما تدعيه صحيفة اسرائيلية من ان كيسنجر لم يكن يهتم بمسائل الشرق الاوسط ومشاكله، عندما كان يشغل منصب مستشار الرئيس نيكسون لشؤون الامن القومي(١٨) .

ولم يكن موقف كيسنجر هذا من أزمة الشرق الاوسط ، والادعاء بأنه بعيد عنها ، الا اشارة لسياسة الماطلة وكسب الوقت التي سببها من خلال تحركاته المكوكة وبواسطة خطواته القصيرة ، ما دام من ذلك الضمان لمصالح امريكا ، ومصالح اسرائيل حليفة امريكا .

وعندما نشبت حرب أكتوبر (تشرين) أدارها كيسنجر من جانبه بشكل يضمن له تحقيق الأهداف التي كان يتوخاها لو لم تنشب هذه الحرب ، وبحيث لا يضطر إلى إجراء تعديل كبير في خطته . وخرج كيسنجر من الحرب وقد غنم ما كان يسعى إليه ، فنتقدم بزاول دبلوماسية كسب الوقت ، من خلال دبلوماسية الخطوة خطوة (١٩) .

### ٣ - المماطلة وكسب الوقت

نجح كيسنجر في وقف القتال في الشرق الأوسط يشبه إلى حد كبير نجاحه في وقف القتال في فيتنام (٢٠) واستمراره في كلا المنطقتين ، كان يهدد مصالح أمريكا وحلفائها بدرجة أكبر .

وعندما وقع كيسنجر اتفاقيات باريس في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ ، كان قد صمم على أن يجهد الموقف على ما كان عليه ، أو يسمح فقط بتحسينه لحساب حكم ثيو الذي أمل أن كيسنجر سيتمكن من تعطيل هذه الاتفاقيات . وعندما وافقت أمريكا على قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ في ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ ، بوقف القتال ، لم تمنع في أن تحسن إسرائيل مواقفها لتصبح خطوط ٢٢ تشرين وسيلة للمساومة ، وفي نفس الوقت فإن النتيجة التي آلت إليها الحرب كانت توفر فرصة ملائمة لتحقيق التسوية ، لو كانت لدى كيسنجر العزيمة الصادقة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط ، ولكن ذلك لم يكن وارداً عند كيسنجر (٢١) وكان الهدف المفضل لديه هو كسب الوقت .

وكسب الوقت عند كيسنجر في الشرق الأوسط ، يعني تحقيق ما يلي :

١ - خدمة مصالح إسرائيل في تدعيم قبضتها على الأراضي العربية المحتلة التي لا تزال تحت سيطرتها (٢٢) .

٢ - خدمة مصالح أمريكا والدول الصناعية الأخرى بحيث تتمكن من اتخاذ الإجراءات التي تكفل لها التغلب على سلاح البترول العربي (٢٣) ، أو تضمن الحصول عليه خاصة في السنوات القليلة القادمة .

٣ - بذور الشقاق داخل الدول العربية ، من أجل إضعاف تضامنها ضد إسرائيل (٢٤) ، وكسر وحدة العمل العربي التي تحققت في حرب تشرين (أكتوبر) .

٤ - إقرار العرب بوجود إسرائيل الشرعي ، وذلك قبل أن يتم الانسحاب من كافة الأراضي العربية المحتلة .

٥ - تضيق الخناق على الوجود السوفييتي في المنطقة من خلال اكتساب أمريكا لمواقع جديدة في الشرق الأوسط ، وإعادة ترتيب الأوضاع بما يخدم المصالح الأمريكية .

٦ - خلال ذلك قد لا يستتب السلام ، ولكن سيتم أحماد « بؤر عدم الاستقرار » في المنطقة ، بمعنى تقليص أظافر حركة التحرر الوطني العربية ، ومحاصرة الفكر والتطبيق الاشتراكي من ناحية أخرى ، بحيث يعود للمشروع الخاص والمبادرة الفردية حزية العمل ، وحرية الارتباط بالسوق الإمبريالي العالمي ، بما يتضمنه ذلك من تحسين العلاقات مع بعض الدول العربية ، بحيث يخدم ذلك التحسين مصالح أمريكا وإسرائيل ، فقد صرح أسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل في مقابلة مع صحيفة « معاريف » بأن : « تحسين العلاقات الأمريكية المصرية لن يكون إلا لمصلحة إسرائيل والولايات المتحدة » (٢٥) .

وهذه الأهداف تكاد تكون هي نفس أهداف أمريكا في الشرق الأوسط ، قبل حرب تشرين الأول (٢٦) ، ولم يطرأ عليها مجرد التعديل ، اللهم إلا المزيد من الانتظار ،

ومن كسب الوقت حتى نحقق الاهداف كاملة . بحيث ان السائرين وراء كيسنجر والذين يسايرونه اصبح عليهم ان يجيبوا على اكثر من سؤال ، تتلخص جميعها في سؤال وحيد : لماذا كيسنجر اذن ؟

لقد رأى كيسنجر بثاقب نظرة ، ان العرب حققوا بحرب تشرين ( اكتوبر ) انجازا لا يمكن اسقاطه من الحساب ، وهو يعني في المحصلة النهائية ، وعند تحويل النصر العسكري الى نصر سياسي ، اسقاط مرحلة اللاحرب واللاسلام ، وعمل كيسنجر على تفويت ذلك ، وتضييع ثمره حرب تشرين ( اكتوبر ) بالعودة الى اللاحرب واللاسلام مرة اخرى ، مع غارق اساسي بين مرحلة ما قبل الحرب وما بعدها .

مرحلة اللاسلام واللاحرب قبل حرب تشرين ( اكتوبر ) كانت مقرونة بلاءات الخرطوم المعروفة ، وبالاستعداد للحرب من اجل التحرير . مرحلة اللاحرب واللاسلام بعد حرب تشرين ( اكتوبر ) لا بد ان تسقط لاءات الخرطوم ، هكذا يفكر كيسنجر ، بواسطة اقتناع العرب بمقولة بسيطة جدا وخطيرة جدا ، هي ان الحل العسكري لمشكلة الشرق الاوسط مستحيل . وقد أعلن الرئيس السادات اكثر من مرة عن اقتناعه بذلك صراحة ، واعلنه ضمنا منذ صرح في ١٦ اكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٧٣ انه لن يحارب امريكا .

اما في فيتنام ، فقد رغب كيسنجر كسب الوقت بهدف اساسي هو عدم سقوط فيتنام الجنوبية في يد الشيوعيين ، وحتى لا تسقط الهند الصينية كلها في ايديهم طبقا لنظرية الدومينو المعروفة . وحسب كيسنجر ان سياسة الفتنة وتكوين جيش فيتنامي جنوبي حديث ، مع عدد كبير من الخبراء الامريكيين الذين يعملون سرا ، يمكن ان يحقق له هدفه . ولم يمانع ثوار جبهة التحرير في اغراء كيسنجر بإمكانية تحقيق الهدف ، ولكنهم في نفس الوقت عملوا بتخطيط وذكاء من اجل اخذ عنصر الوقت في ايديهم ، وابقاء زمام المبادرة في صفتهم .

من باريس الى جنيف : سياسة كسب الوقت أو تضييع الوقت — في جانبها الاخر — لا زال السيرك الخاص بها منضوبا امامنا في الشرق الاوسط ، ولا تزال أدق تفصيلاتها واضحة للعيان ، بحيث ان مؤتمر جنيف الذي كان متصورا انه سيعقد بعد فترة وجيزة من وقف القتال في اكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٧٣ ، وبعد انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة ، اصبح الان مجرد عقدة أمنية من الالمانى الغالية والعزيزة لدى السائرين مع العزيز هنري .

ولكن قبل الوصول الى جنيف ، يجب ان نقف ولو قليلا في محطة باريس ومحادثاتها الفيتنامية ، لنشاهد ونرصد بعض فصول الماطلة الكيسنجرية من اجل كسب الوقت . احدى المسلمات العسكرية في الحرب تقول : عليك ان توقف الحرب ، حينما تصبح خسائر اكبر من حجم الاهداف التي تريد تحقيقها ، أما السياسة فتوضي : لا تضح بإمكانياتك المتبقية لك ، حين يوافق العدو على قبول اهدافك (٢٧) .

بناء على المسلمة العسكرية ذهب الامريكيون الى باريس التي ذهب اليها الفيتناميون الشماليون بناء على القاعدة السياسية المذكورة ، من اجل محادثات لوقف القتال في فيتنام . فقد ذهب الفيتناميون الى مائدة المفاوضات بعد ان تأكدوا ان ميزان القوى بينهم وبين عدوهم ، قد حسم لصالحهم ، ولن يستطيع اي مفاوض مهما كانت قدراته ان يصل الى اتفاق لا يعكس ثقل هذه الحقيقة ، بعد ان اضطرروا الرئيس جونسون الى ان يعلن في ٣١ مارس ( اذار ) ١٩٦٨ استعدادة للمفاوضة مع هانوي ، كما اعلن عدم تجديد مدة رئاسته .

وبناء على ذلك ، بدأت في العاصمة الفرنسية باريس في ١٣ مايو ١٩٦٨ أول جلسة في المفاوضات بين الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية فيتنام الديمقراطية . وفي ٣١ أكتوبر (تشرين الاول) أعلن الرئيس جونسون موافقته على تحويل المحادثات الى محادثات رباعية ، وحدد لذلك يوم ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام ، وأعلن وقف الغارات على شمال الفيتنام . ولكن هانوي رفضت ربط بدء المحادثات بوقف القصف . واصررت ان يكون وقف القصف غير مشروط . نبع موقف هانوي هذا من أن الذي يفرط في شيء بسيط في مجال المفاوضة ، يعطي فرصة لعدوه لان يطالبه بالمزيد من التنازلات .

ولم تبدأ المفاوضات الرباعية الا في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ ، بعد وصول الرئيس نيكسون للرئاسة . أما كيسنجر فكان قد انتقد سياسة الرئيس جونسون تجاه المفاوضات الفيتنامية ، وذلك في كتابه « السياسة الخارجية الأمريكية » ، فانتقد عقد المحادثات في شكل رباعي ، اعتبارا من ضعف مركز سايجون ، وأكد انه من العسير انتهاء هذه الحرب التي طال مداها مرة واحدة وبحركة مسرحية ، وقال ان أمريكا لم تستطع اقامة بناء سياسي في فيتنام الجنوبية يقاوم الزحف الشيوعي عند سحب القوات الأمريكية .

ووضع كيسنجر تصوره للحل على النحو الآتي :

« ١ — ان يتم الانسحاب على فترة طويلة نسبيا ، تكفل قيام نظام سياسي خالص ينمو وينجح في فيتنام الجنوبية ، وبحيث لا يؤدي ذلك الى ان يكون هذا الانسحاب ستارا يخفى وراءه سيطرة الشيوعيين على السلطة .

٢ — ان يتعهد الطرفان بعدم اللجوء للعنف خلال فترة الانسحاب سعيا لتحقيق بعض اهدافهما .

٣ — ان يترك — بقدر الامكان — للفيتناميين الجنوبيين امر تحديد واختيار النظام السياسي الذي يلائمهم خلال المدة التي يتفق عليها للانسحاب » (٢٨) .

هل كان يتوقع كيسنجر حين كتب هذا التصور ، ان الدور سيأتي عليه من اجل وضع تصوره موضع التنفيذ ! ، على أي حال أصبح كيسنجر مستشارا للرئيس نيكسون لشؤون الامن القومي ، وكانت المشكلة الفيتنامية أول المشاكل التي ورثها . ولم يأت اليوم الرابع من أغسطس ( آب ) ١٩٦٩ الا وكان كيسنجر يحضر بنفسه أول جلسة محادثات يعقدها هو مع ممثلي فيتنام الشمالية ، في باريس ، قبل ذلك بحوالي شهر ، اي في يوليو (تموز) كان الرئيس نيكسون قد قام برحلة في جنوب شرق آسيا ، أعلن خلالها تبني سياسة جديدة ، تقوم على سحب القوات الأمريكية من فيتنام ، على ان يتحمل الفيتناميون عبء القتال .

وباختصار ، عندما جاء كيسنجر يفاوض الفيتناميين ، كان امر الانسحاب الأمريكي مبدأ مقروا ، ومفروغا منه ، على ان يتم هذا في « اسرع وقت ممكن ، وبأقل الخسائر الممكنة » .

واذا أسرع وقت يتحول على يد الساحر كيسنجر من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ الى يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ ، أي أربع سنوات كاملة جرب خلالها كيسنجر أسلوبه المفضل بالزوجة بين القوة والمفاوضة ، مع التركيز على برنامج الفتنة عن طريق تزويد جيش ثبو بأحدث الاسلحة ، وتوسيع نطاق المعارك بتوجيه ضربات الى معازل الثوار في لاوس وكمبوديا ، وذلك لتصفية الثوار بشكل نهائي ، قبل اتمام سحب

القوات الامريكية من فييتنام . وفي نفس الوقت كانت المفاوضات في باريس تسير بسرعة السلاحفة . واكتشفت هانوي واكتشف الثوار حقيقة اهداف كيسنجر — نيكسون . وفي ربيع ١٩٧٢ شن الثوار هجومهم الواسع الذي اسقط سياسة « الفتنة » واثبت لامريكا ان تحديد مصير المنطقة ليس بيدها .

وفي مايو ( ايار ) ١٩٧٢ ، توقفت محادثات باريس ، ولم تستأنف الا في ١٣ يوليو ( تموز ) بعد وساطة بكين وموسكو .

لم يشن الثوار هجومهم عبثا ، لقد احسنوا استغلال الجو الدولي السائد وقتذاك ، منذ بداية عام ١٩٧٢ ، حينما زار نيكسون كلا من بكين وموسكو ، واصبحت سياسة واشنطن على اعقاب مرحلة جديدة تبحث فيها عن « الوفاق » مع القوى الكبرى الاخرى . وفهم الثوار الفيتناميون من ذلك ، ان امريكا ستحتاج الى فترة تحرص فيها على عدم اغضاب كل من بكين وموسكو . وبحساب دقيق ، حدد الثوار تاريخ الهجوم ، وهم متأكدون ان بكين وموسكو لا بد ان تضغطا — بشكل او اخر — على واشنطن ، من اجل العودة الى المفاوضات .

وكان النصف الثاني من عام ١٩٧٢ عبارة عن سباق عنيف بين الجانبين ، الامريكي والفيتنامي [ هانوي والثوار ] من اجل تحقيق أفضل موقف في أرض المعارك ، ليفرض نفسه فوق مائدة المفاوضات ، وفي الاتفاق الذي سيتم الوصول اليه .

وكانت الشهور الثلاثة الاخيرة من العام ١٩٧٢ نموذجا مجسما للماطلة الكيسنجرية في كسب الوقت . ففي ٢٦ اكتوبر ( تشرين الاول ) اعلنت هانوي بيانا هاميا احتوى الوثائق التالية :

• تدمت حكومة هانوي في ٨ اكتوبر ( تشرين الاول ) مشروع اتفاقية سلام في محادثات باريس . وعرضت هانوي الخطوط العريضة لهذا المشروع المقترح .

• وافقت الولايات المتحدة على مشروع الاتفاق .

• اقترحت هانوي ان يتم التوقيع على الاتفاق في منتصف اكتوبر ( تشرين الاول ) .

• في ٢٠ اكتوبر ( تشرين الاول ) اقترحت امريكا ان يكون التوقيع على الاتفاق في

٣١ اكتوبر ( تشرين الاول ) .

• في ٢٢ اكتوبر ( تشرين الاول ) تم التوصل الى النص النهائي للاتفاق بعنوان

« الاتفاق الخاص بانهاء الحرب واعادة السلام في فييتنام » .

• عاد الجانب الامريكي في ٢٣ اكتوبر ( تشرين الاول ) وأشار الى وجود صعوبات

مع حكومة سايجون ، وطلب مهلة للتغلب على هذه الصعوبات (٢٦) .

واتهمت حكومة هانوي الولايات المتحدة بالماطلة والتراجع . ولم تجد واشنطن بدا

من الاعتراف بصحة البيان الذي اعلنته هانوي . وقال كيسنجر « ان السلام اصبح في

منازل اليد » . ومع ذلك تأخر توقيع الاتفاق ثلاثة شهور كاملة ، استغلتها واشنطن

في امداد حكومة ثيو بأسلحة ومؤونة اضافية ، تقدر بمليار دولار . وكسنت سايجون

خلال ذلك تتلقى ٧٠٠ طن من المواد الحربية ، كما تسلمت مئات من الطائرات

المقاتلة (٣٠) .

وكان هدف نيكسون وكيسنجر من هذه الماطلة هو « ضمان بقاء حكومة ثيو لفترة

كافية من الزمن يمكن ان تمتد في اعتقادهما الى عام ١٩٧٧ » (٣١) ولذلك عمل كيسنجر

على ان يتم الاتفاق الذي وقع في ٢٧ يناير ( كانون الثاني ) عددا من الثغرات التي

تستطيع حكومة سايجون استغلالها في اطالة امد بقائها . فلم ينص الاتفاق على تنازل ثيو عن الرئاسة ، بل قسم التسوية الى مرحلتين : الاولى هي وقف العمليات الحزبية وسحب قوات امريكا وحلفائها من فيتنام ، وتضمنت المرحلة الثانية تسوية المشاكسل السياسية في فيتنام الجنوبية ، وحل مسألة اعادة توحيد شطري الفيتنام (٢٦) . ولم يكن الهدف من ذلك الا خلق وسائل للتسوية والماطلة في تطبيق الاتفاق .

وفي فيتنام ، كانت هانوي وكان ثوار الجنوب في حاجة الى مرحلة يستطيعون خلالها تدعيم مواقعهم وسد الثغرات في صفوفهم العسكرية . ووجدوا في اتفاقية باريس وسيلة لتحقيق ذلك . وكانوا موقنين ان اتفاق باريس ليس الا مرحلة من نضالهم الطويل ، وان موقف امريكا لن يختلف كثيرا عن موقفها من اتفاقية جنيف في عام ١٩٥٤ . واعتبر الثوار الاتفاقية مجرد مساومة تكتيكية تتضمن في نفس الوقت نجاحا استراتيجيا لهم .

وبدأت علامات الماطلة والارجاء بعد توقيع اتفاقية باريس مباشرة . فقد صرح هو اغ دو ك نها كبير مستشاري ثيو وابن اخيه ، بعد الاتفاق بخمسة ايام فقط بأنه لن تجري انتخابات مع الشيوعيين والحايدين ، طالما يوجد جندي فيتنامي شمالي واحد في فيتنام الجنوبية (٢٧) .

وبدأت حكومة ثيو عمليات عسكرية خرقا للاتفاق ، وبعد عام من الهدنة ، كانت سايجون قد استولت على ١٥ ٪ من الاراضي اكثر مما كانت تشرف عليه وقت توقيع اتفاقية باريس ، وقابل البيت الابيض ذلك بدهشة وغبطة ، فرحا بنجاح « فتنمة الحرب » (٢٤) وفي ابريل (نيسان) ١٩٧٤ ، قطعت حكومة سايجون المحادثات مع الحكومة الثورية الموقته حول مستقبل البلاد السياسي ، ثم امتنعت بعد شهرين من التعاون في اللجنة العسكرية التي نصت عليها الاتفاقية .

وغضت واشنطن الطرف عن خرق ثيو لاتفاقيات باريس ، بل ساعدته في ذلك ، واصمت اذنيها عن دعوات الحكومة الثورية الموقته وحكومة هانوي لها ، بتنفيذ التزاماتها بتطبيق الاتفاقية .

واستقال نيكسون وجاء فورد . ولم تتغير سياسة امريكا تجاه فيتنام . فقد كان كيسنجر منذ مارس (آذار) ١٩٧٤ هو المخطط والمنفذ الفعلي لسياسة امريكا الخارجية ، بعد تضعف مركز نيكسون بسبب فضيحة ووترغيت .

وحصلت حكومة ثيو من امريكا على معونة عسكرية واقتصادية بلغت حوالي ٤ مليارات من الدولارات خلال عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ (٢٥) . ورغم ذلك ، قال كيسنجر : « يمكن توجيه اللوم اليانا لاننا خفضنا مساعداتنا الى حد كبير خلال السنتين الماضيتين » (٢٦) . وحتى اليوم السابق على تحرير سايجون ، كان الامريكيون يرسلون الاعددة والذخائر لجيش ثيو (٢٧) . ولكن هذا لم يمنع الثوار من التقدم لتحرير سايجون لتحمل الاسم الخالد لاشرف اسم بين المناضلين في هذا العصر ، هو شي مينه ، او العم هو ، الذي تالق اسمه فوق « اعظم » هزيمة لحقت بامريكا في تاريخها ، وغفوق خيبة امهر قادتها العسكريين ، وفوق فشل عبقرية العزيز هنري وسياسته في الفتنمة ، ودبلوماسية في الماطلة ، وكسب الوقت ، التي كانت قمتها هي الوعود التي منحها نيكسون لثيو بتوجيه ضربة امريكية قاسية الى فيتنام الديمقراطية اذا هاجمه الثوار . وكان هذا هو السبب وراء تعنت ثيو ورفضه لتنفيذ اتفاقية باريس .

ولم يكن كيسنجر ليتصور ان كل امجاده التي بناها في باريس حول فيتنام ، وحصل

من أجلها على نصف جائزة نوبل للسلام ، ستضيق بهذه السرعة ، وتضيق معها وعوده لجمهورية فيتنام الديمقراطية بمساعدتها في إعادة البناء وتعمير ما ضربته الحرب ، فقد سعى كيسنجر لاستخدام المعونة الاقتصادية لاغراء فيتنام الديمقراطية بقبول الامر الواقع ، والقناعة بجنات السلام الأمريكي . وهو نفس المسعى الذي يقوم به لدى بعض عواصم الشرق الاوسط . فبعد توقيع اتفاقية باريس ، زار كيسنجر منطقة جنوب شرق آسيا ، وتوجه الى هانوي ، وناقش مع زعمائها تقديم المعونة لهم ، التي قدرت يومئذ بحوالي ٢٥ مليار دولار . واعلن كيسنجر ان إعادة البناء حافظ قوي للتطور السلمي في فيتنام (٢٨) . ولكن الذين ناضلوا من اجل الحرية والاستقلال ، ودفعوا في سبيلها اغلى ثمن من الارواح والضحايا ، لم يكونوا مستعدين لرهن الحرية والاستقلال مقابل مبالغ معدودة ، ملايين من الدولارات ، تكون حصان طروادة او مسمار جحا لمواصلة النفوذ الأمريكي في المنطقة .

وفي غمرة الضيق الذي اعترى كيسنجر لتحرير سايجون ، لم يمالك نفسه عن كشف وفضح اسلوبه في الاعتماد على المعونة الاقتصادية للحصول على مكاسب سياسية ، اذ اعلن ان أمريكا لن تقدم مساعدات لتعمير فيتنام الديمقراطية (٢٩) .

وكان ذلك كل ما استطاع كيسنجر ان يهدد به ، بعد أن ضاع منه الرهان على كسب الوقت ، اضاعه منه الفلاح الفيتنامي البسيط ، الذي اثبت انه مفاوض « شرس » لا تقل قدرته على المفاوضة عن كفاءته في ميدان القتال .

وبينما كان المواطن الفلسطيني يحيي تحرير سايجون رافعا شعار « اليوم فيتنام وغدا فلسطين » ، كانت صحف اسرائيل تقول ان تطور الاحداث في فيتنام لا يدانيه في خطورته سوى اجتياح النازي لاوروبا في اواخر الثلاثينيات . بينما تساءلت صحيفة « معاريف » عما اذا كانت الولايات المتحدة ستتعلم من اخطائها ، بحيث لا تحاول اضعاف اسرائيل خلال إعادة تقييم سياستها في الشرق الاوسط ، في الوقت الذي تمثل فيه اسرائيل الحليف الوحيد لأمريكا في المنطقة (٤٠) .

واذا كانت أمريكا مطالبة بأن تتعلم من اخطائها في فيتنام ، فغان القوى الوطنية والثورية العربية ملزمة بأن تستفيد من اخطاء أمريكا في فيتنام ، وملزمة بأن تتعلم الكثير من درس النضال الفيتنامي ، حتى على مائدة المفاوضات ، وفي مواجهة الساحر العزيز هنري !

سيناريو الماطلة الكيسنجرية في الشرق الاوسط : استهدفت دبلوماسية كيسنجر في فيتنام الوصول الى انقاذ أمريكا من ورطتها بواسطة سحب جيشها بشكل مشرف من ناحية ، وتدعيم حكم ثيو من ناحية اخرى حتى تكون هناك أكبر مسافة زمنية ممكنة بين الانسحاب الأمريكي وبين سقوط حكم ثيو ، بمعنى منع فيتنام الجنوبية من « الوقوع » في يد قوات جبهة التحرير لاطول مدى ممكن . وكانت هذه الاهداف هي دوافع الماطلة الكيسنجرية . وفي الشرق الاوسط ، اشرنا ، من قبل ، الى اهداف كيسنجر من محاولة كسب الوقت .

وسيفت الاشارة من قبل ايضا الى ان عجز أمريكا عن تحقيق نصر عسكري في فيتنام ، كان المحرك والدافع لسعيها الى تسوية المشكلة الفيتنامية . وهنا نتساءل ما هو هذا الدافع في الشرق الاوسط الذي حدا بكيسنجر على العمل لتسوية المشكلة ؟

على أي حال ، ورغم جزئية النصر العربي في حرب أكتوبر ( تشرين الاول ) الا أنه فاجأ كيسنجر ، واضطره الى ان يعدل — ولا يغير — في بعض تكتيكاته ، مع احتفاظه

بنفس الاهداف التي كان قد حددها لنفسه قبل ان تندلع شرارة الحرب ، التي اثبتت واكدت حقيقة معروفة من قبل ، وهي عجز اسرائيل بإمكاناتها وقدراتها الذاتية ومدعومة بأحدث الاسلحة الامريكية ، عن الصمود لحرب عربية طويلة المدى نسبيا .

وبناء على هذا ، عمل كيسنجر اولا على تهيئة الظروف التي تضمن لاسرائيل ان لا تلحق بها هزيمة عربية حاسمة ، وعمل ثانيا وفي نفس الوقت على تعطيل وارجاء أي حرب عربية - اسرائيلية قادمة ، وبنى كيسنجر ذلك على توقعه بأن أي حرب قادمة بين العرب واسرائيل ستقود في النهاية الى انسحاب اسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة يكون اقل ملاءمة لمطالب واحتياجات واهداف اسرائيل من شروط انسحاب معين نتيجة لحرب اكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٧٣ (٤١) .

وقد كشف كيسنجر في بعض تصريحاته عن هذا التصور . ففي اجتماع له مع سبعة من ابرز المثقفين اليهود الامريكيين قبل اول جولة له في عواصم الشرق الاوسط ، قال كيسنجر : « لا بد ان نعترف بان العرب هم المنتصرون في حرب اكتوبر ( تشرين الاول ) . ان اسرائيل قد كسبت الحرب تكتيكا ، ولكنها خسرتها استراتيجيا . . . ان العرب هم الذين سيكسبون اذا استمر الصراع ، وليس هذا فقط ، بل انهم كسبوا اكثر مما يدركون حتى الان ، والاسرائيليون لن يكسبوا من اي تأجيل للمفاوضات . . » وتحدث كيسنجر في هذا الاجتماع عن ضرورة دفع اسرائيل الى السلام مع العرب (٤٢) .

وقال كيسنجر ايضا : « ان اسرائيل بجميع ما تستطيع ان تعطيتها امريكا اياه من دعم ، اذا استمرت امريكا في عدائها مع العرب ، فأقصى ما تستطيع ان تطمح اليه هو أن تكون تايوان اخرى . اما اذا عدلت امريكا سياستها واستمالت العرب ولطفت من المطالب العربية ، عندئذ يصبح لاسرائيل قدرة على الوجود الطبيعي العادي في الشرق الاوسط » (٤٣) .

وبناء على حسابات كيسنجر لقوة العرب المتزايدة نصح اسرائيل بانه من الافضل لها « ان تنسحب نحو السلام - عندما تحين الفرصة المناسبة لذلك ، بدلا من المخاطرة » (٤٤) . وتبعاً لذلك تحرك كيسنجر ليكسب الوقت من اجل اتاحة الفرصة المناسبة لاسرائيل كي تنسحب نحو السلام ، مع اعطاء العرب « قليلا » من اجل تشجيعهم على الاستمرار في السياسة المعتدلة (٤٥) .

وقد جاءت كل تحركات كيسنجر وخطواته القصيرة منذ حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ لتضع هذا التصور موضع التطبيق ، بحيث كانت اسرائيل - وامريكا - هي الرايح الاول والمستفيد الاكبر - حتى الان - من كل انجازات كيسنجر في الشرق الاوسط ، التي تقود العرب على طريق الاعتراف بشرعية وجود اسرائيل - كما تبين التطورات الاخيرة - دونما اي التزام باعادة الاراضي العربية المحتلة ، فضلا عن الاعتراف بحقوق شعب فلسطين .

ولسنا في حاجة هنا الى رصد سيناريو التحركات الكيسنجرية بالكامل ، منذ حرب اكتوبر (تشرين الاول) حتى الان . فقد استغرقت عملية زحزحة اسرائيل عدة كيلومترات على قناة السويس وفي الجولان ، حوالي العامين . والله وحده هو الذي يستطيع ان يعرف متى ستتحرر جميع الاراضي العربية المحتلة اذا اتيح لكيسنجر البقاء في السلطة ومد من عمره حتى يتحقق هذا ! حتى تتم « التسوية النهائية قبل عودة المسيح المنتظر بقليل » على حد تعبير الزعيم الصهيوني المعروف ، ناصوم جولدمان .

والموقف من الشرق الاوسط الان يكاد يشابه ، في بعض ابعاده وجوانبه — الموقف في فيتنام ، قبل ان يشن الثوار هجومهم الاخير الذي انتهى بتحرير سايجون ، مع فارق اساسي هو ان العزيز كيسنجر لا يزال قادرا على اغراء الحاكمين العرب بالزيد من الانتظار ، واعطائه مهلة ثانية وثالثة ، مرة تحت ستار العمل على تزويج العناد الاسرائيلي ، او التذرع بالظروف الداخلية الامريكية ، ومرة اخرى بدعوى اعادة تقويم سياسة امريكا الخارجية (٤٦) ، ولم تنفذ بعد قدرات الامريكان على صك عبارات رنانة تكون ستارا لمزيد من التهدة ، والانتظار ، والسير على طريق السلام الامريكي في المنطقة ، وهو سلام اذا تحقق لن يعود بالفائدة الا على امريكا واسرائيل ، ولن يعود بالضرر الا على العرب ، سواء في ذلك من يسرون مع كيسنجر خطوة خطوة او ممن يرفضون كل خطوات كيسنجر .

ولا شك ان كيسنجر قد ربح اكثر من جولة في الشرق الاوسط . ويبدو انه سيربح جولات اخرى ، على طريق التهدة وتهيئة العرب لقبول الوجود الاسرائيلي ، والدوران في الفلك الامريكي .

هذا هو الواقع القائم اليوم . ولكن مسرح الاحداث في الشرق الاوسط مفتوح من القاع وعند القمة لكل الاحتمالات .

ولكن أرجح الاحتمالات الان ان تخرج عملية اعادة تقييم سياسة امريكا الخارجية ، ببعض احجار تقيها الى العرب ، مثل عدم تصدير اسلحة جديدة الى اسرائيل ، وتعليل ذلك ان اسرائيل اصبح لديها ما يكفيها من سلاح وذلك طبقا للجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الامريكي التي زارت المنطقة في هذا العام .

والراجح ايضا ، انه نتيجة للقاء فورد مع الرئيس السادات في سالزبورج ومع رايبين في واشنطن خلال شهر يونيو (حزيران) أن يتم استئناف نشاط كيسنجر ، ولكنه في هذه الحالة ، وحتى اجراء الانتخابات الامريكية لمنصب الرئاسة في العام القادم لن يحقق — اذا حقق — اكثر من فصل جديد للقوات في سيناء (٤٧) .

وربما لا تخرج عملية اعادة تقييم السياسة الامريكية الابعة وعود وكلمات رنانة وشعارات عن الحاجة الى سياسة متوازنة او منصفة وغير ذلك ، وحتى اشعار آخر ، بعد الانتخابات الامريكية ، فمن التقاليد الامريكية المعروفة انه لا تتخذ خطوة اساسية في مجال السياسة الخارجية في سنة الانتخابات . وهذا الاحتمال يصبح واردا بشكل اكبر من قبل رئيس غير منتخب ويسعى لترشيح نفسه ، ويواجه معارضة قوية من الكونجرس .

وعلى أي حال ، وأي كانت التطورات ، فان الشهور القادمة ستكون حاسمة بالفعل في تحديد مسار التطورات على المدى البعيد .

الحرفي ليس واردا . فلكل تجربة ، ومنطقة ، ظروفها الخاصة ، التي يجب ان تؤظم المبادئ العامة على ضوءها .

٢ — مجلة شبيجل الالمانية : الحرب التي خسرتها امريكا ، ١٤ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ . يجب القول منذ الان ان جميع الاشارات والانتقاسات الواردة في هذه الدراسة من الصحف الاجنبية ،

١ — برين كروزيير : الاستخدامات الاستراتيجية للحرب النووية ، نقلا عن : هانسون ابلدوين : استراتيجية للغد ، ترجمة الدكتور محمود خيري بنونه ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٣٠ . ليس معنى ذلك الدعوة الى نقل اساليب الكفاح الفيتنامي لتطبيقها في التجارب الاخرى ، الاستفادة واردا بالطبع . ولكن النقل

- قد اعتمدنا في ترجمتها على « جريدة الجرائد العالمية » التي تصدر في القاهرة عن الهيئة العامة للاستعلامات ، بوزارة الاعلام ، ومن أجل تجنب الإطالة لن أجيل الى ارقام جريدة الجرائد وتاريخ العدد الذي اقتبس منه ، وسأكتفي بتاريخ صدور الصحيفة او المجلة الاجنبية . وفي الحالات التي لم أعتد فيها على جريدة الجرائد ، سأذكر ذلك .
- ٢ - مزيد من التفاصيل ، انظر الدكتور جاسد عبدالله ربيع: سلاح البترول والمراع العربي - الاسرائيلي ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٤٠-٤٢ ، وقد بلور كيسنجر نفسه أسلوبه هذا ، فقال في الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٣ سبتمبر ( ايلول ) ١٩٧٤ : « ان فن المفاوضات هو تحديد اهداف يمكن تحقيقها ضمن وقت محدد ، وبلوغ هذه الاهداف بتصميم ، وكل خطوة الى الامام تعدل تصورا قديما ، وتوجد وضعا جديدا يحسن فرص الوصول الى تسوية شاملة . » ، نغلا عن « الحوار العربي - الامريكي منذ حرب تشرين ، دار النهار ، بيروت ، نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٧٤ ، ص ١٢٢ .
- ٣ - الدكتور سعد الدين ابراهيم : كيسنجر ، محفل لدراسة شخصيته واسلوبه ، قضايا عربية ، العدد ٧ ، نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٧٤ ، ص ٧١ .
- ٤ - انظر نشرة وكالة الانباء الفرنسية ( و ا ف ) في ٥ حزيران ( يونيو ) ١٩٧٥ ، حول تصريحات الدوائر السيامية في القدس عن التعهد المصري ، ثم قول الوكالة : « ان المراقبين يعتقدون ان الرئيس السادات قد اخذ هذا التعهد على نفسه ، ضمن تعهدات اخرى تجاه البيت الابيض » وأشارت الوكالة نفسها في اليوم نفسه الى ان روبرت نيسين المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية قد أعلن - ردا على الاسئلة الخاصة بأن « مصر أعطت اسرائيل ضمانا كتابيا ينص على السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور في قناة السويس » - أعلن ان مضمون بعض بنود اتفاقيات الفصل بين القوات التي وقعت في يناير ( كانون الثاني ) من العام الماضي لا يزال سريا . ( ومن المعروف ان متحدثا رسميا مضريا نفى
- ذلك ) .
- ٦ - كيسنجر : الابلحة النووية والسياسة الخارجية ، ص ٢٠١ ، نقلنا عن فرجينيا برودين ومارك سلدن : « السر المعروف ، مبدأ نيكسون وكيسنجر في آسيا » ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٢٧ .
- ٧ - المصدر نفسه .
- ٨ - فرجينيا برودين ومارك سلدن : السر المعروف ، مصدر سابق ، ص ٣١ .
- ٩ - الدكتور سعد الدين ابراهيم : كيسنجر ، مصدر سابق ، ص ٦٧-٦٩ .
- ١٠ - المصدر نفسه ، ص ٥٩ .
- ١١ - المصدر نفسه ، ص ٦١ .
- ١٢ - الدكتور حسين شريف : مفهوم السياسة الخارجية الامريكية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٩ .
- ١٣ - ادوارد شيهان : الحرب التي شنها السادات ، مجلة نيويورك تايمز ، ١٨ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٧٣ ، نقلنا عن مجلة « السياسة الدولية » السنة العاشرة ، العدد ٣٥ ، يناير ( كانون الثاني ) ١٩٧٤ ، ص ٢٢٢ .
- ١٤ - محمد حسين هيكل : حرب رمضان ، الاهرام ١٢ مايو ( مايو ) ١٩٧٥ ، وكان هيكل قد روى هذه القصة من قبل على صفحات الاهرام في مقال بعنوان « كيسنجر .. وانا » ، وكان ذلك بمناسبة الرد على بعض الصحفيين السلطويين المتوترين من هيكل ، والذين حاولوا ان ينالوا منه بانهامه بأنه يصور نفسه دائما في منصب الرجل الذي يقابل الزعماء ويتحدث الى المسؤولين ، ويعطي نفسه أكثر من قيمتها .
- ١٥ - المصدر نفسه .
- ١٦ - المصدر نفسه .
- ١٧ - الحوار العربي - الامريكي ، مصدر سابق ، ص ١٢٧ .
- ١٨ - هاتسوفيه : مناورات متواصلة يقوم بها كيسنجر ، ٤/٢٢/١٩٧٥ .
- ١٩ - سياسة الخطوة خطوة ليست وليدا شرعيا للدكتور كيسنجر ، انها أصلا سياسة امريكية ، عبر عنها مثلا الدكتور روجر فيشر استاذ القانون الدولي في جامعة هارفارد في كتابه « أعزائي الاسرائيليين أعزائي العرب » . انظر شفيق

- ١٩٧٢ ، ص ١٢١-١٢٢ .
- ٢٣ - مجلة شيبجل ( الألمانية ) ، ١٤/٤/١٩٧٥ .
- ٢٤ - المصدر نفسه .
- ٢٥ - مجلة شيبجل ، مصدر سابق .
- ٢٦ - كيسنجر في حديث صحفي إلى «الأكسبريس» الفرنسية ، نقل عن الأهرام ، ١٩٧٥/٤/٢٥ .
- ٢٧ - مركز التخطيط في منظمة التحرير الفلسطينية : فينتام رمز انتصار الإنسان ، السفير ، ١٩٧٥/٥/٢٢ .
- ٢٨ - عبد العزيز العجيزي : الصراع في فينتام بعد اتفاقية السلام ، مصدر سابق ، ص ١٣٩ .
- ٢٩ - الجمهورية ( القاهرة ) اول مايو ( أيار ) ١٩٧٥ .
- ٤٠ - الأهرام ، اول مايو ( أيار ) ١٩٧٥ .
- ٤١ - صبر عن هذه الحقيقة - الكاتب الاسرائيلي دافيد شوحام في « ديبعوت أرونوت » بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢١ فقال : « اذا انتظرنا أربع سنوات أخرى ، سيكون المقابل الذي نحصل عليه أصغر من الذي نحصل عليه الآن » ، انظر فلسطين الثورة ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٣ ، ١٨ مايو ( أيار ) ١٩٧٥ ، ص ٢١ . ويجب ان نلاحظ ان كيسنجر بنى حساباته على أساس وقوع حرب ، وليس على مجرد الانتظار كما يرى شوحام !
- ٤٢ - أيمن الأمير : كيسنجر في مواجهة أصعب تحديات تاريخه السياسي ، الأهرام ، ١٤/٣/١٩٧٥ .
- ٤٣ - الدكتور فايز صايغ في ندوة عن « السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية » ، شؤون فلسطينية ، العدد ٣٧ ، سبتمبر ( أيلول ) ١٩٧٤ ، ص ٣٠ .
- ٤٤ - معارف ، ١٩٧٥/٢/٢١ ، نقل عن « قضايا اسرائيلية » ، السنة الثانية ، العدد ١٢ ، ١٩٧٥/٢/٦ ، ص ١٥٣ .
- ٤٥ - الدكتور فايز صايغ ، مصدر سابق .
- ٤٦ - إعادة تقويم السياسة الخارجية ، مطلب : ليس حديثاً في أمريكا ، فقد تردد منذ سنوات ، وبالذات في أعقاب اغتيال كينيدي ، والفشل في خليج الخنازير من قبل ، ثم التدخل في فينتام . وبالنسبة للوطن العربي ، انظر على سبيل المثال ، جون بادر : الموقف الأمريكي تجاه العالم

- الاسدي : « ماذا بعد فشل سياسة الخطوة خطوة ؟ » ، صوت فلسطين ، السنة السابعة ، العدد ٨٨ ، أيار ( مايو ) ١٩٧٥ ، ص ٢٤ ، وانظر ايضاً :
- Reisman, The art of possible, the diplomatic alternatives in the Middle East, 1970.
- ٢٠ - انظر وجهة نظر قريبة من ذلك : Alistair Buchan: The Irony of Henry Kissinger. International Affairs (London), Vol. 50, No. 3, July 1974, p. 378-379.
- ٢١ - جون ريداواي : برنامج سلام جديد للشرق الاوسط ، الجارديان ، ١٩٧٥/٤/٢٥ .
- ٢٢ - المصدر نفسه .
- ٢٣ - ديبعوت أرونوت ، ١٩٧٥/٢/٧ ، نقلًا عن قضايا اسرائيلية ، السنة الثانية ، العدد ١١ ، ٢٠ فبراير ( شباط ) ١٩٧٥ ، ص ١١٢ .
- ٢٤ - صحيفة « نهان دان » الفيتنامية ، نقلًا عن وكالات الأنباء في ١٩٧٥/٣/٢٤ ، وقد أطلقت الصحيفة على دبلوماسية كيسنجر « دبلوماسية الفترة » . ولا ينبغيك مثل عليم .
- ٢٥ - نقلًا عن ميشيل كامل : خلة « التتارب المتوازن » بين العرب واسرائيل ، السفير ، ١٩٧٥/٥/٢٠ .
- ٢٦ - محمد حسنين هيكل : حرب رمضان ، الأهرام ، ١٩٧٥/٥/١٢ .
- ٢٧ - ميشيل كيلو : « نقاش حول دروس فينتام » ، صوت فلسطين ، مصدر سابق ، ص ٢٢ .
- ٢٨ - الدكتور حسين شريف : مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية ، مصدر سابق ، ص ٨٨ .
- ٢٩ - عبد العزيز العجيزي : التسوية السياسية والتسوية العسكرية لحرب فينتام ، السياسة الدولية ، السنة التاسعة ، العدد ٣١ ، يناير ( كانون الثاني ) ١٩٧٢ ، ص ١١٢ - ١١٣ .
- ٣٠ - Trinh Dinh Thao: The Paris Agreement is Two Years Old. South Viet Nam (Central Organ of N.F.L.), 9th year, No. 285, 27 Jan. 1975, p. 4.
- ٣١ - الأكسبريس ( الفرنسية ) ١٣/٧ أبريل ( نيسان ) ١٩٧٥ .
- ٣٢ - عبد العزيز العجيزي : الصراع السياسي في فينتام بعد اتفاقية السلام ، السياسة الدولية ، السنة التاسعة ، العدد ٣٢ ، أبريل ( نيسان )

سقطشاً على طول القناة ، من الممكن ان تضمن  
 الامن في المنطقة ، وسوف تعمل على اقرار  
 هدنة في شكل سلام دائم » . ديتو فرسكوبالدي :  
 « الامة العربية الجديدة ... تعبر السويس » ،  
 كوريرا ديلا سيريا ( ايطالية ) ، ١٩٧٥/٥/٩ ،  
 وقد ردد موثي ديان تصريحاً مشابهاً لذلك فقال :  
 « ان قناة السويس مفتوحة امام الحركة المدنية ،  
 كما ان مدن القناة المكتظة بالسكان ، امر هام  
 للغاية لامن اسرائيل ، لانه يشكل دعماً أقوى  
 من خط بارليف » ، هارتس ، ١٩٧٥/٥/٢١ .

العربي ، الهيئة العامة للاستعلامات ، وزارة  
 الارشاد القومي ( الاعلام حالياً ) ، سلسلة كتب  
 مترجمة رقم ٦٩٢ ، القاهرة ، بدون تاريخ خاصة  
 الفصل الاخير الذي يدعو فيه صراحة الى الحاجة  
 الى سياسة متوازنة بين العرب واسرائيل .  
 ٤٧ - جتى هذا الاحتمال ، يبدو انه لم يعد واردا  
 في تفكير كيسنجر الذي يعتبر ان كل شيء هاديء  
 الان على ضفاف القناة ، فقد نسب اليه انه  
 قال خلال مهمته الاخيرة في مارس ( آذار )  
 ١٩٧٥ « ان المدن والمنشآت المصرية التي

صدر حديثاً عن مركز الابحاث

كتاب

كفاح الشعب الفلسطيني

قبل العام ١٩٤٨

بقلم

عبد القادر ياسين

سعر النسخة ٣ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد  
 اطلب نسختك من : مركز الابحاث ، قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ - بيروت

## المقاومة واستراتيجية التمزيق النفسي

عبد الرحيم غنيم

الاستراتيجية كما يعرفها الجنرال سوكلوفسكي « أسلوب للمعرفة النظرية يهتم بقوانين الحرب كصراع مسلح من أجل مصالح طبقة معينة ، وعلى أساس مستمد من الخبرة العسكرية والظروف السياسية والعسكرية والإمكانات الاقتصادية والمعنوية ، والأساليب الجديدة لإدارة الحرب ، ووجهات نظر العدو المنتظر » (١) . فهي إذن تتطلب شمولية في الحسابات التي تضم الخبرة والظروف والإمكانات والأساليب والاحتمالات ، كل ذلك في نطاق ما أسماه أندريه بوغر بـ « فن حوار القوى » أو « فن حوار الإرادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها » (٢) أو ما أسماه ترونغ شين بـ « فن قيادة الحرب إلى النصر » (٣) .

من الواضح في ضوء هذا التعريف أن دور العامل النفسي « المعنوي » هو دور جزئي ، ولا يستطیع بالتاكيد النهوض وحده كأداة لقيادة الحرب إلى النصر . وهذا طبيعي ، إذ أن عامل التأثير النفسي إنما يستمد أهميته في الحرب من القوى المادية التي يستند إليها . كما أن أهميته تقاس بمدى ما يترتب عليه من تأثير مادي .

إلا أن هناك فرضية نستطيع أن ندير حولها الجدل بصدد الصراع العربي — الصهيوني بالذات وهي أن عنصر التأثير النفسي يمكن أن يرتقي في هذا الصراع من مستوى أداء دور العامل المساعد إلى مستوى العنصر ذا التأثير الاستراتيجي الحاسم . وأن ارتفاعه إلى هذا المستوى يتوقف على شرط رئيسي — بالإضافة إلى المستلزمات الضرورية لإدارة الحرب النفسية — وهو توافر طاقة الدفاع والردع العربية . وثابت هذه الفرضية ، من شأنه أن يقود إلى استنتاجات بالغة الأهمية فيما يتعلق بالدور العسكري والسياسي للمقاومة الفلسطينية ، والإبعاد الخاصة لتجربتها النضالية، ودورها في نطاق الاستراتيجية العربية الشاملة للتحرير . فدورها في الصراع لن يحسب في مثل هذه الحالة على أساس قياس تطور ميزان القوى الفعلي في الصراع، وفق الحسابات المعتادة للقوى والوسائل وفن إدارة الحرب ، وإنما سيحسب على أساس مدى قدرتها على اغراق العدو في دوامة التمزيق النفسي ، والنتائج المادية لذلك .

إن الأساس الذي تعتمد هذه الفرضية عليه هو حجم تأثير العامل النفسي في إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين واستمراره . فالكيان الصهيوني « إسرائيل » هو نتاج للايديولوجيا الصهيونية (فكرًا وحركة) ، وقد اعتمدت الايديولوجيا الصهيونية على مرتكزات أساسية ثلاثة هي : وهم القومية اليهودية ، ودعوى اضطهاد السامية ، والنظرة اليهودية النفعية ، كعناصر متكاملة فكرية ونفسية ومادية ، تبرر الاغتصاب لاقامة « الوطن القومي اليهودي » الذي يكون ملجأً آمنًا لليهود وقاعدة استثمار أمبريالي وتوسع اقليمي (٤) .

إن استمرار ممارسة الايديولوجيا الصهيونية لدورها الذي تفترضه تلقائية التأثير

السابق الاشارة اليها ، يتطلب شرطا أساسيا ، هو استمرار التفوق الصهيوني المطلق على العرب ، بما يكفل بقاء اسرائيل التي تعيش في حالة توتر تجسيدا أكيدا موثوقا من قدرته على البقاء لوهم القوميه اليهوديه وملجا امنا أكيدا لليهود وقاعدة استيطان وتوسع وتغلغل اقتصادي قاذرة على اداء دورها في خدمة الامبريالية . فاذا خسرت اسرائيل حالة التفوق ، واصبحت عبئا بدلا من ان تكون مغنما ، تهاوت ميكانيكية العمل والفكر الصهيونيين ، ودخلت الصهيونية حتما مجال الانهيار .

ومطالعة صورة الوضع الذي خلفته حرب تشرين التحريرية ، تؤكد ان الصهيونية قد دخلت بالفعل مرحلة الجزر بعد المد ، مرحلة النكوص بعد الاندفاع . ان عامل « التوتر الامني » الذي كان عنصر توحيد وحشد لليهود بمواجهة العرب والعالم في ظروف التفوق الاسرائيلي على العرب ، قد تغير مدلوله اثر حرب تشرين ، وبعد اختلال توازن القوى في المنطقه لصالح العرب ، فاصبح ارضيه قلق واسسع يغمر التجمع الاسرائيلي والحركة الصهيونيه . وتقدم لنا المصادر الصهيونية ذاتها تأكيدا لهذه الحقيقة . ففي دراسة اجراها معهد الابحاث الاجتماعية للتطبيقات العملية بالاشترار مع معهد العلاقات في الجامعة العبرية تبين ان ٨٦٪ من الاسرائيليين قلقون من الوضع الامني و٨١٪ قلقون من الوضع الاقتصادي و٨٢٪ قلقون من الوضع السياسي .

فما هي التأثيرات المادية لحالة القلق هذه ، التي هي من نتاج حرب تشرين وشكل تطور العمل الفدائي في الفترة التي أعقبتها ؟ ان دراسة التأثيرات المادية لحالة القلق هذه ومقارنتها بالنتائج المباشرة للمعارك العسكرية من شأنها ان توضح الاهمية البالغة لعامل التأثير النفسي في حربنا مع العدو .

والحقيقة ان التأثيرات المادية لحالة القلق الناتجة عن استمرار التوتر الامني في ظروف غير ملائمة لاسرائيل هي من الاهمية والخطورة ، لدرجة دفعت العدو الى وضع التجمع الاسرائيلي برمته على مائدة التحليل النفسي في مؤتمر عالمي للتحليل النفسي عقد في كانون الاول ١٩٧٤ في هلتون تل ابيب ، وحضره ثلاثة آلاف عالم ومحلل نفسي من مختلف انحاء العالم . وقد خرج ذلك المؤتمر باستنتاجات بالغة الخطورة حول واقع اسرائيل الراهن .

فجالة القلق الناجمة عن التوتر الامني في ظروف غير ملائمة لاسرائيل ، قادت الى حدوث تأثيرات بالغة الخطورة سواء على الايديولوجيا الصهيونية ، او الوضع السياسي ، او الوضع الاقتصادي ، او الوضع الاجتماعي ، بالإضافة الى بروز امراض نفسية خطيرة يعاني منها التجمع الاسرائيلي . وسنحاول في هذه الدراسة استعراض أبرز ملامح الصورة باختصار .

**بدء انحلال الايديولوجيا الصهيونية :** لقد كانت النتيجة المباشرة ، والاكثر اهمية ، لاصطدام الصهاينة بطاقة الدفاع والردع العربية ، وشعورهم بإمكانية او بحتمة انهيار الحلم الصهيوني ، هي بدء انهيار الايديولوجيا الصهيونية التي تجعل من عملية تجسيد هذا الحلم محورا لها . وكان لهذا الوضع انعكاساته المادية الهامة سواء داخل التجمع الاسرائيلي او في الاوساط اليهودية في العالم ، او في طبيعة العلاقة بين التجمع الاسرائيلي ويهود العالم .

ويمكننا تلخيص أبرز هذه الانعكاسات في الامور التالية :

١ - كان رد الفعل داخل التجمع الاسرائيلي ازاء المأزق الايديولوجي هو الميل نحو التطرف باتجاهين : اتجاه يميني يحاول انقاذ الصهيونية من الانهيار واتجاه يساري

او يميل نحو اليسار ويؤثر البحث عن محرج بعيدا عن الايديولوجيا الصهيونية ذاتها . وقد زاد ثقل كلا الاتجاهين في التجمع الاسرائيلي بينما ضعفت القوى الصهيونية التي تتظاهر بالاعتدال . وكان الامر أكثر اهمية في نطاق هذه الظاهرة تصدع بعض القوى التي تقف أساسا ضد الصهيونية او وجدت نفسها تخرج على الصهيونية باستعدادها للاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية وبلورة موقف يهودي عربي مشترك ضد الصهيونية ( مثلا الفهود السود وطائفة ناطوري كارنا ) ، وهو الموقف الذي يشكل بادرة تشير إلى امكانية حدوث انشقاقات في التجمع الاسرائيلي .

فاذا عرفنا ان الوضع الذي كان قائما في السابق هو ضمان القيادة الصهيونية لاستمرار تلاحم التجمع الاسرائيلي بمواجهة العرب وارغامه على تجميد تناقضاته الداخلية تحت تأثير دائرة الخوف والعنف في ظروف التوتر المستند الى جدار التفوق الاسرائيلي ، أصبح واضحا أن كسر جدار هذا التلاحم وجعل التناقضات الداخلية تمارس دورها ، انما تم نتيجة استمرار التوتر في ظل القلق الاسرائيلي ، حيث لم تعد الصهيونية هي الملاذ الذي يحتمي به الجميع .

٢ - ان الاثر المادي المباشر ، والذي يعود الى حد كبير لبدء انحلال الايديولوجيا الصهيونية داخل التجمع الاسرائيلي ، هو ازدياد حجم الهجرة العكسية ازديادا كبيرا بعد حرب تشرين ، واستمرار نمو هذه الظاهرة حتى الان . وقد تجاوز عدد اليهود الذين غادروا فلسطين المحتلة عام ١٩٧٤ العشرين الف شخص . وقد وصف تسموكي رئيس المجلس الصهيوني ، الهجرة العكسية بأنها « هروب من الجبهة » (٥) .

٣ - تعترف المصادر الصهيونية صراحة ببدء تخلي يهود العالم عن « التجمع الاسرائيلي » والصهيونية . ومن أمثلة ذلك قول مدير عام قسم الثقافة والتربية المهجري في الوكالة اليهودية بأن هناك ميلا من جانب بعض اليهود لتجاهل دولة اسرائيل بعد أن أصبحوا ينظرون اليها كعامل عرقلة يسيء الى هدوئهم وتطورهم ونموهم (٦) .

ويعترف دافيد فيتال ، استاذ العلوم السياسية في جامعة حيفا ، ان التطورات التي حدثت بعد حرب تشرين أدت الى نشوب خطر الانقسام بين اسرائيل واليهود في « المهجر » ، وان الشكوك حول قدرة الحكومة الاسرائيلية وشعبها على ان يشق طريقهما عبر الارضات الحالية واللاحقة تقود الى قبول يهود المهجر بحقيقة ان السبب الاساسي لليهودية الحديثة ( يقصد الصهيونية ) هي اسرائيل التي تشكل سلامتها الاهتمام الاول [ ومن ثم ما جدوى الصهيونية ازاء الشعور باستحالة بقاء اسرائيل ؟ - التعقيب من الكاتب ] . ويضيف فيتال ان التكاليف السياسية والاقتصادية والاجتماعية للتعاطف مع اسرائيل تتفاقم الى حد بعيد . والمواقف المضادة لاسرائيل التي يتخذها العرب قد تستميل حلفاء في مجالات اقتصادية بعيدة التنافس حيث يشترك بها كثيرون من يهود الغرب . وفي نفس الوقت فان اعتماد اسرائيل الحتمي على الوسائل العسكرية يخلق مصاعب لغالبية يهود المهجر الذين يعيشون في بلدان يبدو فيها كل شيء عسكري مستهجنا بنظرهم (٧) .

أما الآن س . براون غلد فيقول انه لم يعد هناك ناطق صهيوني باستطاعته اعطاء صورة تظهر اتحادا للمجتمع اليهودي المؤيد للصهيونية في امريكا (٨) .

ويعترف الدكتور حايبم شاميل ، مدير قسم دراسة التوراة في الوكالة اليهودية ، ان سحر اسرائيل قد اختفى بالنسبة لمعظم اليهود في العالم ، وأنه وجد تناقضا بين اليهود في اعترافهم بما أسماه الشخصية اليهودية ( يقصد وهم القومية اليهودية ) .

وان هؤلاء يشعرون بأن اسرائيل أصبحت حملاً ثقيلاً على اكتافهم ، ومضايقة ، وتدخلوا مستمرا في حياتهم وافكارهم . ويضيف ان عملية فقدان السحر بدأت بعد حرب تشرين ، لان اليهود لاحظوا انه يمكن حتى لاسرائيل ان ترتكب الاخطاء(٩) .

٤ - كانت النتيجة المادية المنطقية لانحسار الايديولوجيا الصهيونية بين يهود العالم ، هي انخفاض الهجرة اليهودية الى فلسطين انخفاضاً كبيراً . فقد انخفضت عام ١٩٧٤ بنسبة ٤٦ ٪ بالقياس الى عام ١٩٧٣ ، حيث بلغ عدد المهاجرين ٣٢،٢٠٠ مهاجر(١٠) . وقد حدد بنحاس سابير المضاعب الفعلية التي تعرقل الهجرة الى فلسطين المحتلة بالتوتر الامني والركود الاقتصادي(١١) ، اما شلومو روزين ، وزير الاستيعاب ، فقال ان خطر تجدد الحرب في المنطقة ، والوضع الاقتصادي القائم ، والوضع الدفاعي ، والوضع المعنوي ، كل هذه الامور تؤثر على الهجرة تأثيراً سلبياً(١٢) . وحدد بنحاس سابير مغزى انخفاض الهجرة واحتمال توقفها كلياً ، بقوله « ان لم تحدث هجرة لن تكون هناك حياة للدولة »(١٣) .

٥ - كما كان من نتائج بدء انحلال الايديولوجيا الصهيونية ، انخفاض حجم الجباية اليهودية لاسرائيل ، حيث انخفض دخل الجباية عام ١٩٧٤ الى حوالي النصف عما كان متوقعا(١٤) واضطرت الوكالة اليهودية بسبب ذلك الى تخفيض ميزانيتها الى ٥٨٠ مليون دولار بدلا عن ٧١٠ ملايين دولار(١٥) .

بالطبع يشارك الوضع العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي في ظروف القلق الناجم عن التوتر الامني بعد حرب تشرين في انخفاض جمعي كل من الهجرة والجباية وازدياد الهجرة العكسية كمظاهر مادية للتخلل الايديولوجي . ومن الصعب في الواقع الفصل المطلق بين العلاقة العضوية لجملة المؤثرات وتكافلها في التأثير ، ونحن نعتمد في دراستنا هذه على عنصر الترجيح في تحديد مكان كل ظاهرة من الدراسات دون اغفال عنصر التشابك في المؤثرات .

**الاضطراب السياسي :** يمكن تلخيص أبرز مظاهر الاضطراب السياسي الناجم عن سيادة حالة القلق نتيجة للتوتر الامني في ظروف غير ملائمة لاسرائيل ، في النقاط الانسانية التالية :

١ - الميل نحو التطرف وتأثيره على الحزب الحاكم ( حزب العمل ) من جهة وعلى التماسك الداخلي للتجمع الاسرائيلي من جهة ثانية . وقد رأينا كيف ان الميل نحو التطرف قاد الى النتائج التالية : سقوط الزعامات التاريخية لحزب العمل الحاكم ، سقوط أسهم حزب العمل جزئياً في انتخابات الكنيست واضطراره لتشكيل حكومة ائتلاف بأغلبية ضئيلة جداً ، تعرض حزب العمل للانقسام ، تعزيز مواقع كتلة ليكود اليمينية المتطرفة في الكنيست ، تعزيز مواقع القوى اليسارية والقوى المعادية للصهيونية .

٢ - صعوبة اتخاذ القرار السياسي بسبب ضعف الحكومة ، وازدياد قوة المعارضة .

٣ - ازدياد الاعتماد على الولايات المتحدة الامريكية بشكل يكاد يكون مطلقاً .

٤ - العجز عن اختراق جدار العزلة المحيط بـاسرائيل على الصعيد الدولي .

**الاضطراب الاقتصادي :** مع ان الازمة الاقتصادية التي يعاني منها العدو في الطرف الراهن هي من نتاج خسائره في حرب تشرين ، ومحاولات اعادة بناء مؤسساته العسكرية ، الا اننا سنركز انتباهنا في نطاق هذه الدراسة على النتائج المادية المترتبة على حالة القلق الناجمة عن التوتر الامني . وأبرز هذه النتائج هي :

١ - انخفاض الاستثمارات : وتعترف مصادر العدو انه بعد حرب تشرين ، انخفضت اهمية عملية جذب المستثمرين الاجانب(١٦) بمعنى أنها لم تعد مجدية . وقد ذكرت هذه المصادر ان تقريراً حكومياً داخلياً يسجل ان سياسة الحكومة الاسرائيلية لتشجيع الاستثمارات قد اُفلست ولم تحقق أي هدف من أهدافها(١٧) . وقد ذكر مارك موشفيتس ، رئيس لجنة التنسيق بين المنظمات الاقتصادية ان استثمارات رجال الاعمال الاجانب في فلسطين المحتلة توقفت كلياً خلال الفترة الاخيرة ، واعترف بأن ذلك ناجم عن قلة الأرباح ، والاعتبارات الامنية ، والخوف من القوة المالية العربية(١٨) . وقد اعلن في فلسطين المحتلة مؤخراً ان الاستثمارات الأمريكية في الصناعة الاسرائيلية قد انخفضت عام ١٩٧٤ بنسبة ٧٠٪ عما كانت عليه عام ١٩٧٣ ، اذ لم تزد هذه الاستثمارات عن ٤٥ مليون دولار مقابل ١٥٢ مليون دولار في عام ١٩٧٣ .

والنتيجة المباشرة لانخفاض الاستثمارات ، عدا عن سيادة حال الجمود الاقتصادي وكأحدى نتائجه ، هي حالة البطالة بما تنطوي عليه من مخاطر بالغة . وقد توقعت مصادر العدو ان يصل عدد العمال العاطلين عن العمل عام ١٩٧٥ الى ٦٤ الف عامل أي ضعف عدد العاطلين عن العمل لعام ١٩٧٤(١٩) . وتضمن تقرير الميزانية توقعاً بأن يصل عدد العاطلين عن العمل الى ٥٧ الف عامل(٢٠) .

٢ - انخفاض الحركة السياحية : تؤثر حالة التوتر الأمني على السياحة تأثيراً سلبياً . وقد انخفضت السياحة في عام ١٩٧٤ بنسبة ٦٪ عما كانت عليه عام ١٩٧٣ ، ويتوقع لها انخفاض أكبر بكثير في عام ١٩٧٥ الحالي ، حيث وصلت نسبة الانخفاض في الشهرين الاولين الى ١٧٪(٢١) وقد اعترف موشيه كول ، وزير السياحة الصهيوني ، بتأثير الوضع الأمني المضطرب ، واحتمالات تجدد الحرب ، على حجم الحركة السياحية الى فلسطين المحتلة(٢٢) . والجدير بالذكر ان السياحة تشكل أحد المصادر الأساسية لدخل العدو من العملات الصعبة .

٣ - حوادث العمل : ان احدى النتائج البالغة الخطورة لحالة القلق النفسي هي حوادث العمل وحوادث الطرق . وهي تعود الى خسائر مادية وبشرية كبيرة . ولا تتوفر في الوقت الراهن احصاءات رقمية لعدد حوادث العمل والخسائر الناجمة عنها في الفترة التي أعقبت حرب تشرين . وان كان من المؤكد ان هذه الخسائر كبيرة .

٤ - انخفاض الانتاج : يؤثر التوتر الأمني تأثيراً مباشراً على انتاجية العمل ، وخاصة في مناطق الحدود . فهو يقود الى نقص الايدي العاملة في بعض المناطق ، واهمال العمل في مناطق اخرى . كما ان صعوبة توفير الحماية من العمليات الفدائية تقود الى توقف برامج العمل في بعض الاحيان . وكنموذج على ذلك نشر الى تعثر تجديد برنامج الطلبة الثانويين في قطاف الحمضيات في العام الحالي ، وعدم تنفيذه بسبب المشاكل المترتبة على عدم إمكانية توفير الحماية لهم في الحقول . وكان البرنامج قد نص على تنفيذ ١٠٠ يوم عمل في الحقول على شكل دورات ندوم الواحدة منها اسبوعين ويشترك فيها ١٢ - ١٣ الف طالب . الا ان الخوف من العمليات الفدائية وعدم القدرة على تأمين حراسة كافية حال دون ذلك(٢٣) .

وبالطبع فاننا يجب ان نضيف الى المظاهر التالية تأثير حالة التوتر الأمني على توزيع بنود الميزانية وانخفاض حصة التنمية فيها لصالح النفقات العسكرية .

**الاضطراب الاجتماعي :** يتخذ الاضطراب الاجتماعي الناجم عن التوتر الأمني الذي يعاني منه العدو الصهيوني مظاهر شتى يمكن تحديد أبرزها كما يلي : ١ - الانحلال الاخلاقي . ٢ - نمو ظاهرة العنف . ٣ - انتشار الأمراض النفسية .

ونبدأ بظاهرة الانحلال الأخلاقي . تتمثل أبرز هذه المظاهر في ازدياد الأقبال على تعاطي المخدرات ، وازدياد ظاهرة قبول الرشوة في الجهاز الإداري . ولا تتوافر احصاءات رقمية شاملة حول ظاهرة الرشوة ، وان كانت صحف العدو تعج بالانباء والتحقيقات الصحفية حول هاتين الظاهرتين . أما أدمان المخدرات ، فتقول مصادر وزارة الصحة الصهيونية ان ٤٠ الف اسرائيلي يحاولون الآن او حاولوا في الماضي استعمال مادة الحشيش . وان ٣٠ ٪ من هؤلاء مدمنون على هذه المادة . وقد انتقل تسمم منهم الى استعمال المواد الاكثر خطورة كالكافيين والحبوب المنومة ، وان ٥ ٪ من طلبة المدارس الثانوية قد استعمالوا المواد المخدرة . وان الجيل الحساس لمسألة المخدرات في الوقت الحاضر يتراوح بين ١٥ - ١٦ عاما ، كما انه اكتشف مؤخرا ولد في التاسعة من عمره وهو يتعاطى المخدرات (٢٤) .

ومن المؤكد ان ارقام وزارة الصحة الصهيونية بصدد هذه الظاهرة تظل اقل من الحقيقة نظرا لان تعاطي المخدرات يتم بسرية .

ولا تخفى مخاطر ظواهر الانحلال الاخلاقي على التجمع الاسرائيلي وعلى أي مجتمع آخر في العالم يبتلى بانتشار مثل هذه الظواهر . وقد ضاعف من مخاطر مثل هذه الظواهر المرضية بروز ظاهرة العنف التي تنتشر على نطاق واسع . وهذه الظاهرة هي في الواقع اخطر ما يجابه التجمع الصهيوني ، بحكم التربية الصهيونية اولا ، وبحكم التركيب العنصري للتجمع الاسرائيلي ثانيا . وبحكم الواقع الطبقي المسيطر على هذا التجمع ثالثا .

التربية الصهيونية استهدفت غرس الرغبة في العنف بين المستوطنين اليهود ، على ان يوجهوا هذا العنف باتجاه العدو الخارجي (العرب) . وعودتهم من خلال سياستها العدوانية التوسعية على ان يمارسوا عملية التنفيس عن هذه الرغبة في العنف من خلال الاعتداء على العرب . لكن الغنل في مواجهة العرب ، وبشيء شعور الصهاينة بالتوتر والقلق ، وطبيعة اوضاع الاقتصاد والاجتماعي في التجمع الاسرائيلي (اضطهاد طبقي وتمييز عنصري) جعل هذه الرغبة في ممارسة العنف تتحول الى مظاهر من السلوك الفردي المغامر العنيف الخشن الذي يميل الى الحصول على ما يريغ عن طريق الابتزاز .

وهكذا أخذت الصحف الصهيونية تصدر يوميا وهي مشحونة بانباء حوادث القتل والسرقة والجريمة كمظاهر للعنف . وقد سجل تقرير المؤتمر العالمي للتحليل النفسي ان اسرائيل تضم أكبر نسبة من المصابين بالقلق والعصبية والمشاكسين والاشخاص الذين يعملون ليومهم فقط . وتقول مصادر العدو ان ظاهرة العنف ليست جديدة على جو المدن في « اسرائيل » ، ولها جوانب عديدة ، ولكنها تفاقمت في الفترة الاخيرة ، وتزايدت كثيرا حركة الخاوة والبلطجة ، أي ابتزاز أجور مقابل حماية ، وان هذه الظاهرة تدل على الجريمة المنظمة وشبه المنظمة (٢٥) . واتسكال هذه الظاهرة هي القتل والاعتداء والسطو المسلح والابتزاز وفضاظة السلوك ، هذه كلها مظاهر للعنف في التجمع الاسرائيلي . ولا غرابة ان نجد الكثير من مقترفي جرائم العنف هم من الجنود الفارين . وكانت أبرز تطورات ظاهرة العنف الجماعي هي اللجوء الى القتل الجماعي دون ادنى اكتراث ، كما حدث حين القى جندي فار قنبلة يدوية على ملهى ليلي مما ادى الى مقتل اربعة اشخاص واصابة أكثر من ثلاثين بجراح . وكما حدث في عمليات عنف

وقتل مماثلة في بتاح تكفا والقدس وايلات وغيرها ، وهي الحوادث التي جعلت اصحاب الملاهي الليلية المرتعدين خوفا يميلون الى اغلاقها .

والنماذج النفسية وراء جرائم العنف متعددة : — مرتكب جريمة ناتانيا من العناصر العريقة في الجريمة وكان ينتمي الى عصابات العالم السفلي قبل ان يستدعى الى الخدمة العسكرية، — مرتكب جريمة بتاح تكفا أطلق النار على زملائه فقتل ثلاثة وجرح حارسا حاول التدخل ، وقيل انه فعل ذلك في نوبة جنون (٢٦)، — الجندي الذي كاد يلقي قنبلة يدوية في مطعم بورتوريكو في ناتانيا كان قد هرب من سجن عسكري وسرق من وحدته في الشمال رشيشا وقنبلة يدوية وسيارة واتجه نحو ايلات ، واحتسى في مطعم بورتوريكو عدة زجاجات من البيرة وبعد ذلك شمر القنبلة اليدوية وفتح عتلة الأمان وهدد بقذفها بدافع اليأس واستمر متحكما باعصاب الحضور المنهارة لمدة ساعة كاملة الى أن تمكن قائد الشرطة من انتزاع القنبلة منه (٢٧) . وفي مستشفى بيت ليفنستين اتخذت ظاهرة العنف الذي يمارسه الجنود الجرحى شكل الظاهرة الجماعية الى حد ما مما اضطر ممرضات المستشفى الى الاضراب احتجاجا على اعمال العنف والغوغائية التي يمارسها الجنود الجرحى العاجزين الخاضعين للعلاج . اذ لم يقتصر سلوك هؤلاء على تهديد الممرضات بالضرب فحسب ، بل اخذوا يحطمون الاثاث والمفروشات خالقين موجة من الارهاب في المستشفى (٢٨) .

فمظاهر العنف هذه لا تدل على مجتمع سوي ، وانما تشير الى تفشي الامراض النفسية على نطاق واسع .

وحوادث الطرق هي واحدة من حصاد الخشونة التي اصبحت تميز السلوك العام ، وحالة الشرود الذهني المسيطرة على السائقين والمشاة . فقد سجلت في الكيان الصهيوني عام ١٩٧٤ — كما أعلنت مصادر العدو — ٦٨٠ الف مخالفة سير . ويعترف العقيد ابراهيم ترجمان ، رئيس مصلحة السير ، ان ٨٠ ٪ من حوادث الطرق كانت نتيجة للناحية النفسية التي نجمت عن التوتر الامني (٢٩) . وكانت خسائر العدو في حوادث الطرق عام ١٩٧٤ هي ٧٢٤ قتيلًا وأكثر من ٢١٤٠٠٠ جريح . أما حوادث الطرق بين الجنود فقد ذكرت مصادر العدو انه قتل خلال السنتين الماضيتين ١٢٢ جنديًا وجرح ١٦٠٠ جندي بسبب السفر بطريق الاوتوستوب (٣٠) .

ومن مظاهر الاضطراب النفسي التي يعاني منها العدو بالاضافة الى ما سبق ، ازدياد حالات الجنون والانهيار العصبي ازديادا كبيرا للغاية منذ حرب تشرين ، كذلك اتساع ظاهرة الانتحار تعبيرا عن حالة اليأس السائدة ، ومن حوادث الانتحار التي وقعت مؤخرًا ، اقدام حفيفا رومانو والدة الرياضي الصهيوني يوسف رومانو الذي قتل في عملية ميونيخ على الانتحار ، وكانت منذ مقتل ابنتها تعيش حالة انهيار نفسي ، ونقلت الى المستشفى عدة مرات الى ان وضعت حداً لحياتها في نهاية المطاف (٣١) .

كما ان من الاحصاءات الطريفة والهامة حول آثار حالة القلق التي يعاني منها العدو ما جاء في دراسة اجراها طبيب نفسي معروف في تل ابيب ، حيث ذكر ان ٢٠ ٪ من سكان « اسرائيل » مصابون بالعقم ، وان سبب ذلك لدى الرجال والنساء هو توتر الاعصاب الناجم عن حالة الامن السيئة ومن سوء الاحوال الاقتصادية في البلاد (٣٢) .

### استنتاجات

ان حجم التأثير الذي يمارسه القلق الناجم عن التوتر الامني في ظروف غير ملائمة للكيان الصهيوني هو كما يوضح لنا العرض السابق للمعطيات المتوفرة من

الضخامة بحيث يتجاوز بكثير التأثير المباشر للعمليات العسكرية ذاتها ( القتلى والجرحى والآليات والمعدات المدمرة والمستهلكة ) . ومن الطبيعي في ضوء هذا الواقع ان نعطي مسألة تعميق حالة القلق النفسي التي يعاني منها العدو قسطا كبيرا من الاهتمام العربي .

وهنا على وجه التحديد تبرز الاهمية الاستراتيجية لعمليات المقاومة الفلسطينية في الإبقاء على حالة التوتر وتعميق القلق الناجم عنها في صفوف العدو . ويصبح مقياس النجاح لكل عملية فدائية على حدة ، ولسلسلة العمليات ، مجتمعة ، ليس متوقفا على حجم خسائر العدو المباشرة ، وانما بمدى تأثيرها النفسي على العدو ( ومن الطبيعي ان يكون هذا التأثير النفسي اكثر كلما كان حجم خسائر العدو المباشرة اكبر ) . اي أن العمل الفدائي ينبغي ان يعتمد الحرب النفسية اعتمادا رئيسيا في استراتيجيته .

ان عمليات الخالصة وترشيحا وام العقارب ونهاريا وبيسان وتل ابيب والقدس لتمثل نماذج بارزة للعمليات الفدائية القادرة على تمزيق العدو نفسيا والحفاظ على تأثيرها النفسي والمادي لفترة طويلة من الزمن . ومن هنا يجيء الاستنتاج القائل بأن اسلوب العمل العسكري للمقاومة يجب تطويره على نطاق واسع انطلاقا من الاستفادة من تجربة النجاح في تلك العمليات ، بحيث يتوخى النوع في العمليات اكثر مما يتوخى الكمية العددية . وبحيث يصبح تأثير هذه العمليات اوسع بكثير من حجم نتائجها المباشرة من خلال اعطائها طابع العمليات التي تستهدف التمزيق النفسي للعدو قبل اي شيء .

- ١ - المارشال سوكلوفسكي ، اضاء حول الاستراتيجية العسكرية السوفياتية ، ترجمة عبد الغني البشري ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٤ .
- ٢ - الجنرال اندريه بوفز ، مدخل الى الاستراتيجية العسكرية ، ترجمة اكرم دبيري والهيثم الايوبي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٩ .
- ٣ - ترونغ شين ، مستنصر المقاومة ، ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٧٤ .
- ٤ - عبدالرحيم غنيم : المرتكزات النفسية للفكرة الصهيونية ، منشورات الطلائع ، دمشق ١٩٧٣ ، ص ٨٩ .
- ٥ - رصد اذاعة اسرائيل ( ر.ا.ا. ) ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٥/٢/١٨ .
- ٦ - هاتسوفيه ، ١٩٧٥/٢/٢ .
- ٧ - جويش كرونكل ، ١٩٧٤/١٢/٣٠ .
- ٨ - مجلة « الشرق الأوسط الدولية » ، ١ ايلول ١٩٧٤ .
- ٩ - الشعب ، ١٩٧٥/٣/١٨ .
- ١٠ - دافار ، ١٩٧٥/١/١٠ .
- ١١ - دافار ، ١٩٧٥/٣/١٠ .
- ١٢ - هاموديع ، ١٩٧٥/٢/٢ .
- ١٣ - ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٨ .
- ١٤ - ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/١/٢٨ .
- ١٥ - جيروالم بوست ، ١٩٧٤/١٢/٢٤ .
- ١٦ - ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/١/٧ .
- ١٧ - يديعوت اهرنوت ، ١٩٧٥/١/٦ .
- ١٨ - ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٧ .
- ١٩ - يديعوت اهرنوت ، ١٩٧٤/١٢/٢٤ .
- ٢٠ - عل همشمار ، ١٩٧٥/٢/٢٦ .
- ٢١ - هاتسوفيه ، ١٩٧٥/٢/٥ .
- ٢٢ - معاريف ، ١٩٧٥/٢/١٤ .
- ٢٣ - دافار ، ١٩٧٥/١/٢١ .
- ٢٤ - دافار ، ١٩٧٥/١/١٢ .
- ٢٥ - ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٨ .
- ٢٦ - ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٢ .
- ٢٧ - ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٨ .
- ٢٨ - جيروالم بوست ، ١٩٧٥/٣/٢٤ .
- ٢٩ - هاتسوفيه ، ١٩٧٥/٣/١٨ .
- ٣٠ - ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/١/١٤ .
- ٣١ - يديعوت اهرنوت ، ١٩٧٥/٣/٢٤ .
- ٣٢ - هامولام هازيه ، ١٩٧٥/٣/١٢ .

على هامش الحوار العربي الأوروبي :

## أوروبا الغربية والعرب واسرائيل

حسين ابو النمل

في هذه الفترة يكثر الحديث عن الحوار العربي الأوروبي وتتزايد الاتصالات بين أوروبا الغربية والعرب . وتوجت هذه الاتصالات بمجموعة من الاجتماعات والزيارات المتبادلة التي قام بها رسميون من الطرفين للعواصم العربية والأوروبية . وتنبع أهمية العلاقة مع أوروبا الغربية ، من كونها واحدة من أكبر الكتل السياسية الاقتصادية في العالم ، وعندما نقول بأهمية الإطار الدولي للتحرك العربي ، فإن أوروبا الغربية هي أحد مجالات هذا التحرك .

ان الآفاق الصحيحة لاية علاقة مع أوروبا الغربية رهن بالفهم الصحيح لدور هذه الكتلة في الصراع الدائر في العالم ، والمصالح التي تحرك مواقفها . وان أية مراهنه على موقف أوروبا الغربية خارج هذا الإطار ستكون مراهنه خاسرة ، ولها انعكاساتها السلبية على قضيتنا لان إطار تحركنا الدولي من الأهمية بمكان بحيث يترك آثارا حاسمة على مجمل نشاطنا السياسي .

ان علاقة أوروبا الغربية بالمنطقة قديمة جدا . ولسنوات قليلة خلت ، لا تتجاوز عقدا من الزمن كانت أوروبا الغربية تستعمر بشكل مباشر مناطق عربية ، ولم تخرج منها الا بالقوة وبعد نضال ضار ، وتضحيات لا محدودة قدمتها جهايرنا . لذا فصورة أوروبا الغربية بالنسبة لجهايرنا كانت دائما صورة الدول المستعمرة التي أنشأت اسرائيل وحمتها ، وشاركتها العدوان على مصر عام ١٩٥٦ .

ان خروج دول أوروبا الغربية من المنطقة وحصول الجزائر واليمن على استقلالهما قد خفف بدرجة كبيرة من الاحتكاك العدائي اليومي المباشر بين العرب وأوروبا الغربية التي بدأت تحاول تجميل صورتها في المنطقة خصوصا بعد أن بدأت الإمبريالية الأمريكية تلعب الدور القذر الذي طالما لعبته دول أوروبا الغربية من قبل .

ان محاولات دول أوروبا الغربية تجميل صورتها بعد أن خرجت مضطرة من المنطقة قد ترافق وبالذات في الفترة الاخيرة مع حملة مركزة تحاول ان تقدم لنا أوروبا الغربية في صورة الكتلة التي يمكن ان تكون في موقع الصديق بالنسبة لنا ، حيث استندت تلك الحملة على مجموعة من الامور تصور وكأن أوروبا الغربية انتقلت في مواقفها الى موقع النقيض لمواقفها التاريخية السابقة والمعروفة ، وحيث كانت تلك الحملة تتوقف طويلا عند نزعة أوروبا الغربية للاستقلال في مواقفها عن الولايات المتحدة ، مستندة على الظاهرة التي مثلتها الديغولية في أوروبا الغربية كأبرز مثل على نزوع أوروبا الغربية للاستقلال عن الولايات المتحدة الأمريكية . وبحيث بدت وكأنها تتحرك نحو الحياد لا بين كتلتين دوليتين شيوعية ورأسمالية وانما بين قوتين كبيرتين هما الاتحاد السوفياتي

والولايات المتحدة حسب قول أحد الكتاب ! بل ووصلت الأمور بالبعض الى حد تشبيه نزعة الديغولية للاستقلال عن الولايات المتحدة الأمريكية بالظاهرة التي مثلتها الناصرية حسب كلام كاتب آخر !!

ان مفتاح فهم وتوقع مستقبل اية علاقة بين المنطقة وبين أوروبا الغربية هو في الفهم الصحيح لدلالات نزعة أوروبا للاستقلال . معنى هذا الاستقلال ، موقعه التاريخي ، آفاقه ، حدوده من زاوية العلاقة بالامبريالية الأمريكية من ناحية ، ومن ناحية أخرى من زاوية نمط العلاقات التي يمكن ان تقيمها أوروبا الغربية مع الدول النامية والموقف السياسي الذي يمكن ان تتخذه من القضايا المطروحة .

### استقلال ... أم صراع احتكارات ؟

يجمع المؤرخون التقدميون ان الحرب العالمية الثانية — بالرغم من كافة اسبابها المباشرة — هي حرب بين الاحتكارات ومحاولة لاعادة توزيع الرقع الاقتصادية في العالم ، بين الاحتكارات الألمانية من ناحية ، والاحتكارات الفرنسية — البريطانية من ناحية أخرى . ولقد انتهت تلك الحرب عمليا بدمار شبه كامل لاقتصاديات الفريقين ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية التي دخلت الحرب الى جانب الحلفاء بشكل متأخر نسبيا ، الدولة العظمى الوحيدة التي خرجت من تلك الحرب يكامل قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية تقريبا . الامر الذي مكنها من وراثة الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية في الكثير من بقاع العالم . وابتلعت الاحتكارات الأمريكية الكثير من امتيازات هاتين الدولتين اللتين كانتا عاجزتين عن الصمود ، بل حتى عن اعادة بناء اقتصاديهما الا بمعونة من الولايات المتحدة التي اسهمت في اعادة بناء أوروبا الغربية بما يسمى مشروع مارشال نسبة الى جورج مارشال وزير الخارجية الأمريكية حينذاك . وان اعتماد أوروبا الغربية على الولايات المتحدة لاعادة بناء اقتصادها قد ترافق مع اجواء الحرب الباردة التي بدأت تلف العالم ، ولتزيد من هذا الاعتماد على الصعيدين السياسي والعسكري على الولايات المتحدة الأمريكية والذي انتهى بتشكيل الحلف الأطلسي بزعمارة الولايات المتحدة الأمريكية ساعد على استكمال عمليات وراثة الاحتكارات الأوروبية الغربية في العالم أجمع مستغلة وبطريقة ذكية متناقضين هامين ساعداها على اتمام عملية الوراثة هذه بسرعة كبيرة ، اذ استغلت عقدة العداة للشيوغية من ناحية ومن ناحية أخرى العداة لبريطانيا وفرنسا بالذات وهما الدولتان اللتان كانتا قد تورطتا في أكثر من حرب وتلطخت صورتهما السياسية في العالم أجمع .

بدأت فكرة أوروبا الموحدة في بداية الخمسينات ، حيث راحت فكرة « اعادة بناء اقتصاد أوروبا رهن بوحدتها » . وبأن « البلاد الصناعية قد زجت في ثورة تقنية يجعل مستحيلا قيام أي تقدم اقتصادي واجتماعي في نطاق قومي » حسب قول بير جاليه . ولذا فقد بدء بتكوين هيئة للإشراف على موارد الحديد والصلب والفحم الأوروبية ، ووقعت الاتفاقية في باريس عام ١٩٥١ حيث شكلت منظمة الفحم والصلب الأوروبية وكان جوهر معاهدة باريس يقوم على « إن انتاج وتوزيع كل حديد وفحم أوروبا قد وضع تحت تصرف سلطة عالية مستقلة » .

تبلورت تلك البداية في العام ١٩٥٧ بتوقيع معاهدة روما وبقيام السوق الأوروبية المشتركة ، وحيث تطورت العلاقات بأن زالت جميع الرسوم الجمركية والحواجز الأخرى الموضوعية في طريق التجارة وأقيمت تعرفة جمركية خارجية مشتركة بين دول السوق والعالم الخارجي .

وانتهت المشاركة في الحديد والصلب والفحم عام ١٩٥١ ، والتي تطورت الى

المشاركة في السوق الداخلي عام ١٩٥٧ ، الى مشاركة في السوق الخارجي لتلك البلدان ، وذلك بأن وقعت في العام ١٩٦٣ اتفاقية « ياونده » التي نظمت العلاقة بين المستعمرات القديمة لدول السوق الأوروبية المشتركة وبين دول السوق الأوروبية المشتركة نفسها ، حيث أصبحت علاقة تلك المستعمرات مع دول السوق ككل ، والتي أصبحت تتمتع بنفس الامتيازات التي كانت في السابق حكرا على هذه الدولة او تلك . وقد ترتب على الاتفاقية الجديدة دخول ١٨ دولة افريقية في النطاق الاقتصادي للسوق المشتركة على اساس من الاتحاد الجمركي وانتقال رؤوس الاموال والبضائع بشكل حر بين دول السوق ودول اتفاقية ياونده . ولقد كانت هذه الخطوات الوحيدة التي لجأت اليها دول أوروبا الغربية من وحدة للسوق الداخلي ووحدة للسوق الخارجي التي تقع تحت نفوذها خير ترجمة للشعار الذي رفع في الخمسينات عن ان اعادة بناء اقتصاد أوروبا رهن بوحدتها .

### أوروبا وأمريكا . . نقطة الصدام ونقطة اللقاء

لقد كان من الطبيعي بعد ان تجاوز اقتصاد دول أوروبا الغربية مرحلة اعادة البناء، ان يكون عاجزا عن الاستمرار في التوسع والنمو الا على هامش المصالح والاحتكارات الامريكية وفي الاسواق التي تسيطر عليها هذه الاحتكارات . واذا كانت كل درجة نمو اقتصادي لا بد وان تعبر عن نفسها بمواقف سياسية معينة ، فمن الطبيعي ايضا ان يترجم الصدام بين احتكارات الدول الأوروبية الغربية والولايات المتحدة الامريكية بمجموعة من المواقف السياسية التي تعبر عن ذلك الصراع . ولقد ترافقت مع درجة النمو الذي بلغته اقتصاديات دول أوروبا الغربية ، ظروف سياسية وعالمية مكنت احتكارات تلك الدول من التعبير عن مصالحها بحرية أكبر فقد سادت العالم سياسة التعايش السلمي من ناحية ، وامتلكت دولتان أوروبيتان السلاح الذري . لقد حرر هذان الحدثان أوروبا الغربية نسبيا من حاجتها للغطاء النووي الامريكي لمواجهة احتمال قيام الاتحاد السوفياتي بهجوم على أوروبا الغربية كما كانت تروج الدوائر الامبريالية ، كي تزيد من تبعية أوروبا الغربية للولايات المتحدة الامريكية . ولذا لم تتردد فرنسا عندها من الانسحاب من الحلف الاطلسي كتعبير عملي عن هذا التوجه . وبدأت ما يسمى مرحلة الديغولية في فرنسا التي ، وان ارتبطت باسم الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول ، فانها كانت عمليا نتاجا طبيعيا لدرجة النمو الذي بلغته الاحتكارات الفرنسية الباحثة عن منافذ جديدة لها . ولم تقتصر ظاهرة الديغولية على فرنسا فحسب ، بل وفي فترة لاحقة خطت المانيا الغربية خطوة واسعة على هذا الصعيد ، ايام المستشار براندت ، تمثلت بسياسة الانفتاح على المعسكر الاشتراعي ومحاولة تسوية بعض القضايا العالقة .

لقد كانت فرنسا هي السبب في محاولة التعبير عن مصالحها بشكل مستقل عن الولايات المتحدة الامريكية ، وذلك بمحاولاتها شق طريق سياسي مستقل يمكنها من فتح آفاق جديدة لاقتصادها ولذا فقد اتخذت مجموعة من المواقف السياسية المتميزة ، عن موقف الولايات المتحدة الامريكية وبالذات بالنسبة للاعتراف بالصين الشعبية وكذلك بالنسبة لازمة الشرق الاوسط حيث كان لكلا الموقفين ترجمتهما الاقتصادية المباشرة ، وحيث تمكنت فرنسا من الحصول على معاملة مميزة في بعض الدول العربية وانفتحت امامها مجالات عدة . وان زيادة العجز في ميزان المدفوعات لدول أوروبا الغربية سيكون حافزا جديدا لها نحو المزيد من السعي والبحث عن اسواق جديدة . وبالتالي المزيد من الصراع مع غيرها من الاحتكارات . ولهذا فان صراع الاحتكارات الأوروبية الغربية والامريكية والذي يسمى تطلقا « استقلال أوروبا » يبقى صراع احتكارات

فيما بينها وحدود صراعتها قد لا تنف عند حد ، بل وقد تصل لمحاولة تدمير الواحد منها للآخر ، وهو ليس بالامر الجديد او غير المألوف . ففي فترات تاريخية معينة كان يصل الى درجة شن الحروب بين هذه الدول . ولكن صراع الاحتكارات هذا لا يقف خارج اطار الصراع التاريخي بين الرأسمالية والاشتراكية واي حديث عن أوروبا التي تتحرك نحو الحياد هو حديث سطحي يتمسك بظواهر الأمور فقط ويتغاضى عن الطبيعة العدوانية الرأسمالية والامبريالية .

ان صراع الاحتكارات لا يعني اتجاه جزء منها نحو « منطقة الحياد » بل على العكس من ذلك فان الصراع حتى التدمير بين الاحتكارات يتحول ليصبح وحدة حتى الموت في مواجهة الاشتراكية او تنامي الحركة الثورية . والصراع بينهما مهما اتخذ شكل سياسات متعارضة ومواقف سياسية متباينة في ضوء المصالح المختلفة ، يبقى محكوما بسقف واحد هو المصلحة العليا للامبريالية ، وبما يعنيه هذا من عداو لكل ما هو تقدمي من ناحية ، والحفاظ على كل ركائز الامبريالية في العالم من ناحية ثانية . وسوف نبين كيف تحاور أوروبا العرب وفي الوقت نفسه تقدم لاسرائيل ما يجعلها تخطو خطوات واسعة نحو ترسيخ بنيانها الاقتصادي والسير خطوات واسعة نحو الاستقلال الاقتصادي ، حيث ان المساعدات في هذا المجال لا تقل بأي حال عن المساعدات الأمريكية التي قدمت وتقدم اليها .

### الامبريالية الأمريكية ترد الهجمة

لقد جوبهت محاولات أوروبا للسب دور اقتصادي مستقل عن الولايات المتحدة بتحريك مضاد من قبل الاخيرة وعلى كافة الاصعدة في محاولة لاعادة أوروبا الغربية الى الحظيرة ولتأكيد زعامة الولايات المتحدة .

ان الولايات المتحدة التي اضطرت تحت ضغط العجز في ميزان المدفوعات الى تخفيض قيمة الدولار في الوقت الذي ضغطت به على ألمانيا الغربية واليابان كي لا تخفضا قيمة عملتيهما ، انما كانت الخطوة الرئيسية والهامة التي اتخذتها أمريكا لتحسين قدرة سلعتها على المنافسة في الخارج ، ولقد ترافق مع هذه الخطوة عملية تملص من دولاراتها السباحة في أوروبا الغربية حيث ابتدع لها في ذلك الحين اسم « اليرودولار » تأكيدا لعدم مسئولية الولايات المتحدة عنها ، ولو أضفنا مسألة تخفيض قيمة الدولار كوسيلة لتحسين قدرة السلع الأمريكية على المنافسة ، الى التحرك الأمريكي على صعيد الاستجابة والرضوخ لحقائق الوضع في فيتنام ، لأمكن لنا ايجاد تفسير لذهاب نيكسون الى الصين الشعبية ، والتي كان قد طرق ابوابها قبل ذلك الفرنسيون واليابانيون ، باحثين عن علاقات اقتصادية واسواق جديدة لسلعهم . وان انفتاح الولايات المتحدة على الصين وقبول ذلك على الاتحاد السوفياتي ، كان الرد الأمريكي على نشاط الاحتكارات الفرنسية واليابانية بالذات التي مدت يدها الى الصين من وراء ظهر خليفتها الكبرى الولايات المتحدة ، ولذا فقد أنت نهاية حرب فيتنام ومحاولة توسيع سياسة الوفاق لتشمل الصين ايضا استجابة للوضع الاقتصادي الأمريكي الذي كان يدفع ثمن المكاسب التي كان يحققها حلفاؤه .

ان خطوات الولايات المتحدة هذه لم تمنع أوروبا الغربية واليابان من الاستمرار في سياساتهما المستقلة اقتصاديا عن الولايات المتحدة الأمريكية والتحرك الأمريكي المضاد لتلك السياسات ، فمن محاولة ضرب صناعة الطيران الفرنسي - البريطاني بمحاربة مشروع الكونكورد عن طريق سحب طلبات الشراء التي كانت قد تقدمت بها بعض الشركات الأمريكية الى الاستثمار في تصدير رؤوس الأموال الى أوروبا ومحاولة

احتكارات السيارات الامريكية السيطرة على هذه الصناعة في فرنسا وبريطانيا ، اذ قامت شركة « كرايزلر » الامريكية بشراء شركة سيمكا الفرنسية ، وسنبيم البريطانية ..

### سلاح النفط .. وتركيع أوروبا

بلغت محاولات أوروبا الغربية للانفلات ومحاوله الولايات المتحدة المضادة للتركيع ذروتها من خلال تجيير الولايات المتحدة الامريكية لسلاح النفط الذي حظر اثر حرب ١٩٧٣ لمصلحتها وكوسيلة حاسمة لتركيع أوروبا الغربية نهائيا . وقد يكون من الغريب القول بان النفط العربي كان اداة امريكية لتركيع أوروبا الغربية . ولكن هذه هي الحقيقة لان النفط الذي قطع وبشكل متساو عن أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة ، لم يؤثر عمليا سوى على اليابان وأوروبا الغربية وبكلمة ادى فان اثار الحظر الاقتصادية على هاتين الكتلتين كانت كبيرة وليس أمامنا سوى تذكر ان نسبة اعتماد الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا الغربية واليابان على بترول الشرق الاوسط من جملة استهلاكها من الطاقة هي على التوالي ٦٪ ، ٦٠٪ ، ٨٥٪ . ولذا فان درجة معاناة كل من الولايات المتحدة واليابان وأوروبا كانت بنسبة اعتماد كل منها على بترول الشرق الاوسط وعلى الجانب الاخر فان درجة تضرر أوروبا الغربية واليابان من ارتفاع أسعار النفط هي أكثر من الضرر الذي لحق بالولايات المتحدة اذ ساهم ارتفاع اسعار النفط في تفاقم الخلل في ميزان مدفوعات دول أوروبا الغربية ، بينما لم تتأثر الولايات المتحدة الامريكية بالدرجة نفسها باعتبار ان الشركات الامريكية هي المالك الرئيسي للاحتكارات النفطية ، واي ارتفاع في الاسعار سينعكس على ارباحها ، وبالتالي ، زيادة في حجم التحويلات المالية الى داخل الولايات المتحدة الامريكية وزيادة « دفع » الدول المستهلكة للنفط هي بالمقابل زيادة في ما تقبضه الدول المنتجة والشركات المالكة بالرغم من أن التركيز كان يتم دائما على دور الدول المنتجة في ارتفاع اسعار الطاقة ، والرساميل التي تنكس عندها ، حيث كانت تلك الحملة تستهدف تحمیل الدول المنتجة مسؤولة الأزمة التي عانى منها العالم نتيجة لارتفاع اسعار الطاقة ، بالرغم من أن شركات النفط قد حصدت هي ايضا ثمار ذلك الارتفاع . وان عنى هذا شيئا في الميزان السياسي ، فانه يعني ان سياسة لوي الذراع التي مارستها الولايات المتحدة ضد أوروبا الغربية قد آتت ثمارها ، وجعلت الاخيرة تقتنع ان امكانياتها في اللعب بعيدا عن دائرة نفوذ الولايات المتحدة هي امكانيات محدودة . وبعدها لن تستطيع أوروبا الغربية الحديث كثيرا عن « البرو دولار » حيث تتمكن الولايات المتحدة من استرداده الآن بسهولة بعد ارتفاع اسعار النفط وبعد ان قبضت الولايات المتحدة عبر احتكاراتها النفطية جزءا كبيرا من فوائد ارتفاع اسعار النفط .

ان شهوة أوروبا الغربية للاستقلال شهوة جامحة ، ولكن أوروبا الغربية تعلمت درسا ثمينا جدا عندما سعت للتعامل مع الدول البترولية مباشرة فوجدت نفسها وجها لوجه أمام الشركات الامريكية باعتبارها صاحبة القرار ، وبدلا من سعيها عن حل في عواصم الدول البترولية هرولت ثانياً تبحث عن الحل في عواصم الشركات البترولية وكان ميشال جوبير وزير الخارجية الفرنسية السابق خير من عبر عن هذا وهو احد الرموز التي كانت تعبر عن نزعة أوروبا الاستقلالية عن الولايات المتحدة اذ قال في ٢٦ شباط ١٩٧٥ بالحرف الواحد « انه بعد سنة من المباحثات لم توقع باريس الى الان اتفاقا للحصول على النفط من السعودية لان واشنطن غير موافقة » . وهكذا كان وسقط جوبير واتجاهه السياسي في فرنسا . ومن المهم الاشارة ايضا الى ان سلاح

الإرسدة في العالم لم يتحرك حتى الآن قط وحتى خلال حرب تشرين ١٩٧٣ ، ولا نجد تفسيراً لهذا سوى أن المتضرر الأكبر من استعمال سلاح الإرسدة هي بريطانيا ولذا فإن ذلك السلاح لم يتحرك لأن بريطانيا قد حافظت طيلة الفترة الماضية على موقف ملتصق بموقف الولايات المتحدة الأمريكية من قضايا المنطقة وآخرها كان إلغاء صفقة السلاح مع ليبيا . حيث كوفئت بريطانيا على موقفها من قبل الولايات المتحدة بأن قدم لها قرض من إحدى الدول العربية يساوي أربعة مليارات دولار . وبهذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمارس سياسة لوي الذراع . بل سياسة الثواب والعقاب من خلال طرف ثالث هو بعض الدول المنتجة للنفط .

يعطي العرض الذي تقدم تفسيراً صحيحاً لمعنى « استقلال » أوروبا الغربية كما عبرت عنه بالمواقف السياسية المتميزة نسبياً عن موقف الولايات المتحدة ، وبصراعها الاقتصادي ومحاولات للانفلات من قبل أوروبا الغربية وسياسة لوي الذراع والمطاردة التي لجأت إليها الإمبريالية الأمريكية الأمر الذي يجعلنا نخلص إلى مجموعة من النتائج ، هي :

١ - أن نزعة أوروبا « الاستقلال » عن الولايات المتحدة هي نزعة مخادعة ، فالإمبريالية كالحية تخلع جدها لكنها لا تغير طبيعتها . والصراع الحاد بين أوروبا الغربية والولايات المتحدة ليس سوى صراع على مناطق النفوذ وتعبير عن درجة معينة من نمو الاحتكارات الأوروبية الغربية التي تحاول جاهدة شق طريق لنفسها حتى ولو كان على حساب احتكارات غيرها من الدول . ولكن صراع المصالح هذا لا يعني في أي حال من الأحوال تغييب التناقض الرئيسي لهما في هذا العالم وبحيث تسبهما في تبديل ميزان القوى على صعيد العالم من خلال افتقار أية ركيزة إمبريالية في هذا العالم إذ أن هنالك دائماً سقف سياسي لاية خطوة يمكن أن تقدم عليها الدول الإمبريالية .

٢ - من الضروري جداً استغلال التناقضات القائمة بين أطراف المعسكر الواحد ومحاولة الاستفادة من هذه التناقضات لمصلحة القضية السياسية التي نناضل من أجلها ولكن القدرة على استغلال هذه التناقضات مرتبطة بقدرتنا على ممارسة سياسة ثواب وعقاب صحيحة ، لا أن تكون أداة في يد هذا الاحتكار أو ذاك لتصفية حساباته مع غيره من الاحتكارات أو أن تكون كما حدث إنان أزمة الطاقة ، أداة في يد الطرف الأكثر سوءاً لضرب الطرف الأقل سوءاً بالنسبة لمصالحنا .

٣ - من الأهمية بمكان أن يكون واضحاً أفق أية علاقة مع أوروبا الغربية والمدى الذي يمكن أن تبلغه العلاقات الغربية الأوروبية . لأن أفق علاقة أوروبا الغربية بالعرب لا يمكن أن يتجاوز حدوداً معينة . وقدرة أوروبا على التجاوب معنا قدرة محدودة أيضاً . أي أن خط تحالفنا الدولية الرئيسي هو الكتلة الاشتراكية، خصوصاً وأن التركيز على دور أوروبا الغربية والعلاقة معها ليس بعيداً عن المحاولات الهادفة لإيجاد بديل عن العلاقة مع المعسكر الاشتراكي خصوصاً وأن الولايات المتحدة نتيجة لموقفها العنفي والمفضوح من قضايانا لا يمكن أن تكون في هذه المرحلة على الأقل البديل المطلوب ومن هنا التركيز دائماً على أي موقف إيجابي نتخذه أوروبا الغربية حتى ولو كان موقفاً جزئياً ومحدوداً وليس له أية نتائج ذات أبعاد استراتيجية .

## أوروبا تحاول أن تلعب

### الدور الذي لعبته أمريكا عام ١٩٥٦

ان الصورة التي تقدم بها أوروبا الغربية للمنطقة في هذه الفترة تعيد الى الازهان الطريقة التي سارت عليها الامور في بداية الخمسينات . ففي الوقت الذي تردت سمعة الدولتين الاستعماريتين فرنسا وبريطانيا في المنطقة ، وتجنبنا لان يأخذ التيار الجماهيري مداه الحقيقي الذي كان يضغط باتجاه معاد للعلاقات مع تلك الدولتين ، مما كان يفرض على الأنظمة القائمة في المنطقة انتهاز سياسة تحالفات دولية جديدة ، وفي هذا الوقت قدمت الولايات المتحدة الأمريكية لتكون البديل ، وحيث ركز كثيرا على موقفها ابان عدوان ١٩٥٦ . واستعيدت الى الازهان مواقفها من حقوق الانسان واستقلال الشعوب او مبادئ الرئيس ويلسون ! لتقديهما بصورة الدولة غير المستعمرة ، والتي لم يسبق لها ان استعمرت اي شعب آخر وهي التي ناضلت ضد الاستعمار البريطاني ، وها هي تدين العدوان على مصر في العام ١٩٥٦ !!! ان الامور تكرر نفسها تقريبا والولايات المتحدة اصبحت مفضوحة ، بعد ان لعبت دورا اساسيا في حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ولدرجة ان الرئيس المصري انور السادات قد اعلن اكثر من مرة انه قد اضطر لايقات الحرب في ١٩٧٣ لانه اكتشف انه يحارب امريكا . ولذا فقد كان من الطبيعي ان يتشكل رأي عام معاد لامريكا اكثر من اي وقت مضى وان تثار تساؤلات من طراز الحاجة لقوة دولية تدعم العرب وضرورة التسليح . . . وغيرها من التساؤلات المنطقية والطبيعية التي لا تستطيع القوى الرجعية منع تداعياها ، ولكنها تحاول اجهاضها ومنعها من الوصول الى نهاياتها المنطقية ، ومن هنا طرحت أوروبا كبديل وكند للولايات المتحدة الأمريكية . لقد مهد لهذا الطرح بمقدمات طويلة وبحملة اعلامية مركزة نموذجها كان التسليم بدعم امريكا لاسرائيل ، ثم ارفاقه بتساؤل ، «ولكن ماذا نفعل والسوفييت لا يعطوننا سلاحا هجوميا » ؟ وبعد ان اثبتت حرب تشرين ان « السلاح الدفاعي » ليس « بالسوء » الذي صور به ، طورت الحملة الاعلامية لتصبح « ولكن السوفييت لا يعطوننا السلاح الذي نريد والذي نحتاجه ، ولذا فلا بد من البحث عن مصدر آخر يسلحنا غير الامريكيين الذين يدعمون اسرائيل والسوفييت الذين قطعوا الاسلحة عنا ، ومن تبقى في العالم غير أوروبا الغربية ؟ . . . » الخ . وبهذه الطريقة كانت تجهض نتائج التساؤلات التي طرحت بحدة بعد حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . ووجد البديل الذي لا يشكل التعامل معه اي خطر جدي على جوهر العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في المنطقة . . . ومن هنا كان التركيز على اي موقف ايجابي تتخذه أوروبا الغربية لصالحنا حتى ولو كان من قبيل ذر الرماد في العيون . . .

### السياسة الأوروبية في التطبيق العملي

ان السياسة العملية لأوروبا الغربية نجاة قضايا الصراع في المنطقة تنسجم بشكل كامل مع العرض الذي تقدم ، ولا يخرج عن جوهر الموقف الأمريكي لو تجاوزنا التمايز النسبي لموقف فرنسا . ولو جردنا الموقف الأوروبي من كلمات المجاملة التقليدية عن ضرورة التعاون وغيرها من التعبيرات التي تقال اثر اي لقاء بين دولتين ، لاكتشفنا بسهولة ان الموقف الأوروبي بشكل عام لا يخرج عن اطار موقفه منذ العام ١٩٦٧ وما زال يقوم اساسا على قرار ٢٤٢ ويشكل ادق اقرب الى التفسير الاسرائيلي للقرار المذكور وللفهم الاسرائيلي لقضايا الصراع في المنطقة . واما الاشكال اللبقة والمهذبة احيانا التي يقدم بها الموقف الأوروبي فتلك مسألة شكلية ولن تغير كثيرا من الصورة . ان الموقف الأوروبي ينطلق اساسا من الاعتراف بوجود اسرائيل ، بحدود آمنة ،

معترف بها ، وأنهاء حالة العداء بينها وبين جيرانها العرب واوروبا ليست على استعداد لبحث اي مسألة من المسائل الا انطلاقا من هذه النقطة ، ولعل خير دليل على ذلك موقف دول اوروبا الغربية من موضوع طرح القضية الفلسطينية على الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث انقسم الموقف الاوروبي بين معارض وممنوع عن التصويت، ولم يعد سرا ان الكتلة الاوروبية قد اشترطت لتأييد اي قرار متعلق بالقضية الفلسطينية ان يشتمل على فقرة تتضمن الاعتراف بوجود اسرائيل ، وهذا الموقف لا يخرج عن جوهر الموقف الاسرائيلي . فاسرائيل تشترط ان يسبق اي حوار مع منظمة التحرير اعتراف الاخرة بوجودها ، اي ان جوهر الموقف ينطلق من مصلحة اسرائيل اولا واخيرا . اي الاعتراف باسرائيل اولا ثم يكون الحديث عن القضية الفلسطينية بعد ذلك ، ولا بأس من الحديث عن حقوق الفلسطينيين شرط ان لا يمس هذا مصالح اسرائيل . ولقد سبق ان تحدثت أكثر من مسؤول اسرائيلي عن الفلسطينيين بقوله « واما منظمة التحرير فلا لان ايديولوجيتها تقوم على تدمير اسرائيل » . وتجنبنا لغوص بعيدا في التاريخ فلسوف نكتفي بالاشارة الى ما نشر في « النهار » يوم ٧٥/٥/١ نقلا عن وكالات الانباء بشأن الحوار العربي - الاوروبي الذي بدأ في يوم ١٠ حزيران ١٩٧٥ . يقول الخبر « ذكرت مصادر هولندية مطلعة ان تبادل وجهات النظر حول الموضوع ما زال مستمرا بين الفريقين وان المجموعة الاوروبية تريد تخطي صعوبة معينة هي اشتراك ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية في الحوار وهو أمر قد يفسره الجانب العربي بأنه اعتراف من قبل دول السوق الاوروبية المشتركة بالمنظمة . وأضافت المصادر ان الفريقين توصلا الى حل يقول باشتراك ممثلي المنظمة في الحوار من دون ذكر اسم المنظمة كوفد مستقل » . ولو تساءلنا الآن وفي ضوء الخبر السابق ما هي المصلحة العربية التي يمكن ان تتحقق من الحوار العربي الاوروبي ؟ اقتصاديا ، فان اوروبا الغربية هي التي تحتاج المنطقة ، سوقا ومواد خام ومصدر للطاقة ، ورسميل واستثمارات . وحاجتها هذه هي أكثر من حاجة العرب . وبالمقابل فالذي تستطيع ان تقدمه اوروبا الغربية هو اعطاء موقف متقدم على الصعيد السياسي . وأساس الموقف السياسي المطلوب هو الموقف من القضية الفلسطينية ، وعندما يكون موقف دول السوق الاوروبية المشتركة هو كما عبر عنه التصريح الذي سبق الاشارة اليه ، الا يعني هذا ان اوروبا تريد ان تحقق مصلحتها بدون تقديم مقابل على الصعيد السياسي الذي يمكن ان يخدم قضيتنا ؟ وموقف اوروبا الغربية هذا الا يعتبر نسخة كربونية عن الموقف الاسرائيلي الذي يقول باشتراك الفلسطينيين في مؤتمر جنيف ولكن من خلال وفد عربي ؟ الا يعتبر هذا دليلا كافيا على ان جوهر الموقف الاوروبي يتحرك في ضوء الموقف الاسرائيلي ، وان مقدار ملامستهم لاي موقف ، هو من خلال تماس هذا الموقف مع مصلحة اسرائيل ورايها . ولو تورن هذا الموقف بالموقف الامريكي هل نستطيع تبين خلاف جوهري الا في مقدار الوتاحة التي تعلن بها امريكا عن مواقفها خاصة وانها بدأت تتحدث منذ فترة عن مصالح الفلسطينيين أي في الاطار الانساني للمشكلة وبها في ذلك من تطوير لغوي فقط للتعبير الذي كان متداولاً سابقا وهو « اللاجئون الفلسطينيون » .

### اوروبا الغربية وسياسة اليد المفتوحة لاسرائيل

ان الموقف الاوروبي من قضيتنا والمتوافق في جوهره مع الموقف الاسرائيلي والامريكي، والمتخلف حتى عن ما اجمع عليه العالم وما أصبح يرتقي الى مستوى اليديهيات بفضل البندقية الفلسطينية التي فرضت قضيتنا على العالم ، هو على الصعيد الاسرائيلي موقف من نوع آخر كليا وفي انعكاساته العملية لا يقل بأي حال من الاحوال خطورة عن

الموقف الامريكى ، لان العبرة ليست فيما تتداوله اجهزة الاعلام عن خلاف في وجهات النظر بين اسرائيل وأوروبا بل في ترجمات العلاقة بينهما .

واذ كان الدعم الامريكى لاسرائيل أكثر بريقا ولمسه في كل لحظة ومع كل دمار تخلفه آلة الحرب الامريكى ، ولكن الفانتوم عمليا ليست هي كل شيء وان سرقت كل البريق . فمساعدة أوروبا لاسرائيل بانعكاساتها الحاضرة والمستقبلية لا تقل خطورة عن مساعدات أمريكا لها . مع تأكيدنا مرة ثانية ان البريق والضجيج الاعلامي ليس هو كل شيء .

فبالقدر الذي ساهمت فيه بريطانيا في خلق الكيان الصهيوني على ارض فلسطين بدءا من وعد بلفور عام ١٩١٧ وانتهاء بتسليم فلسطين للصهاينة في العام ١٩٤٨ ، وما تخلل تلك الفترة التي استعمرت فيها بريطانيا فلسطين من تسهيلات ومساعدات لليهود عن طريق تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين بطرق مشروعة وغير مشروعة ، الى استملاك الاراضي العربية والاستيلاء عليها . ثم تسهيل عملية التسليح وتدريب العصابات الصهيونية . فبالقدر الذي ساهمت فيه بريطانيا في خلق الكيان الصهيوني ، منذ العام ١٩١٧ ، فقد تعهدت أوروبا الغربية **اسرائيل** بعد العام ١٩٤٨ ، فبالإضافة الى الرعاية السياسية التي تكفلت بها ، فقد تعهدتها اقتصاديا . ففي الوقت الذي كانت فرنسا وبريطانيا ترعى اسرائيل سياسيا وتشاركها عدوانها على مصر عام ١٩٥٦ ، فان ألمانيا الغربية كانت تقوم بالرعاية الاقتصادية لها . فقد تقدمت ببرنامج التعويضات المعروف الذي بدىء بتنفيذه في العام ١٩٥٣ ، في وقت بلغ به الاقتصاد الاسرائيلي ادنى درجاته حيث لم تبلغ نسبة الناتج القومي في ذلك العام سوى ٦.٠٪ على أساس أسعار ١٩٥٥ بينما كانت في السنتين السابقتين ٣.٢٪ و ٧.٠٪ على التوالي . وفي الوقت ذاته فقد هبطت قدرة اسرائيل على استيعاب مزيد من المهاجرين الى الحضيض حيث لم تبلغ الهجرة في ذلك العام سوى ١٢ ألفا في الوقت الذي بلغت به في السنتين السابقتين ١٦٥ ألفا و ١١٤ ألفا على التوالي . حيث ارتبطت دائما قدرة اسرائيل على الاستيعاب بدرجة نموها الاقتصادي كما يوضح الجدول التالي المنشور في كتاب **بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي** ، الذي صدر اخيرا عن مركز الابحاث .

العام	عدد المهاجرين بالآلاف	الزيادة المئوية السنوية في الناتج القومي الاسرائيلي على أساس أسعار عام ١٩٥٥
١٩٥١	١٦٤٥	٢٢ ٪
١٩٥٢	١١٤٤	٧ ٪
١٩٥٣	١٤٢	٠.٢٦ ٪
١٩٥٤	١١٤٤	٢١ ٪
١٩٥٥	٣١٤٥	١٢ ٪
١٩٥٦	٤٥٤٢	٨ ٪
١٩٥٧	٦.٤٢	٩ ٪

وفي هذا الظرف بدىء بتنفيذ اتفاق التعويضات الالماني الغربي لاسرائيل والتي حلت الازمة الاقتصادية الاسرائيلية وفي الوقت نفسه أسهمت برفع قدرة اسرائيل على استيعاب مزيد من المهاجرين ودفع معدلات الهجرة دفعات كبيرة والى الامام .

ان المساعدات المذكورة لا تنفصل عن التحالف العضوي الذي كان قائما حينذاك بين ألمانيا الغربية من ناحية وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة من ناحية ثانية . ولم تحل لاسرائيل مشكلة اقتصادية ذات طابع آسي فحسب ، بل حلت مشكلة اقتصادية استراتيجية ايضا كونها قد وفرت القاعدة التحتية للاقتصاد الاسرائيلي ، لان برنامج التعويضات الالماني المذكور كان عمليا برنامجا لتصنيع اسرائيل . والإمكانات الصناعية لاسرائيل في الوقت الحاضر لا تنفصل عن ذلك البرنامج التصنيعي الشامل . « لقد تم قبول حوالي ٨٠ ٪ من الاتفاق في صورة شحنات من سلع رأسمالية من جميع الانواع . وبناء على ذلك كانت الشحنات التي تمت وفقا للاتفاق تشكل عنصرا أساسيا واضحا ودائما في بناء الصناعة في اسرائيل في تلك السنوات الاولى وهو عنصر بالغ الاهمية بالنسبة لتماسك اسرائيل اقتصاديا . وكان ذلك بمثابة مساهمة هامة وبناءة في تصنيع اسرائيل . ان الشحنات التي تمت وفقا لهذا الاتفاق يمكن العثور عليها في جميع أنحاء اسرائيل وبصفة خاصة في المناطق ذات الاهمية الصناعية ، مما يوضح قيمة المساهمة التي تحدثت عنها والتي كان أثرها بناء وفعالا بأكثر من مجرد قيمة الأرقام في ذلك الوقت بالذات . . . » هذه الكلمات التي قيمت بها مساعدات ألمانيا الغربية لاسرائيل كانت حبلية بالمضامين وتعبير بالضبط عن حقيقة الامر . فلقد قطف الاقتصاد الاسرائيلي وما زال ثمار ذلك الاتفاق اذ عكس نفسه على الصناعة الاسرائيلية وعلى الاقتصاد الاسرائيلي ككل وبالتالي على الصادرات الاسرائيلية . وكما ان ذلك البرنامج قد نفذ على مراحل ، فان انعكاساته كانت مرتبطة بتلك المراحل ، وطبيعة ما نفذ منه ، ومهما قيل فان الأرقام تبقى أكثر دلالة وتعبيرا عن حقيقة الامر ، وما علينا سوى القاء نظرة على الجداول التالية لنلمس أثر ذلك البرنامج .

### جدول بصادرات اسرائيل ١٩٤٩ - ١٩٧٣ ( بملايين الدولارات )

العام	الصادرات الزراعية	الصادرات الصناعية	اجمالي الصادرات	نصيب الصادرات الزراعية المئوية
١٩٤٩	١٨٤١٢٣	١٠٤٣٧٢	٢٨٨٤٩٥	٦٣.٦
١٩٥٠	١٦٤٩٩٧	١٨٤١٥٠	٣٥٠١٤٧	٤٨.٤
١٩٥١	١٦٤١٢٩	٢٨٤٦٢٥	٤٤٤٧٥٤	٣٦
١٩٥٢	١٦٤٦٨٨	٢٦٤٨٠١	٤٣٤٤٨٩	٣٨
١٩٥٣	٢٢٤٠٨٧	٣٥٥٥٤٩	٥٧٤٦٣٦	٣٨
١٩٥٤	٣٥٤٧٤٥	٥٠٤٥٤٦	٨٦٤٣٠٠	٤١
١٩٥٥	٣٤٤١٣٧	٥٤٤٩١٩	٨٩٤٠٥٦	٣٨.٤
١٩٥٦	٤٣٤٦٤٦	٦٣٤٤٨٩	١٠٧٤١٣٥	٤٠.٧
١٩٥٧	٥٤٤٣٥٣	٨٦٤٩٠٠	١٤١٤٢٥٣	٣٨.٤
١٩٥٨	٥٦٤٨٤٨	٨٢٤٧٧٥	١٤٠٤٦١٧	٤٠.٤
١٩٥٩	٥٨٤٠٦٣	١٢٠٤٧٠٣	١٧٨٤٧٦٦	٣٢.٤
١٩٦٠	٦٣٤١٥٣	١٥٣٤٤٥٢	٢١٦٤٦٠٥	٢٩.٤
١٩٦١	٦٢٤٦٠٣	١٨٢٤٦٧٧	٢٤٥٤٢٨٠	٢٥.٤
١٩٦٢	٦٨٤٣٧٨	٢١٠٤٨١٩	٢٩٧٤١٩٧	٢٤.٤
١٩٦٣	٨٩٤٠٠٥	٢٦٢٤٤٨٩	٣٥١٤٤٩٤	٢٥.٤
١٩٦٤	٦٦٤٦٩٩	٣٠٥٤٦٥١	٣٧٢٤٣٥٠	١٧.٤

٪٢٠٠١	٤٢٩٠٥٩١	٢٤٢٠٠٦٩	٨٦٠٥٢٢	١٩٦٥
٪٢٠٠١	٥٠٢٤٤٤٤	٤٠٨٤٢٠	٩٥٠٠٢٤	١٩٦٦
٪١٩٤٤	٥٥٤٤٤٥٢	٤٤٦٠٥٥٩	١٠٧٠٨٩٤	١٩٦٧
٪١٧٤٦	٦٣٩٠٦٩٠	٥٢٦٠٥٢٩	١١٣٠١٦١	١٩٦٨
٪١٦٤١	٧٢٩٠٢	٦١١٤٥	١١٧٤٨	١٩٦٩
٪١٦٤٦	٧٧٨٤٧	٦٤٩٠٢	١٢٩٠٦	١٩٧٠
٪١٦٤١	٩٥٧٤٢	٨٠٢٤٤	١٥٤٤٨	١٩٧١
٪١٢٤٦	١١٤٧٤٥	٩٨٩٠٧	١٥٧٤٢	١٩٧٢
٪١١٤٩	١٤٤٨٤٧	١٢٧٥٠٦	١٧٢٤١	١٩٧٣

### عدد المرات التي ضوعفت بها الصادرات بين ١٩٤٩ - ١٩٧٣

الزراعة ٩٤٥ مرة	الصناعة ١٢٣ مرة	اجمالي ٥٠٤٨ مرة
-----------------	-----------------	-----------------

\* كتاب الاحصائيات السنوي لاسرائيل للسنوات المذكورة ، والنسب مستخرجة .

ان القاء نظرة على ارقام الجدول السابق كافية لمعرفة انعكاسات البرنامج التصنيعي المذكور على جملة هيكلية الاقتصاد الاسرائيلي والصادرات الاسرائيلية . وهي انعكاسات ذات دلالة هامة جدا وبعيدة المدى . ومن المفيد الاشارة الى المراحل التي يمكن تقسيم اثر برنامج التصنيع المذكور اليها . فالمرحلة الاولى هي بين ١٩٥٤ - ١٩٥٨ . والمرحلة الثانية ١٩٥٨ - ١٩٦٥ . والمرحلة الثالثة بين ١٩٦٥ - ١٩٦٧ . والرابعة ١٩٦٧ - وحتى الآن . وما يهمنا هو الفترتان الاوليان ، ففي المرحلة الاولى تم بناء القاعدة التحتية للصناعة الاسرائيلية وخصوصا المشاريع غير المنتجة ، وهي المشاريع الضرورية للدخول في المرحلة التالية أي مرحلة بناء المشاريع المنتجة والمصانع الخ . وهي المرحلة التي شارفت على الانتهاء في العام ١٩٦٥ . والحقائق التي يمكن تسجيلها هي :

١ - مضاعفة الصادرات الصناعية ١٢٣ مرة مقابل ٩٥ مرة للصادرات الزراعية ، بين العامين ١٩٤٩ - ١٩٧٣ أي بالارقام المطلقة من ١٨١٢٣ مليون دولار الى ١٧٣٣ مليون دولار للصادرات الزراعية مقابل ١٠٣٧٢ مليون دولار - عام ٤٩ الى ١٢٧٥ مليون دولار عام ١٩٧٣ للصادرات الصناعية . وبحيث انخفضت الاهمية النسبية للصادرات الزراعية الى اجمالي الصادرات من ٦٣٦ ٪ عام ١٩٤٩ الى ١١٩ ٪ عام ١٩٧٣ برغم ان الزراعة الاسرائيلية حافظت على تزايد قيمتها المطلقة ، أي ان وتيرة تزايد الصناعة كانت اكبر بكثير من وتيرة تزايد الزراعة .

وكما يمكن لنا ملاحظة المحطات الرئيسية التي تعرضت لها تلك النسبة ، اذ بقيت تتراوح حول ٤٠ ٪ حتى العام ١٩٥٨ وهي الفترة التي نفذت بها المشاريع غير المنتجة ولكن خلال الفترة الثانية هبطت تلك النسبة بشكل ملفت للنظر ، وذلك ابان الفترة التي نفذت بها المشاريع المنتجة ، لتصل الى ٢٠ ٪ فقط في العامين ١٩٦٥ - ١٩٦٦ وعندما تهبط نسبة الصادرات الزراعية من ٦٣٦ ٪ الى ٢٠ ٪ غطت وتزايد الصادرات الصناعية من ١٠٢٧٣ مليون دولار الى ٤٠٨٤٢٠ مليون دولار عام ١٩٦٦ فان ذلك يعتبر تطورا كبيرا جدا ولا يمكن عزله عن البرنامج التصنيعي الذي نفذ قبل ذلك بحيث لم تأت سنة ١٩٦٦ الا وهنالك طاقة انتاجية عاطلة في الصناعة الاسرائيلية ، والاقتصاد الاسرائيلي يدخل مرحلة من نوع جديد هي مرحلة تشغيل تلك الطاقة وابعاد

أسواق لتصريفها وحيث كانت هنالك قفزة حقيقية ، ففي الوقت الذي لم يقفز به رقم الصادرات الصناعية خلال ثمانية عشر عاما ، أي بين الأعوام ١٩٤٩ - ١٩٦٧ إلا ٤٣ مرة ، أي من ١٠.٣٧٢ مليون دولار إلى ٤٤٦.٥٥٩ ، فان الصادرات الاسرائيلية الصناعية قد حققت خلال ٦ أعوام فقط أي بين ١٩٦٧ - ١٩٧٣ قفزة تساوي ، ان لم يكن أكثر ، القفزة التي حققتها خلال الثماني عشرة سنة السابقة للعام ١٩٦٧ ، حيث أطلق العنان للقاعدة الصناعية التي قامت أوروبا بينها . فلتقد قفزت الصادرات الصناعية من ٤٤٦.٥٥٩ مليون دولار عام ١٩٦٦ لتصل إلى ١٢٧٥.٦ مليون دولار عام ١٩٧٣ ، وخلال هذه المرحلة حصل الهبوط الشديد في نسبة الصادرات الزراعية إلى إجمالي الصادرات فقد هبطت من ١٩٤٪ إلى ١١٩٪ وهي نسبة هبوط ذات أهمية كبرى ودلالات عميقة .

### أوروبا الغربية المستورد الرئيسي

إذا كانت أوروبا الغربية هي التي قامت بخلق القاعدة الصناعية لاسرائيل عبر برنامج التعويضات - التصنيع الذي تكفلت به ألمانيا الغربية ، فان أوروبا الغربية مجتمعة وبالأذات دول السوق الأوروبية المشتركة قد شكلت المنفذ الرئيسي للصادرات الاسرائيلية ، حيث كانت الصادرات الاسرائيلية إليها تتزايد بمعدلات سنوية قريبة من تلك المعدلات التي كانت تتزايد بها صادراتها الاجمالية . والفترة التي شهدت بها الصادرات الاسرائيلية توسعا هائلا انما كانت الفترة التي تلت عدوان ١٩٦٧ كما تدلنا أرقام الجداول ( المبينة على الصفحتين ٧٢ - ٧٣ ) .

لقد استوعبت السوق الأوروبية بدرجة أساسية تلك الزيادات التي كانت تطرأ على الصادرات الصناعية الاسرائيلية رغم ان الدول الأوروبية هي دول مصنعة وبالتالي دول مصدرة . فإضافة إلى استيعاب السوق الأوروبية لما يتراوح بين ٤٥٪ و ٣٧٪ من إجمالي صادرات اسرائيل على مدى السنوات من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٣ فانها قد استوعبت ما يتراوح بين ٣٦٪ و ٣٤٪ من إجمالي صادرات اسرائيل الصناعية خلال الفترة نفسها ، علما بأن السوق الأوروبية قد استوعبت ما يتراوح بين ٧٢٪ و ٦٧٪ من صادرات اسرائيل الزراعية . وبهذا كانت تتفوق على الولايات المتحدة الأمريكية التي تبلغ وارداتها الزراعية من اسرائيل حوالي ٦٠/١ من واردات أوروبا وحوالي نصف واردات أوروبا من صادرات اسرائيل الصناعية ، حيث بلغ نصيب الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ ١٨٤٪ مقابل ٣٨٦٪ نصيب أوروبا من إجمالي صادرات اسرائيل الصناعية .

ان ما تقدم يدفنا إلى القول ان أوروبا الغربية قد صنعت اسرائيل في الفترة الأولى من عمر الأخيرة عبر ألمانيا الغربية . وأوروبا الغربية مجتمعة وبالأذات من خلال الدول التي شكلت في وقت لاحق السوق الأوروبية المشتركة كانت المستوعب الرئيسي للصادرات الاسرائيلية الأمر الذي كان يكفل لاسرائيل مزيدا من النمو والتقدم والإمكانيات حيث كانت أوروبا تتفوق في هذا المجال حتى على الولايات المتحدة ورغم ان مساعدات الأخيرة أكثر بريقا وإثارة .

ان أوروبا الغربية التي صنعت اسرائيل كمرحلة أولى وأوجدت المجال لتسويق غالبية منتجاتها كمرحلة ثانية ، أقدمت في الفترة الأخيرة على خطوة ثالثة هي ذات اثر حاسم على المستقبل الاقتصادي لاسرائيل حيث وقعت اتفاقية جديدة بين اسرائيل والسوق المشتركة لا يوازها خطوة سوى برنامج تصنيع اسرائيل الذي سبقت

الإشارة إليه . وكانت شؤون فلسطينية عدد ٤٤ قد أشارت في حينه الى ذلك الاتفاق وقيمته بقولها :

« ان الاتفاقية الجديدة والتي هي الخطوة ما قبل الاخيرة لانضمام اسرائيل الكامل للسوق المشتركة، ستترك آثارها العميقة والسريعة على مستقبل الاقتصاد الإسرائيلي، لأنها تتوافق تمام التوافق مع خطة التنمية التي نفذتها اسرائيل والتي سبق لنا الإشارة إليها . باعتبار ان الاقتصاد الإسرائيلي يعاني في هذه المرحلة من عدم توازن خطير في العناصر المكونة له . اذ يقابل الوفرة في عناصر الإنتاج من عدد وآلات ويد عاملة فنية ، نقص خطير في امكانيات السوق سواء على صعيد المستهلكين او اليد العاملة غير الفنية . ولقد أتت الاتفاقية المذكورة لتحل الجزء الأكبر من هذا الخناق ، بتوفيرها السوق المطلوبة وبالشروط التي سبق الإشارة إليها ، ولم يكن ممكنا ان تكون لتلك الاتفاقية اية قيمة لولا درجة النمو التي بلغها الاقتصاد الإسرائيلي . لانه لا معنى اطلاقا لان تحظى اسرائيل بتسهيلات تصديرية ، في الوقت الذي لا تملك به قدرات تصديرية . ولو تذكرنا حجم الطاقة العاطلة سواء في مجال الصناعة او اليد العاملة لادركنا الى أي مدى تستطيع اسرائيل مضاعفة معدل إنتاجها لأنها لن تكون بحاجة حينئذ وفي ظل الاتفاقية الجديدة ، سوى لتشغيل تلك الطاقة ، هذا اذا ما تذكرنا حقيقة أخرى ألا وهي ان امكانية توفير عنصر اليد العاملة غير الفنية يخضع لمرونة كبيرة بالمقارنة مع امكانية توفير أي عنصر آخر من عناصر الإنتاج . وان زيادة معدل الإنتاج، وبالمقابل بدون اعباء في مستوى تلك الزيادة ، ستعكس نفسها ايجابا على معدل النمو في اسرائيل ، ويتيح لها تعديل أوضاع ميزان مدفوعاتها والقضاء على العجز المزمّن فيه او تخفيضه بدرجات كبيرة على الاقل . ويمكن لنا معرفة وادراك الخطورة التي يمثلها أي تزايد جديد في معدل الناتج القومي أو القدرة التصديرية لاسرائيل . اذا ما علمنا أن الناتج القومي لاسرائيل في العام ١٩٧٤ قد زاد عن الناتج القومي المصري في نفس العام ( ٨٧ مليار دولار لاسرائيل ، ٨٥ مليار دولار مصر ) . واذا ما تذكرنا اثر الأوضاع الاقتصادية في الأوضاع السياسية والعسكرية لاي مجتمع من المجتمعات، فان خطر الاتفاقية المذكورة يصبح أكثر وضوحا . وبإمكان اسرائيل الآن ان تطمئن لمستقبلها بعد أن تحقق لها الشق الاسلم من الشعار الذي رفعته بعد حرب تشرين ، « التصدير أو الموت » ، في معرض تشبيهه اوضاعها الاقتصادية بأوضاع أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية » . وهي التي سبق أن قالت على لسان صحيفة معاريف ونقلتها النهار في ٣١/١٠/١٩٧٤ « ان وجود الفائض في العملة الصعبة باحتياطي الدولة هو حاجة حيوية لا يعلو عليها شيء في وضع اسرائيل الاقتصادي والامني ، فالحرب لا تتطلب فرقا مسلحة وانما عملة صعبة أيضا » .

### أوروبا تعالج الامراض الاقتصادية المزمنة لاسرائيل

ان التضخم والعجز في ميزان المدفوعات هما الظاهرتان المرضيتان اللتان لازمتا الاقتصاد الإسرائيلي ، وقد بلغنا معدلات خطيرة بالذات في الفترة التي تلت حرب تشرين ، وطالما لجأت اسرائيل الى اتخاذ انسى الإجراءات الاقتصادية لمواجهة هذين المرضين ، فقد قامت في الفترة الاخيرة بتخفيض قيمة عملتها لتزيد من صادراتها وتخفيف وارداتها ، اضافة الى الاجراءات التي استهدفت كبح جماح التضخم المالي . وقد أتت التسهيلات التي قدمتها أوروبا الغربية أخيرا بفتحها باب السوق الأوروبية المشتركة على مصراعيه أمام السلع الاسرائيلية لتشكل الدواء الناجع لمشكلة ميزان المدفوعات ، فمن المتوقع ان تقفز صادرات اسرائيل بمعدلات عالية الامر الذي يزيد من موارد اسرائيل المالية من العملة الحرة وبهذا ينخفض مقدار العجز في ميزان المدفوعات .

ان انعكاسيات زيادة صادرات اسرائيل لا تتقف عند حدود علاج ميزان المدفوعات فحسب ، بل تتعداها لمعالجة ظواهر سلبية أخرى يعاني منها اقتصاد اسرائيل . فزيادة الصادرات تفترض زيادة الانتاج وهذا يستدعي تشغيل الطاقة الانتاجية العاطلة في الصناعة الاسرائيلية ويتم تلافي الخسائر المترتبة على وجود طاقة انتاجية عاطلة ، اضافة لذلك خلق مزيد من فرص العمل أمام الاكاديميين والفنيين الذين يزيدون في هذه الفترة من قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على الاستيعاب . وكذلك زيادة قدرة اسرائيل على ابتلاع المزيد من اليد العاملة العربية من المناطق المحتلة وما لها من انعكاسات على جملة الاوضاع هناك ، علما بأن تدعيم قدرة اسرائيل الاقتصادية بشكل عام انما هو في النهاية تدعيم لقدرة اسرائيل على الصمود .

ان ما تقدم يدفنا الى القول بأن موقف أوروبا الغربية من قضايانا ومن دعم اسرائيل لم يتبدل طيلة الفترة الماضية رغم تبدل المظاهر التي قدم في ظلها ذلك الدعم الذي كان يتناسب ودرجة النمو التي قطعها الاقتصاد الاسرائيلي . وبحيث يأتي دعم أوروبا الغربية ليسهم في نقل اقتصاد العدو من مرحلة الى ارقى ، وبما في ذلك من رفع لقدرتها السياسية .

### أين المقاطعة : أين المطاردة الاقتصادية ؟

ان تطور علاقات أوروبا الاقتصادية باسرائيل تفتح المجال واسعا امام سؤال ولكن أين نشاط المقاطعة العربية لاسرائيل ؟ وما هو أثر ذلك النشاط اذا كان ثمة نشاط له ؟ ولو تجاوزنا الفترة التي سبقت عدوان ١٩٦٧ ، وتساءلنا عن الترجمة العملية لموقف أوروبا الغربية تجاه عدوان ١٩٦٧ واستمرار ذلك العدوان ، لأمكن لنا القول ان ذلك الموقف هو مجرد كلام لا أكثر ولا أقل .

ان « ذروة » النشاط العربي لمجابهة اسرائيل كان في العام ١٩٧٣ ، عام حرب تشرين ، وقد كثر الحديث عن الضغط العربي . . . الخ . ولكن الحقيقة ان العام ١٩٧٣ هو الذروة ايضا في علاقات اسرائيل الاقتصادية مع أوروبا ، فقد زادت الصادرات الاسرائيلية لدول السوق المشتركة في ذلك العام بنسبة ٣٣ ٪ ، في الوقت الذي لم ترده اجمالي الصادرات سوى بنسبة ٢٦ ٪ ، وزيادة صادرات اسرائيل لدول السوق المشتركة تعتبر زيادة قياسية فيما لو قورنت بالزيادة التي حققتها الصادرات الاسرائيلية طيلة السنوات العشر الماضية بين ١٩٦٣ — ١٩٧٣ ( راجع الجدول ) . علما بأن دول القارة الافريقية هي الدول الوحيدة التي انخفضت صادرات اسرائيل اليها حيث يمكن لنا القول ان الضغط العربي قد ترك أثرا ، ولكن وبرغم ان واردات افريقيا قد انخفضت عام ١٩٧٣ و ١٩٧٢ بـ ٨ ٪ و ٣ ٪ على التوالي ، ولكن تلك النسبة بالنسبة المطلقة هي ٣٤٥٦ و ٢٧٣ مليون دولار ، أي ان حجم الضغط العربي عام ١٩٧٣ كان في النهاية ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار ! مقابل زيادة حققتها صادرات اسرائيل لدول السوق المشتركة فقط تبلغ ١٤٠٢٥٠ مليون دولار وذلك زيادة في صادرات عام ١٩٧٣ عن العام ١٩٧٢ .

ان ميدان المجابهة مع اسرائيل هو السوق الأوروبية ، فالقارة الافريقية يكاملها لم تستورد في العام ١٩٧٣ سوى بـ ٤٢٠٦٩٢ مليون دولار أي ٣٠ ٪ مما تستورده بريطانيا فقط ، و ٣١ ٪ مما تستورده ألمانيا الغربية فقط ، و ٤٣ ٪ مما تستورده هولندا فقط . وحيث لا يبلغ اجمالي ما تستورده افريقيا سوى ٧ ٪ من اجمالي ما تستورده دول السوق ، مع ملاحظة مسألة ملفتة للنظر ، الا وهي ان الدول الأوروبية الأكثر عرضة للضغط العربي الا وهي بريطانيا باعتبارها الأكثر استيعابا للرساميل العربية ، هي الدولة التي تحتل المرتبة الاولى من بين دول السوق في علاقاتها الاقتصادية مع

اسرائيل ، حيث استوردت لوحدها ٢٥ ٪ مما استوردته كافة دول السوق الاوروبية المشتركة من اسرائيل . وفيما يلي جدول بصادرات اسرائيل لدول السوق وتطورها في العامين ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ، وجدول ثان ببينود الصادرات الزراعية والصناعية لدول السوق المشتركة في الفترة المذكورة :

بنود الصادرات الزراعية والصناعية لدول السوق المشتركة بين ١٩٧٢ - ١٩٧٣ \* بملايين الدولارات

نسبة الزيادة		عام ١٩٧٣	عام ١٩٧٢	
السنتوية				
٣٤٧ ٪		١١٧٤٥	١١٣٤٢	١ - صادرات زراعية (اجمالي)
٤٤٢ ٪ (-)		٧٢٤٢	٧٥٤٤	١ - حمضيات
١٩٤٥ ٪		٤٥٤٣	٣٧٤٩	٢ - صادرات زراعية اخرى
٤٤٤٥ ٪		٤٤١٤٦	٣٠٥٥٥	ب - صادرات صناعية (اجمالي)
٣٦ ٪		٢٢٤٧	١٦٤٦	١ - كياويات
٤٠ ٪		٥٤٤٦	٣٨٤٩	٢ - أقمشة وجلود
٢٤ ٪		٧١٤٦	٥٧٤٦	٣ - أغذية ومأكولات
٦٢ ٪		١٩٩٤٩	١٢٢٤٩	٤ - ماس مصقول
-		٢١ ٪	٢٧٤١ ٪	نسبة الصادرات الزراعية من اجمالي الصادرات

#### تطور صادرات اسرائيل الى دول السوق

حصة كل دولة من صادرات اسرائيل لدول السوق ١٩٧٣	نسبة الزيادة السنوية	عام ١٩٧٣	عام ١٩٧٢	
٢٦ ٪		١٤٤٨٤٧	١١٤٧	١ - اجمالي الصادرات لدول العالم
٣٣ ٪		٥٥٩٤١	٤١٨٤٩	٢ - اجمالي الصادرات لدول السوق فقط
				٣ - دول السوق
٦٤٢٢ ٪	٢٢ ٪	٣٤٤٨	٢٨٤٥	١ - ايطاليا
٤٠٠١٦ ٪	٢٨ ٪	٠٤٩	٠٤٧	٢ - ايرلندا
١٣٤٥ ٪	٦٣ ٪	٧٥٤٧	٤٦٤٣	٣ - بلجيكا ولوكسمبورج
٢٤٤٦ ٪	٢٢ ٪	١٣٧٤٦	١٠٣٤٦	٤ - المانيا الغربية
٠٤١٣ ٪	٢٣ ٪	٧٤٦	٥٤٧	٥ - الدنمرك
١٧٤٥ ٪	٤٥ ٪	٩٨٤٠	٦٧٤٤	٦ - هولندا
٢٥٤١ ٪	٢٤ ٪	١٤٠٤٨	١١١٤٣	٧ - بريطانيا
١١٤٤ ٪	١٤٤٩ ٪	٦٣٤٧	٥٥٤٤	٨ - فرنسا
-	-	٣٨٤٦ ٪	٢٦ ٪	٤ - نصيب دول السوق من صادرات اسرائيل الاجمالية

\* كتاب الاحصائيات السنوي لاسرائيل ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ .  
\*\* النسب مستخرجة .

### نظور اجمالي صادرات

البلد	قيمة الصادرات عام ١٩٦٢	نسبة العام الحالي للعام السابق	١٩٦٤	نسبة	١٩٦٥	نسبة	١٩٦٦	نسبة	١٩٦٧	نسبة
كافة الدول	٣٥١٤٤٩٤	—	٣٧٢٤٣٥٠	٪ ١٠٥	٤٢٩٤٥٩١	٪ ١١٥	٥٠٣٤٤٤٤	٪ ١١٧	٥٥٤٤٤٥٣	٪ ١١٠
دول السوق	٧٥٩٤٨٥٧	—	٨١٠٥٤٢٨	٪ ٩٧	١٧٧٧٧٨١	٪ ١١٤	٢١٠٠٨٩	٪ ١١٨	٢٣٥٠٩٩٦	٪ ١١١
الولايات المتحدة	٤٦٤٣٦٤	—	٥٤٤٦٦٤	٪ ١١٧	٦٢٤٠٤	٪ ١١٤	٧٧٥٥١٨	٪ ١٢٤	٨٩٠٩٢٥	٪ ١١٦
افريقيا	١١٤٥٦٤	—	١٢٤٧٣٧	٪ ١١٠	٢١٦٤١٨	٪ ١٦٦	١٩٥٤٦	٪ ٩٠	٢٤٤٤٣٩	٪ ١٢٥
نصيب دول السوق	٪ ٤٥	—	٪ ٤١	—	٪ ٤١	—	٪ ٤١	—	٪ ٤٢	—
نصيب الولايات المتحدة	٪ ١٣	—	٪ ١٤٤٦	—	٪ ١٤٤٥	—	٪ ١٥	—	٪ ١٦	—
نصيب افريقيا	٪ ٣٤٢	—	٪ ٣٤٤	—	٪ ٥٠٣	—	٪ ٣٤٨	—	٪ ٤٤٠	—

### تطور صادرات اسرائيل

كافة البلدان	٢٦٢٤٤٨٩	—	٣٠٥٦٥١	٪ ١١٦	٣٤٣٠٦٦	٪ ١١٢	٤٠٨٤٣٥٥	٪ ١١٩	٤٤٦٤٥٥٩	٪ ١٠٩
دول السوق	٩٥٤٢٥٣	—	١٠٩٤٨٤٨	٪ ١١٥	١١٨٤٣٦٣	٪ ١٠٧	١٤٧٤٢٥٤	٪ ١٢٤	١٦١٤٢٨٢	٪ ١٠٩
الولايات المتحدة	٤٥٥٨٨٤	—	٥٤٤٢٩١	٪ ١١٨	٦١٤٥٥٨	٪ ١١٤	٧٦٤١٩٠	٪ ١٢٤	٨٩٤٧٠٦	٪ ١١٦
نصيب دول السوق	٪ ٠٤٣٦	—	٪ ٠٤٣٥	—	٪ ٠٤٣٤	—	٪ ٠٤٣٦	—	٪ ٠٤٣٦	—
نصيب الولايات المتحدة	٪ ٠٤١٧	—	٪ ٠٤١٧	—	٪ ٠٤١٨	—	٪ ٠٤١٨	—	٪ ٠٤٢٠	—

### تطور صادرات اسرائيل

كافة البلدان	٨٩٤٠٠٥	—	٦٦٤٦٩٩	٪ ٧٤	٨٦٤٥٢٢	٪ ١٢٩	٩٤٤٩٢٧	٪ ١٠٩	١٠٧٤٨٩٤	٪ ١١٣
دول السوق	٦٤٤١٥٥	—	٤٤٤٤٧٥	٪ ٦٩	٤٨٤٧٠٩	٪ ١٢١	٥٨٤٩٨٥	٪ ١٠٧	٧٧٤١٤	٪ ١٢٢
الولايات المتحدة	٠٤٤٨٠	—	٠٤٣٧٣	٪ ٧٧	٠٤٤٤٦	٪ ١١٦	٠٤٦٠٨	٪ ١٢٦	٠٤٢٢٩	٪ ٢٧
نصيب دول السوق	٪ ٧٢	—	٪ ٦٦٤٦	—	٪ ٦٧٤٨	—	٪ ٦٦	—	٪ ٧١	—
نصيب الولايات المتحدة	٪ ٠٤٥	—	٪ ٠٤٥	—	٪ ٠٤٥	—	٪ ٠٤٦	—	٪ ٠٤٢	—

\* كتاب الاحصائيات السنوي لاسرائيل للاعوام ١٩٦٣ — ١٩٧٣ .

\* النسب مستخرجة .

إسرائيل ١٩٦٢ - ١٩٧٣ ( بملايين الدولارات )

نسبة	١٩٧٣	نسبة	١٩٧٢	نسبة	١٩٧١	نسبة	١٩٧٠	نسبة العام الحالي للعام السابق	قيمة الصادرات	نسبة	١٩٦٩ عام	١٩٦٨
٪ ١٢٦	١٤٤٨٢٦٠٩	٪ ١١٩	١١٤٦٩٩٧٢	٪ ١٢٢	٩٥٧٦٠٩	٪ ١٠٦	٧٧٨٢٧٣٥	٪ ١١٤	٧٢٩٢٣٠	٪ ١١٥	٦٢٩٢١٦	٦٢٩٢١٦
٪ ١٢٣	٥٥٩٢٠٢	٪ ١١٦	٤١٨٢٨٥٢	٪ ١٢٣	٣٦٠٠٦٠	٪ ١٠٧	٢٩١٢٨٩١	٪ ١٠٦	٢٧٠٢٥٥٩	٪ ١٠٧	٢٥٤٤٤٠٤	٢٥٤٤٤٠٤
٪ ١١٩	٢٦٧٢٠٠٩	٪ ١٢٠	٢٢٣٢٤٧٣	٪ ١٢٤	١٨٥٢٥٤٨	٪ ١٠٩	١٤٩٢١١٤	٪ ١١٣	١٣٥٢٧١٢	٪ ١٢٢	١١٩٢٤١٥	١١٩٢٤١٥
٪ ٩٢	٤٢٦٩٢	٪ ٩٧	٤٦٢١٤٨	٪ ١١٤	٤٧٢٤٢١	٪ ١٢١	٤١٢٥٥٤٢	٪ ١٢٢	٣٤٢٢٤٦	٪ ١١٤	٢٧٢٩٤٥	٢٧٢٩٤٥
-	٪ ٣٨٦	-	٪ ٣٦٥	-	٪ ٣٧٦	-	٪ ٣٧٥	-	٪ ٣٧	-	٪ ٤٠	٪ ٤٠
-	٪ ١٨٤	-	٪ ١٩	-	٪ ١٩	-	٪ ١٩	-	٪ ١٨٦	-	٪ ١٨٦	٪ ١٨٦
-	٪ ٢٤٩	-	٪ ٢٤٠	-	٪ ٢٤٩	-	٪ ٢٥٢	-	٪ ٢٤٦	-	٪ ٢٤٢	٪ ٢٤٢

الصناعية ١٩٦٣ - ١٩٧٣

٪ ١٢٨	١٢٧٥٢٦	٪ ١٢٣	٩٨٩٢٧	٪ ١٢٣	٨٠٢٤٤	٪ ١٠٦	٦٤٤٢٢	٪ ١١٦	٦١١٢٥	٪ ١١٧	٥٣٦٢٥٢٢	٥٣٦٢٥٢٢
٪ ١٤٤	٤٤٤٢٦	٪ ١٢٢	٣٠٥٥٥	٪ ١٢٢	٢٤٨٢٦	٪ ١٠٦	٢٠٢٤٢	٪ ١٠٧	١٩٠٤٥	٪ ١٠٩	١٧٦٢٥٧٧	١٧٦٢٥٧٧
٪ ١٢١	٢٦٦٢٢	٪ ١١٨	٢١٦٤٤	٪ ١٢٢	١٨٤٣٤	٪ ١١٠	١٤٨٤١	٪ ١١٤	١٢٤٢٦	٪ ١٢١	١١٧٢٦٥٥	١١٧٢٦٥٥
-	٪ ٢٤٢	-	٪ ٢٠٤	-	٪ ٢٠٩	-	٪ ٢١	-	٪ ٢٣١	-	٪ ٢٣٥	٪ ٢٣٥
-	٪ ٢٠٤	-	٪ ٢٢	-	٪ ٢٢	-	٪ ٢٢	-	٪ ٢٢٢	-	٪ ٢٢٢	٪ ٢٢٢

الزراعية ١٩٦٣ - ١٩٧٣

٪ ١١٠	١٢٣٧١	٪ ١٠١	١٥٧٤٢	٪ ١٢٢	٨٣٢٤٨	٪ ١٠٧	١٢٦٢٤	٪ ١٠٤	١١٧٢٨	٪ ١٠٤	١١٣٢٤٦١	١١٣٢٤٦١
٪ ١٠٣	١١٧٢٥	٪ ١٠١	١١٣٢٣	٪ ١٢٥	١١١٢١	٪ ١١١	٨٨٢٧	٪ ١٠٣	٧٩٤٦٨	٪ ٩٩	٧٦٤٧٣٢	٧٦٤٧٣٢
٪ ١٠٥	١٤٨	٪ ١٤١	١٤٧	٪ ١٢٠	١٤٢	٪ ٩٠	١	٪ ٩٢	١٤١	٪ ٧٦٨	١٤٧٦٠	١٤٧٦٠
-	٧٧٢٨	-	٪ ٠٧٢	-	٪ ٧١٢	-	٪ ٠٧٠	-	٪ ٠٦٧	-	٪ ٦٧٤٨	٪ ٦٧٤٨
-	٪ ١	-	-	-	٪ ٠٧	-	٪ ٠٧	-	٪ ٠٦٩	-	٪ ١٤٥	٪ ١٤٥

## التاريخ يعيد نفسه

ان درجة النمو التي حققها الاقتصاد الاسرائيلي ككل-، والقفزات التي تشهدها الصادرات الاسرائيلية هي الترجمة العملية لبرنامج التصنيع الذي « نفذ » لاسرائيل .  
 فالصناعة هي العامل الاساسي وراء تلك القفزات . وعندما نقول صناعة اسرائيلية؛ فان الذاكرة تعود الى الخمسينات حيث بدىء في دفع التعويضات الالمانية الغربية لاسرائيل ، بشكل برنامج تصنيعي ، يومها احتجت الدول العربية . ولكن بعد شهر معدود تفهموا الموقف وساد الصمت ، ومرت الاتفاقية . وما زالت اسرائيل تقطف ثمارها . وبرغم ان دول السوق قد اقدمت على توقيع اتفاقية اقتصادية ، لا تقل آثارها عن اتفاق التعويضات المذكور ، برغم هذا، استؤنف الحوار العربي - الاوروبي في موعده بعد جولة في المنطقة قام بها وزير خارجية ايرلندا ، « ليوضح لكل من قابله سوء الفهم الذي لحق بالاتفاقية المذكورة » . وبعد ان « ردت دول السوق بأن الاتفاقية لا تتضمن الاراضي العربية المحتلة بعد حزيران ١٩٦٧ بمعنى ان دول السوق لا تقوم او تتعاون في مشروعات داخل هذه الاراضي » ! وهكذا هدأت الزوبعة واستؤنف الحوار . . كما ساد الهدوء في الخمسينات .

ان ( الرجل الاوروبي ) ممثلا بوزير خارجية ايرلندا ، كان يحققر عقول العرب وهو يوزع « توضيحات » هنا وهناك ، والجميع يعرف تمام المعرفة ، العلاقة بين السياسة والاقتصاد ، وليس ماركس وريكاردو وآدم سميث . . . فقط .

٠ وعندما تتوفر للعدو موارد مالية جديدة، فان أحدا لن يستطيع تحديد متى ، وأين وكيف تصرف . . وبرغم هذا استؤنف الحوار !

## آراء هركابي وموقفه من الشعب الفلسطيني وقضيته

حمدان بدر

يعتبر الجنرال ( احتياط ) يهوشفاط هركابي واحداً من الخبراء الاسرائيليين في الشؤون العربية المعروفين ، وذلك للمناصب التي شغلها في الماضي وكذلك لانه يتقن اللغة العربية ، ويتابع قراءة ما يصدر في العالم العربي من كتب ونشرات وخاصة فيما يتعلق بالنزاع العربي - الاسرائيلي والقضية الفلسطينية . وانه ليس من السهل فصل موقف البروفيسور هركابي من الصراع العربي - الاسرائيلي عن قصة حياته ، فوالده القاضي تسدقياهو هركابي ، اضطر في الثمانينات من القرن الماضي ، للسفر الى القدس والدراسة في مدرسة ابتدائية عربية ، حيث كان اليهودي الوحيد فيها . وقد جعلت هذه الدراسة الطريق مفتوحاً امامه الى المدرسة الثانوية في سوريا . وقد اتم دراسته في دمشق . وعندما عاد الى فلسطين تزوج من احدي غتيات بيتح تكنا ، ورزق عام ١٩٢١ بابنه « يهوشفاط » . وقد تعلم هركابي الابن في مدرسة « هريفالي » في حيفا ، حيث تفوق بالعلوم الدقيقة ولكنه فضل ان يدرس في الجامعة العربية مواضيع مثل الفلسفة والتاريخ واللغة والادب العربي . وفي عام ١٩٤٣ تم تجنيده في الكتيبة الثانية في الفرقة العبرية .

عاد هركابي بعد انتهاء الحرب العالمية الى الدراسة في مؤسسة تابعة للوكالة اليهودية ، وهي التي اعدت الرعيل الاول من سلك وزارة الخارجية ، وفي عام ١٩٤٧ تركز في النشاط العسكري كقائد لكتيبة الطلبة الجامعيين في القدس . ثم انضم بعد حرب عام ١٩٤٨ الى وزارة الخارجية الاسرائيلية التي كانت قيد التنظيم وعين رئيساً لدائرة شؤون آسيا ، ثم عمل بعد ذلك بمدة قصيرة كضابط للاتصال بين الجيش الاسرائيلي ووزارة الخارجية برتبة رائد . كما اشترك مع الوفد الاسرائيلي في المفاوضات مع مصر والاردن وفي محادثات رودس . وبفضل منصبه اجتاز عدة مرات الحدود الى الاردن ، واجتمع الى الملك عبدالله عدة مرات في مقره الشتوي في غور الاردن ( الشونة الجنوبية ) . وكانت الوظيفة التالية التي شغلها هي رئيس مكتب وزير الخارجية وسكرتيره السياسي ( كان موشيه شاريت ، وزيراً للخارجية في ذلك الوقت ) . وفي هذه المرحلة ، اقترح عليه بصورة مفاجئة ، وظيفة نائب مدير شعبة الاستخبارات من قبل رئيس الاركان ، حيث عمل فترة ما في هذا المنصب ، سافر بعدها الى فرنسا لقضاء سنة دراسية في العلوم السياسية هناك . وعندما عاد تسلم منصب مدير شعبة الاستخبارات وذلك ابتداء من عام ١٩٥٥ برتبة جنرال .

وبقي هركابي في منصبه هذا حتى عام ١٩٥٩ ، الى ان وقع حادث ادى الى عزله من منصبه . فقد عين بن غوريون لجنة في ابريل ١٩٥٩ ، للتحقيق في مسألة التعبئة العلنية لناورة الاحتياط ، الامر الذي ادى الى استقالته هو و ( الجنرال ) مئير زوريع من الجيش . وعندها سافر هركابي الى جامعة هارفارد بهدف مواصلة طريقه الاكاديمي ، حيث درس الاقتصاد والاجتماع والعلاقات الدولية وحصل على درجة

المأجستير من هناك ، ثم عاد الى الجامعة العبرية وحصل عام ١٩٦٥ على الدكتوراه ، وكانت أطروحته « موقف العرب في الصراع العربي - الاسرائيلي » .

ومنذ ذلك الوقت وهو يحاضر في مواضيع استراتيجية في الجامعة العبرية وينشر الكتب التي تتعلق بالصراع العربي - الاسرائيلي ، مثل « موقف العرب في الصراع العربي - الاسرائيلي » و « الحرب الذرية والسلام الذري » و « بين اسرائيل والعرب » و « فتح في الاستراتيجية العربية » و « عبرة العرب من هزيمتهم » و « كيف تم شرح الموقف العربي في الجيش المصري » و « الميثاق الوطني الفلسطيني » وقد أصدر بعد حرب أكتوبر . ونظرا للحملة العنيفة التي وجهت الى مجموعة الخبراء الاسرائيليين بالشؤون العربية ، لتقديهم ضرورة ومفاهيم خاطئة عن العالم العربي ، مما دفع هركابي وغيره الى اصدار مجلة فصلية تحمل اسم « اسرائيل والعرب » ، تحتوي على ترجمة للمقالات والدراسات التي تصدر في العالم العربي ، لوضعها بين متناول أيدي المعنيين وذوي الاختصاص . وتم في اغسطس من العام الماضي ، اعارته لمدة سنة من قبل الجامعة الى وزارة الدفاع ، حيث يعمل الآن مساعدا لوزير الدفاع في السياسة الاستراتيجية ويشتغل ايضا في التخطيط الاستراتيجي للمدى الطويل ( ملحق دافار - ٧٥/٢/٢٨ ) .

### الفلسطينيون في النزاع الاسرائيلي - العربي

من الملفت للنظر انه بالرغم من ان هركابي يتابع القضية الفلسطينية بكافة جوانبها وخلفياتها ، وبالرغم من انه يحصل على كافة المعلومات حول القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني سواء من مصادر عربية او فلسطينية او نتيجة لاختلاطه بسكان المناطق المحتلة ، وبالرغم من تأليفه عددا من الكتب وكتسابه عشرات المقالات والمحاضرات حول هذا الموضوع ، رغم هذا كله فاننا لا نجد موقفا موحدا وواضحا لهركابي تجاه الشعب الفلسطيني وقضيته . بل يلاحظ المتابع لكل ما قاله وكتبه حول هذا الموضوع بأنه يتخذ مواقف غامضة ومبهمة من هذه القضية ، فنراه مثلا احيانا يعطي أهمية للفلسطينيين ولمشاكلهم في النزاع الاسرائيلي - العربي . ثم لا يلبث ان يعود الى التقليل من هذه الأهمية ، بحيث لا يعطيهم الوزن والثقل الكافيين .

وسيتبين معنا خلال استعراض آراء هركابي ومواقفه بالنسبة للفلسطينيين ، مدى الغموض وعدم الوضوح والجزم في آرائه ، بالنسبة لكافة جوانب القضية الفلسطينية .

هذا ولا يسع هركابي ، الا الاعتراف بالارتباط الذي يشد الفلسطينيين الى وطنهم ، ويعترف بأن الجيل الفلسطيني الشاب يسعى الى العودة ليس من خلال الاشتياق الى ملك معين وإنما لرفضه حياته الحالية ومن خلال موقف ايدولوجي ، وذلك لازالة الظلم الذي لحق به وعدوانية اسرائيل وضرورة تصفية اسرائيل وكذلك تحقيق العدل في المنطقة . ويؤكد هركابي على ارتباط الفلسطينيين بوطنهم ، رغم تغير صورته ، بعد ان قاموا بزيارة قرى آبائهم ، ويدعو الا يؤدي الاعتراف بأن للفلسطينيين ارتباطا بالبلاد الى الزعزعة والقلق داخل اسرائيل .

ومن جهة أخرى يدعو هركابي الى التخفي عن الادعاء القائل بأن الفلسطينيين ليسوا شعبا ، وبأنه لم يكن هناك في الماضي شعب فلسطيني ، ووصف الادعاء بأنه ليس مقنعا . وان أي شعب لم يكن قائما منذ الازل فهو يخلق بعملية تاريخية . ويشير هركابي الى ان تدخل الدول العربية في النزاع قد أدى الى هبوط مكانة الفلسطينيين ، حيث أصبحوا بعد عام ١٩٤٨ عاملا هامشيا . ولكن طرأ تغيير كبير على وضع الفلسطينيين نتيجة لحرب الايام الستة ، فقد انتصبت قامتهم ، وقد عملت لهم العمليات الفدائية أسهما في الدول

العربية وخارجها ، وتحول الفلسطينيون الى حاملي راية القومية العربية والى مصدر للاعتزاز ( هركابي ، الميثاق الوطني الفلسطيني ودلالاته ) .

يقول هركابي ، أن للعرب الفلسطينيين ولمشكلاتهم مكانا مهما في النزاع اليهودي — العربي . ولكنهم على الرغم من تعريفهم كفلسطينيين ، وتشديدهم على هذه الخاصية ، لا يشكلون اليوم عنصرا موحدًا في النزاع . فهم منقسمون ومنشقون على أنفسهم ، والفوارق بينهم الآن ، أساسية أكثر من الماضي ، الى درجة أنه لا يمكن من الناحية السياسية لف الفلسطينيين في رزمة واحدة . ويقسم هركابي ، الفلسطينيين ، من الناحية الجغرافية الى ثلاث جماعات أساسية ، يقابله انقسام متفاوت من الناحية الفكرية . ( ١ ) عرب الضفة الغربية . ( ٢ ) الفلسطينيون الذين استوعبوا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا في الاردن ، وهم يؤيدون حكم حسين ، وبالامكان اعتبارهم جزءا من الاردن . ( ٣ ) منظمة التحرير الفلسطينية ، وفي الاغلب منظمات الفدائيين التي ترفض ، رفضا متطرفا ومطلقا كل تسوية للتعايش مع اسرائيل . « وقد سمعت في بعض الاحيان ، سقسقة ، عن تغييرات في مفهومهم ، ولكن اتضح بعد فترة انها كانت شائعات فارغة . وان المبدأ الرئيسي في مفهومهم هو عدم استعدادهم للموافقة على قيام دولة يهودية ، ولم يظهروا أي ميل للتنازل عنه » ( معاريف ١٩٧٢/٦/٩ ) .

ويحلل هركابي موقف هذه الجماعات من النزاع الاسرائيلي — العربي ، فيقول ، انه يسود العرب الفلسطينيين في الضفة الغربية — وهم أيضا ليسوا من جبهة واحدة — شعور بضرورة التوصل الى تسوية شاملة مع اسرائيل . ولم تعد أغليبتهم تتوقع خلاصها من الدول العربية والفدائيين . وعلى العكس ، فان اليأس من الدول العربية ، واحساس الفلسطينيين بأنهم ضحية ديمومة النزاع والتناقض الذي تكشف لهم بين تأخر الدول العربية في مجالات النمو والتقدم ، وبين انجازات اسرائيل ، وسلوكها الليبرالي نحوهم الذي نقض توقعاتهم ، وفشل الفدائيين ومقنعهم الوحشي في الاردن في اثناء حوادث ايلول ١٩٧٠ والصدمات التي تلتها ، كل ذلك اثر فيهم تأثيرا عميقا واثار في أوساطهم أفكارا وخواطر حول امكان انتزاع زمام المبادرة في معالجة مشكلاتهم الجماعية التي تتعدى حدود البلديات ( قال هركابي هذا الكلام خلال عام ١٩٧٢ ، أي قبل أن يرى الانتفاضة الشعبية التي اجتاحت المناطق المحتلة خلال اكتوبر ١٩٧٤ ، وذلك تأييدا لمنظمة التحرير الفلسطينية واعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وبهذا يكون هركابي وغيره قد أخطأوا في تقديرهم بخلق بديل لـ م.ت.ف ) .

ويطرح هركابي ، امكانيات لحل المشكلة الفلسطينية ، وذلك قبل الاخذ بالحسبان اهداف اسرائيل السياسية وضرورة موافقتها . ( ١ ) دولة مستقلة فلسطينية في الضفة الغربية . ويصف هذا الحل فيقول : يبدو ان مثل هذه الدولة غير قابلة للبقاء ، ليس بسبب صغر حجمها فقط ، وانما الاهم من ذلك بسبب وضعها السياسي . فاذا اقيمت ، على الرغم من معارضة الاردن ، فباستطاعته ان يعزلها ويمنع مواطنيها من الاتصال بالبلاد العربية وأقربائهم الموجودين فيها . وستكون لهذا العزل آثار اقتصادية واجتماعية وسياسية بعيدة المدى في هذه الدولة ومواطنيها . ولن يكون موقف الدول العربية الاخرى من هذه الدولة أكثر تساهلا . وتعتبر منظمة التحرير الفلسطينية والكتل المتفقة حولها ، الدولة الفلسطينية في الضفة ، مؤامرة صهيونية جهنمية وتطلق عليها اسم « دويلة » او « فلسطينتان » .

ويضيف هركابي ، ان مجرد التفكير في المقاطعة والحصار اللذين ستفرضهما الدول العربية والفلسطينيون المقيمون في هذه الدول ، هو اليوم بمثابة كابوس بالنسبة الى

المرشحين لمواطنة الدولة الجديدة ، يردعهم عن أية تسوية منفردة مع اسرائيل .  
( لم يؤخذ في الاعتبار امكان طرح شعار « السلطة الوطنية » في الضفة الغربية والقطاع  
من قبل م . ت . ف . ) .

والحل الثاني الذي يطرحه هركابي ، من خلال تحليله ورؤيته للوضع ، هو الانضمام  
الى الاردن بحسب مشروع الملك حسين . ولكنه يرى ان العودة الى الحكم الهاشمي ،  
ليست احتمالا سارا ، على الاطلاق ، لفلسطينيين كثيرين في الضفة . ويرى انه في  
الوقت الذي تعتبر فيه اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة ضربا من المستحيل ،  
كما ان الانضمام الى اسرائيل او الى الاردن امر غير مرغوب فيه ، فان عرب الضفة  
يندفعون الى متاهة . ويبدو ان الاغلبية تميل ، في مثل هذه الحالة ، الى اختيار الوضع  
القائم كاهون الشرين ، وحتى الى التسليم به .

ويضيف هركابي الى هذه الحلول ، حلا اخر ، يطرحه البعض من اهالي الضفة ،  
وهو اقامة دولة فلسطينية في الضفة ، تبقى تحت وصاية الامم المتحدة عدة سنوات ،  
ويحسم مستقبلها في النهاية عن طريق الاستفتاء ، على افتراض ان هذه الطريقة  
ستؤدي الى قبول الدول العربية بها . كما ان هناك من يقترح بتحويل الاردن نفسه ،  
بمرور الوقت الى دولة فلسطينية ، بفضل تغلب العنصر الفلسطيني داخله . ولكن  
هركابي نفسه يعارض هذا الاتجاه ، ويسرى في الاردن جبهة هادئة ، ولا حاجة الى  
تحريكها ضد اسرائيل عن طريق تحويلها الى فلسطينية ( المصدر نفسه ) .

### الدولة الديمقراطية — « شعار للتبوية والخذاع »

كان ل طرح شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية » ، ردود فعل واصداء مختلفة  
لدى الاسرائيليين ، ويمكن القول انه لم يترك اي شعار او اية فكرة ، آثارا على  
الاسرائيليين كما فعل هذا الشعار . حيث سبب لهم ضيقا وحرجا لدى اغلبية السراي  
العام العالمي ، لما لاقاه من استحسان وتجاوب ونجاح لدى كثير من الاوساط العالمية .  
ويمكن القول ان هذا الشعار هو افضل ما طرحته المقاومة الفلسطينية ، كرد على  
الحل الصهيوني للمشكلة الفلسطينية .

وكان هركابي احد الذين تضايقتوا جدا من هذا الشعار وما حققه من نجاح عالمي ،  
وذلك لانه كان يكثر من القاء المحاضرات والاشترك في الندوات في الخارج ، حيث كان  
يجابه دائما بهذا الشعار . ولهذا عمل كل ما بوسعه من اجل الرد على هذا الشعار  
وتفنيداه واقتناع العالم بان هذا الشعار ليس الا مجرد « شعار دعائي » وأنه لا يعبر  
شيئا عن حقيقة الموقف الفلسطيني . كما ان هذا الشعار هو تكتيكي فقط وليس  
استراتيجي . وقد اعتمد هركابي في ذلك على ان المنظمات الفدائية قد رفضت في  
المجلس الوطني الفلسطيني السادس هذا الشعار ، واورد بعض النصوص من  
« تعميم داخلي حول مناقشات وتناجح المجلس الوطني السادس » ، حول الدولة  
الديمقراطية ، بين من خلاله انه كانت هناك عدة مواقف واتجاهات بالنسبة لهذا  
الشعار . فكان هناك من قال ان هذا الشعار هو تكتيكي ، نرفعه لانه لاقى استقبالا  
جيدا في العالم . وهناك من يقول ان هذا الشعار استراتيجي وليس تكتيكي ، ولكنه  
سيفي شاعرا وليس مبدأ أساسيا . وهذا الموقف حسب هركابي ، يشبه سابقه مع  
محاولة التلاعب في الكلمات فقط ( معاريف ١٩٧٠/٤/٣ ) .

ومن جهة اخرى ، يورد هركابي نصا ورد في كتاب صدر عن الجبهة الديمقراطية  
« حركة المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن ، دراسة نقدية » ( اكتوبر ١٩٦٩ )

يقول ، ان النضال من أجل حل ديمقراطي شعبي للمسألة الفلسطينية والاسرائيلية ، يعتمد على طرد الكيان الصهيوني المتمثل بكافة مؤسسات الدولة ( الجيش والادارة والشرطة وكافة المؤسسات السياسية والثقافية الشوفينية والصهيونية ) ، وورد في النص ايضا ، ان الدولة الفلسطينية الديمقراطية ستكون جزءا لا يتجزأ من دولة فيدرالية عربية في هذه المنطقة ، دولة معادية للكولونيالية وللاستعمار والصهيونية الخ . ويعلق على هذا هركابي بقوله : ان الحل الديمقراطي مقدم اذن كوسيلة بين حلين شوفنيين - دولة يهودية ، وانقاء اليهود في البحر كأنها متوازنة ومتوازنة . وهذا كما يبدو حل وسط منطقي ، العرب يتنازلون عن قتل اليهود ، واليهود يتنازلون عن دولتهم .

ويرى هركابي ان الاختلاف في التحليل والطرح من قبل المنظمات بالنسبة لهذا الشعار سيؤدي الى خلق مشاكل كثيرة لها ، ويرى ان هذا الشعار بالنسبة للعرب سيخلق المشاكل اكثر مما يحلها . ويورد بعض الامور التي تخضع للخلافات ، وذلك بالنسبة لتحديد الحقوق التي سيتمتع بها اليهود في هذه الدولة ، فهناك من يعترف ، كالجبهة الديمقراطية ، ان اليهود يشكلون شعبا ، ولهذا فهم يرون الحل عن طريق الصراع الطبقي في هذا البلد . ولكن فتح ترى شيئا آخر ، فهي ترى انه باستمرار النضال ، فستتوقف الهجرة الى اسرائيل وسيزداد النزوح منها ، وبهذا يكونون قد تخلصوا من المعضلة التي ستواجههم بالنسبة لاعطاء الحقوق الى اليهود الذين سيقيمون في البلاد . ولكن هركابي يعتبر توقف الهجرة الى اسرائيل ، وازدياد المقاومة ضد اسرائيل من الداخل كما يتصوره الفلسطينيون ، انما هو مجرد وهم ، بل بالعكس فان « الليشوف » اليهودي سيكبر وان امكانات هضمه كاتلية ستأخذ في الصغر ومن ثم بالتلاشي . وعندها سيطلب الى الفلسطينيين بدفع الحساب ، اي ثمن الشعار الذي طرحوه ، وسيؤدي ذلك حتما الى كثرة التخبطات والمناقشات وسيتحول الى موضوع آخر يختلف العرب عليه . ولهذا يرى هركابي ان الفلسطينيين قد توقعوا منذ مدة عن مناقشة وتحليل هذا الشعار . ( المصدر نفسه ) .

وقد عمل هركابي جاهدا على الرد على هذا الشعار ، فقام باعداد نشرة لتكثرون دليلا حول الدولة الديمقراطية الفلسطينية ، يتسلح به الاسرائيليون في الخارج لدى مناقشتهم لهذا الطرح . ويقول في هذه النشرة انه تم طرح هذا الشعار للمرة الاولى ، في المؤتمر الدولي لنصرة الشعوب العربية في القاهرة ما بين ٢٥ - ١٩٦٩/١/٢٨ . وقد تم طرحه ، لاصلاح الانطباع بان موقف العرب متطرف تجاه الاسرائيليين . وعندما طالبت الجبهة الديمقراطية في المجلس الوطني الفلسطيني السادس ، بتحديد هدف اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية كمبدأ وكذلك تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني بناء على ذلك ، فقد رفض هذا الطلب ، ولكن جميع الفئات الممثلة في المؤتمر وافقت على الاستمرار برفع هذا الشعار كوسيلة للعلاقات العامة . ويشير هركابي الى استغلال بعض النقاط المتعلقة بهذا الشعار وابرازها لدى الرأي العام لإطلاعه على التناقض في الموقف الفلسطيني . وخاصة عندما يستغرب أنه بالرغم من قبول صيغة الدولة الديمقراطية ، فانه لم يتم تعديل البند السادس في الميثاق الوطني من قبل المؤتمرات السبعة للمجلس الوطني التي اجتمعت من ذلك الوقت . ويعترف هركابي بان قرار الدولة الديمقراطية نص على ان كافة مواطني هذه الدولة سيتمتعون بالحقوق نفسها ، ولكن لم يحدد بوضوح من هم وهم كم سيبلغ عددهم . ولهذا يدعو هركابي الى استغلال التناقض بين مفهوم الدولة الديمقراطية ، الذي لا يتناقض مع تنقيح عدد اليهود ومساواتهم في الحقوق ، وبين البند السادس من الميثاق الذي يحدد عدد اليهود الذين

سيسمح لهم في البقاء في الدولة « المحررة » وخاصة ذلك الذي عدل ١٩٦٨ ، حيث ان هذا يتنافى مطلقا وشعار الدولة الديمقراطية ، ومن هنا ، يرى هركابي انه يمكن استغلال ذلك احسن استغلال لكشف مدى الزيف والخداع والتمويه في طرح مثل هذه الشعارات .

ويزود هركابي رجال الاعلام الاسرائيليين بالوصايا التالية للرد على هذا الشعار ( ١ ) ان المسألة ليست جديدة ، وانه ليس ابداء لموقف ليبرالي تجاه اليهود ، ان هذا فقط تكتيك كلامي . ( ٢ ) اشرح الخلافات في الآراء بين المنظمات التي تكشف مشكلة الموضوع . ( ٣ ) اذا كان الفلسطينيون قد وهبوا بموهبة للديمقراطية ، فمن الافضل ان يتبرعوا بذلك للدول العربية المحتاجة له اكثر . ان اسرائيل ديمقراطية والدليل هو تأثير ضغط الرأي العام على السلطة بعد حرب يوم الغفران . ( ٤ ) ليس صحيحا ان الدول العربية علمانية . ففي جميع دساتيرها ( ما عدا لبنان ) تحدد ان دين الدولة هو الاسلام او ان الرئيس يجب ان يكون مسلما . ( ٥ ) وضح العلاقة بين الدولة الديمقراطية والبند السادس من الميثاق ، وكيف ان ملاح « الدولة الديمقراطية » لا تناقض تقييد عدد اليهود . ( ٦ ) ابرز ناحية هدم اسرائيل واجلاء اليهود كشرط للدولة الديمقراطية في الموقف الفلسطيني . ( ٧ ) حسب وصف العرب فان الدولة ستقوم بعد حرب دموية لهدم اسرائيل ، وهناك اصطناعية لا يمكن تصديقها وهي ان العداء وسفك الدماء ستنقلب الى شغف لاقامة دولة مشتركة . ( ٨ ) وحتى ان الفكرة اذا لم تكن مليئة بالتناقضات ، فان الاسرائيليين يريدون دولة لهم ويطالبون بتقرير المصير ولن يوافقوا على التنازل عن الفكرة الرئيسية في الصهيونية ( دافار ١٩/٧/١٩٧٤ ) .

### السلطة الوطنية والمجلس الوطني الثاني عشر

يقول هركابي انه منذ حرب الايام الستة ، اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية والمنظمات المنضوية تحت لوائها ، موقف الرفض تجاه امكانية التسوية السياسية للنزاع او اقامة دولة فلسطينية في الضفة . ولكن حرب يوم الغفران وبداية تسويات فصل القوات قد وضعتهم امام نظرتهم الى مفاوضات جنيف بكل حدتها . ويقول انه كان هناك موقفان رئيسيان لدى الفلسطينيين في المجلس الوطني الثاني عشر ، احدهما يؤيد الاشتراك في مؤتمر جنيف ويدعو الى اقامة سلطة وطنية في اي جزء يتم «تحريره» من الارض الفلسطينية ، والثاني يدعو الى رفض ذلك ، ويدعو الى مواصلة الكفاح المسلح حتى يتم تحرير كامل التراب الفلسطيني ، وتصفية الكيان الصهيوني .

وقد اورد هركابي تلخيصا للحجج التي تدمها كل من « الثابطين والرافضين » ودعا الى دراستها بشكل جيد « وذلك من اجل ان نفهم وضعنا ونخطط سياستنا ، لان مهمة مثل هذه السياسة هي منافسة الاتجاهات التي تبدو لدى م. ت. ف وتطويقها واحباطها » .

تبريرات الذين يدعون للذهاب الى جنيف : ( ١ ) ان رفض م. ت. ف. الاشتراك في المفاوضات بجنيف يترك الاردن المدعي الوحيد بالنسبة للضفة وحتى لقطاع غزة ، وان هذه المناطق يمكن ان تنتقل الى سلطته ( الاردن ) . ( ٢ ) ان رفض م. ت. ف. الاشتراك في المفاوضات يعيد الموقف الفلسطيني الى الموقف الرفض التقليدي . وان الدرس الذي يجب تعلمه من تاريخ الحركة الفلسطينية هو ان المواقف المتطرفة كانت كابوسا . وان ما رفضته أصبح بعد ذلك هدفا تعتبر إنجازها مكسبا . وان المفاوضات يمكن ان ترسخ مكاسب تم تحقيقها في حرب اكتوبر ، وان عدم استغلالها سيكون بمثابة تقصير قومي . وان الوعي الثوري هو عدم ادارة الظهر لاي إنجاز ، ولو كان

صغيرا ، حتى ولو كان مشكلا ، طالما ان فيه ما يضعف الخصم والدعم الذاتي . ويجب تحقيق الهدف على مراحل ، حيث يتم في المرحلة الاولى ، سلطة وطنية في اي أرض تنسحب منها اسرائيل ( التعبير « سلطة وطنية » للامتناع عن استخدام تعبير « دولة فلسطينية » في الضفة ) . ( ٣ ) ستطلب اسرائيل تسوية تضمن أمنها وستكون مصحوبة بتعهد عربي لإنهاء النزاع . ويجب عدم الخوف من ذلك أكثر من اللازم . وان استمرار النضال ضد اسرائيل سيتأثر من حقائق الواقع ، مثل ميزان القوى الذي سينشأ ، أكثر من التسويات الشكلية . وان الضربة التي تكمن لوضع اسرائيل في الانسحاب الى خطوط ١٩٦٧ ، وأكثر من ذلك ، حسب التصور الشخصي لدى الاسرائيليين ، ستكون بمثابة اهتزاز لاسس اسرائيل . وعندها ستتوقف الهجرة وكذلك يتوقف تدفق الاموال اليها واستثمارها فيها . وحتى اذا انسحبت اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ فسيكون لدى العرب ما يقولونه ، بان مسألة الفلسطينيين لم تحل بعد ، والاستمرار بالمطالبة بأن تنسحب اسرائيل الى حدود التقسيم عام ١٩٤٧ والمطالبة باعادة كافة الفلسطينيين الذين سكنوا في هذه الحدود واسترجاع أملاكهم . ( ٤ ) لتدعيم موقف المنظمة في الضفة الغربية ، كيلا تعود الى الملك حسين مرة أخرى ، وقد اعطيت الاشارة الى أهالي الضفة بأن مستقبلهم السياسي مرتبط بـ م . ت . ف . ، عن طريق تعيين اربع شخصيات من البعدين من الضفة في اللجنة التنفيذية . ( ٥ ) من المهم أن يندمج الفلسطينيون في التيار الرئيسي للقومية العربية الممثلة من قبل مصر ، حتى ولو كان عليهم ان يدفعوا مقابل الذهاب الى جنيف . عليهم ان يستجيبوا لطلبات مصر بالاشتراك في المفاوضات ، حتى ولو كانت هناك خلافات في الرأي بينهم وبينها ، بالنسبة للأسلوب ، فهناك اتفاق بالنسبة للهدف النهائي . وانه يجب رفض عزلة الفلسطينيين عن الخط السياسي للجبهة العربية ، الا اذا انتهت جميع النهايات واتضح بان الدول العربية تخون المصلحة الفلسطينية . ( ٦ ) يجب على الفلسطينيين والعرب الا يخافوا من التعبير عن الاستعداد للتسوية مع اسرائيل . وللحقيقة فان مثل هذه التسوية ليست ممكنة ، لان اسرائيل لن توافق على الانسحاب الى خطوط ما قبل حرب ١٩٦٧ ، لن تقبل الانسحاب من الجولان ولن تتنازل عن السيطرة على القدس . ولكن مصر وسوريا اعلنا عدم موافقتها على الحل الوسط والتنازل الاقليمي . وزيادة على ذلك ، فان الشرط العربي للتسوية هو تجسيد الحقوق المشروعة للفلسطينيين . وان تنفيذ ذلك معناه اخلاء مدن وأراضي كبرى في اسرائيل من سكانها اليهود وايجاد سكان يهود بدون مأوى . وسيكون ذلك بمثابة خراب اقتصادي واجتماعي وسياسي لاسرائيل ، والذي سيتحقق دون ان يضطر العرب الى استخدام وسائل العنف . وان قرارات الامم المتحدة هي الاداة لتصفية اسرائيل .

وباختصار ، فان اسرائيل لا تستطيع الصمود امام المطالب العربية وقرارات الامم المتحدة ، حتى ولو حكمها الحمائم . ولكن مجرد الخلاف في اسرائيل ، ووهم الحمائم فيها التي حسب شروطهم باستطاعتهم تحقيق اتفاقية ، فانها تفيد الجانب العربي بزيادتهم للتوتر الداخلي في اسرائيل ، وبالصاقهم لاسرائيل صفة الرفض والتطرف . وفي النهاية سينفجر الموقف ، ومن الأفضل ان يحدث هذا الانفجار بسبب رفض اسرائيل وليس بسبب امتناع الفلسطينيين عن الذهاب الى جنيف . ( ٧ ) لا توجد ضرورة لصياغة قرار قاطع في المجلس الفلسطيني لصالح الذهاب الى جنيف . لم تصل الدعوة بعد الى م . ت . ف . وأنه لم يحن بعد القرار بهذا الشأن . وزيادة على ذلك ، فان مثل هذا القرار يمكن ان يشق المنظمات ويخلق الخصومات الاخوية . ومن الأفضل اتخاذ صيغة معينة التي من جهة لا تغلق مطلقا احتمال الذهاب الى جنيف ومن جهة

اخرى غامضة بما فيه الكفاية ، الى درجة ان توافق عليها جميع المنظمات (٨٠) صحيح ان قرار ٢٤٢ يتحدث عن الفلسطينيين كلاجئين وليس كشعب ذي حق قومي . وصحيح ان باستطاعة الاردن ، بموجب هذا القرار ، المطالبة بأن تعود الضفة اليه ، ولكن هذه المشكلة يمكن تسويتها في المطالبة بالاعتراف بالحقوق القومية للفلسطينيين . ومن اجل ذلك يمكن الاستعانة بقرارات الجمعية العمومية التي تكررت في السنوات الاخيرة (نوفمبر ٧٠ ، ديسمبر ٧١ ، وديسمبر ٧٣) وتعترف بصراحته بحق تقرير المصير للفلسطينيين ، وان اسرائيل تظلمهم بمنعهم من تجسيد هذا الحق ولهذا فهم من ضمن اصحاب الحق في النضال من اجل تجسيد حقوقهم القومية .

تبريرات المعارضين الذهاب الى جنيف : (١) المفاوضات في جنيف ستعتمد على قرار مجلس الامن ٢٤٢ . وصحيح ان في تعديله بحيث ينظر الى الفلسطينيين كشعب وليس كلاجئين سيكون بمثابة مكسب ، ولكن لا توجد ضمانات بتنفيذ هذا التعديل . وذلك لان هذا القرار يعتبر وثيقة قانونية لمطالبة الاردن بالضفة ، ولهذا ستعارض كل من اسرائيل والاردن بقوى مشتركة التغيرات الموجهة ضد كليهما (٢) حتى ولو كان قرار ٢٤٢ لا يتحدث عن السلام مع اسرائيل والاعتراف بها ، فانه يحدد الغاء حالة الحرب ، ويستصر اسرائيل على ان تتم تسويات مادية وقانونية لضمان ذلك . وحتى لو استلم الفلسطينيون السلطة على الضفة فسيضطرون للتعهد او سيقورطون رغما عنهم ، بالالتزام خلال المفاوضات ، بايقاف نضالهم العسكري ضد اسرائيل (٣) ان الذهاب الى جنيف والموافقة على تسوية سياسية ، ولو مؤقتة ، معناه التمرد على كافة القرارات التي اتخذت في اكثر من عشرة مجالس فلسطينية ، وان مجرد الانحراف والتفريط في الموقف العربي ، والموافقة على دولة فلسطينية صغيرة ، سيضعف ثقة الجماهير بمنظمة التحرير الفلسطينية ويمس الرؤية الفلسطينية لاقامة دولة فلسطينية على كافة المنطقة غربي نهر الاردن (٤) يوجد في الدولة الفلسطينية في الضفة حل لسكان الضفة من ناحية تخلصهم من الوجود الاسرائيلي ، ولكن لا يوجد فيه ابدأ حل للمشكلة الفلسطينية والرئيسية (٥) تستطيع م. ت. ف. الاستمرار في الوجود فقط في ظل استمرار الحرب بين العرب واسرائيل ، وان التسوية السياسية بين الدول العربية واسرائيل ، وبالاخرى التسوية التي يوافق عليها الفلسطينيون ، يناقض ذلك ويهبط من الحماس للمواجهة . وحتى ان التسوية التي تتم كخطوة تكتيكية يمكن ان تضرب جذورا وتصبح دائمة (٦) ان الدولة الفلسطينية ستكون مرتبطة بالارادة الحسنة لكل من اسرائيل والاردن ، للعبور الى القطاع ومن ثم الى الاردن ، وسيكون ذلك بمثابة وسائل ضغط بأيدي اسرائيل والاردن لاجبارها على التصرف كما تريدان . وان هذه الدولة المسكينة لن تكون قاعدة انطلاق للمعركة لهزيمة الاردن او اسرائيل (٧) على الفلسطينيين الا يخافوا من التسوية التي مستم بين الدول العربية واسرائيل من وراء ظهرهم . عليهم الا يخافوا من المواجهة مع مصر ، فالفلسطينيون ليسوا وحيدون وبإمكانهم ايجاد العون والمساعدة في دول مثل العراق وليبيا (٨) يجب عدم الخوف من انه اذا تمت تسوية سياسية ، وعادت الضفة الى الاردن ، فان ذلك سيكون نهاية وجود المنظمات الفلسطينية ونضالها . وان الخلاص سيأتي عن طريق الثورة الاجتماعية ولهذا يجب توجيه الجهود الى احداث ثورة في الاردن وتحطيم نظامه . (معاريف ١٢/٧/١٩٧٤) .

يستشف هركابي من قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الثاني عشر ، بان هناك اتفاقا مبدئيا للذهاب الى جنيف والاشتراك بالمفاوضات ، ولكن مقابل ذلك هناك نص بان التسوية التي ستحصل يجب ان تكون فقط كهذه ، بحيث تمكن من استمرار النضال

ضد اسرائيل (والاردن) ، والغاء قرار ٢٤٢ ، كما يوجد في القرارات موافقة على اقامة « السلطة الوطنية » في اي جزء تجلو عنه اسرائيل حتى تستخدم قاعدة لاستمرار النضال .

ومن جهة ثانية ، يتطرق هركابي ، الى بعض الاستنتاجات والملاحظات التي استوحاها من مقررات هذا المجلس ومناقشاته ، والتي يعتبرها بمثابة دروس وعبر يجب الاستفادة منها في السياسة الاسرائيلية ، اهمها ( ١ ) يجب الاستفادة من المناقشات بان الفلسطينيين اذكياء للغاية في تكتيكاتهم . فقد شحذت معاناتهم حواسهم ومستوى النقاش بينهم اصبح رفيعا . ويبدو لي ان علينا في المرحلة الحالية تكريس مزيد من الانتباه للمناورة والتكتيك وفصلها عن الايديولوجية . فالعرب والفلسطينيون يفعلون ذلك ، وعلينا عدم الاشمئزاز « من عدم الصدق » الكائن في الالاعيب والتكتيك ( ٢١٠ ) يمكن الاستفادة بدرس كبير من موقف المنظمات الفلسطينية ، كما تمثلت في مناقشات وقرارات هذا المجلس . فاذا ما تأكد الفلسطينيون بان الحصول على دولة فلسطينية في الضفة سيغلق امامهم استمرار النضال فربما — انني لا اظاهر بان املي عليهم ماذا سيفعلون — سيسرعون الى رفض التسوية ورفض الدولة الفلسطينية ( ٣ ) من المناقشات بين الفلسطينيين يمكن الاستفادة كيف ان التعبير عن استعدادنا للتفاوض مع م. م. ت. ف يمكن ان يكون اداة سياسية من الدرجة الاولى ، وزرع الانشقاق فيها ، ومن الافضل ان نعرض استعدادنا للتفاوض معها ، وسيعتبر ذلك لصالحنا ، خوفا من ان نجر الى ذلك رغما عنا . وان مثل هذا الاستعداد من طرفنا سيكون سلاحا حادا وغنيفا اكثر من كافة عمليات الانتقام التي نقوم بها في لبنان ( المصدر نفسه ) .

### الميثاق الوطني الفلسطيني ودلائله

كان الميثاق الوطني الفلسطيني من اهم القضايا التي شغلت هركابي ، وجعلته يخصص وقتا كبيرا ومجهودا لا يستهان به ، من اجل دراسة هذا الميثاق وتحليله . ويعتبر هركابي الميثاق الفلسطيني بأنه الوثيقة الهامة جدا ، في هذه المرحلة ، من النزاع الاسرائيلي — العربي ، وخاصة تجاه الجانب العربي . فهو يعتبره بأنه يشكل تلخيصا موثوقا ومركزا لموقف المنظمات الفلسطينية في النزاع . وقد نصح هركابي بتدريس الميثاق في المدارس اليهودية ، حيث أنه لا يعتقد بوجود طريقة أفضل منه لمعرفة الموقف الفلسطيني الرسمي . وقد نجح هركابي بالفعل بمشروعه هذا ، اذ تم البدء بتدريسه في المدارس الثانوية وخاصة لطلاب الصف الحادي عشر ، الذين سيلتحقون بالخدمة العسكرية ، بعد سنة من ذلك . وقام هركابي بتأليف كتاب خاص بالميثاق الفلسطيني وقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية جميعها ، مع تقديم شروحات عنها ، لتدريسها الى الطلبة .

ويرى هركابي ان هناك أهمية لمعرفة الميثاق ، من ناحية الحجة السياسية الاسرائيلية والنقاش مع متحدثين عرب في الخارج ومع مؤيديهم ، الذين يبذلون جهودا كبيرة لاضفاء صفة الاعتدال على الموقف العربي ، وبالمقابل يصفون الموقف الاسرائيلي بأنه متطرف ويشكل عقبة رئيسية امام السلام . ويلاحظ هركابي ، التعديل الذي طرأ على ميثاق عام ١٩٦٤ ، في المجلس الوطني عام ١٩٦٨ ، حيث تم تغيير « القومي » بكلمة « الوطني » ، حيث أصبح يسمى « الميثاق الوطني الفلسطيني » وذلك من اجل ابراز الوطنية الفلسطينية ، كما حدثت تغييرات وتعديلات اخرى على الميثاق في تلك

السنة ، وذلك بتأثير المنظمات الفدائية ، التي اصبح لها مركز مرموق داخله ، وخاصة منظمة فتح .

هذا ويستعرض هركابي كافة البنود التي وردت في الميثاق ، مع مقارنتها بتلك الموجودة في الميثاق السابق ، ثم يحدد الاضافات التي الحققت به . ويشدد هركابي على عدة بنود وردت في هذا الميثاق ويدعو الى ابرازها ، اهمها ، ان الميثاق يدعو الى عروبة فلسطين والى كونها جزءا لا يتجزأ من العالم العربي ، كما يحدد بأنه يجب عدم تقسيمها الى دولة يهودية وعربية . كما يدعو البند الثالث الى تأجيل مسألة الحسم بقضية الحكم الداخلي الى ما بعد التحرير ، وان هذا البند يشمل ايضا ، حسب هركابي ، تأجيل الحسم بشأن النظرة الى المملكة الاردنية والنظام الهاشمي . واما اهم البنود التي يهتم بها كثيرا ، ويكرس لها عناية فائقة ، فهو البند السادس . الذي ينص على ان اليهود الذين سكنوا في فلسطين بصورة دائمة حتى بداية الغزو الصهيوني اليها ، سيعتبرون فلسطينيين . كما ان المجلس الوطني يقر ، بأن العدوان على الشعب الفلسطيني وارضه قد بدأ مع الغزو الصهيوني على فلسطين عام ١٩١٧ . ولهذا فان ازالة آثار العدوان يجب ان تكون ازالة كل آثار العدوان منذ بداية الغزو الصهيوني ، وليس منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .

ويقول هركابي معلقا على هذا البند : ان اليهود الذين سكنوا في فلسطين بصورة دائمة قبل ١٩١٧ سيعترف بهم كفلسطينيين . ويفهم من ذلك ان البقية هم بمثابة اجانب ويجب ان يغادروا البلاد . ويرد هنا على الذين يقولون بان العرب اصبحوا واقنعين وان موقفهم اصبح اكثر اعتدالا ، حيث انهم يطالبون بطرد مليونين ونصف المليون يهودي . ويتساءل هركابي وهل يوجد هناك شيء مناقض للشعار الذي يرفعونه « دولة بروليتارية » ، اكثر من هذا البند ؟ كما يرى بأن الشقيري كان أكثر تساهلا واعتدالا في موقفه ، في ميثاق عام ١٩٦٤ ، من موقف المنظمات الحالية الذي تمثل في ميثاق ١٩٦٨ . ومن الجدير بالذكر هنا ، ان هركابي تملكته الدهشة والحيرة ، بالنسبة للسبب الذي دفع المجلس الوطني لان يدخل هذا التغيير العنيف بالنسبة لليهود الذين « سيسمح » لهم بالبقاء في الدولة الفلسطينية ( هركابي ) الميثاق الوطني الفلسطيني ودلائته ، صدر عن مصلحة المعلومات في مكتب رئيس الحكومة ) .

### هجوم عنيف على الفدائيين

لا شك في مدى نجاح الفدائيين ، من تحقيق انجازات ومكاسب لا يستهان به على كافة الاصعدة ، وخاصة السياسية منها والاعلامية والعسكرية ، الخ . ولم يستطع حتى الاسرائيليون انفسهم من اخفاء هذه الحقيقة ، فقد اعترفوا بالتوتر النفسي والقلق والخوف الذي احدهه الفدائيون ، كما اعترفوا بانخفاض لم يسبق له مثيل في مجال الهجرة وكثرة النزوح ، وكذلك انخفاض كبير في عدد السياح وتدفق الاستثمارات الى اسرائيل ، وكذلك النكسات والاحقاقات التي مني بها الاعلام الاسرائيلي ، وخاصة في الخارج ، بعد ان وجد منافسا خطيرا وكبيرا ، تمثل بها طرحته الثورة الفلسطينية من مفاهيم وشعارات جديدة ، فندت من خلالها الادعاءات والافتراءات الصهيونية ، التي كانت تصول وتجول في الساحة لوحدها . كل هذا النجاح وغيره ، الذي اعترف به كما اشرفنا المسؤولون الاسرائيليون والصحافة وغيرها ، لم يعجب الخبير بالتشؤون العربية والفلسطينية ، والذي كما يبدو قد اعمته ثنوفينيته وتعصبه الاعمى عن رؤية الحقيقة ، والا ما معنى هذه الحملة العنيفة التي شنها ضد الفدائيين ، ناعتا اياهم

بأوصاف ان دلت على شيء ، فانما تدل على حقه ضد هذا الشعب وضد حقه في تقرير مصيره .

كان هركابي قد التى محاضرة خلال النصف الاول من عام ١٩٧١ ، امام « لجنة دراسة الشرق الاوسط » ، التابعة لمجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية ولمعهد أدلاي ستيفنسون للعلاقات الخارجية حول « اسرائيل في مواجهة الفدائيين الفلسطينيين » . وقد قلل خلالها من قيمة النشاط الفدائي ووصفه بأنه هامشي بالنسبة الى مشكلات اسرائيل الدفاعية . ويصل الغرور والتعريف لدى هركابي حدا بقوله ، ان أي مقدار من العمل الفدائي لا يستطيع ان يمنع اسرائيل بالتخلي عن سيادتها او نزع الطابع اليهودي ( وهو ما يعرف بالغاء الصهيونية ) عنها . ويؤكد هركابي ، من جهة ثانية ، على ان المنظمات الفدائية قد فشلت في اقامة شبكة في المناطق المحتلة ، حيث اكتفى السكان المحليون بالتأييد السلبي ، وخصوصا في اطار التصريحات والبيانات ، وهم مترددون في التأييد الفعلي للنشاط الفدائي وتقديم المعونة للفدائيين ومنحهم الملجأ [ لا نسدي اذا كان ، هركابي ، لا يزال مصرا على موقفه هذا ، بعد التصاعد الكبير الذي حدث في العمليات الداخلية وتلاحم السكان هناك مع الثورة الفلسطينية ] . وتصل حملة هركابي الى ذروتها عندما يصف الفدائيين بأنهم « مجموعة من المرتزقة » وانهم يعملون فقط بدافع الحصول على المكاسب المالية ، وانهم لا يقاتلون من اجل التحرير والدفاع عن الوطن .

ولا نريد هنا الخوض بنقاشات عقيمة مع هركابي ، لان هذه المسألة محسومة ولا تحتاج الى نقاش . ولكن بودنا ان نترك الرد على هذا الكلام للاسرائيليين انفسهم . وسنجعل أحد الذين تسلموا مراكز حساسة داخل اسرائيل يتولى هذه المهمة ، ونعني بذلك اريه الياف ، سكرتير حزب العمل الاسرائيلي السابق ، عندما تحدث في كتابه « أرض الظباء » عن مشكلة الفلسطينيين ، فاعترف بوجود حركتهم القومية ، وهاجم الذين يسمونهم بمنظمات « التخريب » وانما أطلق عليها « منظمات المقاومة الفلسطينية » .

تحدث الياف عن الفدائيين وعن نضالهم فقال بالحرف الواحد : « انهم واثقون من انهم يحاربون في سبيل قضية عادلة ، ولا تنقصهم ابدا الشجاعة والفتنة . اذ لا بد من شجاعة غير قليلة لمقادرة القواعد خارج حدود اسرائيل ، والتغلغل فيها عبر جهاز كثيف من التحصينات والسيارات والحقول المغمومة والاجهزة الالكترونية ، ثم العيش في المغاور والوهاد ، حيث يطاردهم الجيش الاسرائيلي وقوات الامن الاخرى دون رحمة وباستمرار . ان هؤلاء المحاربين الفلسطينيين يعرفون انهم يضحون بارواحهم ، وانه من كل عشرة أشخاص يعود واحد او اثنان فقط سالمين الى قواعدهم ، ان من يدعي بان هؤلاء الذين يذهبون على هذا النحو الى المعركة هم عربان جنباء أو رعاع لا يعرف ما يقول » . واعترف الياف ، بان الفلسطينيين عامل حاسم في المنطقة ، وانه لا وجوب للنقاش حول ما اذا كان يوجد شعب فلسطيني أم لا ، وأنه لا مجال لحل دون الفلسطينيين .

### فشل المنظمات

يقول هركابي ، بان المنظمات الفلسطينية فشلت فشلا كاملا بالنسبة الى اولوية الاهداف والفهوم السياسي والقتال اسلوبا وتنظيما . فمن ناحية اولوية الاهداف يرى هركابي ان الفلسطينيين اعتقدوا في الماضي ان النصر على اسرائيل يؤدي الى سقوط الاردن في ايديهم ثمرة ناضجة . وادركوا بعد ذلك ، ان نقطة البداية يجب ان

تكون مختلفة وان ثورة في الاردن هي شرط لمحاربة اسرائيل . ولم يؤد تغيير ترتيب الاهداف الى انقاذهم ، بل ورطهم في انهيار خطر في الاردن . وبالنسبة للمفهوم السياسي يستنتج هركابي ، أنه عندما اتضح للفلسطينيين ان الاعلان عن هدف تصفية اسرائيل وابعاد سكانها لاخلاء المكان لعودة الفلسطينيين قد اضر بهم ، اخرجوا من جعبتهم الشعار القديم ، الدولة الديمقراطية ، التي يعيش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون معا في اخوة ومساواة . ولكن هذا الشعار ، حسب هركابي ، لم يحل المشكلة الاساسية وهي كيفية خلق مكان للفلسطينيين وتغيير طابع الدولة من يهودي الى عربي . ومن هنا وقع الفلسطينيون في شبكة من التناقضات عبر عنها ميثاقهم الوطني الذي طالب بالاعتراف باقلية صغيرة فقط من اليهود الذين سكنوا البلاد قبيل ١٩١٧ .

ويضيف هركابي ، أنه مع ان شعار الدولة الديمقراطية احدث اثرا في اوساط عدة في الخارج ، الا انه لم يستطع جذب الانظار مدة طويلة ، فقد ظهر بوضوح انه ليس سوى لغة نظيفة لهدف قديم هو تصفية اسرائيل ، اذ انه يعارض بشدة حق اليهود في دولة لهم ، حتى انه يستوجب خفض عدد اليهود بالعنف ، لانهم لن ينصرفوا بالطرق السلمية . ويقول انه في غياب مفهوم سياسي اخر ، يستمر الفلسطينيون بالتمسك بهذا الشعار ، ولكن بثقة اقل كثيرا . وبالنسبة لاسلوب القتال ، يقول ، بعد ان يؤس الفلسطينيون من التطلع الى حرب نظامية عربية شاملة ضد اسرائيل ، طوروا المبدأ القائل ان الحرب الصغيرة التي بدأوها هي الاسلوب الذي سيؤدي الى حل مشكلتهم ، وراوا في هزيمة العرب ، في حرب الايام الستة ، تصديقا لمفهومهم هذا . ويعتقد هركابي ، بان مفهومهم « الفلسطيني » ارتكز منذ البداية على مقياس كان يفتقر الى المنطق ، فقد استنبطوا ببساطة من فشل أسلوب معين ان عكسه سينجح . واستنتجوا فورا ، بالنسبة الى الحالة التي نحن بصددنا ، ان حربا نظامية عربية شاملة قد فشلت ، وان حربا فلسطينية ستؤدي الى النصر . ومفهوم ان هناك على الاقل امكانا ثالثا هو ان الاسلوبين غير ملائمين . ويرى ان الفلسطينيين قد وضعوا نصب اعينهم اهدافا تتجاوز قدرتهم كثيرا ، وهذا البون الشاسع بين القدرة والهدف ينتقم منهم انتقاما قاسيا ( معاريف ١٦/٦/١٩٧٢ ) .

### حساب النفس وسياسة المراوغة

لم يكن بوسع هركابي ، بعد ما حققته الثورة الفلسطينية من انتصارات على الصعيد العالمي ، وخاصة فيما يتعلق بطرح بعض الشعارات المعتدلة ، كالسلطة الوطنية ، والاستعداد للذهاب الى مؤتمر جنيف . الا ان يعيد حساباته السابقة ، ويبدأ برسم سياسة واتجاه جديد لسياسته تجاه الفلسطينيين وبالتالي لسياسة الحكومة الاسرائيلية . كما أنه لم يكن بوسع الا الانحناء امام ما حققه الفلسطينيون في نضالهم وكفاحهم ، فبعد ان كان يقول بان الفلسطينيين لا يعرفون ماذا يريدون ، وانهم يمزجون ويخلطون بين الاستراتيجية والتكتيك ، كما وأنهم لا يشكلون ثقلا في المنطقة وانهم لا يستطيعون افضال او انجاح اية تسوية في المنطقة ، نراه الان يناقض نفسه مرة اخرى ويعترف بما انكره ونفاه بالامس .

يقول هركابي ، « ان الفلسطينيين انتصروا علينا من الناحية الثقافية ، فقد راوا امورا وخططوا للبدى البعيد . نحن لم نفعل ذلك وهذا اخطر ما حدث لنا . فهم [ الفلسطينيون ] ينوون بجدية . وانهم لا يمزجون ، لديهم مخططات مبلورة . وهم يعرفون كيفية النضال من اجلها . يجب دراستها وفهمها والعمل على تخطيط النضال

ضدها على أساس المعرفة الواضحة وليس على أساس الاماني » . ومن جهة ثانية اعترف هركابي ، ان لدى الفلسطينيين خلال السنوات الاخيرة تمييزا بين الاستراتيجية السياسية والتكتيك ، وبين الاهداف وبين وسائل تحقيقها . ويرى هركابي ، ان الفلسطينيين يدركون انه طالما ان موقفهم هو تصفية اسرائيل ، فان وضع اسرائيل جيد ، عندما ترفض التفاوض مع الذين يريدون تصفيتها . وهو يرى ان الفلسطينيين قد تبنوا موقفا جديدا ليتمكنوا بواسطته من سلب اسرائيل هذه الميزة . ويتضمن هذا الموقف حسب هركابي ، التمسك بالقضاء على اسرائيل ، الى جانب الهجمات التكتيكية ، في اذان الاجانب ، انهم سيكونون مستعدين للاعتراف باسرائيل والاكفاء بما هو اقل من تصفية اسرائيل . ولكنه يعتبر الميثاق الفلسطيني هو الموقف الاستراتيجي ، وان الهجمات تمثل روح لحل وسط تكتيكي ( ملحق معاريف ٢٨/٢ / ١٩٧٥ ) . وكان قد ذكر في احد المقالات ان هناك انعداما للحكمة السياسية عند الفلسطينيين ، مما يؤكد تخبط وتناقض هركابي كما سيرد لاحقا ( المصدر نفسه ١٩٧٢/٦/٩ ) .

ويرى هركابي ان اسرائيل لم تجد الاسلحة المطلوبة ولم تنجح في الرد على الموقف الفلسطيني ، مع العلم ان الادوات المطلوبة للمعركة الاسرائيلية ، موجودة في « المخزن الاستراتيجي الفلسطيني » . ويعتبر هركابي ، ان احد هذه الاسلحة ، هو قرار المجلس الفلسطيني الثامن في فبراير ١٩٧١ ، بأنه لا يوجد شعب فلسطيني منفرد ، وانها وحدة اردنية فلسطينية ، وان الفلسطينيين والاردنيين هم وحدة واحدة . ومن هنا فان الفلسطينيين ليسوا جماعة لا وطن لها ، وانما الاردن هو وطنهم . وان سعيهم لضم « اسرائيل » اليه انما هو من قبيل التوسع . ولهذا يدعو هركابي الى استغلال هذه النقطة لدى الرأي العام العالمي ، الذي يميز كثيرا بين مظلومين لا وطن لهم ، وبين اصحاب وطن ، الذين يريدون توسيعه على حساب دولة اخرى . ولو نجحت اسرائيل في نشر هذا القرار وترسيخه في الوعي السياسي العالمي ، لكانت اسرائيل ، برأي هركابي ، قد تقدمت خطوة كبيرة للغاية . ولكن هركابي نفسه يقع في تناقض حول هذه المسألة ، عندما عارض بشدة فكرة صبغ الاردن بالفلسطينية ، لان ذلك سيثور جبهة كانت حتى الان هادئة . ولكنه يبرر هذا التناقض باعزاء موقفه هذا الى النضال السياسي فقط ، فهو يعتقد انه عن طريق القول بأن الفلسطينيين يعتبرون الاردن وطنا لهم ، سيؤدي ذلك الى هبوط في مكانتهم التي يتمتعون بها الان في العالم ( المصدر نفسه ) .

واستمرارا ، من هركابي ، في سياسته المراوغة هذه ، والتي لا يتخذ فيها مواقف حاسمة وواضحة ، يدعو الى الاعلان بالموافقة على التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وانه يعتبر ان الموقف الاسرائيلي المعلن ، والذي يقضي بعدم الاستعداد للتفاوض معها ، انما هو خاطيء . فيعد ان اعترفت حوالي مائة دولة بها ، فيجب عدم القيام بدور النعماء في هذه المسألة . وهو يعتبر ان اشراك م . ت . ف في المفاوضات لا يعني بالضرورة الاعتراف بها كممثلة وحيدة للفلسطينيين . ويرى ان موافقة الذهاب الى جنيف وعلى السلام انما هو خطوة تكتيكية وليست استراتيجية ، ولهذا دعا الى اتخاذ موقف مبدئي للتفاوض مع الفلسطينيين ، وعلى رأسهم م . ت . ف من خلال المطالبة بان يحدد بالاتفاقية صراحة بان السلام هو نهاية الصراع ، وانه يشكل اعترافا بالتعايش مع اسرائيل . ويرى هركابي ان هذه الكلمات تشكل تناقضا لمبادئ م . ت . ف التي يتضمنها الميثاق الفلسطيني ، وانهم سيرفضون ذلك ، عندها نكون

[ الاسرائيليين ] نحن الراحين . ويرى ان البدء في ذلك ، فيه ما يقوي موقف اسرائيل تجاه الاردن ، حيث يلوح له بأن هناك منافسا له في المفاوضات .

ومن اساليب الخداع والمراوغة التي يتبعها هركابي ، في هذا الصدد ، انه يدعو اسرائيل لدى تجدد المحادثات في جنيف ، المطالبة باستباق مناقشة مطالب الفلسطينيين على التفاوض مع الدول العربية . وطالب ان يجري في بداية المفاوضات « تحديد حقوق الفلسطينيين » وليس بعد ذلك . كما لمح هركابي الى اتباع سياسة الخداع ، بالنسبة للاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ، وذلك بشرط ان يعترفوا بحق الاسرائيليين في تقرير مصيرهم . وان هذا بمثابة تحد لهم وانه يتناقض مع موقفهم الاساسي ، بان اليهود لبوا امة ، ولا يحق لهم اقامة دولة . ويرى انه من السهل للفلسطينيين التعبير بصورة غامضة عن الاعتراف باسرائيل وانه من الصعب جدا عليهم الاعتراف بحق اليهود بتقرير مصيرهم . ويعتبر هذا التكتيك الاسرائيلي ، من ناحية المواجهة الدولية ، انه سيقلب الامر رأسا على عقب . ( ملحق معاريف ٢٨/٢ / ١٩٧٥ ) .

وعندما نأتي الى تقييم آراء هركابي ومواقفه من الشعب الفلسطيني وقضيته ، بناء على ما استعرضناه ، نرى انه لا يملك موقفا محددًا ، كما اشرنا سابقًا ، فهو يتخذ مواقف غامضة ومبهمة ، وان أفضل وصف لموقفه هذا يمكن تسميته « باطفاء الحرائق » ، حيث انه يسعى الى معالجة المشاكل عندما تظهر فقط ، دون ان يكون له موقف ومخطط مسبق بالنسبة لمحمل القضايا . كما انه يتبين مما تقدم ان هركابي لا يزال يتمسك بالمفاهيم التي اكل الدهر عليها وشرب ، فهو من ناحية يتجاهل احيانًا الفلسطينيين وتأثيرهم في المنطقة ، ومن جهة أخرى يعود ويناقض نفسه ، عندما يعترف باهميتهم ومكانتهم في الصراع في المنطقة . كما انه يدعو الحكومة الاسرائيلية ، بان لا تكون كالنعامة في سياستها تجاه الفلسطينيين ، ومن جهة أخرى ، يجعل من نفسه النعامة بذاتها ، عندما ينصح الحكومة باتخاذ مواقف تكتيكية للرد على الانجازات والشعارات التي طرحتها الثورة الفلسطينية ، مما يثبت انه لم يستفد من تجارب الماضي ، وانه لم يستوعب حتى الان الدروس المترتبة على التطورات الاخيرة بالنسبة للثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني عالميا وعربيا .

ومن الملفت للنظر ، ان هركابي الخبير بالشؤون الفلسطينية والذي الف عدة كتب ، وعشرات المقالات حول القضية الفلسطينية ، يطلع علينا بمفاهيم وتحليلات مغايرة ومناقية تماما للواقع . ففي الوقت الذي اعترف فيه معظم الخبراء الاسرائيليين بالشؤون العربية ، امثال الجنرال ( احتياط ) متياهو بيلد ، والدكتور يهوشع بن فورات وغيرهم من السياسة الاسرائيليين ، بتعلم الدروس من الواقع ، واقتناعهم بأنه لا يمكن ان يتم اي حل او اية تسوية في المنطقة دون تلبية اماني الفلسطينيين ، نراه هنا يفذلک الامور ويدعو الى تبني حلول غير منطقية وغير واقعية . كما انه من الجدير بالذكر هنا ، ان هناك استخراجا كبيرا ، نتيجة لتعيين هركابي ، مستشارا لوزير الدفاع للشؤون الاستراتيجية بعيدة المدى ، حيث انه من المؤكد سيقدم توصيات ومفاهيم تتعلق بالسياسة الاسرائيلية ، ازاء الفلسطينيين . ومن المؤكد ايضا ان هذه التوصيات سيكون لها اثر سلبي على هذه السياسة ، وبالتالي فان هركابي سيواجه حملة عنيفة من قبل الاسرائيليين انفسهم اذا ما استمر ينتهج هذه السياسة ، وذلك كما واجه بعد حرب السادس من اكتوبر سبلا من التهم العنيفة ، نتيجة للتحليلات والمعلومات التي قدمها في اعقاب حرب الايام الستة عن العالم العربي ، والتي ساهمت

كثيرا ، حسب رأي الاسرائيليين انفسهم ، في الزلزال الذي احدثته الحرب ، وقد طلب اليه الجمهور الاسرائيلي ولغيره من الخبراء بالشؤون العربية ، ان يبحثوا لهم عن مجال آخر يرتقون منه ، ونحن نؤكد هنا ، انه اذا ما استمر بسياسته هذه ، فانه سيواجه ما هو اعنف واشد من ذلك .

ويهمنا ان نشير هنا الى ان هركابي لا يؤمن باجراء اي مفاوضات حقيقية مع الفلسطينيين ، وكل ما يريده هو اتباع سياسة من شأنها اطلاق الشعارات التي تبدو في ظاهرها معتدلة ومرنة ، ولكن الهدف الحقيقي من ورائها هو زرع الانشقاق والخلاف داخل المعسكر الفلسطيني . ويجب الاشارة هنا الى ان هركابي هو احد اعضاء المدرسة الاسرائيلية التي ظهرت في بداية الخمسينات ولا تزال مستمرة حتى الان ، هذه المدرسة التي تخشى على اسرائيل من قبول العرب التفاوض وعقد السلام معها ، هذه المدرسة التي اعتقدت ولا تزال تعتقد بأن العرب ، لو اعترفوا باسرائيل عام ١٩٤٨ ، لما بقيت اسرائيل حتى الان .

صدر عن مركز الابحاث كتاب

فلسطين في ربيع قرن ( ١٩٤٨ - ١٩٧٣ )  
مشروع قائمة بيبليوغرافية بالمطبوعات العربية والمعربة  
الصادرة في لبنان والعراق

بقلم

يونس اسماعيل الخاروف

سعر النسخة ١٠ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد  
اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث  
ص.ب ١٦٩١ - بيروت

## ازدياد قوة الجيش الاسرائيلي واثره على الصراع

الرائد الطيار حسين عويضة

تولي المؤسسة العسكرية الاسرائيلية أهمية كبيرة لشؤون الامن والدفاع فقد اندفعت بعد حرب تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣ الى اعادة تنظيم قواتها في ضوء نتائج الحرب ، فكانت عملياتها واسعة بحيث شملت النواحي التالية : ( ١ ) تجهيز الجيش بالاسلحة الحديثة ( ٢ ) زيادة القوى البشرية في الجيش ( ٣ ) القيام بالمانورات الموسمية والضرورية ( ٤ ) اقامة التحصينات الدفاعية ( ٥ ) اعادة تنظيم القيادات والوحدات المقاتلة ( ٦ ) اعادة تنظيم جهاز الاستخبارات العسكرية ( ٧ ) اعادة تنظيم صناعتها الحربية .

وقد لخص شمعون بيريس وزير الدفاع الاهداف التي تسعى المؤسسة الى بلوغها في هذه المرحلة بقوله « ان السياسة الاسرائيلية ستكون في المستقبل مستندة الى اربعة مبادئ اساسية هي ( ١ ) المحافظة على ميزان القوى لمنع نشوب الحرب او تحقيق الانتصار في حال نشوبها ( ٢ ) تقليل الارتباط بالخارج قدر الامكان ( ٣ ) تحقيق التفوق التكنولوجي ( ٤ ) افهام العرب بأن من يريد حشد الجيوش ضدنا ، عليه ان يوزع جيوشه في بلاده دفاعا عن ممتلكاته وارضيه » (١) .

( ١ ) **تجهيز الجيش بالاسلحة** : ان هذا البرنامج الطموح سيجبر اسرائيل على رصد الاموال الضخمة ، خاصة وان معطيات الصراع قد تغيرت فبعد ان كانت اعباء الحرب المادية والمعنوية تقع بكاملها على الجانب العربي ، أصبحت اسرائيل منذ حرب تشرين الاول تتحمل العبء نفسه ان لم يكن أكثر ، وهذه معطية تشير الى حدوث توازن استراتيجي في الصراع ، ولما كانت اسرائيل لا تقدر على تحمل مثل هذه الاعباء خاصة وان تكاليف الصراع قد زادت عما كانت عليه في المواجهات السابقة فضلا عن اتساع نطاق جبهات القتال بعد فتح القناة و احياء الجبهة الشرقية حيث أصبحت الحرب تستوعب المزيد من الاسلحة الحديثة والتجهيزات الالكترونية الباهظة الثمن فضلا عن ان الطرفين ما فتئا يحشدان قواتهما المسلحة على خطوط وقف اطلاق النار وهذا بحد ذاته سيؤدي الى ارهاقها ماليا و اضعاف الروح المعنوية بين المقاتلين والوطنين على حد سواء ، لذلك سعت اسرائيل الى تخصيص مبالغ ضخمة لمشاريعها الامنية والدفاعية ، فقد ذكر وزير الدفاع الاسرائيلي انها رصدت للسنوات الخمس القادمة مبلغ ( ٨٠٠٠ ) مليون دولار لمواجهة احتمالات الموقف العسكري . لقد قدرت طلباتها من الولايات المتحدة للسنة القادمة ٧٥ — ١٩٧٦ بـ ٢٥٥ مليار دولار منها ( ١٧٦ — ١٩١ مليار دولار على اساس مساعدات تشمل تجهيزات حربية ، وتزيد طلبات المشتريات عن طلبات السنتين السابقتين بنسبة ٢٠ ٪ (٢) . فقد ضمت هذه الطلبات التي تقدم بها وزير الخارجية يغال الون اثناء زيارته الاخيرة لواشنطن انواعا جديدة من الاسلحة والتجهيزات الحربية ، تشمل طائرات حديثة من طراز ( ف — ١٤ ) و ( ف — ١٥ ) بما في ذلك المزيد من طائرات ( فانتوم ) و ( سكايهوك ) وطائرات ( غرومان اي — ٢

سي هوك اي ) للانذار المبكر المجهزة بالرادار والصواريخ والغذائف الموجهة جو — ارض بما فيها تلك الموجهة بأشعة لايزر ، وصواريخ موجهة تكتيكية ارض — ارض من نوع ( لانس ) والذي يبلغ مداه ( ١١٠ ) كم (٣) . وكان قد ذكر في واشنطن ان محادثات شليسنغر — الون أنتهت بموافقة الولايات المتحدة بصورة أولية على تجهيز اسرائيل بهذه الاسلحة والمعدات الا ان هذه الطلبات ظلت بحاجة الى موافقة نهائية من وزيرى الدفاع والخارجية الاميركية . ومن جهة اخرى اعلن ان البنناغون قد خصص في موازنته للعام القادم مبالغ اضافية خصصها للاتي : ( ٥٣ ) مليون دولار لتطوير وتصنيع الصواريخ الموجهة التي تطلق من الجو للارض من نوع ( شرايك ) و ( مايفريك ) و ( وول اي ) والتنايل الذكية بنوعها . و ( ٢٥ ) مليون دولار لتطوير وسائل الهجوم على اجهزة الرادار المختلفة و ( ٣٤ ) مليون دولار لتطوير استخدام المركبات الجوية التي تطير بدون طيار والتي تطلق الصواريخ الموجهة جو — ارض الى اهدافها من نقاط تقع خارج مجالات الدفاعات الارضية الصاروخية والتقليدية . و ( ٥ ) ملايين دولار لتطوير الاعوية التي تحتوي على كميات كبيرة من مادتي الزجاج المعدن ونفايات الالمنيوم والتي تعمل على التشويش على اجهزة الرادار . و ( ٢ ) مليون دولار لتطوير وسائل ضد صاروخ جندي المشاة الوجه نوع ( سام — ٧ ستريلا ) الذي يستخدم على نطاق واسع في الجيوش العربية . ولما كانت عدة مصادر اجنبية قد اوردت في السابق بأن الولايات المتحدة قد زودت اسرائيل بكميات كبيرة منها (٤) ، فمن المتوقع ان يستفيد الجيش الاسرائيلي من هذه التطورات في التسليح (٥) .

ونظرا لان الطيران يشكل العمود الفقري لقوة اسرائيل الضاربة في المنطقة فقد اتبعت اسرائيل منهاجاً جديداً في استخدام الطائرات المقاتلة وذلك باستبدال الطائرات المقاتلة ذات المهام القتالية المحددة بطائرات قتالية ذات مهام متعددة ، وذلك بهدف المحافظة على تفوقها الجوي وحتى تمكن طيراتها من العمل في عدة جبهات وضد اهداف عربية متعددة ومتناثرة ومتباعدة في عمق الجبهات والاراضي العربية بالإضافة الى مهماته في الدفاع عن الاجواء الاسرائيلية والاهداف الحيوية العسكرية والاقتصادية في داخل الاراضي المحتلة . فقد شملت المساعدات العسكرية الاميركية مزيداً من طائرات ( الفانتوم ) و ( سكايبوك ) حيث بلغ مجموع ما لدى سلاح الطيران الاسرائيلي منها ( ٢١٠ ) للاولى و ( ٢٠٠ ) للثانية ، خاصة وان الاولى تعتبر من طائرات التفوق الجوي التي تعمل في الاسراب الجوية الاميركية الضاربة الموزعة في العالم . كما ان هذه الطائرات شملت ( ٢٠ ) طائرة نقل متوسطة من نوع ( هيركوليز سي — ١٣٠ ) والتي تتسع لـ ٩٦ جندياً بكامل تجهيزاتهم الحربية و ( ٢٠ ) طائرة هليكوبتر ثقيلة من طراز ( سيكورسكي سي هـ — ١٥٣ ) والتي تتسع لـ ( ٣٨ — ٦٥ ) جندياً بكامل تجهيزاتهم الحربية . وكانت اسرائيل قد ابدت حماساً للحصول على طائرات ( ف — ١٤ ) توم كات ( و ف — ١٥ ايغل ) وهي طائرات التفوق الجوي المتعددة المهام القتالية . وقد اشارت التقارير ان الصفقة ستكون بحدود ( ٥٠٠ ) مليون دولار . وان الولايات المتحدة ستعطي جزءاً كبيراً منها مجاناً كما ان المعلومات الواردة من مصادر عليمة افادت ان واشنطن اقترحت على اسرائيل حصر طلبها بطائرة ( ف — ١٥ ) ذلك لان سلاح البحرية الاميركية صاحب مشروع ( ف — ١٤ ) يرفض تزويد الطائرة الى اسرائيل . لذلك اقترحت الولايات المتحدة على قادة السلاح الجوي الاسرائيلي تركيز اهتمامهم على ( ف — ١٥ ) خاصة وانها اسهل من كافة النواحي من ( ف — ١٤ ) ذات الاجنحة المتغيرة . لهذا فان الدلائل تشير الى ان الصفقة ستشمل فقط طائرات ( ف — ١٥ ) . على أي حال قررت الولايات المتحدة مؤخراً ارجاء ارسال الطيارين والفنيين الاسرائيليين الى الولايات

المتحدة بدعوى ان الطائرة لا زالت قيد التجارب (٦). ان حصول العدو الاسرائيلي على هذه الطائرات من شأنه أن يزيد طاقته التدميرية وقدرته القتالية والهجومية . وقد اعتبرت الاوساط العسكرية في العالم حصول اسرائيل على هذه الطائرة بمثابة رد على حصول العرب على طائرة ( ميغ ٢٣ ) من الاتحاد السوفيتي .

ان من أهم المعدات والتجهيزات الحربية التي تسلمها العدو الاسرائيلي وأدخلها في الخدمة مع سلاح الطيران الاسرائيلي كانت المركبات الجوية التي تطير بدون طيار من النوع الذي يقوم بمهام الاستطلاع والتصوير الجوي من ارتفاعات واطئة ومتوسطة وعالية ، من طراز ( تليدان رايان - ١ . كيو . م - ٣٤ - م ) وقد استخدمت اسرائيل هذه الانواع في المراحل الاخيرة من حرب رمضان وتم اسقاط عدد منها في الجبهتين السورية والمصرية . غير ان اسرائيل تحاول الحصول على أنواع أكثر تقدما وتعقيدا من نوع ( تليدان رايان - بي جي م - ١٣٤ ) الهجومية التي تحمل صاروخين او قنبلتين موجهتين تحت جناحيها حيث تطلقها باتجاه الهدف من مسافات بعيدة خارج نطاق مدى الدفاعات الجوية ، ونوع ( تليدان رايان - ١ . كيو . م - ١٩١ ) للاستطلاع البعيد المدى ولجمع المعلومات العسكرية عن العدو وللتجسس على ذبذبات الصواريخ المعقدة والمتقدمة . ان اسرائيل شعرت بعد حرب رمضان أنها أحوج ما تكون الى مثل هذه المركبات لمهاجمة بطاريات الصواريخ الموجهة وقواعد الرادار والاهداف الحيوية العسكرية والاقتصادية العربية . لقد دخلت على الصراع معطيات جديدة بظهور الصواريخ الموجهة أرض - جو العربية السى المسرح . فقد قفزت خسائر اسرائيل بالطائرات في المعارك الاخيرة قفزة كبيرة ، أصبح معه من الصعوبة مهاجمتها بدون اية خسائر مادية وبشرية . لذلك اتجهت اسرائيل الى هذه الاجهزة المعقدة على أمل ان تتمكن من تحقيق غاياتها .

ومن المعدات والتجهيزات والاعتدة الحربية التي حصلت عليها جهاز ( تيسو ) لكشف الاهداف المتحركة في الجو وعلى الارض واجهزة للتشويش على الرادار من نوع ( ا . ل . اي - ٢٩ ) و ( ا . ل . اي - ٣٨ ) . كما حصلت على قنابل وصواريخ موجهة جو - أرض من أنواع متقدمة وحديثة منها ( بولباب ) و ( مافريك ) و ( شرايك ) و ( وول اي ) وصواريخ موجهة جو - جو من طراز ( سايدوايندر ) و ( سبارو ) . والجدير بالذكر أنها أنتجت الصاروخ الموجه ( شفرير ) حيث أدخل في الخدمة الفعلية ، لكن لم تتوفر اية معلومات عن مدى دقته في اصابة الاهداف ، وكل ما نقلته المصادر الاجنبية لا تعدو عن كونها معلومات فنية استقتها من مصادر اسرائيلية . يضاف الى كل هذا ان اسرائيل طلبت من الولايات المتحدة تزويدها بطائرات مجهزة بالرادار وبلاجهزة الالكترونية تستخدم للانذار المبكر وللتجسس ومراقبة النشاطات الحربية في الجانب العربي (٧) . غير ان الولايات المتحدة تتردد في اعطائها هذه الطائرات ، وظلت الطلبية رهنا بموافقة شخصية من وزير الخارجية الامريكي الدكتور هنري كيسنجر .

اما على صعيد آخر فلقد لمست اسرائيل أهمية طائرات النقل العسكرية المتوسطة والبعيدة المدى . لذلك حصلت من الولايات المتحدة على طائرات نقل عسكرية حديثة من طراز ( هيركوليز سي ١٣٠ ) . كما ضمت ولاول مرة في تاريخها الى سلاح الجو طائرات نقل عسكرية من طراز ( بوينغ ٧٠٧ ) النفاثة . وتضاف هذه الى أنواع أخرى من طائرات النقل العسكري العاملة في سلاح الطيران من طراز ( نور اطللس ) و ( عرفا ) و ( داكوتا سي ٤٧ ) . وهكذا تحسنت احوال سلاح الجو بالنسبة للنقل العسكري

وقدرته على نقل الجنود والتجهيزات الحربية من الخارج الى ميادين القتال اضعاف ما كانت عليه قبل وأثناء حرب رمضان .

لقد ازداد اهتمام اسرائيل ايضا بالنسبة لطائرات الصهريج الجوي . وهذه تعتبر من الوسائل التكتيكية الحديثة التي درجت الدول المتقدمة عسكريا على استخدامها لزيادة مدى ومدة تحليق طائراتها في الجو . لذلك حصلت اسرائيل منذ مدة على طائرتين مروحيتين من طراز ( ستراتوكروزرك سي ٩٧ ) . لكن ظروف المعارك في حرب تشرين لم تسمح باستخدام هذا الاسلوب المتقدم في تزويد الطائرات بالوقود أثناء تحليقها في الجو . على الرغم من ذلك تحاول اسرائيل الحصول من الولايات المتحدة على انواع نفائة من طراز ( بوينغ ك سي - ١٣٥ ) الأبعد مدى لكنه لم تتوفر اية معلومات عن تسلمها مثل هذه الطائرات .

الى جانب ذلك فقد ضاعفت اسرائيل من عدد الطيارين والفنيين العاملين في الخدمة النظامية وذلك من أجل رفع مستوياتهم الفنية والنظرية والقتالية عن طريق الحاقهم بدورات تدريبية فنية وقتالية ، واشراكهم بالتمارين الجوية التي يقوم بها سلاح الطيران باستمرار .

ومن بين المهام التي يسعى سلاح الطيران الى تحقيقها لتأمين استمرار التفوق الجوي تحسين تسليح طائراته ، فقد تم بهذا الصدد استبدال مدفعي طائرات ( سكايهوك ) من عيار ( ٢٠ ) ملم بمدفعين من نوع ( ديفا ) عيار ( ٣٠ ) ملم (٨) . وهذا سيزيد من تأثير نيرانها في مهام الهجوم الارضي ضد أفراد المشاة وضد الاليات في جبهات القتال وضد الطائرات على الارض وفي الجو وضد مواقع الصواريخ الموجهة وضد المنشآت والاهداف الحيوية العسكرية والاقتصادية مثل مقرات القيادات وخزانات الوقود .

ان المشاكل الاساسية التي تواجه سلاح الطيران الاسرائيلي في المواجهة القادمة هي كيفية تدمير بطاريات الصواريخ الموجهة ارض - جو العربية ، وكيفية التسلل الى عمق الاراضي العربية بهدف مهاجمة المطارات والاهداف الهامة الاخرى ومقرات القيادات الخلفية وكيفية التصدي للطائرات العربية التي زادت قدرتها على المناورة وتوسع مدى عملها وتسليحها بحصول سلاحي الطيران المصري والسوري على طائرات من نوع ( ميغ ٢٣ ) وبحصول سلاح الطيران المصري على طائرات فرنسية متفوقة من نوع ( ميراج ٥ د ) و ( ميراج ف - ١ ) الحديثة ذات المدى البعيد والحمولة الكبيرة . ومما يزيد الامور خطورة وتعقيدا الاتفاق الذي تم بين سوريا والاردن في ١٤/٦/١٩٧٥ والذي نجم عنه احياء الجبهة الشرقية (٩) . وسيتيح هذا الاتفاق اشراك طائرات الاردن الحديثة والبعيدة المدى وذات الحمولة الجيدة ( ٧٠٠٠ ) رطل والتي تعتبر من أحسن الطائرات في مهام الدعم الارضي والقتال الجوي . ان الجبهة الشرقية تعتبر من أخطر الجبهات على اسرائيل ، وقد تزداد اوضاع اسرائيل سوءا بانتقال طائرات سلاح الطيران العراقي للمرابطة فيها الى جانب الطائرات الاردنية والسورية ، والطائرات السعودية التي ستزود بها المملكة العربية السعودية جبهة القتال . وقد يريك ذلك القيادة الجوية في اسرائيل ويثقل كاهلها اذ لا يعقل أن يتحمل سلاح الطيران الاسرائيلي مهام قتالية على طول امتداد ثلاث جبهات رئيسية ( الجنوبية والشرقية والشمالية ) فضلا عن المهام التي مستوكل اليه في الداخل وعلى الجبهة اللبنانية ( ضد المقاومة ) .

لقد زادت اسرائيل من عدد تشكيلاتها المحمولة جوا وأصبح ما لديها منها ( ٦ ) ألوية ( نظامية واحتياطية ) (١٠) ، لان مسؤولياتها في ميادين القتال تضاعفت ، وزاد جهدها الجوي لنقل القوات المحمولة جوا حتى بلغ مجموع ما بإمكانها نقله من هؤلاء مجموعة

لواعين في طلعة واحدة . وان كانت ظروف المعركة لم تسمح لها في حرب رمضان باستخدام تشكيلاتها المحمولة جوا فان اسرائيل تظل قادرة على استخدام هؤلاء في عمليات عسكرية ضمن المدى التكتيكي والعملياتي ، غير ان التطورات الجارية في الجانب العربي قد تزيد من خطورة مثل هذه العمليات وتزيد نسبة الخسائر بينها، لذلك ستكون اسرائيل مترددة في قيامها بمثل هذه العمليات الخطيرة .

قامت استراتيجية اسرائيل في الاصل على اساس نقل الحرب الى عمق الاراضي العربية والقيام بعمليات كوماندو خاصة خلف الخطوط العربية ، ولما كانت القوات المحمولة جوا هي احدى اذرع هذه الاستراتيجية فقد اهتمت اسرائيل بزيادة عدد طائرات الهليكوبتر الموجودة بحوزتها . فاصبح مجموع ما لديها ٢٠ طائرة من نوع (أ. ب - ٢٠٥) و ٢٥ طائرة من نوع (يو - هـ - أ - د) و ٩ طائرات (سوبر فريلون) و ٢٠ طائرة من نوع (سيكورسكي س هـ - ٥٣) (١١).

أما سلاح الدبابات والذي يشكل القوة الضاربة في التشكيلات البرية الاسرائيلية فقد أعيد بناؤه على اساس حديثة . وتعتمد القيادة الاسرائيلية على هذا السلاح بشكل رئيسي في تنفيذ هجماتها غير المباشرة وفي توجيه الضربات القوية للدفاعات العربية . لهذا أولته اسرائيل مرتبة هامة في سلم الاولوية فقامت بتعزيزه بالدبابات من طراز (باتون م - ٤٨) و (م - ١١٦٠) الامريكيتين وبأخرى بريطانية من طراز (سنثوريون) وبناتلات جنود من نوع (م - ١١٣) و (م - ١١٤) المخصصة للاستطلاع . لقد زادت اسرائيل قوة سلاح مدرعاتها حتى أصبح يضم في صفوفه أكثر من (٢٥٠٠) دبابة متوسطة وحوالي (٦٠٠٠) ناقلة للجنود ومدرعة مسلحة (١٢) . وبهذا يكون سلاح المدرعات الاسرائيلي قد عوض تشكيلاته المقاتلة أكثر بكثير مما خسر من دبابات في المعارك الاخيرة . بالإضافة الى ان قيادة السلاح قد أدخلت تحسينات عديدة على مشاغها الرئيسية وورشاتها الفنية لتصليح الدبابات وهذا سيمكنها من رفع نسبة الدبابات الصالحة التي بإمكانها الحاقها بالقتال ، فضلا عن ان ذلك سيتيح لها امكانية تصليح ما يعطب منها في القتال في فترة زمنية قصيرة (١٣) . لقد تزايدت قوة هذا السلاح بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الجيش الاسرائيلي ، كما بذلت القيادة جهودا كبيرة لتأمين احتياجات السلاح من القادة والطواقم والفنيين بالإضافة الى رفع كفاءتهم وقدراتهم القتالية بزيادة ساعات التدريب وعدد مناورات الرماية واجراء المناورات المشتركة . وطبيعي ان تلجأ اسرائيل الى ذلك استعدادا للمواجهة القادمة حيث سيكون نطاق عمليات الدروع أكثر اتساعا وأبعد مدى . بالإضافة الى مدى العمليات فان سلاح المدرعات الاسرائيلي سيواجه أسلحة المدرعات العربية المتفوقة عددا وعدة . هذا وتقدر المصادر الاجنبية حجم الدبابات العربية بالنسب التالية : مصر (٢٠٠٠) دبابة ، سوريا (٢٠٠٠) دبابة ، العراق (١٦٠٠) دبابة ، الاردن (٥٠٠) دبابة ، السعودية (٣٥٠) دبابة ، المغرب (٣٠٠) دبابة ، الجزائر (٤٥٠) دبابة ، ليبيا (٤٠٠) دبابة . ان أكثر ما تخشاه اسرائيل هو ان تتمكن دول المساندة العربية بدفع ما لديها من دبابات للمشاركة في القتال كما حدث في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ .

وقد علق الجنرال اسرائيل تال على أهمية الدبابات في الحروب بقوله « أثبتت حرب تشرين الاول ان التشكيل الدرع المتحرك المجحف يحتل مركز الصدارة في الحرب والدبابة هي العمود الفقري لهذا التشكيل » . واضاف قائلا « ان الدبابة هي سلاح هجومي محض ، وبواسطة استخدامها على نطاق واسع وهجومي تنقل الخسائر ويتحقق التفوق » (١٤) . لذلك أدخل الجيش الاسرائيلي التعديلات والتحسينات العديدة

على معظم الدبابات العاملة معه ، كان أبرزها استبدال محركات البنزين لدبابات (م - ٦٠) الأمريكية بمحركات أخرى تعمل على الديزل ، وهذا التعديل سيبقي الفرصة أمام هذه الدبابات للعمل في الأحوال الجوية الحارة ، ثم سيجنبها امكانية تفجيرها لدى اصابتها من الاسلحة المضادة او من قذائف الدبابات المضادة ، فقد عانت القيادة الاسرائيلية كثيرا من هذه الظاهرة في الحرب الاخيرة وكانت نسبة كبيرة من دباباتها قد انفجرت بمجرد اصابتها من الاسلحة المضادة . يضاف الى ذلك ان القيادة الاسرائيلية قامت بادخال التعديلات والاصلاحات المناسبة على الدبابات السوفيتية الصنع التي غنمتها في حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ من المصريين والسوريين . ان المصادر الاسرائيلية تقول ان سلاح المدرعات هو اكبر مما كان عليه قبل اندلاع القتال في الحرب الاخيرة ، كما جرى تعزيزه بأكثر من ( ١٠ ) آلاف من وسائل النقل الأخرى (١٥).

وعلى صعيد آخر فرضت تطورات الحرب على العدو الاسرائيلي الحصول على صواريخ موجهة تكتيكية أرض - أرض وأرض - جو لمواجهة متطلبات الصراع فطلبت من الولايات المتحدة تزويدها بصواريخ ( لانس ) وقد أشرنا الى ذلك في بداية دراستنا . كما شعرت في خلال الحرب الاخيرة بأهمية الصواريخ الموجهة أرض - جو والمدافع المضادة للطائرات الموجهة بالرادار . لذلك سعت لدى الولايات المتحدة في اعتقاد الحرب للحصول على أنواع متطورة معدلة من نوع ( هوك ) لمقاومة الطائرات على ارتفاعات متوسطة وعالية وأنواع ذاتية الحركة من نوع ( شابرال ) لمقاومة الطائرات على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة (١١) . وازضافة الى ذلك عززت وسائل دفاعها الجوية بالمدفع الاميركي المضاد للطائرات ذاتي الحركة من نوع ( فولكان اكس . م - ١٦٣ ) السداسي عيار ( ٢٠ ) ملم والذي يطلق ( ٦٠٠٠ ) طلقة في الدقيقة (١٧) ، وهو شبيه بالمدفع السوفياتي ( ز س يو - ٢٣ - ٤ ) المضاد للطائرات والموجه بالرادار والذي يستخدم على نطاق واسع في مصر وسوريا والعراق والجزائر والعديد من الجيوش العربية التي تستخدم أسلحة شرقية . والجدير بالذكر ان نسبة كبيرة من خسارة اسرائيل بالطائرات كانت بفعل هذا المدفع .

ومما يزيد أهمية هذه الاسلحة بالنسبة لاسرائيل هو صلاحية وفعالية اجهزة الدفاع الجوية العربية ، ونجاحها في التصدي للطائرات الحربية بفعالية كبيرة أذهلت المراقبين العسكريين في العالم ، خاصة وأنها تمكنت من حصر نطاق عمل الطائرات الحربية الاسرائيلية بأضيق نطاق . لهذا اهتمت اسرائيل بزيادة ما لديها ، كاجراء وقائي لما قد يحدث في المواجهة القادمة .

ومن الأمور الهامة الأخرى ان اسرائيل أخذت بعين الاعتبار تفوق المدفعية العربية كما ونوعا ومدى ، لذلك حصلت من الولايات المتحدة على المدفع الاميركي ذاتي الحركة ذي القوة النارية الكبيرة نوع ( م - ١١٠ - عيار ١٧٥ ملم ) والذي يصل مداه الى ( ٣٣ ) كم في سبيل تحسين تأثير نيران ومدى مدفيعتها . وكان سلاح المدفعية الاسرائيلي حتى حرب تشرين الاول ١٩٧٣ يحتل مركزا ثانويا بالنسبة لبقية التشكيلات ، لكن الحرب أقتنعت اسرائيل بضرورة تدعيمه وتعزيزه وزيادة حجم وعدد تشكيلاته . وهذا في حد ذاته يمكن ان يدل على تطور المفاهيم العسكرية الاسرائيلية التي أصبحت تولي التكتيكات الدفاعية الأهمية نفسها التي توليها للتكتيكات الهجومية . لقد ظلت اسرائيل منذ تكوين جيشها تمتلك سلاح مدفعية صغير عددا وعدة بالنسبة لسلاح المدفعية المصري أو السوري أو العراقي . وظل واجبه تقديم الدعم في بعض الحالات للقطاعات البرية الأخرى في نطاق المعركة الهجومية وحرب الحركة . إذ كان لوجود سلاح طيران قوي قادر على تقديم الدعم الفعال والتمهيد لوححدات المشاة والدروع اثره على حجم

ومهام هذا السلاح لذلك لم يسند له قط أي واجب يعتمد القصف الكثيف والعنيف لارض المعركة للتمهيد للقطاعات الأخرى قبل قيامها بهجماتها كما هي العادة في معظم جيوش العالم العصرية . لكن بعد حرب تشرين وفي ضوء تقليص دور سلاح الطيران نتيجة لظهور الاسلحة الحديثة والتقليدية الفعالة المضادة للطائرات فقد تطلست اسرائيل أهمية مضاعفة عدد أسلحته وطاقاته ليتناسب ذلك والمعطيات الجديدة التي دخلت على الصراع . ان اسرائيل أصبحت تمتلك ما لا يقل عن ( ٨٠٠ ) قطعة مدفوع ذاتي الحركة ومتطور . تشكل المدافع ذاتية الحركة الجزء الأكبر منها وهي أنواع حديثة تستخدمها وحدات المدفعية الاميركية (١٨) .

لقد تعززت أوضاع المدفعية الاسرائيلية بحصولها على مدافع من عيار ( ١٧٥ ) ملم بعيدة المدى ، غير ان كل من سوريا ومصر قامت هي الأخرى بالحصول على المدفع السوفياتي بعيد المدى من عيار ( ١٨٠ ) ملم والذي يصل مداه الى أكثر من ( ٤٠ كم ) . وبهذا عادت وانتزعت التفوق بالمدى وتأثير النيران من الاسرائيليين . ومما يقلل من أهمية المدفعية الاسرائيلية امتلاك العرب لصواريخ موجهة أرض — أرض تكتيكية من نوع ( غروغ — ٤ ) ومداه ( ٥٠ ) كم و ( غروغ ٧ ) ومداه ( ٧٠ ) و ( سكود ) ومداه يتراوح بين ( ١٦٠ — ٢٩٠ ) كلم .

غير ان اسرائيل تدعي بالمقابل انها تعمل على تطوير صاروخ موجه أرض — أرض من طراز ( اريحا — م د — ٦٦٠ ) الذي يبلغ مداه ( ٤٤٠ كم ) . لكن لحد الآن لم تتوفر أية معلومات دقيقة وصحيحة تؤكد مصداقية المصادر المعادية لهذا يظل هذا الصاروخ خارج نطاق البحث .

وعلى صعيد العمليات البحرية فقد أعيد تسليح سلاح البحرية بزوارق سريعة مسلحة بالطوربيد وأخرى مسلحة بالصواريخ . وأبرزها النوع ( ساغر ) حيث جرى تسليحها بصواريخ سطح سطح موجهة نوع ( جابرييل ) الذي يصل مداها الى ( ٢٠ — ٤٠ ) كم لاعطاء هذه الزوارق القدرة على مطاردة الوحدات البحرية العربية ، ومهاجمة الاهداف الحيوية والمنشآت الساحلية العربية . لقد بدأت اسرائيل منذ مدة تبذل الجهود لتحويل سلاح البحرية من قوة طابعها الدفاع عن الشواطئ والمياه الإقليمية الاسرائيلية الى قوة هجومية بعيدة المدى وقادرة على توجيه ضربات مؤلمة للأراضي والسواحل العربية . غير ان المتغيرات التي دخلت على الصراع وأهمها تقليص نفوذ الطيران الاسرائيلي ونمو قوة الاسلحة الجوية العربية وبوجه خاص الاسلحة الجوية لدول المواجهة الثلاث والعراق والسعودية والجزائر وليبيا سيعزز ويدعم موقف البحرية المصرية وشقيقتها البحرية السورية وبالتالي يطلق يدهما في البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، وعلى الأخص الغواصات والمدمرات التي بإمكانها العمل بعيدا عن قواعدها الرئيسية لفترة طويلة . ان سلاح البحرية الاسرائيلي بإمكانه ان يعمل بحرية تامة ضد الجبهة اللبنانية وهي الجبهة العربية الوحيدة التي ظلت على حالها ولم تزد قوة طيلة سنوات الصراع حيث ظلت دفاعاتها محدودة للغاية . لكنها تظل حالة مستبعدة ضد الجبهتين المصرية والسورية ، ذلك لان طاقات وامكانيات البحرية الاسرائيلية اليوم لا تكفي للقيام بعمليات انزال بحرية ناجحة ضد مصر وسوريا ، او أي دولة عربية أخرى . وان عملية الانزال التي قامت بها في جزيرة « شمدوان » \* أثناء جرب الاستنزاف في عام ١٩٦٩ القوات الاسرائيلية المحمولة جوا بمساندة فعالة من الطيران الاسرائيلي تمت في

\* تقع جزيرة « شمدوان » في البحر الاحمر ما بين البر المصري والطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء على مسافة ( ٢٤٠ ) كم من رأس محمد في الطرف الجنوبي لسيناء و ( ٣٠ ) كم عن الفرقة على الساحل المصري .

ظروف كان الجيش المصري ينتقل فيها من حالة الصمود الى الدفاع النشط ، وهي حالة لا يمكن ان تتكرر اليوم ولا مستقبلا نظرا للمتغيرات التي طرأت على الموقف العسكري العام . ومهما تقدم اسرائيل من معلومات مضخمة عن سلاح بحريتها (طاقاتها او امكاناته وادواره في المواجهة القادمة). بقصد الدعاية والتأثير على معنويات المقاتلين والجماهير العربية ، تظل البحرية العربية هي المرشحة لتبوء مركز السيادة والزعامة في البحرين ( غيما يتعلق بالصراع العربي - الاسرائيلي ) . ان مسؤولية سلاح البحرية الاسرائيلي الصغير ( العدد والاسلحة والطاقات ) هي الدفاع عن ( ١٠٠٠ ) كم من الحدود البحرية لذلك تظل امكاناته وطاقاته الحالية دون المستوى المطلوب وغير قادرة على تحمل هذه الاعباء . ان دور زوارقه السريعة المسلحة بالصواريخ الموجهة نوع ( جابريل ) اقتصر في الحرب الاخيرة على اضرب واهرب ولا يستبعد ان يتكرر ذلك في المواجهة القادمة ويمكن ان تلجأ الغواصات الاسرائيلية وعددها ( ٥ ) ( ١٩ ) للدور نفسه وتفاجيء القطع البحرية والسفن التجارية العربية بهجمات خاطفة مفاجئة وهي مرابطة في موانئها او في عرض البحر ، بحيث تحقق نصرا معنويا ونفسيا .

وعلى صعيد آخر سعت قيادة سلاح البحرية لدى الولايات المتحدة لتزويدها بقطع بحرية كبيرة وهي قطع تفتقر اليها . فقد افادت بعض المصادر الصحفية الاسرائيلية نقلا عن صحيفة امريكية ، ان الولايات المتحدة قد وافقت على تزويدها بقطعتين بحريتين من القطع الخردة التي سبق ان استغنى عنها سلاح البحرية الامريكية ويجري العمل الآن على تصليحها واعدادها في ترسانة ( ريتشموند ) لترميم السفن . والسفينتان من فئة ( بلوك ايلاند ) وحمولة كل منهما ( ١٥ ) ألف طن وبامكان الواحدة حمل ما لا يقل عن ( ٢٠ ) طائرة هليكوبتر . ان امتلاك سلاح البحرية الاسرائيلي لهاتين السفينتين سيوسع نطاق عملياته ، بالاضافة الى زيادة قدراته القتالية والهجومية ضد المدمرات والغواصات وزوارق الصواريخ العربية (٢٠) .

( ٢ ) **زيادة الطاقة البشرية في الجيش** : تلعب الطاقة البشرية دورا هاما ورئيسيا في الصراعات المسلحة وعليها تتوقف امكانية توسيع الجيش او تقليص حجمه . ولما كانت اسرائيل تفتقر الى الطاقة البشرية فقد سعت للتعويض عن ذلك بكامل تفوقها العلمي والتقني .

وقد تمكنت بواسطة طاقتها المحدودة المتفوقة ثقافتا وعلميا وتقنية من تأمين تفوق نوعي في ميادين القتال . وقد استدعى ذلك تركيز طاقتها المدربة في سلاحي الطيران والمدركات اللذين شكلا رأس الحربة في تشكيلاتها المقاتلة وقوتها الضاربة حيث شكلا هذان السلاحان ٨٠ ٪ من قوة الجيش النظامي . لكن دروس حرب تشرين ( وهي ملاحظات ابديناها سابقا ) علمت القيادة الاسرائيلية بأن دور سلاح المدفعية لا يقل أهمية عن دور السلاحين المذكورين ، خاصة مع تطور استخدام الاسلحة المضادة للطائرات والمضادة للدروع . وهي خطوة تستلزم زيادة العنصر البشري في الجيش لمواجهة الزيادة في هذا السلاح وبقية الاسلحة الاخرى .

ان القوات المسلحة في اسرائيل تتشكل في الاساس من **قوة نظامية** (الجيش النظامي) و**أفراد الخدمة الإلزامية** الذين يمضون في الخدمة مددا تتراوح بين ( ٣٦ ) شهرا للرجال و ( ٢٤ ) شهرا للنساء ، ثم تشكيلات **الاحتياطي الاستراتيجي** الذين يستدعون للخدمة في الحالات الطارئة في خلال ٤٨ - ٧٢ ساعة عبر نظام تعبئة دقيق يضمن لاسرائيل قدرة الرد بالضربة الثانية . ( يبلغ الجيش النظامي ٣٣٥٠٠ جندي ، وأفراد الخدمة الإلزامية ١١٤٠٠٠ والاحتياطي الاستراتيجي ٢٥٤٠٠٠ جندي ) . ان الجيش الاسرائيلي هو من الجيوش القليلة في العالم التي تعتمد على المتطوعين والخبراء

الاجانب . فهؤلاء يشكلون خيرة هامة يحتاج اليهم الجيش الاسرائيلي في وقت الشددة . ويحمل هؤلاء جنسيات مزدوجة في بعض الاحيان . ولدى استدعائهم يلحق قسم منهم في تشكيلات المشاة ، اما الخبراء والفنيون منهم والمدربون الذين سبق لهم الخدمة في اسلحة الجيوش الاجنبية الاخرى او عملوا على اساس مرتزقة في جيوش الدول الاجنبية فيلحقون في سلاح الجو كطيارين وفنيين ارضيين ، كما يلحقون في اسلحة المدفعية والمدركات والبحرية ويتسلم هؤلاء في بعض الاحيان واجبات قيادية وفنية .

لقد لمست اسرائيل بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ أهمية دور الجيش النظامي ومعدات الخدمة الالزامية في صد الضربة الاولى العربية . لذلك وجهت اهتمامها بعد الحرب الى وضع الترتيبات لزيادة حجم هذه التشكيلات فوضعت ترتيباتها وخطتها لزيادة حجم القوة النظامية بنسبة ٥٠ ٪ . كما زيدت تشكيلات الخدمة الالزامية بنسب اقل . كما اتجهت النية لزيادة عدد افراد الاحتياطي ، فلجأت القيادة الى تقليص دائرة المعفيين من الخدمة بالحقاق آلاف منهم في الاحتياطي وفي الجيش النظامي . لقد بدأت هذه الحملة في اوائل شهر ( ايلول ) ١٩٧٤ عندما أصدر رئيس مركز التجنيد أمرا يدعو فيه جميع المعفيين البالغ عددهم نحو ( ١٥٠ ) الفا للحضور الى مراكز التجنيد لاجراء الفحوص الطبية (٢١) . وقد أعلنت مصادر شعبة الطاقة البشرية في رئاسة الاركان ان التجنيد بدأ بنسب عالية ( حتى ٢١ ٪ ) لتجنيد اصحاب اللياقات البدنية غير الصالحين للخدمة العسكرية . كما سمح بتجنيد اصحاب العاهات للاستفادة منهم في واجبات ادارية ومكتبية لتفريغ الجنود للمهام الميدانية القتالية (٢٢) . ومن جهة اخرى وسعت دائرة المهام التي تشغلها الفتيات في الجيش ، فهذه الدائرة تعتبر من أهم الدوائر والشعب نظرا لارتباطها المباشر بالجندي . ان تسلم الفتيات لها يترك الباب واسعا امام الشباب للاتحاق بالتشكيلات الميدانية (٢٣) .

وعلى هذا الاساس زيد عدد التشكيلات المقاتلة ، ومن المعتقد ان يكون عددها الآتي على اساس تنظيم اللواء نظرا لان اللواء هو اكبر تشكيل قتالي في الجيش الاسرائيلي (٢٤) :

عدد الالوية	عدد الالوية	
عند التجنيد العامة	في الحالات الاعتيادية	
١٧ - ٢٧	١٠	تشكيلات الدروع
٤ - ٥	٣	تشكيلات المدفعية
١٦ - ١٩	٩	تشكيلات المشاة
١٦ - ١٩	٩	تشكيلات ميكانيكية

لقد لجأت القيادة الى دراسة اوضاع الجنود وحاجة القطاعات الاقتصادية اليهم في وقت السلم وحالات الطوارئ . ان القيادة تعمل على اجراء الدراسات للاستفادة اكبر قدر ممكن من الطاقة البشرية المنوفرة حتى يستفيد منها الجهود الحربي والقطاعات الاخرى في آن واحد ، وهكذا فان المؤسسة العسكرية في اسرائيل لجأت منذ تأسيس الدولة في عام ١٩٤٨ الى اعداد الدولة لتكون أمة محاربة بحيث يعتبر فيها كل مواطن قادر على حمل السلاح جنديا مقاتلا احتياطيا ، لهذا تعتبر اسرائيل في نظر العرب دولة اسبارطة ، وهي مرحلة من الاعداد الحربي لا تعتمد على سوى الدول العصرية المتقدمة

صناعيا وحضاريا . في حين لا زالت الدول العربية تعتمد على الجيوش النظامية المحترمة حيث لا يمكنها في هذه الحالة الاستفادة من كافة طاقاتها الشابّة المقدرة على حمل السلاح .

لقد قامت القيادة الاسرائيلية ايضا بتحسين الأجور في القوات المسلحة لتشجيع الخدمة في الجيش (٢٥) . ان ما يشغل بال القيادة الاسرائيلية هو تعدد الجبهات والتطورات الايجابية الجارية في الجيوش العربية التي تشمل الكم والنوع . لقد واجهت في حرب رمضان معارك طاحنة في الجبهتين ، لذلك أخذت الدروس والعبر منها ، وهي تدرك الى جانب ذلك ان الحرب القادمة ستدور على أكثر من جبهتين . لذلك اتجهت الى زيادة عدد تشكيلاتها المقاتلة تحسبا للمستقبل . ان الجيش الاسرائيلي يعتمد على الطواقم المدربة الجاهزة ، ولما كانت المعارك تمتص نسبة كبيرة من هؤلاء فان الجيش الاسرائيلي سيتعرض الى كارثة ان لم يعمل مقدما على اعداد الطواقم الكافية البديلة ، خصوصا اذا واجه معارك طاحنة حامية كتلك التي دارت في رمضان ١٩٧٣ . ثم انه من المتوقع ان يواجه نقصا في المتطوعين الاجانب ذلك لان النتائج التي تمخضت عنها الحرب الاخيرة لا بد تركت اثرا على الكثيرين في الخارج . لهذا يتوقع ان يتخلف العديد منهم ويمتنعوا عن الحضور الى اسرائيل في حال اندلاع الحرب من جديد .

( ٣ ) **القيام بالمانورات الموسمية والضرورية** : ان المناورات والتدريبات ضرورية لرفع كفاءة التشكيلات الميدانية . ان الجيش الاسرائيلي هو أكثر الجيوش في العالم حاجة الى التدريبات لواصله تدريب احتياطييه . لقد وجدت القيادة العسكرية نفسها مضطرة للتخلي عن نسبة كبيرة من تدريباتها ومناوراتها بسبب مواصلة استعداداتها العسكرية ومرابطة وحداتها بصورة مستمرة على خطوط القتال . وعلى الرغم من ذلك تقوم القيادة العسكرية في اسرائيل بالمانورات والتدريبات الموسمية الضرورية ، وقد أجرت مناورات عدة في الجولان والضفة الغربية وسيناء وأشركت فيها كافة تشكيلاتها المقاتلة من طيران ووحدات برية وبحرية . ان العامل الرئيسي الذي تتوخاه القيادة الاسرائيلية من كل هذه التدريبات والمناورات هو ايجاد التنسيق الفعال بين جبهات القتال وبين اسلحة الطيران والمدركات والمدفعية والمشاة الميكانيكية . كما تولي هذه القيادة اهتمامها بالوحدات الخاصة المحمولة جوا لرفع مستواهم القتالي تمهيدا لاستخدامهم متى اندلع القتال في مهام خاصة في عمق الاراضي العربية . ان جزءا كبيرا من هذه التدريبات يهدف الى تعويد القادة والمقاتلين على شكل المعارك وطبيعة المناطق التي سيقاوتون فيها . ولما كانت القيادة في الجيش الاسرائيلي تعتبر سيناء المسرح الرئيسي لعملياتها القادمة فقد قامت باجراء العديد من المناورات فيها كان آخرها اشترك تشكيل مدرع بالذخيرة الحية في تدريب على اختراق سلسلة من الموانع المائية (٢٦) .

( ٤ ) **اقامة التحصينات** : لقد لمست اسرائيل أهمية التحصينات والتلال المحصنة في الحرب الاخيرة ، اذ لولا هذه الخطوط والتلال المحصنة لتمكن الجيش السوري من احتلال الهضبة بسهولة وبفترة زمنية قصيرة حيث لعبت هذه التحصينات دورا هاما في صدّه واعاقته تقدمه في الجولان . لذلك أنفقت اسرائيل على اقامة التحصينات مبالغ طائلة . فقد أنفقت على اقامة خط دفاعي محصن في الجبهة الشمالية ببلغ ( ١٠٠٠ ) مليون ليرة وأنفقت المبلغ نفسه على اقامة التحصينات الدفاعية في شبه جزيرة سيناء ، نصفه صرف على تقوية دفاعاتها في الممرات الاستراتيجية . كما انهما صرفت مبلغ ( ٣٥٠ ) مليون ليرة على اقامة التحصينات والخطوط الدفاعية على طول امتداد سلسلة جبال نابلس - القدس - الخليل . بالاضافة الى ما أنفقت على اقامة السياج الامني

العازل الذي يمتد على طول الحدود مع لبنان في محاولة لمنع تسلل الفدائيين الى داخل الارض المحتلة (٢٧).

ان اسرائيل تدرك جيدا وعلى الرغم من النتائج الجيدة التي حصلت عليها من الخطوط المحصنة في الشمال ، ان هذه التحصينات والخطوط الدفاعية سرعان ما تنهار في حال تعرضها لهجمات منظمة ومكثفة كالتى حصلت ضد « خط بارليف » على القناة . لذلك تظل تعتمد بصورة اساسية على طيراتها ومدركاتها ووحدات مدفعيتها المحمولة جوا القادرة على الانتقال في ميادين القتال بسرعة كبيرة (٢٨).

( ٥ ) **اعادة تنظيم القيادات والوحدات المقاتلة** : لقد منيت اسرائيل بخسائر فادحة في الحرب الاخيرة ، وكان طبيعيا أن تلجأ بعد توقف القتال الى تغيير قياداتها وتجديدها بما يتناسب ودروس الحرب . لقد تغيرت صورة القيادة العسكرية العليا في اسرائيل بسبب حرب رمضان ، واضطر وزير الدفاع ورئيس الاركان ومدير شعبة الاستخبارات ومجموعة كبيرة من كبار جنرالات وقادة الجيش الى الاستقالة ، كما شملت التسريحات اعدادا كبيرة من القادة الميدانيين في الجيش من الذين ينتمون الى الجيل الثاني . ان هذه هي المرة الثانية التي يتعرض فيها الجيش الاسرائيلي الى هذه الاستقالات والاقالات الجماعية . وكان الجنرال دافيد اليعازر قد قام قبل الحرب أي في عام ١٩٧٢ وبداية العام ١٩٧٣ باستبدال قادة الاقسام والفروع في القيادة العامة كما استبدل قادة المناطق والاسلحة المختلفة والسكرتيرين العسكريين لرئيس الحكومة ووزير الدفاع والناطق الرسمي بلسان الجيش الاسرائيلي . وقد شملت هذه الاجراءات مجموعة من كبار الضباط منهم « اهارون ياريف » رئيس شعبة الاستخبارات ، « شلومو لاهاط » رئيس شعبة الطاقة البشرية ، « مردخاي هود » قائد سلاح الجو ، « ابراهام بوتسر » قائد سلاح البحرية ، « ارئيل شارون » قائد المنطقة الجنوبية وسيناء ، « رجبعام زيفني » قائد المنطقة الوسطى و« دان لانز » قائد القوات المدرعة في سيناء . اما بعد الحرب فشملت هذه التسريحات والاقالات والاستقالات مجموعة ثانية لا تقل اهمية عن المجموعة الاولى شملت موشي دايان ، واسرائيل تال ، والياهو زعيرا ، وشلومو اغونين ، ودافيد اليعازر ويتسحاق حوفي وكان ابراهام مندлер (قائد القوات المدرعة في سيناء) قد قتل في بداية المعارك . وهكذا تقلص عدد قادة الصف الاول والقادة الميدانيون في الجيش .

لذلك وجدت القيادة الاسرائيلية ان الجيش أصبح يعاني من نقص خطير في القادة الكبار بالإضافة الى النقص الحاصل بالطاقة البشرية . وأصبحت القيادة مدركة لخطورة الوضع بسبب النقص في قادة الالوية والمناطق والكثائب والشعب والفروع . لقد وجدت القيادة انها ستحتاج الى سنتين او ثلاث سنوات لتأهيل الضباط الصغار لشغل مناصب عالية (٢٩) .

وقد علق رئيس الاركان على هذا الوضع بقوله « يمكن نظريا ترقيع الضباط الصغار ولكن الترقيع السريع قد يؤدي الى ضرر خطير في نوعية الجيش ، لذا يجب بذل الجهود لتجنيد ضباط اكفاء وذوي تجارب قتالية في الجيش الدائم وذلك من الاحنياط ولو الى فترة محدودة الى أن يتم تأهيل الضباط الصغار » (٣٠) .

ومما زاد الامور تعقيدا وخطورة ان القيادة لجأت الى تكوين تشكيلات مقاتلة جديدة وهذه احتاجت الى قادة اكفاء ، لهذا واجهت القيادة صعوبة في ايجاد القادة المناسبين لهذه الوحدات . ثم انه كلما زاد تعدد الجبهات وكبرت مساحاتها كلما تطلبت اعدادا كبيرة من الوحدات المدربة المجهزة ، التي بدورها ستكون بحاجة الى قادة جدد ، لذلك

يمكن القول ان هذه الاوضاع اثرت على نوعية القيادات في الجيش وبالتالي على امكاناته وقدراته القتالية ، مما دفعها الى اعادة الكثير من القادة المسرحين حيث اسندت الى بعضهم مناصب هامة .

( ٦ ) **اعادة تنظيم جهاز الاستخبارات العسكرية** : في اعقاب صدور توصيات لجنة « اغرانات » ( تشكلت اللجنة في ١٨/١١/١٩٧٣ وأنهت تحقيقها بتاريخ ٣٠/١/١٩٧٥ ) باشرت القيادة العسكرية في اسرائيل بدراسة هذه التواصي واجراء اللازم في ضوءها . وكانت اللجنة قد ادانت في تقريرها الجزئي الذي أصدرته في ٢/٤/١٩٧٤ رئيس فرع الاستخبارات الجنرال الياهو زعيرا وثلاثة من كبار مساعديه وهم الكولونيل ارييه شاليف والكولونيل يونا نيدمان والكولونيل دافيد جداليا ، واتهمتهم بالتقصير في اعطاء انذار مسبق عن نوايا العرب في خوض الحرب . كما اتهم هؤلاء بالفشل والتقصير وعدم تجميع المعلومات الضرورية والدقيقة عن تحركات الجيوش العربية في الجبهتين المصرية والسورية واعطاء تصور دقيق لما كان يدور من تطورات غيبها ، مما أثر على تقييم القيادة للموقف العسكري العام وبذلك حرما من وضع خططها الدفاعية واتخاذ الاجراءات الوقائية المناسبة قبل تردي الاوضاع في الجبهات .

وعليه يسعى جهاز الاستخبارات في رئاسة الاركان الاسرائيلية هذه الايام الى شتى الوسائل والطرق ويلجأ الى استخدام أكثر الاجهزة تعقيدا من أجل الحصول على أدق المعلومات عن الجيوش العربية وخاصة المصري والسوري والاردني والعراقي والجزائري والسعودي والذين يتوقع ان يلعبوا دورا بارزا في المواجهة القادمة .

ان الجهاز يواجه صعوبات جمة في الحصول على مثل هذه المعلومات بسبب المتغيرات التي دخلت على اوضاع دول المواجهة العربية خاصة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، بالاضافة الى التطورات التي حدثت في الاساط العسكرية العربية وارتفاع اجهزة الاستخبارات العربية المضادة وكفاءة القائمين عليها . ان هذه التطورات حرمت جهاز الاستخبارات المعادي الكثير من وسائله التقليدية التي كان يستعملها في التجسس على الدول والجيوش العربية .

ان هذا الجهاز يعمل بالتنسيق مع « الموساد » جهاز المخابرات المسؤول عن تنفيذ المهمات الخاصة في الخارج ، في جمع المعلومات عن الجيوش العربية ، وان مسؤوليته تشمل المجالين الاستخباري التعرضي والاستخباري الوقائي . وتوسعت واجباته الى حد كبير بعد حربي عام ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . ففي الأولى توسعت دائرة عمله في ضوء التوسعات الاقليمية . لكن عقلية القائمين على الجهاز لم تتطور بالشكل الكافي وظلت تعيش عقلية ما قبل حرب حزيران معتمدة على العمق الاستراتيجي الذي كان يتمتع به الجيش ونظرية الامن الاسرائيلية . لذلك وعندما طلب منها تقييم الاوضاع على جبهتي القتال تقدمت بنصورتها الخاطئة التي مهدت لهزيمة الجيش الاسرائيلي في الجولة الاولى للحرب الاخيرة . اما بعد الحرب الاخيرة فقد ازدادت هذه الدائرة توسعا بحكم دخول معطيات جديدة على الصراع أهمها : ( ١ ) ازدياد القدرة القتالية للجيوش العربية ، ( ٢ ) التنسيق الرائع الذي تم بين جبهتي القتال المصرية والسورية ، ( ٣ ) الدعم الفعال الذي قدمته دول المساندة الى دول المواجهة ، ( ٤ ) دخول اسلحة جديدة الى الصراع .

لهذا ازدادت واجبات هذا الجهاز لدرجة كبيرة . ان المعلومات تفيد انه بدأ في استغلال الطاقات الكامنة في الطيور والحيوانات والاسماك وتسخيرها في مجالات التجسس والامور العسكرية . فقد ذكرت مصادر اجنبية ان العدو بدأ يستخدم الحمام

والاسماك والجرذان للتجسس على الجيوش العربية والثورة الفلسطينية وزصد تحركاتها ونشاطاتها . كما ان هذا الجهاز يعتمد بصورة أساسية على طائرات الاستطلاع والتصوير الجوي اليومية التي تحلق بشكل شبه متواصل على محاذاة خطوط وقف اطلاق النار . ولما أصبحت الرحلات الجوية في عمق الاراضي العربية خطرة للغاية بسبب تزايد فعالية الصواريخ الموجهة العربية ، لجأ العدو لشراء مركبات جوية تطير بدون طيار تعتبر من أكثر الأجهزة الالكترونية تعقيدا وتقدما في الولايات المتحدة ، ليستخدمها في جمع المعلومات العسكرية الدقيقة عن الاهداف العربية الحيوية البعيدة عن ساحات القتال ولمراقبة التطورات الجارية في جبهات القتال .

ان هذه القضايا مجتمعة ، جعلت الحكومة الاسرائيلية توافقة الى تطوير صناعتها الحربية الناشئة ودفعها الى الامام مع توسيع مجالات عملها ، تمهيدا للاكتفاء ذاتيا ، وحتى لا تظل اسرائيل تعتمد على مصادر السلاح الاجنبية ، لقد اولت المؤسسة العسكرية في اسرائيل هذه الناحية اهتماما كبيرا بعد الدرس الذي تلقتة في عام ١٩٦٧ على يد فرنسا في اعقاب فرضها حظرا على توريد السلاح الى دول الصراع ، وخوفا من ان تدفع التطورات السياسية الجارية الولايات المتحدة الى اتخاذ الخطوة نفسها فان اسرائيل تحاول جهدها ايجاد مصدر ثابت آخر غير المصدر الامركي ، فهي تحاول الان التقليل من ارتباطها بالخارج والاعتماد على ما تنتجه صناعتها المحلية ، غير ان هذه الصناعة لا زالت ناشئة وغير قادرة على تلبية احتياجات الجهود الحربية الاسرائيلي من السلاح والتجهيزات الحربية ، يضاف الى ذلك انه لا يمكنها منافسة الصناعات الاجنبية المتقدمة والمنظورة في انتاجها . غير ان اسرائيل لا زالت ترصد الاموال والكفاءات والخبرات لها على أمل ان يمتحها ذلك القدرة على الاستثمار في الانتاج والتقدم في مجالات أبحاثها العلمية ومشاريعها لتطوير الاسلحة التي يحتاج اليها الجيش .

ان متغيرات الصراع دفعت العديد من المسؤولين والقادة والهيئات الحزبية في اسرائيل الى المطالبة بالتوجه الى الاعتماد على الانتاج العسكري المحلي بصورة اكثر ومن هذه الاصوات جاء صوت المعارضة المتمثلة بليكود حيث طالب الحزب رسميا بضرورة تعزيز وزيادة انتاج السلاح محليا ، للرد على الضغوط التي تمارسها واشنطن لتقليص مساعداتها العسكرية ، كما طالبت هذه المصادر بتحويل الانتاج الى انتاج حربي (٢١) . كما ان اصواتا اخرى ارتفعت تؤيد مثل هذه الخطوات دعما للاقتصاد وللجهود الحربي وتفاديا للبطالة المتوقعة على حد قول بعض المسؤولين في ليكود (٢٢) .

لهذا ولاعتبارات اخرى صادقت الحكومة الاسرائيلية في ١٢/١/١٩٧٥ على أضخم موازنة للدفاع منذ قيام الدولة ، اذ بلغت ( ٢٢ ) مليار ليرة اسرائيلية من أصل الموازنة العامة البالغة ( ٥٨ ) مليار ليرة للسنة المالية ١٩٧٦/٧٥ (٢٣) . وتتألف هذه الميزانية من بندين أساسيين خصص الاول منها لزيادة تعاضم القوة العسكرية وشراء الاسلحة والتجهيزات والمعدات الحربية من الخارج ، في حين خصص الثاني لتغطية نفقات ومصاريف وزارة الدفاع داخل اسرائيل (٢٤) . وحتى تتجنب المصاريف الإضافية في شراء الاسلحة فقد ألغت الحكومة الاسرائيلية عمولات السماسرة على الاعتدة الحربية وصفقات السلاح وذلك من أجل حصر المصروفات في أضيق نطاق ممكن ، وهو إجراء ساعد على تخفيض أسعار العديد من الاعتدة والاسلحة . ومن جهة اخرى تطالب وزارة الدفاع الاسرائيلية حكومة واشنطن بضرورة الغاء العمولة المفروضة على اتفاقات السلاح (٢٥) . ولتقليل المصاريف الإضافية صادق رئيس الاركاب الاسرائيلي الجنرال مردخاي غور على خطة شاملة تهدف الى تقليص مصاريف الدفاع ومشترياتها

من السوق المحلية بنسبة ١٠ - ٢٠ ٪ بالإضافة الى تخفيض مستوى الحياة لمختلف الرتب في الجيش (٢٦).

ان وزارة الدفاع تحاول تأمين المبالغ اللازمة لشراء أحدث الاسلحة الموجودة في الترسانة الاميركية ، لمواجهة احتمالات الموقف ، كما تسعى في الوقت نفسه الى زيادة عدد افراد قواتها المسلحة ( النظامية ، وافراد الخدمة الالزامية ، والاحتياطي الإستراتيجي ) لمواجهة التغييرات الحاصلة في الجانب الآخر والتي أخذت ابعادا أخطر مما كانت القيادة الاسرائيلية تتوقعه . ان همها الأساسي هو الإبقاء على موازين القوى في الصراع على ما هي عليه عن طريق دعم الولايات المتحدة الفعال لها .

No. 5, October 1974, p. 674.

- ١ - صحيفة دافار ، ١٩٧٥/١/٢١ .
- ٢ - معارف ، ١٩٧٥/١/٢١ .
- ٣ - دافار ، ١٩٧٥/١/٢٨ .
- ٤ - حول هذا الموضوع راجع المصادر التالية :  
Time - 29/10/1973, pp. 27-28  
Aviation Week, 5/11/1973, p. 18.  
Aviation Week, 22/10/1973, p. 20  
Aviation Week, 29/10/1973, p. 15.
- ٥ - راجع هارتس ، ١٩٧٤/٦/١٠ .
- ٦ - انظر المصادر التالية :  
( أ ) دافار ١٩٧٤/٦/٢٥ .  
( ب ) ر. أ. أ. عدد ٨٠٢ تاريخ ١٩٧٥/٤/٢٤ .
- ٧ - معارف ، ١٩٧٤/٤/١٢ .
- ٨ - معارف ، ١٩٧٥/٣/٩ .
- ٩ - ر. أ. أ. - ٨٣٨ ، تاريخ ١٩٧٥/٦/١٢ .
- ١٠ - راجع كتاب محمود عزمي القوات الاسرائيلية المحمولة جوا ، الصادر عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٦٤ .
- ١١ - انظر ميزان القوى للعصام ٧٤ - ١٩٧٥ الصادر عن معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن .
- ١٢ - انظر المراجع التالية : ( أ ) المصدر نفسه ، ( ب ) يديعوت اخرونوت ، ١٩٧٥/٣/١٨ .
- ١٣ - دافار ، ١٩٧٥/٣/٩ .
- ١٤ - هارتس ، ١٩٧٤/١٠/٢٠ .
- ١٥ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٠/٢٩ .
- ١٦ - انظر مجلة :  
International Defence Review,
- ١٧ - المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .
- ١٨ - انظر :  
The Military Balance, 1974-1975,  
The International Institute for Strategic Studies, London 1974, p. 34.  
Janes Fighting Ships 1974 :- انظر : 179 - 181.  
١٩٧٥, pp. 179 - 181.
- ١٧ - المصدر نفسه .
- ١٨ - انظر :
- ١٩ - انظر : 179 - 181.  
١٩٧٥, pp. 179 - 181.
- ٢٠ - انظر نشرة الارض ، عدد ١٠ ، تاريخ ١٩٧٤/٢/٧ ، ص ٣٥ .
- ٢١ - دافار ، ١٩٧٥/٣/١٠ .
- ٢٢ - ر. أ. أ. ، تاريخ ١٩٧٥/٢/٥ .
- ٢٣ - المصدر نفسه ، ١٩٧٥/٣/١٠ .
- ٢٤ - انظر : The Military Balance المصدر السابق .
- ٢٥ - دافار ، ١٩٧٤/٦/٢٧ .
- ٢٦ - معارف ، ١٩٧٥/٢/٢١ .
- ٢٧ - معارف ، ١٩٧٤/١٢/١٨ .
- ٢٨ - يديعوت اخرونوت ، ١٩٧٥/٢/١٧ .
- ٢٩ - معارف ، ١٩٧٤/٧/٥ .
- ٣٠ - دافار ، ١٩٧٤/٦/٢٧ .
- ٣١ - ر. أ. أ. عدد ٧٧٨ ، تاريخ ١٩٧٥/٣/١٥ .
- ٣٢ - المصدر نفسه .
- ٣٣ - يديعوت اخرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧ .
- ٣٤ - معارف ، ١٩٧٥/١/١٢ .
- ٣٥ - ر. أ. أ. ، ١٩٧٥/١/٤ .
- ٣٦ - معارف ، ١٩٧٥/١/٦ .

## ثروة النفط العربي والموقف السوفياتي من النزاع العربي - الاسرائيلي

سمير كنعاني

والاستحواذ على آبار النفط العربية الغزيرة والاستثمار بها ، وهي نعمة صيغت على نسق النعمة الاخرى التقلدية القائلة بتوق « الدب الروسي » وشوقه الدائم للإبحار في المياه الدافئة الواقعة الى الجنوب والسيطرة على شواطئها .

من بين هذه النعمات على سبيل المثال مقال نشرته صحيفة « الجيروساليم بوست » الاسرائيلية على لسان مراسلها في باريس جاك موريس في ١٣/١٢/١٩٧٢ في خضم الاجواء الدبلوماسية المشحونة التي اعقبت حرب اكتوبر ، فقد جاء في المقال المذكور : « يتزايد اعتقاد الدوائر العسكرية والسياسية والدبلوماسية هنا ( باريس ) بأنه قد تم التوصل الى اتفاق سري بين واشنطن وموسكو ستعقبه بوجبه بلدان النفط العربية تحت الاشراف الامريكى او السوفياتي المباشر بواسطة التدخل العسكري اذا اقتضت الضرورة ، وان هذا الطلغ يشبه ما اقدم عليه البابا في القرون الوسطى يوم ان قسم العالم بين اسبانيا والبرتغال ، واتفاقيات مؤتمر يالطة عام ١٩٤٥ ، واتفاق هتلر - ستالين لاقتسام بولنده عشية الحرب العالمية الثانية في آب ١٩٣٩ . وكانت المجلة الفرنسية « نوفيل اوبزرفاتور » [ الموالية للصهيونية ] هي اول من أشار الى احتمال حدوث تدخل غربي عسكري ضد دول النفط العربية قبل اسابيع من نشوب حرب اكتوبر ، وان ذلك سيتم باستخدام قوات المظلات الايرانية والاسرائيلية بدعم من امريكا ...

وبوجب هذا الاتفاق سيبقى الاتحاد السوفياتي على الحياد ، ولكنه يقبض مغال ذلك ثبنا باهظا ،

هل للثروة الهائلة من النفط الكامنة بوفرة في باطن اراضي الوطن العربي دور في صياغة السياسة السوفياتية تجاه النزاع العربي - الاسرائيلي ؟ وان كان لها مثل هذا الدور فما هو تأثيره على الموقف السوفياتي العام من هذا النزاع ؟ وما هي ابعاده ومعطياته ؟ وما هي مضامينه ودلالاته ؟ وكيف يمكن اخذ ذلك بالحسبان في معادلات موازين القوى المؤثرة في هذا النزاع ؟ وكيف يمكن ان يكون لثروة النفط هذه دور اشد فعالية في تعميق الالتزام السوفياتي بالقضية العربية والحق الفلسطيني في هذا النزاع ؟ وكيف ينعكس مثل هذا الدور على مستقبل العلاقات والروابط بين الشعوب العربية والاتحاد السوفياتي ؟

هذه وغيرها أسئلة عديدة سنحاول ان نجيب عليها من خلال تحليل المعطيات المتوفرة عن مستويات الانتاج والاستهلاك للنفط والغاز في الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية الاخرى ، وكذلك متطلبات احتياجات الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية في المستقبل المنظور من النفط والغاز ، وايضا ، ما يقوفر لدى الاتحاد السوفياتي من احتياطي مصادر الطاقة الاخرى في ضوء احتياطي الولايات المتحدة وبقية مناطق العالم الاخرى الفاعلة في التأثير ، آسيا وفي المستقبل ، في هذه المنطقة من العالم .

ولعل ما يفرض نفسه كمدخل لهذا الموضوع تلك النزاع التي ما فتئت تروجها الدوائر الاستعمارية والصهيونية وابواقها الدعائية وعملاتها في الاوساط الرجعية العربية حول المطامع السوفياتية في النفط العربي ،

الدائرة في فلكها القوة النفطية الاولى في العالم  
بلا منازع « ... »

واقع الامر ان النفط التي من هذا القبيل  
هي اكثر من ان تعد او تحصى ، فهي طبق يومي  
تتحف به اذاعة اسرائيل باللغة العربية مستعميها  
متوخية من وراء ذلك بث مشاعر الريبة والشك  
لدى العرب تجاه نوايا اصدقائهم السوفيت .  
وكذلك ، هذه النغمة هي معزوفة دائمة من  
معزونات ابواق الدعاية الاستعمارية الموجهة  
للمنطقة العربية مثل راديو لندن وراديو « صوت  
امريكا » الخ .. لتحقيق الرامي ذاتها ...  
وأخيرا وليس اخرا هي معزوفة دائمة تترنم بها  
الايواسط الرجعية العربية المتحالفة مع قوى  
الاستعمار والصهيونية لتأجيج روح الحقد ضد  
السوفيت خلفاء حركة التحرر الوطني العربية  
ولتهييد السبيل أمام استمرار السيطرة  
الامبريالية حليفة القوى الرجعية العربية على  
مقدرات المنطقة العربية وثوراتها ...

ونحن هنا لا نبيل الى الاخذ بمنطق التنصب  
الاعمى في رفض هذه الاتاويل والنغمات والمزاعم  
جملة وتفصيلا دونما بحث او مناقشة او ترو ،  
بل نرى انه لا بد من فحص هذه المقولات في ضوء  
المعطيات الموضوعية المتوفرة عن مستوى انتاج  
النفط في الاتحاد السوفيتي وبقية دول المنظومة  
الاشتراكية ومقدار استهلاكها وكذلك مدى ما يتوفر  
لدى الاتحاد السوفيتي من احتياطي نفطي . وايضا  
مدى ما يتوفر لديه من احتياطي من مصادر الطاقة  
الآخري في ضوء احتياجات الاتحاد السوفيتي ودول  
المنظومة الاشتراكية من الطاقة في المستقبل القريب  
والمستقبل . فلاريب ان مثل هذه المعطيات عن  
الانتاج السوفيتي وما يتوفر لديه من النفط  
ومصادر الطاقة الآخري في ضوء احتياجاته  
ومتطلبات استهلاكه الآتية والمستقبلية قد يكون لها ،  
الى حد بعيد ، تأثير على توجهاته السياسية تجاه  
المنطقة العربية الغنية بالنفط ، كما تصلح كموشر  
الى مدى الاولوية التي تحظى بها المنطقة العربية  
في سلم اولويات الاستراتيجية العامة للسياسة  
السوفيتية في هذا الجزء من العالم . وذلك ،  
بطبيعة الحال ، في اطار الاعتبارات الآخري  
الاساسية التي تحكم هذه الاستراتيجية - سواء  
كانت اعتبارات عقائدية او جغرافية او اقتصادية

جزء منه يعطي الاتحاد السوفيتي قواعد عسكرية  
في الخليج « الفارسي » والبحر الاحمر وبعض  
ابار النفط « ليحيها » ضد الهجوم الاستعماري  
... وتتضمن تقارير باريس حتى تاريخ وقوع ذلك  
وهو قبل حلول رأس السنة ، ومن بين دول النفط  
العربية التي ستجو من ذلك الغزو الجزائر .  
بطبيعة الحال لقد حلت رأس السنة المزعومة  
منذ شهور طويلة ولم يحدث شيء مما اشارت اليه  
هذه التقارير الصهيونية الموثوقة !!

هذه واحدة ... ونغمة ثانية على هذا الوتر  
ذاته تترنم بهما صوت آخر صهيوني النغمة  
استعماري الرامي هو يكوئيل فيدرمان رئيس  
مجلس ادارة « مؤسسة فنادق دان الشهيرة »  
وذلك في مقالة نشرتها له صحيفة « الجيروسالم  
يوست » الاسرائيلية في ١٩٧٣/١٢/٣ بعنوان :  
« على القاهرة والقدس ان تعملوا معا لوقف  
الروس » ، وفي مقالته المذكورة وجه السيد  
فيدرمان المذكور دعوة مفتوحة الى العرب ، ولا  
سيما الى مصر ، من اجل احلال التفاهم مع  
اسرائيل من اجل وقف « الزحف الروسي » على  
المنطقة والذي « يهدد المنطقة بأكملها بالعبودية »  
فيقول : « ان الحقد الاعمى قد جعل العرب  
يتعون في الفخ الروسي المنصوب لهم واتاح للاتحاد  
السوفيتي السيطرة على البلدان العربية في  
النشرق الاوسط ... وان الاهداف البعيدة المدى  
للسوفيت من ذلك هي السيطرة على البحر  
المتوسط وشمل اوربا الوسطى والجنوبية ، وفتح  
قناة السويس لتهييد السبيل أمام اساطيلهم  
للوصول الى المحيط الهندي ولا سيما الى الصين  
والسيطرة على احتياطي النفط في شبه الجزيرة  
العربية والخليج « الفارسي » وفي نهاية المطاف في  
ايران ايضا ... »

ان سوريا والعراق قد باعا نفسيهما للسوفيات  
... وان العربية السعودية هي اغراء  
غني جدا للسوفيت بحيث لا يتصورون ان يتركوها  
وشأنها ... وان ثروة ليبيا النفطية وموقعها  
الاستراتيجي على البحر المتوسط تشكل رصيذا  
بالغ الضخامة واغراء بالغ الشدة بحيث لا  
يستطيع الروس ان يتركوها ... وان  
الخليج « الفارسي » هو بحسب مخططات الكرملين  
ينبغي السيطرة عليه لجعل من روسيا والدول

ثم البلوغ به إلى مستوى عشرين مليون برميل يوميا بحلول عام ١٩٨٠ وذلك نظرية احتياجات الولايات المتحدة الأمريكية المتزايدة من النفط ليس إلا. وبذلك أصبح ترتيب الدول المتنافسة في حلبة انتاج النفط العالمي على الوجه التالي: السعودية (أكثر من ٩ ملايين برميل يوميا) ثم الاتحاد السوفيتي (حوالي تسعة ملايين برميل يوميا) فالولايات المتحدة الأمريكية (دون ٩ ملايين) فايران (أكثر من ٦ ملايين) ثم فنزويلا (حوالي ٣ ملايين) والكويت (نحو ٢٥٠ مليون برميل يوميا) ثم العراق فينيجيريا فليبيا فاندونيسيا فأبوظبي ثم وبتراوح انتاج كل منها بين ٢ مليون برميل في اليوم إلى ١٤٥ مليون برميل في اليوم.

وكان انتاج النفط الخام في الاتحاد السوفيتي في العام الماضي ١٩٧٣ والذي بلغ مجموعه نحو ٤١١ مليون طن متري (أ) قد زاد بنسبة ٨٪ عما كان عليه في العام السابق ١٩٧٢ ، ونسبة الزيادة هذه ٨٪ مساوية لنسبة الزيادة في انتاج النفط الخام في العالم اجمع في تلك السنة ، ويعود الفضل في الزيادة التي حققتها انتاج النفط السوفيتي في عام ١٩٧٢ إلى سيبيريا الغربية وحدها حيث ارتفع انتاجها من ٥٦ مليون طن في عام ١٩٧٢ إلى ٨٧ مليون طن في عام ١٩٧٣. وتبين الجدول التالي (ب) ارقام انتاج النفط في الاتحاد السوفيتي منذ العام ١٩٧٠ كما يظهر التقديرات المتوقعة لهذا الانتاج حتى العام ١٩٨٠. وكيف ان سيبيريا الغربية تستشهد أعظم النشاطات النفطية خلال السنوات القادمة وانها ستسهم في القسط الإوفر من هذا الانتاج ابتداء من عام ١٩٨٠.

في ضوء الميزان العام للقوى العالمية في الفترة الراهنة وفي المستقبل المنظور .

### انتاج النفط والغاز ومصادر الطاقة الأخرى وإستهلاكها والاحتياطي المتوفر منها في

#### الاتحاد السوفيتي ودول الكوميون

تشير آخر احصائية توفرت لدينا عن انتاج النفط في الاتحاد السوفيتي إلى ان هذا الانتاج قد ارتفع في النصف الاول من هذه السنة بنسبة ٨٤٣٪ عن مستواه في الفترة ذاتها من العام الماضي فبلغ حوالي ٢٢٠ مليون طن اي بمعدل حوالي ٨٤٨ مليون برميل في اليوم . ويتنظر ان يصل الانتاج السوفيتي من النفط هذه السنة إلى ٤٥٠ مليون طن اي ما معدله تسعة ملايين برميل في اليوم بزيادة تبلغ ٦٤٩٪ عن مستواه في العام الماضي والبالغ ٤٢١ مليون طن (أ) . وبذلك يحافظ الاتحاد السوفيتي على المرتبة الثانية بين الدول المنتجة الرئيسية للنفط في العالم ، ولكنه أصبح هذه السنة يحتل المرتبة الثانية في انتاج النفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية التي أصبحت المنتج الأول للنفط في العالم ، والتي يبدو انها ستبقى كذلك خلال السنوات العشر القادمة على الأقل . وقد انتزعت السعودية المرتبة الأولى في انتاج النفط من الولايات المتحدة الأمريكية التي ما فتئت انتاجها من النفط يتراجع منذ سنوات حتى تدنى أخيراً إلى ما دون التسعة ملايين برميل في اليوم ، أما السعودية التي أخذ انتاجها من النفط ، ابتداء من شهر ايار (مايو) الماضي ، يزيد على ما معدله تسعة ملايين برميل في اليوم ، فان لديها خططاً لرفع انتاجها إلى ما معدله ١١٤٢ مليون برميل في اليوم قبل نهاية عام ١٩٧٥. ومن

#### الانتاج بملايين الاطنان المترية

المجموع الكلي	سيبيريا الغربية	السنة
٢٥٢٤٦	٣١٤٤	١٩٧٠
٣٧٢	٤٤٤٢	١٩٧١
٣٩٤	٦٢٤٧	١٩٧٢
٤٢٠	٨٦٤٥	١٩٧٣
٤٥٠	١١٥٠٠	١٩٧٤
٤٨٠ فوق	١٤٥٠٠	١٩٧٥
—	٢٧٠ — ٣٠٠	١٩٨٠

طن. وسر هذه الزيادة هو ان اقطار أوروبا الشرقية الاشتراكية فقيرة بالنفط فكان انتاجها منه عام ١٩٧٠ مقدار ١٦٤٥ مليون طن فارتفع في عام ١٩٧٣ الى ١٧٤١ مليون طن أكثر من ١٣ مليون طن منها في رومانيا .

ومن جهة اخرى ، هنالك مؤشرات عديدة اللى ان لدى الاتحاد السوفييتي مشاريع طموحة لزيادة انتاجه من النفط زيادة كبيرة خلال السنوات القادمة ، فمن المقرر ان يزيد على ٤٨٠ مليون طن عام ١٩٧٥ . وان يتراوح بين ٦٠٠ الى ٦٢٠ مليون طن عام ١٩٨٠ (١) ، اي بمعدل يزيد على اثني عشر مليون برميل يوميا . وواقع الامر ان انتاج الاتحاد السوفييتي شهد زيادة سنوية كبيرة مستمرة منذ مطلع الخمسينات ، فزاد خلال الاعوام ١٩٥٠ - ١٩٧١ بمقدار عشرة اضعاف ، وبلغ معدل زيادته السنوية خلال الفترة المذكورة ١٦٤٢ مليون طن بينما كان انتاج الولايات المتحدة الامريكية خلال تلك الفترة يتزايد بمعدل ٩٤٧ مليون طن سنويا قبل ان يأخذ في التناقص ابتداء من عام ١٩٧١ بحيث انخفض من مستوى حوالي ١٤ مليون برميل في اليوم الى ما دون تسعة ملايين برميل في اليوم حاليا .

ولكن هل سئلبي الزيادات المقررة في انتاج النفط السوفييتي حاجة الاتحاد السوفييتي في المستقبل ؟ لقد اجابت على هذا صحيفة « الفانينشال تايمز » البريطانية فقالت : « ان النمو في الاقتصاد السوفييتي بالاضافة الى الزيادات المقررة في انتاج اللوريات والسيارات الصغرة قاد بعض الاقتصاديين الغربيين الى تقدير الاحتياجات السوفييتية في عام ١٩٨٠ بنحو ٥٠٠ مليون طن اي اقل بنحو ١٠٠ مليون طن من الانتاج المقرر لتلك السنة وهو الهدف الذي يعتبره البعض متفائلا اكثر من اللزوم ، على ان ثمة بعض الاقتصاديين الغربيين يتنبأون بأن الاحتياجات ستكون اقل من ذلك بكثير ، ولكن الاقتصاد السوفييتي سيحتاج الى ابقاء مستوى صادراته عاليا خاصة وان احتياجات دول الكوميكون الاخرى آخذة بالتزايد ايضا » (٨) .

تري هل يعد الاحتياطي النفطي الكامن في باطن الارض السوفييتية بطلبية هذه الاحتياجات

ولكن ، أين يقف هذا الانتاج في ضوء احتياجات الاتحاد السوفييتي من النفط ؟ من المعروف ان الاتحاد السوفييتي هو مصدر صاف للنفط منذ مطلع الخمسينات ، وهو لا يمد فقط احتياجات حليفاته من دول المنظومة الاشتراكية الاعضاء في منظمة المساعدة المتبادلة « الكوميكون » بل يصدر كذلك حوالي ٥٠ مليون طن من النفط سنويا اللى اقطار اخرى عديدة أهمها في أوروبا الغربية . ومن المفروض ان استهلاك الاتحاد السوفييتي نفسه من النفط هو الفارق بين ارقام انتاجه السنوية وارقام صادراته ، بيد أن علينا ان نأخذ في الحسبان ان دولة كبرى كالالاتحاد السوفييتي تتخذ احتياطات للظروف الطارئة فتخزن لديها كميات هائلة من النفط وتعمل على زيادة هذا المخزون سنويا لطلبية الاحتياجات المتزايدة في ضوء النمو الاقتصادي والصناعي والاستهلاكي بصورة عامة وفي ضوء الزيادة السكانية السنوية .

وتفيد الاحصائيات الرسمية التي اذيعت في موسكو مؤخرا ان الصادرات السوفييتية من النفط والغاز قد سجلت ارتفاعا في العام الماضي ١٩٧٣ . فقد ارتفعت صادرات النفط الخام ومنتجاته الى ١١٨ مليون طن من ١٠٧ ملايين طن في عام ١٩٧٢ . وكان المستوردون الرئيسيون للنفط السوفييتي على النحو التالي ( بملايين الاطنان ) (٩) : تشيكوسلوفاكيا ١٤٤٣ والمانيا الشرقية ١٣ وبولندا ١٢ وبلغاريا ٩ والمجر ٦ وفرنلده ١٠ وايطاليا ٩ والمانيا الغربية ٦ وفرنسا ٥ . ان صادرات الاتحاد السوفييتي من النفط الى حليفاته من الدول الاشتراكية هي في تصاعد مستمر وهذا ما يجعل صادراته الى خارج العالم الاشتراكي تستقر في حدود تتراوح بين ٤٠ الى ٥٠ مليون طن سنويا اي بمعدل يتراوح بين ٨٠٠ الف الى مليون برميل في اليوم . فقد ارتفعت صادرات الاتحاد السوفييتي من النفط ومنتجاته الى دول الكوميكون ( بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمانييا الديمقراطية وبولنده والمجر ) والى كوريا وكوريا الشمالية وغيبنتام الشمالية ومنغوليا من ٢٠٢٨٩ مليون طن عام ١٩٥٥ الى ١٠٤٩ مليون طن عام ١٩٦٠ نالى ٢٦٤٨ مليوناً عام ١٩٦٥ نالى ٤٧٤٦ مليون طن عام ١٩٧٠ (١٠) ، وفي العام الماضي ارتفعت هذه الصادرات الى اكثر من ٧٠ مليون

لديه ؟ واقع الامر ان جميع الميطبات المتوفرة تشير الى ان الاتحاد السوفييتي هو غني جدا بمصادر الطاقة على انواعها بل انه قد يكون اغنى اقطار الارض قاطبة بمصادر الطاقة بصورة اجمالية ، ولا عجب في ذلك فهو اكبر الاقطار مساحة ( ٢٢ مليون كيلومتر مربع ) اي ثلاثة اضعاف مساحة الولايات المتحدة الامريكية ، وما زالت سيبيريا الشاسعة الاجزاء ارضا بكرى وهي تعد بالكثير في ميدان الطاقة .

ولنبداً اولاً بثروة الغاز الطبيعي الكامنة في جوف الاراضي السوفييتية . والغاز ، شأنه شأن النفط ، لا يعتبر فقط من مصادر الطاقة السامية من حيث النقاوة وسهولة الاستعمال وما الى ذلك من مزايا محسب ، بل يعتبر ايضا من المواد الخام الاساسية في العديد من الصناعات البروكيميائية الحيوية .

ان انتاج الاتحاد السوفييتي حالياً من الغاز الطبيعي هو انتاج وثير حقا ، وقد زاد انتاج الغاز الطبيعي في عام ١٩٧٣ بمقدار ١٥ مليار متر مكعب اي بنسبة ٧٪ فبلغ ٢٣٦ مليار متر مكعب ، وكان المقرر ان يصل في عام ١٩٧٤ الى ٢٥٨ مليار متر مكعب ، اما الهدف المقرر لعام ١٩٧٥ بموجب الخطة الخمسية فيتراوح بين ٣٠٠ و ٣٢٠ مليار متر مكعب . وان اهمية الغاز الطبيعي بين انواع الوقود الرئيسية في الاتحاد السوفييتي آخذة بالازدياد بصورة ملموسة .

وهذا ما يتبين بوضوح من الجدول التالي : (١)

المتزايدة ؟ واقع الامر ان ارقام الاحتياطي من النفط الكامن في باطن الارض قد أصبحت تعتبر لدى الكثير من الدول وشركات النفط بمثابة اسرار بحيث يتعذر اللمت بصورة يقينية بمقدار الاحتياطي النفطي في هذا البلد أو ذلك ، الا ان بعض المصادر قد نسبت الى مصادر سوفييتية ان الاحتياطي النفطي الثابت على البر في الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٧١ كان في حدود ٦٨ مليار برميل بينما قدر الاحتياطي في المناطق المغورة بنحو ١٠٠ مليار برميل والاحتياطي المحتمل اكتشافه على البر بنحو ٢٠٠ مليار برميل (١) . ومن هذا ترى انه وان كان الاحتياطي الثابت من النفط الكامن في اراضي السعودية يبلغ قرابة ضعف ( ١٢٥ مليار برميل ) الاحتياطي الثابت لدى الاتحاد السوفييتي فان الارقام الكبيرة لاحتياطي النفط المحتمل الكامن على البر السوفييتي وفي مناطق المغورة تنبئ بشأن الاتحاد السوفييتي قد يكون هو اغنى بلدان العالم بالنفط . واذا أخذنا الاحتياطي السوفييتي الثابت من النفط كأساس للتقدير فان لسدى الاتحاد السوفييتي من النفط على اساس انتاج سنوي مقداره ٦٠٠ مليون طن ما يكفيه لمدة ١٧ سنة فقط أي حتى عام ١٩٩٠ ، ولكن اذا أخذنا الاحتياطي المحتمل بالحسبان يصبح لديه ما يكفيه اكثر من ٨٠ سنة على اساس انتاج سنوي مقداره ٦٠٠ مليون طن .

اذا كان هذا هو الوضع النفطي في الاتحاد السوفييتي فما هو وضع مصادر الطاقة الاخرى

### الانجاهات في انتاج انواع الوقود الرئيسية في الاتحاد السوفييتي

( بالنسبة المئوية من اجمالي الانتاج )

نوع الوقود	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
الفحم	٥٣٤٩	٤٢٤٦	٣٥٤٩	٢٩٤٥	٢٧-٢٥
النفط الخام	٣٠٤٥	٣٦٤٤	٤١	٤٤٤١	٤٨-٤٦
الغاز الطبيعي	٧٤٩	١٥٤٨	١٨٤٤	٢٣٤٣	٢٦-٢٤
انواع اخرى	٧٤٧	٥٤٢	٤٤٧	٣٤١	٢
اجمالي الانتاج بملايين الاطنان*	٦٩٢٤٨	٩٦٦٤٦	١٢٧٧	١٦٣٩	٢٢١٢

\* محتسبة على ما يعادل ٧٠٠٠ كالوري في الكيلوغرام .

تربليون ( مليون مليون ) متر مكعب ، بيد ان المطنن في هذه الحجة هي ان اكثر من ٦٠٪ من مجموع هذا الاحتياطي موجود في سيبيريا ، ولا سيما في اصقاعها الشمالية حيث يصعب جدا تطويرها «(١١)»  
 اما بلدان المنظومة الاشتراكية الاخرى فثروتها من الغاز الطبيعي ليست وفيرة وان كانت افضل حالا من ثروتها النفطية وهذا ما يتبين من الجدول التالي : (١٢)

### انتاج الغاز الطبيعي في المنظومة الاشتراكية ( بليارات الامتار المكعبة )

السنة	الاتحاد السوفيتي	سائر اوروبا الشرقية
١٩٧٠	١٩٨	٣١
١٩٧١	٢١٢	٣٤
١٩٧٢	٢٢١	٣٨
١٩٧٣	٢٣٦	٤٢
١٩٧٥	٢٢٠	٥٧
١٩٨٠	٦٠٠-٥٥٠	(...)

على ٨٠٠٠ مليون متر مكعب في السنة «(١٤)».

وفي العام الماضي ١٩٧٣ ارتفعت صادرات الغاز الطبيعي من ٥٤١ مليار ( الف مليون ) متر مكعب في عام ١٩٧٢ الى ٦٤٨ مليار متر مكعب . ان زيادة صادرات الغاز السوفيتي تنتظر استكمال انشاء عدة شبكات من خطوط الانابيب ، فعلاوة على خطوط الغاز الرئيسية الموجودة حاليا او التي تقرر بناؤها ورد في الانباء مؤخرا ان بلدان المعونة الاقتصادية المتبادلة « الكوميكون » قد توصلت الى اتفاق مبدئي لد خط لانابيب الغاز طوله ٣٠٠٠ كيلومتر يمتد من حقل « اورنبرغ » في منطقة الاورال - فولغا الى جميع انحاء بلدان الكوميكون وذلك بالاضافة الى « خط انابيب الصداقة » الذي يمتد من اقطار اوروبا الشرقية بالنفط السوفيتي ، كما ان هنالك شبكة اخرى من خطوط انابيب الغاز من الاتحاد السوفيتي الى اقطار اوروبا الشرقية ويجري توسيعها الان بحيث تمتد الى المانيا الغربية وفرنسا وايطاليا ، وستصل الى

ان من المعروف ان الاتحاد السوفيتي هو اغنى اقطار العالم بالغاز الطبيعي ، بل ان بعض المصادر تورد ان هناك « تباينا في الرأي بين المخططين-السوفيتي فيما اذا كان ينبغي ان يوجه الاهتمام لتطوير انتاج النفط او الغاز الطبيعي ، وحجة انصار الغاز هي ان في الاتحاد السوفيتي من احتياطي الغاز الثابت وجوده والذي يمكن استخلائه كميات كبيرة جدا تبلغ حوالي ١٥

ان الرقم ٥٧ مليار متر مكعب الذي يشير الى التقديرات المتوقعة لانتاج-الغاز الطبيعي في اقطار اوروبا الشرقية للعام ١٩٧٥ تشمل رومانيا ٢٦ مليار متر مكعب و المانيا الديمقراطية ١١٦٥ - ١٤ مليارا ، وبولونيا ١٢ ، والمجر ٥٤٣ ، وتشيكوسلوفاكيا ١٤٢ ، وبلغاريا ٥٤٣ . ومن هنا نرى ان رومانيا هي اغنى اقطار اوروبا الشرقية بالغاز علاوة على النفط ، في حين ان فقرها هي على التوالي بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر (١٢) .

وتشير الظواهر الى ان الاتحاد السوفيتي يجد لديه وفرة في الغاز الطبيعي اكثر من النفط ولذلك فهو يتجه الى تصدير كميات متزايدة من الغاز « فمن المتوقع ان تصل كميات الغاز الطبيعي التي يجري تصديرها الى خارج الكتلة الاشتراكية ، بموجب العقود الحالية ، بحلول عام ١٩٨٠ اكثر من عشرين الف مليون متر مكعب سنويا ، ولو ان صافي الصادرات ، اذا اخذنا بعين الاعتبار المستوردات من ايران و افغانستان ، لن يزيد كثيرا

أبعد محطاتها (فرنسا) قبل نهاية عام ١٩٧٥ وتغطي كذلك بلاد البينيلوكس (بلجيكا وهولنده واللوكسمبورغ) . بيد ان مشاريع تصدير الغاز الطبيعي الكبرى في الاتحاد السوفييتي هي تلك التي تم الاتفاق عليها بين السوفييت وشركة أوكسيدنتال الامريكية للنفط لتطوير موارد الغاز الوفيرة في منطقة « ياكوتسكا » في شرقي سيبيريا، ويشتمل هذا المشروع على مد خط انابيب لنقل الغاز يمكنه بعد اكتماله - ربما في عام ١٩٨٠ - ان ينقل ٣٠ مليار متر مكعب في السنة ويستمر في ذلك على الأرجح لمدة ٢٥ سنة ، ويحصل السوفييت بموجب هذا المشروع على ثلث الغاز المستخرج بينما يمدّر الثلثان الأخران على شكل غاز مسيل الى الولايات المتحدة واليابان (١٩) . أما الاتفاق الثاني الذي وقع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، وهو أيضا اتفاق من حيث المبدأ ، فيقوم على استغلال حقن الغاز الكبير في « أورينغوي » في منطقة تيومن في غربي سيبيريا ويشتمل على من خط انابيب طوله ١٥٠٠ ميل الى معمل لتسييل الغاز يقام في ميناء « مرمانسك » . وينتظر ان تكون طاقة هذا الخط هي أيضا ٣٠ مليار متر مكعب في السنة تشحن مجموعة الشركات الامريكية ثلثها الى الساحل الغربي من الولايات المتحدة الامريكية ، وينتظر كذلك ان يبدأ الشحن في هذا المشروع في عام ١٩٨٠ وان يستمر طيلة ٢٥ عاما (٢٠) ، بيد ان هذه المشاريع الضخمة ما زالت حبرا على ورق لان هنالك عدة عقبات تعترض سبيل تنفيذها ليس اقلها احتمال اعتراض مجلس الشيوخ الامريكي عليها واحباطها .

تستخلص من ذلك كله ان الاتحاد السوفييتي لا يشكو من مجاعة في الغاز الطبيعي ، بل لديه منه احتياطي هائل بحيث يلبي جنبج احتياجاته واحتياجات خليفاته من دول المنظومة الاشتراكية في المستقبل المنظور مع فائض كبير للتصدير الى بلدان العالم الأخرى .

أما بالنسبة للفحم الحجري ، وهو المصدر الأخر الرئيسي من مصادر الطاقة ، فيكشف الإحصاء السوفييتي في طليعة اقطار العالم اجمع انتاجا واحتياطيا . ففي العام ١٩٧٢ بلغ مجموع الانتاج العالمي من الفحم الحجري ٢٠٧٦ مليون طن بزيادة شنيعة عن مستوى انتاجه عام ١٩٦٥ حيث كان

٢٠٠٤ ملايين طن . وكان نصيب الاتحاد السوفييتي من هذا الانتاج عام ١٩٧٢ زهاء ٦٥٥ مليون طن تليه الولايات المتحدة ٥٤١ مليون طن ، فالصين حوالي ٤٠٠ مليون طن ، أما دول السوق الأوروبية المشتركة مجتمعة فبلغ انتاجها زهاء ٣٠٠ مليون طن ، كذلك تعتبر بولنده من الاقطار الرئيسية المنتجة للفحم حيث كان انتاجها في تلك السنة ١٥١ مليون طن (٢١) . وفي ضوء أزمة امدادات النفط التي تشاقت في العالم الرأسمالي مؤخرا عاد الاهتمام من جديد بتطوير مصادر الفحم الحجري واستغلاله بعد ان ظلت مكائنه تتراجع تدريجيا بثبات منذ مطلع الخمسينات نتيجة توفر كميات متزايدة من امدادات النفط الذي ما فتئت الاختكارات النفطية الغربية تنهيه من اقطار العالم الثالث ، ولا سيما من الوطن العربي ، بأسعار زهيدة جدا هي دون كلفة استخراج الفحم الحجري في اقطار أوروبا الغربية علاوة على المزايا العديدة الأخرى التي يتمتع بها النفط ويمتاز بها على الفحم كحصدر للطاقة . ففي ضوء أزمة امدادات النفط التي بدأت منذ سنوات ونجاح بعض من الدول المنتجة للنفط في العالم الثالث في استعادة شيء من سيادتها القومية على ثروتها النفطية من الاختكارات النفطية الاستعمارية وما تلا ذلك من تطورات تسارعت بفعل الضغوط الجماهيرية التي افلقت من عقلمها بفعل ارادة المقاطين العرب في حرب تشرين الماضي . وأدت الى رفع أسعار النفط الخام نحو أربعة اضعاف ما كانت عليه قبل هذه الحرب في غضون فترة ثلاثة شهور فقط . في ضوء هذه المتغيرات الجديدة أخذت الاقطار المستهلكة للنفط تفكر بمصادر الطاقة بديلة للنفط لان ارتفاع أسعاره رفع فاتورة مستورداتها الى مستويات مرهقة تلحق عجزا جزمنا بميزانها التجاري وتخلق فيها ازمات اقتصادية متفاقمة . وكان من الطبيعي ان تتجه اقطار هذه الاقطار الى استئناف تطوير ما لديها من مصادر الفحم الحجري . وقد اقرت دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية خططا اقتصادية تتوخى ابقاء واستورداتها من النفط حتى العام ١٩٨٥ على مستوياتها الحالية اي في حدود ١٥ مليون برميل يوميا . كذلك فان الخطة الامريكية لتحقيق الاكتفاء الذاتي من مصادر الطاقة الطبيعية بحلول العام ١٩٨٠ والتي دعاها نيكسون

الكهرمائية والطاقة النووية وغيرها اقل من ٥ ٪ . وتدل مؤشرات عديدة على ان النفط والغاز الطبيعي سيكونان هما المصدران الاهم بين مصادر الطاقة في الاتحاد السوفييتي للمدى القصير. بينما سيأخذ الفحم الحجري في استرجاع اهميته التي ظلت تتضاقل تدريجيا منذ مطلع الخمسينات فيصبح المصدر الاهم للطاقة في المدى المتوسط ( بعد ١٠ - ١٥ عاما ) الى ان تصبح الطاقة النووية هي المصدر الرئيسي في مطلع المدى الطويل ، بعد حوالي ٢٠ عاما وذلك الى ان يتم استنباط مصادر جديدة للطاقة الرخيصة التي لا بد وأن تطورها التكنولوجيا الانسانية في المستقبل المنظور مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وحرارة الارض الباطنية الخ .

ان انواع الطاقة الاخرى ، عدا النفط والغاز والفحم ، لا تشكل سوى ٥ ٪ أو ما دون ذلك من مجموع انواع الطاقة المستخرجة في الاتحاد السوفييتي اليوم . ومن اهم هذه الانواع الاخرى الطاقة الكهرمائية اي الطاقة الكهرمائية المولدة بفعل قوة الماء من محطات تقام على سدود الانهار الخ . . . . . ومن المعروف ان الاتحاد السوفييتي هو أغنى بلدان العالم بمصادر الطاقة الكهرمائية نظرا لكثرة انهاره وتعدد السدود الضخمة القائمة عليها ولدى الاتحاد السوفييتي عدد من أضخم المحطات الكهرمائية في العالم ، ومثل هذه الطاقة مرشحة للازدياد والنمو كثيرا في المستقبل . وقد بلغ انتاج الاتحاد السوفييتي من الطاقة الكهرمائية عام ١٩٧١ اكثر من ١٣٣ مليون كيلوات بينما كان انتاج الولايات المتحدة نحو ٥٦ مليون كيلوات ( الكتاب السنوي للاحصائيات لعام ١٩٧٢ - الامم المتحدة ) . اما مصدر الطاقة الهام الاخر والمرشح لان يلعب دورا كبيرا في المستقبل فهو الطاقة النووية . ولكن الطاقة النووية ما زالت في طور طفولتها في الاتحاد السوفييتي فهي لا تشكل سوى اقل من ١ ٪ من مجموع الطاقة المستخرجة . وفي الولايات المتحدة ما زالت الطاقة النووية تشكل مصدرا ضئيل الاهمية جدا لا يتجاوز عشر واحد في المائة من اجمالي الطاقة المولدة ، وبلغ انتاج الولايات المتحدة منها عام ١٩٧١ زهاء ٨٦٨٧ ميغاواط والاتحاد السوفييتي ٢٠٣١ ميغاواط ( كتاب الامم المتحدة السنوي للاحصاء عام ١٩٧٢ ) . ولكن الطاقة

« مشروع الاستقلال » ، وهي خطة تدرت ان احتياجات الولايات المتحدة الامريكية من جميع مصادر الطاقة ستبلغ حينئذ ما يعادل ٤٢ مليون برميل في اليوم من النفط. قد تضمنت ربح انتاج الفحم بما يعادل في قيمته الحرارية ٦٤٩ مليون برميل في اليوم من النفط الى ما يعادل ١١ مليون برميل في اليوم (١٨) . وهذا يمثل زيادة كبيرة . وتشير التقديرات الاولى الى ان انتاج العالم من الفحم الحجري سيرتفع بحلول العام ٢٠٠٠ الى حوالي ٣٥٠٠ مليون طن منها ١٣٠٠ مليون طن في الولايات المتحدة وحدها (١٩) . واقع الامر ان زيادة انتاج الفحم الحجري وتطوير مصادره تشكل النقطة المحورية في خطط تطوير مصادر الطاقة المحلية في معظم الاقطار الصناعية اليوم للمدى المتوسط وذلك الى ان يتيح التطور التكنولوجي استنباط مصادر جديدة تماما للطاقة بأسعار زهيدة وهذا في المدى الطويل . ان احتياطي العالم من الفحم الحجري يفوق كثيرا احتياطي النفط ، وفي باطن اراضي بعض الاقطار كميات هائلة منه . « لدى الولايات المتحدة احتياطي من الفحم الحجري يقدر بحوالي ١٦٠٠ مليار طن وهذا يوازي نحو ٢٤٠٠ مليار برميل من النفط الخام التركيبي اي ٤ مرات مجموع احتياطي النفط الثابت في العالم و ٦ مرات مجموع احتياطي النفط الثابت في دول منظمة الاقطار المصدرة للنفط ( أوبك ) والبالغ ٤٠٥ مليارات برميل . اما الاتحاد السوفييتي فان احتياطي الفحم الحجري لديه هائل حقا إذ يقدر بحوالي ٤٣٠٠ مليار طن اي ٢٧٧ ضعف الاحتياطي الامريكي » (٢٠) . ولا ريب ان هذه الكميات الهائلة من الفحم الحجري الكامنة في باطن الاراضي السوفييتية تشكل رصيذا ضخما من الطاقة لسد احتياجاته واحتياجات دول المنظومة الاشتراكية في المستقبل ، لا سيما وان من المفيس استخراج النفط والغاز الطبيعي من الفحم الحجري بعمليات كيميائية ليست عالية الكلفة نسبيا .

لقد استعرضنا بايجاز اوضاع انواع الطاقة الرئيسية الثلاثة في الاتحاد السوفييتي وفي العالم أجمع اليوم وهي النفط الخام والغاز الطبيعي والفحم الحجري . وهذه المصادر الثلاثة توفر اليوم نحو ٩٥ ٪ من احتياجات الاتحاد السوفييتي من الطاقة بينما توفر المصادر الاخرى مثل الطاقة

المدادات الطاقة . وان الاتحاد السوفييتي ، من بين الاقطار الصناعية الكبرى في العالم ، هو البلد الوحيد الذي ينتج من النفط والغاز والفحم اكثر مما يحتاج اليه للاستهلاك المحلي ، ولديه احتياطي كبير جدا ما زال ينتظر الاستكشاف والتطوير . اما هل يمكن للاتحاد السوفييتي ان يحافظ على وضعه الجيد هذا زمنا طويلا فذلك امر يتوقف الى حد كبير ، على القرارات السياسية التي تتخذ في المرحلة الراهنة (٢٥) .

وقبل ان نتقل لتحليل جوهر العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفييتي واقطار الكوميون من جهة وبين الاقطار العربية من جهة اخرى ، نجد ان من الضروري التوقف قليلا عند طبيعة العلاقات النفطية والاقتصادية المتنامية بين الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الرأسمالي الصناعية والدواعي الاقتصادية لهذه العلاقات وكذلك الدولوات السياسية التي تنطوي عليها .

#### الدواعي الاقتصادية والمضامين السياسية للاتفاقات التجارية بين الشركات الغربية والاتحاد السوفييتي

كرر الحديث في الآونة الاخيرة عن هذه العلاقات المتنامية وتضاربت الآراء في تحليل دواعيها الاقتصادية وفي تحليل مدلولاتها ونتائجها السياسية . وان اول ما يسترعى الانتباه في هذه العلاقات ان الجزء الاعظم منها يتعلق باستغلال مصادر الطاقة في سيبيريا ولا سيما النفط والغاز الطبيعي وكذلك تطوير الصناعات البتروكيميائية والكيميائية بوجه عام في الاتحاد السوفييتي . ولعل اهم الاتفاقات الاقتصادية التي تمت بصورة مبدئية ، حتى الان بين الاتحاد السوفييتي والمؤسسات الغربية هي الاتفاقية بين شركة أوكسيدنتال الامريكية وثلاث مؤسسات سوفييتية وفق عقود طويلة الأمد لتبادل السلع الكيميائية بما قيمته عشرين مليار دولار . وتقتض صفة الكيميائية على ان تزود شركة أوكسيدنتال الاتحاد السوفييتي بالمعدات اللازمة لإقامة مجمع ضخم جدا للصناعات البتروكيميائية وكذلك تزويده بمليون طن سنويا من حامض الفوسفات القوي لمدة عشرين عاما ، وان تستلم أوكسيدنتال بالمقابل الامونيا واليورينا بمعدل ١٦٥ مليون طن سنويا لكل منهما وكذلك مليون طن سنويا من البوتاس في السنة وايضا ١٦٥ مليون طن من

النوية مستزاد اهميتها بحيث تشكل ١٤٢٪ من إجمالي الطاقة المستهلكة في الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ . وفي عام ١٩٨٥ مشكل ٢٤٦٪ (٢٦) . اما في الاتحاد السوفييتي فنص الخطة الخمسية السوفييتية الحالية ( ١٩٧٠ - ١٩٧٥ ) على انشاء محطات نووية جديدة يتراوح مجموع طاقتها بين ٦ الى ٨ ملايين كيلواط اي ما يعادل ٦٠٠٠ الى ٨٠٠٠ ميغواط ( لاحظ ان المحطة النووية الامريكية الموعودة لمصر طاقتها ٤٠٠ ميغواط ) (٢٦) . ولكن رغم هذا كله ، ورغم ان الخطة الخمسية القادمة ستتضمن ولا شك توسعا كبيرا في انشاء محطات الطاقة النووية ، فانه من غير المتوقع ان تغدو الطاقة النووية مصدرا رئيسيا للوقود في الاتحاد السوفييتي او في اي من الدول الصناعية الكبرى الاخرى قبل اواخر الثمانينات . وهناك مصدر اخر للطاقة في الاتحاد السوفييتي مستزاد اهميته في المستقبل وهو نط السجيل الذي يبلغ انتاجه من جمهورية استونيا السوفييتية سنويا نحو ٢٤٥ مليون طن وهو في ازدياد (٢٦) .

نخلص من كل ما تقدم الى ان الاتحاد السوفييتي غني جدا بثمنى انواع الطاقة ، بل انه بصورة اجهالية اغنى بلدان الارض بمصادر الطاقة على وجه الاطلاق فهو لا يشكو شحا في النفط ولديه اعظم احتياطي في العالم من الغاز الطبيعي والفحم الحجري ومصادر الطاقة الكهربائية . بل ان ذخيره من اليورانيوم وقود الطاقة النووية المتعاطبة الشان لا تقل عن ذخيرة الولايات المتحدة الامريكية ، حتى ان هنري سيمونيه المسؤول عن سياسة الطاقة في لجنة السوق الأوروبية المشتركة قد جذر من ان دول السوق قد تضطر الى شراء اليورانيوم القوي من الاتحاد السوفييتي في حال عدم تمكن الولايات المتحدة من تزويد السوق الأوروبية المشتركة باحتياجاتها منه (٢٤) . ان سيبيريا ، هذه الارض البكر ، هي بالفعل بمثابة خزان ضخم لمصادر الطاقة يعد بالكثير وان ما تخبئه منها ما زال اكثر مما كشفت عنه . وقد عبرت عن هذا الواقع السوفييتي الغني بمصادر الطاقة « مجلة النفط » لسان حال الاحتكارات النفطية الاستعمارية فقالت حاسدة : « وعلى وجه العموم ، يمكن القول ان الاقتصاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية بمجموعها تتمتع بوضع جيد من حيث

ان السمات العامة لهذه المشروعات جميعا هي أولا انها تنصب اما على تطوير مصادر القساز الطبيعي في سيبيريا او انها تستهدف تطوير الصناعات الكيماوية والبتروكيماوية في الاتحاد السوفيتي .

ثانيا : ان الجانب الغربي في هذه الاتفاقيات يقدم المعدات والمعامل او الاموال اللازمة لتنفيذ هذه المشروعات .

ثالثا : ان هذه الاتفاقيات هي بصورة عامة اتفاقيات مقايضة ، اي أن الجانب الغربي يقدم المعدات والمعامل والخبرة التكنولوجية الخ. ويسدد الجانب السوفيتي اثباتها من انتاج هذه المشروعات بعد تنفيذها أو يسدد اثباتها سلعا اخرى يحتاجها الجانب الغربي .

من الناحية الاقتصادية البحتة ، يظهر من النظرة الاولى لهذه المشروعات ان فيها فوائد اقتصادية جمة لكلا الطرفين . فهي توفر للجانب الغربي سوقا جديدة واسعة لتصدير سلعه الانتاجية كما انها توفر له مصادر اضافية من الطاقة ، ولا سيما الغاز الطبيعي ، وهي مصادر يحتاجها حاجة ماسة ، كما انها توفر للجانب الغربي ايضا سلعا كيماوية اساسية غير مكتملة التصنيع تستخدم كقيم في عمليات التصنيع النهائية لتصنع منها السلع الاستهلاكية . اما بالنسبة للجانب السوفيتي فتوفر له رؤوس الاموال والمعدات والمعامل اللازمة للسير بخطط تطوير الصناعات الكيماوية والبتروكيماوية لديه بخطوات حثيثة للمصارعة في وتيرة تطوير الاقتصاد السوفيتي ولادخاله مرحلة التصنيع الاستهلاكي على نطاق واسع بحيث يصبح الاقتصاد السوفيتي في طليعة دول العالم في الحجم الاجمالي لانتاجه العام حسبما يطمح المخططون السوفيت في المستقبل المنظور .

وتدل هذه الاتفاقيات من الناحية الاقتصادية على ان الاتحاد السوفيتي يعاني من نقص نسبي في انتاج المعدات والمعامل واللوازم الاخرى الضرورية لتطوير اقتصاده بالسرعة العالية التي يطمح اليها مخطوط الاقتصاد السوفيتي . وليس سرا ايضا ان الميزان التجاري السوفيتي مع دول المعسكر الغربي يعاني من عجز مقداره حوالي ٥٠٠

الامونيا سنويا لتسديد قيمة المعدات الامريكة ، وقد قدرت قيمة هذه الصفقات من كل طرف في حدود ٥٠٠ مليون دولار في السنة على اساس الاسعار الحالية . وتنص العقود على المباشرة بالتسليم عام ١٩٧٨ ، وستستعمل هذه المواد الكيماوية في صناعة الاسمدة (٢٦) . وبالإضافة الى ذلك هنالك خطط ضخمة للتعاون مع شركات امريكية ويابانية لتطوير حقل غاز ياكوتسكيا الهائل في شرقي سيبيريا ومع شركات امريكية اخرى للتعاون في تطوير حقل الغاز الكيسر في اورينغوي في غرب سيبيريا كما كانت هنالك خطط لتطوير حقل نفط ثيومن في سيبيريا الغربية بالتعاون مع اليابان ، بيد ان هذه الخطط قد تعقرت عندما اصر السوفييت على انهم لن يبيعوا اليابانيين سوى ٢٥ مليون طن في السنة من انتاج هذا الحقل من النفط بعد تطويره ، بينما يريد اليابانيون ان يحصلوا على ٤٠ مليون طن سنويا من هذا الانتاج . واقع الامر ، ان معظم هذه الصفقات الضخمة ما زالت حبرا على الورق لان عقبات عدة تعترض سبيل اقرارها بصورة نهائية ليس اقلها امتناع الكونغرس الامريكي عن اقرارها . ومن جهة اخرى ، ابرمت مؤشرا بين الاتحاد السوفيتي وشركة « ايني » الايطالية الحكومية صفقة مقايضة ضخمة تقدر قيمتها بحوالي ٩٥٧ مليون دولار . وتقضي الصفقة بأن تقوم شركة ايني الايطالية الحكومية بتزويد الاتحاد السوفيتي بست معامل بتروكيماوية و ٢٤ محطة ضخ على ان يسدد السوفييت ثمن هذه المعامل والمحطات بامدادات من النفط والغاز الطبيعي ومنتجات المعامل المزمع انشاؤها . وهنالك موضع الدراسة الان مشروع لبناء محطات نووية ضخمة لتوليد الكهرباء بتوظيف استثمارات المانية غربية كبيرة فيها على ان يحصل الالمان الغربيون على جزء من انتاج هذه المحطات من الكهرباء بعد شبكة خطوط كهربائية قوية . اضيف الى ذلك شبكة خطوط انابيب الغاز الضخمة التي يجري مدها حاليا لتصل الى فرنسا قبل نهاية عام ١٩٧٥ والتي ستزود العديد من اقطار أوروبا الغربية بكميات من الغاز الطبيعي السوفيتي تزيد على ٢٠ مليار متر مكعب في السنة في المرحلة الاولى ، وان كان من المتوقع لثمن هذا النوع من المشاريع ان يتزايد في المستقبل القريب .

من النفط السوفيتي ، وبحلول عام ١٩٧٥ ينتظر  
مد خطوط انابيب اضافية طولها نحو ٢٠٠٠٠  
كيلو متر «(٢٩)» .

وفي السنة الحالية وحدها من المقرر مد مساح  
مجموعه ٩٠٠٠ كيلو متر من خطوط النفط والغاز  
الرئيسية ، فهناك عدا عن خط ساموتلسور -  
كوبيشيسيف مشاريع رئيسية تشتمل على مد خط  
لانابيب النفط الخام طوله ١٨٦٦ كيلومترا من  
باشكيريا الى نوغوروسينك على البحر الاسود ،  
واجراء مزيد من التوسع في انابيب الغاز الممتدة من  
كومي في شمالي روسيا الأوروبية ومن تيومن في  
سبيريا الغربية الى اواسط روسيا الأوروبية «(٣٠)» .  
ومن جهة اخرى ، ان بناء المساكن والمدن في  
سبيريا يفرض صعوبات تكنولوجية لا تقل عن تلك  
التي يتطلبها بناء المنشآت الصناعية الخ ، فقد  
قررت السلطات السوفيتية المختصة بناء مدينة  
جديدة متوسطة الحجم في منطقة حقول ساموتلور  
للنفط في سبيريا الغربية . وبما ان هذه المدينة  
تقع في منطقة تكثر فيها المستنقعات التي تنمو فيها  
نباتات الخث ( نبات متفحم ) وتهدد جذورها الى  
عمق ١٢ مترا ، لذلك ستشيد مساكنها على منصات  
من الخرسانة تسندها اعمدة مغروزة في الارض ...  
أما الشوارع والارصفة فستبنى بمرمعات من  
الخرسانة «(٣١)» .

نخلص من هذا كله الى أن الضرورات الاقتصادية  
التي تدعو الاتحاد السوفيتي الى التوجه للدول  
الرأسمالية الغربية لتطوير سبيريا واضحة وتبذل  
في الكميات الهائلة من رأس المال ( زهاء مائة  
الف مليون دولار ) اللازمة ، وهي مجال لا تتوفر  
في الاقتصاد السوفيتي في وقت يجري فيه استثمار  
كميات كبيرة من رأس المال المتوفر لتطوير الصناعات  
الاستهلاكية في البلاد والمضي قدما في خطط رفع  
مستوى معيشة المواطنين وتوفير المزيد من وسائل  
الرفاهية لهم على نطاق واسع ، كما ان هذه  
الضرورات الاقتصادية تتمثل في عجز منشآت  
صناعة وسائل الانتاج عن تلبية جميع احتياجات  
مشاريع التطوير وخطط التنمية هذه بالسرعة  
المطلوبة مما يستلزم استيراد قسم من هذه المعدات  
والمعامل واللوازم من دول الغرب الرأسمالي .  
أما من هو الربح الاكبر من هذه الصفقات اقتصاديا  
فذلك أمر تخلفس فيه الآراء ، ولكن يبدو ان

مليون جنيه استرليني في السنة ، وان كان يخفض  
هذا العجز الى ٢٠٠ مليون جنيه استرليني سنويا  
بفضل شحنات الذهب الكبيرة التي يبيعها في بورصة  
زيورخ كل سنة (٢٧) . وبعبارة اخرى ، ان شعاع  
السوفيت في تعاملهم الاقتصادي مع دول الغرب  
على هذا الصعيد هو : لا بأس من اعطاء الغربيين  
شيئا من فائض الغاز والنفط لدينا شريطة أن  
يساهم هؤلاء في التكاليف العالية لتطوير حقول  
النفط والغاز في سبيريا وأن يزودونا بالمعدات  
والمعامل واللوازم اللازمة لهذا الغرض والتي  
يحتاجها الاقتصاد السوفيتي حاجة ماسة نظرا لأن  
خطط التنمية والتطوير الاقتصادي في الاتحاد  
السوفيتي تتجاوز في اهدافها القدرة الراهنة  
لنشات صناعة وسائل الانتاج في البلاد على تلبية  
جميع الأدوات والمعدات واللوازم والمعامل التي  
يتطلبها تنفيذ خطط التنمية والتطوير الطموحة  
هذه . ولا يستطيع المرء ان يستوعب معنى هذا  
كله الا اذا كانت لديه فكرة عن طبيعة سبيريا  
ومدى المصاعب التكنولوجية والتكاليف العالية التي  
ينطوي عليها تطوير هذه الصحراء الجليدية  
الكبرى ... وقد كتبت عن ذلك صحيفة  
الفايننتشيال تايمز تقول : « سبيريا متجدة شتاء  
وتحول الى مستنقعات رطوبة صيفا يكثر فيها  
البعوض ويستحيل فيها نقل المعدات . وقد  
استتبعت لهذا الغرض طريقة خاصة هي حفر  
اتفاق في الجليد بواسطة المتفجرات تردم بالحجارة .  
وفي الصيف تصبح هذه الاتفاق بمثابة سدود يكون  
بالامكان تحريك المعدات عليها . ويتر السوفيت  
بأنه تنقصهم الرساميل والخبرة الفنية المطلوبة  
لاستغلال الاحتياطي السوفيتي الضخم من النفط  
ونقله . وان تقديرات الخبراء الامريكيين تفتح  
الرساميل المطلوبة لتطوير احتياطي النفط غير  
المستغل بحوالي ١٠٠ مليار دولار اي مائة الف  
مليون دولار . اما عن موعد بدء السوفيت في  
الحصول على اي عائد من هذه الاستثمارات فلا  
يمكن التنبؤ به «(٣٨)» .

أضف الى ذلك أن « المسافات الطويلة التي  
تفصل حقول النفط والغاز عن مناطق الاستهلاك  
قد جعلت من بناء شبكة انابيب مكلفة امر لا بد  
منه . ففي عام ١٩٧٠ نقلت خطوط الانابيب التي  
تدر طولها بحوالي ٤١٢٠٠٠ كيلو متر حوالي ٤٠٪

وبناء الاشتراكية في دولة واحدة ، وهي المقولة التي خاض لينين نضالا ايدولوجيا عنيفا لتثبيتها وقرارها في وجه المعارضة الشرسة التي واجهها من انتصار نظرية الثورة الاممية الشاملة العامة والثورة الدائمة من التروتسكيين والمنشفيك وغيرهم . ان هذا صحيح تماما ، فمن الانصاف للقيادة السوفييتية الحالية التي تتوجه للتعامل مع اقطار المسكر الرأسمالي في ميادين التجارة والاقتصاد والعلوم أن نقر بأن ما يدعى بالستار الحديدي لم يكن في حقيقة الامر سوى القيود الشديدة التي فرضتها الدول الرأسمالية والاستعمارية على التعامل والتبادل الاقتصادي والتجاري مع الدولة السوفييتية في جهد يائس ومواصل لختها او اعاقا تطورها ونموها . وان القوائم الطويلة من السلع والبضائع التي كانت الولايات المتحدة وغيرها من الدول الرأسمالية تحظر تصديرها وبمعها للاتحاد السوفييتي باعتبارها سلعا استراتيجية تستخدم في الجهود الحربي هي خير شاهد على ان ما يسمى « بالستار الحديدي » انها هو ستار فولاذي من المقاطعة الرأسمالية التي كانت مفروضة على الدولة السوفييتية الفتية ، حينئذ ، وان معارضة السناتور الامريكي هنري جاكسون الموالي للصهيونية وغيره من غلاة الرجعيين والاستعماريين في اوساط السياسيين الامريكيين ورغضهم المصادقة على الاتفاقيات التجارية والاتفاقيات الاخرى التي تم التوصل اليها بين شركات النفط الامريكية والحكومة السوفييتية لتطوير مصادر الغاز والنفط في سيبيريا هي مثال حي على الستار الحديدي الذي ما فتئت هذه الاوساط الرأسمالية الغربية تفرضه على الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية الاخرى . وتقول المصادر السوفييتية ان توسيع نطاق التعامل الاقتصادي والتبادل التجاري بين الاتحاد السوفييتي ودول العالم الرأسمالي انها هو تطوير لسياسة « الانفراج الدولي » وهي السياسة المستمدة من مقولة « التعايش السلمي » وهي احدى المقولات اللينينية الاساسية للسياسة الخارجية للدولة السوفييتية تجاه دول العالم الرأسمالي ودول العالم اجمع ، وهي المقولة التي أعاد تأكيدها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفييتي عام ١٩٥٦ وظلت منذ ذلك الوقت المحور الاساسي للسياسة الخارجية السوفييتية ، وان

السوفييت يكسبون من ذلك تطوير صناعاتهم واستغلال ثروات سيبيريا الهائلة بينما لا يخسرون سوى شيء من الغاز والنفط الفائض عن حاجتهم<sup>(٢٢)</sup> والسذي تشير الدلائل الى انها سيفقدان اهميتهما كمصدر اساسي للطاقة مع نهاية هذا القرن ، وان كانا سيحتفظان باهميتهما كمادة خام للصناعات البتروكيميائية .

ولكن ماذا عن المدلولات والمضامين السياسية لهذا التعامل على نطاق واسع بين الاقتصاد السوفييتي والدول الغربية ؟ لا ريب ان التعامل التجاري وعقد الصفقات الطويلة الامد لتطوير حقول النفط والغاز وموارد الثروة الطبيعية الاخرى في سيبيريا وكذلك في مجال تطوير الصناعات الكيميائية والبتروكيميائية الاخرى بل وفي ميدان تطوير الاستخدام السلمي للطاقة النووية ببناء محطات نووية لتوليد الكهرباء في الاتحاد السوفييتي تتزود منها المانيا الغربية ببعض احتياجاتها علاوة على التعاون في حقل العلوم الفيزيائية والنضائية مع الولايات المتحدة ومع غيرها من دول المسكر الرأسمالي ، مثال ذلك استعانة الولايات المتحدة الامريكية بخبراء سوفييت لتطوير الطريقة الهيدروديناميكية المغنطة ( ه. د. م ) لتوليد الكهرباء باستخدام الغاز الناتج عن احراق الفحم لتشغيل توربينات اليكترومغنطيسية ، وهي الطريقة التي يتفوق فيها السوفييت على بقية دول العالم<sup>(٢٣)</sup> .

ان التعامل بين الاتحاد السوفييتي ودول المسكر الرأسمالي في ميادين التبادل التجاري والتصنيع والعلوم والابحاث على هذا النطاق الواسع وبهذا الحجم وعلى هذه الاصعدة جميعا هو ، بلا ريب ، يمثل ظاهرة جديدة في العلاقات بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي تبلورت في غضون السنوات القليلة المنصرمة .

ولرب قائل ان التعامل بين الدولة السوفييتية ودول المسكر الرأسمالي في ميادين التجارة والاقتصاد انما هو هدف من اهداف السياسة الخارجية لهذه الدولة منذ ايام مؤسسها الاكبر لينين ، بل ان سياسة التعامل التجاري والاقتصادي هذه هي من اركان السياسة اللينينية المبنية من المقولة اللينينية المصانبة والغائلة بإمكانية انتصار

هذا الاعتماد يجعل هذه الإقطار في موقف أضعف من الناحية الاستراتيجية. عندما تصل الأمور والتطورات الى درجة المواجهة الساخنة ، إذ ان انقطاع مثل هذه الإمدادات الحيوية من النفط والغاز عن هذه الإقطار فجأة في ظروف الطوارئ يشمل قطاعات أساسية من نشاطاتها الاقتصادية في وقت تكون فيه في منيس الحاجة الى مصادر الطاقة . ولكن ، رب قائل بأن حكومات إقطار أوروبا الغربية ليست غافلة عن مثل هذا الأمر ولكنها تقدر بأن المواجهة المقبلة بين المعسكرين ، ان انفجرت ، ستكون نووية تحسم في أيام قليلة ان لم يكن في ساعات . ان هذا صحيح بوجه عام ، بيد أن هناك مدى عريضا من المناورة الدبلوماسية والسياسية والضغط الاقتصادية بين حالة التوتر التي تزدن بالمواجهة وبين انفجار المواجهة الحقيقية المدمرة . وفي مثل هذا المدى العريض تكون شبكة العلاقات الاقتصادية التي بناها الاتحاد السوفييتي مع إقطار أوروبا الغربية ، بما في ذلك إمدادات النفط والغاز ، ورقة مناورة فعالة في يد الجانب السوفييتي لممارسة الضغط السياسي والاقتصادي على هذه الإقطار وترويض اتجاهاتها ونواياها السياسية والعسكرية ، لا سيما وان طبيعة المنظمة الرأسمالية من الناحية الاقتصادية والسياسية تجعل حكومات الدول الرأسمالية عرضة لتأثيرات وضغوط الكتل والجماعات المصلحية والاقتصادية داخل هذه الإقطار . وبالتالي فإن الفئات الرأسمالية المتعاملة مع الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الاشتراكية . والتي ترى ان مصالحها قد تتعرض للدمار في حالة توتر الأجواء بين الكتلة الاشتراكية وبين القطر الاوروبي الذي تنتمي اليه تبارس ضغوطا على حكومة ذلك القطر بحيث تتجنب المواجهة ، وهذا ما يستجيب للركن الاساسي من أركان السياسة الخارجية السوفييتية وهو توطيد السلم العالمي من أجل تقوية الفرضة على اندلاع حرب نووية مدمرة ، ولكي يتاح للكتلة الاشتراكية ولقوى التحرر في العالم تطوير اقتصادها وقواها إلى ان يتحول ميزان القوى العالمي لصالح معسكر الشعوب بصورة حاسمة بحيث يصبح القوى الإمبريالية عاجزة عن المغامرة بمواجهة نووية او غيرها .

ثالثا : ان تطوير العلاقات الاقتصادية وغيرها

التي بين قيادة خروشوف والقيادة الثلاثية الحالية ( بريجنيف - كوسيفين - بودغورني ) هو حول التطبيقات والممارسات في السياسة الداخلية وليس حول تطوير مسألة « الانفراج الدولي » . وتقول المصادر السوفييتية ايضا ان توسع نطاق التعامل الاقتصادي والتبادل التجاري بين المعسكرين انها جاء كمحصلة نهائية. لتحول ميزان القوى بصورة نسبية لصالح المعسكر الاشتراكي وقوى حركة التحرر العالمية بصورة عامة على حساب معسكر الرأسمالية والاستعمار والرجعية في العالم . ان المعطيات السياسية والاقتصادية لحوال العالم الراهنة تؤيد هذه المقولة السوفييتية ايضا ، ولكن ، هنالك أبعاد أخرى كامنة في ثنايا هذا التوسع الملموس في التعامل الاقتصادي والتبادل التجاري بين المعسكر الاشتراكي وإقطار المعسكر الرأسمالي .

ولعل من أهم هذه الأبعاد الأخرى والتي سنكتفي هنا بإيرادها . بإيجاز شديد لان المقام لا يتسع لمناقشتها وتحليلها بصورة تفصيلية :

اولا : ان من الصعب ، بل يكاد يكون من المستحيل ، ان نسقط من صورة هذا التوسع في التعامل بين المنظومة الاشتراكية وإقطار المعسكر الرأسمالي واقع الصراع الصيني - السوفييتي الذي يتخذ منذ سنوات مظاهر حادة وخطرة شديدة العنف ومشحونة بشتى الاحتمالات المدمرة الى درجة تثير اشد القلق في صفوف انصار الحرية والتقدم في العالم أجمع . ولا ريب ان هذا الصراع الحاد يلعب دورا ملموسا في حث السياسة السوفييتية على تخفيف حدة المواجهة بين بلادهم وبين إقطار المعسكر الغربي حتى لا يصبحوا في وضع يضطرون فيه الى خوض حرب مدمرة على جبهتين هائلتين في آن واحد .

ثانيا : ان ربط إقطار أوروبا الغربية ، وهي جناح حلف شمال الاطلسي الاقرب جغرافيا الى الاتحاد السوفييتي ، بشبكة حيوية وهامة من المصالح والروابط الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية يجعل هذه الإقطار تعتمد على الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الاشتراكية الأخرى اعتمادا كبيرا في حقول أساسية وموارد استراتيجية هامة . مثل إمدادات النفط والغاز اللذين تستطيع ان تحصل عليهما من مناطق أخرى كالشرق الاوسط وشمال افريقيا مثلا . وان مثل

قمة أولويات الاستراتيجية السياسية الكونية السوفييتية ؟ وهل أصبح السوفييت يرون نسي التعامل الاقتصادي والتركيز على خلق روابط وعلاقات أفضل مع أقطار المعسكر الغربي أقصر طريق لتغيير موازين القوى لصالح قوى الاشتراكية في المدى البعيد ؟ وهل مثل هذا التعامل والتوجه يتم عن تطلع لاقتسام السيطرة على دول العالم الثالث مع قوى الامبريالية كما تقول. بعض الأوساط هنا وهناك ؟ ثم هل ان هذا التعامل والتوجه هو على حساب حركة التحرر العالمية ، ولا سيما حركة التحرر الوطني في العالم الثالث وخاصة في العالم العربي ؟ وأخيرا وليس آخرا ، ترى أي أثر كان للنشل النسبي الذي عانت منه السياسة السوفييتية في العالم الثالث ، وخصوصا في العالم العربي ، طوال السنوات الماضية في بورة هذا التوجه لدى مخططي الاستراتيجية السياسية الكونية السوفييتية ؟

ان الإجابة عن هذه الاسئلة والقساؤلات بصورة وإقنية هي أكبر من نطاق هذه الدراسة المحدودة الغرض والحجم ، بيد ان من الجلي ان هذا التعامل مع اقطار المعسكر الغربي يعكس رؤية سياسية تجد ، في المدى الطويل ، ان السبيل الاجدى في الوقت الراهن ، وفي ضوء مجمل الظروف القائمة ، للاحاق الهزيمة النهائية بالنظام الرأسمالي هو في غزوه من الداخل عن طريق التعامل معه بدلا من التركيز بالدرجة الاولى على محاولة اجتثاث امتداداته في مناطق العالم الثالث ، وان تكن هنالك مؤشرات وشواهد عديدة على ان السوفييت يسعون الى ان يقرنوا عملية غزو الانظمة الرأسمالية من الداخل بالتعامل الاقتصادي معها بعملية اجتثاث امتداداتها في مناطق العالم الثالث كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا حسبما بدأ ، مثلا ، في حرب ٦ تشرين ١٩٧٣ . وتبادل الدول الرأسمالية السوفييت اللعنة ذاتها فتسمى الى غزو الانظمة الاشتراكية من الداخل كما جرى في تشيكوسلوفاكيا وبولنده الخ . . . في الوقت الذي تسعى فيه لخلق حركات التحرر وطرد السوفييت من مواع تأثيرهم في العالم الثالث كما جرى في التشيلي وقبرص ومصر الخ . . . أما بالنسبة للجوانب الأخرى من مجموعة الاسئلة والقساؤلات السالفة فنستعسى للإجابة عنها بعد استعراض أشكال العلاقات

مع الولايات المتحدة الأمريكية في ميادين هامة وحيوية كالنقط والغاز ، وكذلك في ميادين التجارة وعلوم الفضاء والتكنولوجيا الخ . هو أيضا ، كما اسلفنا القول . بالنسبة لقطار أوروبا الغربية ، يخلق داخل الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية ناديا توميا وناغذا من اصحاب المصالح الاقتصادية والمنافع المادية المباشرة في التعامل الاقتصادي مع الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الاشتراكية وبالتالي خلق الاجواء السياسية الملائمة لمثل هذا التعاون والتعامل . . . وان هذا جيمه يساهم مساهمة مادية ملموسة في لجم درجة عدوانية تلك العناصر والفئات الامبريالية داخل الطبقة الحاكمة الأمريكية المفرقة في رجعتها والتي تشتت في غلوائها وحدها على الكتلة الاشتراكية الى حد قد تجازف معه في سلوك سياسات عدوانية مغامرة تبلغ حد المجازفة باشمعال حرب نووية مدمرة ، مثل اصحاب مصانع السلاح وغيرهم . . .

رابعا : ان التعامل الاقتصادي بين الاتحاد السوفييتي واطار المعسكر الرأسمالي بصورة عامة يساهم ، الى حد بعيد ، في خلق اجواء نفسية تخفف من روح العداء المكارثية والفاشية تجاه الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية ، وهذا لا بد وان ينعكس بصورة ايجابية على نشاط القوى الديمقراطية المحلية داخل هذه المجتمعات الرأسمالية . ففي ظل اجواء العداء للاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية تشدد الطبقات الحاكمة في الدول الرأسمالية من قبضة اجراءاتها لخلق صوت القوى الديمقراطية والعاجلة من أجل التغيير الاجتماعي . ويبدو ان مصممي الاستراتيجية السياسية السوفييتية يرون في مثل هذا التعامل وهذه العلاقات مع اقطار المعسكر الرأسمالي عاملا مساعدا على خلق الاجواء المناسبة لنمو قوة الاحزاب الشيوعية القوية في بعض اقطار أوروبا الغربية مثل فرنسا وايطاليا كما يرون في هذا التعامل عاملا مساعدا على تهيئة التيارات الراديكالية والليبرالية والقوى المناهضة للحرب في داخل المجتمع الأمريكي ذاته .

خامسا : ان السؤال الملح في نهاية المطاف هو : هل هذا التعامل الاقتصادي على هذا النطاق مع اقطار المعسكر الرأسمالي يعني على وجه التحديد ان التوجه نحو الغرب بصورة عامة قد قد يتصدر

نهاية هذا القرن على تطوير واستنباط مصادر جديدة للطاقة تعتمد بالدرجة الأولى على توفر الخبرة التكنولوجية والخبراء المختصين مثل الطاقة النووية والشمسية وطاقة الرياح وحرارة الأرض الباطنية الخ... فمعنى ذلك أن الاقطار العربية ستغدو مع أفول عصر النفط والغاز في نهاية هذا القرن اقطارا مستوردة لمصادر الطاقة ، ولا ريب أن الاقطار الصناعية المتطورة المستهلكة حاليا للنفط العربي لن تبني الاقطار العربية مصادر الطاقة التكنولوجية التي مستستنبطها بأثمان زهيدة مماثلة للامسان البخسة التي حصلت بها على النفط العربي طوال السنين الماضية .

والاهم من هذا كله ، ان على المسؤولين العرب أن يتشبهوا قبل فوات الأوان الى واقع ان ثروة النفط المتوفرة حاليا في الوطن العربي هي ثروة وهمية في منظار السنوات العشر القادمة ولا نقول العشرين السنة القادمة او الثلاثين ... انها وهمية من حيث ان الأرقام التي تدعيها الاحتكارات النفطية الاستعمارية المتحكمة بثروة النفط العربي هي أرقام مضللة ، فهذه الأرقام تقول بأن مجموع احتياطي النفط الثابت في الوطن العربي هو زهاء ٢٢٧ مليار برميل من إجمالي احتياطي العالم الثابت من النفط والبالغ ٦٢٧ مليار برميل ، أي ان في الوطن العربي نحو ٥٢ ٪ من إجمالي الاحتياطي العالمي من النفط . بيد ان الركون الى هذا الشعور الجليل تكلفه محاذير كثيرة منها :

أولا : ان أرقام الاحتياطي النفطي ليست بالأرقام الاكيدة بحيث يستطيع المرء ان يجزم بصحتها وصحتها . فزعم تقدم أساليب التنقيب عن النفط واستكشافه ، فان القول النفضل الذي يحدد وجود النفط او عدمه هو الحفر ، ولذلك فان لسان حال جيولوجي النفط هو أنك لا تستطيع ان تجزم بوجود النفط في باطن الأرض في بقعة ما الا بعد ان تحفر في تلك الأرض ويتدفق النفط من البئر التي حفرتها ، وبناء على ذلك ، فان أرقام الاحتياطي النفطي ، بوجه عام ، هي أرقام افتراضية .

ثانيا : ان الاسرار الحقيقية عن ارقام الاحتياطي النفطي في الوطن العربي هي ملك شركات الاحتكارات النفطية الاستعمارية وحدها ، وهي الاحتكارات التي ما زالت تسيطر على انتاج معظم الثروة النفطية في الوطن العربي . وبالتالي فان

النفطية القائمة بين الاتحاد السوفييتي ودول الكوميكون من جهة وبين الاقطار العربية من الجهة الأخرى وتحليل طبيعة هذه العلاقات وتوعيتها ومضامينها الاقتصادية ومدلولاتها السياسية .

### ثروة الطاقة الوهمية في الوطن العربي

ان من الضروري قبل التطرق الى الحديث عن طبيعة العلاقات النفطية بين دول المنظومة الاشتراكية والاقطار العربية ان نحدد أولا وهما روجته أوساط الاحتكارات النفطية الاستعمارية في العالم أجمع لغرض في نفس يعقوب . فمن خلال الضجة الاعلامية المفتعلة التي « فبركتها » أوساط الاحتكارات النفطية الاستعمارية وما زالت تشنها منذ أكثر من سنة حول أزمة الطاقة المزعومة التي تهدد العالم المعاصر بكارثة !! رسخت هذه الاحتكارات النفطية الاستعمارية من خلال حملتها الاعلامية تلك في أذهان الناس ، بما في ذلك العرب أنفسهم ، ان الوطن العربي الواسع الأرجاء والذي لا يسكنه سوى نفر قليل من البدو المتخلفين يحتوي على قرابة ثلثي احتياطي العالم اجمع من الطاقة . وقد تعدت تلك الأوساط الاحتكارية في حملتها الاعلامية الديماغوجية ان تستخدم كلمة طاقة وكأنها رديف لكلمة نفط . طبيعة الحال ، من المعروف ان الوطن العربي غني نسبيا بالنفط . ولكن ، ان ما لا تعرفه الاغلبية الساحقة من الناس ، بما في ذلك العرب أنفسهم ، هو أن الوطن العربي هو من مناطق العالم الفقيرة بمصادر الطاقة بمعناها الواسع . لان الوطن العربي يكاد ان يخلو من الفحم الحجري وليس لديه من احتياطي العالم من الغاز الطبيعي سوى حوالي ١٢ ٪ ( حوالي ٢٨٠٢٤٥ مليار قدم مكعب من إجمالي الاحتياطي العالمي البالغ ٢٠٣٢٧٢ مليار قدم مكعب ) (٢٤) ، بينما لدى الاتحاد السوفييتي زهاء ٣٠ ٪ ، كما ان الوطن العربي لم يكتشف فيه اليورانيوم بعد ، وهو وقود طاقة المستقبل من الطاقة النووية ، كذلك ان الوطن العربي فقير جدا بمصادر الطاقة الكهربائية باستثناء بعض المحطات الكهربائية التي أقيمت عند المد العالي في اسوان وسد الفرات في سورية . والاهم من هذا جميعه ، ان الوطن العربي ما زال يعتبر فقيرا نسبيا بالخبرة التكنولوجية والخبراء المؤهلين في مجالات تطوير مصادر الطاقة المتكررة ، وحيث ان عالمنا مقبل مع

الأخرى غير النفطية مما يجعلها في موقف أقوى في مواجهتها مع الشركة من أجل استعادة السيادة الوطنية العراقية على ثروة البلاد النفطية ، علما بأنه بات معروفا الآن بأن العراق هو الثاني بعد السعودية في منطقة الشرق الأوسط من حيث ضخامة الاحتياطي النفطي لديه .

ثالثا : في ضوء الارتفاع الأخير الكبير في أسعار النفط الخام فقد النفط العربي ميزته الأساسية وهي انه نطف رخيص الاستخراج والكلفة والسعر ، وطراً وضع جديد بات فيه من الربح والجدي اقتصاديا البحث عن النفط في كل مكان على الأرض وفي البحر وفي الاصقاع الباردة الخ . . . ، ولذلك وضعت شركات النفط برامج واسعة للتقيب عن النفط في البحر وفي مناطق عديدة كانت كلفة الانتاج فيها عالية مثل الاسكا وسيبيريا وغيرها ، ولن يطول الوقت حتى يبدأ البحث عن النفط في القسرة المتجمدة الجنوبية ( القطب الجنوبي ) . وهنالك ما يدعو الى الاعتقاد بأن ما في العالم فعلا من النفط هو أكثر بكثير مما استكشف منه حتى الآن ، وهذا ما يجعل النسبة الحقيقية لارحام الاحتياطي النفطي في الوطن العربي بالنسبة للاحتياطي العالمي الحقيقي من النفط هي أقل بكثير من ٥٢ ٪ .

رابعا : ان ارتفاع أسعار النفط الخام عقب حرب تشرين قد جعل الانتاج من مصادر أخرى عديدة للنفط مجد اقتصاديا « فقد باتت المعامل الصغيرة لتوليد الكهرباء من الطاقة النووية والتي تتراوح طاقتها بين ١٠٠ ميغاواط الى ٤٠٠ ميغاواط قادرة على منافسة المعامل التي تشغل بالنفط » . ويفيد تقرير أوردته نشرة وكالة الطاقة الذريسة العالمية ان « أسعار النفط التي تصبح معها المعامل النووية الصغيرة من مختلف الاحجام قادرة على المنافسة هي ٦١٢ دولارا للبرميل بالنسبة للمعامل التي قوتها ١٠٠ ميغاواط ، ٤٤٣٧ دولارا للمعامل التي قوتها ٢٠٠ ميغاواط و ٢٤٦٦ دولارا للمعامل التي قوتها ٣٠٠ ميغاواط و ٣٢٢٢ دولارا للمعامل التي قوتها ٤٠٠ ميغاواط » (٣٦) . علما بأن سعر النفط الخام في السوق الحرة الآن يزيد على ١٠٥ دولارا للبرميل مع ان بعض الصفقات ما زالت تمعد بحوالي ١٤ دولارا للبرميل .

ومن جهة أخرى أصبح انتاج النفط من مخور السجيل والتي يوجد منها كميات هائلة في الولايات

ارحام الاحتياطي النفطي هي ارقام سياسية ، وتجنح الاحتكارات النفطية الى تضخيم الاحتياطي النفطي او الى تقليله وفق ما يختم مصالحها وأهواءها . وقد أكد هذا الواقع الرهيب « ما جاء على لسان ريتشارد هيلمز المدير السابق للاستخبارات المركزية الامريكية اثناء استجوابه بتاريخ ١٩٧٤/٢/٧ امام لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الشيوخ الامريكسي حيث قال ان وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية لم تستطع الحصول من الشركات على معطيات صحيحة عن احتياطي النفط العالمي الثابت او المحتمل وعن هيكلية الاسعار التي تعتمدها » . ولدى حديثه عما تفعله الشركات في فنزويلا قال ريتشارد هيلمز « ان شركات النفط تحتفظ لنفسها بالسر وليست مستعدة لتقاسم المعلومات فيما بينها او مع طرف آخر » (٣٥) . وبناء عليه ، فان هنالك شواهد كثيرة تحمل على الاعتقاد بأن احتكارات النفط الاستثمارية رغبة منها في استنزاف ثروة النفط العربية في اسرع وقت ممكن لتجميع منها أكبر قدر من الارباح قبل ان تستيقظ الشعوب العربية وتستعيد سيادتها الوطنية على ثروتها النفطية ، عادت هذه الاحتكارات الى تضخيم الاحتياطي النفطي لدى بعض الاقطار العربية لتعلمن حكام هذه الاقطار وتشجعهم على رفع انتاج النفط من بلادهم ارتفاعا كبيرا لا يحتاجه اقتصادهم ، وقد تمنعت الكويت من الاستجابة لهذه الدعوة الخبيثة بينما يبدو ان دولة أخرى سائرة في رفع انتاجها من النفط الى معدل ٢٠ مليون برميل في اليوم بحلول العام ١٩٨٠ خدمة للاقتصاد الامريكسي ليس الا . ومن جهة أخرى ، قد تعمد الاحتكارات النفطية احيانا الى تقليل ارقام الاحتياطي النفطي خدمة للآرب سياسية معينة كتمارسه الضغط على حكومة ما ، وهذا ما فعلته شركة نفط العراق مع الحكومات العراقية منذ الاطاحة بحكم نوري السعيد في ١٤ تموز ١٩٥٨ . فازاء مطالبة حكومة عبد الكريم قاسم والحكومات العراقية التالية بزيادة الانتاج لتوفير المزيد من الموارد لخطط التنمية كانت الشركة تتعمل بانخفاض احتياطي العراق النفطي مما يجعل من العسر رفع مستوى الانتاج وذلك للضغط على الحكومات العراقية سياسيا وحرمانها من موارد مالية كبيرة تمكنها من تنمية القطاعات الاقتصادية

رأس المال المستثمر في الإنتاج أصبحت تنافس اسعار شراء النفط الخام من الشرق الاوسط . وهذا ما يتضح من الجدول التالي (٣٧) :

المتحدة الأمريكية وكندا وغيرها مجرد من الناحية الاقتصادية . فقد بينت دراسة نشرت مؤخرا اعدتها المجلس الوطني الأمريكي للبتروال ان تكاليف انتاج نفط السجيل مع تحقيق ربح في حدود ٢٠ ٪ من

الاسعار بالدولار المقدرة لنفط السجيل في حدود ربح ١٠ الى ٢٠ ٪  
( المصدر : المجلس الوطني الامريكى للبتروال )

٣٥ غالون نفط للطن من السجيل

٣٠ غالون نفط للطن من السجيل

المردود على التدفق النقدي				
المعدل للقيمة الحاضرة	مناجم ذات انفاق	مناجم عمودية	مناجم ذات انفاق	مناجم عمودية
١٠ ٪	٤٣٢	٤٢٧	٣٩٧	٤٠٩
١٥ ٪	٥٥٨	٥٧٩	٥١٠	٥٢٩
٢٠ ٪	٧٠٣	٧٤٩	٦٤٥	٦٧٢

احتكارات النفط الاستعمارية ، وان هذه الثروة لها قوة حاسمة في غضون السنوات القليلة القادمة وحتى عام ١٩٨٥ على ابعد تقدير ، وبعد ذلك ستواجه منافسة شديدة من مصادر النفط في مناطق العالم الأخرى ، كما ستواجه منافسة قاتلة من مصادر الطاقة الأخرى .

#### العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفيتي والاقطار العربية

ان العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفيتي والاقطار العربية هي علاقات حديثة العهد نسبيا ، وهي علاقات ما زالت محدودة النطاق وصغيرة الحجم . وقد بدأت العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفيتي والاقطار العربية على صورة شحنات من النفط ومنتجاته لمصر بعد العدوان الثلاثي عليها عام ١٩٥٦ ، وذلك لمساعدتها على فك الحصار الاقتصادي الاستعماري عنها لأنها كانت تعتمد جزئيا على استيراد بعض منتجات النفط من مضافة عدن التابعة لشركة البترول البريطانية والتي تطلعت عن مصر . ثم تبلت هذه العلاقات في اعمال التنقيب عن النفط والغاز في مصر في واحة سيوه وفي دلتا نهر النيل والتي أدت الى اكتشاف الغاز في الدلتا . وفي الستينات اعتمدت سوريا اعتمادا كبيرا على الخبراء السوفيت في التنقيب عن النفط

ان ما ينبىء به هذا الجدول هو هام جدا اذا علمنا ان لدى الولايات المتحدة وكندا من سجيل النار هذا ومن الرمال الاسفلتية احتياطي هائل يعطي من النفط اضعاف الاحتياطي العالمي الثابت من النفط المعروف لدينا الان وسجيل النار الامريكى البني وحده يعطي حسبما صرح به الرئيس الامريكى نيكسون في تموز ١٩٧١ اكثر من ٦٠٠ مليار برميل من النفط اي ما يعادل اجمالي الاحتياطي العالمي الثابت من النفط المعروف حاليا (٣٨) . أضف الى ذلك كله ان انتاج الفحم الحجري في أوروبا الغربية عاد الان فاصبح مجديا من الناحية الاقتصادية بعد ان كانت الحكومات تضطر الى تقديم الامانات لشركات مناجم الفحم لضمان استمرار استخراجها قبل ارتفاع اسعار النفط مؤخرا .

ان المعطيات السالفة الذكر التي تمنح ثروة النفط العربي في اطار الزمن المتحرك وفي منظور الظروف المستجدة على واقع مصادر الطاقة في العالم تشير الى :

اولا : ان الوطن العربي ليس من مناطق العالم الغنية بمصادر الطاقة بصورة عامة .

ثانيا : ان ثروة النفط العربي ليست هائلة بالقدر الذي صورته الحملة الاعلامية التي فبركتها

من حقل الرميطة الشمالي بعد ان تم مد خط للانابيب يصله ببناء البصرة وذلك بطاقة انتاج اولية مقدارها خمسة ملايين طن سنويا اي بمعدل ١٠٠ الف برميل/اليوم . وكان حرص رئيس الوزراء السوفيتي كوسيفين على حضور حفل التدشين ذاك ذا مغزى كبير مثلما كانت كلمات خطابه في تلك المناسبة والتي دعا فيها السدول العربية الى تحرير ثروتها النفطية من سيطرة الاحتكارات الاستعمارية والى استعادتها الى حظيرة السيادة الوطنية . وفي شهر نيسان ١٩٧٤ دشنت الانتاج من المرحلة الثانية من مراحل حقل الرميطة الشمالي والتي ارتفع انتاج الحقل بمقتضاها الى ١٨ مليون طن في السنة وذلك بمعونة سوفيتية قيمتها اكثر من ١٢ مليون دينار عراقي . وقيل نهاية عام ١٩٧٥ من المقرر ان يدشن الانتاج من المرحلة الثالثة من مراحل استغلال حقل الرميطة الشمالي حيث سيرتفع انتاجه الى ٤٠ مليون طن في السنة اي بمعدل ٨٠٠ الف برميل/اليوم . وكالمعادة ، علا صراخ الاحتكارات النفطية الاستعمارية وابواقها في الاوساط العربية جنبا الى جنب مع الدوائر الصهيونية بان الاتحاد السوفيتي قد وضع يده على حقل ثمين للنفط الى اخر هذه المعزومة . بيد ان المعطيات الاحصائية المستمدة من منشورات الاحتكارات النفطية ذاتها تظهر ان الاتحاد السوفيتي لم يأخذ من انتاج حقل الرميطة الشمالي في عام ١٩٧٣ والبالغ ١٠٠ الف برميل/اليوم سوى ما معدله اربعة الاف برميل /اليوم(٣٩) هي تسديد للقرض الذي منحه للعراق لهذا الغرض ولتسديد ثمن المنشآت والمعدات واللوازم والخبرة الفنية التي قدمها لتطوير هذا الحقل النفطي الهام الذي حرمت الدوائر الاستعمارية العراق من انتاجه اكثر من عشر سنوات . وحيث ان الاتحاد السوفيتي هو دولة مصدرة للنفط فانه يبيع ما يحصل عليه من نفط حقل الرميطة الشمالي الى شركات يابانية منها شركة اديميتسو .

ان سر تعطيل شركة نفط العراق لجهود الحكومات العراقية المتعاقبة لاستغلال حقل الرميطة الشمالي هو ، بالاضافة الى تعطيل الارادة الوطنية لدى هذه الحكومات ، اتاحة الفرصة

تنفيذا لعزمها على ان تستغل ثروتها النفطية استغلالا وطنيا بصورة كلية ، وان لا تسمح للشركات الاحتكارية بالتملص في اقتصاد البلاد عن طريق الجيب النفطي ، وساعد السوفييت سوريا على انتاج النفط من حقول السويداء وغيرها وفي بناء خطوط للانابيب الى ميناء طرطوس لتصدير النفط ، وكذلك في تزويدها بمعظم المنشآت والمعدات التي احتاجتها لانتاج نفطها .

كذلك اعتدت الجزائر على خبراء النفط السوفييت الى حد بعيد في جهودها المتواصلة لبناء شركة النفط الوطنية الجزائرية « سوناطراك » ومن أجل استعادة السيادة الوطنية الجزائرية على ثروة البلاد من النفط والغاز وتحريرها من سيطرة شركات النفط الاستعمارية . بيد ان اهم عملية نفطية ساهم فيها الاتحاد السوفيتي حتى الان في الاقطار العربية هي مساعدة العراق على استغلال حقل الرميطة الشمالي الغزير بالنفط .

وواقع الامر ان قصة استغلال هذا الحقل هي نفسها قصة صراع الحكم الوطني في العراق لاستعادة السيادة الوطنية على ثروة البلاد النفطية . ففي عام ١٩٦٠ اصدر عبد الكريم قاسم « القانون رقم ٨٠ » الشهير والذي نزع بوجبه من شركة نفط العراق جميع مناطق امتيازها - وهي مساحة العراق بأكمله - فيها عدا الاراضي التي لها فيها حقول منتجة فعلا . وكان من المعروف ، حينئذ ان حقل الرميطة الشمالي غني جدا بالنفط ، ولذلك أسست حكومة عبد الكريم قاسم شركة النفط الوطنية العراقية لتتولى استغلال حقل الرميطة الشمالي وبقية الحقول المنتزعة من شركة نفط العراق ، ولكن جهود شركة النفط الوطنية العراقية هذه تعثرت اثر الاطاحة بحكم عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣ . وظلت شركة نفط العراق تعطل كل جهد وطني لاستغلال حقل الرميطة الشمالي طموح العهود السياسية التي تبديلت على العراق بعدئذ الى ان كان عام ١٩٦٩ حيث تم الاتفاق بين السلطات العراقية والاتحاد السوفيتي على ان يساعد الاتحاد السوفيتي العراق في استغلال هذا الحقل الهام . ولهذا الغرض قدم الاتحاد السوفيتي للعراق قرضا قيمته ٦٣ مليون دولار على هيئة معدات ومنشآت ولوازم بالاضافة الى الخبراء والفنيين ، وفي ربيع عام ١٩٧٢ تم تدشين الانتاج

الامريكية والتي أممت حصتها أيضا فيما بعد . ومن المعروف ان شركة البترول البريطانية فرضت حصارا قسائيا على تصدير النفط الليبي المستخرج من حقل سرير المذكور بحجة انها لم تتلق تمويضا عنه . وقد نتج عن هذا الحصار القسائي صعوبة شديدة في تصريف انتاج حقل سرير المذكور في الاسواق الغربية ، ومن هنا تبرز أهمية مبادرة الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية الى شرائه . وبطبيعة الحال ، فان الاتحاد السوفييتي في هذه الحالة يعاود تصدير ما يشتره من نـفـط اما الى الدول الاشتراكية الاخرى او الى الدول الرأسمالية الغربية او الى غيرها .

وتدرج ادناه جدولا يبين مجموع ما استوردته دول الكتلة الاشتراكية ، بما فيها الاتحاد السوفييتي ، من نـفـط من اقطار العالم الخارجي خلال العامين الماضيين ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ، حيث يظهر ان الاقتصاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية لا تستورد النفط سوى من الاقطار الغربية وايران .

شركة نفط الكويت التي تملك شركة البترول البريطانية نصف اسهمها لكي تطور حقل الروضتين في شمال الكويت ، وهذا الحقل هو في واقع الامر امتداد جيولوجي لحقل الرملة الشمالي . وهذا ما تم بالفعل ، إذ أصبحت شركة نفط الكويت تنتج من حقل الروضتين اكثر من نصف انتاجها الكلي .

وفي عام ١٩٧٢ ، نشأت علاقات نفطية بين الاتحاد السوفييتي وليبيا وذلك بعد ان أممت ليبيا ممتلكات شركة البترول البريطانية ردا على تواطؤ بريطانيا مع ايران في احتلالها للجزر الثلاث في الخليج ( ابو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى ) . وتشير المعطيات المتوفرة ان ليبيا صدرت للمنظومة الاشتراكية في عام ١٩٧٢ ما معدله ١٧ الف برميل/اليوم من النفط بينما صدرت اليها في العام ١٩٧٣ ما معدله ٧٧ الف برميل/اليوم (٤) . وان جل هذا النفط ، ان لم يكن كله ، هو من انتاج حقل سرير الذي كانت تملكه منافسة شركة البترول البريطانية وشركة بنكر هنت

### تقدير النفط الخام المحلوب الى الكتلة الاشتراكية في ١٩٧٢ - ١٩٧٣

(بالآلاف البراميل في اليوم) (٤)

١٩٧٣				١٩٧٢			المصدر
المجموع	الى الجبر	الى الاتحاد السوفييتي	الى رومانيا	الى بلغاريا	الى ألمانيا الديمقراطية	المجموع	
١٤٦	—	٢	١٨	٦٣	٣١	١٠٠	شمالى العراق
٦٨ *	٢١	٥	—	١٢	٢٨	—	جنوبى العراق
٧٧	—	٢٥	٢٦	١٦	—	١٧	ليبيا
٥١	—	—	٢٢	٤	٢٥	٧٦	ايران
٤	—	١	—	٨	—	١٨	سوريا
٦	—	١	—	٣	٢	٢٤	مصر
ضئيلة	—	—	ضئيلة	—	—	٨	الجزائر
٢٥٧	٢١	٤٦	٦٦	١٢٧	٨٦	٢٤٣	المجموع

\* منها الف برميل في اليوم الى تشيكوسلوفاكيا .

الاستعمارية التي كانت مسيطرة عليها . وحيث ان الشركات النفطية الاستعمارية الرئيسية السبع التي تشكل الكارتيل النفطي العالمي ما زالت تسيطر على نحو ٧٥ ٪ من الاسواق ومانفذ التوزيع في العالم الرأسمالي فانها تضع عقبات كثيرة أمام تصريف النفط المؤم في الاسواق . وهذا ، إلى حد ما ، هو السبب الذي حدا بايران الى التوجه لفتح اسواق لنفطها في دول الكتلة الاشتراكية . ففي عام ١٩٧٠ طلبت الحكومة الايرانية من شركات الكونسورتيوم النفطي العاملة في ايران ان تعطى جزءا من نصيبها من النفط المنتج عينا لا نقدا ، فاستجابت شركات الكونسورتيوم لطلبها ذلك على مضض ، ولكنها اشترطت الا تقوم ايران بتسويق ذلك النفط الذي تأخذه كجزء من حصتها في الاسواق التي يعمل فيها الكونسورتيوم ، وهي عمليا جميع أسواق العالم الرأسمالي لانه تتمثل في الكونسورتيوم جميع شركات النفط الرئيسية السبع . ونتيجة لذلك توجهت ايران الى اسواق الدول الاشتراكية ، وبوجه خاص المانيا الديمقراطية ورومانيا ، وعقدت معها اتفاقيات مقايضة النفط بالالات والمعدات واللوازم وهو الطراز السائد في معاملات التبادل التجاري بين الاقطار الاشتراكية فيما بينها او بينها وبين الاقطار الأخرى .

ان مستوردات الاتحاد السوفييتي من النفط في عام ١٩٧٣ كانت بمعدل ٤٦ الف برميل في اليوم أي ما يساوي حوالي ٢٤٥٥ مليون طن في السنة نحو خمسها من العراق ( ٩٠٠٠ برميل/اليوم ) والباقي من ليبيا . ويبدو ان الاتحاد السوفييتي مقبل على تعاون اوسع مع ليبيا في الميادين النفطية وذلك في ضوء اتفاق التعاون الاقتصادي والفني الذي وقع بين الاتحاد السوفييتي وليبيا اثناء زيارة رئيس الوزراء الليبي عبد السلام جلود لموسكو في شهر ايار ( مايو ) الماضي . « وقد ذكرت مصادر رسمية في ليبيا ان الاتفاق المذكور الذي لم تدع تفاصيله بعد سيقوي تعاون البلدين في مجال البحث عن الثروات المعدنية وفي تطوير صناعة الحديد والصلب والطاقة والموانئ والمنازل والتعليم والمياه والغاز الطبيعي . وذكرت هذه المصادر أيضا ان الوفد السوفييتي قد تعهد بدراسة اقتراح لبني يقضي بأن يقوم السوفييت ببناء مصفاة النفط في ليبيا(٤١) .

ويظهر الجدول ان الاقطار العربية تكاد تكون هي المصدر الوحيد لمستوردات الكتلة الاشتراكية من النفط فيما عدا ايران التي تضاهت حصتها بنسبة ملموسة في غضون عام واحد . ففي عام ١٩٧٢ بلغت حصة ايران من اجمالي النفط الذي استوردته الكتلة الاشتراكية حوالي ٣٠ ٪ ولكنها انخفضت في عام ١٩٧٣ الى حوالي ١٤ ٪ فقط ، وذلك نتيجة لانخفاض صادرات ايران مما معدله ٧٦ الف برميل/اليوم الى ٥١ الف برميل /اليوم من جهة ، ونتيجة زيادة مستوردات الكتلة الاشتراكية من الاقطار العربية مما معدله ١٦٧ الف برميل في اليوم الى ٣٠٦ الاف برميل في اليوم اي ما يزيد قليلا عن ١٥ مليون طن في السنة . ويظهر الجدول اعلاه كذلك ان بلغاريا وحدها استوردت عام ١٩٧٣ قرابة ٤٠ ٪ من مجموع ما استوردته الكتلة الاشتراكية من النفط ، وهذا أمر مفهوم نظرا لان بلغاريا هي افقر الاقطار الاشتراكية بمصادر الطاقة ، فهي لا تنتج الى النفط والغاز فحسب ، بل تنتج أيضا الى الفحم الحجري . ولذلك من المتوقع ان تزداد مستوردات بلغاريا من النفط العربي في غضون السنوات القليلة القادمة ، كما يتوقع بالتالي ان تزداد صلاتها التجارية والاقتصادية مع بعض الاقطار النفطية ولا سيما العراق . ان رومانيا هي ثالث دولة في المنظومة الاشتراكية من حيث حجم مستورداتها النفطية من الاقطار العربية وايران كما انها تستورد كميات كبيرة نسبيا من النفط من الاتحاد السوفييتي رغم انها الوحيدة من بين اقطار أوروبا الشرقية الاشتراكية التي تنتج كمية كبيرة من النفط ( زهاء ١٣ مليون طن في السنة ) . وسر ذلك انها طورت لديها صناعة بتروكيميائية فتعيد بالتالي تصدير النفط الخام الذي تستورده على هيئة منتجات نفطية وبتروكيميائية . ويلاحظ من جهة أخرى ، ان العراق هو في طليعة الاقطار العربية التي تستورد الكتلة الاشتراكية منها النفط ، وبلغت حصته من تلك المستوردات في عام ١٩٧٢ نحو ٤١ ٪ ثم ارتفعت الى حوالي ٦٠ ٪ عام ١٩٧٣ ، ويعزى ذلك الى تأميم العراق للقطر الاعظم من انتاجه النفطي في عام ١٩٧٢ مما فتح امامه آفاق التصرف بثروته النفطية بحرية بعدد أن كان توزيعها حكرا على شركات الاحتكارات النفطية

بالتالي تدخل في باب المساعدات والقروض والمعونات ويجزي التسديد وفق اصول المقايضة ، فكثر من الاقطار العربية مثل مصر او سوريا لا يتوفر لديها غائض من العملات الصعبة ، ولذلك فهي تسدد قيمة ما حصلت عليه مما يتوفر لديها من منتوجات او محاصيل يتفق عليها الطرفان . واذا اخذنا حالة تطوير حقل الرميلة الشمالي في العسراق كمثال لموس نجد ان هذا الحقل النفطي الغزير والهام ظل معطلا بسبب الضغوط الاستعمارية ، وكان دور الاتحاد السوفييتي هو دور الممول لعلية تطوير الحقل وقدم المنشآت والمعدات واللوازم والخبرة الفنية في وقت كان فيه العراق يعساني من ضيق مالي وحصار استعماري ، وجرى الاتفاق على ان يسدد العراق ثمن هذا كله على اقساط سنوية بصورة شحنات نفط خام من انتاج هذا الحقل ذاته بسعر السوق الحرة ، وان مثل هذا الاتفاق الذي جرى في عام ١٩٦٦ عندما كان يتوفر في الاسواق العالمية فائض كبير من النفط يعتبر مساعدة للعراق على تسويق جزء من نفط هذا الحقل في وقت لم يكن هنالك فيه طلب شديد على النفط حسبما تطور اليه الحال عقب حرب اكتوبر ، وفي وقت كانت الاحتكارات النفطية الدولية تسيطر فيه على اسواق تصريف النفط سيطرة شبه تامة . اضافة الى ذلك ، ان تقدير اثمان النفط والمعدات يتم حسب اسعار السوق العالمية الحرة ، ولذلك عندما ارتفعت اسعار النفط عقب حرب اكتوبر طالب العراق برفع سعر النفط الذي يشحنه الاتحاد السوفييتي من حقل الرميلة الشمالي فتم ذلك حسب السعر الجديد للنفط في السوق العالمية الحرة ، وهذا ما جرى كذلك مع ايران حيث زود الاتحاد السوفييتي ايران بانشاءات صناعية ضخمة من بينها مجمع ضخ لالحديد والصلب في اصفهان تعادل قيمته ٦٠٠ مليون دولار ، وتضمن الاتفاق الذي عقد عام ١٩٦٦ ان يتم مد خط انابيب ضخيم لنقل الغاز الطبيعي الايراني الى جمهوريات اميا الوسطى السوفيتية يسدد منه ثمن هذه المنشآت السوفيتية المقدمة لايران . ويومئذ لم يكن هنالك طلب عالمي كبير على الغاز الطبيعي لا سيما من مناطق بعيدة نسبيا عن اسواقه الطبيعية في اوروبا الغربية كايران ( الجزائر اقرب مسافة ) ، ولذلك حدد سعر

نخلص من كل ما تقدم الى جملة من النتائج والاستنتاجات :

اولا : ان العلاقات النفطية بين الاقطار العربية والاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية الاخرى هي علاقات محدودة نوعا وحجما .

ثانيا : ان هذه العلاقات النفطية هي في نمو وازدياد تدريجي ، وان يكن بطيئا ، منذ اواسط الخمسينات .

ثالثا : بعد استقراء المعطيات المتوفرة عن هذه العلاقات النفطية يتبين ان النمط العام للعلاقات النفطية بين الاتحاد السوفييتي والاقطار العربية هو انها جزء من مجمل علاقات التعاون التي قادت خلال السنين الماضية بين الاتحاد السوفييتي وبعض الاقطار العربية في ميادين شتى .

رابعا : ان الاتجاه العام لنشوء العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفييتي والاقطار العربية هو ان هذه الاقطار العربية تطلب من الاتحاد السوفييتي مساعدتها او تقديم المعون لها في هذا الحقل النفطي او ذاك سواء في ميدان التقيب او تقديم مرافق ومنشآت الانتاج او الخبراء والخبرة التكنولوجية او مد انابيب . ويسدد ثمن هذه المنشآت او المعدات واللوازم او الخدمات بصور شتى انما في غالب الاحيان اما عينا من انتاج حقول النفط المستقلة او مقايضة بسلع او معدات او محاصيل اخرى . فالعراق يدفع نفطا خاما ومصر قطنيا وسوريا قمحا الخ ... ولم نسمع مرة ان الاتحاد السوفييتي سعى بطبع او بضغط من اي نوع للقيام بمهمة او الفوز بعقد نفطي مع اي قطر عربي او غيره للفرز بمغانم مادية معينة .

خامسا : باستقراء انواع العلاقات النفطية القائمة بين الاتحاد السوفييتي والاقطار العربية يتعدى على المرء ان يرى او يلمس ما يمكن ان يدخل في باب استغلال الدول الكبرى للشعوب المستضعفة او المتخلفة . فالاتفاقات تتم وفق اصول التعامل الاقتصادي والتجاري المتعارف عليها بين الشعوب الحرة على قدم المساواة وبشروط هي في مجملها لصالح الاقطار العربية . فتقدير اسعار المواد يتم على اساس اسعار السوق الحرة . وتسديد قيمة ما يقدمه الاتحاد السوفييتي من معدات ولوازم الخ يتم بعد مضي زمن يتفق عليه بفائدة ضئيلة فهي

واللوازم والمنشآت النفطية وكذلك الخبرة الفنية ليصدرها الى الاقطار الاخرى لاسباب اقتصادية وتجارية بحتة ، ولذلك فهو عندما يقدم المعدات واللوازم والخبراء النفطيين لتطوير حقل شمال الرميطة في العراق ، فهذا تدبير سياسي ، وهو يقدم هذه المساعدات والمعونات لتحقيق اهداف وغايات سياسية وليس من اجل المنافع والمكاسب الاقتصادية . وهذا كذلك ما ينطبق على الكميات الكبيرة من النفط التي يبيعها الاتحاد السوفييتي لحلفائه في منظمة المعونة الاقتصادية المتبادلة « الكوميكون » ، ففي حين يبيع الاتحاد السوفييتي نفطه حالياً لاقطار أوروبا الغربية بأسعار عالية تصل الى ١٥ دولاراً للبرميل فانه ما زال يبيع دول الكوميكون معظم حاجتها من النفط بسعر النفط القديم الذي كان سارياً قبل عام ١٩٧٠ وهو دولاران للبرميل وسيظل يبيعها هذه الكميات الهائلة من النفط بهذا السعر حتى بداية العام ١٩٧٦ حين تنتهي الخطة الخمسية الراهنة لدول الكوميكون وتبدأ الخطة الخمسية الجديدة في جميع دول الكوميكون بما فيها الاتحاد السوفييتي ، فتوضع عندئذ أسعار جديدة لجميع المواد والسلع المتبادلة بين اقطار الكوميكون ، وهذا التدبير لاحتساب الاسعار هو المعمول به في دول الكوميكون والتمزم به الاتحاد السوفييتي رغم ارتفاع اسعار النفط الخام منذ عام ١٩٧٠ وهي السنة التي بدأت فيها الخطة الخمسية ، نحو ستة اضعاف او يزيد. هذا في حين ان الاتحاد السوفييتي قد رفع اسعار مشترياته من النفط العراقي والغاز الإيراني بحيث تجاري الاسعار السائدة في السوق العالمية . وقد أوردت وكالة الانباء الفرنسية نبأ من موسكو بأن « الاتحاد السوفييتي قد حدد نسبة زيادة مبيعاته من النفط الخام والمنتجات الى الاقطار الرأسمالية في العام ١٩٧٢ بنسبة ٦٪ وذلك حتى يتمكن من زيادة شحناته الى الدول الاشتراكية بنسبة ١٢٪ ، وهكذا فان الزيادة في شحنات النفط السوفييتي الى الاقطار الرأسمالية في أوروبا بلغت ١٤٦ مليون طن فقط في مدة ثلاث سنوات مقابل ١٢٤٨ مليون طن للدول الاضواء في الكوميكون . ويرى الخبراء الغربيون ان الاتحاد السوفييتي لن يزيد مبيعاته من النفط الى الدول الرأسمالية في السنوات القادمة . . . بالاضافة الى

الغاز الإيراني للاتحاد السوفييتي على اساس ١٨ سنت امريكي للالف قدم مكعب . ولكن عندما ارتفع سعر النفط عقب حرب أكتوبر طالب الإيرانيون برفع سعر الغاز الذي يبيعونه للاتحاد السوفييتي ، وتم الاتفاق على رفع السعر الى ٢٠،٥ سنت للالف قدم مكعب . وفي شهر تموز الماضي طالب الإيرانيون من جديد بمضاعفة سعر الغاز فاعترض السوفييت على هذه الزيادة الكبيرة ، ولكن الإيرانيين اعلنوا من جانبهم ان سعر غازهم الطبيعي المشحون للاتحاد السوفييتي ابتداء من مطلع العام ١٩٧٥ سيكون ٦٠ سنتاً للالف قدم مكعب ، اي ضعف السعر السابق واكثر من ٣٣٠٪ من السعر الاصلي المتفق عليه ، وهذا يفسر اسباب اعتراض الجانب السوفييتي الذي لم يعد الغاز الإيراني مناسباً بالنسبة اليه لانه أصبح يكلفه اكثر من تكلفة انتاج الغاز من سيبيريا التي هي اصخم خزان للغاز الطبيعي في العالم .

وهناك جانب آخر للامر ، ان الاتحاد السوفييتي يعاني من نقص نسبي في المعدات واللوازم الضرورية لتطوير ثروات سيبيريا من النفط والغاز الطبيعي والمعادن ، وهذا ما بدأ مما كتبه في. دي. شاشن وزير صناعة النفط السوفييتي في مجلة « نفتيانوي جوزيستفو » من ان معدل اكتشافات النفط في السنوات الاخيرة كان أدنى من المتطلبات ، وانتقد على وجه التحديد وزارة الجيولوجيا على جهودها التنقيبية غير الكافية في المناطق التي لم يجر تطويرها والتي تبشر بالعطاء(٤٢). كذلك يظهر النقص في معدات ووسائل انتاج النفط في الاتحاد السوفييتي من تصير وزارة الانشاءات المتعلقة بصناعة النفط والغاز - التي انشئت خصيصاً للتغلب على الاختلالات في اوضاع الامدادات - عن الوفاء باهداف الانتاج المقررة لها في العام الماضي حيث لم تنتج سوى ٩٦٪ من الاهداف المقررة ، فلم يرتفع انتاج معدات صناعة النفط سوى بنسبة ١٪ تقريبا ، اما انتاج معدات الصناعة الكيميائية وقطع الغيار فارتفع بنسبة ١٢٪ ، ولكن هذه الزيادة ظلت هي ايضا دون الهدف المقرر(٤٣).

نستخلص من كل ما تقدم ان الاتحاد السوفييتي ليس لديه غنائم عن حاجته الكبيرة من المعدات

سنويا كمصدر للعمليات الصعبة ولسد الاختلال في ميزانه التجاري مع الدول الغربية ، وهو اختلال مرشح للزيادة في ضوء ازدياد احتياجات الاقتصاد النفويي من المستوردات من اقطار الغرب الرأسمالية ، لا سيما وأنه الان على اعتبار الولوج الى مرحلة مجتمع الاستهلاك والرغابية . واذا أخذنا بنظر الاعتبار مقر اقطار أوروبا الشرقية الاشتراكية النسبي بمصادر الطاقة عموما ، وحالة الاملاق النفوي التي تعاني منها ، وفي الوقت ذاته تزايد احتياجاتها من الطاقة في ضوء النمو السريع لاقتصادها وفق برامج التنويع الاقتصادية والاجتماعية الطموحة التي تطبقها حاليا بعد أن اجتازت عقباتها السياسية الماضية . واذا علمنا بأن كميات النفط التي صدرها الاتحاد النفويي لهذه الاقطار قد ارتفعت من ٢٢ مليون طن عمام ١٩٦٨ الى أكثر من ٥٠ مليون طن عام ١٩٧٣ (٤٦).

كذلك اذا أخذنا في الاعتبار ان احتياجات هذه الاقطار الاشتراكية من النفط يقدر انها ستبلغ عام ١٩٨٠ حوالي ١٧٠ مليون طن من النفط (٤٧)، فان هنالك ما يحمل على الاعتقاد على امكانية اتجاه اقطار أوروبا الشرقية الاشتراكية الى زيادة تبادلها الاقتصادي وتوسيعه مع الاقطار العربية النفطية للحصول منها على شيء من احتياجاتها النفطية. بيد ان التقارير التي تشير الى ان الاتحاد النفويي قد أبلغ حليفاته تلك بأنه لن يستطيع أن يزودها في العام ١٩٨٠ بأكثر مما مجموعه ١٠٠ مليون طن من النفط في العام بينما تشير التقديرات الى ان احتياجاتها تستصل الى ١٧٠ مليون طن في العام (٤٨) تبدو غير دقيقة ومبينة على التقديرات السابقة للتطورات التي طرأت في ميدان الطاقة في أعقاب حرب أكتوبر .

فليس سرا ان العالم بأكمله ، ولا سيما الاقطار الصناعية المتطورة ، يمر الآن بمرحلة مخاض عسر في ميدان الطاقة من حيث بداية التخلي عن النفط كمصدر أول للطاقة واستبداله تدريجيا بمصادر بديلة متوفرة كالفحم والغاز والطاقة الكهربائية والنوية الخ . . . وذلك الى ان يتم استنباط مصادر جديدة للطاقة . وبناء عليه فان اقطار أوروبا الشرقية الاشتراكية ستعاود الاهتمام بتطوير ما لديها من مصادر الفحم الحجري مثلا وصنع النفط منه وهي عملية كانت رائجة في المائيس

ان ارتفاع الاستعار العالمية للنفط ستتيح للسوفييت الحصول على ما يتراوح بين ضعفي وثلاثة أضعاف العملات الصعبة التي كانوا يحصلون عليها عن طريق تصدير كميات مماثلة ، ولكن يحتل ان يواصل السوفييت زيادة شحناتهم من النفط الى حلفائهم في منظمة الكوميكون (٤٤).

سادسا : ان جميع المعطيات الموضوعية المتوفرة تشير الى أن الاقتصاد النفويي ليس بحاجة الى أية امدادات من النفط من خسارج أراضيه سواء من الاقطار العربية او غيرها ، كما لن يكون بحاجة لمل هذه الامدادات في المستقبل المنظور ، ولذلك فان وضعه النفوي يختلف جذريا عن وضع الولايات المتحدة الامريكية او اقطار أوروبا الغربية . بيد أن دوائر عديدة ، ولا سيما الدوائر الاستعمارية ، روجت انباء مفادها ان هنالك خلافا بين الاتحاد النفويي وحليفاته من دول الكوميكون حول اعتمادها عليه بصورة شبه كلية في تزويدها بالنفط وأنه يحث هذه الدول على التوجه نحو الاقطار العربية للحصول على شطر من امداداتها النفطية منها . ان ما اورده وكالة الانباء الفرنسية من موسكو واقتطفناه سابقا بشأن زيادة الاتحاد النفويي لشحناته من النفط الى الدول الاشتراكية بنسبة ١٢ ٪ في عام ١٩٧٣ وتقليله زيادة صادراته النفطية الى دول أوروبا الرأسمالية يدهش هذه المزايم والأقوال ( انظر الهامش السابق رقم ٤٤ ) . بيد أننا لا نؤيد اعتمادها واستقاطها كلها . فمن المعروف أن صادرات الاتحاد النفويي من النفط كانت دائما تجلب له زهاء ٣٠ ٪ من عائداته من العملات الصعبة سنويا ، وارتفعت قيمتها مؤخرا نتيجة ارتفاع اسعار النفط نحو أربعة أضعاف ما كانت عليه ويقدر أن تبلغ عائدات الاتحاد النفويي من بيع نحو ٥٠ مليون طن من النفط الى اقطار أوروبا الرأسمالية وغيرها خارج الكتلة الاشتراكية العام ١٩٧٤ ما يتراوح بين ٢٨ الى ٢٨ مليار دولار مقابل حوالي ٨٠٠ الى ٩٠٠ مليون دولار في العام ١٩٧٣ . علما بأن اجمالي قيمة مستوردات الاتحاد النفويي السنوية من الدول الغربية تعادل ٢٨ مليار دولار (٤٥) . ولا ريب ان الاتحاد النفويي سيطر الان وفي المستقبل حريصا على تصدير هذه الكمية ( ٥٠ مليون طن ) من النفط

يظهر مدى الأهمية الفائقة التي احتلتها منطلقتنا في الاستراتيجية السياسية السوفيتية الكونية العامة حيث بدأ وكان التضحية بهذه المنطقة من العالم لصالح قوى-الامبريالية-العالية-هو في كفة معادلة للتضحية بسلم العالم أجمع وان تأمين تحرر هذه المنطقة من سيطرة الامبريالية هو صنو للسلم العالمي . ولا ريب ان المنطقة العربية كانت طوال العتدين الماضيين في غثة مناطق العالم التي تحظى بالاولوية في الاستراتيجية السياسية السوفيتية الكونية ان لم نقل انها كانت تحظى بأولوية خاصة . وفي هذه المنطقة من العالم موقع استراتيجي هو الأهم وخطوط مواصلات دولية هي الأشد حيوية وثروة نفطية هي الأغزر مثلما فيها سيطرة امبريالية هي الأشرس وغزو صهيوني هو الإبتسح .

ويبينا بالدرجة الاولى ، في هذا السياق ، تبين ماهية الدور الذي لعبه توغر الثروة النفطية الغزيرة في المنطقة العربية في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفيتية تجاه هذه المنطقة من العالم ودرجة الاولوية التي حظيت بها ، كذلك طبيعة التأثير المباشر او غير المباشر الذي تتفعله ثروة النفط العربي في صياغة وتحديد الموقف السوفيتي من النزاع العربي - الاسرائيلي ...

بالنسبة للمنطقة الاولى ، فقد رأينا فيما تقدم من هذه الدراسة أن المعطيات الموضوعية المتوفرة عن أوضاع الطاقة في الاتحاد السوفيتي تشير الى أن الاملاق النفطية هو ليس بين الاعتبارات التي تحكم السياسة السوفيتية تجاه المنطقة ، كما ان احتمال احتياج دول أوروبا الشرقية الاشتراكية لكميات من النفط العربي قد تبلغ في حدودها القصوى ٥٠ مليون طن في السنة انها هو ناتج عن رغبة الاتحاد السوفيتي في المحافظة على مصادراته النفطية الى دول الغرب الرأسمالية في حدودها الحالية على أقل تقدير ( حوالي ٥٠ مليون طن في السنة ) استدرارا للعملة الصعبة ولسد العجز في ميزانه التجاري مع الاقطار الرأسمالية الغربية . وبناء عليه فان الوضع النفطي الصافي للاتحاد السوفيتي وحليفاته دول أوروبا الشرقية الاشتراكية ، اذا ما أخذت كتلة واحدة ، هو وضع الاستكفاء الخالص دون فائض أو عجز ، وهذا ما يكاد أن يحيد الحاجة الى الامدادات النفطية العربية كعامل مؤثر بصورة مباشرة في صياغة الاستراتيجية السياسية

الديموقراطية وبولنده في الخمسينات قبل ان يتوفر النفط الرخيص نسبيا في الستينات . كما ان شبكات أنابيب نقل غاز سيبيريا السوفيتي الى هذه الاقطار ستكون وتزيد بحيث ان احتياجاتها من النفط عام ١٩٨٠ ستكون أقل بنسبة ملموسة من التقديرات السابقة التي حسبت على أساس أوضاع الطاقة في العالم قبل ثورة أسعار النفط الاخيرة .

بيد ان هذا كله لا يعني بأن أقطار أوروبا الشرقية الاشتراكية لن تكون خلال السنوات القادمة بحاجة الى زيادة مستورداتها من النفط العربي بصورة ملموسة ، وهذا ما يؤديه ارتفاع مستوردات الكتلة الاشتراكية من النفط مما معدله ٢٤٢ الف برميل في اليوم عام ١٩٧٢ الى ٣٥٧ الف برميل في اليوم عام ١٩٧٣ (٤٩) . وأغلب الاحتمال ان ترتفع هذه المستوردات بحلول عام ١٩٨٠ ، الى ما معدله مليون برميل في اليوم ( ٥٠ مليون طن في السنة ) لتثبت عند هذا الحد زما قبل أن تأخذ في التناقص بعد عام ١٩٨٥ عندما تكون بدائل النفط كمصدر للطاقة قد نضجت .

### مكانة النفط العربي في الاستراتيجية السياسية السوفيتية تجاه المنطقة العربية

من المعروف ان الاستراتيجية السياسية السوفيتية كانت دائما تحكها اعتبارات عقائدية ، بيد انه في نهاية الحرب العالمية الثانية فجر الامريكيون سلاحهم النووي الفتاك في هيروشيما وناغازاكي ثم ما لبث السوفيت ان أجروا أولى تجاربهم النووية ، وبذلك أصبح العالم منذ مطلع الخمسينات محكوما بنذر الرعب النووي في أجواء الحرب الباردة الرهيبة ، وبالتالي أصبحت مهمة تخفيف حدة التوتر الدولي هي في قمة اولويات السياسة الخارجية السوفيتية . وغدا يتحكم بصياغة الاستراتيجية السياسية السوفيتية الكونية هذان الاعتباران الأساسيان ، وبدا كان هذه الاستراتيجية تتحرك بين شقي رحي متناقضين غاية التناقض . ولم يظهر هذا التناقض ، خلال العتدين المنصرمين ، بصورة بارزة نافرة كما ظهر في السياسة السوفيتية تجاه هذه المنطقة من العالم ، كما لم يبد هذان الاعتباران - العتائدي الهجوموي والسلمي الدفاعي - وكأنهما متوازيان غاية التوازي في مدى أهميتهما كما بدأ في هذه المنطقة من العالم في غضون العتدين الماضيين . وان هذا بحد ذاته

الوهن ويوقع الاقطار الرأسمالية في أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة ذاتها في عجز في موازين مدفوعاتها ويفجر غول التضخم ليستشري ويستنفذ داخل دورتها الاقتصادية. ويجعل الازمات التقليدية للنظام الرأسمالي من كساد. وبطالة. وركود اقتصادي فبطالة تتفاعل بحيث يزيد الاستقطاب الاجتماعي بين المستقلين والمستقلين داخل هذه المجتمعات مما يولد المناخ المناسب لنمو قوى التغيير الاجتماعي المنادية باسقاط نظام الرأسمالية والنهب الامبريالي وارساء قواعد النظام الاقتصادي والاجتماعي في البلاد على أسس العدالة الاجتماعية والملكية العامة لوسائل الانتاج . وهذا كله يفتح الباب على مصراحيه في هذه المجتمعات الرأسمالية ، التي هي قواعد الامبريالية العالمية ، لرياح التغيير والثورة وبالتالي اختلال الميزان العسكري والسياسي والاقتصادي بصورة حاسمة ضد مصلحة نظام رأس المال والامبريالية العالمية ولصالح قوى الشعوب والتحرر والتقدم .

هذا هو اذن ببساطة وتوضوح الدور الحقيقي لثروة النفط العربي في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفيتية تجاه هذه المنطقة من العالم . وهذا بعد ذاته يلقي أضواء على ماهية الاسباب التي جعلت مخطط الاستراتيجية السياسية تجاه هذه المنطقة من العالم لا يلح على حركة التحرر الوطني العربية بضرورة التطابق مع منطلقاته العقائدية بل تسامح في تحمل كثير من مظاهر التعارض مع هذه المنطلقات في بعض الاحيان . واكفى بالتالي في الاهداف والمنطلقات العريضة - مكانة الامبريالية وسيطرتها ، ضمن هذه الاهداف العريضة يكن الهدف المطلوب وهو تحرير ثروة النفط العربية من السيطرة الاحتكارية الامبريالية واستعادتها الى حظيرة السيادة الوطنية . وهذا بعد ذاته كاف ليطلق سلسلة لا حد لها من الازمات تتفاعل تدريجيا داخل مجموعة الانظمة الرأسمالية ويجعل بالتالي ميزان القوى العالمي يختل اختلالا كبيرا ضد مصالح قوى الامبريالية العالمية . ولذلك لم يكن هنالك شيء من الغرابة في أن نرى الاتحاد السوفيتي يدعم سياسيا موقف دول النفط العربية حين بادرت الى اتخاذ بعض الاجراءات المحدودة والجزئية ضد مصالح الاحتكارات النفطية الامبريالية آملًا من ذلك أن تتواصل الاجراءات والخطوات ،

السوفيتية تجاه منطلقتنا ، وان كان هذا لا يعني بأن النفط ليس عاملا فعلا في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفيتية تجاه منطلقتنا . ففي منطقة وضعها الاستراتيجي حساس كمنطلقتنا يستحيل ألا يكون لثروة استراتيجية بالغة الغنى والاهمية كثرة النفط العربي دور ووزن فعّال جدا في صياغة الاستراتيجية السوفيتية .

وإذا انتقلنا من العموميات الى الخصوصيات ومن النظري المجرد الى ما هو ملموس وعيني نجد أن ثروة النفط العربي هي عامل فعال جدا في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفيتية تجاه منطلقتنا ولكن ليس بالمعنى الذي تروجه الدوائر الاستعمارية والمهيونية ولا بالصورة التي تشيعها الاوساط الرجعية العربية وهي صورة الدب الروسي الشرس الذي يسيل لعابه شهوة للعق ثروة النفط العربي والتهاجم . بل ان الوضع الصحيح للمسألة هو ان ثروة النفط العربي الهائلة كانت خلال السنوات الطويلة الماضية وما زالت الى حد بعيد أضخم احتياطي من الثروة في جعبة قوى الامبريالية والمهيونية العالمية . ولا يمكن ان يغيب عن ناظري مخططي الاستراتيجية السياسية السوفيتية الدور الحاسم الذي تلعبه السيطرة الكلية للامبريالية العالمية على ثروة النفط العربي في معادلة موازين القوى على صعيد العالم اجمع ، ولذلك فان حرمان قوى الامبريالية العالمية من التمتع بهذا الاحتياطي الهائل من الثروة المادية والتبويضات الاستراتيجية يلعب دورا أمناسيا ، بل وحاسما ، في تغيير موازين القوى العالمية ضد مصلحة قوى الامبريالية العالمية ولصالح معسكر الشعوب بصورة عامة . لقد أظهرت التطورات النفطية العربية في أعقاب حرب ٦ تشرين ١٩٧٣ مدى اعتماد معسكر الامبريالية العالمية على ثروة النفط العربي ، كما أظهرت ان صحة مجمل النظام الرأسمالي العالمي تكاد أن تعتمد اعتمادا كبيرا على حقن الدماء المتوي الذي يلقاه من المنطقة العربية والتمثل بثروة النفط العربي - هذا الاحتياطي الهائل من الدماء الشافي لعلل وازمات نظام رأس المال والامبريالية العالمية . واستطرادا مع هذا المنطق ، ان حرمان الامبريالية العالمية وانظمة الرأسمالية العالمية من التمتع باحتياطي ثروة النفط العربي يضعفها اقتصاديا الى درجة

جبهة عريضة تواجه جبهة حلفاء قوى الصهيونية العالمية التي هي جزء لا ينفصم من قوى رأس المال والامبريالية العالمية .

وكلمة اخيرة هنا : ان من يريد موقفا سوفييتيا اشد حمزا في وجه الامبراليين والاعبيهم في منطقتنا عليه ان يساعدهم في التخلص من الحاجة الى اموال هؤلاء الامبراليين لاستغلال ثروات سيبيريا . وان من يريد ان يرى موقفا سوفييتيا اكثر تطابقا مع الموقف العربي الثوري والحق الفلسطيني في نزاعنا مع العدو الصهيوني وحلفائه الامبراليين عليه ان يظهر بصورة ملموسة للسوفييت انه يتحسس مشاكلهم في استغلال سيبيريا واعمارها بصورة مادية ملموسة مثلما يتوقع منهم ان يتحسسوا آلامنا ومشاكلنا . ولذلك اذا اردنا ان يكون لثروة النفط العربي دور اكثر ايجابية وفعالية في دعم موقفتنا وتقوية جبهتنا في نزاعنا مع الغازي الصهيوني وحلفائه الامبراليين علينا ان نوجه جزءا من اموال النفط العربي الفائضة عن حاجة مجتمعاتنا لمساعدة الاصدقاء السوفييت في تهر سيبيريا وترويضها واستخراج خيراتها ليحولوها من ارض عقيم الى ارض معطاء مثلما نطمح ان تعود لنا ارضنا يوما معطاء خيرة !! وبذلك تغدو الصداقة العربية - السوفييتية صداقة حقيقية متبادلة بين طرفين ، وليست صداقة من طرف واحد ، وبذلك ايضا يتم ارساء ائمنس مادية متينة لتحالف مصري وطيد يعيد المنطقة العربية الى قمة اولويات الاستراتيجية السوفييتية الكونية بعد ان تراجعت مكانتها بين هذه الاولويات في السنوات القليلة الماضية في ضوء النكسات والفشل النسبي الذي منيت به السياسة السوفييتية في منطقتنا . وبذلك ايضا تصبح ثروة النفط العربي في خدمة تضايانا القومية المصرية مثلما ينبغي ان تكون في خدمة تنمية مجتمعاتنا العربية في مسيرتها نحو مستقبل افضل .

بيد ان الارتباط الاستراتيجي الحيوي بين مصالح بعض الحكام ومصالح قوى الامبريالية العالمية جعل الطرفين سرعان ما يلتفتان حول تناقضاتهما الثابتة ويفضلان لجام الاحداث التي اُخذت تتسارع ، وهذا ما لم يخيب فقط آمال الجماهير العربية وحدها ، بل خيب ايضا آمال المساسة السوفييت مثلما خيب آمال جميع قوى التحرر في العالم المساندة لنضال الشعوب العربية وحركة تحررها الوطني .

ويمكن تلخيص الامر اذن بالقول : ان ثروة النفط العربي هي بكل تأكيد عامل هام مؤثر جدا في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفييتية تجاه هذه المنطقة من العالم وكذلك في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفييتية الكونية بوجه عام . ولكن أهمية ثروة النفط العربي هنا هي ليست من حيث انها موضع مطامع سوفييتية للنهب والسلب على النسق الامبريالي ، ولكنها عامل هام وفعال وأساسي بالمعنى الاستراتيجي السياسي . وهذه الأهمية لثروة النفط هذه تضمن وجود حليف قوي فعال الى جانب حركة التحرر الوطني العربية يقف معها بثبات في خندق واحد لما فيه مصلحة مشتركة لكليهما معا ولجمال حركة التحرر والتقدم العالمية . أما انعكاسات هذا كله على النزاع العربي - الاسرائيلي فهي واضحة جلية : انها توسع دائرة الصراع ضد اسرائيل والصهيونية بحيث لا تجعلها تقتصر على كونها مجرد نزاع قومي شوفيني بين عنصرين في المنطقة عنصر عربي وعنصر اسرائيلي صهيوني بل تجعل النزاع العربي - الاسرائيلي جزءا لا يتجزأ من حركة الصراع العالمي العام بين قوى الامبريالية وقوى التحرر وبين قوى الرأسمالية وقوى الاشتراكية وبين قوى الرجعية وقوى التقدم ، وهذا ما يكسب حركة التحرر الوطني العربية حلفاء وانصار على طول العالم وعرضه ليشككوا معها

٥ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٢/١٢/٨ ، تقلا  
عن دراسة اعدتها عن النفط السوفييتي مؤسسة  
ايكونومست انتلجنس يونيت .

٦ - مجلة « النفط » ، عدد حزيران ( يونيو )

١٩٧٤ .

١ - نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٤/٧/٢٧ .

٢ - المصدر ذاته ، ١٩٧٤/٢/٢ .

٣ - مجلة « النفط »  
Petroleum Economist

عدد شباط ( فبراير ) ١٩٧٤ .

٤ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٦/١ .

( ١٥٦ مليار غالون ) . أما الطلب على غاز البروبيان في عام ١٩٧٥ فيقدر بحوالي ٢٢ مليون طن ( ١٦٦ مليار غالون ) وبحوالي ٥٤ مليون طن ( ٢٨ مليار غالون ) لعام ١٩٨٥ . وهكذا يقدر العجز لعام ١٩٧٥ بحوالي ٧ ملايين طن ولعام ١٩٨٥ بحوالي ٢٤ مليون طن . كذلك يقدر انتاج الولايات المتحدة من غاز البوتان والمواد الأخرى التي يدخل البوتان في تركيبها بحوالي ١٤ مليون طن لعام ١٩٧٥ مقابل ١٦ مليون طن من الاستهلاك المتوقع ، أما عام ١٩٨٥ فيقدر الانتاج بحوالي ١٦٥ مليون طن مقابل ٢٧٥ مليون طن من الاستهلاك المتوقع . وإذا أخذنا بعين الاعتبار الانتاج المتوقع لغاز البترول المسيل في العالم فمن المنتظر ألا يكفي الفائض من انتاج مختلف المناطق العالمية لسد حاجات الولايات المتحدة بعد عام ١٩٧٥ ( نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٧/٢٧ ) .

- ٢٣ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٢/٩ .  
 ٢٤ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/١/٢٦ .  
 ٢٥ - مجلة « البترول والغاز العربي » ، نيسان ١٩٧٤ .  
 ٢٦ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٥/٢٥ .  
 ٢٧ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٢/٩ .  
 ٢٨ - مجلة « البترول والغاز العربي » ، نيسان ١٩٧٤ .  
 ٢٩ - مجلة « النفط » حزيران ( يونيو ) ١٩٧٤ ، ص ٢٠٥ .  
 ٣٠ - المصدر ذاته .  
 ٣١ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٢٧/٢٧ .  
 ٣٢ - مجلة « النفط » عدد أيار ( مايو ) ١٩٧٤ .  
 ٣٣ - مجلة « النفط » عدد نيسان ١٩٧٤ .  
 ٣٤ - صحيفة « السفير » البيروتية ، ١٩٧٤/٦/٣ .  
 ٣٥ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/٣٠ .  
 ٣٦ - مجلة « النفط » ، عدد آذار ( مارس ) ١٩٧٤ .  
 ٣٧ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/٣٠ .  
 ٣٨ - المصدر ذاته .  
 ٣٩ - مجلة « النفط » ، حزيران ١٩٧٤ .

- ٧ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٢/١٢/٨ .  
 ٨ - المصدر ذاته .  
 ٩ - المصدر ذاته .  
 ١٠ - المصدر ذاته .  
 ١١ - « مجلة النفط » عدد آذار ( مارس ) ١٩٧٤ .  
 ١٢ - المصدر ذاته .  
 ١٣ - المصدر ذاته .  
 ١٤ - المصدر ذاته .  
 ١٥ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/١/٢٦ .  
 ١٦ - المصدر ذاته .  
 ١٧ - « مجلة النفط » شباط ( فبراير ) ١٩٧٤ .  
 ١٨ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/١٦ .  
 ١٩ - مجلة « النفط » شباط ( فبراير ) ١٩٧٤ .  
 ٢٠ - « مجلة البترول والغاز » ، نيسان ١٩٧٤ .  
 ٢١ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/١٦ .  
 ٢٢ - « مجلة النفط » عدد آذار ( مارس ) ١٩٧٤ .  
 ٢٣ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٢/٩ .  
 ٢٤ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٧/١٣ .  
 ٢٥ - « مجلة النفط » عدد آذار ( مارس ) ١٩٧٤ .  
 ٢٦ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٧/٦ .  
 ٢٧ - نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٣/١٢/٨ .  
 ٢٨ - المصدر ذاته .  
 ٢٩ - المصدر ذاته .  
 ٣٠ - « مجلة النفط » عدد شباط ١٩٧٤ .  
 ٣١ - « مجلة النفط » آذار ( مارس ) ١٩٧٤ .  
 ٣٢ - لكي تقوم سر تهالك شركات النفط الأمريكية على الحصول على الغاز من مصادره البكر والصعبة الاستغلال والمكلفة في سيبيريا حري أن نعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية تستهلك حوالي ٥٥٪ من إجمالي استهلاك العالم من الغاز الطبيعي المسيل ، وهي أخذت في السنوات القليلة الماضية تعاني من عجز في مواردها المحلية من الغاز رغم ضخامتها وأخذت تحتاج إلى استيراد كميات متزايدة منه . فمثلا ، يقدر انتاج الولايات المتحدة الأمريكية من غاز البروبيان لعام ١٩٧٥ بحوالي ٢٥ مليون طن ( ١٣ مليار غالون ) ولعام ١٩٨٥ بحوالي ٣٠ مليون طن

## النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين

الدكتور تيسير الناشف

كانت النخبة السياسية في فلسطين موضوع دراسة قدمها الباحث الفلسطيني ، تيسير الناشف ، للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة ولاية نيويورك في الولايات المتحدة عام ١٩٧٤ . وقد عالجت الدراسة نظرية النخبة ، والنخبة السياسية عند عرب فلسطين ، ثم عند يهود فلسطين ، أيام الانتداب البريطاني ، وانتهت بمقارنة بين النختين . ونشر ( « شؤون فلسطينية » ) فيما يلي ترجمة القسم الثاني من الدراسة ، النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين في الثلاثينات والأربعينات . ولا شك ان الموضوع يثير نقاشا كثيرا . وقد يجد بعض القراء في هذا المقال ما يدعوهم الى الرد على الكاتب والحوار معه ومناقشته . وستكون صفحات المجلة ، كما دعتها ، مفتوحة للنقاش الهادئ ، خاصة في موضوع مهم وجدير بالدرس كهذا الموضوع الذي تتميز دراسة الدكتور الناشف له ، من جملة مميزاتها ، انها الاولى من نوعها حتى الان . وهي تحفل بمعلومات واحصاءات واستنتاجات حرية جدا بالتأمل وبالاهتمام .

اهتمامات هذه الدراسة . ومن الواضح ان هذا التحديد تعسفي ، اذ انه يستبعد اولئك الاشخاص في السلطة السياسية الذين لم يكونوا اعضاء في الهيئة العربية العليا . لكن هذا التأطير للنخبة ضروري طالما اننا نعلمون على عدم اللجوء الى المعايير الذاتية في تحديد نخبة فلسطين العربية السياسية .

ان الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة هي حوالي ثلاثة عشر عاما ، بدءا من ١٩٣٦ - العام الذي أنشئت فيه اول لجنة عربية عليا - وانتهاء بالعام ١٩٤٨ عندما انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين ، واعلنت اسرائيل . ولقد ضمت الهيئة العربية العليا في الفترة ما بين ١٩٣٦ و ١٩٤٨ اثنين وثلاثين شخصا . وان اعتبارنا الهيئة العربية العليا نخبة فلسطين العربية السياسية انها يسوغه تعريف النخبة كما يمر به دارس موضوع النخبة في علمي السياسة والاجتماع نظريا . والنخبة السياسية وفق هذا التعريف تتكون من الاشخاص الذين يمتلكون ويمارسون السلطة السياسية بدرجة اعظم من دور بقية اشخاص مجتمعهم . وحين نقول

تكاثرت في العقود الاخيرة الدراسات عن المجتمعات الشرق اوسطية . وتناولت هذه الدراسات مجتمع الشرق الاوسط من زوايا متنوعة: سياسية ، وتاريخية ، واقتصادية ، وايدولوجية . وعلى الرغم من الدور الملموس الذي لعبته نخبة فلسطين العربية السياسية على المسرح الفلسطيني ، والذي لا تزال تلعبه حتى الوقت الحاضر ، فان موضوع هذه النخبة لم يأخذ قسطه من الدراسات السياسية عن الشرق الاوسط (١) .

واني في وصفي لنخبة فلسطين العربية السياسية ، آثرت الومئذ عند حد موضوعي ، واعتبرت اعضاء الهيئة العربية العليا بين ١٩٣٦ و ١٩٤٨ نخبة فلسطين العربية السياسية في حدود

\* كان اسمها منذ تأسيسها عام ١٩٣٦ « اللجنة العربية العليا » ، وأصبح اسمها « الهيئة العربية العليا » في ١٢ حزيران - يونيو ١٩٤٦ . بعد حل اللجنة العربية العليا والجهة العربية العليا ، وتشكيل هيئة موحدة ، نتيجة لمسامحة جامعة الدول العربية .

حديثا على هذه « الهيئة » باعتبارها « النخبة » ، لا ينفي ايدا وجود افراد نخبة آخرين خارجها في مجتمع فلسطين العربي . الا ان « الهيئة » ، كانت الاقوى سياسيا ، بين النخب السياسية المتعددة في مجتمع فلسطين العربي . وهذه « الهيئة » كانت الصانعة لقرارات سياسية حاسمة ، ولعبت دورا سياسيا حاسما في المجتمع العربي اثناء الفترة الزمنية التي تناولها الدراسة .

وتهتم الدراسات النخبوية بوجانب شتى ، كما تعالج العلاقات المتبادلة بين القادة وبين المجتمع . ولو سرنا على نهج هارولد لاسويل وغيره من دارسي قضية القيادة ، واعتبرنا تكوين النخب السياسية انعكاسا لتكوين المجتمع ومناقبه ، فان دراسة القادة السياسيين العرب في فلسطين ، كقضية بان تلقي اضواء كاشفة على مجتمعهم . وبالإضافة الى ذلك ، وانطلاقا من فرضية التفاعل الثابت والمستمر بين تكوين النخبة وبين النظام السياسي ، فان اية تحولات في هذا الجانب ستعكس تحولات في الجانب الاخر .

ان اعضاء النخبة السياسية هم في العادة اكثر قطاعات المجتمع البارزة نشاطا واهمية ، ولهذا فانهم يؤثرون بدرجة عظيمة في العمليات الاجتماعية والسياسية الدائرة في المجتمع . وان دراسة النخب السياسية ، تؤخر عددا متوقفا من التفسيرات للظاهرة السياسية . كما يتيح التحقيق في الجذور الاجتماعية والخصائص الخلفية لإفراد النخبة السياسية ، تفسيراً عاما لمسلكتهم السياسية ، ويكشف العلاقات التبادلية بين المجتمع من ناحية ، والعمليات السياسية من ناحية ثانية .

وبسؤال الكشف عن العلائق بين نسبة التجدد والتبدل وبين كل من طبيعة سلطة النخبة ، والمخاطر السياسية ، والاستقرار النهجي . وقد يمكن مثلا الكشف عن العلائق بين انماط ودرجات تجدد النخبة ، وبين مستويات الاستقرار السياسي . اضف الى ذلك كله ان هذه الدراسة سوف تطرح اسئلة وتبحث عن اجوبتها فيما يخص فعالية النخبة : — أي الى اي حد قام النظام السياسي العربي في فلسطين — بنجاح — بتربية واعداد قادة لتولي مسؤولياتهم القيادية ؟ والى اي حد ساهم أسلوب الاختيار السائد في المجتمع العربي في تأمين

« السلطة » فاننا نعني شبكة العلاقات المتبادلة بين الأشخاص ، تماما مثلا ان تصرف ممثل ( او ممثلين ) يعدل ويؤثر في تصرف ممثل آخر ( او ممثلين ) . ونحن نقول « تصرف » او « سلوك » او « ممارسة » فاننا نعني اي تعديل في مكانة وموقع الشخص من وقت الى آخر (٤) .

ونورد الان بعض المبادئ المتعلقة بـ « السلطة » كما يطرحها فراي . انه ينظر الى ميدان علاقات السلطة باعتباره « مجموعة مسلكيات الأشخاص الواقعين تحت التأثير كما يبديها الأشخاص النافذون المؤثرون » (٥) . وهكذا فان « ميدان السلطة » هو مجموعة الأشخاص الذين يتبدل سلوكهم بفعل تأثير النافذين في خلال نطاق معين (٦) . فوفق هذه المفاهيم ، يمكن القول ان اصحاب السلطة هم اولئك الأشخاص الذين يفعل سلوكهم في سلوك الآخرين ، اي الذين يقولون سلوكهم معظم المجال الملكي لعقابية الأشخاص في مجتمع من المجتمعات .

لكن انتماء عدد من الأشخاص الى نخبة سياسية ما ، لا يعني ايدا ان السلطة السياسية المتاحة لاحد افراد النخبة تكون مساوية لسلطة فرد اخر في النخبة . اذ ان افراد النخبة — في اية جماعة نخبوية سياسية — يمارسون درجات متنوعة من السلطة السياسية حبال بعضهم بعضا . وان هذه الدراسة تنظر الى مفهوم النخبة السياسية باعتباره عاملا متغيرا ومستمرًا . وبكلمات اخرى ، ان هناك بالنسبة لدرجة قوة السلطة السياسية تسلسلا هرميا ، وعدة مستويات داخل نخبة ما من النخب السياسية . ومن هذا ان نخبة فلسطين العربية السياسية ، كان اعضاؤها يتكونون مقادير متفاوتة من السلطة السياسية . ويمكن تصنيف مراتب هؤلاء الاعضاء في مستويات التسلسل الهرمي ، بناء مستوى السلطة المتاحة لكل منهم . اضف الى ذلك ، ان هناك على الدوام ، تبادلا في التأثير بين المستويات الاقوى والمستويات الاضعف في اية نخبة سياسية (٥) .

وكما قررنا من قبل ، فان افراد نخبة فلسطين العربية السياسية يعتبرون كذلك ، ويأخذون هذا الوزن ، على ضوء عضويتهم في الهيئة العربية العليا . لكن ينبغي ان يكون جليا تماما ان اقتصار

بسر الاشخاص توغرت.لنا من المنشورات الرسمية لحكومة فلسطين في ظل الانتداب البريطاني . كما كان الارشيف الاميركي الوطني في واشنطن ذا عون كبير كمصدر جيد للمعلومات . كما كانت الصحف والمجلات باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية ، المنشورة في الشرق الاوسط وفي الغرب ، ذات قيمة كمصدر لتقديم نبذات معينة عن المسير الشخصية للزعماء .

وفي حالات قليلة، تبين لنا وجود اخطاء ومفارقات في النبذات التي قدمتها المصادر المنشورة حول سير حياة افراد النخبة العربية . وفي مثل هذه الحالات كان لزاما علي الرجوع الى اكبر عدد ممكن من المصادر والمراجع لجمع اكبر كمية ممكنة من المعلومات والبيانات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، لمقارنة المعلومات المتضاربة والتثبت منها ، تحقيقاً للوصول الى اقصى درجة متاحة من الدقة والصحة في رواية الوقائع والاحداث .

#### السن ومدة تولي المركز(أ)

ان جميع اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين، اشتركوا في العمل السياسي ، كما هو متوقع ، قبل توليهم مراكزهم السياسية في الهيئة . فسان جميع اعضاء الهيئة العربية العليا شاركوا ، بدرجات متفاوتة ، اما في نشاط الحركات العربية في فلسطين ، او في الحركات القومية العربية على النطاق العربي العام ، من اجل الاستقلال ، او في كلا النوعين من الحركات . ومن المفهوم ان هذا النوع من المشاركة السياسية على الرغم من اهميته لا يمكن مضاهاته او موازنته بتولي مركز سياسي .

#### الجدول الرقم ( ١ ) العمر : معدل اجمالي

##### سنوات

١ — معدل الاعمار لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين لدى قيامهم بأول دور سياسي	٣٥٤٢
٢ — معدل الاعمار لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين لدى توليهم عضوية هذه الهيئة لأول مرة	٤٦٤٤
٣ — معدل الاعمار لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين عند تركبهم الهيئة	٥٠٤٧

التكامل الاجتماعي وذلك بتوزيع الادوار بطرائق مرضية للأفراد والجماعات وللمجتمع ككل ؟

وسنركز الان على تحليل منهجي للخلفيات الاجتماعية لنخبة فلسطين العربية السياسية ، وعملية تجدها . وستحتل الدراسة القيادة العربية على ضوء العوامل الاجتماعية مثل السن ، والمهنة ، والتعليم ، والارتحال الى الخارج ، والهوية العائلية ، والانتماء الطبقي ، والمسيرة السياسية ، والهوية السياسية . وستستخدم هذه الدراسة الاساليب القائمة على التجريب والمسلكية . وانا عازمون على الرد على بعض الاسئلة — المفاتيح : من اية مصادر تند العناصر القيادية في المجتمع العربي ؟ وما هي الوسائل والاساليب التي يلجأ اليها القادة السياسيون ليحتلوا منزلة النخبة وليحافظوا بعدئذ على هذه المنزلة ؟ وما هو مدى التعاون و / او الصراع داخل النخبة السياسية؟ وماذا تكون مشاربيهم وتوجهاتهم في الحياة بعد ان ينادروا مواقفهم القيادية ؟ ونقول بكل ايجاز ان الدراسة سوف تركز على منابع وانماط تجنيسد الاعضاء ، والمتناسك ، والاستراتيجيات ، والسيطرة وتنظيم القيادات العربية . وان هذه العناصر هي العوامل التي تشكل ما يسمى نسي الغالب « تجدد النخب وتبدلها » .

على ان كاتب هذه السطور ، في محاولته ربط الصفات الاجتماعية الخلفية لافراد النخبة العربية بتصرفاتهم السياسية ، قد الى عنلى نفسه الا ينساق وراء تخينات غير ثابتة ، او رسم علاقات مفروضة او قسرية بين متغيرات الخلفية الاجتماعية للنخبة ، وبين توجهاتها السياسية .

ولقد كان من المسير جمع البيانات الضرورية عن سيرة حياة اعضاء النخبة العربية في فلسطين التي تحتاجها هذه الدراسة ، واستخدمنا لهذا شقى الاساليب لجمع المعلومات . فلقد حصلنا على بعض المعطيات من الرجوع الى المراجع المختلفة حول النخبة العربية ، كالموسوعات ، والكتب السنوية ، قواميس السيرة الشخصية ، و « الدليل » المتعلق بفلسطين والشرق الاوسط . كما ان بعض المعلومات استقاها الكاتب من متابلات شخصية اجراها ، او مراسلات قام بها ، مع عدد من القادة العرب المقيمين في عدة اتحاء من الشرق الاوسط . كما ان المعلومات المتعلقة

سنة ١٩٤٠. وهي سن متدنية نسبياً ، تعكس قصر المدة الزمنية للولاية . وينبغي ان نلاحظ انه بعد حل أول تشكيلة اللجنة ، في ايلول - سبتمبر ١٩٣٧ ، تشكلت اللجنة الثانية بعد مرور اكثر من ثمانية اعوام ، وذلك في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٥ . وبسبب الانقطاع في هذه الفترة الفاصلة بين ١٩٣٧ و ١٩٤٥ ، فان الفارق بين معدل العمر عند اكتشاف عضوية اللجنة لأول مرة ، وبين معدل العمر عند تركها ، زاد على اربع سنوات .

وإذا عمدنا الى تحليل هذه المعطيات عن معدل عمر اعضاء اللجنة ، فاننا نكتسب قدراً من التفسير يلمح بتجدد وتبدل نخبة فلسطين العربية السياسية . بعد ارتفاع لافت للنظر في معدل اعمار اعضاء اللجنة العربية العليا الى ٥٢ سنة ، في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٥ ، من المعدل السابق الشديد التدني في نيسان - ابريل ١٩٣٦ ، فان معدل العمر يشهد نزولاً لدى تشكيل الهيئة العربية العليا في آذار - مارس وحزيران - يونيو ١٩٤٦ . هذا النزول في معدل العمر مؤشر على عملية الريفد ، اي عملية وفود اعضاء جدد اصغر سناً من ابناء مجتمع فلسطين العربي وانضمامهم الى عضوية الهيئة .

ان المعدل العام لاغمار افراد النخبة العربية السياسية في فلسطين ، عندما تولوا لأول مرة مناصبهم السياسية ، وهو ٣٥ سنة كما تبين في الجدول رقم (١) ، وهو معدل شباب سواء بالمقاييس المطلقة او النسبية ، وكان يمكن للمعدل العام للاعمار ان يكون ادنى من هذا واكثر فتوة ، لولا دخول بعض اعضاء الهيئة العربية العليا المحترفين الذين قضوا فترة طويلة نسبياً من الممارسات قبل توليهم المراكز السياسية لأول مرة .

ثم ان السن الصغيرة نسبياً التي دخل بها اعضاء الهيئة حياة فلسطين السياسية ، جعل معدل الاعمار في اللجنة الاولى ٦٤ سنة . وان التأخر في انشاء اللجنة العربية العليا حتى عام ١٩٣٦ ، بعد عقود من السنين شهدت كفاها سياسياً لعرب فلسطين ، وهو الذي يفسر سبب هذا التأخر بحوالي احدى عشرة سنة ، بين معدل عمر اعضاء اللجنة عند لعبهم اول دور سياسي ، وبين معدل عمرهم عندما اكتسبوا لأول مرة عضوية اللجنة العربية العليا لفلسطين .

وبينما كان معدل عمرهم عند انتسابهم الى اللجنة العربية العليا ٦٤ سنة ، فان معدل عمرهم في وقت مفادرتهم عضوية اللجنة كان ٥٠ ،٧ .

### الجدول الرقم (٢)

معدل العمر والتكوين الديني لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

المجموع	مسيحي	مسلم	معدل العمر (بالسنوات) (٧)	الهيئة
١٢	٣ - ٢٥٤٠ %	٩ - ٧٥٤٠ %	٤٧٤٩	١٩٣٦/٤/٢٥
١٣	٢ - ١٥٤٤ %	١١ - ٨٤٤٦ %	٥٢٤٦	١٩٤٥/١١/٢٠
٢٢	٤ - ١٨٤٢ %	١٨ - ٨١٤٨ %	٥٠٤٣	١٩٤٦/ ٣
١٠٠	١ - ١٠٤٠ %	٩ - ٩٠٤٠ %	٥٠٤٨	١٩٤٦/٧/٢٢

### الجدول الرقم (٣)

معدل اعمار الاعضاء القدامى والجدد : في كل تشكيلة للهيئة

تشكيلة الهيئة	معدل اعمار الاعضاء السابقين	معدل اعمار العناصر الجديدة (٨)
٢٥ ابريل ١٩٣٦	٥٧٤١	٤٧٤٩
٢٠ نوفمبر ١٩٤٥	٥٤	٤٢
١٩٤٦ مارس	٥١٤٨	٤٦

هذا التفاوت في السن ، يدل على ان عملية تغذية جسد النخبة السياسية بدماء جديدة شابة ، كانت تجري في اوساط المجتمع العربي المسيحي بنسبة اعلى من نسبتها في المجتمع العربي المسلم . ويمكن تفسير هذا الامر بحقيقة ان المسيحيين العرب كانوا اكثر تحديدا من المسلمين العرب . ويمكن القول بالمقاييس النسبية ، ان المسيحيين العرب كانوا اكثر تعليما ، واكثر « تمدنا » [ اي الانتقال من حياة الريف الى حياة المدينة ] ، واكثر تعرضا وتقبلا للافكار الخارجية ، ويتمتعون بمستوى معاشي اعلى من المسلمين (١). وبمقدار ما يعتبر تركيب السن للنخبة دليلا على استمرارية الاجيال ، فان النسبة الاكبر للفتوة المسيحية تعني ان الفجوة بين الاجيال ، بين النخبة والجماهير ، كانت في وسط المسيحيين اضيق من الفجوة في وسط المسلمين .

ومن الجدول رقم ٥ يتبين لنا ان المعدل العام لمدة ولاية اعضاء التشكيلات الاربعة للهيئة العربية العليا ، هي بالمقاييس النسبية ، قصيرة للغاية : سنة واحدة وخمسة اشهر . من الواضح ان معدل مدة ولاية اعضاء الهيئة من المسلمين كان اطول بحوالي خمسة اشهر من معدل مدة ولاية الاعضاء المسيحيين ، ١٨ شهرا للاولين و ١٣،٣ شهرا للآخرين . هذا الفارق بين المعدلين يعبر عن مركزية الدور الاجتماعي والسياسي لمكانة المجتمع الاسلامي في فلسطين العربية ، حيال السدور السياسي والاجتماعي الاثقل اهمية ، الذي لعبه العرب المسيحيون .

ولقد كان القصر الشديد للمعدل العام لمدة ولاية اعضاء الهيئة بغض النظر عن انتماءاتهم ، نتيجة لعدم الاستقرار في تكوين تشكيلات الهيئة . على ان هذا الانتقال الى الاستقرار ، كان بدوره نتيجة للاوضاع السياسية والاجتماعية التي عاناها عرب فلسطين اثناء فترة الانتداب البريطاني .

#### لا استقرارية الهيئة العربية العليا

ان التغير الذي اصاب عضوية الهيئة العربية العليا خلال الفترة الخاضعة لهذه الدراسة ، يكشف عن مدى التمزع الذي احاق بتشكيلات الهيئة العربية العليا واسبابه . كانت اللجنة العربية العليا التي تشكلت في الخامس والعشرين

#### الجدول الرقم ( ٤ )

معدل العمر وفق الانتماء الديني في تشكيلات الهيئة

معدل العمر (بالسنوات)		تشكيلة الهيئة
مسيحيون	مسلمون	
٥٠٤٠	٤٧٤١	ابريل ١٩٣٦
٣٨٤٥	٥٦٤١	نوفمبر ١٩٤٥
٤٢٤٧	٥١٤٩	مارس ١٩٤٦
٣٩٤٠	٥٣٤٢	يونيو ١٩٤٦

ومن المجدي لتفحص عملية تجدد وتبدل نخبة فلسطين العربية السياسية ، النظر في الفوارق في معدلات الاعمار بين الالتقاءات القديمة والجديدة الى كل من الهيئات الثلاث الاخيرة . فكما يدل الجدول رقم ٣ ، ظهر فارق هائل بحوالي ١٥ سنة بين معدل عمر الاعضاء القدامى الذين احتفظوا بعضويتهم ، وبين العناصر الجديدة في تشكيلات تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٥ للجنة . هذا الفرق في معدل العمر بين اعضاء التشكيلة السابقة للجنة ، وبين الداخلين الجدد ، استمر بالظهور في تشكيلتي اذار - مارس وحزيران - يونيو ١٩٤٦ ، وان لم يكن بظك النسبة الكبيرة كما كان في تشكيلات ١٩٤٥ . ان هذا الفارق دلالة على دخول دماء جديدة الى جسد نخبة فلسطين العربية السياسية .

وانه لمن المفيد ان نلاحظ انه بينما كان هناك اتجاه تصاعدي عام في معدل اعمار المسلمين ، كان هناك اتجاه تنازلي عام في معدل اعمار المسيحيين . ( انظر الجدول رقم ٤ ) . وينبغي ان نلاحظ ان المعدل العام لاعمار المسيحيين في تشكيلات اللجنة عام ١٩٣٦ كان اعلى من معدل اعمار المسلمين ، اما في التشكيلات الثلاث التالية ، فان معدل اعمار المسلمين كان اعلى .

هذا الفارق بين معدل اعمار المسلمين والمسيحيين بين اعضاء الهيئة ، يمكن تبيانها بصورة اوضح باحتساب معدل العمر المتوسط لكل من الجماعتين . فبينما كان معدل عمر الاعضاء المسلمين في التشكيلات الاربعة ٥٢،٨ سنة ، كان معدل عمر الاعضاء المسيحيين في هذه التشكيلات ٤٢،٦ سنة .

حقيقة ان الانتماء الديني للعضوين الجديدين ، مماثل للانتماء الديني للعضوين المستقلين ، فاجدهما مسيحي والاخر مسلم . ورغم ان العضوين المستقلين كانا من حزب الدفاع الوطني ، الا ان العضوين الجديدين كانا مرتبطين بقوة بالطرف الحسيني ، الحزب العربي الفلسطيني . وان ضمهما رجح الكفة بقوة لصالح جماعة الحسيني في اللجنة العربية العليا لفلسطين .

وفي ٢٥ سبتمبر ١٩٢٧ جرى في الناصرة اغتيال ل . ي . اندروز حاكم لواء الجليل بالوكالة مع حارسه . وكان رد فعل السلطات البريطانية في فلسطين انها حلت اللجنة العربية العليا في اليوم التالي (١٢) . ومنذ هذا التاريخ وحتى اعادة تشكيل اللجنة العربية العليا في نوفمبر ١٩٤٥ ، لم يكن هناك وجود رسمي للجنة العربية العليا . ولقد استأنفت الاحزاب العربية التقليدية نشاطها بصورة علنية ورسمية في اوائل ١٩٤٤ .

في نوفمبر ١٩٤٥ ، توجه جميل مردم ، السياسي السوري ، الى فلسطين ممثلا لجامعة الدول العربية لمصالح الاحزاب الفلسطينية المتباذرة . ونجح اثناء وجوده في فلسطين باعادة تأسيس اللجنة العربية العليا . وكان معظم اعضاء اللجنة الجديدة الاثني عشرة التي تشكلت في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ ، من حزب الحسيني او من انصاره . ولقد تكوّنت كما يلي : توفيق صالح الحسيني بديلا لآخيه جمال الحسيني الى حين عودة جمال . من منفاه في روديسيا ، وفيق التميمي ، وكامل الدجاني ، واميل الغوري ، ويوسف مهبون ، وجميع هؤلاء من الحزب العربي الفلسطيني بزعامة الحاج امين الحسيني . وكذلك من راغب النشاشيبي ، وعوني عبد الهادي ، وحسين فخري الخالدي ، وعبد اللطيف صلاح ، ويعقوب الغصين ، وهم زعماء الاحزاب الخمسة الاخرى ، واحمد عبد الباقي ( المؤيد لحزب الاستقلال ) بصفته « مستقلا » ، وموسى العلمي ( المؤيد للحسيني ) بصفته « مستقلا » ايضا . وبقيت رئاسة اللجنة شاغرة بانتظار عودة الحاج امين الحسيني . وحين عاد جمال الحسيني من المنفى في يناير ١٩٤٦ حل محل اخيه في عضوية اللجنة كرئيس للحزب العربي الفلسطيني ، وتولى قيادة اللجنة (١٣) .

وتنشب نزاع بين الاحزاب المختلفة حول تركيب

من ابريل ١٩٢٦ برئاسة الحاج امين الحسيني تتألف من عشرة رجال . وكان في اللجنة زعماء جميع الاحزاب الفلسطينية العربية السياسية الستة ، وبعض الشخصيات الوطنية ، كان بينها شخصيات من العرب المسيحيين . وكان للحسيني او للحزب العربي الفلسطيني ثلاثة اعضاء اقدمهم الحاج امين نفسه ، وكان للنشاشيبي او لحزب الدفاع الوطني عضوان ، وكان لحزب الاستقلال عضوان ، واما بقية اعضاء اللجنة - وهم ثلاثة - فكل من منهم يمثل حزبا من الاحزاب الثلاثة الاخرى . وكان العضوان العربيان المسيحيان في اللجنة ، يعقوب فراج والفرد روك ، زعميي طائفة الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك في فلسطين .

وفي اخر شهر يونيو ١٩٣٧ جرى اغتيال فخري النشاشيبي ، الذي كان معارضا للجنة العربية العليا التي يسيطر عليها الحاج امين الحسيني ، كما كان زعيما منافسا لال الحسيني . وبالإضافة الى ذلك ، كان فخري ابن اخ عضو « اللجنة » راغب النشاشيبي ومشاركا في تأسيس حزب الدفاع الوطني المعادي للحسيني . وكان من رأي المراقبين المطلعين ان اللجنة العربية العليا كانت وراء عملية اغتيال فخري النشاشيبي . وفي اوائل يوليو ١٩٣٧ انسحب اثنان من اعضاء اللجنة العربية العليا ، وهما ممثلا لحزب الدفاع الوطني ، راغب النشاشيبي ، ويعقوب فراج ، احتجاجا على الضلع المزعم للجنة في اغتيال فخري النشاشيبي (١٤) . وغير ائسحابها عن سخطها على طريقة اللجنة . بالتعامل مع خصومها السياسيين .

#### الجدول الرقم ( ٥ )

##### مدة ولاية اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

شهور	معدل مدة ولاية اعضاء الهيئة
١٧	معدل مدة ولاية اعضاء الهيئة من المسيحيين ١٣٤٣
١٨	معدل مدة ولاية اعضاء الهيئة من المسلمين

ونتيجة لاستقالة هذين العضوين من اللجنة ، ضم عضوان جديدان اليها : مؤاد سابا ومحمد عزة دروزة (١٥) . وينبغي ان تلفت النظر هنا الى

صلاح مقاطعة اجتماعات اللجنة ، وعقب ذلك قدموا استقالاتهم من عضويتها .

اللجنة ، وكان ذلك في مطلع ١٩٤٦ . ونتيجة لذلك الخلاف ، أعلن كل من حسين نخري الخالدي وراغب النشاشيبي وموسى العلمي وعبد اللطيف

### الجدول الرقم ( ٦ )

أعضاء اللجنة العربية العليا لفلسطين ( نيسان - ابريل ١٩٤٦ ) وانتماءاتهم الحزبية

الاسم	الانتماء الحزبي
أحمد حلمي عبد الباقي	حزب الاستقلال
عوني عبد الهادي	حزب الإيستقلال
يعقوب نسراج	حزب الدفاع الوطني
يعقوب الغصين	حزب مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني
أمين الحسيني	الحزب العربي الفلسطيني
جمال الحسيني	الحزب العربي الفلسطيني
حسين نخري الخالدي	حزب الإصلاح
راغب النشاشيبي	حزب الدفاع الوطني
ألفرد روك	الحزب العربي الفلسطيني
عبد اللطيف صلاح	حزب الكتلة الوطنية

الهادي ، وراغب النشاشيبي ، ويعقوب الغصين ، وعبد اللطيف صلاح ، وسليمان طوقان . وفي هذا الوقت كانت اللجنة العربية العليا التي يسيطر عليها جماعة الحسيني ، تتكون من : رفيق التميمي ويوسف صهيون وكامل الدجاني وامييل القوري وجمال الحسيني فقط . ومع مرور الوقت انضم الى عضويتها اخرون : عزت طنوس ، وانور الخطيب ، واحمد الشقيري ، ويوسف هيكل ، وانطون عطالله ، وسامي طه ، وفريج المصدر . وفي وقت لاحق انضم اخرون بينهم عمر بيطار وفريد العنتاوي وقارس سرحان .

وفي يونيو ١٩٤٦ عقد مجلس جامعة السدول العربية جلسة طارئة في بلودان في سوريا لتكوين هيئة مربية عليا لجميع سكان فلسطين العرب ، ولوضع حد للفرزاع بين اللجنة العربية العليا وبين الجبهة العربية العليا . ودعي ممثلو جماعة

وفي مارس ١٩٤٦ اختار جمال الحسيني تشكيلة جديدة للجنة ، بحيث يكون لكل من الاحزاب الخمسة التقلدية ممثلان ، وسبعة ممثلين لحزب الحسيني ، واثنا عشر « مستقلا » ، كان معظمهم تقريبا من مساندي جماعة الحسيني . وردا على هذا ، اتخذ ممثلو الاحزاب الخمسة الذين اختارهم جمال الحسيني للانضمام الى عضوية اللجنة ، خطوة مشتركة ضد هذه السيطرة الحسينية على اللجنة . فرفضوا الاستجابة لدعوة جمال الحسيني ، ورفضوا عضوية اللجنة ، وأعلنوا عدم اعترافهم باللجنة . وفيما بعد ، شكل قادة الاحزاب الخمسة جماعة مضادة ، اطلقوا عليها اسم « الجبهة العربية العليا » ، اشترك في عضويتها ممثلو الاحزاب الخمسة .

وكان اعضاء الجبهة العربية العليا : حسين نخري الخالدي ، واحمد عبد الباقي ، وعوني عبد

قدم المساواة . وحفظت رئاسة الهيئة العربية العليا العليا الجديدة للحاج أمين الحسيني الذي سرعان ما وصل من فرنسا الى مصر لتولي المنصب . وكان تعيين الحاج امين رئيسا للهيئة ، من قبل مجلس جامعة الدول العربية ، يعني اعتراف «الجامعة» بانفسي كثنائد وزعيم لعرب فلسطين .

الحسيني ويمثلو الفريق الآخر الى بلودان للبحث في اعادة تأسيس تنظيم موحد يمثل كل عرب فلسطين . وبعد مشاورات ، قرر مجلس جامعة الدول العربية في ١٢ يونيو ١٩٤٦ تشكيل هيئة عربية عليا . وتكون التشكيل الجديد من اربعة اعضاء ، وتمثل فيه كل من اللجنة العربية العليا السابقة والجبهة العربية العليا السابقة على

### الجدول الرقم ( ٧ )

تشكيل الهيئة العربية العليا لفلسطين في ١٢ حزيران - يونيو ١٩٤٦ (١٤)

الاسم	الانتماء السياسي
الحاج امين الحسيني	من جماعة اللجنة العربية العليا
جمال الحسيني - نائب للرئيس	من جماعة اللجنة العربية العليا
اميل الفوري	من جماعة اللجنة العربية العليا
احمد عبد الباقي	من جماعة الجبهة العربية العليا
حسين الخالدي	من جماعة الجبهة العربية العليا

التخصص الدراسي لاجزاء النخبة ، اهمية اضافية فائقة اكثر مما يكون الوضوح في البلدان المتقدمة .

ونقدم في الجدول رقم ٨ تصنيفا اجماليا لنواحي التخصص الدراسي على مستوى الكليات والجامعات ان ثلث من اعضاء «الهيئة» حصلت على اكثر من درجة علمية واحدة في الميدان نفسه ، ان تجاوز حقلين او اكثر من ميادين التخصص وعلى سبيل المثال ، اثنان والعشرون والعلوم السياسية ، دلالة على ان عضو الهيئة يحمل درجة علمية او اكثر في كل ميدان من الميادين .

وكما هو الحال مع النخب السياسية في بلدان نامية اخرى ، فان دراسة القانون هي الاوسع نطاقا وشعبية بين ميادين التخصص لدى نخبة فلسطين العربية السياسية . فبين ستة عشر من اعضاء الهيئة العربية العليا من حملة الدرجات العليا كان تسعة منهم تخصصهم الوحيد هو القانون ، وهكذا فان دراسة القانون هي التخصص الاوسع بين جميع التخصصات . وان الرقم ٩ قد يصبح

وكانت الاهداف التي اعلنتها الهيئة هي : تنظيم عرب فلسطين داخليا وخارجيا ، ونشر المواد الاعلامية ، والحصول على اسلحة ومعدات استعدادا للحرب المتوقعة مع اليهود في فلسطين ، وتدريب اطارات في الناحية العسكرية . وانشأت الهيئة - من اجل متابعة تنفيذ هذه الغايات - مكاتب في القدس والقاهرة ودمشق وبيروت (١٥) .

وبعد تشكيلها ببضعة شهور ، ضمت الهيئة الى عضويتها خمسة اعضاء جدد هم : معين ماضي ، وعزة دروزة ، ورفيق التيميمي ، واسحق درويش ، والشيخ حسن ابو السعود (١٦) .

### التخصص الدراسي

ان أحد الاساليب المستخدمة لاكتشاف الوعي السياسي لاية نخبة من حيث تفويتها للولويات ، ولادراك طبيعة عوامل التحريك الاجتماعية - السياسية لاي نظام سياسي ، هو التحقيق في الخلفيات التعليمية لافراد النخبة . وحيث ان فلسطين العربية كانت بلدا ناميا ، فان لنوعية

القانون في فلسطين حيث تعززت أهمية الجدل القانوني دفاعاً عن تضييق العرب ومطالبهم في فلسطين . فكانت دراسة القانون ضرورية لإثبات بطلان وعد بلفور وحُطِل السياسة الخارجية البريطانية تجاه فلسطين والصهيونية . ومع أن فلسطين العربية كانت - ككل نام - بأمر الحاجة إلى المتخصصين في المجالات التقنية والمهنية الصناعية ، فإن أفراد الاغلبية الساحقة من أفراد النخبة السياسية العربية كانوا متخصصين في الميادين القانونية والانسانية (١٨) .

ومن الجدير بالملاحظة ان كمية مواد الدراسات الانسانية في الميادين الدراسية للاعضاء ، كبيرة . وان هذا الامر يجد تفسيره في الوضعية الفريدة التي كانت فلسطين العربية تجتازها . فخلال فترة الانتداب البريطاني ، كان ابناء النخبة السياسية العربية في فلسطين مهتمين في النضال من اجل الاستقلال السياسي ، ومن اجل التعبئة ضد الصهيونية . وهكذا فإن استغراق هذه النخبة في الشؤون السياسية ، يفسر سبب هذه النسبة المتدنية من المتخصصين في النواحي العملية من اجتماعية وطبية بين جميع اعضاء الهيئة . وقد يكون هذا الانهك كفيلاً كذلك بتفسير سبب

### الجدول الرقم ( ٨ )

التخصص الدراسي لآعضاء الهيئة العربية العليا  
فلسطين : تصنيف عام لميادين التخصص (١٩)

ميدان التخصص	العدد النسبة المئوية
القانون	٩
القانون والعلوم السياسية	١
القانون والعلوم السياسية والتاريخ	١
التاريخ	١
الطب	٢
القبارة	١
الهندسة	١
لا يحملون درجات علمية	١٦
المجموع	٣٢

١١ اذا أضفنا عضوين آخرين يحملان درجات علمية في القانون وميادين أخرى غير القانون . وعلى هذا تصبح النسبة المئوية للمحامين الاحد عشر ٢٣٢٪ من مجموع أعضاء الهيئة بين ١٩٣٦ و ١٩٤٨ . وان هذا الخضور القوي بنسبة عالية لرجال القانون بين أعضاء الهيئة ، يعكس معالمة اللاختصاصيين أكثر من الاختصاصيين في النظام السياسي لفلسطين العربية .

على أنه قد يكون هناك تفسير آخر لهذه الظاهرة ، وهي ان الامر يعكس المنزلة المحترمة للمؤسسات القضائية والهيئات القانونية ، ودلالة على وجود التقاليد التشريعية في المجتمع العربي . وعلى أي حال فانها شاهد على المكانة العالية نسبياً التي كان ينظر بها إلى رجال القانون والمحامين في فلسطين العربية . وكان هناك تقدير خاص لميدان القانون لعدة أسباب . فمعد عقود من السنين والمحامين في فلسطين العربية بواجب من منافسة ، ويسعى الكثير من الشبان الطموحين من ابناء اسر الطبقة العليا إلى تحقيق مكانة اجتماعية ارتقى وتقدير خاص ، متمسكين بهمة القانون .

ولقد كتب بندا يقول ان التخصص في الميادين الانسانية والقانونية « يشكل كما يبدو ارضاء - او اشباعاً - لمستوى المكانة في المجتمع وفق تقاليد المجتمعات النامية » (١٧) . اصف إلى ذلك ان الكثير من اسر الطبقات العليا كانوا يمهثون بابنائهم لدراسة القانون والتدريب على المحاماة كي يتولوا حماية أعمال الاسرة المالية ومصالحها التجارية والعقارية ، وكذلك من أجل ان يكونوا ممثلين في الميدان السياسي بعد تخرجهم . كما أن طلاب القانون ادركوا جيداً - وكذلك اسرهم - الفرص العظيمة المتاحة في الحكومة والادارة للمتخصصين في هذا الحقل . وكانت هذه الاسر تنظر إلى دراسة القانون على أنها أشد أنواع المؤهلات العلمية ملائمة لتولي المراكز السياسية والمناصب الادارية . وهذه النظرة ، جعلت المحامين في المجتمع العربي الفلسطيني يشعرون بأنهم افضل الخريجين لتولي المراكز السياسية ، وان مجتمعهم ينظر اليهم كذلك فعلاً . وبهذا المفهوم ، يمكننا اعتبار طلاب القانون كجماعة نخبة محتملة .

لقد كان هناك شعور بشدة الحاجة إلى دراسة

## الجدول الرقم ( ٩ - أ )

التخصص الدراسي لحملة الدرجات العلمية بين اعضاء الهيئة العربية العليا  
لفلسطين في جميع تشكيلاتها

التشكيلة	اجمالي الاعضاء		الخريجون من الاعضاء		الاعضاء غير المؤهلين	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١٩٣٦/ ٤/٢٥	١٢	١٠٠	٥	٤١٦	٧	٥٨٤٤
١٩٤٥/١١/٢٠	١٣	١٠٠	٨	٦١٦	٥	٢٨٤٤
مارس - آذار ١٩٤٦	٢٢	١٠٠	١٣	٥٩٠	٩	٤٠٤٩
١٩٤٦/ ٦/١٢	١٠	١٠٠	٤	٤٠٤٠	٦	٦٠٤٠

## الجدول الرقم ( ٩ - ب )

التشكيلة	الطب		القانون (٢)		القانون والعلوم الاجتماعية (٢)		الهندسة		التجارة	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١٩٣٦/ ٤	١	٨٤٣	٢	١٦٤٧	١	٨٤٣	١	٨٤٣	١	٨٤٣
١٩٤٥/١١	١	٧٤٧	٤	٣٠٤٨	٢	١٥٤٤	١	٧٤٧		
١٩٤٦/ ٣	٢	٩٤٠	٧	٢١٤٨	٢	١٣٤٦	١	٤٤٥		
١٩٤٦/ ٦	١	١٠٤٠	١	١٠٤٠	٢	٢٠٤٠				

الجدول رقم ٩ يبين هيئة المحامين على تشكيلات اللجنة العربية العليا ثم الهيئة العربية العليا ، في اعوام ١٩٣٦ و ١٩٤٥ و مارس ١٩٤٦ مع بعض التغيرات . ان تطورات القوى النسبية للتخصصات الدراسية لاعضاء الهيئة ، كما يبينها الجدول رقم ٩ ، تؤكد التقدير الذي سبق لنا ذكره ، وان احتواء الهيئة العربية العليا عددا كبيرا من المحامين نسي عضويتها باستمرار ، دلالة على بقاء الاتجاه القانوني القوي لثقافة عرب فلسطين في غضون الفترة التي تشملها الدراسة . ان هذه واحدة من أبرز النتائج اهمية .

مستوى التعليم: كان التعليم العالي في السلطنة

هذا الاعتماد شبه الكامل لجميع تشكيلات «اللجنة» ثم «الهيئة» ، على خدمات اللامتخصصين - المحامين - السياسيين - «الادبيين» ، حيث كان هؤلاء اللامتخصصون يشكلون ثلاثة ارباع حملة الدرجات العلمية بين الاعضاء وحيث انهم كانوا قادة لحركة وطنية تناضل من أجل الاستقلال السياسي ، فان التنمية الاجتماعية - الاقتصادية لم تكن تحتل المرتبة الاولى في سلم الاولويات في برنامجهن .

ان التدقيق في نواحي تخصص اعضاء مختلف التشكيلات الاربعة «لجنة» ثم الهيئة العربية العليا ، يكشف عن نتيجة وصلنا اليها فعلا . ان

بالانتفاع من التعليم العالي في الجامعات والكليات في زمن الانتداب (٢٢). وهكذا لم يعد التعليم محصوراً في دائرة ضيقة من الجامعات المتفذة اجتماعياً ، على أننا يجب ألا ننهم من هذا ابدأ ، ان هذا التغير في حقل التعليم في زمن الانتداب البريطاني قد ردم الفجوة الشديدة الاتساع بين مستويي المجتمع تبعاً لمستوى التعليم . وبمقدار ما كان التعليم وسيلة لتحريك الاجتماعي ، فان الاتجاه نحو السماح لاشخاص من الاسر الاثقل نفوذاً ليستفيدوا من امكانية الدراسة الجامعية ، كان يعني توسيعاً للشرائح الاجتماعية المتحركة من السكان .

### الجدول الرقم ( ١٠ ) المستوى التعليمي : العدد الاجمالي

النسبة	العدد	المستوى
٣١	١٠	حملة شهادة ب.ع. بين اعضاء الهيئة (٢٤)
٦	٢	حملة شهادة م.ع. بين اعضاء الهيئة
١٢	٤	حملة شهادة دكتوراه (٢٥) طب
١٠	٣	اعضاء لم يستكملوا دراستهم الجامعية
٤١	١٣	اعضاء لم يدخلوا الجامعة
١١٠	٢٢	المجموع

العثمانية ، الى حد ما ، شرطاً ضرورياً للقبول في الوظائف الادارية والتشريعية والدينية . وعلى هذا فان التعليم كان عاملاً في التحريك الاجتماعي والسياسي .

وكان التعليم العالي في فلسطين العثمانية ، وحتى الحرب العالمية الاولى ، في مقاليد النخب السياسية والاجتماعية والاقتصادية بشكل اساسي (٢٢). وبالغالب اتيح للشبان اليسوريين ان يشقوا طريقهم الى مستويات التعليم الاعلى . وكانت لاقتصر التعليم على الاسر الثرية تأثيرات اجتماعية عميقة . وكانت هناك هوة واسعة بين النخبة الاجتماعية والسياسية من ناحية ، وبين الجماهير من ناحية ثانية . كما ساهم نظام التعليم الذي كان مطبقاً في عهد العثمانيين ، في توسيع وتعميق هذه الهوة القائمة اصلاً . ولقد شقت هذه المسألة المجتمع العربي الفلسطيني الممزق اصلاً ، الى طبقتين وفق المستوى التعليمي . وبرغم وجود عدة صدوع وشقوق تبعاً للعوامل الاجتماعية المتباينة ، فان اتساع الشقة بين القلة المتعلمة من جهة ، وبين الاكثية السكانية غير المتعلمة ، كان احد أبرز الملامح المنظورة لمجتمع فلسطين العربي في ظل الحكم العثماني .

وبقيت الاسر الثرية في ظل الانتداب البريطاني تتمتع بقسط من التعليم العالي ، وهو قسط لم يكن يتناسب ابداً مع قوتها العددية . انما ، وعلى نقض ما كان أيام العثمانيين ، فان نطاقاً اوسع من الطلبة من الاسر الاقل ثراءً ونفوذاً ، بدأت

### الجدول الرقم ١١ : المستوى التعليمي في كل من تشكيلات الهيئة العربية العليا (٢٦)

التشكيلة	اجمالي الاعضاء	حملة الشهادات		ب.ع. العدد	م.ع. العدد	النسبة	النسبة	الدكتوراه العدد	النسبة
		الجامعية النسبة	العدد						
١٩٣٦/ ٤	١٢	٥	٤١٤٦	٤	٣٢٤٣	١	٨٤٣		
١٩٤٥/١١	١٣	٨	٦١٤٦	٥	٣٨٤٥	٢	١٥٤٤	١	٧٤٧
١٩٤٦/ ٣	٢٢	١٣	٥٩٤٠	٧	٣١٤٨	٢	٩٤٠	٤	١٨٤٢
١٩٤٦/ ٦	١٠	٤	٤٠٤٠	١	١٠٤٠	٢	٢٠٤٠	١	١٠٤٠

والطب بصورة مستمرة على مدار السنين . ومن الجلي تهماً ان هذا التزايد دلالة واضحة على ارتفاع المستوى التعليمي لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين بمرور الزمن .

ومما يلفت النظر ان نسبة عدد الاعضاء الذين يخلون درجات تعليمية جامعية ، قد تدنت في التشكيلة الاخيرة للهيئة . ويعود سبب هذا التدني جزئياً الى ان هذه التشكيلة جرى اختيار اعضائها من قبل مجلس جامعة الدول العربية . فالمجلس - باعتباره عنصراً خارجياً - لم يراع عند اقامته هذه الهيئة واختيار اعضائها ، سوى مقاييس سياسية معينة ، على الأرجح ، وكان الامر سيختلف لو ان الاختيار جرى ضمن اطار داخلي ومن قبل القيادة الفلسطينية العربية السياسية وحدها . فاذا استثنينا هذه التشكيلة الاخيرة من تشكيلات الهيئة العربية العليا للاسباب التي اوضحناها الان ، فان الصورة العامة تمثل ارتفاعاً مستمراً في نسبة الاعضاء من حملة الدرجات الجامعية ، وارتفاعاً مستمراً كذلك في مستواهم التعليمي .

**مكان الدراسة :** كان ١٦ عضواً من اعضاء الهيئة العربية العليا ، يحضون ٢٢ درجة في التعليم العالي . ولقد عرفنا المعاهد التي منحت ١٩ درجة من هذه الدرجات . وبما ان الاهتمام هنا يتركز على مكان الدراسة ، فاننا لم نحسب في هذه القائمة الدرجات العلمية الثلاث المجهولة المكان .

من بين الدرجات العلمية التسعة عشرة ، اثنتا عشرة منها ، أي ٦٢ بالمائة من المجموع ، صادرة من ثلاثة بلدان في الشرق الاوسط : لبنان وفلسطين (٢٨) وتركيا ، ومن كل من هذه البلدان عدد متساو مع خريجي البلد الآخر . وان الدرجات العلمية السبع المتبقية ، أي ٣٦٤٨ بالمائة ، حصل عليها اعضاء الهيئة من دول الغرب ، من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة . ومما لا ريب فيه ان الشخصيات العربية المعنية بالدراسة تكثيرها - تعرضت ايان دراستها في الدول الغربية او في الجامعة الامريكية في بيروت ، الى تأثيرات تحديدية . وكانت حصة الجامعة الامريكية في بيروت ، وجامعة اسطنبول ، ومعهد الحقوق في فلسطين ، - عالية

وكما يشر الجدول رقم ١٠ ، فان ٥٩ بالمائة من اعضاء الهيئة العربية العليا ، الذين كانوا بين ١٩٣٦ و ١٩٤٨ ، اكتسبوا شوية من الدراسة الجامعية او مستوى الكليات . وبين هؤلاء كان ٥٠ بالمائة يحملون شهادات جامعية . لكن المعلومات المتوافرة بين ايدينا لا تلقي اية اختراع على ما اذا كان الثلاثة الآخرون قد تخرجوا فعلاً من معاهدهم الدراسية .

ولقد كان مهماً بالنسبة اليانا لو اننا قدمنا مقارنة بين المستوى التعليمي للنخبة السياسية العربية في فلسطين ، وبين بقية سكان فلسطين العرب . ولكن ، نظرا لظلة المعلومات المتعلقة بمستويات التعليم لعرب فلسطين ، فان هذه المقارنة غير ممكنة . ان المقابلة بين النخبة وبين شعبها على ضوء العوامل الخلفية ، وسيلة تستخدم لمعرفة الشخصية التمثيلية للنخبة . وعلى أي حال ، ان اللاتمثيلية ليست بالضرورة مصدر توتر بين النخبة وبين المجتمع ، ولا هي بالضرورة مؤشرا على نقص الشرعية السياسية للنخبة . وان المقارنة بين مستوى تعليم النخبة العربية وبين نسبة انتشار الامية بين عرب فلسطين توضح ان افراد النخبة العربية لم يكونوا من الوجهة التعليمية مقياساً تمثيلاً لمجتمعهم ، اذ بينما كانت الامية منتشرة على نطاق واسع ، كان ثلاثة اخصائين ابناء النخبة السياسية ، على الاقل ، يحملون شهادات جامعية (٢٧) .

لعل من المفيد في هذا المجال ، ان نضع تشكيلات الهيئة الاربع تحت الضوء ، لرسم بعض ملامحها التكوينية بالقدر الذي يهم دراستنا للمستوى التعليمي . ان نسب حملة الشهادات الجامعية بين اعضاء الهيئة ، برغم تذبذبها ، كانت على الدوام وفي جميع التشكيلات مرتفعة بصورة واضحة . وان نسبة ٦١٫٦١ ونسبة ٥٩٪ على وجه الخصوص ، اللتين تمثلان حملة الشهادات الجامعية في تشكيلتي نوفمبر ١٩٤٥ ومارس ١٩٤٦ ، هاتان النسبتان هما في ذاتها شهادة على مدى اتساع الفجوة بين الاغلبية السكانية العربية الامية في فلسطين ، وبين المستوى التعليمي للنخبة السياسية .

وعلى وجه العموم ، تزايدت نسبة حملة شهادات الدراسات العليا ، اي م . ع . والدكتوراه

## الجدول الرقم ١٢ : تصنيف لمعاهد وبلاذ الدراسة

لبنان	فلسطين	تركيا	فرنسا	بريطانيا	الولايات المتحدة
٤ - ٢١٪	٤ - ٢١٪ (٢٩)	٤ - ٢١	٢ - ٥٠٨٪	٢ - ١٠٥٪	٢ - ١٠٥٪
٤ - الجامعة	٤ - معهد	٤ - جامعة	١ - جامعة ليون	١ - جامعة	٢ - جامعة
الاميركية في بيروت	الحقوق في فلسطين	اسطنبول	٢ - جامعة باريس	كبريدج	سينسناتي
				١ - جامعة لندن	

دلالة على التأثير الذي لعبه العنصر التركي في السلطنة العثمانية على الشعب العربي ، كما يعكس مدى تغلغل الثقافة التركية بين عرب فلسطين . ومن الطبيعي ان الذين أجادوا اللغة التركية ، تعلموها قبل انهيار الحكم العثماني في فلسطين في العام ١٩١٧ . ومع ان أحد الاعضاء التسعة الذين عرفوا اللغة التركية ، كان من ١٩٠٨ ، فان الثمانية الاخرين ولدوا قبل ١٩٠١ ، مما يعني ان اعمارهم كانت قد تجاوزت - في الحد الأدنى - السبعة عشر عاما ، عند انهيار الحكم العثماني ، وان هؤلاء الاعضاء تعلموا اللغة التركية في الفترة السابقة لسنة ١٩١٧ بالطبع .

ومن ناحية ثانية ، ان معرفة اللغتين الانجليزية والفرنسية من جانب ١٤ عضوا لاولي ، وخمسة اعضاء للثانية ، شهادة على التأثيرات الثقافية الانجليزية والاميركية والفرنسية بين العرب . اذ كانت هناك مدارس اميركية وبريطانية وفرنسية في فلسطين ، وفي القدس على وجه الخصوص ، حيث درس اعضاء الهيئة . وكان بعض هذه المدارس تابعا لجمعيات ارسالية . كما درس اعضاء الهيئة في الجامعة الاميركية في بيروت ، وارتحلوا كذلك الى الغرب طلبا للتعليم العالي . والواقع ان فلسطين شهدت كما الشرق كله ، تنافسا قويا بين الثقافتين الفرنسية والانجليزية - الاميركية . وكان طبيعيا ان الحكم البريطاني لفلسطين الذي استمر نحو ثلاثة عقود ، قد ادى الى انتشار النفوذ الثقافي البريطاني وتأثيراته في مجال التربية والتعليم .

بدرجة متساوية ، بالنسبة لحصة بقية الجامعات ومعاهد الدراسة العليا التي تخرج منها اعضاء الهيئة ( الجدول الرقم ١٢ ) . وان السبب البارز في هذا هو قرب وسهولة الوصول الى القدس وبيروت واسطنبول . ولم تخلق الدراسة في جامعة اسطنبول اية مشكلة لغوية لاعضاء الهيئة الاربعة الذين درسوا في تركيا . فكون هؤلاء قد ولدوا في الثمانينات من القرن الماضي ، يعني انهم عاشوا عتدين او ثلاثة عقود من الزمن في ظل السلطنة العثمانية ، وانهم كانوا على الأرجح قد اكتسبوا الماما حسنا باللغة التركية . ولقد تبعت الجامعة الاميركية في بيروت بمقدار كبير من الاعتبار والاحترام ، وربما كان ذلك بسبب قدمها نسبيا . وان لهذه الجامعة منزلة رفيعة تقليدية نظرا لمساهمتها في احياء اداب العرب ، وبعثهم الثقافي ، ونهضتهم الوطنية . اضاف الى ذلك ان هسذه الجامعة حققت مكانتها الرفيعة بسبب كتابة وجدارة مستوى هيئتها التعليمية التي تتألف الى حد بعيد من اساتذة محليين من ذوي الثقافة الغربية ، او من اساتذة غربيين ، ومن ضمنهم الاميركيون .

**اللغات :** كانت اللغة العربية اللغة الام لجميع اعضاء الهيئة . وبالإضافة الى اللغة العربية كان عدد من اعضاء الهيئة يجيدون لغة اخرى او لغتين ، من الانجليزية والفرنسية والتركية ( انظر الجدول رقم ١٤ ) . لقد كانت فلسطين طيلة ثرون خلت ، وحتى العام ١٩١٧ ، جزءا من السلطنة العثمانية حيث كانت اللغة التركية اللغة الرسمية . ان كون تسعة من اعضاء الهيئة يجيدون التركية ،

فلسطين في ديسمبر ١٩٤٣ ، ١٩٧٦ و١٩٧٦ شخصاء ، إذا استثنينا طبعاً أفراد القوات البريطانية (٣) ، وبين هؤلاء السكان كانت اليهودية ديانة ١٢٠٢٩١٢ شخصاً (٣) ، ومن المنطقي أن نفترض أن أغلبية السكان اليهود في فلسطين كانت تعرف اللغة العبرية ، أن الكثير من المنشورات اليهودية السياسية والحزبية في فلسطين وفي باقي أنحاء العالم ، كانت تصدر باللغة العبرية ، وأن البيانات المتوافرة لنا تذكر أنه لم يكن أي من أفراد النخبة العبرية يعرف العبرية ، وهذا يعني أن القيادة السياسية العبرية في فلسطين لم تكن قادرة على التعرف على الوجود اليهودي في فلسطين من خلال المصادر الأولية العبرية ، ومن الجلي أن هذا النقص في معرفة اللغة العبرية ، كان عائقاً أمام النخبة العبرية ، وخسارة لها .

#### الارتحال إلى الخارج

كانت للنخبة العبرية السياسية في فلسطين اتصالات واسعة وسريعة وكثيرة من البلدان في الشرق والغرب ، ويوضح الجدول الرقم ١٥ البلدان التي زارها أعضاء الهيئة ، ولم ندرج في الجدول البلدان التي هي مواطن ولادة الأعضاء ، ومن الجدير بالإشارة ، أن جميع أعضاء الهيئة من مواليد فلسطين ، باستثناء عضو واحد مولود في لبنان .

#### الجدول الرقم (١٥)

تصنيف للنخبة العبرية السياسية من زاوية

عدد البلدان التي زاروها

عدد البلدان التي زاروها	عدد أعضاء الهيئة	النسبة المئوية
لم يزوروا أي بلد	٤	١٢٤٥
بلد واحد إلى خمسة بلدان	٢٠	٦٢٤٦
سبعة بلدان إلى تسعة بلدان	٥	١٥٤٦
أحد عشر بلداً إلى ثلاثة عشر بلداً	٢	٦٤٢
سبعة عشر بلداً	١	٣٤١
المجموع	٣٢	١٠٠٤٠

#### الجدول الرقم (١٣)

تصنيف لأعضاء الهيئة على ضوء عدد اللغات التي يتقنونها بما في ذلك اللغة العبرية

اللغات المعروفة	عدد أعضاء الهيئة الذين يعرفونها	النسبة المئوية
لغة واحدة	١٢	٣٧٤٥
لغتان	١٣	٤٠٤٦
ثلاث لغات	٦	١٨٤٧
أربع لغات	١	٣٤١
المجموع	٣٢	١٠٠٤٠

#### الجدول الرقم (١٤)

اللغات الأجنبية التي يعرفها أعضاء الهيئة العبرية العليا لفلسطين

اللغة	عدد أعضاء الهيئة الذين يجيدونها	النسبة المئوية
الإنجليزية	١٤	٤٣٤٧
التركية	٩	٢٨٤١
الفرنسية	٥	١٥٤٦

وهكذا كان يوسع النخبة العبرية السياسية في فلسطين ، أن تقيم اتصالات سريعة مع الشعوب الناطقة بالإنجليزية والفرنسية والتركية ، لئلا يهدأ بهذه اللغات ، ولقد نقل أعضاء الهيئة وجهات نظرهم إلى هذه الشعوب ، وكانوا — عيسر الإنجليزية والفرنسية — معرضين للقيم الغربية والثقافة الغربية ، كما كانوا مطلعين على التطورات السياسية التي تعنيهم .

ولم يكن هناك أي انقطاع وانعزال بين النخبة العبرية ، وبين بقية أبناء الشعب ، من الزاوية اللغوية . ذلك أنه لم تكن هناك أية أظلية لغوية بين أوساط الشعب العربي الفلسطيني ، وكانت اللغة العبرية معروفة من قبل جميع العرب ، أضف إلى ذلك أنه كانت هناك عزلة لغوية بين اليهود والعرب في فلسطين ، وكان تعداد سكان

التي توجهت اليها معظم سفرات اعضاء الهيئة ، وكذلك عدد الاعضاء الذين توجهوا الى كل منها . واستثنينا فلسطين من هذه اللائحة البلدانية باعتبارها موطن ولادق واحد وثلاثين عضوا من اعضاء الهيئة الاثني والثلاثين . ولقد سافر عدة اعضاء عدة مرات الى البلد نفسه في كثير من الاحيان .

**الجدول الرقم ( ١٦ )  
البلدان التي زارها افراد النخبة العربية  
السياسية في فلسطين**

البلد	عدد الاعضاء	النسبة المئوية من اجمالي عدد الاعضاء
بريطانيا	١٧	٥٣٤١
مصر	١٢	٣٧٤٥
سوريا	١٢	٣٧٤٥
الاردن	١١	٣٤٤٤
العراق	١٠	٣١٤٣
تركيا	١٠	٣١٤٣
لبنان	٩	٢٨٤١
فرنسا	٦	١٨٤٨
الولايات المتحدة	٦	١٨٤٨

زار اعضاء الهيئة ٣٣ بلدا على الاقل في آسيا وافريقيا وامريكا واوروپا . وان الاتساع الجغرافي لنطاق البلدان التي زارها اعضاء الهيئة ، يدل على حجم النشاط السياسي للنخبة العربية . واكتسبت القيادة السياسية العربية خلال رحلاتها الى الخارج ، مقدارا كبيرا من الخبرة السياسية . ومن المؤكد ان رحلات الاعضاء الى الخارج وسعت آفاقهم السياسية والاجتماعية . ولا بد انهم تعرضوا لتأثير أفكار سياسية واجتماعية في البلدان التي زاروها .

وانه لامر ذو دلالة ان بين البلدان الثلاثة والثلاثين التي زارها اعضاء الهيئة العربية العليا ، ١٤ بلدا في آسيا ، ١٢ في اوروپا ، ٦ في افريقيا ، والولايات المتحدة الامريكية . وان العدد الاكبر

ويتضح من الجدول رقم ١٥ ان كل عضو من اعضاء الهيئة ، قام ، كمعدل عام ، بزيارة اربعة بلدان على الاقل . وهذه حقا نسبة عالية . وكانت هناك اسباب شتى ودواعي متنوعة لسفر اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين الى الخارج . ان قسما من اعضائها درس في اوروپا الغربية ، والولايات المتحدة ، وتركيا ، ولبنان ، ومصر . وان احد الاعضاء ولد في لبنان ثم اتخذ من فلسطين مقرا دائما لاتامته . وان احد الاعضاء ارتحل الى المملكة العربية السعودية لاداء فرائض الحج . كما سافر عدد من اعضاء الهيئة الى الخارج للمشاركة في اجتماعات دولية غير سياسية ، مثل المؤتمر العمالي الدولي الذي انعقد في كل من لندن وباريس . وسافر عدد من الاعضاء الى الدول العربية كممثلين لاجزابه السياسية لحضور مؤتمرات سياسية . وأوفد عدد من اعضاء الهيئة الى البلدان العربية والاسلامية بهدف جمع التبرعات لترميم الاماكن الدينية المقدسة في فلسطين . وهناك كذلك بعض الافراد الذين امتهنوا التجارة ، وقاموا برحلات الى بعض بلدان الشرق الاوسط بما تقتضيه ادارة اعمالهم التجارية . كما قام احد الاعضاء برحلات كثيرة الى مصر بصفته ممثلا لعرب فلسطين ، في المؤتمر التحضيري لانشاء جامعة الدول العربية ، ثم اصبغ مندوبا في مجلس الجامعة بعد تكوينها .

وان ٢٨ على الاقل من الاثني والثلاثين اعضاء الهيئة بتشكيلاتها المتتالية ، قاموا بسفريات الى الخارج من أجل هدف محدد وهو نقل الموقف السياسي للقيادة العربية السياسية لعرب فلسطين حول الانتداب البريطاني والصهيونية ، وحول المستقبل السياسي لفلسطين ، بأمل احداث تغيير في السياسة البريطانية تجاه فلسطين والصهيونية . وفي العادة ، كان اعضاء الهيئة يحضرون اجتماعات سياسية ، رسمية وغير رسمية ، عامة وخاصة ، مندوبين عن الهيئة . ومن الجدير بالملاحظة حقا ان الرحلات السياسية الى الخارج زاد عددها على الرحلات غير السياسية ، بل ان اعضاء الهيئة ، حتى حين يكونون في رحلات غير سياسية ، فانهم كانوا يقومون بنشاط سياسي بالتأكيد .

ونبين في الجدول الرقم ١٦ ، البلدان التسعة

العربية (بها فيها مصر) ، أقوى بكثير من العلاقات بين هذه البلدان وبين بلدان افريقيا العربية .

كما كانت عدة بلدان اوثوذكسية في البلقان بين الدول الاوروبية التي زارها أعضاء الهيئة . وقامت عدة وفود اوثوذكسية او تحوي على عناصر اوثوذكسية من المسيحيين العرب في فلسطين ، بزيارة هذه البلدان لاغراض الاعلام السياسي للقضية .

### النتاج الادبي

مطوماتنا عن نتاج أعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين على صعيد الكتابة ، والتحرير ، والتأليف والنشر ، محدودة للغاية . والمعلومات المخافة تبين انه من بين أعضاء الهيئة الاثني والثلاثين ، شارك ١٣ منهم ، أي ما يعادل ٤٠.٦ بالمائة من مجموع أعضاء اللجنة ، في تحرير الصحف والمجلات ، وفي تدبير المقالات وتأليف الكتب ، مستخدمين اللغة العربية كوسيلة تعبير . وبالإضافة الى العربية ، كتب خمسة من أعضاء الهيئة باللغة الانجليزية ، وكتب اثنان بالفرنسية ، وهؤلاء السبعة كانوا من الدارسين في البلدان الغربية .

ولقد تناول أعضاء الهيئة في كتاباتهم عددا شديدا من الموضوعات والقضايا . ان ستة عشر عضوا ، أي ٥٠ بالمائة من مجموع الأعضاء ، كتبوا في القومية العربية والشؤون السياسية . وتناولت هذه الكتابات- اثنيًا وتطور القومية العربية ، والمجاهدات العربية - التركية في غضون العقدين السابقين للحرب العالمية الاولى ، والنزاع العربي - البريطاني في فلسطين خلال عهد الانتداب . ورفض جميع هؤلاء الأعضاء في كتاباتهم ، السياسة البريطانية لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، على أساس ان فلسطين عربية . كما قاموا بتحليل السياسة البريطانية تجاه اليهود والعرب في فلسطين ، وتقدموا . ونادوا باقامة دولة فلسطينية عربية مستقلة ، وأوضحوا الأسباب والحجج الداعية الى ذلك . وحاول هؤلاء الكتاب رد الهزائم الغربية السياسية والعسكرية الى دور اليهود . وتناولت هذه الكتابات القومية العربية بالتحديد والتعريف ، واعتبرت فلسطين ارضا عربية ، وجزءا لا يتجزأ من العالم العربي .

من أعضاء الهيئة- قام بزيارة بلدان الشرق الاوسط العربية ، وتركيا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة . وحيث ان بريطانيا كانت الجهة التي عهدت اليها عصبة الامم بنرض انتدابها على فلسطين ، فان الوفود العربية الفلسطينية كثيرا ما قامت بزيارتها . وان هذه الزيارات اتاحت لهم اجراء مفاوضات مع الحكومة البريطانية حول مخلف جوانب القضية الفلسطينية ، ومكتهم من اجراء مباحثات مع مختلف القوى السياسية في بريطانيا .

ان لفلسطين حدودا مشتركة مع كل من مصر وسوريا والاردن ولبنان . وان في هذه البلدان وفي العراق وفيما بينها ، مناقب دينية واجتماعية وسياسية مشتركة ، وبالتالي فانها ومرت مجالا رحيبا للنشاط السياسي العربي الفلسطيني . وكثيرا ما ارتحل أعضاء الهيئة الى القاهرة . باعتبارها مقر جامعة الدول العربية ، للمشاركة في اجتماعات ومناقشات هذه الجامعة . ثم ان عددا من أعضاء الهيئة التجأوا الى العراق هربا من السلطات البريطانية والاجراءات التي كانت ستأخذها ضد قادة ثورة ١٩٣٦ المعادية للبريطانيين .

ولقد بياهمت زيارات امراء اللجنة العربية السياسية في فلسطين المتكررة للاقطار العربية ، في توجيه وتوعية بعض قطاعات الشعب العربي بقضية فلسطين ، وفتحت ابصار الجماعات العربية - بصورة مباشرة ، او غير مباشرة - على حقيقة الروابط العربية المشتركة .

ومن الجدير بالتسجيل في هذا المقام ان القسم الاعظم من رحلات أعضاء الهيئة كانت للاقطار العربية الاسيوية ( وبينها مصر ) ، في حين ان الاقطار العربية الافريقية زارها عدد قليل من الأعضاء ، وزار عضو واحد ليبيا ، وزار عضو آخر مراكش . وان للموقع الجغرافي علاقة بهذه المسألة بالطبع . لكن الحقيقة الاهم ان الجناحين الاسيوي والافريقي للعالم العربي كانوا في الفترة التي تناولها في هذه الدراسة ، معزولين عن بعضها بعضا الى حد بعيد على الصعيد السياسي ، بسبب الاوضاع السياسية والدولية التي كانت تبين عليها في ذلك الوقت ، اذ كانت هناك علاقات على اصعدة مختلفة بين بلدان آسيا

العضو ، تنطبق على هؤلاء الثلاثة دون سواهم  
أو أكثر من سواهم .

معظم تصنيفات الاعضاء المهنية واضحة . على  
ان احدها وهو ملكية الارض يقتضي بعض الايضاح .  
ولقد استخدمت كلمة « ملكية الارض » للدلالة على  
فئتين : فئة الذين يملكون الارض وفئة السّذين  
يتلحونها ، او الفئتين معا .

ان السّرة المهنية لكل من اعضاء الهيئة العربية  
العليا ، فصّح من السّبل والمسالك التي طرقتها  
الاعضاء قبل ان يرتقوا مسرح البروز السياسي .  
ان الخلفية المهنية الاصلية لعضو الهيئة ، نقطة  
انطلاق حاسمة للارتقاء الى المكائنة السياسية  
الرغوية . وكما يتضح من الجدول الرقم ١٨ فان  
المهن الاصلية لاعضاء الهيئة بلغت احدى عشرة  
مهنة . ولم يكن ممكنا لنا معرفة الخلفية المهنية  
الاصلية لعضو واحد فقط .

ان القاتون هو التبع الذي جاءت منه قوة القسم  
الاكبر من اعضاء الهيئة كمصدر مهني ، اذ ان

#### الجدول الرقم ( ١٨ ) : سجل عام للمهن

##### الاصلية لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

المهنة	العدد	النسبة المئوية
القانون	١٠	٣١٤٣
السلك الوظيفي	٧	٢١٤٩
ملكية الارض	٣	٩٤٤
السلطة الدينية الاسلامية		
(الانتماء)	٢	٦٤٣
الصحافة	٢	٦٤٣
الطب	٢	٦٤٣
المحاسبة	١	٣٤١
العمل المصرفي	١	٣٤١
الهندسة	١	٣٤١
شيخ قبيلة	١	٣٤١
التدريس	١	٣٤١
مهنة غير معروفة	١	٣٤١
المجموع	٣٢	١٠٠٤٠

#### الجدول الرقم ( ١٧ )

##### حقول النتاج الادبي

حقل الكتابة	العدد	النسبة المئوية	من مجموع النخبة
التربية العربية والشؤون السياسية	١٦	٥٠٤٠	
التاريخ العربي	٢	٦٤٣	
اقتصاد فلسطين	٢	٦٤٣	
القانون	٢	٦٤٣	
التربية والتعليم	١	٣٤١	
التشريع الاسلامي	١	٣٤١	
العسكرية اليهودية	١	٣٤١	
الفكر السياسي	١	٣٤١	

#### السبل الى القوة السياسية

لا بد من توضيح اسلوب التصنيف الذي سنلجأ  
اليه في هذا الباب . لدى تحليلنا للنشاط المهني  
للاعضاء ، امكنا معرفة مهن ٣١ عضوا من اعضاء  
النخبة العربية السياسية في فلسطين الذين تناولهم  
بالدراسة . وحيثما عرفنا مهنتين او اكثر للعضو  
الواحد ، فلقد سجلنا مهنته الاصلية . وحيثما  
كانت للعضو مهنة واحدة فقط ( وهذا نادر جدا ) ،  
فلقد اعتبرنا هذه المهنة الاصلية . وعلى سبيل  
المثال ، اذا كان أحد الاعضاء مسجلا على انه  
صحافي وعضو مجلس ما ، اعتبرناه صحافيا اذا  
كانت الصحافة هي المهنة التي تعاطاها اولا .

وحيث ان اعضاء الهيئة تعاطوا في اكثريةهم  
الساحقة اكثر من مهنة واحدة ، فان تصنيف عضو  
من الاعضاء في فئة مهنية معينة ، لا يعني انه لا  
ينتمي الى فئة او فئات مهنية اخرى ، ولا يعني  
ايضا ان الاعضاء الاخرين المنتمين الى فئات مهنية  
اخرى ، لا ينتسبون الى هذه الفئة المهنية المعنية .  
وهكذا وعلى سبيل المثال ، ان تصنيف ثلاثة من  
اعضاء الهيئة على انهم « ملاك أرض » لا يعني  
انهم كانوا ملاكي الارض الوحيدين بين اعضاء  
الهيئة ، وانما يدل بكل بساطة على ان صفة  
ملكية الارض باعتبارها المصدر المهني الاصل لثلاثة

ومن الأهمية بمكان ان كلا الرجلين : الحاج أمين الحسيني والشيخ حسن ابو السعود ، هما من مواليد بيت المقدس . وكان كل منهما مفتيا . ومن الطبيعي ان رجلي الدين الاسلامي هذين ، كانت لهما توجهات فكرية اسلامية قوية . تميزت آراء الحاج أمين الحسيني بمعارضة قوية لانشاء موطن قومي لليهود في فلسطين . ولقد تزعم الحركات الوطنية العربية في فلسطين المعادية للبريطانيين ، والمتأومة للصهيونية طيلة عشرات الاعوام . ان وجود رجلي دين اسلاميين بين اعضاء الهيئة ، دلالة على مساهمة التأثيرات الدينية الاسلامية في صياغة الحركة القومية العربية في فلسطين .

### الدين

وفق احصاء ١٩٣١ كان هناك ٨٣٩٤٤٥٧ مواطننا عربيا في فلسطين(٣٢) . وكان التركيب الديني لعرب فلسطين ذا نسبة ثابتة خلال الفترة التي تناولها هذه الدراسة(٣٢) . وكانت النسب كما يبينها الجدول الرقم ١٩ على وجه التقريب . وكما يبين الجدول الرقم ٢٠ ، فان التركيب الديني لتشكيلات الهيئة العربية العليا ، لم يكن ممثلا لاعداد الطوائف الدينية . وبالرغم من ان عرب فلسطين المسيحيين شكلوا ٨٤٩ بالمئة من الشعب العربي الفلسطيني، فان تمثيلهم في الهيئة العربية العليا كان بنسبة ٢١٤٨ بالمئة . وبمقدار ما كان التركيب الديني للهيئة مؤثرا على توزيع القوة السياسية بين عرب فلسطين ، فان العرب المسيحيين كانوا يتمتعون بقوة سياسية لا تتناسب مع وزنهم العددي .

وبرغم حقيقة ان نسبة العرب المسلمين الى العرب المسيحيين في فلسطين كانت أعلى بقليل من ١٠٩ ، فان النسبة بين اعضاء الهيئة كانت ١٠٤ تقريبا . وان التفوق في تمثيل العرب المسيحيين في الهيئة كان نتيجة للنفوذ المهم الذي مارسوه في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لفلسطين العربية ، خلال الفترة الزمنية موضع الدراسة ، وعلى الاخص في الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية . وبالرغم من ان العرب المسيحيين كانوا يشكلون اقلية دينية ، فان قوتهم كانت أعظم بكثير مما يمكن ان يكون لو وزنهم العددي . وبالمعايير النسبية ، كان العرب المسيحيون أكثر انتفاء الى

هناك عشرة اعضاء يمثلون ٢١٤٣ بالمئة من مجموع اعضاء الهيئة جاءوا من هذا الطريق . واذا اخذنا بالاعتبار المنزلة الرفيعة التي يحتلها المحامون في المجتمع العربي وما يلقونه من احترام وتكريم ، واذا اخذنا بالاعتبار كذلك منشأهم الطبقي في الاعلى ، وكذلك الثقافة التقليدية لعرب فلسطين ، لا يكون من العجيب — على ضوء هذه الاعتبارات — ان يحتل المحامون حوالي ثلث القيادة السياسية لعرب فلسطين .

وبعد المحامين جاء القسم الثاني من اعضاء الهيئة العربية العليا من حيث الحجم ، من السلك الوظيفي . فلقد كان هناك سبعة موظفين يشكلون نسبة ٢١٤٩٪ من النخبة السياسية . واشتمل هذا السلك على رؤساء بلديات ومدبرين للاوتاف ودور الايتام الاسلامية ، وقيمين على الاماكن المقدسة ، ورؤساء الاتحادات العمالية . ففي فلسطين العربية ، كان متولو الوظائف العامة يتمتعون بمنزلة خاصة من الاعتبار . وكان الشعب العربي في فلسطين يميل الى معاملة اصحاب الوظائف العامة بقدر كبير من الاحترام . وكانت للموظفين سطوة وتأثير على الصعيدين الاجتماعي والسياسي . وان وجود سبعة من السلك الوظيفي بين اعضاء الهيئة دلالة على ما نقول بشأن هذا النفوذ .

وتألف فريق ملاك الارض من ثلاثة اعضاء ، بنسبة ٩٤٤٪ من اعضاء الهيئة . وكان هؤلاء الثلاثة جميعا مهتمين بزراعة الحفريات . وتتصل بملكية الارض ، الزراعة كمهنة اصلية . هل مكنت الهيئة التقسيم المهني الذي كان سائدا في فلسطين العربية ؟ لقد كان هناك تفاوت شديد بين التقسيم المهني لاعضاء الهيئة ، وبين التوزيع المهني للشعب العربي في فلسطين . فبينما كان تمثيل الزراعة — مهنة غالبية عرب فلسطين — في الهيئة أقل بكثير من المعدل ، كان تمثيل اصحاب المهن اعلى من المعدل . كان تمثيل المهنيين في الهيئة أعلى من المعدل ، والى حد أقل ، أعلى حتى بالمقارنة مع سكان المدن في فلسطين العربية .

ويأتي بعد ملاك الارض من حيث النسبة العضوان الاثنيان من مجال السلطة الدينية الاسلامية ، أي بنسبة ٦٤٣ من النخبة الخاضعة لهذه الدراسة .

ان نسبة تمثيل العرب المسلمين في تشكيلات الهيئة العربية العليا؛ لايرسح ، تقدمت وتزايدت باطراد ، فيما عدا هبوط بنحو ٣ بالمئة تقريبا في تشكيلة مارس ١٩٤٦ . ووصلت نسبة تمثيل العرب المسلمين الى ذروتها في يونيو ١٩٤٦ عندما سجلت نسبة ٩٠ بالمئة من اعضاء الهيئة ، وهي نسبة تكاد توازي نسبة عدد المسلمين بين مجموع السكان العرب في فلسطين . ان هذا الهبوط في تمثيل المسيحيين ، وهذا الصعود الموازي في تمثيل المسلمين بين اعضاء الهيئة العربية العليا ، مؤشران على تبدل في توزيع القوة الاجتماعية والسياسية في مجتمع فلسطين العربي .

الا ان بوسعنا مع ذلك ان نلاحظ أمرا واضحا ، وهو انه بينما لم يعط تمثيل العرب المسيحيين في عضوية الهيئة العربية العليا لفلسطين الى ما دون نسبتهم العددية من الشعب العربي الفلسطيني ، فان تمثيل العرب المسلمين في هذه الهيئة ، لم يتجاوز في صعوده ابدا نسبتهم السكانية في اي حال . ان هذه الحقيقة شهادة على ان القطاع المسيحي من الشعب العربي الفلسطيني كان لا يزال ذا وزن اجتماعي - سياسي بارز خلال السنوات الاخيرة من المرحلة الزمنية موضع الدراسة .

#### اعادة ترتيب اوضاع النخبة

سوف نعالج في هذا الباب الوضع المهني للنخبة العربية بعد مناداة الهيئة العربية العليا . وان غرناير ١٩٤٩ يمثل في هذه الدراسة نقطة النهاية او الحد القاطع . وحيثما كان عضو الهيئة مشغولا بأكثر من مهنة ، فان المهنة التي تطلبت منه اكثر وقتا ، سجلت باعتبارها المهنة الاساسية بعد انتهاء العضوية . ان عشرة اعضاء ، اي ٣١٣ بالمئة من النشاط السياسي ، الذي اصبح مجرد واجبات قصيرة الابد ، كالمشاركة في مؤتمرات حول فلسطين ، او مهمات مؤقتة وطارئة . كما تدخل في هذا النمط من النشاط السياسي ، التحركات غير المنظمة التي لم تتأطر ضمن نطاق نظامي معين ، كمثل الحش على تزامن وتكاتف الفلسطينيين سياسيا ، ودعوة العرب الى الاستعداد للحرب مع اسرائيل . وان الاعضاء المنتمين الى هذه الفئة ( اي الفئة التي استمرت بلعب دور سياسي بعد غرناير ١٩٤٩ ) عبروا عن التزامهم بهذا الموقف

المدن من العرب المسلمين<sup>(٢٤)</sup> . كما كان العرب المسيحيون أكثر تعليما وافضل تعليما من العرب المسلمين ، وذلك عائد الى دور المعاهد التعليمية التي أسستها الجمعيات الرسالية . كما كان العرب المسيحيون يمتلكون ويحررون معظم الصحف الصادرة في فلسطين في اوائل العشرينات من هذا القرن<sup>(٢٥)</sup> . ومما يثير الانتباه لدى تحليل معطيات التركيب الديني ، هو مراقبة النسب المتغيرة للتركيب الديني بين تشكيلة وأخرى من تشكيلات الهيئة العربية العليا . فمن حيث الاتجاه العام هناك تقلص متزايد ومستمر مع مرور الزمن في النسبة المسيحية بين اعضاء الهيئة ، لكن هذا الهبوط لم يصل ابدا الى ما دون نسبة العرب المسيحيين العديدة الحقيقية بالقياس الى مجموع السكان العرب . والواضح ان العرب المسيحيين وصلوا في تشكيلة يونيو ١٩٤٦ ادنى نسبة لتمثيلهم ، اي ١٠ بالمئة من اعضاء الهيئة ، وهذه النسبة كادت ان توازي نسبتهم في المجموع السكاني العربي المعالم في فلسطين . ( انظر الجدول الرقم ١٩ ) .

#### الجدول الرقم ( ١٩ )

##### التركيب الديني لعرب فلسطين<sup>(٢٦)</sup>

الدين	النسبة المئوية
مسلمون	٩٠.٠
مسيحيون	٨.٩
دروز	١.١
المجموع	١٠٠.٠

#### الجدول الرقم ( ٢٠ )

##### تصنيف اجمالي الانتماء الديني لاعضاء الهيئة

الدين	العدد	النسبة المئوية
مسلمون	٢٥	٧٨.٢
مسيحيون	٧	٢١.٨
المجموع	٣٢	١٠٠.٠

## الجدول الرقم (٢٢)

مكان ولادة أعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

العدد	النسبة المئوية	
٢٧	٨٤٤٤	أ - في مناطق المدينة
١٢	٣٧٤٥	القدس
٥	١٥٠٦	نابلس
٤	١٢٤٥	يافا
٢	٦٤٣	عكا
١	٣٤١	حيفا
١	٣٤١	الخليل
١	٣٤١	رام الله
١	٣٤١	صيدا (بفنان)
٤	١٢٤٥	ب - في مناطق الريف
١	٣٤١	ج - في مناطق قبلية بدوية
٣٢	١٠٠٠٠	المجموع

الاساسية في ما تبقى في أيدي هذه الحكومة ، أي قطاع غزة ، بعد انشاء دولة إسرائيل . وكانت بين هذه الوظائف حاكمة منطقتي ، ومديرية أجهزة الاتصال ، وإدارة الشؤون المالية . ونلفت النظر بصورة خاصة الى حقيقة بارزة ومهمة وهي ان بين هؤلاء العشرة الذين انتقلوا الى السلك الوظيفي الحكومي ، كان سبعة منهم يشكلون قلب الهيئة العربية العليا .

أما المهن المتبقية فلم تستوعب عددا رئيسيا من أعضاء الهيئة . شخصان عملا في السلك الدبلوماسي ، أحدهما ممثلا للاردن في الولايات المتحدة الأمريكية ، والآخر كمندوب فلسطين ، ثم كمندوب سوريا الى منظمة الأمم المتحدة . واثنان عادا الى مهنتيهما الأصليتين ، أحدهما الى المحاسبة والآخر الى التجارة . وواحد اتجه الى الزراعة ، رغم ان الفئاتون كان مهنته الأصلية قبل انخراطه في عضوية الهيئة . وواحد عاد الى مركزه الأصلي قبل عضوية الهيئة كشيخ قبيلة . وواحد اتجه الى نشاط ديني يتعلق بالمسلمين . وهناك أربعة وانتهت المنية قبل انتهاء ولاية التشكيلية الأخيرة للهيئة العربية العليا .

## الجدول الرقم (٢١)

أوضاع نخبة فلسطين العربية السياسية

بين يوليو ١٩٤٨ وفبراير ١٩٤٩

العدد	النسبة المئوية	
١٠	٣١٤٣	النشاط السياسي
١٠	٣١٤٣	السلك الوظيفي
٢	٦٤٣	السلك الدبلوماسي
١	٣٤١	المحاسبة
١	٣٤١	الزراعة
١	٣٤١	التجارة
١	٣٤١	نشاط للطائفة الاسلامية
١	٣٤١	شيخ قبيلة
٤	١٢٤٥	توفي
١	٣٤١	غير معروف
٣٢	١٠٠٠٠	المجموع

السياسي او ذاك ، واتخذوا مواقف معينة من المسائل التي هي موضع نزاع او جدال على الصعيدين الفلسطيني الضيق والعربي الواسع . الواقع ان جميع أعضاء الهيئة كان يمكن ادراجهم تحت عنوان-النشاط السياسي بصرف النظر عن وضعهم المهني بعد تركهم عضوية الهيئة . لكن ، وكما نقررنا من قبل ، ان مهنا أخرى استغرقت وقت هؤلاء الاعضاء بصورة اكبر من بقية الاعضاء ، فلم يكن ممكنا ادراجهم تحت عنوان « النشاط السياسي » .

استوعب السلك الوظيفي من النخبة العربية السياسية بعد ترك عضوية الهيئة ، عددا مماثلا لعدد الفئة الأولى ، أي ١٠ اشخاص ، ومن بين هؤلاء العشرة ، خدم خمسة منهم كوزراء في حكومة عموم فلسطين التي انشأها مجلس جامعة الدول العربية في مدينة غزة في سبتمبر ١٩٤٨ . وقد اُعيد على خلق دولة إسرائيل في مايو ١٩٤٨ ، أحد الاعضاء ، الحاج أمين الحسيني ، أصبح رئيسا للمجلس الوطني لفلسطين الذي أُقيم في غزة في سبتمبر ١٩٤٨ ، ليكون المؤسسة التمثيلية للشعب العربي الفلسطيني (٣٧) . وتولى أربعة أشخاص مناصب في مؤسسات متنوعة تتعلق بالإبقاء على الخدمات

كبرناً ، ومركز جذب ثقافي واقتصادي وسياسي لانحاء فلسطين الشمالية . وينبغي ان نشعر هنا الى ان احد اعضاء الهيئة الثمانية والعشرين المولودين في المدن ، وهو احمد حلمي عبد الباقي ، ولد خارج فلسطين ، في صيدا ، المدينة اللبنانية .

وهكذا فبينها كانت ثمانى مدن في فلسطين مكان ولادة الاغلبية الساحقة من افراد النخبة ، فان المدن او البلدان الاخرى ، وجميع القرى ومضارب البدو على وجه التقريب ، لم تكن حاضرة في عضوية الهيئة وان هذه الخلفية المدنية شبه الكاملة لانفراد النخبة ، اثارت الاحتكاك المدني - الريفي ، وكان عاملا مساعدا محتملا في شق المجتمع العربي الفلسطيني وفق الاعتبارات المدنية والريفية (٤٠) .

اما على الصعيد الجغرافي ، فان المواطن التي جاء منها اعضاء الهيئة موزعة بين انحاء فلسطين الشمالية والوسطى والجنوبية . وان مجيء اعضاء الهيئة من مناطق متباينة ومتعددة يجعلهم اقوى « تمثيلا » لفلسطين من الوجبة الجغرافية المجردة . ومن ناحية ثانية فان تشتمت اعضاء الهيئة بين عدد من المدن والقرى ، ساهم في انقسامات النخبة .

### الايديولوجية

كان اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين يتبنون ثلاثة خطوط فكرية رئيسية : الوحدة الاسلامية ، الوحدة العربية ، والوطنية العربية الفلسطينية . وكانت هذه الافكار متداخلة ومتشابكة في الواقع . أما فكرة الوحدة الاسلامية ، أي التوحيد القائم على اساس الاخوة الدينية الاسلامية ، فلم تتمتع بقدر كبير من الدعم بين اعضاء الهيئة . واستخدمت هذه الفكرة أساسا كوسيلة للوصول الى غايات الكفاح العربي الفلسطيني . لكن الامر يختلف بالنسبة لفكرة الوحدة العربية ، أي التوحيد على أساس القومية العربية . ذلك ان اعضاء الهيئة اعتبروا الحركة القومية العربية في فلسطين جزءا عضويا من الانبعاث القومي العربي العام في المشرق العربي . واعتبروا سكان فلسطين الناطقين بالعربية ، جزءا من الامة العربية . كما اعتبروا فلسطين جزءا من الوطن العربي - وان كان جزءا منفصلا . لكن الظروف المحلية والدولية التي سادت منطقة الشرق الاوسط في

### مكان الولادة

ان دراسة الانتماء البيئي - ارتباط النضو بمنطقة معينة بسبب ولادته فيها - تلقي أضواء على توزيع السلطة السياسية في النظام السياسي لفلسطين العربية ، على ضوء الاعتبارات البيئية والاجتماعية . وكما بين الجدول الرقم ٢٢ ، فان الغالبية الساحقة من اعضاء الهيئة ، أي ٨٤٤٤ بالمائة منهم ، ولدوا في المدن . ان اربعة فقط من النخبة العربية السياسية لفلسطين أي ما يوازي ١٢٤٥ بالمائة ، ولدوا في قرى (٢٨) . وهناك عضو واحد ، وهو شيخ القبيلة ، جاء من إحدى القبائل البدوية الى الجنوب من غزة .

وليس من الغريب ان نكتشف ان مدينة القدس كانت بين جميع مدن فلسطين ، الأكثر تمثيلا باستمرار بين اعضاء الهيئة ، من حيث مكمان ولادتهم . اثنا عشرة من الاعضاء ، أي ٣٧٤٥ بالمائة من مجمل نخبة فلسطين العربية السياسية ، كانوا من مواليد المدينة المقدسة . فاذا اخذنا في الاعتبار الاهمية التقليدية الفائقة لبيت المقدس لجميع العرب المسلمين والمسيحيين على امتداد القرون ، على الصعيدين الديني والسياسي على السواء ، واذا اخذنا في الاعتبار كذلك كون القدس عاصمة فلسطين ، فان المرء يصبح قافرا على فهم هذه الحقيقة ، ولا يفاجئه بالتالي ان تقدم هذه المدينة البارزة الاهمية أكثر من ثلث اعضاء الهيئة (٣٩) .

ان خمسة من اعضاء الهيئة ، أي ١٥٤٦ بالمائة ، من مواليد نابلس ، التي تأتي في الدرجة الثانية بعد القدس كمكان ولادة . وان هذا نتيجة لشيرة نابلس كمركز عربي وطني في فلسطين . ولهذا لا غرابة في ان يخرج منها هذا العدد الكبير نسبيا من افراد النخبة موضع الدراسة . وتأتي يافا بعد نابلس التي ولد فيها اربعة من اعضاء الهيئة ، أي ١٢٤٥ بالمائة . وبرغم ان هذه النسبة ليست ضئيلة ، إلا انها أقل من نسبة نابلس ، وأقل بثلاثة أضعاف من نسبة القدس . وولد عضوان في عكا ، أما حيفا والخليل ورام الله وصيدا فلقد ولد في كل منها عضو واحد . وان المرء ليدعش اذا يلاحظ ان مدينة حيفا بالذات ، لم تقدم عددا أكبر من الزعماء ، وذلك بسبب مركز هذه المدينة

أمر يهدد بتشويهه وطمس الطابع القومي لفلسطين . كما أكدوا ان استمرار الهجرة اليهودية ، سوف يؤدي ، بالنظر الى قدرة الاقتصاد الفلسطيني الاستيعابية ، الى حلول اليهود محل العرب الذين كانت نسبة تزايدهم الطبيعي عالية كذلك .

وبما ان البرامج السياسية للأحزاب العربية في فلسطين كانت الى درجة بعيدة ، انعكاسا للموقف السياسي لأعضاء الهيئة ، يصبح من المناسب ان تقوم بجولة عابرة على غايات هذه الاحزاب ومبادئها . ولكن لا بد قبل ذلك من العودة قليلا الى الوراء لتقديم لمحة عامة عن تاريخ الاحزاب .

تميزت السنوات الخمس الاولى من الثلاثينات في هذا القرن ، بنشوء ستة احزاب عربية سياسية في فلسطين والواقع ان جميع الاحزاب كانت مختلفة عن المفهوم الغربي للأحزاب السياسية ، في وجوه شتى وجوانب عديدة . وعلى نقيض الاحزاب في الغرب ، فان جميع هذه الاحزاب العربية في فلسطين ، كانت تنفرد بدرجات متفاوتة الى التنظيم . كما لم تكن هناك انتخابات حزبية ومؤتمرات حزبية لتقرير السياسات او لاختيار المرشحين مثلا ، ولم تكن اجتماعاتها الحزبية منتظمة ، بل كانت تجتمع بدعوة قادة الحزب .

واذا استثنينا حزب الاستقلال ، فان جميع الاحزاب العربية السياسية في فلسطين ، كانت الى حد بعيد تمثل تجمعات يستقطبها اشخاص قياديون او زعماء معينون ، وذلك يعود الى الروابط العائلية والعشائرية ، والانتماءات البيئية المحلية الضيقة ، وكذلك الى العلاقات الشخصية (٤٤) .

في الرابع من اغسطس ١٩٢٢ ، تأسس في القدس حزب الاستقلال ، بقيادة عوني عبد الهادي ، وكان اول حزب عربي سياسي يجري تنظيمه واعلانه بصورة رسمية في فلسطين (٤٥) . والى جانب عوني عبد الهادي ، كان كل من أحمد حلمي عبد الباقي ، ومعين ماضي ، ومجد عزة دروزة ، وهم من حزب الاستقلال ، اعضاء في الهيئة العربية العليا .

وكان حزب مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني ، مؤتمرا او اجتماعا أنتخب لنفسه لجنة تنفيذية دائمة ، أكثر مما كان حزبا بالمفهوم الغربي المألوف للكلمة . انعقد مؤتمران للشباب : اولهما في يافا

اوائل العشرينات من هذا القرن ، أنزلت الالتزام التوحيدي العربي من رأس أولويات الحركة الوطنية في فلسطين . ولم يكن هناك حماس مفرد — في الفترة محل الدراسة — لفكرة الوحدة العربية القومية بين أعضاء الهيئة ، رغم انها كانت عاملا أقوى من فكرة الوحدة الاسلامية الدينية .

كان الدافع الاساسي والملح لتوجه اعضاء الهيئة السياسي ، هو تحويل فلسطين الى دولة عربية تتمتع بالسيادة السياسية . لكن تحقيق هذه الفكرة اصطدم بفكرة انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين كما تجسدت في بيان بلفور وتعمد الانتداب البريطاني . ومن هنا جاءت معارضة جميع اعضاء الهيئة قاطبة للصهيونية وللانتداب البريطاني . فيما انهم احتضروا فلسطين ارضا عربية أكثرية سكانها عربية ، فانهم رفضوا وعد بلفور ، والانتداب البريطاني الذي التزم بتنفيذ ذلك الوعد ، كما رفضوا فكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية الى البلد ، وحظر بيع الاراضي العربية في فلسطين الى اليهود .

وارتكزت حجة العرب الاساسية على مبدأ ان العرب هم اصحاب فلسطين الشرعيين . ودحض اعضاء الهيئة الزعم الصهيوني بأن وجود علاقات يهودية تاريخية بفلسطين هو أساس شرعي لتأسيس دولة يهودية في هذا البلد . وكان من رأيهم انه ليست لليهود كجماعة قومية أية حقوق في فلسطين . إلا ما لهم من حقوق بصفتهم الفردية . ورفضوا قبول أي عرض اتجه « الى وضعهم على قدم المساواة مع اليهود الغرباء » في فلسطين (٤٦) .

وكان أعضاء الهيئة يميزون بين المجتمع اليهودي في فلسطين الذي قالوا انهم تعايشوا معه سلميا تحت حكم السلطنة العثمانية ، وبين نوع جديد من اليهود ذوي النشاط السياسي القائم على الفكرة الصهيونية ، والذين اعتبرهم اعضاء الهيئة أساس الفتنة وبذرة الغلاقل في فلسطين ، وذلك بتخطيطهم لانشاء دولة يهودية في ارض الوطن (٤٧) . وكان من رأي اعضاء الهيئة ان اختيار قادة الصهيونيين والقوى العربية لفلسطين « كماوى لليهود والمضطهدين » كان اختيارا انسانيا كساديا ومضللا (٤٨) . وان فتح ابواب فلسطين ، الضيقة المساحة ، لموجات متتابعة من اليهود المهاجرين ،

الانضمام الى عضوية الهيئة العربية العليا . وكان هذا حزب عبد اللطيف صلاح شخصيا ، وكان تأثير الحزب ملموسا في المنطقة الوسطى من فلسطين ، وعلى الاخص في منطقة نابلس ، وموطن ومكان ولادة عبد اللطيف صلاح . ولم يكن من اعضاء الحزب في الهيئة العربية العليا لفلسطين سوى عبد اللطيف صلاح نفسه (٥٠) .

وانه لامر بالغ المشقة والعناء ان نستطيع تقديم تقدير دقيق للقوة الحسابية او العددية المضمبوطة لهذه الاحزاب . ويمكن القول نسبيا ان الحزب العربي الفلسطيني كان اقوى الاحزاب العربية السياسية في فلسطين عدديا ، من ناحية بسبب الولاء لشخصية المفتي الحاج امين الحسيني ، ومن ناحية ثانية مناصرة لال الحسيني . على ان الاحزاب الباقية يمكن تصنيفها من حيث قوتها على الوجه التالي : حزب الاستقلال ، حزب الدفاع الوطني ، حزب الاصلاح ، وحزب الكتلة الوطنية . وان ترتيبنا للاحزاب وفق هذا التتالي ، يعتمد على ما نعلمه عن قواها العددية من ناحية ، وفعاليتها ونشاط ومكانة قياداتها من ناحية اخرى .

وان جميع هذه الاحزاب العربية الفلسطينية الستة ، لم تتغير او تختلف في مواقفها من الانتداب البريطاني ومن الصهيونية . وجميعها بلا استثناء عارضت السياسة البريطانية المتحيزة لاقامة وطن قومي يهودي في فلسطين . وهي جميعا اعترضت على وعد بلفور وطالبت بريطانيا بالفائه وبالغاء نظام الانتداب البريطاني في فلسطين . وسعت هذه الاحزاب الى تحقيق الاستقلال السياسي الناجز لفلسطين ، وانشاء حكومة دستورية ديمقراطية في فلسطين ، مع برلمان يتكون من اعضاء يمثلون جميع مجتمعات فلسطين بناء لقوة كل منها العددية . كما دعت هذه الاحزاب جميعا الى المحافظة على شخصية فلسطين العربية ، والى وقف او على الاقل تقييد الهجرة اليهودية الى البلد ، ومنع او الحد من بيع اراضي العرب لليهود .

واعلنت هذه الاحزاب جميعا ان فلسطين تشكل جزءا من الوطن العربي ، وان الشعب العربي الفلسطيني جزء من الامة العربية . ولهذا فانهم نظروا الى المشكلة الفلسطينية باعتبارها جزءا من القضية العربية (٥١) . ومع ان الاحزاب عبرت

في الرابع من ديسمبر ١٩٢٢ . وفي سبتمبر ١٩٢٢ تولى يعقوب الفصين رئاسة المؤتمر . واتفقت المؤتمر الثاني في حيفا في العاشر من مايو ١٩٢٥ برئاسة يعقوب الفصين . وكان بين المشاركين في المؤتمر ، ومن اعضاء الهيئة العربية العليا شخصان هما يعقوب الفصين وفؤاد سابا (٤٦) .

تأسس **حزب الدفاع الوطني** في القدس في الثاني من ديسمبر ١٩٢٤ ، بزعامه راغب النشاشيبي . وكان هذا بلورة رسمية بصيغة حزبية لمعارضة آل النشاشيبي للمفتي الحاج امين الحسيني وبالإضافة الى راغب النشاشيبي كان هؤلاء اعضاء من الحزب في الهيئة العربية العليا : عمر بيطار ، وسليمان طوقان ، ويعقوب فراج ، ويوسف هيكل . ولقد انتظمت اوساط آل الحسيني لأول مرة في صيغة حزبية معينة تمثلت في **الحزب العربي الفلسطيني** ، وذلك في الرابع والعشرين من ابريل ١٩٣٥ ، في القدس (٤٧) . ولم يتول الحاج امين الحسيني رئاسة الحزب ، لانه اراد الاحتفاظ بمكانته كقائد ديني وزعيم غير حزبي ، ولهذا تولى الرئاسة جمال الحسيني . الا ان شخصية الحاج امين الحسيني هي التي كانت طافية في الحزب برغم وجود جمال في رئاسته ، وبالإضافة الى الحاج امين الحسيني وجمال الحسيني ، كان هؤلاء من الحزب اعضاء في الهيئة العربية العليا : حسن ابو السعود ، وكامل الدجاني ، واسحق درويش ، وفريد العبتاوي ، والفرد روك ، ويوسف صهيون ، واحمد الشقري ، ورفيق التهميمي ، ومزت طنوس ، وتوفيق الحسيني ، واميل الغوري (٤٨) .

وكان **حزب الاصلاح** فرعا من الحزب العربي الفلسطيني ، واعلن تنظيمه في اجتماع عقد في القدس في الثامن عشر من حزيران — يونيو ١٩٣٥ برئاسة الدكتور حسين فخري الخالدي . ولقد تشكل هذا الحزب الى حد بعيد من اجل ان يتمكن رئيسه من تولي رئاسة بلدية القدس . ولم يكن من اعضاء الحزب في عضوية الهيئة العربية العليا غير الخالدي وحده (٤٩) .

تأسس **حزب الكتلة الوطنية** في نابلس ، في الرابع من أكتوبر — تشرين الاول ١٩٣٥ برئاسة عبداللطيف صلاح ، اساسا كي يمكن لعبد اللطيف صلاح

من الغناء وعبد بلفور ، ولا بد من اقامة نظام برلماني عربي في فلسطين . خامسا : وسوف يبذل الحزب كل ما في وسعه لتحقيق هذه الغايات ، سالكا في ذلك جميع السبل المتاحة له ، وبالتعاون مع التنظيمات الاستقلالية في الاقطار العربية الاخرى(٥٢).

ولا بد لنا من ان نلاحظ في هذا المجال ، انه بينما أعلنت جميع الاحزاب السياسية الفلسطينية الستة التزامها بهذه الدرجة او تلك بفكرة الوحدة العربية ، وايامها بوجود العلاقات الوثيقة بين عرب فلسطين وبين بقية الشعوب العربية ، فان برامج ووثائق جميع هذه الاحزاب خالية من اي ذكر لفئة الوحدة الاسلامية او التضامن الاسلامي . وان هذا الاغفال للبعد الاسلامي ، جاء نتيجة للمركز غير الاساسي الذي اعطته الاحزاب لفكرة الوحدة الاسلامية ، في ترتيب السلم السياسي للاولويات ، حيث احتلت المكان المركزي والرئيسي فكرة استقلال فلسطين وفضايا الوحدة العربية .

ويمكن القول ان حزب الاستقلال اذا تورن ببقية الاحزاب من حيث التزامها بفكرة الوحدة العربية كما يتجلى في وثائقها وبرامجها ، يقف الى اليسار . وبعد حزب الاستقلال مباشرة يأتي الحزب العربي الفلسطيني ، ثم حزب الكتلة الوطنية ، وحزب مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني في موقع الوسط . ويحتل حزب الاصلاح والدفاع الوطني الموقع اليميني .

ويجب التذكير بان اعضاء الاحزاب كثيرا ما كانوا يختلفون في آرائهم حول الشؤون السياسية . ان الحاج امين الحسيني وجمال الحسيني ، وكلاهما في الحزب العربي الفلسطيني على سبيل المثال ، كانا يختلفان حول الموقف من بريطانيا . فجمال الحسيني نصح الحاج امين الحسيني في مسدة مناسبات بان يحصر عداوته لبريطانيا ضمن حدود القضية الفلسطينية ، وان يقبل الخطة المفروضة لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود . وكان الحاج امين الحسيني يرفض آراء جمال الحسيني بكل حزم(٥٤).

كادت على المسرح السياسي الفلسطيني جماعتان قويتان تتصارعان لهما طابع عشائري : جماعة الحسينيين والعشائر المتحالفة معهم ، بزعامة

عن ايمانها بالوحدة العربية بصيغ مختلفة ، فانها تباينت في ترتيبها لسلم الاولويات بين فكرة الوحدة العربية ، وبين الاستقلال السياسي لفلسطين . ومهما كانت درجة الالتزام الحقيقي لهذه الاحزاب بفكرة الوحدة العربية ، فان غايتها المباشرة والمعالجة خلال الفترة موضع الدراسة ، كانت تحقيق الاستقلال السياسي لفلسطين كدولة منفصلة عن البلدان العربية ، مع ان هذه الاحزاب كانت في الواقع تضمن برامجها الحزبية وادبياتها ومقررات اجتماعاتها بنودا وفقرات تؤكد ايمانها بفكرة الوحدة العربية .

ان احد الاحزاب ، وهو حزب الدفاع الوطني ، غير بوضوح عن تفضيله لاستقلال فلسطين على الوحدة العربية ، وذلك بتأكيد ان تحقيق مطالب وحقوق فلسطين المحلية شرط ضروري يجب ان يسبق النظر في أية مخططات وحدوية عربية . ومع ان حزب الاصلاح يؤكد في برنامجه اقتناعه الراسخ بالاهمية الحيوية لتعزيز العلاقات بين فلسطين وبقية الاقطار العربية ، الا انه لم يورد أي ذكر للوحدة العربية(٥٣) . ورغم ان حزب الاستقلال دعا كذلك الى تحويل فلسطين الى دولة مستقلة ، فان قادته كانوا على الصعيد الفكري اكثر التزاما واقتناعا بفكرة توحيد جميع اجزاء الوطن العربي ، من الاحزاب الاخرى . اذ تبني هذا الحزب الايديولوجية القائمة على فكرة الامة العربية الواحدة التي يجب ان تبلور وجودها في دولة واحدة ، يمكن للاقطار المختلفة ان تتمتع ضمنها بالاستقلال الذاتي . وأعرب الحزب عن ايمانه بان تحقيق استقلالية الاقطار العربية يكون اسهل في اطار الدولة الاتحادية العربية . وكان من رأي هذا الحزب ان الاستقلال العربي يمكن تحقيقه بتوحيد جهود جميع القيادات السياسية العربية التي تستطيع بتكاتفها ان تضغط على عصبة الامم ، وكذلك على الدول التي تولت ادارة الانتداب على الاقطار العربية المختلفة .

ولزيد من التوضيح قد يكون من المفيد ان نسجل فيما يلي ما اورده الحزب - الاستقلال - في مبادئه وبرنامجه اهدافه لدى تاسيسه : اولا : الاستقلال الكامل للبلدان العربية . ثانيا : ان الاقطار العربية وحدة غير قابلة للتجزئة . ثالثا : فلسطين قطر عربي وجزء طبيعي من سوريا . رابعا : لا بد

القضايا السياسية ، ذلك لان دافع التحيز « الحزبي » لم يكن في معظم الحالات نتيجة لتوجه سياسي بل بسبب الهوية العشائرية . ان محمد عزة دروزة مثال جيد : فمع انه كان من مؤسسي حزب الاستقلال في فلسطين ، الا انه كان مع ذلك على علاقة حميمة بالفريق الحسيني ، وتمصرف كضابط ارتباط بين حزب الاستقلال وبين الفريق الحسيني . والشئ نفسه مع أحمد حلمي عبدالباقي الذي برغم كونه من أقطاب حزب الاستقلال ، فلقد كانت له ميول قوية مع عبدالله ملك شرق الاردن الموالي للبريطانيين ، وكان على علاقات طيبة به (٥٥) .

هكذا كانت الهوية السياسية لعضو الهيئة ، تتحدد في معظم الحالات بناء لهوية عشيرته السياسية ، ومع ذلك فلقد كانت هناك حالات التزم فيها العضو انتماء سياسيا بغير ما يوافق انتماء جماعته او عشيرته ، بل وانتهى الى المعسكر الآخر المتنافس لعشيرته . فاحمد الشقيري على سبيل المثال الذي كان والده من الشخصيات البارزة في معسكر النشاشيبي ، كان حسنيا . وانه لان المهم ان نسجل هنا — على ضوء الهوة بين الاجيال — ان الاكثية المماحقة من هؤلاء المنشقين سياسيا ، وبالتالي اجتماعيا ، عن مواقف جماعاتهم العائلية على صعيد التوجه السياسي ، هم من الاجيال الشابة .

#### التراعات الحسينية — النشاشيبية

كان الفريقان — الحسينية والنشاشيبية — معاديين للسياسة البريطانية العاملة لتأسيس وطن قومي يهودي في فلسطين . ونادى كلا المعسكرين بالكف عن سياسة خلق الوطن القومي اليهودي ، ورنح الانتداب ، واعلمة حكومة فلسطينية وطنية . وبرغم هذه النقاط المشتركة فان معالجات المعسكرين كانت متغايرة . ان أحد أسس الخلافات السياسية بين الجماعتين ، هو درجة عداة كل منهما للسياسة البريطانية ، ولفكرة الوطن القومي اليهودي . أما النشاشيبية فلقد تبنا سياسة مساومة ، وكان لهم موقف قابل للتسوية مع الادارة البريطانية والتجمع اليهودي في فلسطين أكثر من الحسينية . وعلى عكس ذلك فلقد عارض الحسينيون سياسة التعاون مع الادارة

الحاج أمين الحسيني ، وآل النشاشيبي والاسر المتحالفة معهم . تبعا لهذا الصراع كان «المجلسيون» يساندون المجلس الاسلامي الاعلى الذي يرئسه الحاج أمين الحسيني ، وكان « المعارضون » يزعمون انهم يساندون النشاشيبي ضد المجلس الاسلامي الاعلى . ويبين الجدول الرقم ٢٢ ، ان ١٨ من أعضاء الهيئة العربية العليا ، أي نسبة ٥٦،٢ بالمائة ، كانوا من أنصار جماعة الحسيني ، في حين ان سبعة أعضاء يمثلون ٢١،٦٩ بالمائة كانوا من مساندي معسكر النشاشيبي . وهناك سبعة أعضاء لم يكن لهم انتماء محدد على صعيد هذا الانقسام العشائري . وهؤلاء كانت مواقفهم تارة تميل الى هذا الفريق ، وتارة الى الفريق الآخر ، واهيانا لم يكن لهم أي انتساب . ويمكن القول ان الفريق الحسيني حصل على نسبة أكبر من المؤيدين .

على انه ينبغي ايراد بعض الملاحظات : ان هذه التحيزات والتحالفات العشائرية لم تكن ثابتة ونهائية . ويكفي ايراد بعض الامثلة . ففي الفترة ما قبل ١٩٣٤ ، كان الدكتور حسين غخري الخالدي رئيس حزب الاصلاح مناصرا للحسينيين ، وبعد عام ١٩٣٤ أصبح معاديا لهم . ومرة أخرى عاد في مرحلة لاحقة وأصبح حسنيا . وفي ايلول — سبتمبر ١٩٤٤ بذل الخالدي مساعي وساطة بين الاحزاب الفلسطينية ، وبالنتيجة اتفقت هذه الاحزاب على ايجاد موسى العلمي ، الذي كانت له ميول حسينية ، لتمثيل فلسطين في المؤتمر التحضيري لجامعة الدول العربية في ١٩٤٤ . وانقلب موقف الخالدي مرة أخرى في ١٩٤٥ وذهب في اتجاه حزب الاستقلال المعادي للفريق الحسيني . في العام ١٩٣٦ كان قادة حزب الاستقلال من الفريق الحسيني . وفيما بعد غيروا موقفهم وتبنوا موقفا سياسيا أكثر مرونة . ان مواقف الاحزاب السياسية ، كثيرا ما كانت تتكيف وفق الظروف السائدة . وبين ١٩٤٢ و ١٩٤٥ دعا قادة حزب الاستقلال ، بعد سنوات من اعلان معاداتهم للسياسة البريطانية لتأسيس وطن قومي يهودي ، دعوا الى التعاون مع السلطات البريطانية .

وينبغي ان يكون واضحا في الذهن ان «حزبية» العضو ، ليست مؤشرا على اعتداله او تطرفه في

الجدول الرقم (٢٢) ..  
الهيئة العشائرية السياسية لأعضاء الهيئة

العدد	النسبة المئوية
١٨	٥٦٢
٧	٢١٤٩
٧	٢١٤٩
٢٢	١٠٠٠

البريطانية في فلسطين . وان الهيئة العربية العليا لفلسطين ، منذ خضوعها لنفوذ الحسينية ، انتهجت بالمثل سياسة معادية للسياسة البريطانية موازية لسياسة الحسينية الداعية الى المقاومة .

كانت للمواقف المساومة للمعسكر النشاشيبي دوافع نفعية من ناحية ، واعتبارات تكتيكية وايدئولوجية من ناحية ثانية . من الناحية النفعية، قامت حسابات النشاشيبي على ان انتهازها سياسة القسوية والمساومة مع بريطانيا ، سوف يؤدي الى اضعاف نفوذ الحسينية المسيطرة والمنافسة لها ، اذا لم يؤد الى انهائه واستئصاله . وعلى الصعيد التكتيكي كان في تقدير المعسكر النشاشيبي ان الكفاح العربي ضد الصهيونية والانتداب سوف يكون اجدى وافوزى فعالية اذا جرى في اطار الانتداب بالذات (٥٦) . وبالإضافة الى هذا ، أمل النشاشيبي ان يستغلوا بريطانيا الى جانبهم ، ببدء درجة من التعاون معها . وكان من رأيهم ان من الخير للعرب ان يسلموا باستحالة تغير السياسة البريطانية المتبعة تجاه فلسطين ، من الوجهة العملية ، وكذلك استحالة اجراء مثل هذا التغيير بالاعتراض او بالعنف . وكان في اعتقاد هذا المعسكر ان عقد اتفاق مع حكومة الانتداب يتضمن تنازلات متبادلة ، سوف يكون اجدى وانفع للمصلحة العربية . ولقد نسج النشاشيبي أوثق العلاقات مع ملك شرق الأردن عبدالله ( وكان حينئذ امرا ) . فاذا اخذنا في اعتبارنا ميول الملك عبدالله القوية الموالية للبريطانيين ، فان صلات النشاشيبي به ربما كانت عاملا في تبنيهم موقفا ممتدلا من بريطانيا .

وهناك بعض الامثلة على الفوارق والخلافات

بين مواقف الفريقين النشاشيبي والحسينية . كان المعسكر النشاشيبي أكثر استعدادا للموافقة على ، ومساندة ما اقترحه البريطانيون من انشاء مجلس تشريعي . فكان هذا المعسكر الحزب السياسي الوحيد في فلسطين الذي أعلن استعداداه للموافقة على المجلس . ورغم ان هذا الموقف النشاشيبي تبلور واتخذ في اوائل الثلاثينات ، أي في فترة خارجة عن الحدود الزمنية لهذه الدراسة ، ومع ذلك فانه - الموقف - يشكل مفتاحا لتحديد اتجاه سياسة النشاشيبيين خلال الفترة الزمنية التي تعيننا في هذه الدراسة (٥٧) .

ومثال آخر على الفوارق والخلافات ، الموقف المدفوع من النشاشيبي الذي وقفه حزب الدفاع الوطني ، ردا على « الكتاب الابيض » الذي أصدرته بريطانيا عام ١٩٣٩ . لقد تعهدت بريطانيا في هذا الكتاب بانشاء حكم ذاتي في فلسطين في غضون عشر سنوات ، وباستمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين خمس سنوات أخرى ، الى ان يبلغ تعداد اليهود في فلسطين ثلث مجموع السكان . وتمهد الكتاب الابيض بحصر بيوع الأراضي العربية في فلسطين لليهود في أضيق نطاق . وفيما رحب النشاشيبيون بهذا الكتاب الابيض باعتباره نصرا جزئيا، فان المعسكر الحسيني رفضه وأعلن اصراره على تحقيق الاستقلال الفوري (٥٨) .

ان ما ورد في رسالة بعث بها القنصل الامركي العام في القدس الى الخارجية الامركية في واشنطن ، كتيل بأن يلقي ضوءا على خط السياسة النشاشيبي تجاه بريطانيا . تقول الرسالة : « ان [ راغب ] النشاشيبي تعاون مع البريطانيين بصفتهم رئيسا لبلدية القدس . منذ ١٩١٩ و ١٩٢٠ . ولن تحترف السياسة البريطانية عن اسلوبها اذا هي عهدت اليه بالتصعب الجديد ( رئاسة المجلس التشريعي ) اعترافا بخدماته السابقة » (٥٩) .

#### خلفية اجتماعية - اقتصادية

شهدت فلسطين العربية خلال العهد الزمني الذي تعيدت به هذه الدراسة نظاما طبقي يقوم على درجة عالية من التفاوت وعدم المساواة (٦٠) . وكان عرب فلسطين ينقسمون الى ثلاث طبقات اجتماعية : العليا ، والوسطى ، والدنيا (٦١) .

طبقة كثيفة من المتسولين والعاطلين عن العمل . وكانت الطبقة الوسطى تتألف من جماعات وفتات شديدة الشوع ، تطلبت حرقها قدرا من التعليم . غالبية هذه الطبقة تقيم في انحاء المدن ، لكن اقلية منها سكنت القرى . ومن فتات هذه الطبقة : اصحاب الدكاكين ، والمدرسون ، وصغار موظفي الحكومة ، والعمال المهرة ، واصحاب المهن الحرة . ان بعض الشرائح الميسورة من هذه الطبقة تعاطت زراعة الحمضيات ، واقراض المال ، والانتاج الصناعي . كما اشتملت هذه الطبقة على الموظفين الدينيين : على القضاة الشرعيين ، ورجال الانشاء الشرعي ، وائمة المساجد ، والمؤذنين وغيرهم (١٢٠) .

واذا كان المجتمع العربي الفلسطيني قد شهد شيئا من الجهود ، الا انه لم يكن متحررا بمستوى المجتمعات « الطبقة » المشهورة تاريخيا ، ولا افتقد المرونة التي تتيح قدرا من الحركة السريعة على صعيد السلم الاجتماعي . وهذا امر يمكن فهمه وتفسيره في حالة الانتقال من طبقة الى اخرى . فلقد حدث ان بعض عناصر الطبقة السفلى ارتفعت الى الطبقة الوسطى ، وان بعض عناصر الطبقة الوسطى تفتت الى الطبقة العليا في المجتمع .

ان فلسطين العربية تقدم للدارس نموذجا لنظام اجتماعي تفرض سيطرتها السياسية عليه ، تلك الطبقات التي تهيمن على قمة التركيب الاجتماعي . ان جميع اعضاء الهيئة العربية العليا ينحدرون من حمائل - عشائر - بارزة كانوا زعماءها او من وجوهها . ويقوم نظام الحمائل العشائري على صلة القربى الدموية . ان الوجود التاريخي لمؤسسة زعيم العشيرة في المجتمع العربي لفترة زمنية طويلة ، اعطى زعيم العشيرة سلطة اجتماعية وسياسية مسلما بها شرعيا على بقية افراد العشيرة .

وفيما يتعلق باعضاء الهيئة العربية العليا الذين كانوا في الواقع زعماء عشائر وحمائل او من وجوهها البارزة ، فلقد انحدروا في الواقع من حمائل مالكة للارض ، ومن اسر اريستوقراطية عريقة في المدن ، ومن قلة من بعض عائلات الطبقة الوسطى ، والى حد اقل من بعض المناطق الريبية واليدوية (١٢١) .

وكان هذا الانقسام الاجتماعي يتركز الى عدة عوامل اجتماعية متنوعة : كالثروة ، والممتلكات ، والاراضي ، والصيت ، ومنزلة اجتماعية رفيعة مكتسبة مزعومة ، والدخل ، والزواج من اسرة نافذة ، والوظائف الحكومية الكبيرة ، او مجموعة من المزايا تدمج بين عدة خصال من هذه العوامل . وكانت التخوم بين الطبقة وجاراتها حدودا غامضة تاطعة .

### الجدول الرقم ( ٢٤ )

#### الانتماء الطبقي لاعضاء الهيئة العربية العليا

الطبقة	العدد	النسب
الطبقة العليا	٢٨	٨٧٤٥
الطبقة الوسطى	٤	١٢٤٥
المجموع	١٢	١٠٠٠٠

وكانت اقلية الشعب العربي في فلسطين تتألف من الطبقة الدنيا التي تتكون من أبناء الريف والبدو والجماهير المدنية . وشكل الفلاحون ، الذين كانوا يمتلكون تظعا صغيرة من الارض ، او لم يكونوا يمتلكون شيئا على الاطلاق ، العمود الفقري للطبقة الريفية الدنيا . وكان بين هذه المجموعة اقلية من المزارعين الذين امتلكوا مساحات واسعة من الارض نسبيا وان حرفة الفلاحين الرئيسية هي فلاحه الارض وزراعتها . وكانت هناك من اخرى ترتبط بها او باطار المحيط الريفي كالبناء ، واقتلاع الحجارة من المتالع ، والصناعة الفخارية ، والصيد ، وحياسة الحصر والسلال من القش (١٢٢) .

وكان معظم البدو في فلسطين ينتمون الى الطبقة الدنيا . وكانت حرفة الزراعة وتربية المواشي . ان جميع البدو مسلمون ، وكانت الاغلبية الساحقة بين الفلاحين مسلمة ، وكان خسة بالمئة منهم مسيحية .

ولقد تكونت الطبقة الدنيا في المدينة من كسبة الاجور ، كالعمال الصناعيين ، وعمال الموانئ ، وعمال النسكة الحديدية . كما ضمت هذه الطبقة العمال « المستقلين » ، والحمالين ، والبحارة ، والعمال غير المهرة . وفي اسفل القاع كانت هناك

الجدول الرقم (٢٥) : مكان اقامة اعضاء

الهيئة العربية العليا من أبناء الطبقة العليا

مكان الإقامة	العدد	النسب المئوية
المدينة	٢٤	٨٥٤٧
الريف	٣	١٠٤٧
مضارب البدو	١	٣٤٦
المجموع	٢٨	١٠٠٤٠

إشارة الى تركز الثروة والقوة السياسية في المدينة ( انظر الجدول الرقم ٢٥ ) .

ان من بين اعضاء الهيئة الثمانية والعشرين الذين ينتهون الى الطبقة العليا ، ستة كانوا زعماء الاحزاب العربية السياسية في فلسطين ، وهي إشارة اخرى الى جمع الثروة ، وعلو المقام الاجتماعي ، والسلطة السياسية في الإيسدي نفسها .

كما كانت هناك عمليات تزواج متبادلة بين اعضاء الهيئة من الطبقة العليا . كان موسى العلمي على سبيل المثال متزوجا من آل الحسيني . وكان اسحق درويش ابن اخت الحاج امين الحسيني . واكثر من ذلك ، ينبغي ان نضيف ان بعض اعضاء الهيئة من الطبقة العليا ، كانوا يرتبطون بالزواج بأمر اريستوقراطية او نافذة أو ذات مكانة اجتماعية بارزة في الأقطار المجاورة .

ومن الجدير بالملاحظة انه بين اعضاء الهيئة الثمانية والعشرين من أبناء الطبقة العليا ، ١٨ عضوا ، أي ٦٤٤٣ بالمائة ، تلقوا دراسات في معاهد عليا أو كليات جامعية ، في حين ان عشرة فقط من بينهم لم يتلقوا مثل هذا المستوى التعليمي . ان النسبة المرتفعة نسبيا للذين تلقوا دراسة جامعية بين أبناء الطبقتين العليا ، والوسطى الى حد ما ، دلالة على ان التعليم الجامعي كان خلال الفترة الزمنية محل الدراسة ، امتيازًا لأمر الطبقات العليا والوسطى الى حد كبير .

كان أصل بعض اعضاء الهيئة من الطبقة العليا ، من الريف . فعلى سبيل المثال ، ان أسرة « ماضي » من قرية أجزم في قضاء حيفا ، وانتقل

ويمكن القول بنسبة لغير التصنيف الطبقي الواردة آنفا ، ان ٢٨ عضوا من اعضاء الهيئة العربية العليا ، أي ٨٧٤٥ بالمائة من المجموع ، كانوا ينتهون الى الطبقة العليا . أما الاعضاء الاربعة الباقون ، الذين يشكلون ١٢٤٥ بالمائة ، فكانوا ينتهون الى الطبقة الوسطى . ولم يكن هناك عضو واحد في الهيئة قد « طلع » من الطبقة الدنيا . ( انظر الجدول الرقم ٢٤ ) .

وكان ملاك الارض من الطبقة العليا بالطبع ، وتبين المعطيات المتوافرة لدينا ان ١٨ على الاقل من اعضاء الهيئة المنتهين الى الطبقة العليا ( أي ٦٤٤٣ بالمائة من مجموع الاعضاء ) ، كانوا ينتهون الى الاسر التي تمتلك مساحات واسعة من الاراضي . وعلى سبيل المثال ، ان مساحة الارض التي كانت عائلة الحسيني تمتلكها في اواخر العشرينات ، بلغت ٥٠ الف دونم ( ما يعادل ١٢٤٥٠٠ فدان ) وفي اواخر العشرينات كذلك ، كانت عائلة عبد الهادي تمتلك مساحات من الاراضي تساوي ٦٠ الف دونم ( ١٥ الف فدان تقريبا ) (١٥) .

ولا بد من ان نلاحظ هنا ان القسم الاعظم من اعضاء الهيئة من اصحاب الاراضي المنتهين الى الطبقة العليا ، كانوا يقيمون في انحاء المدن رغم ان الارض الزراعية كانت تشكل مورد دخل كبير لهم . لقد حدث هذا لان بعض شخصيات المدينة أصبحت ملاك للارض وبقيت في المدينة ، او لان بعض شيوخ القبائل من ملاكي الارض الاغنياء ، وكذلك بعض الفلاحين الميسورين ، انتقلوا للسكن في المدينة (١٦) .

وكان التجار فئة اخرى كبيرة من فئات الطبقة العليا . واحتوت الهيئة من بين أبناء الطبقة العليا على ثلاثة تجار يشكلون ١٠٤٧ بالمائة من أبناء هذه الطبقة في الهيئة . ومن الجدير بالذكر ان اثنين من هؤلاء التجار الثلاثة كانوا ينتهين كذلك الى فئة كبار ملاكي الارض في الطبقة العليا . لقد جاءت الاغلبية الساحقة من اعضاء الهيئة من أبناء الطبقة العليا من أسر مدنية ، وهي

يساوي الفدان ٤٨٤٠ ياردة مربعة او نحو أربعة آلاف متر مربع .

الانحدار من قبائل عربية كبيرة في شبه الجزيرة العربية . وعلى سبيل المثال ان عائلي طوقان وعبد الهادي ترجعان بنسبهما الى قبائل عربية في شبه الجزيرة (٦٩).

ويمكن إعادة النفوذ القوي لبعض اعضاء الهيئة العربية العليا ، اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، الى العهد العثماني كذلك . ان العديد من المراكز المرموقة اجتماعيا وسياسيا كانت تنتقل ابا عن جد في اصول العائلة نفسها . ان هذه حالة صريحة ونموذج واضح لتكريس النخبة السياسية تبعا للانقسام العشائري المعين . وان بقاء رئاسة بلدية القدس في يد عدة أشخاص من آل الحسيني بين ١٨٦٤ - ١٩١٤ مثلا ، هو دليل على نفوذ الحسينيين اجتماعيا وسياسيا . فان بين الرؤساء العرب الثلاثة عشر لبلدية القدس خلال الفترة المذكورة ، ستة من الاسرة الحسينية (٧). وخلال عهد الانتداب البريطاني كان أحد آل الحسيني يتولى رئاسة بلدية القدس وهو موسى كاظم الحسيني .

هذا ولقد احتفظ عدد من اعضاء الهيئة بالالعاب التركية القديمة مثل الافندي والبيك والباشا . وبين اعضاء الهيئة العربية العليا الاثني والثلاثين ستة على الاقل يحملون لقب البكوية ، وأربعة يحملون لقب الافندية ، واثنان يحملان لقب الباشوية .

بعض افرادها للاتامة في حيفا . وكذلك مركز وأصل عائلة عبد الهادي منذ مئات السنين في قرية « عرابة » . وانتقل عدد كبير من أبناء العائلة للاتامة في جنين ونابلس . وان عائلة « سرحان » هي أصلا من قرية « الكابري » في قضاء عكا . ثم انتقل بعض افرادها الى عكا . ويتضح لنا من هذه المعطيات ان حركة الانتقال الاجتماعي من الريف الى المدينة ، كانت تتجه نحو المدينة الاقرب الى القرية المتصودة .

ولقد انحدرت بعض أسر الطبقة العليا في القدس التي ينتمي اليها بعض اعضاء الهيئة ، من أسر اسلامية لقادة عسكريين وموظفين كبار من القرون الوسطى . ان الحسينيين مثلا ينحدرون ، كما هو شأنع ، من الحسين ، ابن الخليفة علي بن ابي طالب وفاطمة ابنة الرسول محمد بن عبدالله . وهذه الاسرة ذات الاصل اليمني وفدت الى القدس أما في القرن الثالث عشر او في القرن السادس عشر . ومن المعتقد كذلك ان اسرة موسى العلمي استقرت في فلسطين في القرن السابع عشر ، وانها من منشأ شمال افريقي (٦٧). وان أسرة حسين غجري الخالدي تعتقد بانها تنحدر من سلالة خالد بن الوليد ، قائد الجيش الاسلامي الذي فتح فلسطين في القرن السابع الميلادي (٦٨).

وعلاوة على ذلك ، فان اعضاء الهيئة من أبناء الطبقة العليا من غير أبناء القدس ، يدعون كذلك

#### الجدول الرقم ( ٢٦ ) : تاريخ انضمام اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

تشكيلة الهيئة	عدد الاعضاء	عدد الاعضاء الجدد	النسبة المئوية لعدد الاعضاء الجدد
١٩٣٦/٤	١٢		
١٩٤٥/١١	١٣	٦	٤٦.١
١٩٤٦/ ٣	٢٢	١١	٥٠.٠
١٩٤٦/ ٦	١٠	٣	٣٠.٠

#### الفرصة السياسية

العربية العليا ، يتوقف على حدوث شواغر في عضويتها . وكانت الحالة المتزعزعة وغير المستقرة أبرز ما يلفت النظر في مسيرتها . ولقد وقعت التغييرات والتبدلات في تركيب الهيئة وتشكيلاتها المتعددة تبعا لعوامل داخلية وخارجية . وحدث

يقدم التحقيق السابق أساسا لادراك بعض الشروط التي لا غنى عنها لارتقاء مناصب القيادة السياسية . من الطبيعي ان حجم الفرص السياسية المتوافرة لاكتساب عضوية الهيئة

والتبديل للنخبة العربية كانت تجري في اطار محدود ضمن الطبقة العليا نفسها ، التي كانت متركزة في اثناء المدن التي كانت بدورها تشكل نسبة منخفضة من اجمالي سكان فلسطين الذين كان معظمهم من الفلاحين .

ولقد كان الصعود السياسي يحدث ضمن تأثيرات عدة عوامل سياسية ودينية واقتصادية . وكثيرا ما كان يحدث ان يكون ولاء الشخص السياسي او الحزبي ، او ولاء حويلته لآل الحسيني الاقوياء ، او للحاج امين الحسيني شخصا ، سببا في دفع ذلك الشخص الى مقدمة المسرح السياسي . وكانت ديانة بعض أعضاء الهيئة المسيحيين ، السبب في اختيارهم لعضوية الهيئة ، اذ لم تظهر أية تشكيلة من تشكيلات الهيئة ، دون ان يشارك في تكوينها العنصر المسيحي . وجرى اولا اختيار يعقوب فراج لطائفة الروم الارثوذكس ، وكذلك الفرد زوك كممثل لطائفة الروم الكاثوليك ، رغم انها ينتميان الى فريقين متنازعين على الصعيد السياسي . وانه لأمر ذو مغزى ان يعقوب فراج عندما قدم استقالته من الهيئة في يوليو ١٩٢٧ ، استبدل بعربي مسيحي آخر ، وأن لم يكن من الخط السياسي نفسه الذي ينتمي اليه فراج .

وكان الوضع الاجتماعي والاقتصادي للشخص يؤثر في فرض اختياره لعضوية الهيئة . وكان هناك اعتقاد بجدوى وفائدة اختيار أشخاص لعضوية الهيئة ، من الذين يتمتعون بالثروة والمركز الاجتماعي المرموق . وكثيف لنا التحليل السابق ان ٢٨ من أصل أعضاء الهيئة العربية الاثنتين والثلاثين ، كانوا من أبناء حائل الطبقة العليا . وان أربعة فقط من الاعضاء ينتمون الى أسر متوسطة الطبقة . ولم يكن هناك أي عضو من الطبقة الدنيا .

كما كان محيط الشخص وبيئته ومنطقة اقامته من العوامل التي ساهمت في تقرير عضوية الهيئة . وبيين لنا في التحليل السابق ، كيف ان ٢٨ من أعضاء الهيئة الاثنتين والثلاثين ، جرى بهم من اوساط مدينية . ومع ان عناصر القديس في الهيئة كانت ذات وزن معتبر ، الا انه يجب القول ان تمثيل مدينتي نابلس وبيانا في الهيئة كان مضمونا باستمرار .

في بعض الحالات ان ادى الشقاق بين اطراف الهيئة المختلفة الى اجتكاكات ثم انسحابات من عضويتها . وتوفر هذه الانسحابات بالطبع فرصا أمام العناصر الجديدة الطامحة لعضوية الهيئة . وحدث في يوليو ١٩٢٧ على سبيل المثال ان اثنين من أعضاء اللجنة استقالا احتجاجا على الطريقة التي تعالج بها بعض النواحي السياسية . وكان خروجها فرصة لدخول عنصرين جديدين في اللجنة ، كما كانت جامعة الدول العربية عنصرا خارجيا يؤثر في تحديد طبيعة تكوين الهيئة وتركيبها العضوي . ان النزاعات المستمرة بين أعضاء الهيئة واجندحتها البارزة ، كانت تدفع « الجامعة » على الدوام الى التدخل في تشكيل الهيئة وأعضائها .

ومن الطبيعي ان حجم التشكيلة المعينة يحدد حجم ومقدار الفرص السياسية . فكلما كان حجم التشكيلة أكبر ، كان مجال الفرص السياسية أوسع بالطبع . وتقلب حجم الهيئة صعودا وهبوطا . فان تشكيلة أبريل ١٩٣٦ تكونت من ١٢ عضوا ، فيما تكونت تشكيلة نوفمبر ١٩٤٥ من ١٣ عضوا . وان خمسة أعضاء من الذين شاركوا في التشكيلة الاولى ، لم يكونوا في التشكيلة الثانية . وهكذا يمكن القول ان ستة عناصر جديدة انفتح أمامها باب المشاركة السياسية في التشكيلة الثانية . وبلغ تشكيل الهيئة أقصى حد له في مارس اذ تكونت من ٢٢ عضوا .

وهكذا نرى انه كانت هناك على الدوام عمليات دخول متواصلة من قبل عناصر جديدة الى النخبة العربية السياسية في فلسطين . وكما يكشف الجدول الرقم ٢٦ ، فان الاعضاء الجدد الذين قبلوا في كل تشكيلة من تشكيلات الهيئة يمثلون نسبة عالية . ان احدى التشكيلات ، تلك التي تكونت في مارس ١٩٤٦ ، ضمت احد عشر عضوا جديدا ، أي بنسبة ٥٠ بالمائة من مجموع اعضائها . وان كثرة عدد العناصر الجديدة التي دخلت عضوية الهيئة ، دلالة ومؤشر على حجم التجدد ومقدار التبديل للنخبة العربية السياسية في فلسطين . ولكن حيث ان ٢٨ عضوا من مجموع أعضاء تشكيلات الهيئة جميعا ، هم من حائل الطبقة العالية ، فان من الواضح ان عملية التجدد

## تلاشي « الفريق النواة »

احتفظوا بمقاعدهم في التشكيلة الرابعة . وكان هؤلاء الاعضاء الاربعة : أحمد حلمي عبد الباقي ، والحاج أمين الحسيني ، وجمال الحسيني ، وحسين فخري الخالدي . وهذا الهبوط في عدد أعضاء الفريق النواة في تشكيلة الهيئة ، يعود الى الترقيات التي لجأ اليها مجلس جامعة الدول العربية حيث تشكلت الهيئة من اربعة أعضاء : اثنان حسيين ( جمال الحسيني واميل الغوري ) واثنان يمثلان الكتلة المنافسة وهما أحمد حلمي عبد الباقي وحسين فخري الخالدي ، وتولى الحاج أمين الحسيني رئاسة الهيئة . وكان الاربعة الذين لم يؤخذوا في عضوية التشكيلة : عوني عبد الهادي ، ويعقوب الفصين ، وراغب النشاشيبي ، وعبد اللطيف صلاح .

وكانت احدى نتائج الحرب العربية — اليهودية عام ١٩٤٨ سر الهيئة العربية العليا في طريق الضعف والوهن . ولم تصبح الهيئة بعد هذه الحرب أكثر من اسم ولائحة . ولم يعد للهيئة وجود على صعيد الغايات العملية .

وأدى سياق الاحداث السياسية والعسكرية وتعاقبها على مسرح فلسطين بعد الحرب العربية — الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ، الى بعثرة وتشتيت الشعب العربي الفلسطيني . وكان من نتائج هذا بين أمور أخرى ، ان ثمانية من أعضاء « الفريق النواة » ، تبعثروا بين أنحاء مختلفة من أقطار الشرق الاوسط . وتولوا جميعا مناصب حكومية متنوعة . ثلاثة منهم تولوا الوزارة في الاردن في الخمسينات وهم : عوني عبد الهادي ، وحسين فخري الخالدي ، وراغب النشاشيبي حتى وفاته . وأصبح أحد السبعة المتبقين ، وهو عبد اللطيف صلاح ، في الخمسينات عضوا في مجلس الاعيان في الاردن ، ولقد توفي بعد سنوات من تقلده هذا المنصب . ومن الستة المتبقين ، توفي اثنان : يعقوب الفصين وأحمد حلمي عبد الباقي الذي وافته المنية عام ١٩٦٣ . وفي سنة ١٩٧١ عاد الحاج أمين الحسيني ليسهم في العمل السياسي ، بترزيمه جماعة يمينية صغيرة ذات اتجاه ديني ، باسم « الفتح الاسلامي » . وتوفي الحاج أمين الحسيني في يوليو ١٩٧٤ .

كما ذكرنا من قبل ، فان تشكيلة اللجنة العربية الاولى التي تألفت من عشرة أعضاء ، تأسست في الخامس والعشرين من ابريل ١٩٣٦ . احتل هؤلاء الاشخاص مكانة مركزية في قلب الحركة العربية الوطنية في فلسطين . في هذه التشكيلة كانت الاحزاب العربية السياسية الستة في فلسطين ممثلة بقادتها ، وكان فيها زعيما الطائفتين المسيحتين الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك في فلسطين ، وكان فيها منفي القدس الذي تولى كذلك رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ، والذي كان سياسيا ذا شهرة وشعبية ونفوذ . وترأس المفتي الحاج امين الحسيني اللجنة . وكان هناك ايضا راغب النشاشيبي الذي مثل حزبه في اللجنة .

ومع ان أعضاء الهيئة كانوا متباينين الآراء حول المدى الذي ينبغي ان تصل اليه معارضة السياسة البريطانية لانشاء وطن توممي لليهود في فلسطين ، الا انهم جميعا كانوا متفقين على قرارات تتعلق بوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ووقف بيع الاراضي العربية لليهود ، واقامة حكومة وطنية تكون مسئولة امام مجلس تمثيلي منتخب ، كبديل للانتداب البريطاني (٧١) .

ونظرا للدور المركزي الواضح الذي لعبه هؤلاء الاعضاء العشرة ( الفريق النواة ) في النظام السياسي لفلسطين العربية ، فانهم يستحقون ان نقف عندهم ولو وقفة قصيرة . كانت نسبة أعضاء الهيئة من الفريق النواة ، في تشكيلات الهيئة الثلاث اللاحقة ، عالية حقا . فمن الزعماء العشرة الذين شكلوا اللجنة الاولى ، احتفظ سبعة منهم بعضويتهم في تشكيلتي نوفمبر ١٩٤٥ ، ومارس ١٩٤٦ . وهؤلاء هم عوني عبد الهادي ، وأحمد حلمي عبد الباقي ، ويعقوب الفصين ، وجمال الحسيني ، وحسين فخري الخالدي ، وراغب النشاشيبي ، وعبد اللطيف صلاح . ومرد هذا الهبوط في عددهم من عشرة الى سبعة كان وفاة يعقوب فراج في ١٩٤٤ ، ووفاة الفرد روك في ١٩٤٢ ، واحتجاز الحاج امين الحسيني في فرنسا بسبب علاقاته مع المحور خلال الحرب العالمية الثانية .

ان نصف أعضاء الفريق النواة الثمانية المتبقين ،

## انشقاق في صفوف النخبة السياسية

أشرنا من قبل الى ان النخبة العربية السياسية في فلسطين كانت تعاني على الدوام من نزاعات داخلية مستعصية بسبب عدة عوامل واسباب . لقد كانت هناك العداوة القديمة بين جهولتي الحسينية والنشاشيبية . وكانت الحملتان من أقوى المعثرات نفوذا في فلسطين . ونشأ النزاع بينهما بسبب الصراع المستمر على احتلال المناصب القيادية الاجتماعية والسياسية . وكانت لكل منهما تحالفات مع حمايل وعشائر أخرى . وكانت الخصومة بين أعضاء الهيئة من الحسينية والنشاشيبية انعكاسا للعداوة بين المعسكرين المتنافرين . ونظرا لما كان يتمتع به الفريقتان من تأثير واسع الاثر على مجمل الحياة العربية في فلسطين . وكان هذا التنازع والشقاق ملموسين كذلك في القرى العربية . ففي كثير من القرى ذات الاكثوية الاسلامية والاتجاهات التقليدية والارتباط الديني القوي ، انقسم أهالي القرية الى معسكرين : أحدهما يؤيد الحسينية ، والثاني يؤيد النشاشيبية . وتسبب هذا الصراع بين الفريقتين في كثير من الحالات بالحاق ضرر فادح بالصلحة العربية الوطنية نفسها في فلسطين . اذ وصل امر التنازع الى حد انه اذا قدم أحد الفريقتين أي مشروع ، فالفريق الأخر يعارضه ولو كان المشروع يخدم الصلحة العربية في فلسطين فعلا .

ثم ان « الحزبين » كانا يختلفان في درجة معارضتهما للانتداب البريطاني وللسياسة البريطانية العاملة لاقامة وطن قومي يهودي في فلسطين . فزعم ان الفريقتين أعلننا معارضتهم للانتداب ولشروع الوطن القومي اليهودي ؛ الا ان « الحزب » النشاشيبي أظهر تقديرا من الاعتدال أكثر مما بدا من « الحزب » الحسيني . ولقد وثقنا هذه الناحية من البحث حقها في موضع سابق ، ولذا لا حاجة للعودة الى هذا الموضوع والاسهاب فيه .

وربما كانت الخلافات في المواقف واضحة أيضا داخل كل حزب من الاحزاب العربية السياسية . وأشرنا في مكان سابق الى الخلاف بين جمال الحسيني وبين الحاج امين الحسيني حول المدى

الذي يجب ان تصل اليه المعارضة العربية لبريطانيا ، ودرجة حدة هذه المعارضة . فلقد حدث جمال الحسيني الحاج امين في عدة مناسبات على ان يقبل خطة تقسيم فلسطين ، وان يخرس عداوته لبريطانيا ضمن موضوع القضية الفلسطينية .

كما ان التكوين الاجتماعي للاحزاب السياسية ، كان مصدرا آخر للتباين بين هذه الاحزاب . فحزب الكتلة الوطنية مثلا بزعامة عبد اللطيف صلاح ، كان محدود النطاق . ان السواد الاعظم من أتباع هذا الحزب كانوا في مدينة نابلس والانشاء المجاورة . فكانت نابلس مكان ولادة زعيم الحزب ، ومحل اقامته ، ومقر الحزب . وعلى نقض حزب الكتلة الوطنية ، فان قادة حزب الاستقلال هم في الغالب من الفئة المثقفة في المناطق المدنية ، وعلى نقض حزب الكتلة الوطنية الذي كان يقوم كليا على الدعم المحلي جدا الذي يتلقاه من منطقة معينة هي نابلس وجوارها ، فان حزب الدفاع الوطني للنشاشيبية ، والحزب العربي الفلسطيني للحسينية ، لقيما مساندة وانصارا في كل مدينة من مدن فلسطين تقريبا ، وفي كثير من قرى فلسطين العربية . ومع ان كلا الحزبين يضمهان في صفوفهما عناصر من الطبقة الوسطى ، فان جماعة النشاشيبية في حزب الدفاع الوطني كان لديها من الانصار من ابناء الطبقة الوسطى أكثر مما كان للحزب العربي الفلسطيني . وكان الحاج امين الحسيني أكثر الزعماء والسياسيين وقادة الاحزاب شعبية في اوساط الفلاحين المسلمين . ويمكن تفسير هذا الاعجاب العظيم بالفتي ، وهذا التأييد الكبير لحزبه في الاوساط الريفية الاسلامية ، بسبب منصبه كمفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى . ولقد دعا الحاج امين الحسيني الى معارضة الصهيونية باعتباره ان هذا الموقف يمثل تطبيقا للتعاليم الاسلامية . وعبرت شعبية الحاج امين الحسيني الواسعة في الاوساط الريفية الاسلامية ، عبرت عن نفسها ، بشعارات واهازيج زددها الفلاحون ؛ ومن ذلك قولهم « سيف الدين الحاج امين » . أما بالنسبة للكثرة من أعضاء حزب الاستقلال من مثقفي ألدن ، فهي كافية لتوضيح الالتزام الايديولوجي الاقوى الذي أعطاه الحزب لقضية القومية العربية ، واستعداداه للتصوية مع الانتداب البريطاني وسياسة انشاء

العسكرية والسياسية في فلسطين في الفترة التي تطلعت الحرب ، كانت الطبقة الوسطى أكثر طبقات المجتمع معاناة على الصعيد الاقتصادي .

الوطن القومي اليهودي . وقد يكون للنسبة المهمة من أبناء الطبقة الوسطى في حزب الدفاع الوطني ، دور في ذلك الاتجاه المعتدل ازاء بريطانيا وتجاه يهود فلسطين على السواء . ففي خلال الجاهات

### الحواشي :

- ١ - ان هناك ندرة في الدراسات التهجية عن القيادة السياسية لجميع بلدان الشرق الاوسط . وبين المؤلفات القليلة المنشورة ، كتاب ريتشارد هرير ديكجيان ، « مصر في ظل حكم ناصر : دراسة لقوى التحريك السياسي » ، ( الباني : منشورات مطبعة جامعة ولاية نيويورك ، ١٩٧١ ) ، الصفحات ٩ - ١٣ ، وكتاب فريدريك فري « النخبة السياسية التركية » ( كامبردج ، ميت برس ١٩٦٥ ) ، وكتاب وليم كوانت « الثورة والقيادة السياسية : الجزائر ١٩٥٤ - ١٩٦٨ » ( كامبردج ، ميت برس ، ١٩٦٩ ) وكتاب جي ووتربري « أيام المؤتمنين ، النخبة السياسية الماركسية ، دراسة في جوانب سياسية » ( نيويورك ، منشورات جامعة كولومبيا ، ١٩٧٠ ) وكتاب م. زونيس ، « النخبة السياسية في ايران » ، برنستون ، منشورات جامعة برنستون ، ١٩٧١ ) ، ولستر سليجمان في كتاب « القيادة في أمة جديدة: التطور السياسي في اسرائيل » ( نيويورك : افرتون ، ١٩٦٤ ) ، وكتاب ميشال بريشر « نظام السياسة الخارجية في اسرائيل : الخلفية والتصورات والسياسة » ( نيوهاغن : منشورات جامعة بيل ، ١٩٧٢ ) .
  - ٢ - انظر فريدريك دبليو. فري في كتابه « تحليل السلطة » ، حاشية الصفحة الاولى كما اقتبسها مارفن زونيس في الكتاب السابق الذكر ، ص ٦ .
  - ٣ - ف. دبليو. فري في كتاب « التطور السياسي: السلطة والاتصالات في تركيا » ، وكذلك كتاب « الاتصالات والتطور السياسي » الذي حرره لوسيان دبليو. باي ( برنستون ، منشورات جامعة برنستون ، ١٩٦٣ ) الصفحة ٣٠٢ .
  - ٤ - المصدر نفسه ، الصفحة ٣٠٢ .
  - ٥ - هناك تعريف لطريف لكلمة « النخبة » تجده في
- ٧ - في أول سنة لعضوية الهيئة .
  - ٨ - في السنوات . وان « العضوية السابقة » لا تعني بالضرورة الاشتراك بعضوية تشكيلة للهيئة سابقة مباشرة للتالية .
  - ٩ - « فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية » ( نيوهاغن : منشورات جامعة بيل ، ١٩٤٧ ) الصفحة ٤٦٥ .
  - ١٠ - صالح مسعود ابو يصر ، « جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن » . ( بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ) ، الصفحة ١٨٢ .
  - ١١ - ابو يصر ، المصدر السابق ، الصفحة ١٨٢ .
  - ١٢ - « فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية » المصدر السابق ، الصفحة ٨٦١ .
  - ١٣ - اميل الفوري ، « المؤامرة الكبرى » ( القاهرة ، ١٩٥٥ ) ، الصفحة ١٦٨ .
  - ١٤ - يمكن الرجوع الى محمد عزة دروزة ، « القضية الفلسطينية : تاريخ ومذكرات وتعليقات » ، صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ) ، الجزء الثاني ، الصفحتان ٥٧-٥٨ .

- ٦ - حيثما وجدنا تواريخ متعددة لولادة أحد اعضاء الهيئة ، فاننا تبيننا تاريخ الولادة المسجل في المصدر الاجدر بالاعتماد والثقة . وحيثما انتفى عامل الثقة او الجدارة ، فقد كنا نأخذ بالاعتبار معدلا وسطيا بين تواريخ الولادة المتعدد .

- تتمتع الاهمية هنا لا تتمثل في عدد الشهادات التي حصلها الاعضاء في المستوى الدراسي نفسه ، وانما على المستوى العامودي للتحصيل الدراسي . ان اهتمامنا هنا ينصب على الناحية العامودية لا الافقية من عملية التحصيل العلمي .
- ٢٦ - لقد حولنا الارقام الى ارقام صحيحة ولذا قد لا يكون المجموع ١٠٠٪ .
- ٢٧ - « مسح فلسطين » ( القدس : مطبعة الحكومة ، ١٩٤٦ ) الصفحات ٦٢٨ و ٦٩٩ .
- ٢٨ - مع ان عددا من المعاهد التعليمية في فلسطين كانت مصنفة « كليات » ، فان مستوى غالبية هذه المعاهد لم يكن يسوغ هذا التصنيف ، فهو في الواقع مستوى الدراسة الثانوية العالية لا أكثر . ونحن في دراستنا اعتبرنا المعاهد التعليمية التي كانت مصنفة على انها «كليات» ، والتي لم نجد ما يبرر لها هذا التصنيف ، واعتبرناها في مستوى المدارس الثانوية . ولم نحسبها بين الكليات الجامعية . واذا رغبت بالتعرف الى شكل وطبيعة النظام المدرسي في فلسطين في ظل الانتداب ، يمكنك الرجوع الى عبد اللطيف الطيباوي في المصدر السابق ذكره ، وخاصة الصفحات ٤٢-٧٦ .
- ٢٩ - فيما يتعلق بنظام التربية والتعليم والمعاهد التعليمية في فلسطين تحت حكم الانتداب ، يمكنك مراجعة « الشرق الاوسط » ، الصادر عام ١٩٤٨ ( لندن ، منشورات يوروبا ) الصفحات ٢٢٧ - ٢٣٣ .
- ٣٠ - « مسح فلسطين » ( القدس : مطبعة الحكومة ، ١٩٤٦ ) ، الصفحة ١٤١ .
- ٣١ - المصدر نفسه ، الصفحة ١٤١ .
- ٣٢ - هذا الرقم يشتمل على ٦٦,٥٠٢ من البدو، وان نسبة العرب بين سكان فلسطين تعادل وفق هذا الاحصاء ٨١,٤٢٪ من مجموع السكان الذي كان ١٤,٣٥٤,٨٢١ نسمة . انظر « فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية » ، الصفحة ٤٩٦ . وان تعريف « العربي » هنا انه أي شخص لغته الام العربية .
- ٣٣ - مع ان نسبة المواليد بين سكان فلسطين العرب المسلمين كانت اعلى من نسبة المواليد لدى سكان فلسطين العرب المسيحيين ، فان

- ١٥ - انظر أحمد عطية الله في « القاموس السياسي » ( القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٨ ) الصفحة ١٣٧٦ .
- ١٦ - انظر دروزة ، المصدر السابق ، الصفحتان ٥٧ - ٥٨ .
- ١٧ - هاري ج. بندا ، « الانتلجنسيا في غرب الغرب كتحديات سياسية » في « التبدل السياسي في البلدان المتخلفة : القومية والشيوعية » ، تحرير جون ه. كاوتسكي ( نيويورك : دايلي ، ١٩٦٢ ) الصفحة ٢٤١ .
- ١٨ - لقد حولنا الارقام الى ارقام صحيحة وقد لا يكون حاصلها الاجمالي ١٠٠٪ .
- ١٩ - لتحليل هذه الظاهرة ، اعني الميل الموجود في البلدان النامية لدراسة القانون والمسود الانسانية ، يمكنك الرجوع الى بندا ، المصدر نفسه ، الصفحات ٢٤٠-٢٤٢ : « وهكذا ، فبينما هناك نقص فاحش في جميع بلدان آسيا والشرق الاوسط وافريقيا وحتى امريكا اللاتينية ، وحاجة شديدة الى الاطباء والمهندسين والعلماء ، فان الاكثية الساحقة من المثقفين والمتعلمين خارج الدول الغربية تخصص في نواحي القانون والدراسات الانسانية ، لان كلا التخصصين يشيمان - كما يبدو - الرغبة في البروز الاجتماعي حسب المفاهيم السائدة » ، المصدر نفسه ، صفحة ٢٤١ .
- ٢٠ - بما في ذلك علم الجريمة .
- ٢١ - تشتمل العلوم الاجتماعية في هذا التصنيف على العلوم السياسية والتاريخ .
- ٢٢ - عبد اللطيف الطيباوي ، « التعليم العربي في فلسطين في ظل الانتداب » ( لندن ، لوزاك ، ١٩٥٦ ) الصفحتان ٢٠ - ٢١ .
- ٢٣ - المصدر نفسه ، الصفحة ٢٤٤ .
- ٢٤ - في جزء آخر من الدراسة تبيان لفئات الدرجات التعليمية المشابهة .
- ٢٥ - في العادة ، ان نسبة من فئة حيلة شهادات الدكتوراه ودكتوراه الطب ، تحمل شهادات تنتمي الى فئة ب.ع. وم.ع. ولا وجود بين هؤلاء الاعضاء الذين ينتمون الى الفئات التعليمية الثلاث ، من حصل أكثر من درجة علمية واحدة ( شهادة ) في المستوى التعليمي نفسه . ان

- ٤٠ - « فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية العربية والبريطانية » - المصدر السابق ، الصفحات ٤٨٣ - ٤٨٦ و ٥١٠ .
- ٤١ - المعهد الملكي للشؤون الدولية ، « بريطانيا العظمى وفلسطين ، ١٩١٥-١٩٢٩ » (نيويورك الصفحة ٣٧) .
- ٤٢ - « فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية العربية والبريطانية » ، المصدر السابق ، الصفحة ٤٧٢ .
- ٤٣ - دون بيريتز ، « الشرق الاوسط في الوقت الحاضر » ( نيويورك : هولت ، راينهارت وونستون ، ١٩٦٢ ) ، الصفحة ٢٦١ .
- ٤٤ - ان تعريف ديليو . هوارد ريجنز لكلمة زمرة او « شلة » ينطبق على الاحزاب العربية السياسية في فلسطين ، باستثناء حزب الاستقلال والحزب الشيوعي . ولاحظ ريجنز « ان الشخصيات القيادية في معظم البلدان النامية ، تجد حولها رجلا يتبعون زعيما من الزعماء ، بسبب الصلات العائلية ، والمنطقة المشتركة ، والتجربة المشتركة في الجسارة السياسية ، والعلاقات الشخصية ... وان الاحساز السياسية ليست في مراحل نشوئها ونموها الاولى اكثر من تجمعات ذات تبعية شخصية ، وولتقي معا الا بصورة مؤقتة حول هدف سياسي معين ومحدد ، كطلب الاستقلال مثلا » .
- « حتمية الحاكم » ( نيويورك : مطبوعات جامعة كولومبيا ، ١٩٦٩ ) ، الصفحتان ٧٣ و ٧٤ . وحول هذه المسألة أيضا تستطيع الرجوع الى ديفيد ويلسون ، « العمل السياسي في تايلند » ( اثاكا : مطبوعات جامعة كورنيل ، ١٩٦٢ ) الصفحات ١١٦ و ٢٣٢ و ٢٤٦ - ٢٤٧ .
- ٤٥ - كان عونى عبد الهادي ورفيق التميمي - وكلاهما من أعضاء الهيئة العربية العليا - من الذين شاركوا عام ١٩١١ في تأسيس جمعية الشباب العربي و« العربية الفتاة » . وطالبت هذه الجمعية باستقلال عربي كامل عن السلطنة العثمانية ، وباتامة دولة عربية واحدة . وحتى اوائل الحرب العالمية الاولى ، لم يكن هناك وجود لاي حزب سياسي شرعي في سورية ، ولم تظهر جمعية الشباب العربي « العربية الفتاة » الى العلن الا عند نهاية الحرب العالمية الاولى ،

الزيادة الطبيعية الصافية ، اي زيادة حالات الولادة على حالات الوفاة ، لكل من المسلمين والمسيحيين بين عرب فلسطين ، لم تسجل غارقا كبيرا . ومرد هذا ان نسبة الوفيات بين العرب المسلمين كانت أعلى من نسبة الوفيات بين العرب المسيحيين . ( المرجع نفسه ) الصفحة ٤٦٤ .

- ٢٤ - المصدر نفسه ، الصفحة ٤٩٨ .
- ٢٥ - المصدر نفسه ، الصفحة ٤٦٥ .
- ٢٦ - بناء لاحصاء ١٩٢١ ، المصدر نفسه ، الصفحة ٤٩٦ .
- ٢٧ - محمد فيصل عبد المنعم ، « فلسطين والغزو الصهيوني » ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ ، الصفحة ٤٠٧ .
- ٢٨ - لقد ولد أحد هؤلاء الاربعة في شفاعمرو . ونحن في هذه الدراسة اعتبرنا شفاعمرو - التي كان عدد سكانها عام ١٩٤٤ ( ٢٤٦٤٠ ) نسمة - على انها من الريف ، رغم ان السلطات الادارية البريطانية اعتبرتها مدينة . انظر « مسح فلسطين » ، المصدر السابق ، الصفحة ١٥١ .
- ٢٩ - ان هيئة العاصمة على بقية انحاء البلد في عدة جوانب من حياة المجتمع ، في كثير من اقطار العالم النامي ، حقيقة مسلم بها . كما لاحظ ل . بايندر ان « التوزيع الريفي - المدني في ايران ، كما في كثير من دول العالم النامية ، يجعل معظم السكان في الريف ، ويركز السلطة السياسية في المدينة العاصمة ... وان مصر الامة يتقرر في طهران . ويمكن القول بيقين ثابت ان كناسي الشوارع في طهران يتمتعون بفعالية سياسية تؤثر في مستقبل النظام ، اكثر مما هناك من تأثير او اهمية لهوموم وأمانى النخبة الموجودة في عدد لا يحصى من القرى وانحاء الريف » ، انظر ليونارد بايندر في كتابه : « ايران ، التطور السياسي في مجتمع متغير » ، الصفحة ١٦١ . واذأشئت ان تأخذ فكرة عن مكانة القدس في التاريخ الاسلامي والعربي ، يمكنك الرجوع الى كتاب عبد اللطيف الطيباوي : « القدس : منزلتها في الاسلام وفي التاريخ العربي » ( بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٩ ) .

- وأعلنت في فبراير ١٩١٩ أنها ستواصل كفاحها بصورة شرعية في إطار « حزب الاستقلال العربي » ، وأصبح وجود الحزب بعد ١٩٢٥ متقطعا ، لكن أعضائه العاملين استمروا على دعوتهم إلى الأيديولوجية القومية العربية ، وأن أقلية من هؤلاء ، مثل عوني عبد الهادي ، أسست منظمات سياسية وأطلقت عليها اسم حزب الاستقلال . وهكذا فإن حزب الاستقلال المكون حديثا في فلسطين ، ينحدر في الحقيقة من حزب الاستقلال العربي — الام في سوريا ، ويمثل استمرارا لذلك الحزب . وكان عوني عبد الهادي همزة الوصل بين الفرع الفلسطيني الجديد من الحزب ، وبين الحزب القديم .
- ٤٦ — من رسالة دبلوماسية رسمية بعث بها القنصل الامريكي العام في القدس إلى الخارجية الامريكية في واشنطن ، ٢٢٤٥ — ٠٠/٨٦٧ ، الصفحتان ٥ — ٦ ، موجودة في الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي .
- ٤٧ — برغم تأسيس هذا الحزب ، فإن الحسينيين لم يتخلوا عن قولهم أنهم لم يكونوا « حزبا » بالمعنى الضيق للكلمة ، بل ممثلين للشعب العربي الفلسطيني بأسره . ومن هنا جاء اسم الحزب « الحزب العربي الفلسطيني » على هذا النحو التعميمي .
- ٤٨ — حذف اسم مؤسس العلمي من قائمة زعماء الحزب ، لأنه رفض ان يصبح عضوا فعالا فيه .
- أنظر الرسالة الدبلوماسية الرسمية من القنصل الامريكي العام في القدس إلى الخارجية الامريكية في واشنطن ، ٢٢٤٥ — ٠٠/٨٦٧ ، الصفحتان ٣ — ٤ ، في الارشيف الامريكي الوطني في واشنطن دي. سي .
- ٤٩ — المصدر نفسه ، الصفحة ٤ .
- ٥٠ — المصدر نفسه ، الصفحتان ٤ — ٥ .
- ٥١ — أنظر رسائل القنصل الامريكي العام في القدس التي بعث بها إلى الخارجية الامريكية ، واشنطن ، ٢٢٤٥ — ٠٠/٨٦٧ ، الصفحتان ٣ — ٥ ، وكذلك ٠٠/٢٢٥ و ٨٦٧ (١/٥) ١٩٣٥ ) ، الصفحة الثانية ، في الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي .
- ٥٢ — المصدر نفسه ، الصفحتان ٣ — ٥ .
- ٥٣ — من القنصل الامريكي العام في القدس إلى
- وزارة الخارجية في واشنطن ، ٢٢٤٥ — ٠٠/٨٦٧ ، الصفحتان ١ — ٢ ، الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي .
- ٥٤ — أحمد فراج طايح ، « صفحات مطوية عن فلسطين » ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب ، ( ١٩٦٦ ) الصفحة ١٥٥ .
- ٥٥ — أحمد فراج طايح ، المصدر السابق ، الصفحة ١٥٤ .
- ٥٦ — دون بريتر ، المصدر السابق ، الصفحة ٢٦١ .
- ٥٧ — يمكنك الرجوع إلى الرسالة الدبلوماسية التي بعث بها القنصل الامريكي العام في القدس إلى الخارجية الامريكية في واشنطن ، والمؤرخة ١٨ أكتوبر — تشرين الاول ١٩٢٤ — ٠٠/٢٢٥ .
- ون ٨٦٧ ، الصفحة الثالثة ، في الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي .
- ٥٨ — دون بريتر ، المصدر السابق ، الصفحة ٢٧٠ .
- ٥٩ — تاريخ هذه الرسالة ١٨ أكتوبر — تشرين الاول ١٩٢٤ ، ورقمها ٠٠/٢٢٥ ون ٨٦٧ — الصفحة الثالثة ، الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي . وان الاقواس الواردة في النص هي اضافة من عندنا .
- ٦٠ — عبداللطيف الطيباوي ، « التعليم العربي في فلسطين في ظل الإنتداب » ، الصفحات ١٤ — ١٦ ، وكذلك جي. سي. هوريويتز ، « الكفاح من أجل فلسطين » ( نيويورك : فورنون ، ١٩٥٠ ) الصفحات ٥١ — ٥٣ .
- ٦١ — وهناك تقسيم من نوع آخر للمجتمع الفلسطيني ، يمكنك الاطلاع عليه في ما كتبه م. شيرمان ، إذ اعتبر المجتمع الفلسطيني منقسما إلى خمس طبقات : البدو ، والفلاحون ، والانذنية ( أي كبار أصحاب الارض المقيون في المدن ) ، والطبقة المدنية الوسطى ، والجماهير المدنية . أنظر كتاب « فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية » ، الصفحات ٥٠ — ٥١٦ .
- ٦٢ — المصدر نفسه ، الصفحة ٥٠٥ .
- ٦٣ — جبريال باير ، « السكان والمجتمع في المشرق العربي » ، ( نيويورك ، بيرجر ، ١٩٦٤ ) ، الصفحة ٢١٥ .

- وأعلنت في فبراير ١٩١٩ أنها ستواصل كفاحها بصورة شرعية في إطار « حزب الاستقلال العربي » ، وأصبح وجود الحزب بعد ١٩٢٥ متقطعا ، لكن أعضائه العاملين استمروا على دعوتهم إلى الأيديولوجية القومية العربية ، وأن أقلية من هؤلاء ، مثل عوني عبد الهادي ، أسست منظمات سياسية وأطلقت عليها اسم حزب الاستقلال . وهكذا فإن حزب الاستقلال المكون حديثا في فلسطين ، ينحدر في الحقيقة من حزب الاستقلال العربي — الام في سوريا ، ويمثل استمرارا لذلك الحزب . وكان عوني عبد الهادي همزة الوصل بين الفرع الفلسطيني الجديد من الحزب ، وبين الحزب القديم .
- ٤٦ — من رسالة دبلوماسية رسمية بعث بها القنصل الامريكي العام في القدس إلى الخارجية الامريكية في واشنطن ، ٢٢٤٥ — ٠٠/٨٦٧ ، الصفحتان ٥ — ٦ ، موجودة في الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي .
- ٤٧ — برغم تأسيس هذا الحزب ، فإن الحسينيين لم يتخلوا عن قولهم أنهم لم يكونوا « حزبا » بالمعنى الضيق للكلمة ، بل ممثلين للشعب العربي الفلسطيني بأسره . ومن هنا جاء اسم الحزب « الحزب العربي الفلسطيني » على هذا النحو التعميمي .
- ٤٨ — حذف اسم مؤسس العلمي من قائمة زعماء الحزب ، لأنه رفض ان يصبح عضوا فعالا فيه .
- أنظر الرسالة الدبلوماسية الرسمية من القنصل الامريكي العام في القدس إلى الخارجية الامريكية في واشنطن ، ٢٢٤٥ — ٠٠/٨٦٧ ، الصفحتان ٣ — ٤ ، في الارشيف الامريكي الوطني في واشنطن دي. سي .
- ٤٩ — المصدر نفسه ، الصفحة ٤ .
- ٥٠ — المصدر نفسه ، الصفحتان ٤ — ٥ .
- ٥١ — أنظر رسائل القنصل الامريكي العام في القدس التي بعث بها إلى الخارجية الامريكية ، واشنطن ، ٢٢٤٥ — ٠٠/٨٦٧ ، الصفحتان ٣ — ٥ ، وكذلك ٠٠/٢٢٥ و ٨٦٧ (١/٥) ١٩٣٥ ) ، الصفحة الثانية ، في الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي .
- ٥٢ — المصدر نفسه ، الصفحتان ٣ — ٥ .
- ٥٣ — من القنصل الامريكي العام في القدس إلى

أمر كانت حاكمة ، الا ان من المفيد مع ذلك مقارنة حالة فلسطين بايران . فان اعضاء اللجنة السياسية المولودين في ايران ، في طهران العاصمة ، كانوا في الغالب من ابناء السلالات الايرانية الحاكمة السابقة . ارجع الى مارغن زونيس في كتابه « **النخبة السياسية في ايران** » ، ( برنستون ، مطبوعات جامعة برنستون ، ١٩٧١ ) الصفحة ١٤٣ .

٦٩ - ان الكثير من الاسر المدنية الكبيرة والمتنفذة تعيد أصلها الى سلالات قادة مسلمين ورسامين كبار سابقين . على ان هذه المزاعم لا تتمشى مع الحقيقة في عدة حالات .

٧٠ - جي.سي. هوريويتز ، المصدر السابق ، الصفحة ٥٨ .

٧١ - الوثيقة رقم ٥٤٧٩ ، تقرير لجنة بيسل الملكية ، ( لندن ، المطبعة الحكومية ، ١٩٢٧ ) الصفحة ٩٧ .

٦٤ - د. أي. روستو ، « سياسات الشرقي الادنى » في « **سياسات المناطق النامية** » ، تحرير جي.إي. الموند وجي.أس. كولمان ( برنستون : مطبوعات جامعة برنستون ، ١٩٦٠ ) الصفحة ٤٣٨ .

٦٥ - أهارون كوهين ، « **اسرائيل والعالم العربي** » ( نيويورك : فلك واجنلز ، ١٩٧٠ ) الصفحة ١٩٩ . وللإطلاع على تاريخ وتركيب نظام الأراضي في فلسطين ، اقرأ كتاب سامي هداوي ، « **ملكية الأرض في فلسطين** » ، ( نيويورك ، مكتب اللاجئين العرب الفلسطينيين ، ١٩٥٧ ) .

٦٦ - باير ، المصدر السابق ، الصفحة ٢٠٧ .

٦٧ - كوهين ، المصدر السابق ، الصفحة ٣١٢ ، الحاشية .

٦٨ - رغم انه ليس جميع اعضاء الهيئة الذين ذكرنا انحذارهم من أسر اسلامية ، ينتمون الى

## وزارة الخارجية الاسرائيلية وكيف تعمل

### نجدة فنجي صفوة

بل وحشى مبادئ ميثاق الامم المتحدة .  
واسرائيل هي الدولة الوحيدة من اعضاء الامم  
المتحدة التي تعيش في تحد مستمر لقرارات المنظمة،  
ويشكل استمرار وجودها في الاراضي التي تحتلها  
ما يعرف في لغة القانون الجنائي بـ « الجريمة  
المستمرة » .

وبالرغم من اعتراف دول متعددة في العالم  
باسرائيل ، في ظروف ولاسباب متنوعة ، فانها ما  
تزال تشعر بعقدة نقص بالقياس الى الدول  
الآخري ، كما تشعر بالغرابة في المنطقة ، وبالعزلة  
عن العالم .

ولذلك كان اول اهداف الدبلوماسية الاسرائيلية  
السمعي لتأكيد وجود اسرائيل كدولة ذات سيادة  
على أرض فلسطين ، كما أنها تعمل دوما على  
ايجاد المناخ الدولي الذي يقبل بوجود هذا  
الجسم السياسي والاجتماعي الغريب وغير المنسجم  
في هذه المنطقة من العالم ، والذي يضمن بقاءه  
ودعمه بمختلف الوسائل المباشرة وغير  
المباشرة (١) .

ومن هنا تأتي الاهمية الخاصة للجهاز  
الدبلوماسي بالنسبة لاسرائيل . ان الدبلوماسية  
الاسرائيلية ، وأجهزتها في الداخل والخارج ليست  
ضربا من الترف ، ولا هي وسيلة لاستكمال  
المقومات السياسية للدولة العصرية ، وانما هي  
أداة من أدوات العمل من أجل تثبيت كيان هذه  
الدولة من جهة ، وانجاز البرامج العدوانية  
والتوسعية لهذه الدولة الفريدة من نوعها في تاريخ  
الدول — من جهة أخرى .

ولا بد من الاشارة في البداية الى أن هذا

هنالك أربع وسائل رئيسية تستعين بها الدول  
للتاثير في العالم الخارجي ، والمحافظة على  
كيانها ومصالحها ، وتحقيق اغراضها ضمن المجموعة  
الدولية التي تعيش بينها ، وهذه الوسائل هي :  
الدبلوماسية ، والاعلام ، والمال ، والقوة  
المسلحة . ويصعب كثيرا تحديد أي هذه الوسائل  
أكثر أهمية ، وأبعد أثرا ، لانها متجهة بعضها  
لبعض ، ومتداخلة لا غنى لواحدة منها عن  
الثلاث الأخرى . ويتناول هذا البحث جهاز  
الدبلوماسية الاسرائيلية ، أي وزارة الخارجية ،  
طبيعتها ، وتكوينها ، وأجهزتها ، وكيفية عملها.  
وإذا كان الجهاز الدبلوماسي عظيم الاهمية لكل  
دولة من الدول ، مهما كبرت أو صغرت ، ومهما  
كانت طبيعة علاقاتها مع الدول الأخرى ، فان له  
بالنسبة لاسرائيل أهمية خاصة: فاسرائيل — بالرغم  
من مرور أكثر من ربع قرن على قيامها — دولة ما  
زال كيانها ، ومشروعية وجودها ، محل خلاف  
عنيف ، ومع ذلك فانها تحمل نوايسا عدوانية  
وتوسعية . واسرائيل هي الدولة الوحيدة ، في  
العالم التي لا تعترف بها أية دولة من الدول  
المجاورة لها ، وتعيش في أزمة مستمرة منذ أن  
وجدت ، وتشغل منذ قيامها أرضا مغطىة من  
شعبها ، وما زال ذلك الشعب متمسكا بأرضه  
وينازع اسرائيل وجودها في تلك الأرض . وهي ،  
الى ذلك ، تحتل أراضي تعود لثلاث دول من  
جاراتها ، وتزيد مساحة الأراضي التي تحتلها عن  
مساحة أراضيها التي اعطيت لها بقرار التقسيم  
الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة بأساليب  
غير ديمقراطية ولا اخلاقية ، وخرقا لمبادئ القانون  
الدولي ، وحق تقرير المصير ، وحقوقي الانسان ،

الذي كان في ذلك الوقت مديراً لكلية الخدمة العامة التابعة للوكالة اليهودية ، والذي شغل بعد قيام إسرائيل مباشرة منصب المدير العام لوزارة الخارجية(٣).

وقد تأسست « كلية الخدمة العامة » في عام ١٩٤٦ لتقوم بإعداد العناصر التي ستشكل اليهسا مهمات الخدمة العامة في الدولة المرتقبة التي كانت الاستعدادات تجري لاتمامها . ومن بين ٦٠٠ مرشح تقريبا اختير ٢٥ طالبا، بعضهم خمس فتيات بعد امتحان صعب احدث ضجة كبيرة في ذلك الوقت. وبعد تأسيس الكلية بوقت قصير أطلقت عليها الصحافة والرأي العام لقب « مدرسة الدبلوماسيين » ، كما أن الطلاب أنفسهم كانوا يشعرون أنه مهما كانت الاغراض المعلنة للكلية ، فانهم انما يدرّبون للعمل في الخدمة الخارجية للدولة اليهودية .

وقد انقسم هؤلاء الطلاب ، بعد صدور قرار التقسيم ، الى مجموعات دراسية ، وأخذوا يدرسون كيفية العمل في وزارات الخارجية الأخرى، معتمدين بالدرجة الأولى على الكتب . وأصبحت المعلومات التي تجمعت لدى هؤلاء الطلاب أساسا لمشروع تأسيس وزارة الخارجية وجهازها . وقدم « إيتان » مخطط هذا المشروع ، بمسودته الأولى، الى اللجنة العليا في ٩ كانون الثاني ( يناير ) ١٩٤٨ ، كما قدم المسودة النهائية في اخر ذلك الشهر ، وكان المخطط جاهزا للنفذ عند اعلان قيام الدولة فوراً .

وكان المشروع قد بني على فرضية رئيسية ، وهي عدم اتفاق أموال تزيد عما هو ضروري جدا، مع العلم بأن تأسيس وزارة خارجية وجهاز خدمة خارجية سيكلف مبلغا كبيرا من المال حتى لو اقيم على أسس متواضعة . وجاء في التقرير أنه « سيكون من الأفضل تخصيص مبلغ معقول منذ البداية ، بدلا من انفساد السفينة من أجل قطعة من الزفت » .

اقترح « إيتان » في مشروعه كيانا اداريا مؤلفا من سبع دوائر مقسمة على أساس جغرافي ، وهي : الشرق الأوسط ، اوريا الغربية ، اوريا الشرقية ، أمريكا الشمالية ، أمريكا اللاتينية ، الامبراطورية البريطانية ، آسيا وأفريقية .

وبالإضافة الى هذه الانقسام الجغرافية كانت

البحث يتناول جهاز الدبلوماسية الاسرائيلية ، وليس سياسة اسرائيل الخارجية . فالسياسة الخارجية لدولة من الدول شيء ، وجهازها الدبلوماسي شيء آخر . ان سياسة اسرائيل الخارجية لا ترسمها وزارة الخارجية بمفردها - وكذلك الامر في جميع الدول - لان تلك السياسة تقرر بواسطة عدد كبير من المحطات والاجهزة ومجموعة من السلطات العليا في الدولة والجيش والاحزاب الحاكمة ، وترسم على ضوء ظروف واعتبارات متداخلة معقدة . أما وزارة الخارجية فهي الاداة التي تنفذ بها الدولة سياستها الخارجية ، ويتم ذلك عن طريق أجهزة الوزارة في الداخل ، والممثلات الدبلوماسية في الخارج . وعلى مدى كفاءة هذه الاجهزة يتوقف حسن تنفيذ تلك السياسة .

### نشأة وزارة الخارجية الاسرائيلية وتطورها

ظهرت وزارة الخارجية الاسرائيلية كاستمرار طبيعي للمكتب السياسي للوكالة اليهودية(٤)، وكان هذا المكتب أشبه بوزارة خارجية مصغرة، ومسؤولا عن علاقات الوكالة اليهودية مع الدول والمنظمات الاجنبية من أجل تنفيذ الاهداف الصهيونية باقامة دولة يهودية على الارض العربية في فلسطين .

وفي بداية تأسيس وزارة الخارجية كان رجال المكتب السياسي للوكالة هم المعنصر المسيطر على الخدمة فيها ، وكان نفوذهم شاملا في تكوين تقاليد الوزارة في العمل . فقد كانت الحلقة الصغيرة التي تقوم باتخاذ القرارات في السنوات الأولى أشبه بأعضاء ناد مغلق متضامن تسيطر عليهم روحية العمل الجماعي. وكانوا مجموعة من الرجال يعرف بعضهم بعضا منذ سنوات عديدة .

وكانت الوكالة اليهودية قبل ستة أسابيع من صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين العربية ، قد شكلت لجنة عليا لتخطيط التنظيم الإداري للدولة التي كانت الصهيونية تعمل على اتمامها في فلسطين بعد انسحاب بريطانية . وقد ألفت هذه اللجنة بدورها عدة لجان فرعية لوضع الهيكل الإداري لكل وزارة من الوزارات التي ستتألف منها الحكومة الجديدة . أما اللجنة التي عهد اليها بوضع تصميم لهيكل وزارة الخارجية فكانت مؤلفة من شخص واحد هو « والتر إيتان »

قررت رفع درجة بعثتها الدبلوماسية في اسرائيل الى « سفارة » ، وتعيين سفير لديها . وقد فوجئت اسرائيل بهذا القرار (١) ، ولكنها سارعت الى قبول العرض اذ وجدت ان مثل هذا العرض لا يمكن رفضه ، لا سيما وان الولايات المتحدة كانت مهتلة لدى معظم الدول العربية بوزراء مفوضين فقط . وبعد ذلك بمدة قصيرة افتتحت اسرائيل اول سفارة لها في واشنطن .

وقد حدد المشروع المؤسسات الدبلوماسية والقنصلية التي ستفتح ، وقسم هذه المؤسسات ، من الناحية الزمنية ، الى ثلاث فئات ، على ان يتم تأسيسها جميعا خلال ستة اشهر من اعلان قيام الدولة :

أ - مفوضيات في لندن وموسكو وواشنطن وباريس ، مكاتب جوازات سفر في هامبورغ وفرانكفورت وفيينا وبخارست ( وهذه المؤسسات تفتح على الفور . وقد خلطت فتحها نظراً للاهنية الواضحة للعواصم الاربعة ، ومكاتب جوازات السفر لمنح التأشيرات ومقابلة الحاجة العاجلة لتأمين الاسراع في تهجير اليهود من تلك المدن الى اسرائيل ) .

ب - قنصليات عامة في شنغهاي ( للشرق الاقصى ) وبراغ ( لاوربا الشرقية والجنوبية الشرقية ) . وفي انقرة وطهران ، قنصلية عامة في وارسو . مكاتب جوازات في عدن والجزائر وتريست ، ( وهذه المؤسسات كانت ستفتح « باقرب وقت ممكن » ، وقد روعى في تحديدها الحاجة الى المهاجرين ، وهذه الحاجة هي التي فرضت شكل التمثيل القنصلي بصورة خاصة ) .

ج - قنصليات عامة في ستوكهولم ( للدول الاسكندنافية ) وريو دي جانيرو ( لأمريكا اللاتينية ) ، قنصليات في بومبي وبروكسل وروما وجوهانسبرغ ومونتريال وملبورن ، ( وهذه المؤسسات كانت ستفتح خلال ستة اشهر من قيام الدولة . وهنا كانت الاعتبارات السياسية هي التي حددت نوعية التمثيل ومكانه ، فقد كان على اسرائيل ان تكون ممثلة لدى الدول التي هنالك امكانية لان تكون صديقة لها ، مع مراعاة أهمية اسيا ( قنصلية بومبي ) وحسن الجوار في منطقة البحر المتوسط ( روما ) وأهمية أصوات جمهوريات أمريكا

هناك ست دوائر وظيفية : الاسم المتحدة ، القنصلية ، الاعلام ، التدريب والبحوث . وكانت هذه الدوائر ستعمل تحت رقابة مدير عام للوزارة . ولم يأخذ المشروع بما هو متبع في معظم الدول الاخرى من تعيين نواب او مساعدين لوزير الخارجية ، او وكلاء للوزارة . وكان هنالك أيضا نص يتعلق بمنصب « سكرتير عام » للوزارة يرأس الشؤون الادارية العامة ، والمالية ، والسجلات ، والاوراق ، والبروتوكول ، مع سلطة اضافية للقيام بأعمال المدير العام في حالة غيابها (٢) .

وقد نص المشروع على اتخاذ العبرية لغة العمل - بعد ان كانت الانكليزية هي اللغة المستعملة في المكتب السياسي للوكالة اليهودية بحكم طبيعة اتصالاتها مع سلطة الانتداب - وكان على المدير العام ان يضع المقابل العبري للمصطلحات المستعملة في التعامل الدبلوماسي . ومع ذلك فقد نهض بهذه المهمة - كما كتب ايتان فيما بعد - اول وزير للخارجية « موشي شاريت » بغيره تقريبا (٣) .

وتجري بعض الدول على مبدأ الفصل بين جهازى الخدمة الدبلوماسية والخدمة القنصلية ، وان كان معظمها قد عدل عن هذا الفصل ، وأخذ يتجه الى توحيدهما بعد الحرب العالمية الثانية بصورة خاصة . وقد أخذ المشروع مبدأ توحيدهم الجهازيين الدبلوماسي والقنصلي وامكانية تبادل الموظفين بينهما .

وكانت أعلى درجات السلك الخارجي للدولة الجديدة هي درجة وزير مفوض ، أي أنه لن تكون لها سفارات ولا سفراء ، بل مفوضيات يرأسها وزراء مفوضون . وقد تبنى المشروع هذه الفكرة اعتقاداً بأن السفارات تتطلب نفقات باهظة ، وأنها تعد من مظاهر البذخ التي قد تكون مثيرة للخصم والبغضاء لدولة تتظاهر بأنها دولة صغيرة متواضعة . ويقون « ايتان » ان « ما كان كافياً لسويسرا وفلنڈة في ذلك الوقت كان بالتأكيد كافياً لاسرائيل » . ولكن لم يمض على ذلك وقت طويل حتى عينت اسرائيل اول سفير لها . فبعد ان اعترفت الولايات المتحدة باسرائيل اعترافاً قانونياً في شهر كانون الثاني ( يناير ) ١٩٤٩ ابلغتها انها

عدة تحتاجها وزارة الخارجية هي مكتبة : ولذلك  
فقد أعدت لها أصناف متنوعة من الكتب .

ولما أعلن قيام الدولة الصهيونية على الأراضي  
العربية في فلسطين بدأ العمل مع وزير الخارجية  
في تل أبيب موظفان اثنان . أما الآخرون المزمع  
تعيينهم فقد كانوا محاصرين في القدس .

وأصبح « شرتوك » ( شاريت ) ، رئيس المكتب  
السياسي للوكالة اليهودية ، ووزيرا للخارجية نسي  
الحكومة الجديدة التي ألقت برئاسة بن غوريون .  
كما عين والتر ايتان ، مدير «كلية الخدمة العامة»  
التابعة للوكالة ، مديرا عاما للوزارة . وشغل  
ايتان هذا المنصب خلال السنين الاحدى عشرة  
التالية ، وهي أطول مدة يقضيها فيه أي مديسر  
عام حتى الآن .

وتما عدد الموظفين في الوزارة خلال شهر  
واحد من اثنين الى حالة ، وكان أول عمل  
اضطلعت به الوزارة الجديدة هو ابلاغ حكومات  
العالم بقيام اسرائيل كدولة ، وطلب  
اعترافاتها(٩) ولم يكن هنالك في الوزارة من يعرف  
كيف تصاغ أوراق الاعتماد ، وقد أدى ذلك الى  
حادثة أصبحت مشهورة ، وهي أنه حين قدم  
« آفريل » أوراق اعتماده وزيرا مفوضا في براغ ،  
اعدتها الحكومة الجيكوسلوفاكية طلبية إعادة  
كتابتها بالصيغة المعتادة « حسب النموذج الرقيق  
بطيه »(١٠) .

وبالرغم من تطبيق معظم ما جاء في المشروع  
الاصلي ، فقد كانت هنالك حالات صغيرة للخروج  
عليه ، منها ظهور بعثات على مستوى السفارات  
في وقت مبكر مثل سنة ١٩٤٩ استجابة لمبادرة  
الولايات المتحدة ، وهو أمر أصبح فيما بعد شاملا  
لتقبل اسرائيل الدبلوماسي في الخارج في سنة  
١٩٦٥ . ثم تغيير مراكز بعض مكاتب الجوازات ،  
وسرعة الغاء بعضها ، بعد أن أصبح معظم  
الراغبين في الهجرة منها في طريقهم الى فلسطين .  
ومع ذلك ، فإن التكوين الاساسي لوزارة الخارجية ،  
والمبادئ التي توجهها كانت مستقاة من ( المشروع  
الاصلي ) الذي وضعه ايتان .

### تكوين الوزارة وأقسامها

ان الاطار التنظيمي لوزارة الخارجية الاسرائيلية  
في سنة ١٩٤٩ تضمن معظم مقترحات ايتان الواردة

اللاتينية ( ريو دي جانيرو ) ، وأخيرا بعض  
المراكز الرئيسية للتجمع اليهودي ( جوهانسبرغ  
ومونتريال وملبورن ) . ويلاحظ ان مدينة نيويورك  
التي كانت أكبر المراكز التي تعتمد عليها وزارة  
الخارجية في الخارج ، ومن أهم مراكز التجمع  
اليهودي في العالم ، لم يرد لها ذكر في المشروع  
الاصلي ومع ذلك فقد افتتحت فيها تنصلية عامة  
بعد قيام اسرائيل بيومين(٧) .

وقد تضمن المشروع مواعيد دقيقة للتطبيق :  
فقد حدد الاول من شباط ( فبراير ) ١٩٤٨ موعدا  
لتعيين المدير العام للوزارة ، والسكرتير العام  
بعدهم بعشرة أيام ، وكبار الموظفين الآخريين في ١٥  
اذار ( مارس ) .

وكان المبعوثان الى الخارج سيرسلون نسي  
التصف الثاني من اذار لمفاوضة حكومات السدول  
من أجل الحصول على اعترافاتها ، وان الجهاز  
بأكمله سيكون في حالة تاهب للعمل في يوم الصفر  
( ١٥ مايس مثلا ) مع ٧٢ شخصا ، بما فيهم ٣٨  
موظفا ، يكونون على مكاتبهم ، و ٤٠ آخريين على  
استعداد للسفر الى مراكز عملهم في الخارج ،  
بما فيهم ٤ وزراء مفوضين ، و٤ مستشارين ، و٤  
سكرتيرين أولين .

أما الميزانية المقترحة لوزارة الخارجية الجديدة  
فكانت صغيرة نسبيا ، لا تزيد عن ٤٠٠.٠٠٠ جنيه  
فلسطيني ( تساوي في ذلك الوقت ٢٠٠.٠٠٠  
دولار امريكي ) ، نصفها للرواتب والمخصصات .  
وكان من الواضح أنها قدرت على ضوء ميزانيات  
وزارات الخارجية في مصر والعراق ولبنان (٨) .

وقد نظم المشروع ايضا موضوع الارتباط بين  
دوائر وزارة الخارجية وبين الوزارات ودوائر  
الدولة الآخري التي تتصل بها أعمال وزارة  
الخارجية . الدائرة الاقتصادية مع وزارة التجارة  
والصناعة . دائرة الاعلام ، مع جميع الوزارات  
والمنظمات الآخري ذات العلاقة . الدائرة القانونية  
مع وزارة العدل . السكرتير العام مع وزارة المالية  
( نيبا يتعلق بالشؤون المالية للوزارة ) .

كما اقترح المشروع عملية تحقيق واختبار تتعلق  
بالامن ، وتشمل جميع الموظفين .

واضاف واضح المشروع : « وربما كانت اهم

« نائب المدير العام » كما ادخل منصب سفير مطلق الصلاحية أو سفير متجول في السنة ذاتها .

على أن أكبر التغييرات التي طرأت على تنظيم الوزارة وأهبتها كانت في مارس سنة ١٩٦٨ ، فقد زاد عدد مساعدي المدير العام إلى أكبر عدد في تاريخ الوزارة ( سبعة بضمنهم نائب المدير العام ) للإشراف على الدوائر الإدارية والوظيفية والجغرافية . واستحدث منصب « المفتش العام » للخدمة الخارجية . وقسمت أوروبا الغربية إلى دائرتين ( أما أوروبا الشرقية فقد كانت لها دائرة مستقلة ) . ووسع نطاق دائرة الولايات المتحدة لتضم كندا في دائرة أعيدت تسميتها بدائرة أمريكا الشمالية . وألغيت دائرة الكومنولث البريطاني ، فألحقت شؤون أستراليا ونيوزيلندا بدائرة موسعة سميت « دائرة آسيا والاقيانوس » . ووسع نطاق دائرة الشرق الأوسط وسميت « دائرة الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط » وأصبحت تضم شؤون تركيا ، وقبرص ، وإيران ، إلى جانب الدول العربية في المنطقة . وكذلك استحدثت دائرة للشؤون السياسية للامم المتحدة منفصلة عن دائرة المنظمات الدولية — مع العلم أن الانفصال كان قائما منذ مدة طويلة من الناحية العملية .

أن الأسباب الموجبة لهذه التعديلات لم تذكر رسمياً ، ولكن الرأي السائد بين موظفي الوزارة وبعض مديري دوائرها أنها أجريت لمجرد استحداث مناصب بدرجات ذات مستوى مناسب ، وذات مسؤولية كائنية للعمل والتحرك . أما من الناحية الشكلية فقد أجريت تلك التعديلات لإيجاد مناسب كافية للعدد المتزايد من السفراء الذين يعودون إلى القدس بعد فترات طويلة من العمل في الخارج . وهناك من يرى أيضاً حاجة حقيقية إلى زيادة عدد مساعدي المدير العام بسبب اتساع نطاق المشاكل والمهام التي تواجهها الوزارة (١١) .

### مهام وزارة الخارجية

تضطلع وزارة الخارجية الإسرائيلية بمهام ( معلنه ) وأخرى ( غير معلنه ) ، أو بعبارة أخرى ، مهام تشابه مهام وزارات الخارجية في جميع الدول ، وأخرى تختص بها وزارة الخارجية

في المشروع : مدير عام ذو صلاحيات ومسؤوليات تشمل أعمال الوزارة كلها ، وسكرتير عام مسؤول عن الشؤون الإدارية ، وعدد من الدوائر المقسمة على أسس جغرافية ووظيفية . ومع ذلك ، فهناك بعض الاختلافات منها إضافة مستشارين ( شخصيين ) لوزير الخارجية ( كان هناك ثلاثة منهم في سنة ١٩٤٩ ) ، ومستشار قانوني لوزارة الخارجية ( مدير الدائرة القانونية ) ، رفيع شعبة البحوث إلى مستوى « دائرة » . ومنها إضافة بعض الدوائر الجديدة : الثقافية ، السزوار الاجانب . ومنها بعض التغييرات في الأسماء والعناوين : دائرة الأمم المتحدة أصبحت تدعى دائرة المنظمات الدولية ، دائرة أمريكا الشمالية أصبحت دائرة الولايات المتحدة ، دائرة الامبراطورية البريطانية أصبحت — تمشياً مع الزمن — دائرة الكومنولث البريطاني . كما أصبحت لشؤون آسيا دائرة خاصة بعد أن كانت هناك دائرة واحدة للشؤون الآسيوية والأفريقية .

وقد طرأت على وزارة الخارجية الإسرائيلية خلال السنوات العشرين الأولى لتأسيسها تغييرات تنظيمية مختلفة . فاستحدثت فيها في سنة ١٩٥١ دائرة جديدة لشؤون الهدنة ، في حين أن تلك الشؤون كانت حتى ذلك الوقت من اختصاص وزارة الدفاع وحدها . وكذلك دائرة الشؤون الآسيوية جرى توسيعها ودمجت فيها الشؤون الأفريقية في سنة ١٩٥٧ ، ثم أعيد فصلها إلى دائرتين مستقلتين في سنة ١٩٦٠ .

وبين الدوائر الوظيفية استحدثت دائرة جديدة للتخطيط السياسي والاقتصادي في بداية سنة ١٩٦٠ ، وكانت مهمتها الأساسية مقاومة المقاطعة العربية ، وكذلك استحدثت دائرة « التعاون الدولي » في سنة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ كشعبة في البداية ثم كدائرة . وألغيت دائرة شؤون الهدنة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ تثبيتاً لاحتلال اتفاقية وقف إطلاق النار محل اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ .

وفي سنة ١٩٥٢ أدخلت للمرة الأولى وظيفة « مساعد المدير العام » وزاد عدد المساعدين مع السنين ، وفي سنة ١٩٥٣ ألغى منصب السكرتير العام للوزارة ، وقولى أعماله أحد مساعدي المدير العام ، وفي سنة ١٩٦٦ استحدث منصب

الدبلوماسيين الاسرائيليين ، وكذلك ملحتي قواتها المسلحة والملحقين الفنيين الاخرين ( كالمحققين الصحفيين والثقافيين والتجارين ) كانوا مشتركين في تلك الاعمال . وقد اضطرت حكومات عدد من الدول الى اعتبار بعض الدبلوماسيين الاسرائيليين أشخاصا غير مرغوب فيهم وطردهم من بلادها في اوقات مختلفة .

ونذكر على سبيل المثال نماذج من اعمال السفارة الاسرائيلية في موسكو في الفترة بين ١٩٦٢ و ١٩٦٦ ( التي اتيح لكاتب هذه السطور ان يقضيها في الاتحاد السوفييتي ويرقب نشاط السفارة الاسرائيلية شخصا ) بما ينافي التقاليد الدبلوماسية التي تعلن اسرائيل عن تمسكها بها .

وكان هذا النشاط يتركز بالدرجة الاولى على تحريض يهود الاتحاد السوفييتي على الهجرة الى اسرائيل ، وممارسة كل ضغط ممكن على الحكومة السوفييتية لحملها على السماح لهم بذلك ، بلجنة بذلك الى اساليب الدعاية والى الضغط الدبلوماسي على المستوى الثنائي والدولي .

وكانت اسرائيل قد أدركت انها اجتذبت من يهود اوربا كل من يمكن اجتذابهم ، وان معين الهجرة اليهودية من اوربا قد نضب . كما ظهر لها تعذر اقتناع اليهود الامريكيين بالهجرة ، وانهم يكتفون بتقديم المساعدات الى اسرائيل دون ان يفكروا في الهجرة اليها لانهم لا يريدون التضحية بمستوى المعيشة الذي يمتنعون به في الولايات المتحدة . وظهر ايضا ان الدعوة الصهيونية تواجه المشكلة نفسها في امريكا اللاتينية . ولذلك اتجهت اسرائيل الى المركز الثاني للتجمع اليهودي في العالم بعد امريكا ، وهو الاتحاد السوفييتي محاولة اجتذاب يهودها ، وكجات من أجل تحقيق هذه الغاية الى طريقتين : الاولى ، شن حملة تشهير عالية واسعة على الحكومة السوفييتية واتهامها باضطهاد اليهود والتمييز ضدهم ، بقصد اخراجها أمام الرأي العام العالمي ، والثانية ، ترغيب اليهود السوفييت انفسهم في الهجرة ، وبث الدعاية الصهيونية بينهم . وكانت الاعمال التي يقوم بها موظفو سفارة اسرائيل في موسكو تنفيذا للجانب الثاني من هذه الخطة .

كانت السفارة تتخذ من الكنس اليهودية مراكز

الاسرائيلية وحدها بحكم طريقة قيام اسرائيل كدولة ، وطبيعة تكوينها ، ومطامعها التوسعية وأهدافها العدوانية .

أما المهمات ( الملغنة ) او التي تشابه مهمات وزارات خارجية الدول الاخرى ، فهي معرفة تعريفها واضحا في تقريرها السنوي - وهي تعهد وصيانة العلاقات الرسمية لدولة اسرائيل مع بقية الدول التي تتبادل واياما التمثيل الدبلوماسي او تقيم علاقات اقتصادية او تجارية او ثقافية ، والعمل على توثيق تلك العلاقات ، وخاصة فيما يعود بالنفع على اسرائيل والتأييد لستراتيجيتها ، وذلك بالوسائل الاتية : عرض شؤون الدولة أمام حكومات العالم وأمام المنظمات الدولية ، احاطة حكومات ومنظمات وشعوب العالم علما بمواقف اسرائيل ومشاكلها ، تنمية العلاقات الثقافية مع الحكومات والشعوب ، توثيق العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الدول الاخرى ، تقديم المساعدات الى الدول النامية ، حماية حقوق رعايا اسرائيل في الخارج ، وتقديم الخدمات التفصيلية لرماليا الدول الاخرى .

ومن أبرز مهمات وزارة الخارجية الاسرائيلية ايضا العناية بتوثيق العلاقات بين دولة اسرائيل والجالليات اليهودية في الخارج ، والعناية بالمصالح الجوهرية لتلك الجاليات (١٤) .

وقد حاولت اسرائيل منذ اول قيامها ، وتأسيس جهازها الدبلوماسي ، ان تتظاهر بأنها دولة عصية من جميع الوجوه ، وأن تضفي على ذلك الجهاز مظاهر الدبلوماسية الكلاسيكية النزيهة التي تتحاشى اعمال الجاسوسية او التخريب او التهريب او ما شابه ذلك من الاعمال التي تؤكد قواعد التعامل الدبلوماسي على وجوب تجنب المثل الدبلوماسي لممارستها ، والتي لا يمكن لاية دولة ان تعترف بأنها تقوم بها .

ومع ذلك فقد كانت هنالك كثرة تبيين منها للرأي العام العالمي ان جهاز الدبلوماسية الاسرائيلي يمارس الى جانب مهماته الرسمية الملغنة ، مهمات سرية اخرى غير معلنة وغير مدونة في الكتب السنوية للحكومة ، ولا في تقارير الوزارة ، كاعمال الجاسوسية والتخريب والاغتيالات وتهريب الاشخاص وحتى البواخر . وان الممثلين

يحتجون فيها على اقامة اسرائيل علاقات دبلوماسية وودية مع المانيا الغربية « تلك الدولة التي تعمل على تغيير الحدود الحالية ، وتستعد لشن حرب ضد الشعوب المحبة للسلام وتستخدم في وظائف الدولة نازيين من عملاء آيخمان متغاضية عن جرائمهم » الا ان موظفي السفارة رفضا تسلم تلك العريضة ، وكان ذلك من حقهما طبعاً ، ولكنهما ادليا بأقوال تمس الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعي السوفيتي . وغادرا اوديسا في اليوم التالي . فنشرت جريدة « ازمستيا » - المناطقة بلسان الحكومة - مقالا هاجمت فيه سفارة اسرائيل على تصريحات موظفيها في الكنيس ، وعلى رفضهم تسلم العريضة (١٤) . وبعد ذلك بستة اسابيع سافر السفير الاسرائيلي الى اوديسا وحضر الصلاة في الكنيس ، وبعد انتهائها نهض في محله ووجه الى الحاخام سؤالاً عن سبب ارسال الاحتجاج الى الصحف بعد أن رفضه موظفا السفارة ، واشتبك معه في مشادة كلامية ، ووصفه بأنه نازي وليس يهودياً ، كما ألح أن يعطي المنبر ويدافع عن موقف اسرائيل ووجهة نظرها من تبادل التمثيل الدبلوماسي مع المانيا الغربية ، فرفض الحاخام بطبيعة الحال ، وبين للسفير انه لا يجوز بحث القضايا السياسية في المعابد الدينية . ونشرت جريدة « ازمستيا » بعد عودة السفير من اوديسا مقالا هاجمته فيه بالاسم ، وكان شديد اللهجة في انتقاده لتصرف السفير (١٥) .

وشرح ناظر بلسان السفارة على اثر نشر المقال للراسلين الغربيين ان اتهامات جريدة « ازمستيا » لا اساس لها من الصحة . فنشرت جريدة « نيويورك تايمس » هذا التصريح في الصفحة الاولى من طبعتها الاوروبية (١٦) ، كما ان جريدة « لوموند » الفرنسية نشرت الخبر وانتقدت جريدة « ازمستيا » على مهاجمتها سفير دولة اجنبية وعدت ذلك منافياً لواجبات المجاملة تجاه السفراء الاجانب ، ولم تجد كلتا الجريدتين في تصرفات السفير المذكور ما يستوجب الانتقاد ولم تعلقا عليها بكلمة .

وفي سنة ١٩٦٦ طردت الحكومة السوفيتية خلال فترة تقل عن الشهر الواحد موظفين دبلوماسيين اثنين من سفارة اسرائيل لقيامهما بنشاط تخريبي يتنافى والعرف الدبلوماسي ، وبشكل اساءة لسياسة

للدعاية التي تحاول القيام بها ، فتنصل باليهود السوفيت الذين يحضرون لتأدية الصلاة ، وتوزع بينهم المنشورات الصهيونية . وكان مستشار السفارة « ابراهام آغمون » يكثر من التردد على الكنيس لهذه الغاية ، غلفت الحكومة السوفيتية نظر السفارة الى ما يقوم به اكثر من مرة . ونشرت جريدة « ترود » - الناطقة بلسان نقابات العمال - في شهر مارس سنة ١٩٦٤ مقالا عن هذا الموضوع اشارت فيه الى الرسائل العديدة التي تلقتها الجريدة من المواطنين السوفيت اليهود ، والتي يستنكرون فيها المنشورات التي كان مستشار السفارة يوزعها على المصلين ، او يتناسى مجموعات منها على مقاعد الكنيس . واخيراً قررت الحكومة السوفيتية في شهر آب سنة ١٩٦٤ طرد آغمون باعتباره شخصاً غير مرغوب فيه .

وكشف النقاب بعد ذلك عن حادث آخر وقع في مدينة « ريفا » عاصمة جمهورية « لاتفيا » - التي يؤلف اليهود نسبة كبيرة من سكانها - اذ قبضت السلطات السوفيتية على السكرتير الثاني في السفارة الاسرائيلية المدعو « زيبراد » بينما كان يتجول بين المستحقين على شاطئ البحر المزدحم . وبينما كان يشغلهم بالتحية والاستفسار عن أعمالهم وأسمائهم تضع زوجته بين أمتعتهم رزمة صغيرة تحتوي منشورات اعترفتها الحكومة السوفيتية بمعادية لها ، ووصفتها بأنها « معلومات صهيونية معادية للسوفيت » . وقد نشرت الصحف السوفيتية بمناسبة هذا الحادث مقالات هاجمت فيها سفارة اسرائيل بشدة ، ونشرت جريدة « ترود » مقالا بعنوان « هدايا مسمومة » ومعه تصوير لسكرتير السفارة والى جانبه رزمة من المنشورات التي كان يوزعها على المستحقين (١٧) .

وهناك حادث آخر كان له صدى واسع في الصحافة السوفيتية والعالمية وأثار ضجة كبيرة في الاوساط الدبلوماسية في موسكو ، حدث في مدينة اوديسا ، بناء الاتحاد السوفيتي على البحر الاسود ومن أقدم مراكز التجمع اليهودي وأكبرها حيث يؤلف اليهود أكثر من ٢٠ بالمائة من مجموع سكان المدينة . فقد قدم بعض افراد الجالية اليهودية في اوديسا الى اثنين من موظفي السفارة الاسرائيلية اثناء زيارة قاما بها الى مدينتهم عريضة

يجيدون لغات متعددة . ومع ذلك فان الحاجة الى هذه الفئة الثانية قد قلت كثيرا بعد سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، لان علاقات اسرائيل مع الاتحاد السوفيتي . ومعظم الدول الاشتراكية لم تعد على ما كانت عليه في بداية قيامها ، وبالرغم من استمرار هذه العلاقات بصورة عامة ( حتى سنة ١٩٦٧ ) فانها كانت على نطاق اصغر من السابق كثيرا .

ومنذ سنة ١٩٥٣ اصبح تعيين الموظفين في وظائف وزارة الخارجية خاضعا لامتحان تجريه لجنة خاصة في الوزارة .

ويجتاز المرشحون للوظائف الدبلوماسية امتحانات كفاءة في الموضوعات الفنية ( ذات العلاقة بالعمل الدبلوماسي ) وفي اللغات . وهناك الى جانب الامتحان تحقيق تجريبه دوائر الامن ، وهو يشمل جميع المرشحين بدون استثناء . ويكون التعيين على سبيل التجربة لمدة تتراوح بين ستة أشهر وسنة واحدة .

كانت امتحانات الموظفين في المراحل الاولى — وحتى سنة ١٩٥٩ — تجري من قبل لجنة مؤلفة من كبار موظفي وزارة الخارجية . وكانت هذه الامتحانات — السنوية — مفتوحة عمليا لخريجي الجامعات الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٢ و ٣٠ عاما ومن يجيدون احدى اللغتين الانكليزية او الفرنسية ( الى جانب العبرية طبعاً ) .

وفي سنة ١٩٥٩ تغيرت طريقة اختيار الموظفين وتعيينهم بتسريع قانون الخدمة المدنية ، ناصح الاعلان عن الوظائف الشاغرة في الوزارة اجباريا — بالنسبة للدرجات الدبلوماسية — كما هي الحال في الامتحانات السنوية للخدمة المدنية ، حيث يتم اختيار ٢٠ الى ٣٠ مرشحا سنويا . وقد وطد هذا الاسلوب الجديد المبدأ القائل بضرورة اتخاذ الكفاءة اهم الاعتبارات في التعيين ، وذلك الا في حالات استثنائية نادرة جرى فيها التجاوز عن مبدأ الكفاءة (١٧) .

وبالرغم من اهتمام وزارة الخارجية الاسرائيلية بانتقاء موظفيها من بين أكثر العناصر ذكاء وثقافة ، فما تزال هناك شكوى بين الزمرة التي تخطط السياسة الخارجية من ضمن الكفاءة بين موظفي السلك الخارجي الاسرائيلي — وخاصة في الدرجات المتوسطة — وبالرغم من ان هذه الظاهرة لا تنفرد

البلد المضيف ، وهما « دافيد غانج » السكرتير الثاني ، و« ياز » السكرتير الثالث . وقد نشرت الصحف السوفيتية مقالات هاجمت فيها موظفي السفارة وقرنت النشاط الذي يمارسونه بما يمكن ان يسمى بـ « الايديولوجية التخريبية » . وتالت جريدة الازنسقا في عدد ١٩٦٦/٩/٦ : « .. فهم يموهون الحقائق ، ويزيغون الواقع في محاولات يائسة لخدع البعض واغرائهم بالهجرة الى أرض الميعاد او الفردوس الارضي : اسرائيل » .

ويتضح من هذه الامثلة — ولاشك ان هناك امثلة كثيرة غيرها وقعت في الاتحاد السوفيتي وفيره من الدول — ان وزارة الخارجية الاسرائيلية ، وممثلاتها في الخارج ، تضطلع بكثير من المهمات غير المعلنة ، وتسبب لنفسها الخروج عن جباذئ التمثيل الدبلوماسي السليمة حينما تجد ضرورة لذلك . وهذه المهمات التي تعد غير مشروعة في التعامل الدبلوماسي ليست الا نتيجة طبيعية لشعور اسرائيل بالحاجة الى اللجوء اليها لتدعيم كيائها الذي هو الاخر غير مشروع .

### الموظفون

أولاً — كيفية اختيارهم : تمكنت وزارة الخارجية من مجابهة مشكلة اختيار الموظفين في البداية بانتقال ٢٤ شخصا من كبار اعضاء المكتب السياسي للوكالة اليهودية الى وزارة الخارجية لدى تأسيسها مباشرة . وقد كان هذا العدد كافيا لتوفير هيكل الجهاز لجميع الدوائر الجغرافية ولدويان الوزارة الجديدة . ولكن هذا المصدر سرعان ما استنفد وصار اختيار الموظفين وتعيينهم في وزارة الخارجية يتم ( حتى سنة ١٩٥٣ ) بناء على توصية او ترشيح من الاشخاص او المؤسسات المعروفة ، وذلك بسبب الحاجة الملحة الى ملء عدد كبير من الوظائف المتوسطة او الكبيرة . وهذه مشكلة جابهتها وزارات الخارجية في معظم الدول التي قامت حديثا .

وقد أعطيت الانضلية في البداية الى مجموعتين : اولهما ، اليهود القادمون من البلاد الانكلوساكسونية ، وذلك لكثرة الحاجة الى الناطقين باللغة الانكليزية من جهة ، ولان الاختيار كان بيد الفئة الانكلوساكسونية من جهة اخرى . والثانية ، جماعة اوربا الشرقية الذين كانوا

نيسان ( أبريل ) سنة ١٩٦٤ حين أصبحت الدرجات بتسلسل تصاعدي ( بعد أن كان ترتيبها في السابق تنازلياً ) فأصبحت حسب الجدول الآتي : الدرجة ١٣ : متمرن ( تلميذ دبلوماسي ) ، ١٤ - ١٥ : سكرتير ثالث ، ١٥ - ١٦ : سكرتير أول ، ١٦ - ١٨ : مستشار ، ١٧ - ١٩ : وزير مفوض ، ١٩ - ٢٠ : سفير ، ٢٠ : المدير العام لوزارة الخارجية . أما الدرجات من ١٢ الى ١ فهي درجات الموظفين الإداريين ( السلك المدني ) المعينين عن طريق مراكز التوظيف ولجنة الخدمة المدنية ( او مجلس الخدمة ) .

ان الحد الأدنى للمدة التي يجب ان يتضيها الموظف في كل درجة من الدرجات الدبلوماسية كانت محل خلاف بين وزارة الخارجية ولجنة الخدمة المدنية ( مجلس الخدمة ) لمدة سنوات . وهي من الناحية الرسمية سنتان للمتمرن ، ٦ سنوات للسكرتير الثالث والثاني ، ٥ سنوات للسكرتير الاول و ٦ سنوات للمستشار - أي ما مجموعه ١٩ سنة على الأقل قبل ان يصل الموظف الى درجة رئيس بعثة بدرجة وزير مفوض . وقد كانت هنالك استثناءات كثيرة من هذه القواعد في السنوات الأولى ، وبعدها أيضا لم يكن التمسك بها شديدا دائما .

ان الترقيات والتنقلات وجميع ما يتعلق بشؤون التعيينات تقوم بها « لجنة التعيينات » في الوزارة . وكانت هذه اللجنة تتألف من عدد من كبار موظفي الوزارة ، إما المدير العام ومساعداه لشؤون الإدارة فكانا عضوين دائمين فيها . وكانت اجتماعات اللجنة ، ومواعيدها ، تختلف باختلاف شخصية المدير العام وطريقته في العمل ، ودرجة نفوذه الشخصي وتركيزه الاعمال والقرارات في يديه او تركها للجنة .

ومنذ سنة ١٩٦٨ أصبحت شؤون التعيينات والترقيات والتنقلات قسمة بين لجنتين ، أحدها برئاسة وزير الخارجية ، وهي تختص بشؤون كبار الموظفين ( مدير دائرة وما فوق في الوزارة ، رؤساء البعثات في الخارج ) ، كما تضم المدير العام ونائبه ومساعداه للشؤون الإدارية والمفتش العام .

ان رؤساء البعثات الدبلوماسية ، والمدير العام لوزارة الخارجية ، يكون تعيينهم - من الناحية

بها إسرائيل وحدهما بين الدول الحديثة ، فان الثمن السياسي الذي تدفعه إسرائيل بنتيجة انخفاض مستوى ممثلها الدبلوماسيين يكون أكبر مما هو بالنسبة للدول الأخرى ، بسبب الاهمية الخاصة للعلاقات الخارجية لدولة تعيش في أزمة مستمرة ، وهي ما تزال في حالة حرب مع جميع الدول المحيطة بها .

ان ازدياد الشكوى من عدم ارتفاع مستوى كفاءة موظفي الخدمة الخارجية الى الحد المطلوب حمل المسؤولين في سنة ١٩٦٤ على انشاء وحدة خاصة لتدريب الموظفين . وقد نظمت هذه الوحدة دروسا ل ٥٢ موظفا في السنة الأولى . ويشترك الموظفون الكبار بموجب البرامج التي تضعها هذه الوحدة ، في دروس نظامية يقدمها معهد « يهود عصرنا » التابع للجامعة العبرية . ولهذه الدروس قيمة للموظفين الذين ستكون لهم علاقة مع اليهود في مواطنهم الأصلية في الخارج ، وهي تشمل على مواد في الأنثروبولوجيا اليهودية ، وفي التاريخ والحضارة والثقافة اليهودية ، والشخصية اليهودية (١٨) .

أما التدريب الدبلوماسي السفرائجي فقد نقل مرة الى « كلية الدفاع الوطني الإسرائيلي » والهدف من وراء انشاء هذا المعهد هو إيجاد عقيدة شاملة للدفاع الوطني وخلق لنة مشتركة حول هذا الموضوع بين كل الذين يتحملون مسؤولية الدفاع الوطني في إسرائيل (١٩) . وتشتمل الدروس التي تدرس في الكلية على موضوعات مهمة من بينها الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع للشعب اليهودي في إسرائيل والخارج ، علاقات إسرائيل مع الدول الكبرى والدول النامية ، إسرائيل والسوق الأوربية المشتركة . الخ . ويمتد برنامج الدروس لمدة ثمانية أشهر ، بمعدل عشر ساعات او أكثر يوميا مدة خمسة أيام في الاسبوع يستمع الموظفون خلالها الى محاضرات من اساتذة الجامعات والوزراء والسفراء الاجانب وسفراء إسرائيل في الخارج والاساتذة الزائرين (٢٠) . غير ان هذه الكلية اقلت بعد وقت غير طويل من افتتاحها .

ثانيا - الدرجات ، التنقلات ، الترقيات : شهد ترتيب درجات موظفي الخدمة الخارجية في إسرائيل تعديلات عديدة كان آخرها التعميل الذي أدخل في

الدبلوماسي بنفس النظرة . وذلك فضلا عن مشاعر الحسد التي يتعرض لها موظفو الخدمة الخارجية في كل بلد بسبب بعض الامتيازات التي يتمتعون بها . وكان « بن غوريون » مسيطرا على جهازين: الجيش ، وجهاز وزارة الخارجية . ولكنه كان يولي الجيش تفضيله ، ولم يتغير الامر في السنوات التي اعتبت عهد بن غوريون . وكان اثر ذلك كله على الدبلوماسيين الاسرائيليين واضحا .

٢) الضغوط الحزبية : اما العامل الثاني الذي كان له اثر سلبي في معنويات الجهاز الدبلوماسي الاسرائيلي فقد كان ضغط الاحزاب السياسية وبعض الوزارات الاخرى لادخار اعضائها في الخدمة الخارجية(٢٤).

ولا شك ان التأثير الحزبي قوي في الخدمة المدنية الاسرائيلية ، ولكنه في وزارة الخارجية اقل منه في سائر الوزارات ( باستثناء وزارة الدفاع اذ ان النفوذ الحزبي فيها اقل من وزارة الخارجية ايضا ) وذلك لما تتطلبه الخدمة الخارجية من مؤهلات خاصة يؤدي التساهل فيها الى الاضرار بمصالح البلد العليا وسنمعه في الخارج . وقد عبر « بن غوريون » عن هذا بقوله في كتاب « بن غوريون يلقي نظرة الى الوراء » : « ان الشؤون الخارجية ، شأنها في ذلك شأن الدفاع ، من المجالات الهامة والحساسة في الحكومة ، وهي تبتدأ بتأثر بقرار سليم او خاطيء يتخذ في ادنى المستويات ، وهذا غير حاصل في الوزارات الاخرى . فاذا افتتح مركز بريدي في مكان غير مناسب ، او شقت طريق ضيقة ... قد يكون ذلك امرا مزعجا ولكنه ليس كارثة .. ولكن حادثة على الحدود تنتج عن طلقة واحدة يطلقها جندي تحت امره عريف ، قد تؤدي الى توترات سياسية خطيرة . وبالطريقة نفسها فان العلاقات مع القوى الاخرى قد تتأثر برسالة حكيمه او حقءا ردا على رسالة من احدى الحكومات الاجنبية »(٢٥).

وقد كتب « ايتان » في سنة ١٩٥٨ انه بالرغم من ان وزير الخارجية كان منذ قيام اسرائيل ممن ينتمون الى حزب « ماياي » الحاكم ، فلم يكن هنالك سوى زمرة صغيرة من كبار الموظفين الذين هم اعضاء في ذلك الحزب . وحتى هؤلاء حصلوا على مناصبهم بكتابتهم ، وان عضويتهم في الحزب كانت

الشكلية - من قبل الحكومة بترشيح من وزير الخارجية . ولكن وزير الخارجية - في الواقع - يتمتع بسلطة كاملة في اختيار المدير العام ، وبسلطة كبيرة في تعيين رؤساء البعثات الدبلوماسية في الخارج . اما الحد الاقصى لمدة الخدمة في أي منصب في الخارج ، فهو عادة خمس سنوات ، وان كانت هنالك استثناءات بارزة لهذه القاعدة(٢٦).

اما اللجنة الاخرى المختصة بشؤون الدرجات الصغرى (حتى المستشارين ونواب مديري الدوائر) فهي تتألف من المدير العام ومساعدته للشؤون الادارية والفتش العام وموظفين آخرين ورئيس شعبة الذاتية وممثل عن موظفي الوزارة يختاره المدير العام .

ان تركيز السلطة والتناقض في طبيعة اعمال لجنة التعيينات مرت باكبر تحول في تاريخها في عهد « جديون رفائيل » الذي تولى منصب المدير العام منذ سنة ١٩٦٧ ، فاصبحت سلطة اختيار الموظفين محكرة بصورة متزايدة بيد المدير العام ومساعديه الاداريين(٢٧).

ثالثا - عوامل سلبية : ان هذه التغييرات التي مرت بها طريقة التعيينات في وزارة الخارجية الاسرائيلية اوجدت سلكا خارجيا « منلكيا » ذا نوعيات متباينة . ويبدو ان الستينات قد شهدت تدهورا في جاذبية الخدمة الخارجية في اسرائيل لاسباب متعددة منها ارتفاع الرواتب في مجالات العمل الاخرى ، وامكانيات السمر المتزايدة المتاحة في الاعمال الاخرى ، وتزايد عدد الاماكن غير الملائمة وغير الصحية التي فتحت فيها سفارات جديدة ، ومشاكل تعليم اطفال الموظفين وخاصة باللغة العبرية . وبالرغم من انه لم تكن هنالك أزمة تتعلق بعدد المتقدمين لوظائف وزارة الخارجية ، فسان مستوى المتقدمين لم يكن عاليا ، مما اصبح مصدر قلق للمسؤولين في الوزارة .

ان نفسية موظفي الخدمة الخارجية في اسرائيل قد تأثرت بالفجوة الاساسية الموجودة بين القيم السائدة في المجتمع الاسرائيلي ، ومتطلبات العمل الدبلوماسي(٢٨) ، ويكمن وراء ذلك عاملان :

١) الرأي العام والخدمة الخارجية : كان الشعب في اسرائيل ينظر الى الجيش نظرة الاحترام في جميع الاوقات ، ولكنه لم ينظر الى الجهاز

وأخذت الايجاز التي اشتركت في الوزارات الائتلافية في اوقات مختلفة تطالب رجالها في الخدمة الخارجية ، وخاصة في مناصب رؤساء البعثات الدبلوماسية . ويقول « ايتان » اول مدير عام لوزارة الخارجية الاسرائيلية ان مقاومة هذه الضغوط أصبحت تزداد صعوبة بسبب ما يسفر عنه الحكم الائتلافي من مساومات بين الاحزاب . ومع ذلك ، فلم يعين اي رئيس بعثة اسرائيلي استنادا الى ولائه الحزبي وحده ، وان وزارة الخارجية كانت تلج دائما على ان المرشحين لمل هذه المناصب يجب ان تتوافر فيهم المؤهلات الضرورية - وقد احتفظت لنفسها بحق رفض اي مرشح حزبي اذا كان دون المستوى المطلوب (٢٧) .

وقد اصاف ايتان ان عشرة بالمائة فقط من رؤساء البعثات الدبلوماسية كانوا من مرشحي الاحزاب ( في سنة ١٩٥٨ ) الى جانب عدد معتول من الاشخاص من خارج السلك ممن اختيروا المؤهلات خاصة لديهم . فعين عنت اسرائيل سفيرا لها في بورسا اختارته لخبرته الواسعة في تأسيس المشروعات الصناعية للهستدروت (٢٨) . وكانت تهدف من وراء ذلك التأكيد على ان هدفها الرئيسي من اقامة العلاقات الدبلوماسية هو تقديم المساعدة الفنية للدول النامية ، وانها تثبتنا لذلك تضع على رأس بعثتها الدبلوماسية شخصا فنيا وليس سياسيا . وكذلك الامر في حالة السفراء المعينين في معظم الدول الافريقية ، اذ كثيرا ما يكونون من الخبراء في شؤون الري او الإسكان او السدود او المرافق العامة . وهناك ايضا بين سفراء اسرائيل عدد من ضباط الجيش السابقين الذين كانوا بارزين أيضا في تمثيل اسرائيل الدبلوماسي في افريقيه .

وبالرغم من عدم توافر العدد الدقيق ان هم من خارج السلك بين ممثلي اسرائيل في الوقت الحاضر ، فان كثيرا من موظفي السلك الخارجي الذين أجرى « بريشر » مقابلة معهم جالغوا ادعاء ايتان بان عددهم كان قليلا جدا بدرجة لا تؤثر في نفسية موظفي السلك . والواقع ان آثار الاستياء ومظاهره - خاصة بين موظفي الدرجات الوسطى - ظهرت في سنة ١٩٦٢ بصورة صريحة ، حين تعالت الطلاب بوجوب التزام لجنة التعيينات والترقيات في الوزارة بعبء منح الامتياز في المعاملة وفي الحقوق للموظفين المسلمين (٢٩) .

عقوبة ولا علاقة لها بعملهم او مراكزهم كموظفين . ويضيف ايتان ان الوزارة كانت تبذل كل جهد ممكن لابقاء وزارة الخارجية بمعزل عن الضغوط الحزبية ، وانه لم يكن لهذه القاعدة سوى استثناءين : اولهما يتعلق بالسكرتير السياسي الخاص لوزير الخارجية . ولما كان الوزير ملتزما بكثير من الاعمال الحزبية فكان من الافضل ان يكون سكرتيره الخاص حزبيا ليتمكن من تأدية الجانب الاخر من اعمال الوزير بسهولة وحرية اكبر (٢٦) .

اما الاستثناء الثاني فيتعلق برؤساء البعثات الدبلوماسية ويثير مشاكل اوسع من حيث المبدأ ومن حيث العرف المتبع .

وهناك دول - مثل بريطانياه وفرنسا والبرازيل - يشغل فيها جميع وظائف وزارة الخارجية والبعثات الدبلوماسية في الخارج من اصغرها حتى اكبرها موظفون محترفون من السلك الخارجي تدرجوا فيه . وحينما تحدث استثناءات من ذلك فلا تكون الا على اساس مؤهلات شخصية استثنائية لمنصب صعب في وقت صعب . وهناك دول اخرى - ومن أبرزها جمهوريات أمريكا اللاتينية - تعد رئاسة بعثاتها الدبلوماسية مكافأة على خدمة سياسية او عامة . وتكون في حالات اخرى وسيلة مريحة لابعاد شخصية سياسية ذات نفوذ اصبح يقاؤها في الداخل محرجا . ان سفراء امثال هذه الدول قلما يكونون من « المسلكيين » ، وانما يأتون من شتى المنادين او الاختصاصات التي يعودون اليها بعد انتهاء مهماتهم او الاسباب التي دعمت السى تعيينهم في تلك المناصب . وهناك طائفة ثالثة من الدول ( والولايات المتحدة هي المثال البارز بينها ) تأخذ بكل النظمين معا ، حيث يكون بعض رؤساء البعثات اختصاصا مسلكيين ودبلوماسيين محترفين ، وبعضهم من خارج الوزارة .

ولم يكن هناك موظفون مسلكيون متدرجون في اسرائيل في اول قيامها بطبيعة الحال ، لان السلك الخارجي لم يكن له وجود الا في صورة المكتب النسياتي للوكالة اليهودية ، ومن موظفي هذا المكتب استقنت وزارة الخارجية - بصورة عامة - الاوائل من رؤساء بعثاتها الدبلوماسية . وبمرور الزمن ، ونشوء عدد من الموظفين المسلكيين خلال السنوات التالية بدأت الضغوط الحزبية بالظهور ،

اعتماده على الدبلوماسي نفسه . وان زوجة غير مناسبة للدبلوماسي قد تسيء الى فرص زوجها في النجاح والتقدم في مسلكه . وبغلا عن دور الزوجة كمضيفة لضيوف زوجها - وذلك في بعض العواصم مهمة تستغرق وقتها كله - فان زوجات الدبلوماسيين الاسرائيليين يقمن بمهبة خاصة في الاتصال بالجاليات اليهودية الموجودة في مراكز عمل ازواجهن .

**خامسا - القناصل الفخريون :** تعمد دول كثيرة الى تعيين قناصل فخريين في بعض المدن الكبرى وخاصة في الموانئ التي يجعل فيها حجم التجارة والشحن البحري وجود تمثيل قنصلي امرا مفيدا ، ولكن بدرجة لا تكفي لفتح قنصلية وتعيين موظفين دائمين . ويعهد بهذه المناصب القنصلية عادة الى مواطنين محليين او اجانب من التجار او رجال الاعمال ، ممن يرحبون بها لانها تحقق لهم بعض الامتيازات وان لم تعمد عليهم بمنفعة مادية « مباشرة » . وفي حالات كثيرة تكون للقنصل الفخري مصلحة شخصية مشروعة في تنمية التجارة بين بلده والبلد الذي يعهد اليه بتمثيله .

وقد كانت إسرائيل منذ بداية قيامها متحذرة من الاكثار من تعيين هذا النوع من القناصل لاسباب اهمها ان معظم المدن التي ترغب في فتح قنصليات فيها تضم جاليات يهودية تصاب بخيبة اذا كان الشخص الذي تعهد اليه القنصلية الفخرية غير يهودي . ولذلك يكون الخيار محصورا بين الاعضاء البارزين في الجالية اليهودية ، حيث يكون هناك عادة اثنان او ثلاثة ممن يعدون انفسهم او يعدهم اعوانهم واصدقائهم احق من غيرهم بهذا الامتياز . ولذلك يكون من المستحيل تعيين احدهم دون اشارة غضب الاخرين وخلق مشاعر الغيرة لديهم ، في حين ان إسرائيل ترغب في اجتناب مثل هذه المشاعر بين الجاليات اليهودية - وخاصة في السنوات الاولى - مما جعلها تفضل في معظم الحالات عدم تعيين احد .

#### نمو التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي

ان نمو وزارة الخارجية الاسرائيلية ، خاصة خلال العقد الاول من تأسيسها ، كان سريعاً ومطرذا ، كما يظهر من الجدول الاتي الذي يبين عدد البعثات الاسرائيلية في كل منطقة بين سنتي ١٩٤٩ و ١٩٧٤ : (١)

#### رابعا - المرأة في وزارة الخارجية الاسرائيلية :

اما فيما يتعلق بعمل النساء في السلك الخارجي الاسرائيلي ، فقد سمحت وزارة الخارجية بتوظيف النساء لديها ، وشجعتين في المرحلة الاولى من نشأتها . اما في السنوات التالية ، وخاصة بعد ان اصبحت على رأس وزارة الخارجية امرأة - هي غولدا مئير - فلم يعد ثمة أي قيد على استخدام النساء في وظائف وزارة الخارجية بالمره .

وقد عملت احدى النساء ثمانية بالاعمال في مونتفيدو لعدة سنوات ، واخرى كانت متصلا في نيويورك لمدة اطول . وهناك اربع نسوة في ديوان وزارة الخارجية احداهن تشغل منصب مساعدة مدير دائرة الشؤون الامريكية ، واخرى تعمل مساعدة لمدير دائرة المنظمات الدولية ، والثالثة مساعدة مدير التشريفات ، والرابعة ترأس السفارة الاسرائيلية في الدانيمارك .

ولكن ، فضلا عن مشاكل اعتزال العمل بسبب الزواج مما يؤدي الى شيء من الازباك - وهي مشكلة مألوفة في تجارب جميع الدول التي تقبل النساء في مناصب التمثيل الخارجي - يسرى « ايتان » ان هناك مشاكل اكثر جدية ، وان المرأة التي تعمل وتعيش بمفردها في الخارج كدبلوماسية قلبا تكون سعيدة ، وغالبا ما تشعر بوحدة قاسية وفراغ كبير في حياتها ، مهما كانت حياتها الدبلوماسية حافلة بالمناسبات الاجتماعية . ويروي « ايتان » حادثة وقعت في احدى السفارات الاسرائيلية حين كانت تقوم باعمال السفير لدى غيابها عنها سكرتيرة فيها ، وحدث مرة ان طلبت - بصفتها هذه - ان تزور سفير احدى جمهوريات أمريكا اللاتينية ، وكان هذا السفير على علم بزيارة القائم بالاعمال الاسرائيلي ولكنه ربما لم يكن يعلم انها امرأة . فلما دخلت فرفقه باذرها قائلها - بالحماس العاطفي اللاتيني - « أنت أجمل قائم بالاعمال رأيت في حياتي ! » - وبالرغم من هدف الزيارة الرسمي فان معظم الحديث كان محصورا في ناحية واحدة (٢) .

وللنساء - بالإضافة الى دورهن كموظفات - دور مهم آخر في وزارة الخارجية كزوجات للدبلوماسيين الاسرائيليين . فان نجاح اي دبلوماسي في مهمته يعتمد الى حد كبير على زوجته بتقدير

المكان	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥٤	١٩٥٩ - ١٩٦٥	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٧٤
أفريقيه	١	١	٢	٨	٢٦	٢٩	٨
امريكا الشمالية	٤	٣	٥	٧	١٢	١٣	١٣
امريكا اللاتينية	٢	٨	٨	٢٢	١٤	١٦	٢٩
استراليا ونيوزيلندا	١	٢	٢	٢	٢	٢	٣
اوروبا الغربية	٩	١٩	١٩	٢١	٢١	٢٢	٢٢
اوروبا الشرقية	٦	٦	٧	٧	٧	١	١
آسيا	-	١	٥	٧	٨	٩	٩
اماكن أخرى	-	٥	٦	٦	-	-	٢
المجموع	٢٢	٢٧	٥٩	٨٠	٩٠	٩٣	٨٧

بعثة غير مقيمة ( في ٦٧ دولة ، موزعة كالتالي : ٥٩ سفارة ، مفضية واحدة ، ممثلية دبلوماسية واحدة ، ١٠. اتصالات عامة ، ٨ اتصالات ، ٨ اتصالات فخرية ( كلها في مدن الولايات المتحدة الكبرى ) .

أما من حيث التوزيع الجغرافي ، فتكون نسبة التمثيل الدبلوماسي والتمثيلي الإسرائيلي في العالم في الوقت الحاضر كما يأتي : افريقية : ٩٪ ، امريكا الشمالية : ١٥٪ ، امريكا اللاتينية : ٣٣٪ ، استراليا ونيوزيلندا : ٣٪ ، اوروبنا الغربية : ٢٥٪ ، اوروبنا الشرقية : ١٪ ، آسيا : ١٠٪ ، اماكن أخرى : ٢٪ .

ان النمو السريع في عدد البعثات الدبلوماسية والتمثيلية الاسرائيلية لم يصحبه نمو في عدد الموظفين بنفس النسب ، وقد أدى ذلك الى زيادة الأعباء على عاتق موظفي الخدمة الخارجية بصورة مطردة . وفي سنة ١٩٦٨ كانت هنالك ٨ بعثات فقط يزيد عدد موظفيها عن عشرة ، و ١٢ بعثة فيها شخص واحد فقط ، و ٤٩ بعثة فيها موظفان أو ثلاثة . أي أن ثلثي البعثات الاسرائيلية في الخارج كانت تدار من قبل ٣ اشخاص أو أقل . وكذلك فان عدد الموظفين العاملين في الخارج لم يكن بنسبة متوازنة مع عدد البعثات . وكانت هذه الظاهرة بارزة في افريقية أكثر من أي مكان آخر . ففي سنة ١٩٦٨ كان في القارة الافريقية

ويلاحظ من هذه القائمة ان تمثيل اسرائيل الدبلوماسي الذي بدأ في سنة ١٩٤٩ بـ ٢٣ مؤسسة ، قد بلغ في سنة ١٩٧٤ - ٨٧ بعثة دبلوماسية وتمثيلية . وان سنة ١٩٦٧ قد سجلت أعلى رقم بلغه تمثيل اسرائيل اذ كانت لديها ٩٦ بعثة موزعة على ٧٨ دولة . وكان التغيير الرئيسي منذ سنة ١٩٥٩ هو الانفجار السريع في عدد الدول الافريقية المستقلة التي سارعت اسرائيل الى انشاء علاقات معها حيث بلغ عدد الدول الافريقية التي كانت اسرائيل تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي ٢٢ دولة ( بينها ٧ دول كانت لاسرائيل لديها بعثات غير مقيمة ) . ويلاحظ ايضا التدهور السريع الذي أصاب تلك العلاقات خلال سنتي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ حيث قطعت ٢٤ دولة افريقية علاقاتها مع اسرائيل ( وجدتها معها ثلاث دول أخرى ) . كما كان هنالك ارتفاع في عدد البعثات في امريكا الشمالية وانخفاض في امريكا اللاتينية عاد الى الارتفاع في سنة ١٩٧٤ .

أما التغيير البارز الاخر نيتظهر في اوروبنا الشرقية حيث قطعت جميع دول المنطقة - باستثناء رومانيا - علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل على اثر عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ ، وما يزال هذه العلاقات مقطوعة .

أما آخر الاحصائيات عن مجموع البعثات الاسرائيلية في الخارج فهي ٨٧ بعثة ( بضمنها ١٨

البعثات في الخارج وزيادة عدد الموظفين كانا من الاسباب الرئيسية لارتفاع الميزانية . ويذهب حوالي نصف الميزانية الى الرواتب والمخصصات ، ويصرف ثلثا مجموعها بالعملة الاجنبية .

### طريقة العمل في الوزارة

من المعروف ان مهمة وزارة الخارجية في اية دولة من الدول ليست رسم الخطوط العريضة للسياسة الخارجية - التي ترسمها عادة سلطة او سلطات أعلى - وانما هي تنفيذ تلك السياسة على ضوء الظروف المحيطة بكل قضية والامكانات والاحتمالات المتوافرة ، والخيار الموجود بين القرارات البديلة .

ان مهمة وزارة الخارجية ، بل علة وجودها ، هي مساعدة اولئك الذين بيدهم السلطة في تحقيق اهداف السياسة العليا بواسطة تنظيم علاقات الدولة مع الدول الاخرى ، والمنظمات الدولية، من يوم لآخر . ان هذه العلاقات تشكل تحديا مستمرا من اجل اتخاذ اصح القرارات التي تضمن تحقيق تلك الاهداف ، او اقربها الى الصحة .

والواقع ان هذا الدور لا تتفرد به وزارة الخارجية الاسرائيلية لان وزارات الخارجية في جميع الدول تقوم بوظيفة تنفيذ القرارات العريضة التي تتخذها السلطة العليا ، ولكن هذا الدور ( اي تركيز السلطة في القمة ) قد رسخته في اسرائيل تعاليد المنظمات اليهودية في عهد الحكم البريطاني ، واستمر بصورة تلقائية بعد قيام اسرائيل . ومنذ سنة ١٩٤٨ ساد هذا الوضع النظام السياسي في اسرائيل بصورة عامة ، وخاصة في الاحزاب وفي الخدمة المدنية .

وكانت هذه الظاهرة بارزة في وزارة الخارجية الاسرائيلية بصورة خاصة لان اسرائيل منذ قيامها، تعيش في وضع دولي خاص ، وفي ازمة مستمرة، وان التبدد الدائم الذي تشعر به قد برر لديها مثل هذا الاسلوب ، واضفى عليه صفة مشروعنة وعقلانية بنظرها .

وهناك بطبيعة الحال مجموعة من القرارات التي تتخذ في وزارة الخارجية من يوم لآخر ، بل من ساعة لآخرى ، وتتم عملية اتخاذها - شكليا - بواسطة جهاز على مستويات مختلفة من السلطة والمسؤولية . وفي هذا الجهاز ثمانية مصادر رئيسية

٣١٥٪ من بعثات اسرائيل الدبلوماسية، بينما كان في هذه البعثات ١٩٥٪ من مجموع الموظفين الموجودين في الخارج . وكانت الالية معكوسة في أوروبا الغربية ، فقد كان فيها في السنة نفسها ٢٥٪ من البعثات و ٢٩٥٪ من الموظفين . أما امريكا الشمالية فكانت تظهر فيها نسبة أعلى من الموظفين : ١٣٪ من البعثات و ٢٠٤٪ من الموظفين . وكانت الالية معكوسة ، مرة اخرى ، في امريكا اللاتينية : ١٧٤٪ من البعثات الى ١٢٤٣٪ من الموظفين .

ولكن يقطع معظم الدول الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في سنتي ١٩٧٢ و ١٩٧٢ ادى الى تخفيف هذه الازمة وتغيير الصورة الى حد بعيد . ففي سنة ١٩٧٢ قطعت ثلاث دول افريقية علاقاتها مع اسرائيل ، وفي سنة ١٩٧٣ قطعتها معها ٢٣ دولة افريقية اخرى ( الى جانب ثلاث دول جمدت علاقاتها وطلعت سفاراتها فيها السي حد كبير ) مما ادى الى غلق ٢٦ سفارة اسرائيلية في افريقية ( فضلا من ست سفارات في أوروبا الشرقية سبق ان اغلقت في سنة ١٩٧٦ ) وتوزيع موظفيها على بعثات الاخرى واخذت وغزة اكبر من الموظفين فيها .

ويتمثل نمو التمثيل الخارجي ايضا في المعلومات والاحصائيات المتعلقة بالتعيينات والميزانية . ففي نهاية سنة ١٩٥٩ كان مجموع الموظفين التابعين لوزارة الخارجية في الداخل والخارج ٣٧٧ ( بما فيهم الموظفون المندوبون، اي الذين ليسوا في السلك الدبلوماسي) فأصبح العدد بعد ذلك بخمس سنوات أكثر من الضعف ( ٨٢٣ ) موظفا . وكان ذلك ايضا من آثار التغلغل الاسرائيلي الواسع في افريقية بعد سنة ١٩٦٠ .

اما نمو ميزانية وزارة الخارجية الاسرائيلية فيجلب النظر ايضا : فقد كانت هذه الميزانية في السنة الاولى لقيام اسرائيل اقل من مليون جنيه فلسطيني فأصبحت ميزانية السنة السادسة والمشرين ٧٢ مليون ليرة اسرائيلية . ولا شك ان خفض سعر الليرة الاسرائيلية من وقت لآخر كان له اثر جزئي في ارتفاع الميزانية ، وخاصة في السنوات ١٩٥٤ - ١٩٥٥ و ١٩٦٢ - ١٩٦٣ و ١٩٦٨ - ١٩٦٩ ، ولكن التوسع العام في عدد

المختص ، ومدير الدائرة المختصة . ولكن نوعية الاجتماع تتراوح بين أن تكون اجتماعاً رسمياً ، أو تبادل آراء قد يستغرق دقيقتين مع الشخص المعني . وإن اختيار نوعية الاجتماع الذي سيتم فيه بالموضوع يعتمد على رأي الوزير في مدى كون الموضوع مستعجلاً ، وتقديره لأهمية القرار الذي سيبحث .

٣ ) آراء الوزير السابقة للقرارات : تبدأ العملية في هذا النوع من القرارات بملاحظة لوزير الخارجية يعرب فيها عن موافقته أو حكمه على تقرير لرئيس إحدى البعثات الدبلوماسية الإسرائيلية في الخارج . وهذه الملاحظة قد ترسل إلى المدير العام ، أو إلى أحد مساعديه ، أو مدير الدائرة المختصة أو إلى هذه الجهات الثلاث جميعاً . ويقوم بتبليغ الملاحظة مدير مكتب الوزير بصيغة « رأي » أبداه الوزير ( وليس تعليمات ، فالتعليمات ترسل للعمل بها ) ، ولكن ملاحظات الوزير وآراءه تؤثر بصورة غير مباشرة في آراء الآخرين ، وبالتالي تؤثر في القرارات النهائية .

وهناك ، إلى جانب هذه الأنواع الثلاثة من القرارات التي تصدر عن وزير الخارجية ، نوعان آخران قد تكون لهما آثار مهمة بل ونتائج خطيرة في بعض الحالات ، وهما : ١ - القرارات التي يتخذها الوزير خلال اتصاله المباشر مع الأشخاص من خارج الوزارة أو الحكومة كلها ، ومثال ذلك القرارات التي يتم اتخاذها خلال محادثاته مع وزير خارجية دولة أخرى ، والالتزامات التي يلزم بها حكومته . وهذا النوع من القرارات يبلغ إلى موظفي الوزارة فيما بعد ، لغرض الإطلاع . ٢ ) التصريحات العامة التي يفتي بها الوزير داخل البلاد أو خارجها ، وهذه التصريحات التي قد تتطرق إلى شتى الموضوعات ، تفرزه وتلزم وزارة الخارجية والحكومة كلها . وهي ، عادة ، تخلق سوابق تكون لها أحياناً نتائج بعيدة الأثر في السياسة الخارجية .

ولا شك أنه كانت هناك منذ قيام دولة إسرائيل على الأرض العربية اختلافات بارزة في مواقف وزراء خارجية إسرائيل وأساليبهم في اتخاذ القرارات ، وكانت هذه الاختلافات نتيجة طبيعية لشخصية كل وزير ومدى تركيزه سلطة اتخاذ

تصدر عنها القرارات التي تتخذ في الوزارة ، وهي : ( أ ) الوزير ( ب ) المدير العام ( ج ) -مساعده المدير العام ( د ) المستشارون ( هـ ) مديرو الدوائر ( و ) المبعوثون الدبلوماسيون في الخارج ( ز ) - الوند الدائم إلى الأمم المتحدة : ( ح ) - مديراً مكاتبى الوزير والمدير العام .

وفيما يلي محاولة لتحليل دور كل من هذه المصادر في اتخاذ القرارات : ( ٢١ )

أ - وزير الخارجية : هنالك ثلاثة أنواع من القرارات التي تصدر عن وزير الخارجية :

١ ) قرارات ينشئها ويبت فيها وزير الخارجية : يبدأ هذا النوع من القرارات بملاحظات يدونها الوزير على بريقة أو رسالة واردة ، أو تعليق شفوي يصدر عنه إلى مدير مكتبه ، فتكون هذه بمثابة تعليمات للعمل ترسل إلى مدير الدائرة المختصة ، أو مساعده المدير العام المختص أو إلى المدير العام .

وقد تكون لدى أحد هؤلاء الموظفين الذين ابتغوا بهذه التعليمات ملاحظات أو اعتراض عليه ( وهو في الغالب المدير العام أو أحد مساعديه ) ويمكن تقديم هذه الملاحظات إلى الوزير مباشرة ، أو عن طريق المرجع المباشر . وللوزير أن يوافق على الملاحظة أو الاعتراض ، ولكنه قد يطلب إجراء مشاوره بشأنها مع المدير العام ، أو مساعده المختص ، أو رئيس الدائرة أو الدوائر المختصة . وهناك يبحث القرار ، ويتعاد النظر فيه ، فلما ان ينال التأييد أو يعدل .

ولكن ما هي الاسس التي يستند إليها الوزير في موافقته على اعتراض ما ، أو رفضه ، أو إحالته للمشاوره ؟ يعتمد ذلك على المتطلبات الوزيرية في العمل ، ورأيه الشخصي على ثلاثة اعتبارات : مدى كون الموضوع عاجلاً ، ومقدار أهميته ، ومدى شمولية الاعتراض أو الملاحظة .

٢ ) قرارات ينشئها الوزير ولكنه لا يبت فيها شخصياً : تبدأ هذه العملية بملاحظة تحريرية أو شفوية يبدئها حول موضوع من الموضوعات ، ويدعو إلى عقد اجتماع أو مشاوره بشأنها . والوزير هو الذي يقرر الأشخاص الذين يحضرون الاجتماع ، وهم في الغالب المدير العام ، ومساعده

الرأي بالتالي على القرار الذي تتخذه الوزارة .  
وهناك ايضا طريقة اخرى لاتخاذ القرارات  
يكون فيها « المدير العام » عنصرا رئيسيا . فحين  
يطلب ممثل اسرائيل في الخارج تعليمات بشأن  
قضية ما ، او موافقة على اجراء يرغب في اتخاذه ،  
يقدم الطلب الى المدير العام مباشرة او عن طريق  
مدير الدائرة المختصة ، وهو الذي يقرر نوعية  
الجواب . ويتم ذلك عادة بعد التشاور مع  
المختصين في الوزارة .

والخلاصة فان المدير العام ينشئ بعض  
القرارات ويبت في بعضها الاخر ، ويطلب التشاور  
— الذي يؤدي الى اتخاذ قرار — في حالات اخرى .  
والمدير العام — كالوزير — قد يلزم وزارة  
الخارجية ، او الوزارات الاخرى ، او الحكومة ،  
بواسطة تصريحات يذلي بها الى الصحافة أو  
الاذاعة او التلفزيون ، او خلال زيارة رسمية الى  
الى الخارج . الخ .

وقد خمن أحد الذين شغلوا ادارة مكتب  
المدير العام ان حوالي ٨٠ بالمائة من جميع  
القرارات الصادرة عن المدير العام كانت استجابة  
لطلب او ردا عن استفسار ، و ٢٠ بالمائة منها  
نقط كان هو المحرك لها — والاخيرة عادة كانت  
أهم . كما اتفق جميع الذين شغلوا ادارة مكتب  
المدير العام ان القرارات التي انشأها او بت فيها  
المدير العام كانت أكثر عددا من تلك التي انشأها  
او بت فيها وزير الخارجية ، وان هذا القول يصح  
بصورة خاصة في حالة « جدعون رنايل » المدير  
العام السابق للوزارة .

ج — مساعدو المدير العام : يصعب تعريف  
دور مساعد المدير العام تعريفاً دقيقاً . فهو قد ينشئ  
قراراً بملاحظة يدونها على برقية او يطلب التشاور  
في موضوع مع مدير الدائرة التابع له ، او مع  
المدير العام ، مما قد يؤدي الى اتخاذ قرار . وهو  
قد يبدي رأياً يكون له اثره في القرارات المقبلة ،  
وقد يستجيب لمقترحات مدير الدائرة ويسهل  
مرورها ، صعداً ، الى المدير العام ، وحيثما  
الى الوزير .

وبصورة عامة فان مساعد المدير العام يساهم  
في عمليات اتخاذ كافة انواع القرارات مع استثناء  
واحد وهو انه — خلافاً للوزير والمدير العام —

القرارات بيديه ، ومدى اهتمامه بالتفاصيل ،  
وميله الى الاصغاء لمشورة الخبراء والاختصاصيين  
والى عقد الاجتماعات والاستشارات . فقد كان  
« شاريت » — أول وزير خارجية في اسرائيل —  
يعتد أكبر عدد من الاجتماعات ، و « آبا ايبان »  
أظنها . وكان الاول يحترم المثقفين ويصغي الى  
آراء موظفي الوزارة ويرغب دائماً ان يعرف كيف  
يفكر الآخرون . اما ايبان فهو أكثرهم اعتداداً  
بالفلسف ، بينما كانت « فولدا مئر » — خلال  
شغلها وزارة الخارجية — كثيرة الاعتماد على  
معلومات مساعديها في الوزارة ، وخاصة في  
السنوات الاولى لتوليها الوزارة .

ب — المدير العام : المدير العام أكبر  
موظف اداري في الوزارة ، وهو شخص فني وليس  
سياسياً ، ويقابل منصب المدير العام في وزارة  
الخارجية الاسرائيلية منصب وكيل الوزارة في بعض  
الدول ، والنائب الاول لوزير الخارجية في غيرها ،  
والسكرتير العام لوزارة الخارجية كما تعنونه دول  
أخرى .

ان طريقة صدور القرارات عن المدير العام  
تشابه الى حد كبير طريقة صدورها عن الوزير .  
فهو قد ينشئ قراراً بكتابة تعليمات على برقية  
واردة ، ويجوز ان يعترض على قرار المدير العام  
أحد مساعديه او مدير إحدى الدوائر ، وللمدير  
العام ان ينقض الاعتراض او يوافق عليه — ولا  
يحدث ذلك الا في حالات نادرة — كما ان له ان  
يطلب التشاور مع الموظفين المختصين ، فيؤكد  
قراره السابق ، او يعدله أو يهمله — ويكون  
الرأي النهائي في ذلك له .

وقد ينشئ المدير العام قراراً ، ولكنه لا يبت  
فيه في مرحلته النهائية ، وذلك بكتابة مذكرة لطلب  
فيها التشاور حول قضية معينة . وقد يكون النقاش  
مختصراً او طويلاً ، وقد يعقد الاجتماع فوراً او  
يؤخر الى حين عقد اجتماع اللجنة الوزارية . وقد  
يكون رسمياً او غير رسمي . ومهما كانت طبيعة  
التشاور ، فان هذا النوع من القرارات يكون  
جماعياً .

والمدير العام — شأن وزير الخارجية — قد  
يدون رأياً على برقية او تقرير من ممثل دبلوماسي  
في الخارج ، او على اية وثيقة اخرى ، فيؤثر هذا

الخارجية الأخرى في رغبة موظفيها في العودة للعمل في ديوان الوزارة خلافا لما هي الحال في الدول الأخرى حيث يفضل معظم الموظفين العمل في الخارج . فالوظائف الإسرائيلية يفضلون العودة ليضمنوا لأولادهم فرص التعليم باللغة العبرية ، ولكي ينشأوا في إسرائيل بقصد تقوية شعور المواطنين لديهم أكثر من آبائهم الذين تعلمون أنهم طارئون على البلد ، تجمعوا على أرض فلسطين العربية في مختلف أقطار العالم ، مما كون لديهم عقدة يريدون ان يتخلص منها ابتاهم .

ويرى البعض ان منصب مساعد المدير العام لم يكن ضروريا من ناحية انجاز الاعمال ، ولا لاتخاذ قرارات افضل ، كما ان مساعد المدير العام ، بحكم اشرافه على دائرة او دوائر معينة ، يقلل من أهمية وظيفة مدير الدائرة وفعاليتها .

بينما يرى آخرون انه طالما كانت الامور متركزة في المناصب العليا ، وإن المدير العام لا يستطيع — من الناحية العملية — القيام بكل شيء بنفسه ، فهناك حاجة الى شخص برتبة يستطيع ان يفوض صاحبها جزءا من اعماله ، وبالإضافة الى ذلك فان الذين ينظرون الى منصب مساعد المدير العام نظرة ايجابية يقولون انه منصب ضروري للأسباب الآتية : ( ١ ) ان مديري الدوائر ليس لهم تفوذ كبير ، ولن يكون لمقترحاتهم تأثير يذكر بدون تدخل مساعد المدير العام لدى المراكز العليا . ( ٢ ) ان كثيرا من توصيات مديري الدوائر لا تكون مدروسة ومعدة جيدا ، وإنما تحتاج الى توجيه وأحيانا الى تصحيحات شخص ذي خبرة أكثر . ( ٣ ) -ان كثيرا من القرارات المهمة تعد على مستوى مساندي المدير العام ، لان مديري الدوائر لا يستطيعون ان يبتوا او يتحلوا مسؤولية البت فيها ، كما انها ليست من الأهمية بدرجة تتطلب رفعها الى المدير العام أو الوزير بسبب ضخامة حجم اعمالهما .

**د - المستشارون :** وجد منصب المستشار في وزارة الخارجية منذ البداية ( والمستشار في الوزارة غير المستشار في السفارة ) وكان دور جميع الذين شغلوا هذا المنصب فعلا استشاريا وليس تنفيذيا — وذلك باستثناء المستشار القانوني طبعاً . ولم تكن لاي من المستشارين سلطة مباشرة على اية دائرة معينة ، جغرافية كانت ام وظيفية . ولكنهم جميعا

لا يبت في الامور بمفرده ، وان وظيفته الرئيسية هي المراقبة وليس الاتشاء ، ولكن مع دور مهم في اتخاذ كثير من القرارات التي تتطلب التشاور على مستوى عال .

ان مديري الدوائر لهم الحق في رفع قضية ما الى المدير العام مباشرة ، ولكنهم قلما يفعلون ذلك دون التشاور مع مساعد المدير العام المسؤول عين دائرتهم اولا ، وهم حتى لو فعلوا ذلك فان المدير العام يستشيرهم في الموضوع فيما بعد .

وليس هنالك تعليمات خاصة تحدد صلاحيات مساعد المدير العام ومسؤولياته والقرارات التي يحق له اتخاذها ، كما انه ليست هنالك اجراءات معينة موضوعة ، وان مساعد المدير العام هو الذي يقدر حدود القرارات التي له ان يتخذها حسب كياسته وخبرته وعلى ضوء التقاليد المتبعة ، وطريقة العمل الدارجة في الوزارة .

أما علاقة مساعد المدير العام بالمدير العام فهناك خمسة عوامل تقرر نوعيتها وطبيعتها : ( ١ ) طبع المدير العام ومدى ميله الى تفويض مساعديه سلطات اتخاذ القرارات . ( ٢ ) موضوع القرار ، وأهميته ، ومدى كونه عاجلا ، برأي المدير العام . ( ٣ ) -طبع المساعد وفيما اذا كان يميل الى ان ييسر في الامور بنفسه ويتحمل المسؤولية ، ام سلبيا ومتحذرا . ( ٤ ) تقدير مساعد المدير العام للموقف وبصورة خاصة رأيه فيما اذا كانت القضية موضوع البحث تقع ضمن صلاحياته . ( ٥ ) العلاقة الشخصية بين المدير العام ومساعد . ولعل هذه الآخرة هي اهم الاعتبارات . ففي حالة وجود مدير عام قوي وديناميكي وله ثقة بنفسه فان دور مساعد المدير العام في اتخاذ القرارات يكون اضعف ، اما اذا كان المدير العام منتظما في عمله ، يؤمن بمزايا التشاور الدوري ، يرحب بالمبادرة ولا يميل الى احتكار سلطة اتخاذ القرارات ، فتزداد أهمية دور مساعد المدير العام وتقوى معنوياته .

وقد استحدثت منصب مساعد المدير العام في أوائل الخمسينات لإيجاد مناصب على مستوى مناسب للمسرفاء الذين يعودون الى الوزارة بعد العمل في الخارج فترات طويلة . وان وزارة الخارجية الإسرائيلية تكاد تكون غريدة بين وزارات

اتخاذها ، والاستقلال الذاتي لدير الدائرة .

و - رئيس البعثة الدبلوماسية ( السفير والوزير المفوض ) : قيل عن رئيس بعثة دبلوماسية اسرائيلية في الخارج مرة « ان السفير يتخذ اكبر عدد من القرارات التي تترتب عليها اقل النتائج امنية » ، وربما كان هذا القول صحيحا بالنسبة لمبعوثي كل دولة في الخارج في الوقت الحاضر .

ومع ذلك فقد كانت هناك استثناءات مهمة ، وخاصة بين المجموعة الاولى من الدبلوماسيين الاسرائيليين : ابا ايان في واشنطن وفي الامم المتحدة ، ايلاث في لندن ، فيشر في باريس ، آفريل في اوربا الشرقية ، وساسون في انقرة . فقد كانوا جميعا اشخاصا معروفين جيدا واعضاء في المجموعة الصغيرة التي تصنع القرارات ، يتمتعون بكامل ثقته . وقد كان لبرقياتهم وتقاريرهم تأثير كبير في قرارات وزير الخارجية « شاريت » والمدير العام « ايتان » ، وربما على الحكومة بأجمعها . وقد تغير هذا الوضع فيما بعد بازدياد عدد المبعوثين الدبلوماسيين بدرجة كبيرة . ولكن الاوائل من جماعة المكتب السياسي للوكالة اليهودية عملوا في الخارج مدة طويلة ، فاستمروا في ممارسة نفوذهم في القرارات المتخذة بدرجة تزيد كثيرا عما تبرره مناصبهم .

ان نفوذ المبعوث الاسرائيلي في الخارج ( شأن نفوذ اي مبعوث دبلوماسي ) يعتمد جزئيا على مكانته الشخصية ومركزه ونفوذه في بلده ، كما يعتمد على اهمية دولته بالنسبة للدولة التي يمثل بلاده لديها . وهناك عامل اخر وهو شخصية رئيس البعثة الدبلوماسية - كما هي الحال في جميع المستويات في سلم الخدمة - فمن الممثلين الدبلوماسيين من يعملون بحذر زائد ، ويتبعون تعليمات الوزارة بصورة حرفية ولا يجرون على المبادرة في قضية من القضايا . ومنهم من يحاولون الاستقلال في آرائهم وقراراتهم وحل المشاكل التي تواجههم في امكان عملهم بأنفسهم ، وادارة بعثاتهم ، وماذا يقولون للحكومة التي يعتمدون لديها ، وكيف يتصرفون في مواجهة التحديات الكثيرة والمتنوعة التي يواجهها كل مبعوث دبلوماسي في الخارج .

ومن رؤساء البعثات من يفرض المقترحات على وزير الخارجية والمدير العام ، ويرى نفسه في وضع

كانوا على اتصال مباشر بوزير الخارجية والمدير العام وكان بعضهم يعد من المخططين الرئيسيين لسياسة اسرائيل الخارجية .

ومن الناحية العملية كان المستشارون بمثابة مساعدين للمدير العام بدون ان يحملوا ذلك اللقب ، وكانت التفرقة بين مناصبي مساعد المدير العام والمستشار تقوم على اساس ان مساعدي المدير العام كانوا يرأسون دوائر معينة ، بينما كان المستشارون يشرفون على موضوعات معينة . ومع ذلك فان حدود سلطاتهم لم تكن واضحة مما كان يسبب في بعض الحالات توترات شخصية تؤدي الى شيء من المنافسة غير الصحية بين المستشارين ومساعدي المدير العام ومديري الدوائر .

ه - مديرو الدوائر : اختلفت مكانة « مدير الدائرة » ونفوذه في وزارة الخارجية الاسرائيلية على مر السنين . فحين كان « شاريت » وزيرا للخارجية ، و« ايتان » مديرا عاما للوزارة ( ١٩٤٨ - ١٩٥٦ ) كانت مكانة مدير الدائرة عالية ومهمة ، وكان معظم مديري الدوائر قد اختيروا من بين اعضاء المكتب السياسي للوكالة اليهودية ، كما ان عدد مساعدي المدير العام كان قليلا ، بل انه لم يكن هنالك مساعد للمدير العام حتى سنة ١٩٥٢ ، وبعد ذلك لم يزد عددهم عن ثلاثة حتى سنة ١٩٥٧ ، ولذلك فان مديري الدوائر كانوا يحتلون مكانة اهم ويتبعون بسلطات اوسع .

وخلال معظم عهد غولدا مير كوزيرة للخارجية ، كان هنالك تدهور مطرد في منصب مدير الدائرة لاسباب عديدة اهمها رغبة مساعدي المدير العام في تركيز السلطات بأيديهم منذ اواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات . ولكن في سنة ١٩٧٠ بدا ان هناك تيارا عكسيا ، وذلك عندما عاد الى ديوان الوزارة موظفون قداماء ذوو درجات كبيرة ، ولم تكن هنالك مناصب كافية لهم في المراتب العليا ، ولذلك كان عليهم ان يقبلوا وظيفة مدير دائرة .

ولا شك ان دور مدير الدائرة في اتخاذ القرارات يتكيف حسب العوامل المتخلطة بطبيعة مساعد المدير العام الذي يشرف على دائرته وعلى قوة شخصيته وعلاقته برئيسه المباشر ، وكذلك بطبيعة القضية التي يجب البت فيها ومدى اهميتها . وهنالك علاقة عكسية واضحة بين اهمية القرار المتسبب

ولكن خط السياسة في مثل هذه القضايا يكون واضحا، ويمكن البت فيه على ضوء القرارات السابقة (٢٢).

وصرح آخر عمل عدة سنوات نائبا للممثل الدائم في الأمم المتحدة: « إن كيفية تصويت المنسوب الإسرائيلي على أي موضوع يطرح للتصويت في الأمم المتحدة يتقرر في نيويورك إلا إذا كان الأمر ذا أهمية خاصة . وبالرغم من أن الوفد الإسرائيلي يكون عادة مطلعا اطلاقا جيدا ، ويحمل تعليمات مفصلة ، بصورة أفضل من معظم الوفود ، فإن له مع ذلك مجالا واسعا من ناحية تقدير الموقف واتخاذ القرارات بنفسه » (٢٣).

وتكون صلاحية اتخاذ القرارات — لدى التطبيق — مقسمة على الوجه الآتي : في اللجنة الأولى ، واللجنة السياسية الخاصة : وزير الخارجية والممثل الدائم ، في اللجنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة : نائب الممثل الدائم ، في اللجنة السادسة : الخبراء القانونيون .

ويعد الوفد الإسرائيلي إلى الأمم المتحدة ، خلال الدورة ، اجتماعا صباحيا كل يوم ، ولكن نظرا لضيق الوقت خلال هذه الاجتماعات التي تطفئ عليها مناقشة القضايا السياسية ، فلا يبقى هناك مجال كبير للنظر في القضايا الاقتصادية والاجتماعية ومناقشتها ، وبالتالي فإن الأعضاء الإسرائيليين يتعين عليهم ، في هذه القضايا ، أن يعتمدوا على تقديرهم الشخصي إلى حد كبير .

وقد استمر مجال التصرف الواسع الذي كان يتمتع به الوفد الإسرائيلي الدائم إلى الأمم المتحدة حتى سنة ١٩٥٩ ، وكانت هناك ثلاثة عوامل أدت إلى ظهور ذلك الوضع الخاص : النفوذ الشخصي للممثل الدائم أبا إيبان ، بطء وسنائل المواضلات نسبيا مما قيد سيطرة الوزارة وزيارتها إلى حد ما ، أهمية أمريكا اللاتينية في نتائج التصويت في الجمعية العامة .

وقد تغيرت هذه العوامل في سنة ١٩٦٠ : فالممثل الدائم الذي حل محل إيبان (كوماي) كان أقل نفوذا من سلفه ، وبالتالي أضعف منه تأثيرا ، ووسائل الاتصال بالمركز قد تحسنت إلى حد كبير ، وأهم من ذلك جميعا الانفجار السريع في عدد الدول الإفريقية في الأمم المتحدة والتي استقلت منذ سنة

أفضل لتقدير آحين القرارات الواجب اتخاذها تجاه البلد الذي يوجد فيه . ومنهم من يقتصر على تنفيذ التعليمات ، ولا يتحرك إلا بتعليمات ، ويطلب رأي الوزارة في كل صغيرة وكبيرة . وبعضهم يرسل إلى الوزارة سيلا من البرقيات والتقارير — التي قد تجرح أحيانا زملاءهم في المراكز الأخرى ممن هم أقل انتاجا — وآخرون يكتبون بالحد الأدنى الضروري منها . وهذه المراسلات هي ، بطبيعتها الحال ، من أهم المصادر التي تبني على ضوءها القرارات في الوزارة ، وأن الصورة التي يرسمها الممثل في الخارج هي التي توجه ، إلى حد ما ، تفهم صانعي القرارات في الوزارة .

ز — وفد إسرائيل الدائم في الأمم المتحدة : إن مدى النفوذ الدبلوماسي الإسرائيلي في القرارات المتخذة يظهر بصورة واضحة في قضايا الأمم المتحدة، وكان هذا صحيحا — بصفة خاصة — في عهد « شاريت » حينما كانت سياسة إسرائيل في الأمم المتحدة تصنع في وزارة الخارجية . ولكن حينما تولت « غولدا مئير » وزارة الخارجية نقلت كثيرا من مشاكل الأمم المتحدة إلى مجلس الوزراء مضيئة بذلك قيادا جديدا على عمل الممثل الدائم .

إن ممثل إسرائيل الدائم يعود إلى إسرائيل في أواخر الصيف من كل سنة — عادة — للتشاور حول جدول الأعمال المبني للدورة القادمة . ويعقد في الوزارة « مؤتمر سنوي » يحضره وزير الخارجية ، والمدير العام ، ومدبرو الدوائر المعنية ، وتتراوح المدة التي يستغرقها المؤتمر بين ثلاثة أيام وأسبوع واحد .

قال دبلوماسي إسرائيلي قديم أشترك في كثير من هذه المؤتمرات السنوية إن المجتمعين لم يتخذوا فيها قرارات تفصيلية وقال أنها لم تكن اجتماعات على مستوى عام من الكفاءة ، ولم يتنازل أحد من المجتمعين عن آرائه ، وأن معظم الوقت كان يكرس « لقضية اللاجئين العرب » وأفضل الأساليب الواجب اتباعها لمواجهة الحملات الغربية والسوفيتية على إسرائيل في الدورة القادمة . أما القضايا الأخرى فلم يكن يبقى لبحثها وقت كثير . . . . . وتكون النتيجة عادة انتقال واضح لسلطة اتخاذ القرارات في معظم القضايا إلى الوفد الإسرائيلي في الأمم المتحدة ، وذلك باستثناء القضايا الجوهرية ،

المواد الموجهة الى وزير الخارجية وتنسيقها .  
ويمكن تصنيف هذه المواد الى اربعة انواع :  
١ ) الرسائل والتقارير المرسله من المنظمات  
الاسرائيلية في الخارج والموجهة الى وزير الخارجية  
مباشرة ، او عن طريق الدوائر الجغرافية .  
٢ ) المذكرات ، والمطالعات ، والاتصالات الشفوية  
المرفوعة الى الوزير من المدير العام ، ومساعديه ،  
ومديري الدوائر ، والتي يطلبون فيها التشاور معه  
بشأنها ، او الموافقة على اتخاذ اجراء ما ، او  
ابداء الرأي في اقتراح ما ، او يعربون فيها عن  
اعتراضهم او ملاحظاتهم على بعض تعليماته .  
٣ ) البرقيات الواردة من ممثلي اسرائيل في  
الخارج ، وفي سنة ١٩٦٦ كانت هنالك برقيات  
واردة وضادة من الوزارة بمعدل مائة برقية من  
كل فئة . ويقوم بتوزيع البرقيات الواردة مدير  
شعبة المواصلات في الوزارة وهي وظيفة تتطلب  
اتخاذ قرارات تترتب عليها أحيانا نتائج سياسية .  
كما يقوم مساعد مدير المكتب بغرفة البرقيات  
ذات الاهمية الثانوية . ومن بين حوالي ثمانين  
برقية متبقية يقرر مدير المكتب أيها يقدم الى وزير  
الخارجية ، وأيها يبلغه بموضوعها بخلاصة شفوية  
مختصرة ، وأيها يرسل الى مدير الدائرة المختصة  
مباشرة لاتخاذ الاجراء اللازم بشأنها . ( ٤ ) تقارير  
الاستخبارات وتقدير الوقف . ويقوم السكرتير  
السياسي للوزير ( ومدير المكتب بعد دمج  
الوظيفتين ) بمساعدة الوزير في هجسال  
اعداد البحوث والدراسات وجمع المعلومات ،  
وبصورة رئيسية في القضايا التي تناقش في الكنيست  
( البرلمان الاسرائيلي ) ، وكذلك وضع مسودات  
خطب الوزير ، وخاصة في عهد غولدا مئير . أما  
شاريت فقد كان يكتب خطبه بنفسه ، وكذلك  
كان يفعل آييان .

ان الخطابين السنويين المهمين اللذين يلقيهما  
وزير الخارجية هما خطابه حول الميزانية في الكنيست ،  
وخطابه عن السياسة الخارجية لاسرائيل أمام  
الجمعية العامة للأمم المتحدة . وتبدأ عملية اعداد  
خطب الميزانية بان يقوم وزير الخارجية بمناقشة  
موضوع الخطاب مع مدير مكتبه ويشير الى النقاط  
التي يرغب في بحثها ، فيعد مدير المكتب مسودة  
أولى ، وعليها تجري تعديلات الوزير ، ثم يهيء  
مسودة ثانية على ضوء هذه التعديلات ، وتناقش

١٩٦٠ . لقد كانت افريقية في الامم المتحدة نفس  
ما كانت عليه امريكا اللاتينية في السابق ، وكانت  
اصوات الدول الافريقية تؤلف ثلث مجموع  
الاصوات في الجمعية العامة تقريبا ، ولكن كان  
هنالك فرق جوهري واحد ، وهو ان خبرة اسرائيل  
في شؤون امريكا اللاتينية ، وشبكة اتصالاتها بها  
متركزة في نيويورك ، أما خبراء اسرائيل في الشؤون  
الافريقية فكان مركزهم القدس حيث يعملون تحت  
ادارة مساعد المدير العام ( ايهود آريل ) ، ومثما  
كانت تجري اتصالاتهم مع الحكومات الافريقية .  
وقد تقلصت أهمية هذا العامل مرة اخرى ، بعد  
سنة ١٩٧٣ على اثر قطع معظم الدول الافريقية  
علاقتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

وقد أدى ذلك جميعا الى مزيد من السيطرة  
المباشرة من قبل وزارة الخارجية على فعاليات  
وقد اسرائيل في الامم المتحدة . ولكن بالرغم من  
التدهور الذي اصاب استقلاله الذاتي ، فقد  
استمر الوفد الدائم في ممارسة تأثيره على القرارات  
التي تتخذ في المركز . وقد كشف ممثل اسرائيل  
الدائم الحالي في الامم المتحدة « تكراه » ان عدد  
البرقيات التي كان يبعث بها الى الوزارة خلال  
الدورة كان بمعدل ٣٥ برقية يوميا (٢٤) ، والى جانب  
ذلك فان الممثل الدائم يساهم في اتخاذ القرارات  
بطريقتين : خلال الاستشارات السنوية في القدس ،  
وبواسطة البرقيات المتبادلة بين نيويورك والقدس .  
وبالرغم من أن سفراء اسرائيل في الولايات المتحدة  
وفرنسا كانوا ذوي نفوذ كبير في وقت أو آخر ،  
فليس هناك رئيس بمئة دبلوماسية يتمتع بها يتمتع  
به الممثل الدائم لدى الامم المتحدة من نفوذ  
ومصالحات .

ح - مدير مكتب الوزير ومدير مكتب المدير العام :  
هنالك هيئتان جانبيتان ، تابعتان ، ولكن لهما تأثيرا  
كبيراً في القرارات المتخذة في وزارة الخارجية ،  
وهما مكتب الوزير ومكتب المدير العام . وكان  
لـ « شاريت » مساعداً او سكرتيراً رئيسياً :  
أدمج المنضبان في سنة ١٩٥٧ في منصب واحد  
كبير ، ثم أعيد فصلها بعضها عن البعض ، ثم  
السكرتير السياسي ، ومدير مكتب الوزير . وقد  
دمجها ثانية في عهد « آييان » مرتين .  
ان المهمة الرئيسية لمدير مكتب الوزير هي غرفة

اللجنة في عهد المدير العام « ايّان » بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٥٩ ، وكانت الاولى تجتمع يوميا من الساعة ٧،٤٥ حتى الساعة ٨،٤٥ برئاسة مناقشة تطورات الاربع والعشرين الساعة الماضية ، والقضايا التي تنجم عنها او تتعلق بها . وكان يدمى لحضورها مديرو جميع الدوائر مع المستشارين ومعاوني المدير العام . ولكن الوزارة في تلك الايام كانت مجموعة صغيرة من الموظفين نسبيا ، وان لجنة واسعة الاساس كهذه لم تكن مع ذلك من السعة بحيث يصعب فيها اجراء مناقشات عملية منتجة .

وقد انشئت اللجنة الاولى على اثر ما أعرب عنه بعض مديري الدوائر من شعورهم بأنهم لا يظلمون على ما يجري في الوزارة بدرجة كافية ، ولا يساهمون في اتخاذ القرارات . فأوجد « ايّان » — اجتماعات الصباح — بقصد تعزيز شعور الموظفين بالاشتراك في أعمال الوزارة . وبالرغم من أن البعض انتقد هذه الاجتماعات بأنها كانت مجرد كلام لا نتيجة له فإن الكثيرين وصفوها بأنها كانت ترفع من معنويات الموظفين وتشجّد تفكيرهم .

أما لجنة « رسم السياسة » فكانت اجتماعاتها يومية ايضا ، ولكن نطاقها كان أضيق ، وكانت تضم المستشارين السياسيين ، والسكرتير العام و ( اعتبارا من سنة ١٩٥٢ ) مساعدي المدير العام وكثيرا ما كان وزير الخارجية يحضر هذه الاجتماعات . وكانت لجنة « رسم السياسة » تتخذ القرارات ، أما اجتماعات الصباح فلم تكن هيئة تنفيذية ذات سلطة ، ولكن اذا اتفقت الآراء فيها على اجراء ما ، فإن ذلك كان بطبيعة الحال يؤثر في القرارات التي تتخذ .

وهناك ايضا اجتماعات طارئة تتطلبها الحاجات الالية لسير العمل في الوزارة . ولكن للجنة الدائمتين هما اللتان توفران لموظفي الوزارة الكبار فرصة الاجتماع والتشاور الدوري المنظم .

وقد تغيرت طبيعة « اجتماعات الصباح » منذ سنة ١٩٦٢ ، فاصبحت اسبوعية بعد ان كانت يومية ، ولم تعد أكثر من مبرر لاعطاء معلومات او لقاء خاضرات او تقارير للموظفين العائدين من الخارج او موظفي الوزارات الاخرى او بعض الزوار . كما ان كثيرا من كبار موظفي الوزارة —

هذه المسودة أيام لجنة الوزارة لإجراء التعديلات المحتملة عليها ، ويقوم مدير المكتب بعد ذلك باعداد المسودة الثالثة او النهائية . وتكون العملية مشابهة لذلك في حالة اعداد خطاب الامم المتحدة ، مع قيام كبار أعضاء الوفد بدور ( لجنة الوزارة ) في خطاب الميزانية .

ان شدة الضغط الموجود على وقت وزير الخارجية في فترة من الفترات من حيث المواعيد والارتباطات والاجتماعات والرحلات الى الخارج ، هي العامل الذي يحدد كمية المواد والبرقيات التي تعرض عليه ، ويعتمد هذا على تقدير مدير المكتب . ويقوم مدير مكتب الوزير ايضا بتسهيل الاتصالات بين الدوائر المختلفة في الوزارة وتوزيع الطلبات والاستفسارات الواردة اليها من الخارج على الموظفين المختصين لاتخاذ ما يلزم بشأنها . وكذلك مراقبة سير العمل في الوزارة بصورة عامة .

أما الجهاز الآخر ، الموازي ، لجهاز مكتب الوزير فهو مكتب المدير العام . وهو يقوم بنفس الدور الذي يقوم به مكتب الوزير ، ولكن مركز مدير مكتب المدير العام ونفوذه — بطبيعة الحال — أقل مما يتمتع به مدير مكتب الوزير .

ومع ذلك فإن كلا الجهازين لهما دورهما الواضح في القرارات التي تصدر عن الوزارة ، وتأثيرهما الكبير في توجيه أعمال الوزارة وتسهيل سيرها ( او عزلتها ) .

### اللجان والمشاورات

شهدت أساليب التشاور في وزارة الخارجية الاسرائيلية ، واللجان التي ألفت لهذه الغاية ، تغييرات كثيرة خلال السنين ، في طريقة توزيع الاعمال ، وكثرة الاجتماعات وانتظام مواعيدها ، وكان العامل الحاسم المؤثر في قوة نفوذ اللجان وضمها ، وفي درجة احالة القضايا المهمة عليها ، هو موقف المدير العام من كيفية اتخاذ القرارات ومدى ميله الى اتخاذ القرارات بنفسه ، او التشاور مع الموظفين المختصين في الوزارة .

وقد سبقت الإشارة الى احدى اللجان المهمة في الوزارة ، وهي « لجنة التعيينات » . وهناك لجنتان أخريان مهمتان : الاولى لجنة « اجتماعات الصباح » — يشيقات بوكر ، والاخرى لجنة « رسم السياسة » — هاتبالا . وقد ازدهرت هاتان

ان كثيرا من موظفي الخدمة الخارجية الذين قابلهم « بريشر » (٧٥) انتقدوا أساليب التشاور الحالية ، وانعدام وجود جهاز محدد لـ « صنع السياسة » وذهبوا الى ان تقسيم المسؤولية غير واضح - مع ما ينتج عن ذلك من ارتباك وعدم كفاءة - وان معظم القرارات المهمة تتخذ في قمة الوزارة حتى بدون ان تمر على أية لجنة لمناقشتها، أما اللجان فلا يحال عليها الا القضايا الثانوية الالهية .

#### خاتمة :ملاحظات تقييمية

في ختام هذا العرض لتنظيم وزارة الخارجية الاسرائيلية ، واسلوب عمل الجهاز الدبلوماسي الاسرائيلي ، يمكن ابداء بعض الملاحظات التقييمية، واستنتاج عدد من النتائج المهمة .

ولعل أهم ما يلاحظ في هذا الشأن هو ان تنظيم وزارة الخارجية الاسرائيلية يتطابق مع مهماتها الاساسية التي تنبع من أهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية ، وان الجهاز الدبلوماسي الاسرائيلي يعمل بكفاءة عالية مستفيدا الى أقصى حد ممكن من تجارب الدول الأخرى ، والتجارب التي مرت بها الوزارة نفسها منذ انشائها ، وكذلك من العناصر التي جاءت الى اسرائيل من بلاد اوروبية او امريكية وغيرها ، ومما كسبته تلك العناصر من معرفة وخبرة في تلك البلاد .

ان تكوين الوزارة ، وأساليب عملها ، وتقسيم الاعمال فيها ، لم تخضع لقواعد جامدة ، ولم تتردد الوزارة في اجراء التغييرات التي وجدها ضرورية لحسن سير الاعمال فيها ، آخذة بعين الاعتبار المرحلة التي تمر بها اسرائيل بالنظر لمركزها الدولي من وقت لآخر ، محاولة دائما الا يبقى أي جزء من جهازها عاطلا او عديم الكفاءة .

ويلاحظ أيضا ان الوزارة كانت سريعة في انتهاز الفرص المؤاتية ، ولم تتأخر قراراتها تجاه الاحداث الدولية الطارئة التي تستطيع استغلالها لمصلحة الكيان الاسرائيلي ، كماوافقتها السريعة على تبادل التمثيل الدبلوماسي مع الولايات المتحدة على مستوى السفراء حالما عرض ذلك عليها .متخطية التأخيرات البيروقراطية التي تحدث عادة في الدول الأخرى في الحالات المماثلة ، وكذلك مبادرتها السريعة الى فتح المحطات الدبلوماسية في الدول

بضمنهم المدير العام - لم يعودوا يحضروا اجتماعاتها بصورة منتظمة .

وأهم من ذلك ان « لجنة رسم السياسة » لم يعد لها وجود من الناحية العملية ، لان المدير العام - ليفاني « لم يكن يؤمن بالتشاور وطرح القضايا للمناقشة بل يميل الى اتخاذ القرارات الفردية على مستوى عال .

أما الاجتماعات الطارئة التي تعقد بطلب من وزير الخارجية فانها كانت تعقد في اوقات غير منتظمة ، ولكن بمعدل مرة في كل اسبوعين ، وكانت تبحث خلالها بعض القضايا وتتخذ بشأنها القرارات في شكل تعليمات تصدر عن مكتب الوزير .

وفي عهد المدير العام السابق « جدهون رفائيل » لم يعد للاجتماعات الصباحية وجود ، ولكن « لجنة رسم السياسة » بعنت واستعادت أهميتها كاجتماع اسبوعي يمقد بين الساعة العاشرة والحادية عشرة من صباح كل اربعاء . وكانت تتألف من المدير العام ومساعديه والمستشارين ومديري مكنتي الوزير والمدير العام . أما مديرو الدوائر المعنية فكانوا يدمون اليها بصورة طارئة حسب علاقة القضايا المطروحة للبحث بأعمال دوائرهم .

أما في الوقت الحاضر فان لجنة رسم السياسة عبارة عن « مستهلك » للمعلومات - كما وصفها أحد اعضائها في سنة ١٩٧٠ - والسبب يعود الى شخصية المدير العام والى تكوين اللجنة . وهناك اجتماعات تتخذ فيها قرارات مهمة ، ولكن الامر في معظم الحالات على العكس من ذلك . ان لجنة رسم السياسة في شكلها الحالي هي عبارة عن مثير للمناقشات واستقاء المعلومات وهي تخلق جوا من الشعور بالعمل الجماعي ، وبالرغم من أنها ظمًا تتخذ قرارات مهمة او « ترسم السياسة » ، فانها عادة يبعث ارتياح للموظفين ومهمتها أشبه بمهمة « اجتماعات الصباح » القديمة ، وهي اطلاع أكبر عدد من الموظفين في الوزارة على ما يجري خارج نطاق عملهم المباشر .

ويعتد المدير العام في الوقت الحاضر اجتماعات نصف شهرية مع مديري الدوائر ، كما تعقد اجتماعات طارئة بين الموظفين الذين يرثي المدير العام او الوزير حضورهم ليبحث المشاكل العاجلة .

جهازه ، فهناك جوانب طبيعية مهمة انعكست آثارها على ذلك التمثيل .

و اول ما يلاحظ في هذا الشأن عدم وجود أي موظف عربي في وزارة الخارجية الإسرائيلية ، كما ان النواب العرب (وكذلك الشيوعيين) في الكنيست الإسرائيلي محرومون من عضوية لجنة الشؤون الخارجية . وهذه إحدى الامثلة المكشوفة أمام انظار العالم الخارجي - والتي تؤلف دليلا ماديا يذخض مزاعم حكومة إسرائيل بشأن معاملتها للعرب الموجودين داخل إسرائيل ، حيث أصبحوا يعاملون في بلدهم - ومن قبل مفتصيبيها والدخلاء عليها - معاملة الدخلاء ، وأصبحوا في وطن آبائهم وأجدادهم مواطنين من الدرجة الثانية .

وبالإضافة الى ذلك ، فان لوزارة الخارجية الإسرائيلية مهمات غير معلنة ، وغير مدونة في الكتب السنوية للحكومة ، ولا في تقارير الوزارة ، كأعمال الجاسوسية والتخريب والافتقالات وتهريب الأشخاص والأسلحة وحتى البواخر . . . .

وتتظاهر إسرائيل بأنها دولة عصرية من جميع الوجوه، وتحاول ان تضي على جهازها الدبلوماسي مظاهر الدبلوماسية الكلاسيكية الزهية التي تتحاشى أي عمل من أعمال التجسس وغيرها من الفعاليات غير المشروعة التي يؤكد التماثل الدبلوماسي على وجوب تجنب الممثل الدبلوماسي الدولي لهاستها . ومع ذلك ، فقد كانت هنالك حالات كثيرة فضحت فيها محاولات اسرائيلية عديدة ظهر فيها ان مهطليها الدبلوماسيين ( فضلا عن ملحتي قواتها المسلحة وملحقها الفنيين الآخرين ) كانوا مشتركين في تلك الاعمال التي ترتب عليها اعتبارهم أشخاصا غير مرغوب فيهم وطردهم من الدول التي يعملون فيها ، مما شكل ملحنا كبيرا في سمعة الوزارة وأخلاقيتها وأساء الى مكانتها الدولية . . . .

وكانت مهمتها تنظيم الهجرة الى فلسطين ، والتعاون مع سلطات الانتداب في جميع الشؤون المتعلقة بتنفيذ وعد بلفور حول انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين . وقد جرى توسيع نطاق الوكالة اليهودية في سنة ١٩٢٩ بإدخال

المستقلة حديثا دون انتظار الجزائية الجديدة او ما أشبه ذلك من اجراءات روتينية قد تضيع عليها فرصا ثمينة للتغافل في تلك الدول ، قبل ان تسبقها اليها غيرها ، وخاصة الدول العربية .

وقد حرصت الوزارة دائما على اختيار موظفي الخدمة الخارجية من أكفأ العناصر ، ووقفت في وجه ضغوط الاحزاب لتعيين اعضاءها في وظائفها ، وفي حالة نزولها عند المطالب الحزبية فانها أصرت دائما على ان يكون المرشحون الحزبيون على المستوى المطلوب من الكفاءة ، ولم تلتفت الى شعار ( الاخلاص قبل الكفاءة ) ، بل انها لم تحجم عن التصريح بأنه كان شعارا مضللا ، وذهبت الى ان الاخلاص يفترض في كل مواطن إسرائيلي ، ويشترط في كل مرشح . وهو ضروري ، ولكنه لا يكفي وحده ، وخاصة في الوظائف الثغوية او التي تتطلب مؤهلات معينة ، ولا يمكن ان يعوض عن تلك المؤهلات التي يعجز المرشح بدونها عن تأدية واجباته على الوجه المطلوب ، وقد يسيء الى بلاده من حيث لا يعلم ، وبالتالي قد يكون ضرره أكثر من نفعه .

وقد أظهرت إسرائيل مرونة كبيرة في اختيار سفرائها ، وفي تعيين الممثل المناسب في المحل المناسب ، واهتمت بدراسة علاقات ممثلها الدبلوماسيين وتفوذهم وامكانيات نجاحهم في الدول التي يعتبرون لديها . كما انها لم تكتف في انتقاء موظفي وزارة الخارجية بالشهادات العالية التي يحملونها من الجامعات الإسرائيلية او الأجنبية . بل أكدت على اجتيازهم فترة تدريب مركسة للاستراتيجية الإسرائيلية ، ودراسة لوضع اليهود في العالم ، ونقاط الضعف والقوة في الدول التي تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي .

والى جانب هذه النواحي الإيجابية التي رفعت من مستوى التمثيل الدبلوماسي الإسرائيلي وكفاءة

١ - ابراهيم العابد، سياسة إسرائيل الخارجية،

بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١١ .

٢ - « الوكالة اليهودية » : هيئة تمثيلية يهودية

انشئت بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب البريطاني على فلسطين الصادر في سنة ١٩٢٢ ،

٩ - كانت اول دولة تستجيب لهذا الطلب هي الولايات المتحدة ، واعقبها الاتحاد السوفيتي ، فنواتيمالا ، فبولونيا ، فاوروبغواي ، فجيكوسلوفاكيا ، فافريقيا الجنوبية ، فنيوغوسلافيا ، فبنغاريا ، فنرومانيا ، فننلندا ، فكوستاريا .

١٠ - شبتي روزن ، في محاضرة عن وزارة الخارجية الاسرائيلية في كلية الشرق الاوسط للادارة العامة ( كما نقلها جريدة « جروساليم بوست » ، ١٦ مايس ١٩٤٩ ) .

١١ - Michael Brecher, *The Foreign Policy System of Israel*, London, 1972, p. 512.

١٢ - تقرير عن وزارة الخارجية الاسرائيلية : ملحق بخطاب وزير الخارجية حول ميزانية الوزارة لسنة ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ، القدس ، ص ١ .

١٣ - أنظر جريدة « ترد » الصادرة في ٢١ آب ١٩٦٤ ومما جاء في المقال : « .. ان بعض المتطرفين الصهيونيين في سفارة اسرائيل هم من الحماقة بدرجة يعجزون معها عن فهم الشعب السوفيتي ، وان سيارات السفارة الاسرائيلية المحملة صناديقها الخلفية بالقمامة الايديولوجية طالما شوهدت خلال أشهر الصيف في كييف واوديسا وشيرنوفتشي وغيرها من المدن . وان السياح الاسرائيليين من حملة الباسبورات الدبلوماسية تركوا وراءهم ، حيثما حلوا ، آثارا قذرة ... » .

١٤ - « ازغستيا » ، موسكو ، ١٠ نيسان ( ابريل ) ١٩٦٤ .

١٥ - « ازغستيا » ، موسكو ، ٢١ مايس ١٩٦٤ .

١٦ - « نيويورك تايمس » الطبعة الأوروبية ، ٢٢ مايس ١٩٦٤ .

١٧ - State of Israel, Civil Service Commission, *Twenty Years of Service*, Jerusalem, 1968, p. 18.

١٨ - *Israel Government Yearbook*, 1964/1965, p. 178.

١٩ - ناركيس ( مدير الكلية ) في حديث لجلسة « جويش اوبزرفر » المجلد ١٤ ، العدد ٤٨ ، ٢٦ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٦٥ - نقل عن

٥٠ بالمئة من الاعضاء اليهود غير المنتمين الى المنظمات الصهيونية ، بقصد تمثيل الجاليات اليهودية في مختلف اقطار العالم . وكان لها دور كبير في تحقيق الاهداف الصهيونية ، وقد تمكنت من جمع تبرعات طائلة استخدمت في تدريب المهاجرين ، وتوطينهم ، واستتبرت في فعالياتها حتى انتهاء الانتداب البريطاني في سنة ١٩٤٨ ، وبعد ذلك التاريخ زالت صفتها الاولى ولكنها واصلت اعمالها كهيئة تمثيلية لليهود تعمل على تدعيم اسرائيل . وما تزال الوكالة اليهودية فعالة حتى الوقت الحاضر في الشؤون الثقافية والاعلامية اليهودية في الولايات المتحدة وفي اقطار اخرى من العالم .

٢ - انظر مذكرات ايتان عن تأسيس وزارة الخارجية في كتابه : « السنوات العشر الاولى : تاريخ دبلوماسي لاسرائيل » .

Walter Eytan, *The First Ten Years*, New York, 1958, p.p. 206-228.

٤ - أصبح هذا المنصب سببا في بعض المتاعب في السنوات الاولى ، مما أدى الى استقالة الشخص الوحيد الذي شغله في سنة ١٩٥٣ ، والظاهر انه فسر صلاحياته بصورة حرفية ، وحاول ان يوسعها بحيث تمتد الى رسم السياسة أيضا . وقد خفض الوضع القانوني للرئيس الاداري للوزارة فأصبح واحدا من معاوني المدير العام ، والتي منصب السكرتير العام .

٥ - ايتان ، المرجع السابق ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

٦ - أنظر مذكرات جيمس مكدونالد - أول سفير أمريكي الى اسرائيل - ووصفه كيفية ابلاغ حكومة اسرائيل بقرار الحكومة الامريكية ، وكيفية استجابتها له ، ووصف مراسم تقديم أوراق اعتماده كأول سفير الى اسرائيل .

James G. McDonald, *My Mission in Israel*, London, 1951, pp. 125-127.

٧ - ايتان ، المرجع سالف الذكر ، ص ٢١١ .

٨ - كانت ميزانيات وزارات الخارجية لهذه الدول - كما جاء في المشروع - كما يأتي : مصر ( سنة ١٩٤٥ ) ٤٣٦٤٧٠٠٠ جنيه فلسطيني ، العراق ( سنة ١٩٤٥ ) ٢٨٦٤٠٠٠٠ جنيه فلسطيني ، لبنان ( سنة ١٩٤٨ ) ٢٨٣٤٠٠٠٠ جنيه فلسطيني .

ration, New York, 1964, p. 14.

Brecher, *Op. Cit.*, p. 517. — ٢٩

٢٠ — ايتان ، المرجع سالف الذكر ، ص ٢٢٠ —

٢٢١

٣١ — ان المصدر الرئيسي لهذا التحليل لعملية

اتخاذ القرارات في وزارة الخارجية الاسرائيلية

هو المقابلات التي اجراها « مايكل بريشر » مع

عدد من كبار المسؤولين في تلك الوزارة في

ازمنة مختلفة ، بضمنهم وزراء الخارجية

السابقون والديرون العامون وغيرهم من كبار

موظفي الوزارة . ( انظر : بريشر ، المرجع

سالف الذكر ، ص ٥٢١ وما بعدها ) .

٢٢ — بريشر ، المرجع سالف الذكر ، ص ٥٣١ —

٥٣٢

٣٣ — المرجع نفسه ، ص ٥٣٢ .

٣٤ — المرجع نفسه .

٢٥ — المرجع السابق ، ص ٥٢١ .

ابراهيم العابد ، المرجع سالف الذكر ، ص

١٢٧ .

٢٠ — المرجع السابق .

٢١ — بقي آبا ايبان ممثلا دائما في الامم المتحدة

١١ سنة ، وسفيرا في واشنطن ٩ سنوات ،

وايلاث سفيرا في لندن ٩ سنوات ، وكوماي

ممثلا دائما في الامم المتحدة ٧ سنوات ، وايتان

سفيرا في باريس أكثر من عشر سنوات ، ونجار

سفيرا في بروكسل ٨ سنوات .

٢٢ — بريشر ، المرجع سالف الذكر ، ص ٥١٦ .

٢٣ — المرجع نفسه .

٢٤ — المرجع نفسه .

٢٥ — Moshe Pearlman, *Ben Gurion*

*Looks Back*, New York, 1965, p. 127.

٢٦ — ايتان ، المرجع سالف الذكر ، ص ٢١٧ .

٢٧ — المرجع نفسه .

٢٨ — Mordechai E. Krenin, *Israel and*

*Africa, A Study in Technical Coope-*

### المصادر

mission, *Twenty Years of Ser-*  
*vices*, Jerusalem, 1968.

Strang, (Lord), and other Members  
of the Foreign Service, *The Foreign*  
*Office*, London (Allen and  
Unwin) 1957.

صايغ فايز ، الدبلوماسية الصهيونية ، بيروت  
( مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية )

١٩٦٧

صفوة ، نجدة فتحي ، اليهود والصهيونية في

علاقات الدول الكبرى ، بغداد ، ( وزارة )

الخارجية العراقية ) ١٩٦٧ .

العابد ، ابراهيم ، سياسة اسرائيل الخارجية ،

بيروت ( مركز الابحاث - منظمة التحرير

ال فلسطينية ) ١٩٦٨ .

موسى ، شجادة ، علاقات اسرائيل مع دول العالم ،

بيروت ( مركز الابحاث - منظمة النجسريين

ال فلسطينية ) ١٩٧١ .

Brecher, Michael, *The Foreign Policy*  
*System of Israel*, London(Oxford)

1972.

Eytan, Walter, *The First Ten Years*,  
New-York (Simon and Schuster)

1958.

( وعلى هذين المصدرين اعتمدنا بصورة رئيسية. )

Barnes, William and Morgan, John

Heath, *The Foreign Service of the*  
*United States, Origins, Develop-*

*ment and Function*. Washington,  
D.C. (Department of State) 1961.

Eban, Abba, *Voice of Israel*, New  
York (Horizon Press) 1957.

*Israel Government Yearbooks*.

Krenin, Mordechai, E., *Israel and*  
*Africa, A Study in Technical Co-*

*operation*. New York (Praeger) 1964.

McDonald, James, *My Mission in*  
*Israel*, London (Gollancz) 1951.

State of Israel, Civil Service Com-

### محمد علي طه ، جسر على النهر الحزين : والقصة الفلسطينية ( منشورات عربسك ، فلسطين المحتلة ١٩٧٤ ) .

على ان سمات هذا التيار القصصي المستقل عن غيره من التيارات تبرز في مناح مختلفة أبرزها ناحية المضمون ثم النواحي التكنيكية ، ولكل سمة من هذه السمات عدة مسببات وجوائز جعلتها قادرة على فرض حضورها في هذه النماذج القصصية .

تقف على رأس هذه السمات — مضمونيا — الحس الطبقي ، فهولاء التصاصون منتمون طبقياً للكادحين عمالاً وفلاحين وبرجوازية صغيرة منسحقة . ولا نكاد نجد نموذجاً قصصياً واحداً لا يتجلى فيه هذا الحس الطبقي . فجميع النماذج البشرية التي اهتم بها حنا ابراهيم في مجموعته القصصية الاولى « ازهار برية » ( صدرت سنة ١٩٧٢ ) هم من الناس المسحوقون اجتماعياً واقتصادياً وطبقياً . كما تعكس قصصه وجهة نظر نقدية تجاه النماذج الاخرى كالزعامات التقليدية والوجهات العشائرية . ولعل نجاح حنا ابراهيم في قصصه هذه يعود الى خبرته الطويلة في النضال العمالي . فهو من الكتاب الذين ارتبطوا بصفوف هذه الطبقة منذ الثلاثينات . وكان عضواً في عصبة التحرر الوطني قبل النكسة . وما يزال في طليعة العاجلين في راحك الذي يدافع عن حقوق الاقلية العربية من النواحي الاجتماعية اكثر من غيره من الاحزاب ( انظر : الدراسة عن المجموعة في جريدة الدستور الاردنية ، ( ع ٢٥٩٥ ) ، تاريخ ١٤/١٠/١٩٧٤ ) .

واذا شئنا النظر في تمصن الشارح الاصفر وجدنا الكاتب يخلص الى درجة مذهلة في تصوير النماذج الريفية طبناً لوجهة النظر الطبقيّة . ففي قصة الغرس لتوفيق فياض مثلاً ما يؤكد الدلالة القاطعة لموقفه الطبقي .

هناك ملاحظة مهمة يدركها الدارس المقتنع لما ينشر من نماذج قصصية في فلسطين المحتلة نستحق كثيراً من العناية والتأني في تقصي ابعادها ودلالاتها الفكرية والادبية . وهذه الملاحظة هي توجه القصة في الاراضي المحتلة الى اتخاذ طابع خاص يميزها عن غيرها من القصص الفلسطيني والعربي . وبعبارة اوضح فان قارئ النماذج القصصية القصيرة والطويلة التي كتبها كتاب يعيشون في فلسطين المحتلة يدرك انها أخذت تشكل تياراً فنياً له خصائصه المضمونة والتكنيكية التي تمنحه صفة الامتياز والتعبير عن غيره من تيارات القصة ولعلمي استطيع الزعم بأن المقارنة بين هذه النماذج القصصية مع نماذج الكتاب القصصيين في المنفى تضعها في موضوع خاص فعندما نقرأ لكاتب كفسان كنفاني او كاتبة شهيرة كسميرة عزام او اي كاتب آخر لوجدنا أنهم كتاب عرب يتناولون في قصصهم ورواياتهم القضية الفلسطينية وشعبها ، بدرجات متفاوتة من الاخلاص والمعاناة ، ومستويات مختلفة من حيث الجودة والانتقان التكنيكي . لكننا في المقابل ندرك شيئاً مهماً وهو أن القصاصين من أمثال اميل حبيبي وحنا ابراهيم ومحمد نفاع ومحمد علي طه وتوفيق فياض هم قصاصون فلسطينيون اولاً . ويكتبون عن الشعب الفلسطيني والارض الفلسطينية . ولقد بحثت من كاتب آخر من الذين لم يقضوا حياتهم في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ يمكن ان يندرج في هذا التيار فلم أجد الا كاتبا واحداً لم ينشر حتى الان مجموعة قصصية وان كان قد نشر مدداً غير قليل من القصص هو الكاتب خليل السواحري الذي أبعد عن الضفة الغربية عام ١٩٦٧ بنهمة الانتماء للحزب الشيوعي الاردني .

تكون وحدة كاملة لتفاصيل الصراع الفلسطيني - الصهيوني - من البداية وحتى الان .

على كل حال فان أي تيار ادبي لا يستمد استقلالته وتمايزه من المضمون فحسب . فعلى سبيل الحجاج نستطيع ان نأخذ نماذج قصصية فلسطينية في المنى تجمعها وحدة الفكر ولكنها تختلف فيما بينها اختلافاً يحول دون ادراجها في تيار ادبي مستقل . ان وحدة المضامين لا بد لكي تشكل تياراً مميزاً من ان تصاغ في أشكال ومعارف فنية متقاربة ، وهذه هي النقطة الاساسية في الحديث . فهؤلاء القاصون - اميل حبيبي ، حنا ابراهيم ، محمد نفاع ، محمد علي طه ، خليل السواحري - هم قاصون الشكل الادبي انشعبي . وهو شكل لا يستمد قيمه الجمالية والفنية من الوسائط التكنيكية المعروفة عالمياً وعربياً ، كالرمز ، والاسطورة ، والقصة الايقاعية ، والقصة المكثفة شعرياً ، والقصة التي تشبه المقال .. وما الى ذلك . انما هم قاصون الشكل الشعبي الذي يقوم على عدة أركان يمكن اجمالها فيما يلي :

١ - الحرص على تصوير البيئة الفلسطينية بكل ما يميزها عن غيرها من الهياكل وفي هذه الحالة كثيراً ما تخون الكاتب مشاعره البورجوازية فلا يجد سبيلاً الى الخلاص سوى العودة الى الزيف . ومن هنا فان جل النماذج القصصية انما تدور في القرى الصغيرة والقرى المتوسطة لان هذه المناطق هي التي ما تزال تحتفظ بالنسبات البيئية الفلسطينية الحقيقية ، وعندما تأخذ عدسة الكاتب بالتقاط المشاهد فاننا نكاد نحس ببواجهتنا الحقيقية للقرية الفلسطينية ، سواء تلك التي دمرت ، ومحيت اثارها ، أو تلك التي ما تزال باقية وفيها أهلها . وعندما نقرأ قصص هؤلاء الكتاب نتعرف على قرى الجليل واحدة فواحدة وعندما نقرأ رواية اميل حبيبي فاننا نطمس باصابعنا بيوتها الطينية ، وأشجارها ذات الجذوع الخشنة .

٢ - ان تمايز البيئة الفلسطينية في النماذج القصصية لا يستمد ذاته من الاوصاف التي يسبقها القاص على المشهد التفصيلي بل هناك منبع اخر لهذا التمايز وهو النموذج البشري : نموذج الفلاح الفلسطيني المسحوق من كل النواحي ، وحتى ذلك

وتكاد رواية اميل حبيبي التي تميزت بالشمول والدقة في تناول القضية الفلسطينية بكل أبعادها القومية والاجتماعية ، تكاد ان تكون متجورة حول هذا الحس الاجتماعي ، حس الصراع الطبقي واذا قرأ القارئ قصص خليل السواحري وقصص محمد نفاع وجد الحرص نفسه على تصوير النماذج المسحوقة من المجتمع الفلسطيني بذات الدرجة من الوعي والحساسية الاجتماعية المادية . ان خليل السواحري الذي كتب قصصه كلها في مخاض نكسة حزيران ، تعزف كثيراً على هذا الوتر . وهو يقف في قصصه « مهي الياشورة » و « تراجيديا المخترة » و « مسرح الهمشري » موقف المتحدي للطبقات التقليدية والبرجوازية فيفضحها ويمريرها في الوقت الذي لا يتخلى فيه عن الانحياز لصالح الفئات المسحوقة .

ومن جهة ثانية فان ما يقارب بين قصص هذا التيار فهمها لتفضية الاحتلال . فمع ان الكثير من الكتابات توحي بأن كتاب الارض المحتلة ، الشيوعيون منهم خاصة ، يسلمون بشريعة الوجود الاسرائيلي على الارض الفلسطينية فسان قصص هذا التيار تعطي دلالة مناقضة . لقد استطاع اميل حبيبي وحنا ابراهيم ومحمد علي طه ان ينسوا كل النظريات السياسية لانهم اخلصوا لعاناتهم اخلاصاً كبيراً . فاميل حبيبي جعل المتشائل في روايته « الواقع » يرفع علم الاحتلال على مدينة حيفا .. فحيفا محطلة مثلها ، مثل بقية فلسطين . اما محمد طه فقد جعل من ابناء الجليل فدائيين ينخرطون في سلك المقاومة لتحريره .

والسمة الثالثة - مضمونا - هي حرص كتاب هذا التيار على استيعاب جوانب القضية تاريخياً ومكانياً . فقصص محمد علي طه ، وحنا ابراهيم ، واميل حبيبي ، ومحمد نفاع ، تضمن تناولها في المراحل المتعاقبة . وطبقاً لقانون التطور ، فهذا الوعي بالقضية لا تكاد نجد مثيلاً له في قصص الكتاب الفلسطينيين في المنى . ومرد ذلك الى ارتباط هؤلاء الكتاب - اي كتاب المنى - بالاحداث الجديدة ، مباشرة ، في مقابل ارتباط اولئك الكتاب بالاحداث وتراكماتها من عهد الانتداب حتى الان . فكل مجموعة قصصية من مجموعاتهم ، وكل رواية من رواياتهم ، توشك ان

اسماء الشخصوس في قصص خليل السواحري :  
 حمدان الطرنا ، علي الجعار ، محمود الأزرع ،  
 سلمان الهرش ، وهناك اسماء الاشجار والنباتات  
 والدواب والحواري ... وكثيرا ما نفتقد هذه  
 الاسماء في قصص الفلسطينيين المقيمين خاراج  
 فلسطين .

٤ - الفولكلور ، وهو امر اصبح كثير الشيوع  
 في قصص هذا التيار وما نعني به هنا هو شيء  
 اكثر من استخدام المثل الشعبي ، والاغنية  
 الشعبية ، والحكاية الشعبية التي برع في  
 استغلالها اميل حبيبي وتوفيق فياض ومحمد نفاع  
 ... وانما هو روح الفولكلور . هو كل ما يميز  
 الفولكلور الفلسطيني عن غيره من الفولكلور ،  
 ارتباطا بمعاناة الشعب الفلسطيني عبر الاحداث  
 المتعاقبة . واذا كان اميل حبيبي في السداسية  
 والمتشائل قد اقترب كثيرا من فن الحكاية الشعبية  
 فان محمد نفاع ومحمد علي طه استطاعا ان يجعلوا  
 من شخصيهما شخصا فولكلوريا . وعندما تناول  
 أية قصة من خليل السواحري « كالتحديس في  
 المرأة » او « اللعبة الاخرى » ، او « فرج  
 المهشمري » فانك تحس ان هذه الشخصيات مزجت  
 بالنماذج الشعبية الفولكلورية مزجا يحملها على  
 الاحياء والرمز لا على التقليد او الاقتباس . ومن  
 هنا كثيرا ما نحس بهذا الوجود الخفي للفولكلور  
 في قصص هذا التيار .

ولقد يتساءل المرء : اليس من المستهجن ان  
 يتشابه قصاصون مختلفون في المضمون والشكل ؟  
 ما مبرر الكثرة الفنية في حالة التشابه ؟ اليس هذا  
 سؤالا باعنا على التشكيك بأهمية القضية  
 المطروحة ؟ الواقع هو العكس تماما . فكل حركة  
 ادبية ، في أية بقعة من بقاع العالم ، تطمح في  
 المدى البعيد ، ان تكون لها سمات وخصائص عامة  
 تكتل لها تميزها عن غيرها من الحركات الادبية .  
 الا ان هذه السمات والملامح لا تأتي من الفراغ .  
 ولا بصورة مفتعلة كالتنثار التقليد والمحاكاة ، بل  
 تأتي كنتيجة حتمية لواقع يفرز اشكالا متجانسة  
 من التعبير .

وفي الارض المحتلة كثير من الحوافز التي تدفع  
 لتحقيق هذا القدر من التجانس في التعبير استجابة  
 لانجازات الواسع الموضوعي . فهؤلاء الكتاب

الذي نجح في التسلق والوصول للمراتب فانها  
 يظل مسحوقا من وجهة النظر المضادة ، لانه يعيش  
 حالة من الاستلاب النفسي والاجتماعي . ومن  
 خلال التركيز على هذه الناحية تبرز خصوصية  
 الانسان الفلسطيني في الارض المحتلة ، وتعطى  
 الشخصية القصصية نكهتها الخاصة .

٣ - اللغة والحوار : شيان مهمان جدا في فن  
 القصص ، ومع ان الكثير من الكتاب العرب لا  
 يكادون يكشفون عن التمايز البيئي من خلال اللغة  
 التي يستعملون والحوار الذي يستخدمون ، فان  
 كتابنا من امثال : اميل حبيبي ومحمد علي طه ،  
 وحنا ابراهيم و خليل السواحري ، ومحمد نفاع ،  
 وتوفيق فياض ، استطاعوا ان يوظفوا اللغة  
 والحوار في الكشف عن كل ما هو فلسطيني متميز .  
 اما الاشياء التي اسعقتهم في ذلك فمنها :

أ - استخدام الامثال الشعبية . وبرع في هذا  
 الأسلوب اميل حبيبي الى درجة عجيبة . فلو قام  
 احد الكتاب باحصاء الامثال الشعبية في روايته  
 « اللواتع » لخرج منها بحصيلة تكون معجبا  
 للامثال الشعبية الفلسطينية . واذا اخذنا قصة  
 « اللجنة » او « المعركة » او « حكاية ابريق  
 الزيت » من قصص محمد علي طه لوجدنا فيها  
 طائفة من الامثال الشعبية تكاد في كثرتها تزاخم  
 المفردات العادية . ان قيمة المثل الشعبي في قصص  
 خليل السواحري هي انه يعكس موقفنا طبقيًا  
 وفلسطينيًا متميزا .

ب - اللغة الدارجة : فالقصاصون الذين  
 تحدثنا عنهم في اغلب الحالات يمثلون آذاننا تقدر  
 على التقاط الكلمة الدارجة المتميزة . ويحسنون  
 الى جانب ذلك تقليد اللسان الشعبي . وهي  
 قوة يفتقر اليها كتاب المسرح بما بالننا اذا فرضت  
 حضورها على السرد القصصي والحوار القصصي .

ج - دلالات الارتباط بالارض الفلسطينية ، وهذه  
 ميزة لم تكن جديدة كسل الجدة ، فالشعراء  
 الفلسطينيون من امثال محمود درويش وسامح  
 القاسم وتوفيق زياد كثيرا ما يستخدمونها . ولكنها  
 في القصة وفي السرد القصصي تكون اقدر على  
 اعطاء التمايز الفلسطيني . فاسماء الاشخاص  
 مثلا يتم انتقاؤها بحيث لو وضعت في قصة لقاص  
 عربي فلسطيني لجات نابية وغير مناسبة . خذ

تتناول قصة « اللجنة » وهي الأولى في تصف المجموعة موضوعا اجتماعيا طبقيًا ، دون الابتعاد عن المشكلة الأساسية هي مسألة الاقلية العربية فيما يطلق عليه زورا وبهتانا اسم « اسرائيل » . فالمختار في القصة يمثل طبقة الوجيهاء التي اعتادت التعاون مع العدو حفاظا على مصالحها ومكاسبها الاقتصادية والاجتماعية . فهو لا يمثل الحكومة فقط وإنما يقوم مقام الذراع الذي تستخدمه في خرض سياستها على الاوساط العربية . وهو ، ايضا ، يعتمد على السلطة الممنولة في الشاويش « حاييم » وموظف ضريبة الدخل « سالم » لاقتلاع بذور التمرد لدى شباب الريف الفلسطيني . وتهديدهم ان هم تخلوا عنه وعن جماعته نسي الانتخابات البلدية وما شابه .

وقد نجح القاص في تصوير قطبي المراع : المختار بقوته المستمدة من السلطة ، ومجموعة المسلمات . ثم قوة ابن رباح احد الشبان المنحدرين من الطبقة الكادحة ، ونال ثقافته جعلته يسعى لمنافسة المختار .

ومن خلال التفاصيل الصغيرة ، والجزئيات العديدة ، تمكن الكاتب من شحننا باحساس التفاؤل بانتصار الفئة الشابة ، كما استطاع ان يشحننا بشاعر الكره والحدق على المختار واضرابه من المستغفلين الجشعين ، الذين لا يريدون التنازل عن مراكزهم القيادية ، حتى وان اقتضوا ان في هذا التنازل فائدة للجميع .

ولعل حبكة القاص وذكائه يبدوان في النهاية الجيدة للقصة ، فهو رغم انتصار ابن رباح والشباب على المختار لم يجعله يتسلم بسهولة ، بل ما يزال يقحمين الفرص لكي يستعيد مركزه بواسطة الدس والخديعة والمكر . على ان هذه الحركة الذكية في القصة لا تشكل مضمونها الخاص والعام بل انه يسلط الاضواء من خلال السرد التفصيلي على ابعاد القضية الاجتماعية في الريف ، وهي مواجهة الفلاحين لمصاعب الحياة والاضطهاد بثقة وقوة وامس .

وقريب من هذا الموضوع ما تناوله قصته « المعركة » . وتنبهي الاشارة الى ان موضوع الانتخابات البرلمانية في الكيان الاسرائيلي يكتسب اهمية خاصة في الادبيات العربية هناك ، اذ من

يرغدهم فكر اجتماعي واحد ذو مضمون سياسي تقديمي . وهم فوق ذلك مرغمون على التمسك بشخصيتهم الوطنية التي تجابه - يوما - مؤامرات السحق والحو والتدمير . ومن صبور التمسك بهذه الشخصية المحافظة على كل ما هو متميز فيها ولها . فاذا اصبح هذا سلوكا يوميا للكاتب ، وهو في النهاية سلوك يرمي للكاتب المذكورين ، كان من المحتم ان ينعكس على ابداعاتهم الفنية . فيجعلها على الانسباق ضمن مجرى واحد . ويصبح التفاوت والاختلاف مقصورا على مدى التفاوت والاختلاف في الحساسية الادبية لديهم ، وهكذا وجدنا اميل حبيبي مثلا اقدر على كتابة الرواية من غيره . وهو اقدر على السخرية من سواه . وفي المقابل يكاد يكون محمد علي طه افضل من يحثل الشخصية من الداخل ، وسلط الاضواء على اللحظة القصصية المكثفة بابعادها الزمانية والمكانية . والى جانب هذين الاعتبارين نجد خليل السواحري مثلا اقدرهما على الرواية البانورامية التي تقدم صورة تسجيلية لواقع فسيح عبر فترات متفاوتة ، وضمن محور اهتمام واحد . . . من خلال نماذج قصصية قصيرة تشكل وحدة كاملة .

قصت من هذه المقدمة ان تكون مدخلا لمراجعة تصف محمد علي طه التي ضمتها مجموعته القصصية الثالثة جسر على النهر الخزين . وكان الكاتب الذي ولد في قرية ميعار الجليلية التي تحت سلطات الاحتلال اثارها من الوجود ، قد اصدر مجموعتين قصصيتين هما : « لكي تشرق الشمس » وظهرت عن طبعة الحكيم في الناصرة سنة ١٩٦٤ ثم « سلايا وتحية » . التي صدرت سنة ١٩٦٩ عن دار الجليل في عكا ، وتأتي هذه المجموعة كما يقول الناشر « دار عريسك » لتؤكد بمق كبير انجازات محمد علي طه في مجال الفن القصصي بمضامينه الانسانية التقدمية ، وتقنيته الفنية العالية . ان قمتس جسر على النهر الخزين التي تبلغ عددها اربع عشرة قصة تؤكد ما سبق ان توها به من سمات وخصائص تميز التيار الفلسطيني في القصة الطويلة والقصيرة ، رغم ما فيها من استثناءات جرت الكاتب اليها قراءاته ومطالعته في الاصوموسمة العربية فنجح فيها الى الرمز والاياء والاسطورة ، وتردى احيانا في اللبس والغبوض والابهام .

يلخص مفهوم الحكومة عند الاسرائيليين بعبارة ذكية مختصرة : « انك لست من خريبة الدخل ، حتماً انك من دائرة الاراضي ، فالخوارج لا يمكن ان يكون الاحكومة . ومن هي الحكومة ؟ ضريبة الدخل ودائرة الاراضي ، والشرطة » . (ص ٥١) .

كما ان هذه القصة تسلط الاضواء على العلاقة بين اليهودي والمصري فهي من وجهة النظر الاسرائيلية علاقة غالب بمغلوب وغاضب بمغضوب « اذا لم تكن هذا ولا ذلك فمن تكون ؟ . . . » الانتخابات قد مرت ٥٠ . وارتحنا . . . فماذا تريد ؟ . . . » (ص ٥١) . انها صورة تفضح العلاقة بين الاثنين ، هذه العلاقة القائمة على الاستخفاف بالمصري ، واستغلاله سياسيا ابشع استغلال . ولطالما حاولت الدعاية الصهيونية تزيينها ، وطمس حقيقتها ، وقد جاء محمد علي طه ليكشف عنها الغبار ، ويضعها في دائرة الضوء .

وتستمر المقارنة في النمو من خلال المقارنة بين مشاعر الانسان الفلسطيني النزيل المتعلق بالارض والاسرائيلي الاصم الذي لا ينطق بكلمة واحدة الا اذا كانت « لمسلحة » ومع ذلك فان هطول المطر ، واحساس الفلسطيني بالفرح الربيعي ، ينسيه كل هذا الفارق بينه وبين الخوارج ، فيعده ضيفا عزيزا « نذبح له دجاجة الدار الوحيدة » .

بجانب الموضوعات الاجتماعية التي تلح على محمد علي طه هناك موضوع آخر فرض حضوره القوي على قصصه واتخذ موضوع المقاومة . ولعل القصة الاولى بين قصصه التي كرسها لهذا الموضوع هي « حكاية ابريق الزيت » ولا يخفى ما لهذا العنوان من دلالة ايجابية ، فهو رمز شعبي للتكرار الذي لا نهاية له . واما الشيء الذي يتكرر الى ما لا نهاية فهو المقاومة ، والانتخراط في صفوف الثورة . فحكاية « سامي عيد » احد عرب المناطق المحظية الذي انخرط في صفوف الثورة هي حكاية مكررة مثل حكاية ابريق الزيت . ويتخذ الكاتب من مشاعر الدهشة لدى عرب المناطق المحظية عادة يغني بها سرده القصصي . فكلهم يستغربون ان ينخرط سامي مع الفدائيين . وهو امر يدب في نفوسهم الذعر والقلق طالما ان قريتهم الفلسطينية تتعرض لما تتعرض له من اضطهاد وقمع دون ان يقوموا بعمل معاد للسلطة . فما

المعروف ان العرب يحق لهم الادلاء باصواتهم في اختيار ممثلين عنهم في الكنيست . وتلجأ الاحزاب الاسرائيلية المتناحرة لاساليب متعددة ، وبشعة ، للحصول على هذه الاصوات . ورغم تناحر هذه الاحزاب الا انها تتفق جميعا على الوقوف ضد حزب واحد هو حزب رايكاح الذي تشكل العناصر العربية غالبية اعضائه . وتحرص دوائر هذه الاحزاب على اتناع العرب بضرورة مقاومة هذا الحزب ، والوقوف الى جانبها هي .

وهذا الموضوع ترك اثرا كبيرا في رواية اميل حبيبي العظيمة « الوقائع الغربية في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » كما انه يأخذ مكانة مهمة في قصص محمد علي طه . وقصته « المعركة » تكاد تكون مخصصة لهذا الموضوع . ففيها احد العرب يقدم اعترافا امام احد القضاة الاسرائيليين حول اسباب المعركة التي وقعت بين حيين في احدى القرى العربية سببها التنافس على الولاء لاحد الاحزاب الاسرائيلية . وقد ذهبتم ضحية التنافس على هذا الولاء اعداد كبيرة من الضحايا . ومع ذلك فان حارة المتهم اعطت الاصوات المطلوبة كاملة ، فما الذي تحقق لها من الوعود ؟ « فالبلدة » ما تزال كما هي . لا مجلس محلي ، ولا رئاسة ، ولم يوظف احد من اولادها في البنك .

وتتبع مشكلة « الاستشهاد والقاعدة » في الخط المضموني ذاته . فهي تتألف من حوار واحد متصل يوجهه احد القرويين العرب في « اسرائيل » الى احد الخوارج اليهود بعد ان يكون هذا الخوارج قد حل ضيفا عليه بصورة مفاجئة ، ودون سابق معرفة .

وتقوم القصة على اساس المفارقة بين موقفين : موقف الفلاح العربي الذي يغامر بمعرفته للارض ، واصالة تعلقه بها ، وصحة ادراكه لطبيعتها وخصبها وما عليها وطول تجربته في الزراعة والفلاحة والتنبؤ بالمطر ، مع موقف الخوارج الصامت الاصم الذي لا يدري عما يتحدث الفلاح .

وتأخذ المقارنة بين الموقفين طابعا حادا ، حتى ليكاد القارئ يحس ان هذه القصة تشكل لائحة اتهام ضد الاسرائيليين المفتضين كافة . وهي بالاضافة الى هذا وذلك لائحة اتهام يواجه بها الكاتب السلطة الاسرائيلية مواجهة مدمرة . انه

البحث والتحرري ان الارض الفلسطينية الكاملة هي قبر والده الشهيد . وان الشوق الى زيارة الضريح هو شوق الى الالتحام بالارض الفلسطينية الكاملة ، المحررة .

لعله صار بالامكان الان ان يدرك القارئ ما مغزى المقدمة التي مهدنا بها لهذا التحليل « القيمي » للقصص . ومن ذلك امكن الاستنتاج ان القصص تشكل مجموعة من لحظات التجلي للمضمون اللاصق بالتيار الفلسطيني القصصي ، وقد شاهدنا ان هذه اللحظات تأخذ شكل الذروة في القصص التي سبق ذكرها . ويمكن حصر اوجه هذا التجلي في النقاط التالية :

١ - الالحاق على الحس الطبقي في المضمون .

٢ - الفهم الواعي لمعنى الاحتلال . فقد لاحظنا كيف جعل محمد علي طه ( كاتب منظم في حزب ركاك المسلم بشرعية الوجود الصهيوني على الارض الفلسطينية ) قرية من قرى الجليل تهتز وتتفجر لان واحدا من ابنائها اصبح غداثيا . بل لاحظنا كيف التقط القاص صورة واقعية لما يجر في نفوس هذا الشعب الاسير من حب للثورة ، وانتفاء اليها .

٣ - الالمام بجوانب القضية مجتمعة فقد حوت القصص على معالجة ذكية لمشكلة الاقلية العربية في الوقت الذي خاض فيه الكاتب غمار المعالجة لموضوع الثورة على الاحتلال والتطلع لتحرير فلسطين كاملة . الى جانب هذا وذاك عرفنا كيف تنبسط ذكرى ثورة ١٩٤٨ من خلال الحاضر الموضوعي . فكانه باجتماع هذه الاقاليم يوحد القضية بابعادها في الزمان والمكان . وغوق ذلك كله فان القصاص الاخرى التي جنح فيها للرمز ، ووتع اثناءها في الغبوض ، مست القضية من جانب اخر وهو جانب التآمر على فلسطين وشعبها عربيا ودوليا .

ومع ان الفصل - في الواقع - بين الشكل والمضمون في العمل الفني هو امر مرفوض ، انسجما مع قواعد راسخة الجذور في الادب والفن ، فان الدارس المتعقب لا يستطيع عند تنزيل الحقائق الادبية في منزلة الحقائق الموضوعية ، الا ان يلجأ للتشريح . فتشريح العمل الادبي يقوم اساسا على عملية الفصل الامتصاصية هذه ، ثم

الذي سيحدث حين يظهر فيها غداثي واحد مثل سامي ؟ ولكن القاص لا يكتفي باللتقاط هذا الجانب من الواقع ، وانما يصور لنا ان الواقع الموضوعي اقوى بكثير من جوانبه الشاذة . ف هؤلاء المذعورون الخائفون من انكشاف قصة سامي لا يلبثون ان يتباهوا - في السر والعلانية - باقربائهم الغداثيين .

قال حسن مهنا : - يا جماعة ، هل « الفتح » يقربون لنا ؟

وقال مصطفى : - قلنا للجدران اذان ..

فقال يوسف العبد الله بعد ان اقترب من حسن : - ان اخي علي في الاردن .

فاجابه : - وابن عمي حسن في سوريا .

وعلى هذا النحو استطاع محبب علي طه ان يفسر في حكاية بسيطة عادية كل جوانب الموضوع دون ان يقع في الحرفية او المباشرة .

فالحكاية - كلها - هي ان سلطات الاحتلال اشبهت بسامي فاعتقلته ، ونشرت صورته في الصحف العبرية . وقامت الشرطة بتفتيش المنزل . وهذه الحركة تثير ردود الفعل في القرية ، هذه الردود يشحنها القاص بما يخدم فكرته الرامية لتجديد الثورة والمقاومة .

وتلى هذه القصة من حيث التركيز على موضوع المقاومة قصة المفروسون في الارض . وهي ثرية من تلك النماذج التي تشيع كثيرا في قصص كتاب الارض المحتلة ، واهني بها ذكريات المقاومة قبل عام ١٩٤٨ . ففيها صورة من صور المقاومة في تلك الحقبة ، مجموعة من الثوار تطاردهم غير مرة « فوجدوا انفسهم اخيرا في ارض المرح الغارقة بالمياه ، حيث لا يستطيع انسان ان يمر ، لكن جبهه للوطن كان عظيما ، لم يبالوا بالوحل ، الدورية وراءهم ، والوطن امامهم ، والوحل تحت اقدامهم ، وجدوا في السم ، لكنهم بعد خطوات كانوا مفروسين في الارض حتى صدورهم . هل نادوا ؟ هل استغاثوا ؟ من يدري ؟... لقد جاثوا مفروسين في الارض .. ومات ابي واقنا » .

والاصل في الحكاية هو ان ابن ابي النعاج متشوق لزيارة قبر والده الشهيد ، وهو لا يعرف مكان القبر ، وفي اي بلد هو ، ويكتشف بعد

الروس والأميركان يرسلون السفن الى السماء ..  
ويصق .»

٢ - القصة الاعتراف : وهذا النمط يتجلى بشكل قوي للغاية في حكاية « المعركة » فهي اشبه ببوح نفسي ذاتي زغم ان الشخصية تدلي به في ساحة محكمة . والعبارات الاولى في القصة توضح لنا مدى الاحساس بهذه القناعة لديها : « ان احد ابناء بلدنا - يا سيدي القاضي - اعتاد دائما ان يقول : خرب بينك وعلم ابنك . وهذا صحيح وحياء روح امي .. فالتفضية قد اكتشفها لي احد اولاد المدارس قبل وقوعها ، وقال لي : احذر يا عباس .. لكن الرصامة عندما تتطلق لا ترد . والمكتوب على الجبين لا بد من ان ينفذ . » ان الفقرة السابقة ، المتخذة ، من بداية قصة المعركة تكشف عن الطريق المتميز الذي يسلكنا فيه القاص محمد علي طه . ومع استمرار الحديث يزداد طابع الاعتراف فيه .

٣ - القصة الحكاية : وهذا النمط قصصي يقوم على الاستفادة من الحكاية الشعبية . وتذكيرا بما قلناه عن تميز التناول الفولكلوري في قصص الارض المحطة نكرر التالي : وهو ان الكاتب - هنا - لا يلتزم بالفولكلور نصا وروحا . بل يمتثل للنص ويبقى على الروح . وحتى الروح هذه فانه لا يبرزها من خلال السرد القصصي ، او الحوار القصصي ، بل تبقى مثل شيء خفي تستند عليه القصة ، وهو اشبه ما يكون بالثور الذي لا نعرف عنه شيئا لكنه يحمل الدنيا على قرونيه .

من هنا فان دلالة الحكاية المسماة « حكاية ابريق الزيت » تفرض وجودها على القصة شكلا وفحوى من غير ان يذكر لنا الكاتب شيئا عنها . فالانخراط في صفوف المقاومة - الذي تدور حوله القصة - هو عمل تكراري يستمر حتى تتحرر فلسطين . وهو تكرار واع . وربما كانت المفارقة بين الحكاية الشعبية الاصلية وبين القصة تكمن في هذه النقطة . فالتكرار في الحكاية الشعبية يشبه بالروتين . وهو استمرار عابث . اما هنا فهو استمرار مقصود ، ومرتبطة بمرحلة تاريخية تعبرها الجماهير بثقة وقوة واطمئنان .

٤ - هنالك نمط اخر يلجأ اليه محمد علي طه في بعض اناصيصه وهو قصة الرمز . والرمز عند

يقوم بعملية تشريح اخرى تؤدي الى مزيد من التفصيل في اجزاء العملية الادبية . وهذه المهمة التي يقوم بها النقاد انها تمهد لاعادة صياغة النموذج الادبي طبقا لرؤية جديدة ، وانطلاقا من تقويم معين .

واذ كنا قد ركزنا منذ البداية على ناحية المضمون ( القيمة ) فاننا سنحاول ، بقدر الامكان استقصاء خصائص وسمات التيار الفلسطيني في القصة ، كما توأجت او غرست وجودها في قصص محمد علي طه « جسر على النهر الحزين » .

يقوم الشكل الاتصوسي عند محمد علي طه على استنفاد كامل للحس الكلاسيكي . في الوقت الذي يحاول فيه ان يعصر قيما واقعية جديدة في التعبير والاداء الفني . فانمط التكنيكي عنده هو نمط معروف لا جديد فيه الا بالقدر الذي يفرضه مضمون القصة . فوسائط المعمار الفني لديه يمكن حصرها في عدة ايقاعات :

١ - القصة الدائرة : وهو النموذج الذي يتخذ من الايقاع او اللحن الدائري شكلا له . بمعنى ان الحدث في القصة يكون حلقة مكملة . «فالجنة» مثلا تبدأ بما كان ينبغي عليها ان تنتهي به . المختار وقد غيظ كثيرا من فئسله في الانتخابات ، هذه شرارة تضيء الحدث فبدأ التسلسل الزمني بالعودة الى الوراء . وهنا ينقطع دفق الزمان لكي يقف الكاتب عند بعض اللحظات فيحطلها نفسيا ، يرسم صورة دقيقة لما يمور من تيارات شعورية داخل الشخصية . وفي الوقت ذاته يعرج الكاتب على لقطات حوارية يستهدف منها تصوير الطبقة الاجتماعية من الداخل ، وعبر نماذجها الاكثر تفتحاً واستنارة . ثم تستمر حركة الزمان في القصة الى الخلف والى الامام بحيث تندفع جبيع هذه النبضات نحو نهاية محتملة يفرضها المطلق الواقعي . ويستقط المختار حسن عبد القادر في الانتخابات ويتنصر الشاب ابن رباح . وهنا لا بد ان يستعيد القارئ بداية القصة : « لو ان مختار بلدنا ، حسن عبد القادر ، طلق ومات ، في ذلك اليوم منا لامة احد . وكيف يلومه الناس ، والذي حدثت مساء ذلك النهار ، لم يتصور احد ان يحدث في يوم ما .. حتى حسن عبد القادر قال : ربما ان شيئا ما قد حدث في العالم منذ ان بدأ الكفار

٣ - اعطاء الشخصية حرية الحركة في الزمان والمكان . فلا يلجأ محمد علي طه كثيراً للحظة المكثفة التي تحفر رأسياً في مجال التحليل النفسي بل تتيح لقلبه الرشيق ان يغوص في النواحي الاقنية للشخصية ، وان يجعل اللحظة القصصية مفتاحاً لعالم واسع من اللحظات . فالمختار حسن عبد القادر يتحول من مجرد شخص يلعب دوراً هزلياً في انتخابات اللجنة الى شخصية نمطية لها تاريخ هريك ، وماض حافل بالاحداث . وكذلك نجد الشيء ذاته بالنسبة لشخصية الشيخ مسعود الذي لا يصلح الا للرئاسة ولا تصلح الا له . وهكذا . . .

٤ - التركيز على التمايز الفلسطيني للشخصية فهي فضلاً عن انتماها للقريفة الفلسطينية ذات الطابع الخاص تختصر المسافات بين الإنسان الفلسطيني النموذج والفلسطيني العادي ومن اجل هذه الغاية فان الكاتب يوظف مهارته التقنية في الكشف عن الطابع الخاصة ، مستخدماً اللغة القريفة من اللهجة الفلسطينية والمثل الشعبي .

وإذا تخلص القارئ من استعراض النماذج الانسانية ، والاشكال الخارجية للقصة كما يفهمها ويمارسها محمد علي طه ، واتضح لديه ما فيها من تركيز للملامح الخط الفلسطينية في القصة توجه الى تقري السطح القصصي بكل ما فيه من مبهات شعورية ولا شعورية لحاسة اللمس . فالغشاء الذي يلف الاقاصيص جميعها هو غشاء فلسطيني مئة بالمئة . وهذا الغشاء يتكون في واقع الامر من عشرات العناصر التي تمتزج وتتداخل في بعضها بشكل يميزها عن التمازج المعروفة بين العناصر الاربعة كما جاء في كتب التاريخ والاساطير .

ولئن كان من الجائز ان نعد كل الامور التي تحدثنا عنها في السابق هي من لحمه هذا الغشاء وسداه فاننا لا نزيد على ان نضيف امورا اخرى :

١ - الدلالات الفلسطينية لغوية . فالكاتب رغم استخدامه للفصحى فانه لا ينأى بها عن الاستيعاب المكثف لاحتوى النطق الفلسطيني الشعبي الدارج . واحياناً نقرأ الجملة مشكولة شكلاً تاماً وكأنها تركيب عربي فصيح يلائم كل كاتب من اي قطر عربي كان . ولكننا حين نمسح الحركات فاننا نقرأها باللهجة الفلسطينية ، سميتا وسمة شعبنا الميزة ،

محمد علي طه غير ناضج . ولم يختمر في ذهنه . فقد انتهى في بعض القصص الى استعمال الرمز الجبري الذي تعادل فيه الكلمة مدلولاً واقعيًا . وعندما نقرأ القصة نحتاج اولاً الى فهم خاص بالدلالة الرمزية لكل كلمة . فيجب ان نعرف مثلاً ان كلمة الشمعة يقصد بها المقاومة . والريح يقصد بها الاعداء . وعلى ضوء ذلك نقرأ قصة « الشمعة والريح » . لكن القصة تظل - حتى لو اخذت في ضوء هذا الفهم المتسلف لدلالات الالفاظ - قصة غير ناضجة لانه لم يلجأ الى استخدام المعادل الموضوعي ، بحيث يشكل من مجموعة المواقف حبكة قصصية توحي في المدى البعيد بحبكة اخرى . وهذا المأخذ - للاسف - ينسب على عدد غير قليل من قصص المجموعة .

سمة اخرى تلفت الانتظار في قصص محمد علي طه وهي اعتماده الكبير على عنصر التشخيص . فهو شأنه في ذلك شأن الكتاب الكلاسيكيين يحرص على الشخوص من حيث الرسم الخارجي للملامح والقسمات ومن حيث التحليل النفسي الداخلي ، ووضع الشخصية في بؤرة الحدث الذي ينوي تصويره ، تمهيداً لطرح الموضوع الواقعي بشكل عميق وجذاب . وهذه سمة تتجلى لا في قصص محمد علي طه وحدها بل تكاد تكون هي العلامة الفارقة في الادب القصصي ذي الاتجاه الفلسطيني .

ولعلنا نذكر تماماً ان شخصية المختار حسن عبد القادر في قصته الاولى اللجئة هي شخصية مرسومة بدقة ووعي الى حد بلغت فيه مستوى النموذج الكلاسيكي بكل ما لديه من سمات وملامح . وذلك أيضاً ينسحب على شخصية بن ابي النعاج وسامي عيد وبقية الشخوص . وإذا كان لا يد من ذكر بعض الملامح العامة للشخصية عنده فاننا نستطيع التنويه بالحقائق التالية :

١ - الاتجاه بالشخصية نحو النمطية ، فهو هنا يحرص على سبك النموذج القصصي في قالب واقعي للغاية .

٢ - اسباب طابع الظرافة عليها ، فاشخاصه يجمعون الى جانب صفتهم الرمزية والطبقية طابع الظرافة المحببة التي تجعلنا نسخر من الشخصية او نحنو عليها فنذكرها بشكل دائم .

حبيبي من حيث الحدة والسخرية . خذ مثلا هذه الفقرة المأخوذة من قصة حكاية ابريق الزيت : « بدأت الحكاية عندما عبر يوسف العبد الله امام كشك الصحف في «ساحة باريس» التي ما يزال يوسف العبد الله يسميها باسمها القديم «ساحة الحناطير» مع انه والله العظيم لم يشاهد حنطورا واحدا بها منذ وطئت قدمها اول مرة شوارع حيفا، وبدأ يعمل في النافعة» . وموضع الاستشهاد في عبارة «لم يشاهد حنطورا واحدا» .

٣ - استخدام الامثال الشعبية بكثرة ايضا .  
وقد مثلنا على ذلك من قبل في اول المراجعة .

٤ - الحوار باللهجة المحلية وقد مثلنا على ذلك من قبل ايضا .

وعلى هذا النحو نلاحظ ان محمد علي طه وضع الهم الفلسطيني في قالب قصصي فلسطيني جعله يبدو متميزا عن غيره كل التميز وان كان يقترب اكثر مماكثر من كتاب الاتجاه الفلسطيني في الشكل والمضمون .

## ابراهيم خليل

وسنحاول ان نقتبس هنا فقرة من احدى القصص ، وما على القارئ الا ان يقرأها بالفصحى والعامية ليدرك الدلالات الفلسطينية للغة : « لا تستغربوا ان قلت لكم : وحيات سيدي الخضر ، ان مختار بلدنا حسن عبد القادر كان يسوقنا - قبل ذلك النهار - يعود اخضر رفيع الى المكان الذي يريده فكم مرة قال لنا ايام الرباعية . يا اهل بلدنا ، نحن رجال الشيخ سعد . فاجبناه : نحن رجالك يا سعد ، يالله وهيه وبعدها جاء الشيخ سعد ، واستقبلناه بالفرح ، ثم وزع المختار حسن عبد القادر الاوراق الصغيرة ام حرفين علينا ، وخبأناها في الجزادين ساعة بدون طية وبعدها وضعناها في المغلفات ، ثم في الصندوق ، بدون حمد ولا شكر ولا جميل ، لان مختار بلدنا حسن عبد القادر قال : المركب السائر اعطه دفقة . والشيخ سعد ناجح بنا وبدوننا . قال المثل : يا صاحبي ساعدني على نقل الحجر ، ان ساعدتني سأنقله وان لم تساعدني سأنقله ، فاهمين يا اهل بلدنا » .

٢ - استخدام التورية ذات الدلالة الفلسطينية الخاصة . ومحمد علي طه يستخدمها بفزارة ملحوظة الا انه لا يرقى فيها الى مستوى اميل

## عادل حسن غنيم ، الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ ( الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ )

وبداية ، من الواجب ان يشاز هنا الى ظهور قدر غير قليل من الاهتمام في الرسائل الجامعية في مصر ، بالقضية الفلسطينية ، بكل أبعادها ، سواء من حيث تطور الحركة الوطنية الفلسطينية ، أو دراسة الكيان الصهيوني وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلا عن تاريخ الحركة الصهيونية . بل ان بعض هذه الدراسات تناول واقع النضال الفلسطيني حاليا ، فقد نوقشت في

هذا الكتاب هو بالاصل رسالة جامعية ، حصل بها الاستاذ عادل حسن غنيم على درجة الماجستير في التاريخ ، من كلية الآداب ، بجامعة القاهرة ، تحت اشراف واحد من اكبر المؤرخين المعاصرين المصريين ، بل والعرب ، هو الدكتور محمد أنيس ، ولكن التنظيم لم يستطع كما تؤكد صفحات الكتاب ان يتأثر ويأخذ بمنهج استاذة في البحث والدراسة والتأريخ .

وقد أكدت لي هذه الدراسة عدة حقائق منها أن تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر ما زال يحتاج الى دراسات عديدة من الباحثين تزيل ما غشي هذا التاريخ من تشويه وغموض ، وتعظيم الشعور النفسي لدي بضرورة الاستمرار في دراسة الموضوع وإبراز دور الشعب العربي في فلسطين في مقاومة الاستعمار والصهيونية العالمية « ( ص ٧ ) .

والسؤال : اذن ، ما الذي فعله المؤلف ليزيل « ما غشى هذا التاريخ ( تاريخ فلسطين ) من تشويه وغموض » ؟ وهل استطاع فعلا ان يبرز « دور الشعب العربي في فلسطين في مقاومة الاستعمار والصهيونية العالمية » ، خلال الفترة التي يدرسها وهي تمتد من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ .

قسم المؤلف موضوعه الى خمسة فصول على النحو التالي : الفصل الاول : الحركة الوطنية اثناء الادارة العسكرية (من ١٩١٧ - يوليو ١٩٢٠) . الفصل الثاني : الحركة الوطنية من الإدارة المدنية حتى اقرار صك الانتداب ( يوليو ١٩٢٠ - يوليو ١٩٢٢ ) . الفصل الثالث : الحركة الوطنية في فلسطين من الانتداب حتى اضطرابات ١٩٢٩ . الفصل الرابع : اضطرابات ١٩٢٩ . الفصل الخامس : سنوات التفرغ في أساليب الحركة الوطنية . ونظرة واحدة على هذا التقسيم تكشف عن الاخطاء الاساسية في بنیان هذه الدراسة والتي يمكن اجمالها في ثلاثة عيوب منهجية بارزة وواضحة ، هي :

أولا : قفز الكاتب الى موضوعه دون مقدمات ، فهو يفترض ان القارئ يعرف تطورات الوضع الفلسطيني قبل ١٩١٧ ، ويعرف ما هي الصهيونية ، متى نشأت ، وماذا تريد ، وغير ذلك . قد يقال ان هذه رسالة جامعية تفترض ان كل هذا من قبيل المعلومات العامة والمتاحة كثيرا للمتخصصين بل ، وللقارئ العادي . قد يكون لهذا الرد وجهته اذا ظلت الرسالة في حيز الجرم الجامعي ، ولكن السرد يفقد وجهته ، ويسقط ، عندما تخرج الرسالة في شكل كتاب مطبوع ، ومطروح في السوق ومعروض للقارئ العادي . واي قارئ ، سيبدأ في الصفحة الاولى من الفصل الاول ، لا بد ان يصاب بقدر من الدهشة والمناجاة من هذا النهج غير العادي في الهجوم على الموضوع مباشرة ، ودون مقدمات ،

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية رسالة ماجستير عن « فتح » . وبالطبع فان كل هذه الدراسات والكتابات - سواء ما طبع منها وأنتج لجمهور القراء او ما لم يطبع بعد - ليست على درجة واحدة من العمق والاصالة ، ولكنها في التحليل النهائي تعكس تيارا « علميا » يستحق الترحيب والتشجيع ، حتى تستطيع الجامعات العربية أن تشارك بالدور المأمول فيها ، والطلوب منها ، لقضية النضال العربي .

واتجاه الشباب المصري الى جعل « قضية فلسطين » موضوعا لدراساته الجامعية يعكس ، في الواقع ، مدى الاهتمام الذي أصبحت هذه القضية تحظى به في مصر ، ولدى الشباب المثقف بصفة خاصة . منذ سنوات - وربما حتى الآن - كان جيبينا يندى بالخرزي ونحن نجد بعض الشباب المصري لا يعرف متى نشأت اسرائيل ! ومن هو رئيس وزرائها ، وما أهم الأحزاب فيها . ان هذا لم ينته بعد ، ولكنه بدأ يتلاشى ، ويتراجع ، لاسباب كثيرة ، لم تكن هزيمة حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ أثلها شأننا ، فقد فتحت عيون المصريين على خطر يترصد بهم في الشرق اسمه اسرائيل ، ابتلع « اخوة » لهم ، ولن يتردد في ابتلاعهم ، وتهديدهم ، والعمل على ابقائهم متخلفين . فقد هزت الهزيمة كيان مصر ، وان كانت هذه الهزة لم تخرج كل آثارها بعد .

ولعل المؤلف قد طرقت هذه النقطة بطريق غير مباشر بقوله : « تفتحت عيناى على أحداث القضية الفلسطينية منذ الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ . . . لكن علاقتي بتاريخ فلسطين ترجع الى أكثر من عشر سنوات عندما كنت طالبا بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة . اختار من البحوث المطلوبة ما يتعلق منها بفلسطين ، وقد أوضحت لي هذه الدراسة الأولية أنني لم أكن أعرف كثيرا من الحقائق المتعلقة بتاريخ الشعب الفلسطيني ونضاله وتحمله وحده مسؤولية مكافحة الصهيونية في فترة ما بين الحربين العالميتين . ثم أتيت لي في خلال أدائي للخدمة العسكرية أن أمضي فترة في سيناء وغزة ، فشاهدت عن كثب قضية اللاجئين على الطبيعة ، ودعمني ذلك الى متابعة اهتمامي العلمي في دراسة سياسية واجتماعية عن قضية اللاجئين ، نشرتها الدار القومية للطباعة والنشر عام ١٩٦٢ ،

الاحتلال ، مع حدوث هبات خارج نفوذ قيادة الحركة الوطنية .

المرحلة الثانية : تعقب المرحلة السابقة وتنتج عنها ، وتمتد الى ١٩٣٩ . وهنا يتبين خطأ الكاتب في التوقف عند عام ١٩٣٦ . انها وقفة غير مبررة ، لا تاريخيا ، ولا علميا . وهكذا بدأت الدراسة مقطوعة الجذور ، وانتهت وهي تقف معلقة في الهواء .

في ضوء هذا ، لم يكن هناك اي داع لتخصيص فصل خاص لانفاضة ١٩٢٩ التي يسميها المؤلف خطأ بالاضطرابات ، بل لم يكن هناك داع لمثل هذا التقسيم ، وكان الافضل والاكثر علمية ودقة في المنهج ، تقسيم الدراسة الى قسمين ، وتقسيم كل قسم الى فصول او مباحث او ابواب ، بناء على مبررات تاريخية وعلمية .

هذه العيوب الثلاثة الرئيسية تركت بصماتها على كل أجزاء الدراسة ، بل وعلى كل صفحة فيها . فقد تحولت الى نوع من « السرد التاريخي » ، وهي طريقة في كتابة التاريخ اصبحت تقليدية ، وجدت مكانها في متاحف البحث التاريخي مع العاديات والآثار .

والسرد بطبيعته يلجئ صاحبه الى التكرار ، والخلط ، وجعل المعلومات متداخلة ببعضها ، حيث تغيب دقة المنهج وصرامته ، ويغيب التقسيم الفرعي . بل ان السرد في مثل هذه الحالة يتحول الى معلومات « منقولة » ومرصوفة بعضها بجانب بعض ، دون بذل الجهد الواجب والكافي للدمج والربط ، والتحليل ، وتعميق الفكرة الرئيسية ، وتجميع كل الانكار الجانبية حولها كي تخدمها ، وتزيدها جلاء ووضوحا .

كل هذا معتقد في صفحات الجزء الاغلب من هذا الكتاب ، فضلا عن عدم الدقة في الاسلوب ، وسوء الصياغة أحيانا .

ولا يجاني الحقيقة في شيء القول بان هذا الكتاب عبارة عن « قص ولصق » ، قص معلومة من هذا الكتاب او المرجع ، ولصقها بجانب معلومة من مرجع آخر وهكذا . وهكذا يصدر كتاب جديد يضاف الى المكتبة العربية ! وما أغنى المكتبة العربية بمثل هذه الكتب ، وما كان اقناها عنها .

تبين المداخل و« الارضية » او الخلفية التاريخية للموضوع .

ثانيا : عيب آخر ، مسن نفس طراز العيب السابق ، وهو غياب الخلفية الاجتماعية والاقتصادية خلال فترة الدراسة ، بحيث تبدو الاحداث معلقة في الهواء ، وبحيث يضطر المؤلف اما الى استخدام اصطلاحات وتعابير لم يقل لنا ما الذي يقصده بها ، او يكرر الحقائق أكثر من مرة ، وهو كان في غنى عن ذلك لو بدأ بتوضيح : ما هي فلسطين ، بمعنى ما هي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة فيها عام ١٩١٧ ، وكيف تطورت هذه الاوضاع ، وما هي آثار هذا التطور على مسار الحركة الوطنية . الحركة الوطنية ليست كائنا خرافيا غير منظور . انها حركة طبقات وفتات اجتماعية . في وحدتها وصراعها ، وفي مواجهتها لعدوها ، في ايجابياتها وسلبياتها ...

والؤلف نفسه يعترف بتقصيره في هذه النقطة ، ويحاول تبريره قائلا : « وقد كان في نيتي أن أخصص فصلا من الدراسة عن القوى الاجتماعية في فلسطين ، لكن تشعب الاوضاع السياسية وتعدد جوانبها في تلك الفترة دفعني الى التركيز على الناحية السياسية وان كنت لم اغفل الاشارة الى تلك القوى في أماكن مختلفة من الدراسة » ( ص ٩ - ١٠ ) .

عذر أتبع من الذنب ! صحيح ان السياسة هي تعبير مكثف عن الاقتصاد ، ولكن لن نستطيع فهم الامور السياسية ، في اي مجتمع ، خلال فترة زمنية معينة ، ان لم نفهم اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية ، والاشارات الخاطفة هنا وهناك في صلب الدراسة لا تكفي .

أخيرا وليس آخرا : تقسيم الفصول تقسيم معتدل جدا ، ولا يقوم على أسس تبرره . ذلك ان تاريخ فلسطين خلال الفترة التي يدرسها الكاتب مر بهرحلتين ، لكل منهما معالم وسمات خاصة :

المرحلة الاولى : تبدأ مع نهاية الحرب العالمية الاولى تقريبا وتمتد الى ١٩٢٩ ، وهي مرحلة تتميز باعتبارها الحركة الوطنية على أسلرب المؤتمرات وتوجيه النداءات ، وغيرها ، الى سلطات

ما هذا بحق ؟ ان اقل جهد واقل دراية بالكتابة لا تسمح بهذا القدر من التكرار الذي لا يوجد اي داع له ، الا تعدد المراجع التي « ينقل » عنها الكاتب ، ( وهو يفعل ذلك فعلا ) دون اي جهد في التنسيق ، واكمال المعلومات ببعضها ، واجسراء المقارنات اللازمة ، وحذف ما ليس ضروريا ، والبدء بالاهم ، فالهم ، ثم الاقل اهمية وغير ذلك من مبادئ الكتابة ومبادئ التفكير المنطقي ، او حتى مبادئ تسلسل السرد .

والكتاب مملوء من اوله لآخره يمثل هذا التكرار المعيب ، وان كنا نلاحظ انه يقل شيئا فشيئا ، ليصير غير واضح كثيرا — الامع التدقيق الشديد — في الفصل الاخير .

والتكرار ليس هو العيب الوحيد في الكتاب . بجانبه ومعها ، مثلا ، ايراد حوادث مبتورة غير مفسرة وغير واضحة ، مثال ذلك ، ص ٩٥ : « ذكر بعض الشهود اليهود امام لجنة التحقيق ان ما حدث كان حركة دبرها ضد اليهود اشخاص ... كان يساعدهم على ذلك بعض الاجانب لا سيما عملاء الفرنسيين » ويعود فيقول في الصفحة نفسها : « تد يكون هناك مجموعة من العرب كانت تميل الى تأييد السياسة الفرنسية وتشجيع اتجاهاتها » .. عملاء الفرنسيين ، مجموعة تميل الى تأييد السياسة الفرنسية الا يستحق هذا توضيحا وتفسيرا ولو في الهامش مع الاحالة الى مراجع اكثر تفصيلا .

وقس على ذلك امثلة عديدة ( ص ١٣٩ : مفاوضات بريطانية مع مندوب الملك حسين توطئة لعقد معاهدة تؤيد اليهود المقطوعة للعرب . ما هي هذه اليهود ، او ص ١٤٠ انعقاد المؤتمر الفلسطيني السادس في ظل ظروف الثورة السورية . ما هي هذه الثورة متى انفجرت ؟ ومن قادها ، وكيف انتهت ، ومتى ؟ لا اجابة !! ) .

كل هذه الاخطاء وغيرها ، وقع فيها المؤلف لانه ، عند الكتابة ، لجأ الى التجييع او « القص واللسق » ، ويبدو هذا واضحا من انه ينقل من المراجع التي يشير اليها بالنص دون ان يضع ما ينقله بين علامتي تنصيص ، كما تقضي التقاليد . ولكنه خشي ان هو تحرى الدقة اللازمة فسيكون الكتاب كله ، وكل فقرة فيه بين علامتي تنصيص .

هذا هو الادعاء او الاتهام ، وعلينا ان نشغفنا بالبينات او البراهين والادلة كما يقول رجال الشرع والقانون . والادلة والبراهين عديدة ، تلا عشرات الصفحات ، ولا مجال ليرادها بالكامل ، ويكفي ذكر بعض الامثلة :

● « أعلن المندوب السامي في بيان مفصل عن الخطة التي سيسير عليها — انه سيعين مجلسا للشورى » ص ٧٤ ، وفي ص ٧٩ يقول : « ... فأتقم مجلسا اسماه المجلس الاستشاري ، وقد أشار المندوب السامي الى هذا المجلس في الخطبة التي ألقاها في القدس في اوائل عهده » ، والتكرار واضح .

● ص ٧٧ « ان انهيار العهد الفيصلي كان صدمة شديدة لتاريخ وطريق الحركة العربية ... وكان لانهاير الملكة العربية في دمشق اثره من غير شك في تسهيل ادارة الامور في فلسطين » وص ٨٠ يقول : « ولقد اوجب تأسيس الادارة المدنية في اول يوليو ١٩٢٠ ثم ابعاد فيصل من دمشق اعادة النظر في الموقف السياسي لعرب فلسطين » .

لماذا التكرار ؟ ( وهي سمة غالبية على الكتاب كله ) .

في عملية السرد لا يستوفي الكاتب غالبا تفصيلات واقعة معينة ، وينجر الى واقعة اخرى ، ونجاة يعود الى الواقعة الاولى ليستكمل تفصيلاتها ، فيضطر الى التكرار . ولعل هذا يتبين بشكل أوضح من المثال التالي : « ... وفي ذلك المؤتمر الذي سمي بالمؤتمر العربي الفلسطيني الثالث وجدت الحركة القومية المحلية ، واصبح للقوميين الفلسطينيين هدفهم الخاص ، نقد طالب القوميون المحليون لأول مرة بعد الاحتلال بتأسيس حكومة وطنية في فلسطين تكون مسؤولة امام مجلس نيابي .

« وانتخب الجمعيات الاسلامية المسيحية وغيرها من الجمعيات والنوادي بعض اعضاء هذا المؤتمر ، وانتخب الاخرين اعيان الاهالي وجهاءهم ورؤساء الطوائف الاسلامية والمسيحية ومشايخ القرى . وقد اتخذ المؤتمر القرارات التالية ومطالب الحكومة بتنفيذها : الغاء فكرة الوطن القومي اليهودي ، تشكيل حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي منتخب من السكان الفلسطينيين الذين وجدوا في البلاد قبل الحرب » ( ص ٨٠ — ٨١ ) .

والترف . ومن هذا الجو أخذ دعاة التعاون مع الانجليز يكشفون عن وجوههم علنا ، معتبرين ان تعاملهم مع الانجليز ، وحتى اليهود ، لا يشكل مساسا بوطنيتهم . وقد استغل « السماسرة » هذه الفرصة الذهبية ، غراحووا يعقدون الصفقات دون ان يخافوا شيئا .

« كانت هذه الفترة ثقيلة على نفوس المخلصين ، وحازرة في نفوسهم . فهم يشعرون ان العدو يبتلعهم ومع هذا يجدون قادتهم يبحثون عن مصالح ومنافع ، ويتصارعون على كراسي الزعامة ، ومواقع الوجاهة . هنا بدأ البحث عن حل . وقد اتضح منذ البدء اتجاهان ، الاول : يرفض القيادات الموجودة ، لعجزها وفشلها وانتهازيتها ، والثاني : يدعو الى التعاون والاخلاص والتفاني . كان الاتجاه الثاني ، هو الاتجاه الاكثر انتشارا ... اتجاه الناس العاديين الذين لم يدركوا طبيعة قياداتهم ، والذين ظنوا بان المسألة مسألة هداية ، وليست مسألة « تكوين » ، وأن الوعظ والضغط قد يفيدان . كان هذا الموضوع موضوع مناقشات واسعة النطاق ، اشترك فيها كل مواطن تهيمه قضية بلاده ... » ( ص ٥٢ ) .

هذا هو اسلوب المؤلف ، الاستاذ عادل حسن غنيم ، في النقل والانتباس . واغلب الظن اننا لو رحنا نراجع كل عبارة او فقرة على المصدر الذي يحيل اليه لوجدناه قد فعل نفس ما فعله مع كتاب ناجي علوش . ثم يجمع كل فقرة مع ما يناسبها من المصادر الاخرى بحيث تكتمل حلقات الرواية ، مع ما يترتب على هذا الاسلوب من تكرار كثير ، وخلل كثير ايضا .

واسلوب التجميع او « القص واللصق » لا يخيف جديدا لاي موضوع ، خاصة اذا سار على النحو الذي اتبعه المؤلف .

ومع ذلك ، فان المؤلف كان امينا حين تمسك بالاشارة الى المراجع ، ولم يفعل ما يفعله كثيرون ممن ينتقلون صفحاتها بأكملها من كتابات غيرهم ، ولا يكلفون انفسهم مؤونة الاشارة ، مجرد الاشارة ، الى المصدر الذي استندوا اليه .

ومع ذلك ، فان المؤلف مع امانته في الاشارة الى المصادر ، قد استند الى مصادر اولية كثيرة

الدليل على هذا ان المؤلف احال في الهوامش الى كتاب ناجي علوش « المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ » احال اليه ١٨ مرة . وقد حاولت ان اقرن بين ما يذكره المؤلف - محيلا فيه الى علوش - وبين ما كتبه علوش في كتابه فخرجت من هذه المقارنة بأن المؤلف لجأ في ١٧ مرة الى النقل نصا ، او النقل مع تحوير كلمة هنا او هناك ، او اسقاط بعض الكلمات ، او بعض العبارات او بعض السطور .

وبالطبع لا مجال لذكر جميع الحالات التي تبين أسلوب المؤلف في الانتباس المستتر . ويكتفي ذكر المثال التالي :

« ومنذ عام ١٩٢٤ ينشغل اهل البلاد بخلافاتهم المحلية وتناحرهم الحربي على حساب القضية الوطنية ، ويترتب على هذا الوضع نتائج سيئة ، اذ أن الصراع الشخصي على القيادة ، ونشوء التكتلات عطل فعاليات القيادة الوطنية ، ودفع دعاة التعاون مع رجال الانتداب الى كشف وجوههم علنا ، معتبرين ان تعاملهم مع هؤلاء وحتى مع الصهيونيين لا يشكل مساسا بوطنيتهم ، وقد استغل السماسرة هذه الفرصة الذهبية غراحووا يعقدون الصفقات دون ان يخافوا شيئا .

« كانت هذه الفترة ثقيلة على نفوس المخلصين ، فهم يشعرون ان العدو يتربص بهم ، ومع هذا يجدون قادتهم يبحثون عن مصالح ومنافع ، ويتصارعون على كراسي الزعامة ومواقع الوجاهة ، وكان هناك اتجاهان : اتجاه يرفض القيادات الموجودة لعجزها ، واتجاه يدعو الى التعاون والاخلاص والتفاني ، وكان الاتجاه الثاني هو الاكثر انتشارا .. اتجاه المواطنين العاديين الذين لم يدركوا طبيعة قياداتهم ، والذين ظنوا ان المسألة مسألة هوية وليست مسألة تكوين ، وان الوعظ والضغط قد يفيدان .. كان هذا الموضوع محل مناقشات واسعة النطاق اشترك فيها كل مواطن تهيمه قضية بلاده » . ( ص ١٦٠ ) .

اما كلمات ناجي علوش فهي : « كانت لهذا الوضع نتائج سيئة على القضية عامة ، اذ ان الصراع الشخصي على القيادة ، وتنازع الزعامات والشخصيات ، ونشوء التكتلات المخربة المضلة ، عطل فعاليات القيادة الوطنية ، وتاد الى البلبلة

وأيا كان تقييماً لهذا الكتاب ، فإنه في النهاية مساهمة شريفة في هذا الوقت بالذات ، لتعريف القارئ العربي ، والمصري خصوصاً ، بصفحات من نضال الشعب العربي في فلسطين . والقارئ المصري يحتاج الى مثل هذا الزاد ، في الوقت الذي يتلقى فيه كثيراً من الزاد الزائف والمغشوش الذي لا يبغى مصلحة فلسطين او العروبة ، ولا مصلحة مصر نفسها .

### عبد المعال الباقوري

سواء كانت وثائق او دوريات ، وهذه ميزة واضحة .

وعلى اي حال ، فقد جمع الاستاذ عادل حسن غنيم كمية لا بأس بها من المعلومات حول موضوع دراسته ، ولكنه لم يستطع الاستفادة بها على النحو اللائق ، اذ استماله اسلوب « القص واللصق » ، ولم يمكنه من استخدام اساليب العرض ، والتحليل ، والتدقيق ، وهل الكتابة في النهاية الا اسلوب خاص في العرض والتحليل والتدقيق ؟

Bertolino, *Les Oranges de Jaffa*,  
(Paris, France - Empire, 1974).

Gyorgy Kardos, *Les Sept Jours d'Abraham Bogatir*,  
(Paris, Du Seuil, 1971).

فلسطيني ، يرسل خيال الشيخ الطامن اليهنا ليستعيد ذكرى أيام جميلة ، في حين يبينها ويصنعها خيال الطفل والشباب كارض سحرية ، فهي هنسا مرئية من خلال القصص والحكايا والمعاناة الفلسطينية اليومية . تشكل فلسطين القريبة - البعيدة هنا هوية الفلسطيني ووجهه ، ان التماثل بها ضرورة معنوية ومادية ، فالارض الفلسطينية تشكل حيزا مكائيا تحج اليها الذاكرة كعملية تعلق وتثبيت بالشخصية القومية . فالفلسطيني على الرغم من غريته يتطابق مع ارضه المفقودة التي تشكل ذاته وهويته على الرغم من بعدها .

ويلعب رحيل الذاكرة الى الوطن دورا في القدرة على تحمل الواقع المرير . فالنفس البحث الروحي بالارض يصبح يتنوع قوة ودفع ، ويتراجع بؤس

رواية الكاتب الفرنسي جان برتولينو « برتالينا » هي الرواية الثانية التي تتحدث عن نضال الشعب الفلسطيني من اجل استعادة وطنه ( الرواية الاولى كتبها ايتل مائين ) . و ( برتالينا ) ترصد حركة نضال الشعب الفلسطيني بين ١٩٦٧ - ١٩٧٠ ، اي فترة انطلاق المقاومة حتى خروجها من الاردن بعد المجزرة . ان الرواية تؤرخ للفترة التاريخية التي استطاع فيها الشعب الفلسطيني ان يستعيد وجهه ، عندما أصبح يصنع تاريخه بيده ، والرواية تتعرض للموضوعات التالية :

فلسطين - الحلم : لم تقتلح الفربة صورة فلسطين من خيال الفلسطيني ومقله ، فهي حاضرة قوية جميلة تضرب جذورها بعيدا في ضمير كل

الى المقاومة « الجبهة الديمقراطية » عنك يوسف الشاب الصغير الذي تسري في عروقه مسورة فلسطين المسحورة ، والذي ينحدر من أسرة فقيرة عرفت طعم المخيمات حتى الثبالة . واذا كان الدافع عند يوسف روحيا - اسطوريا ، فان الدافع عند ابي منصور معرفيا ، المعرفة التي تتشعب غبار حقيقة الماضي مؤشرة الى طريق استعادة الماضي . وينحدر ابو منصور من أسرة مسورة ، اكمل دراسته في بريطانيا ، حيث تعرف هناك على الفكر الطمهي وعاد ليمارس هذا الفكر ، ليدافع عن قضيته العادلة التي هي جزء من نضال الشعوب . الشخصية الثالثة في « يرتقال يافا » هي ابو رائد ، الانسان الذي شرب من مياه بلاده وعرف السبيل الصحيح للعودة اليه ، فهو يلتحق بالجيش المصري ويمبح نامزيا « حتى العظم » بعد حركة ١٩٥٢ ، لكن هزيمة ١٩٦٧ تزعزع ناصريته ، فيؤصد باب طريقه للتقديم ليبحث عن درب جديد ، فيصبح مدرسا عسكريا في الجبهة الديمقراطية .

أما لطيفة الشخصية الرابعة فتمثل الفتاة الفلسطينية التي كسرت طوق التقاليد السلبية ، واستعادة انسانيته وانخرطت في تيار نضال شعبها .

يقوم برتولينو من خلال هذه الشخصيات الاربعة صورة نمو المقاومة ونهوضها حتى هزيمة ١٩٧٠ . وهذه الشخصيات لا ترى كذوات فردية او انا معزولة بل هي نماذج نمطية للشعب الفلسطيني ، اي انها من خلال مسارها ونمو حياتها تعكس مسار الشعب الفلسطيني بفئاته الاجتماعية الوطنية ، كما يقدم المؤلف صورة رائعة لصيرورة الانسان الفلسطيني من خلال المعاناة والممارسة ، اي البراكسيس الذي يعيد صياغة الانسان ليحمله قادرا على المساهمة في صنع الحركة التاريخية ، وتمز إعادة الصياغة هذه خلال مراحل عدة تقضي في نهائيتها الى إعادة الخلق هذه ، عنك اولا صورة الحنين السلمي الذي يمثل الانسان الخام المراقب للواقع بعطالة كاملة ، ثم متابعة رحلة الحنين من خلال صيرورة جديدة ، فالحنين هنا يصبح ايجابيا دافعا ومحركا ، خالذات لا تكتفي بالحنين والحلم العاجز ، لكن الحلم هنا يبحث

الحاضر عندما يغزوه صوت الارض الغائبة ، فهذا الرجيل المستقر مولد للامل ودافع الى العمل من اجل تجاوز البؤس . فالفلسطيني الغارق في كلية من البؤس يلطم دائما بالرجوع الى ارضه . فيختلط ويتلاحم هنا الحاضر والماضي ، فهناك زمان نفسي حقيقي ( زمان صورة الوطن ) ، و زمان غيزيائي ( الزمان المعاش في مخيمات التشرذ ) . يصبح في تلاحم الزمنين هذا ، الزمان النفسي مسيطرا .

ويولد هذا الامر شيئين . أولهما استحقاقه الارض المفقودة الى اسطورة ، الى رسم مركباته التي تعود الى الخيال أكثر منه الى الواقع ، اي ان الخيال والحلم يعيد صياغة ورسم الوطن ، فائسهم والجبل والوادي هي بناء حلمي أكثر منه واقعي . تضحو فلسطين هنا صوتا تديسيا وفردوسا مفقودا يد جوائحه نحو الطفل بخياله ويميد انتاجه الشيخ الطاعن من خلال رصد لسطورا ذاكرته الواهنة « في هاجرة الصيف ، وساعة القبلولة حيث حرارة الكوخ تصبغ خانقة ، كان جد يوسف يجلس على عتبة البيت ، وعصاه في يده ، يرسم على الرمل صورة البيت في يافا ، ويحكى قصته الى حفيده ذي السنوات الاربعة ، كما لو كان بروي قصة عفاريت مسحورة .

كان بيت يافا في البدء كوخا متواضعا ذي جدران حوارية محاطا بحديقة زهرية تجاورها تينة . لكن خيال العجوز اصبح مطلق السراح تحت الالاح المستبر لحفيده السذي كان يمسه من جليابه قائلا له « جدي ، جدي ، احكي لي من بيت يافا » . لهذا كانت الحكاية تزداد فنى يوما وراء يوم . فتستحيل الحديقة الى حقل ، ثم الى ميدان رحيب » .

الامر الثاني مرتبط ديالكتيكا بالاول . صورة الحديقة المسحورة تولد حوسا بربوعها ، فتصبح الرغبة في استعادة تملكها قانونا يجثم على صدر الحياة اليومية الفلسطينية . فلا يكتفي الخيال باغتصاب الارض المقتصبة بل تمور اليد باحثة عن اداة مادية لمنوسة ، اي ان الخيال لا يستكين سلبيا مترهلا بل يدفع باتجاه تجسيده ماديها ، فمن رحم الخيال والمعاناة يولد المقاتل ، هنا يقدم لنا برتولينو لوحة خلاصة لوجود فلسطينية تنتمي

عن أدوات التحقق ، تصبح الذات هنا متبردة ، ذات في حركة وبحث . المرحلة الثالثة تتجلى حين ترصد الذات واقفعا من بعد ، رصد من خلال مسافة ، وتعرف كيف تجد الأدوات للخلاص من الواقع وماراته ، فتكون شخصية المتأمل تتسم خلال عملية تطور مستمرة .

ويبرز برتولينو في روايته امرا جديرا بالثناء هو رسبه للخلفية الاجتماعية البائسة والشروط اللاانسانية التي انبثت جذوة الثورة : « وعندما تمول ربيع الشتاء الزمهريرية فوق مسقوف الاكواخ القصديرية اللبسة بالوحل ، كان يوسف واخواته يتكروون تحت اللحاف ويحتمون بأبويهما هربا من البرد ، وكانت الشمعة تئن تحت وطأة الريح ، عندها الوالد يتحدث عن بيت يانا بجدرائسه

السميكة ، وغرفة التي تستحم في الشمس ، ونوافذه الواسعة المظلة على بياراة البرتقال المزدانة بشمار مستديرة صفراء ذهبية ، والجاينة على عتبة البحر . عندها كان يوسف ينام حالما يأتيه جنرال جيش متسق من البرتقال يتختر في عرض عسكري » .

صورة الوطن هنا محذرا ومهددا ، فاستمادة الوطن ليس اذن مجرد استعادة هوية قومية ، بل استعادة انسية فقدت .

ويظهر برتولينو ايضا التفرغ الكيفي الذي طرأ على الشعب الفلسطيني ككسل . تقبل ظهور المقاومة ، كان المتحدثون باسم الشعب ، شعب الخيمات ، لا ينتمون فعلا اليه ، فهم « متخون ومترهلون » ، لا يجلسون الا الاكل والخطيب الرنانة والدعوة الى « رمي اليهود في البحر » . اما بعد ظهور المقاومة فنرى ان القيادة تتبع من الشعب وتعبير عن مطالبه ، وان الشعارات المطروحة تخلصت من بدائتها وتخلفها . وترى هنا تطورا ايدولوجيا يمس مفهوم العالم عند الفلسطينيين ، فالمرأة أصبحت انسانا متاضلا وليس كيانا سلبيا هشا ، وبدأ الفرد يؤكد ذاته متخطيا قيود القرية العائلية المحدودة الانساق .

يعرض برتولينو هذا في ٣٩٥ صفحة بدقة تقرب الى التقرير اكثر منه الى الرواية من خلال شخصيات حية ورصد لدقائق الحياة اليومية لسدى القرائين . والرواية زاخرة بالدقائق التي تعبر

عن فهم كامل للعمل الفلسطيني ، فمن الصور التي لا تنسى صورة يوسف الحامل على كتفيه « أسطورة فلسطين » وزيارته لعائلته ، صورة ابو رائد وهو يلعب بالانواعي ثم يظهر كيف تقتل وتطبخ وتؤكل ، صورته وهو يزدرد الضفادع النيئة . ومن الصور الجميلة في الرواية صورة وفد « الثوار - السياح » من الفرنسيات اللواتي ينظرن الى المخيم ك « فرجة » ويجلسن نصف عراة في مخيم تدريب معزول . عند ذلك يصرخ ابو رائد « لن اسمح لهؤلاء المومسات ان يخربن القاعدة » .

ومما لا شك فيه ان مدخل الرواية كان آمرا ، ونرى البطل يدور في مركز دائرة محيطها منظمات فدائية متعددة ، وهو عليه ان يرى ويسمع ويمين قبل ان ينتقل من المركز ويأخذ مكانه في المحيط . والرواية تنتهي في احداث ايلول ، حيث يموت الايطال وتذهب سكنين الجزار بعيدا عن القلب الفلسطيني ، عندها ينتكس حلم عزيز الانتظار « وفي ٢٨ ايلول مساء ، وفي النهار ذاته والساعة عينها لفظ ابو رائد انفاسه مع عبد الناصر الذي صعقته ازمة قلبية . مصير غريب تقرب الرجلين اللذين كان بينهما مسافة لا يمكن اجتيازها » .

ربما يستشرف هنا برتولينو - وهو المتعاطف والمتحس مع شعبنا - حلما جديدا اكثر صلابة لن تجتثه سكنين جلاذ اخر منهما كان حجبها .

اذا كان برتولينو يمطي صورة للحقيقة التاريخية بواسطة عمل روائي ، فان جورجى كاردوس يغود بدوره ليغطي صورة ضد - الحقيقة التاريخية (١) . وقد كانت القضية الفلسطينية منذ اغتصاب فلسطين وحتى اليوم تنوس بين محورين : الحقيقة - وضد - الحقيقة . وكثيرا ما كانت الحقيقة تقبع منسية تحت اكوام من التضليل تنثرها بشكل متعمد ترسانة الاعلام الصهيونية .

والنفاظر بين رواية برتولينو ورواية كاردوس ( أيام ابراهام بوجانير السبعة ) كاملا من حيث ان كلا الروائين يبني روايته بمسادة تاريخية ، بأشخاص - مفاهيم يوظفون لشرح وعرض القاع التاريخية لمشكلة . الفسوق ان مادة برتولينو التاريخية تميد بناء الحقيقة التاريخية وتصوبها . في حين ان الاخر يعيد انتاج التضليل التاريخي بشكسل روائي . ان كاردوس يصور الواقع

حقل الصراع الدائر في زمنه .

وهو لا يلج هذا الحقل الصراعى الا بوسيط خارجي ، فهو يزوج بالأحداث دون ان يسمى السى ذلك لان ارضه هي حقله العام والخاص .

تنتفح نافذته على حقل الصراع عندما يأتي اليه طارقا في الليل ، ارهابي في منظمة الارغون (ديفيد) يهدده بمسدس ، ينام عنده . بعد ذلك يطلب ابراهام من الارهابي ان يعمل عنده ، لكن هذا الشاب ما يلبث ان يهرب بعد فترة . تطلق نافذة ابراهام من جديد ، لكنه يعود الى ميدان الاحداث التاريخية عندما يخرج من بيته ، وعلى بعد عدة كيلومترات يوقفه البوليس البريطاني ويقوده الى متاهة من التحقيقات، ثم الى السجن، اما سبب ذلك فهو ان ابراهام لا يحمل معه هويته الشخصية . بعد ذلك يفرج عن ابراهام فيعود الى مزرعته محاصرا بالقلق ، جزعا ان يقبض البوليس على ديفيد ويذلي باسم ابراهام الى «المحتلين» . وتنتهي الرواية عندما نرى طائرات بريطانية تتجه الى البحر في حين يبقى ابراهام في انتظار «قدره المساوي» .

المعدة الروائية هنا لا تشكل الا الهيكل الخام للرواية ، في حين تلعب الايدولوجيا والسياسة دور الملبس ، اي لحم الرواية وبنيتها عهد به الى الفكر الذي يطرح نفسه من خلال شرائح روايته . فالشكل الروائي هنا هو الاداة التي بواسطتها يطرح الفكر الصهيوني شحنته ، بل يمكن القول ان الرواية هنا تستحيل الى لعبة برجماتية لانها لا تلعب دور الرواية بمعناها التكويني بل تصبح قناة ايدولوجية لتاريخ فح ومخلوط .

فخضرة فلسطين في نظر الكاتب لم تنبجس الا بتدوم المستعمرات الصهيونية «تدوم الرحلة الى المجدل حوالي ساعة . عندها كان ابراهام ينظر باسى الى بساط المستعمرات اليهودية الاخضر المبعثرة هنا وهناك بين الاراضي العربية الجافة ص : ١٠٠» وهكذا فخضرة فلسطين مستوردة !! أمر اخر يثير الانتباه هو طبيعة العلاقة بين الصهيونية والانجليز فهي ليست علاقة عدائية فتسقط «ويرى ابراهام عبارة على جدار مكتوبة بالحوار ، ايها المحتلون البريطانيون اخرجوا من بلادنا ص ١٠١» بين مقتضب ومقتضب ، لكن هذه العلاقة

التاريخي في فلسطين ١٩٤٧ من زاوية صهيونية ، بل ان المساحة الروائية التي يوظف فيها الحركة الروائية محكومة بشخصية المناضل اليهودي ، في حين يقف الفلسطيني صامتا باردا في زاوية المساحة ، فهو ذات منفعة وليست ماعلة ، فهو المتفجع على الحدث وليس المشارك فيه . ويتقدم كاردوس روايته بالشكل التالي «فلسطين في صيف ١٩٤٧ ، قرية صغيرة شبه - تعاونية في منطقة غزة ، في فترة ترايدت فيها المقاومة اليهودية ضد «المحتل البريطاني» الذي يمثل قوة كولونيالية لا يستهان بها . وازاء المقاومة يرد الكولونياليون البريطانيون بحملات بوليسية . انها بداية حرب تحرير وطني ، لكنها في الوقت ذاته بداية حرب اخوية ، عرب ويهود ، كانت حتى تلك الفترة موجهة الى ظهر الانجليز . ان هذه الحرب اجبرت اسرائيل ان تتصرف ضد مبادئها الذاتية» .

هذه السطور تظهر الى اي مدى يلوي كاردوس عنق الحقيقة ، فقيام اسرائيل تمثل حركة تحرر وطني ضد الكولونيالية اي ليست واقعا كولونياليا مقتصبا ، هنا تصبح اسرائيل نظيرة لكل حركات التحرر التي شهدها العالم بعد الحرب الكونية الثانية . الامر الاخر هو ان الصراع العربي الاسرائيلي عشية اغتصاب فلسطين صراع اخوة وليس صراعا بين قوة كولونيالية عنصرية وشعب يدافع عن ارضه . الامر الثالث ان هذا الصراع كان متجها في البدء ضد البريطانيين ولم ينفجر بين «الاخوة» الا في بداية الس ٤٧ ، الروائي هنا يتناسى الصدمات المستمرة بين العرب والصهاينة منذ بداية ١٩٢٠ وحتى عشية النكبة . الامر الاخر هو ان اسرائيل انجرفت في «حرب اخوية» تخالف رسالتها الانسانية ، فقتلها كان دفاعا عن النفس .

يبك كاردوس اطروحاته هذه من خلال مادة بشرية محدودة اعياها ابراهام بوجاتير ، وهو فلاح عجوز من اصل روسي ذو ميول اشتراكية ، يرى الارض والطبيعة من منظار صوفي ، فبينه وبين «ارضه» تكافل كامل ، فهو يراها ويلمسها ويسري في عروقها ، انه «ارضه» يشكلان وحدة متسقة متناغمة . و ابراهام انسان طيب وديع محب للخير ، يقضي كل وقته في رحاب الطبيعة ، يقف بعيدا عن

اسم الحي الايدي ، ولكن نحن فوق ارض اسرائيل .  
وفوق ارض اسرائيل وجد كل شيء وسيوجد كل  
شيء ، منذ البدء حتى نهاية الزمان . ينخفض  
ويقبل الارض « اما تل ابيب « غيبوتها بيضاء  
كالحليب ، كن سعيدا وتمتع نفسك في تل - ابيب » .

وهكذا تستحيل فلسطين في الرواية الى ارض  
تدسية ولكن يهودية ، فالعرب فيها ليسوا الا ذرات  
متفرقة مجهولة ، تقف متفرجة وتغوص في بحر  
الصمت امام الصراع . ومع ان الكاتب كما رأينا  
يتكلم في مقدمته عن اقتتال لاقتناء ، الا ان هذا  
الاقتتال غائب في الرواية ، فنحار مسار اليهودي  
لا يتأني الا من « المحتل البريطاني » حيث ان  
الاخرين - العرب - ذات صامته . وعندما يكون  
لها دور فمن خلال تعاونها مع المحتل البريطاني ،  
في « عبد بداوي » يعمل في مخفر بريطاني .

ان قراءة ايديولوجية لمطور الرواية تعزل كل  
مركبات الايديولوجيا الصهيونية الرسمية وكل  
تفريجات الدعاية الصهيونية . فظهور اسرائيل  
يمثل حركة تحرر تومي تم بعد طرد الغزاة ، ونضال  
اليهود لم يكن موجها بالاصل للعرب - على اية  
حال لم تكن الحاجة تدعو الى ذلك في نظر الكاتب  
- بل ضد الوجود الخارجي ، كما تتبع اللاسامية  
في كيان كل بريطاني . اكثر من ذلك ان ابراهيم  
بوجاتير كان يذرع سهوب فلسطين وسهولها دون  
كبرة او عثار اللهم الا عسف الانجليزي .

بقي ان نعلم ان رواية كاردوس ظهرت في اهم  
دار نشر في فرنسا وفي سلسلة الروايات العالمية  
الجديرة بالترجمة !! على اية حال فان بتؤنس  
التضليل لا يجد دمنة صالحة الا ضمن حقل  
ايديولوجي اعترفا قسم ظهر الحقيقة ، وفرنسا  
تختصن هذا الحقل وترعاه .

### الدكتور فيصل دراج

محكومة ايضا بقائسون الصهيونية الايدي :  
اللاسامية « وهز الضابط الحديد وبدأ يعاكس  
مصريا مدندنا اغنية مصرية ... » مستهدفا من  
ذلك مداعبة المصري . وعندنا يلتفت الضابط  
الى ابراهيم تتلأشى طبيته وتستحيل الى احتقار  
صامت « فالعلاقة بين العربي والانجليزي علاقة  
مودة ، في حين ان علاقة الاخير باليهودي علاقة حقد  
وكراهية واحتقار . لذلك فاليهود يعانون من ارباب  
بريطاني اسود .

فحالما وضع فرد و ابراهيم اشربة اخذتهم  
واخذتهم الجدية احاط بهم اربعة رجال بوليس  
مسلحين بالرشاشات . حدث كل شيء بسرعة  
وبينتهي النظام ، فقد اعطيت الاوامر باشارات  
وعبارات قصيرة تكاد لا تسمع . يخرجان الى  
المساحة محاطين بأربعة مسلحين حيث يقادان الى  
مصنعة . اجلسوا كلا منهما مقابل الآخر ، وفي  
جانب كل منهما كان يجلس جنديا متخفيا » .

معنى ذلك ان اليهود كانوا عرضة لعسف  
انجليزي بلا نظير « فحسب قرار الاتهام ، فان  
الارهابيين الثلاثة ، كانوا يلبسون هندام البوليس  
البريطاني ودخلوا الى مخفر كاستينا . ويعتقد ان  
هدمهم كان افناء الحرس وسرقة السلاح »  
فالصهاينة كما نرى يقومون بعمليات فدائية ،  
ويتم عملهم « الفدائي » هذا في ظروف صعبة ،  
تحتي السلاح يعوزهم .

وتأخذ صورة « الفدائي الصهيوني » طابع  
الشهادة امام جبروت المحتل . « ليس عند المتهمين ما  
يقولونه . ترفع المحكمة جلستها ، وبعد ربع ساعة  
من المشاورات تصدر حكمها بالاعدام شنقا . ولم  
يطلب المتهمون المحكمة بالرحمة » ص ١٥٩ .

فالصهيوني يجتحم تحت يد الارهاب واللاسامية في  
نضاله من اجل استعادة ارضه المصبوغة بحلّة  
صوقية سرمدية « نحن لم نعد في اليمن ، وليبارك

## رد على مراجعة السيد نويهض لكتاب المساعدات الاميركية العسكرية لايران المنشور في مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤٧ ، تموز ( يوليو ) ١٩٧٥

الولايات المتحدة ، هي في الحقيقة مياسة تضر  
بهذه المصالح على المدى القريب والبعيد .

٤ - التأكيد على امكانية خلق شرح داخلى  
المعسكر الاميركالى عن طريق رفع مستوى حدة  
تناقضاته الداخلية .

٥ - كشف الاخطاء الاميركية في المنطقة وفي  
العالم ، وتحديد السبب الذي حول المجتمع  
الاميركي الى مجتمع معاد لحركة التاريخ ، وجؤيد  
لكل قوى العدوان والفاشية والعنصرية والقهر  
الطبقى في جميع ارجاء المعمورة . وكانت غسايتي  
الاساسية من هذا الكتاب تحديد ابعاد الخطر  
الذي تمثله ايران على مستقبل الامة العربية  
وطموحاتها وتقدمها في المستقبل ، ومدى احتمالات  
تزايد هذا الخطر ، وكيفية درئه سياسيا وعسكريا .

ولقد تفضل السيد وليد نويهض بكتابة عرض  
لهذا الكتاب ذكر فيه عددا من ايجابياته ، ثم  
تطرق بالنقد الى بعض النقاط ، وذكر بعض  
الملاحظات « لعدم موافقته على المضمون والموقف  
السياسي » . وهنا جانبته الصواب ، الامر الذي  
دفعني الى الرد على المراجعة ضمن اطار الحوار  
العلمي الهادف الى بلورة الحقيقة التي لم تكن  
يوما سوى وليدة احتكاك الابتكار .

**الكتابة الصحفية والكتابة العلمية :** يذكر  
السيد نويهض ان المقدمة التي تطرح مضمون  
العلاقة الاميركية - الايرانية وشكلها ومعناها  
مكتوبة « بأسلوب صحفي مبسط » . ولكن ما هي  
الكتابة الصحفية وماذا يميزها عن الكتابة العلمية .  
ان الكتابة الصحفية ( وهذا امر يعرفه السيد  
نويهض الصحفي في جريدة المحرر البيروتية )

في العام ١٩٧٤ ، وعندما كانت العلاقات  
العربية - الايرانية متوترة الى درجة المسدام  
المسلح مع الجناح الشرتي لامة العرب ، وعندما  
كانت ايران تساعد العصيان الكردي في شمالي  
العراق لاستنزاف هذا البلد العربي وتشتيت جهده  
وعرقلة امكانيات اشتراكه في اية مغرقة تنشب بين  
دول المواجهة واسرائيل ، كتبت كتاب « المساعدات  
الاميركية العسكرية لايران » الذي يكشف طبيعة  
العلاقة بين الامبريالية وامتداداتها العدوانية في  
الشرق الاوسط ، وخاصة ايران واسرائيل ،  
ولاحدد الادوار العميقة لهذه الامتدادات ، واذكر  
بالارتقاع حجم المساعدات العسكرية التي يتلقاها  
الحكم « الشاهنشاهاني من البنطافون » .

ولقد توخيت في كتابي هذا التواء الاضواء على  
المقولات التالية :

١ - ان ايران هي اداة الامبريالية الاولى في  
منطقة الخليج الغنية بالنفط ، ونقطة وثوبها  
المتقدمة بالنسبة الى هذه المنطقة .

٢ - ان الحقائق التي خلقها الجندي العربي في  
سيناء والجزولان ، قد هزت صورة الاداة  
الاسرائيلية ، وجعلت الولايات المتحدة تشك نسي  
قدرة هذه الاداة على اخضاع العرب ، الامر الذي  
يجعل من المحتمل ان تزيد واشنطن من دعمها  
العسكري لايران ، حتى تستطيع لعب دور المكمل  
والبديل لاسرائيل ، علما بان ظروف ايران البشرية  
والتاريخية والاقتصادية والجغرافية تجعلها مؤهلة  
للعب دور الشرطي في المنطقة اكثر من اسرائيل .

٣ - التأكيد على ان السياسة الاميركية نسي  
الشرق الاوسط ، والتي تستهدف خدمة مصالح

لا يدل بالضرورة على العلمية ، المهم ان يحدد الكاتب هوية من يخاطبهم ، وهل ينوي عرض عضلاته امام قلة متحذلة تبحث عن الكلمة ، ام انه ينوي مخاطبة اوسع قاعدة من الجماهير صانعة التاريخ بأسلوب بسيط مليء بالحقائق والارقام المتعة التي تعطي مقولاته وزنا علميا مؤثرا وفعالا مع انه غير مفتعل .

**التناقض داخل المعسكر الامبريالي :** يحاول السيد نويهض اقتناعنا في رده بان الامبريالية الامريكية واسرائيل وايران عبارة عن معسكر واحد . وان السياسة الامريكية في المنطقة ثابتة لا تتغير . واذا كانت الوثائق العلمية والتحليل العلمي يؤكدان القسم الاول من رأيه كما يؤكد ان طبيعة العلاقة الوثيقة بين الامبريالية وامتداداتها، فان القسم الثاني في رأيه ينظر الى مسائل العلاقات داخل المعسكر الامبريالي بجمودية مطلقة . وهنا لا بد لنا من الاشارة الى ان الصراع مع المعسكر الامبريالي يعتمد اعتمادا اساسيا على حركية مسألة التناقض داخل هذا المعسكر ، وامكانية استغلال هذا التناقض .

ويأتي التناقض داخل المعسكر الامبريالي ، او اي معسكر آخر ، من تباين المصالح ، وتباين اهمية الاهداف المتعددة بالنسبة الى كل حليف داخل هذا المعسكر . ولذا فان من ابسط مبادئ التنكيت الفضالي ضد الامبريالية معرفة مصالح عناصر المعسكر الامبريالي ، وتحديد افضلياتها بالنسبة الى كل عنصر ، والبحث عن اسلوب استغلال تباين المصالح لخلق الشرح داخل معسكر العدو . هذا هو جوهر التنكيت اللينيني الذي يعتمد على تقوية معسكر الحلفاء ، واكتساب المحايدين ، وتحييد جزء من معسكر العدو ، وخلق التناقض بين اطراف هذا المعسكر ، مع الحفاظ دائما على وضوح الرؤية الاستراتيجية ، وعدم السماح للتنكيت بالتحول الى استراتيجية . من هنا جاء حديثنا عن مصالح الولايات المتحدة في المنطقة ، وتناقضها مع مصالح حلفائها المحليين ، وامكانية استغلال هذا التناقض لصالح الحركة الثورية .

ولكن محاولة استغلال التناقض لا تمنى بالضرورة ان تقوم بتأمين مصالح الامبرياليين الامريكيين والسماح لهم باستغلال ثرواتها واستثمار

عبارة عن عمل فكري يستهدف طرح موضوع آني، بشكل مجتزأ في اغلب الاحيان ، دون التركيز بالضرورة على شواهد واحداث تاريخية موثقة ، على حين ان العمل الفكري العلمي يعتمد على طرح الموضوع ( آنيا كان ام غير آني ) ، مع العودة الى الوثائق، وتأكيد الحقائق بالاستشهادات الموثقة ، والارقام الدقيقة . فالقول مثلا بان الاجبريالية الامريكية تدعم ايران بالاسلحة والخبراء للسيطرة على منطقة الخليج ، هو قول صحيح بأسلوب صحفي . اما القول بان الامبريالية الامريكية تدعم ايران بالاسلحة والخبراء ، مع ذكر عدد الاسلحة ، وتواريخ الصفقات وعدد الخبراء واختصاصاتهم ، ومنحى تصاعد الدعم العسكري او نزوله ، واهدافه القريبة والبعيدة، وذكر المراجع العلمية التي استقيت منها المعلومات، فهو قول علمي . ولا يجب ان تكون هذه المعلومات محشورة في المقدمة . والا كانت المقدمة عبارة عن الكتاب . لذا لا يمكن فصل المقدمة عن المتن والنظر اليها بشكل مجتزأ دون العودة الى ما جاء في النصوص والملاحق التي تثبت بالارقام والوثائق التي لم ينشر بعضها بالعربية من قبل لتأكيد مقولات المقدمة .

ولقد اخطأ السيد نويهض عندما ربط الاسلوب المبسط بالكتابة الصحفية ، وكأنه يريد ان يقول ان الكتابة العلمية ينبغي الا تكون مبسطة . وهذا خطأ يرتكبه العديد من المثقفين العرب الذين يعتقدون ان التعقيد في الطرح يعطي الموضوع دسامة « وعلمية » اكبر ، مع ان مسألة العلمية لا تتعلق بالتبسيط بل تتعلق بالمنهج وتوعيته المعلومات وطبيعة الوثائق ، كنا تتعلق في النهاية بالاستنتاجات المبنية على هذه الامور كلها . ولو كان الاسلوب المبسط منانيا للعلمية لكانت كتابات لينين وماوتسي تونغ وهوشي مينه وجيفارا غير علمية ، لجرد انها تتسم ببساطة متناهية تدهش الكتاب الغربيين ، كنا تدهش مثقفي الطقات « الثورية » الذين يطرحون افكارهم ، المروض انها موجهة لاوسع شرائح الشعب ، بأسلوب معتد ، ومفردات مختارة من قاموس الحلقة المفلقة ، الامر الذي يجعل كتاباتهم « صرخة في واد » لا يسمعا من ينبغي ان يسمعا . ومن هنا نرى ان البساطة لا تنفي العلمية كما ان التعقيد

النضج الثوري في هذه الاقطار لم يصل الى نقطة الزروة اللازمة لتفجير الثورة الاجتماعية . وما دام الامر كذلك ، فان اكتساب التقنية عن طريق الاستعانة بتقنية الدول المتقدمة هو السبيل الوحيد حاليا امام الدول العربية الغنية ، التي لا تزال رغم غناها دولا نامية .

ولاكتساب التقنية اهمية ثورية بالاضافة الى اهميتها الاقتصادية . وتكمن هذه الهمية الثورية ، في ان التقنية مدخل الى التصنيع والتعليم وابداع الظروف اللازمة لخلق البروليتاريا والفلاح المستنير والانلجنسيا . الامر الذي يعجل ظهور الظروف الموضوعية للثورة ، سواء كانت ثورة بورجوازية ضد الاقطاع او ثورة اشتراكية على البرجوازية بمختلف شرائحها . لهذا فان الدعوة الى اكتساب التقنية عمل ثوري والدعوة الى تعاون رؤوس الاموال العربية مع التقنية المتقدمة طرح تقدمي ، لانه يشكل البديل العملي لتوظيف رؤوس الاموال العربية الفائضة في الخارج ( عقارات ، بنوك ، شركات ) ، بكل ما في هذا التوظيف من مخاطر ، وبكل ما تبثله من نزيف لرأس المال العربي بدلا من ثمره لانهاء الوطن العربي .

ولكن لماذا ينبغي ان يتعاون رأس المال العربي مع التقنية الاميركية ؟ ان البلدان العربية الغنية الراديكالية ( العراق وليبيا ) قادرة على تحقيق هذا التعاون مع التقنية السوفياتية ، ولكن البلدان العربية الغنية التقليدية ترفض هذا التعاون . ولا يمكن ان تقبل به طالما ان الطبقات الحاكمة فيها حاليا موجودة في قمة هرم السلطة ، وهذا ما يعيدنا من جديد الى مسألة التغيير في هذه البلدان وامكاناتها العملية في المستقبل المنظور ، لان الامور في هذا المجال لا تقاس بالرغبات الذاتية بل بالامكانيات والظروف الموضوعية ، وحسابات الممكن وغير الممكن في حقبة زمنية معينة . وبالإضافة الى ذلك ، فان الدول الاشتراكية المتقدمة ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي ، بحاجة للتقنية الغربية في بعض المجالات ، وهذا هو احد اسباب سياسة الوفاق التي يسير عليها السوفيات في الوقت الحاضر . ان طرح مسألة تعاون رأس المال العربي مع التقنية الاشتراكية حيثما يمكن ذلك ، وتعاون رأس المال العربي مع التقنية الاميركية حيث لا يمكن التعاون مع المعسكر الاشتراكي

خيرتنا ومنع وحدتنا ، ولكنها تعني افهام الاميركيين ، بشكل عملي وحازم ، ان مصالحهم الحالية نفسها مهددة بالخطر اذا ما تابعوا دعم ايران واسرائيل لحماية هذه المصالح ، وان اقتصادهم ومستوى الحياة في بلادهم مهددان بالتدهور . وتكون هذه هي المرحلة الاولى من شق معسكر العدو . وعندما يتخلى العدو الامبريالي عن امتداداته المحلية التي لم تعد تؤمن مصالحه ، يتبع الشرخ ويتم الانتقال الى المرحلة الثانية من الصراع حول المصالح الحالية الموجودة التي لا يمكن للعرب ان يتطوروا اجتماعيا واقتصاديا الا اذا استطاعوا تصفيتا بشكل كامل . وهكذا فان مسألة طرح التناقض بين مصالح اطراف المعسكر الامبريالي مرتبطة بتقسيم الصراع الى مراحل ، واستخدام التكتيك المناسب لكل مرحلة في سبيل تحقيق هدف استراتيجي يتصل بالقضاء نهائيا على هذه المصالح . وفهم الطرح المذكور في الكتاب بشكل اخر غير هذا الشكل ، يدل على ان بعض « التقدميين » العرب ، الذين لم يفهموا التكتيك اللينيني جيدا ولا يستطيعون تأمين التمرح ، يقعون خلال النضال في اخطاء لا تقل خطورة عن اخطاء البورجوازيين المستعدين لتحويل التكتيك الى استراتيجية .

#### التعاون مع الامبريالية في مجال التنمية : ينتقد

السيد نويهض مقلتنا حول ضرورة تعاون رؤوس الاموال العربية والارابية مع التقنية الاميركية . ولكنه لا يقول لنا لماذا . ولا يسمنا في هذا المجال الا ان نؤكد ان العالم مقسم اليوم الى دول نامية ودول متقدمة ( بعضها اشتراكي والبعض الاخر رأسمالي ) . ولا تستطيع الدول النامية ردم الهوة القائمة بينها وبين الدول المتقدمة الا اذا اكتسبت تقنية الدول المتقدمة . ومن المؤكد ان الحصل الاصل لاكتساب التقنية المتقدمة وتحقيق التطور الاقتصادي - الاجتماعي ، والخروج من التخلف الى التقدم ، هو السير على طريق **التحول الاشتراكي العلمي** . ولكن هل تبدو الاقطار العربية التقليدية الغنية مؤهلة اليوم لعملية التحول الاشتراكي ؟ وهل تستطيع القوى التقدمية في هذه الاقطار تبديل الانظمة بانظمة مؤهلة لتبني النظام الاشتراكي ؟ ان كل الدلائل تشير الى ان هذا الامر غير وارد على المدى المنظور ، وان

( لاسباب ايدولوجية لا يمكن في الوقت الحاضر تجاوزها ، او لاسباب تقنية بحتة تتعلق بمستوى التقدم السوفياتي في هذا المجال او ذاك ) - امر عملي ومنطقي لا يمكن رفضه الا استنادا لقاعدة الرفض المجرد ، او استنادا الى احتمالات هبوط التقنية على العرب بقدره قادر ، او اعتقادا منه بان الانظمة التقليدية ( الموجودة بكل تكوينها واجهزتها والعقلية السائدة فيها ) مستعدة غدا للتعاون التقني مع السوفيات (!)

#### مسألة التوجه نحو المعسكر الاشتراكي :

المعسكر الاشتراكي حليف لكل قوى التحرر نسي العالم . هذا امر لا شك فيه ، ولكن السياسيين العرب الراديكاليين لم يكتشفوه صدفة ، ولم يتوجهوا للحصول على السلاح من الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٥٥ الا بعد ان حجب الغرب عنهم هذا السلاح ، رغم حاجتهم اليه . ويبدو اليوم واضحا في الوطن العربي وفي العالم الثالث بشكل عام انه كلما ازداد الضغط الامبريالي في منطقة من المناطق ، توجهت هذه المنطقة نحو المعسكر الشرقي . والمثالان الهندي والياباني احدث الامثلة في هذا المجال . وهناك من ينظر الى هذا التوجه بمنظار تكتيكي ، ويعتبره عامل ضغط قد يؤدي الى تخفيف الضغط الامركي . ويساوم هذا النوع من الدول واشتد للحصول على اغراضه مقابل تخفيف تعاونه مع السوفيات ، وهو يفقد بذلك عادة دعم السوفيات ولا يحصل على ما يطلبه من الاميركيين الذين يعرضون الكثير نسي

حالة وجود السوفيات. ثم يتهربون عند خروجهم . ولكن هناك من ينظر الى هذا التوجه بمنظار استراتيجي ، ويخرج من دائرة النفوذ الامركي نهائيا . وعندما نقول ان السياسة الاميركية في المنطقة اخطاء في اخطاء فاننا نعني انها اخطاء بالنسبة لمصالحها ، لانها ادت الى زيادة التغلغل السوفياتي في المنطقة ، سواء كان هذا التغلغل نتيجة تكتيك تتبعه بعض دول المنطقة او نتيجة لاستراتيجية بعيدة المدى . وعندما نقول ان تغيير السياسة الاميركية يتطلب شرطين احدهما ازالة آثار الاخطاء السابقة - واكبرها خلق اسرائيل ودعمها ومساعدتها على العدوان - فاننا نقصد ولا شك ان هذا التغيير قد يدفع الدول المتحالفة مع السوفيات تكتيكا الى اعادة النظر في هذا التحالف ، لقاء ثمن كبير هو ازالة آثار الاخطاء . اما الدول المتحالفة مع السوفيات استراتيجيا ، والتي تعتبر نفسها جزءا من المعسكر المعادي للامبريالية ، فانها ستحافظ على هذا التحالف مهما كان الثمن .

والخلاصة ان السيد وليد تويبيض نظر الى المسائل السياسية والاستراتيجية المطروحة في الكتاب نظرة جمودية ، ومن قوالب نظرية بحتة ، دون محاولة تطبيق هذه النظريات على الواقع بشقيه الذاتي والموضوعي ، وبكل جمعياته العالمية والمحلية .

سلمى حداد

## رد على ملاحظات عبد القادر ياسين المنشورة في شؤون فلسطينية العدد ٤٧

فلسطين . وقد عرف عن هذا الحزب عداءه الشديد للحركة الوطنية الفلسطينية بشكل عام ، وقيامه بدور بارز في ضرب ثورة الشعب الفلسطيني ( ٣٦ - ٣٩ ) .

سأتف الان امام نقاط عبد القادر ياسين ، وخصوصا تلك التي لا تحمل مدلولاً سياسياً ، لان المهم ليس حمدي او فهمي ، بل المهم من وجهة النظر الطليعية البعد السياسي لاي خطوة بغض النظر عن صاحبها .

بالنسبة ( ١ و ٢ و ٣ ) وبرغم تفاصيل واعتذارات عبد القادر ياسين ، لكن هل اكد واقعة « التعمين » أم نفاها . وهو ما كان عبد القادر نفسه قد اشار اليه في تقريره بمجلة الطليعية . وهل رد بهذا علي أم على نفسه أم على ماهر رشدي الشوا . وهي النقطة الفصل في هذا الموضوع كله . وليس حمدي او فهمي ، وعبد القادر ياسين هو الذي يتحمل مسؤولية هذا اللبس ، برغم انها تفصيلية لا تغير أو تبدل من مدلول تعيين رشدي الشوا السياسي .

بالنسبة لـ ( ٤ ) يقول عبد القادر ياسين في تعليقه ، ان رشدي الشوا لم تتم اقالته من البلدية بل اوعدت الادارة المصرية الى المجلس البلدي بتقديم استقالته بحيث يصبح ممها رئيس البلدية مستقلاً بالتعبية . . لان المقصود هو ضرب رشدي الشوا فحسب . . ولكن عبد القادر في الطليعية سبق وقال « اقصته الادارة المصرية عن رئاسة البلدية عام ١٩٥٢ » ولم ينق عبد القادر حجة الواقعة بل ووضح الشكل الذي تمت به ، واني لانسأل القارئ أيختلف المعنى السياسي للحدث لو تبدل الشكل الذي تمت به الامور من « اقالة » الى « اقصاء » . الا يعكس هذا الحدث بغض النظر عن الشكل الذي تم به موقفاً سياسياً من قبل الادارة المصرية تجاه رشدي الشوا . وقد تناسى عبد القادر ياسين عن عمد ان « اقصاء » قد تم بعد اقل من شهر واحد من قيام الثورة المصرية أي ان الموقف هو موقف الثورة المصرية التي قامت في ١٩٥٢ وليس موقف الادارة المصرية التي وجدت في غزة منذ ١٩٤٨ .

كتب عبد القادر ياسين تعليقا على تعقيب علي الشوا في عدد شؤون فلسطينية رقم ٤٧ . وما هو اكثر اهمية من النقاط الخمس عشرة التي تضمنها التعليق المذكور ، هو شرف الكلمة التي كان يجب التقيد بها . لان احداً عندما يقع في خطأ ما ، عليه ان يصحح خطأه من حسابه هو ، لا من حساب الآخرين . وبدلاً من الانتظار ثلاثة اعوام ليصحح ما كان قد كتبه عبد القادر ياسين في الطليعة عدد ١٠ ( ١٩٧٢ ) كان عليه ان يضمن معلوماته ذلك التقرير وكان وفر جهداً علينا جميعاً .

وقبل الرد على الكاتب سوف اثبت بالحرف ما كان قد قاله في الطليعة ولم ينهه او يعتذر عنه يقول في الطليعة عدد ١٠ ( ١٩٧٢ ) وليس ٧٤ ما يلي : « ثم أصبح رشدي الشوا رئيساً لبلدية غزة ، ابان الانتداب البريطاني على فلسطين بالتميين ، وبالرغم من فوز منافسه فهمي الحسيني عليه في الانتخابات التي اجريت في غزة في الاربعمينات . ثم اقصته الادارة المصرية عن رئاسة البلدية عام ١٩٥٢ . وعندما احتلت اسرائيل غزة عام ١٩٥٦ ، اقضت رئيس بلديتها ، منير الريس ، وعينت بدلا منه رشدي الشوا ، الذي اعتقلته الادارة المصرية لدى عودتها لتطاع غزة ، في آذار ( مارس ) ١٩٥٧ . أما مسعدي الشوا فقد كان أمين سر حزب مؤتمر الشباب الفلسطيني ، منذ عام ١٩٣٤ ، وعرف عنه نشاطه الكبير في السمرة لحساب الحركة الصهيونية في بيوع الاراضي . وفي عام ١٩٥٨ ، جرت محاكمته في غزة بتهمة الاتصال بالنظام الهاشمي في الاردن وتدبير انقلاب لحسابه في قطاع غزة . وقد اصدرت المحكمة حكمها باعدام مسعدي ، الا ان هذا الحكم خفف الى المؤبد ، بفضل وساطة شكري القوتلي ، المواطن العربي الاول انذاك ، لدى الرئيس عبد الناصر ، وقد توفي مسعدي عام ١٩٦٨ . اما شقيقه عادل فقد كان اكثرهم وضوحاً في عدائه للشعب . اذ كان عضواً في الهيئة المركزية لحزب الدفاع الوطني الفلسطيني ، وهو الحزب الذي عبر عن الثورة المضادة في فلسطين ، والذي كان يدعو علناً للتعامل مع الانتداب البريطاني في

.. وحول (٦) حاول عبد القادر ياسين ان يمدح رشدي الشوا فائرا سؤالاً عاماً جداً لماذا « لعب الشوا دوراً لا يمكن انكاره في وقف هذه الاعتداءات ؟ ولماذا عجز الرئيس عن التصدي لاعتداءات الجنود الاسرائيليين على بيوت واعراض الاهالي ؟ كما يقول الكاتب . اهي مسألة قدرات شخصية وكفاءات فردية ام ماذا ؟ بالتاكيد ان اختيار الشوا كان اختياراً للمحاور المناسب والمقبول من سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، الامر الذي ترتب عليه تسليم المحاور المناسب رئاسة البلدية ، وارسال المحاور غير المناسب الى السجن ، واعتقد ان عبد القادر ياسين يعرف جيداً دلالة ان يكون شخص ما مقبولاً من اسرائيل ومتعاوناً ، وشخص اخر غير مقبول وغير متعاون !! واما عن دور الشوا في وقف اعتداءات الاسرائيليين ، فاننا نسال عبد القادر ياسين عما يمكن ان يقوم به الاسرائيليون في غزة اضافة لما قاموا به . وما على الكاتب سوى العودة الى كتاب — ملف أعدته ادارة فلسطين في جامعة الدول العربية بعنوان « الاعتداء الاسرائيلي على قطاع غزة وسجناء — ١٩٥٧ الذي أشار الى سقوط ٢٦١٢ ضحية من أهالي القطاع ليكتشف بعدها ان تاموس الارهاب الاسرائيلي لا يمكن ان يتسع للمزيد .

وأما حول دور منير الرئيس في تشكيل جبهة وطنية ، وان هذا مجاف للصحة ، وعن ان جبهتين قد شكلتا ، لذاكرة الكاتب نقول ان جبهة واحدة قد شكلت في البداية ، وان انقسمت بعد ذلك الى جبهتين بعد الخلاف السياسي الذي نشأ بين اطراف الجبهة حول النظرة للعدو ومنشور رقم ٢ الذي قام الشيوعيون بتوزيعه وكان سبب الخلاف وبالتالي ترك الشيوعيين للجبهة ، وكان الرئيس احد الشخصيات التي ساهمت في بداية تشكيلها ولم يستمر في العمل بها لانه دخل السجن ، واعتقد ان منير الرئيس عقره المقبول في توقف عضويته بالجبهة التي شكلت لمقارمة الاحتلال !! واما لماذا لم يشر ياسين لهذه الواقعة فتلك مسألة اخرى نترك للقارئ الحكم على مدلولها .

وأما ابن استشهد محمد علي المشرف ، اعتدى كسان يسير خلال المظاهرة ام عندما صعد ليرفع العلم . وكان يسحب بجانبه دراجته ام لا ؟ فهي عملية تهيئت لنضال ذلك الشهيد ولدوره حيث

ولم يكشف لنا عبد القادر ياسين كيف ان الشوا «توسع في كشف اخطاء الادارة المصرية» . خصوصاً وان كل ما يذكر عنه موافقته على دعوات نقل القوات البريطانية من قناة السويس الى غزة في العام ١٩٥١ .

فني مقابلة للشوا مع مجلة المصور المصرية العدد ١٤٥٠ بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٥١ ، ابدى رغبة في الاتصال بالانجليز والامريكين « لنستطيع التنفس » الامر الذي دفع الهيئة العربية العليا الى اصدار بيان في ٥١/٩/٢٠ تستنكر فيه ما نشر في المصور حيث قال بيانها « اتجهت جهود المتآمرين الى تصفية قضية فلسطين نهائياً بانتزاع قطاع غزة من ايدي العرب .. وان عرب فلسطين الذين أحرق الاستعمار البريطاني اكيادهم واضاع بلادهم .. يرفضون استبدال المستعمر قطاع غزة بقناة السويس .. ويجب اقضاء الاستعمار عن البلاد العربية قاطبة » .

بعد شرح ما يسميهما عبد القادر ياسين « ملايسات » توسع رشاد الشوا في كشف اخطاء الادارة المصرية وسلباتها نستطيع ادراك الهدف من وراء نشاطات رشاد الشوا وتناغم دعواته تلك مع دعوات تسليم غزة لبريطانيا كي تتقل قوتها الى هناك . اذا كان عبد القادر ياسين يعتقد ان مثل هذا الموقف جدير بالتقدير فله الحق في الاعتقاد كما يريد . ولكن كم تمنى ان يتذكر عبد القادر ياسين البيهية التي تقول ان شخصي القائل مهم ، والهدف من القول مهم ، والظرف الذي تتم في ضوءه مهم ايضا .

وأما بشأن (٥) واعتراض عبد القادر ياسين على تقييمنا لطبيعة علاقة منير الرئيس بالناس وانه « مالك زراعي كبير وان فقد بعض املاكه في سبيل سد التزامات القيادة » . هنا لن ندخل في جدل حول حجم ملكية منير الرئيس وان كنت اجد مسألة ذات دلالة خاصة ، وتزيد من تقدير الانسان لمنير الرئيس ، لاننا لم نعمود على زعماء تكلفهم المسؤولية ببيع املاكهم ، بل تعودنا على اشخاص زادت السلطة من ثرواتهم . وكلام عبد القادر ياسين يؤكد بدون ان يقصد الكاتب ان منير الرئيس نموذج مختلف للقيادة وهو الذي باع جزءاً من املاكه .. بدل ان يضاعفها .

الإدارة الى اعتقال الشيوعيين ، فتنفد بذلك  
سندها الشعبي الرئيسي انذاك . وعندها تقوم  
مجموعة الانقلاب المنتظر بتوزيع المجموعة الثانية  
من المنشورات . وتنفذ انقلابها دون ما مقاومة  
تذكر ، بعد ان تكون الإدارة المصرية قد ضربت  
اصدقاءها الشيوعيين بنفسها . وعند القبض على  
سعدى وجد لديه بندقية ومسدس غير مرخصين ،  
ومنشور كانت السلطات الاسرائيلية قد وزعته  
في القطاع عند احتلالها له . وطبعاً ، اتهم سعدى  
بحيازة اسلحة بدون ترخيص بهدف استخدامها في  
قلب نظام الحكم بالقوة بالاضافة الى حيازة  
منشورات اسرائيلية وتعامل مع العدو .

ويقتضى الامر الاشارة الى ان مصطفى ابو  
مدين غرر بسعدى وشجعه ، بعد ان كان الاخير  
غض النظر عن الانقلاب بعد افراج السلطات  
المصرية عن اخيه رشدي . ويتأكد ذلك عندما قرر  
التهم سعدى الشوا امام المحكمة انه سلم قياده  
لمصطفى ، وعندما قرر مدير المخابرات المصرية  
في قطاع غزة ، في شهادته امام المحكمة ، ان  
المخابرات المصرية ملته بامر الانقلاب قبل وقت  
من اعلام مصطفى ابو مدين له .

أن السؤال الموجه لعبد القادر ياسين ، الذي  
اقر - برغم تبريره - بدور سعدى الشوا  
بالمؤامرة ، لمصلحة من التفاصيل التي اوردها وما  
الهدف من ايرادها ؟ ولماذا فرق في التفاصيل ،  
ولم يتكلم بالقول لعلي الشوا ان المؤامرة التي  
نناها هي حقيقة ؟ ولماذا لم يطالب بمحاكمة  
مصطفى ابو مدين بتهمة التفريغ ( بتناصر )  
وجزاؤها ستة شهور سجن !! وما على عبد القادر  
ياسين الا ان يقول ببراءة سعدى الشوا الذي  
( غرر ) به ان كان قد ( غض النظر عن الانقلاب ) !  
( وأسلم قياده ) لمصطفى ابو مدين !! ولكن أهذا  
النوع من الرجال هو سعدى الشوا ؟! ايكن  
التقرير بين كان « امين سر حزب » منذ عام ١٩٣٤  
كما سبق لعبد القادر ياسين ان ذكر في عدد  
الطليلة المذكور . ايكن التقرير بشخص كان قد  
مضى على وجوده في الحياة السياسية ٢٤ عاماً  
منذ ١٩٣٤ حتى ١٩٥٨ ؟ وهل كثير او غريب ان  
يتآمر او يتصل بالهاشميين على من عرف عنه  
نشاطه الكبير في السمسرة لحساب الحركة

سقط وهو يرفع العلم . وكما يحاول عبد القادر  
ياسين سلب الشهيد مشرف شرف استشهاده  
بتحويلها الى عملية قتل عادية فان الكاتب يحاول  
ان يعطي لقوات الطوارئ شرقاً ليست جذيرة به ،  
فهي لم تفرج عن السجناء السياسيين ، لان  
مؤامرة التدويل كانت تسير على قدم وساق ،  
وما دام عبد القادر ياسين يقر بمؤامرة التدويل  
وباطلاق القوات الدولية للنار على المنظرين  
فكيف تقوم نفس القوات بالانفراج عن السجناء  
السياسيين وهو عمل سيكون له اثره في افضال  
مخططاتها . ابن المنطق ولماذا التبسيط . الواقعة  
التي يرويها الجميع والمنسجمة مع نفسها بشكل  
منطقي : المظاهرات الحاشدة تطالب بعودة الإدارة  
المصرية . قوات الطوارئ تتصدى لها . الشهيد  
مشرف يسقط وهو يحاول رفع العلم . الجماهير  
الغاضبة تستفز . قوات الطوارئ تضطر  
للتراجع . الجماهير تستكمل زحفها وتكسر باب  
السجن . هكذا سارت الامور . وهكذا اجهضت  
مؤامرة التدويل واخرج السجناء السياسيون .

وبشأن مؤامرة فصل القطاع التي قادها سعدى  
الشوا ، اريد ان اطرح سؤالاً على عبد القادر  
ياسين . ايقر بالمؤامرة ام لا . في حديثه بالطليلة  
وكذلك في شؤون فلسطينية يقر ، اذا ابن  
اعتراضه ؟ وقد اورد عبد القادر ياسين تفاصيل  
وكانني به يريد القول ان سعدى الشوا برىء  
ويشرح بشكل مؤثر دواعيه فيقول : سعدى هذا  
أخ غير شقيق لرشدي ، ساءه ما اصاب اخاه في  
« السجن الحربي » من اهانات . وبسبب تفكيره  
اليمني وولائه السابق للأسرة الهاشمية ، اجرى  
سعدى اتصالاً بالنظام الهاشمي لتدبير انقلاب في  
القطاع . وتحالف لتحقيق هذا الهدف مع مصطفى  
ابو مدين ، الذي لم يكن سوى مندوباً لسدى  
المخابرات المصرية ، فوشى به . وانتظرت  
المخابرات الفرصة للقبض على سعدى متلبساً .  
وجاءت الفرصة حين وصل بعض الفدائيين الحناجرة  
( قبيلة ابو مدين ) بمنشورات من الاردن للتهييد  
للانقلاب . وكانت المنشورات من نمطين : الاول  
كتب بأسلوب الشيوعيين والثاني في صياغة  
« وطنية » حسب تعبير المخططين الاردنيين !  
ونصت الخطة على توزيع المجموعة الاولى من  
المنشورات التي تهجم الإدارة المصرية ، بما يدفع

قد القوا خطباً في ذلك المهرجان أعلنوا موافقتهم على حل أحزابهم ، إلا مندوب حركة التوميين العرب والذي كان آخر الخطباء ، وأكد تمسكه بالقضايا السياسية التي كانت الحركة قد تبنتها وطرحها للشارع الغزاوي كتنصير للكيفية التي يجب أن تكون عليها منظمة التحرير الفلسطينية ، وأعلن في نفس الوقت تمرار الحركة بعدم حل نفسها وأدان أولئك الذين حلوا أحزابهم « لأن من هو أمين لمبادئه لا يتنازل عنها وعن أداتها التنظيمية » . ان عبد القادر ياسين يعرف ان الحاكم الاداري العام عندما فشل بايقاف الخطيب ، عن الكلام بسبب موقف الحضور ، انسحب واكمل الخطيب كلمته .

وعندما جرت انتخابات-التنظيم الشعبي كانت حركة التوميين وحلفاؤها السياسيون هي في متقابل تحالف ( كل ) القوى التي سبق لها ان حلت نفسها والتي كانت ملتقبة في موفتها من منظمة التحرير مع موقف الادارة المصرية والذي سبق الاشارة اليه ، ولعل في موقف الادارة المعادي لمرشحي التوميين العرب اثرا يذكر في مزيد من الالتفاف الجماهيري حولهم . واذا كانت « حدود علم » عبد القادر ياسين ان احدا من اعضاء اللجنة التنفيذية لم يترشح في تلك الانتخابات ، فان « حدود علم » عبد القادر ياسين ليست هي حدود العالم وعضو اللجنة التنفيذية المعني هو الدكتور حيدر عبد الشافي ومنافسه الناجح كان « يونس الجرو » المحامي المتخرج حديثا الذي كان يعمل موظفا في ادارة الشؤون القانونية بالجنس التشريعي الذي كان يشغل رئاسته الدكتور عبد الشافي حتى تم تعيينه في اللجنة التنفيذية . ويونس الجرو ما زال حتى الان يقبع في السجن وحكوم بتهمة عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وغسل الدكتور عبد الشافي يجسد موقفا جماهيريا من القضايا التي كانت مطروحة اكثر من كونها موقفا شخصيا منه ، وهو الذي نكن له كل احترام على الصعيد الشخصي وهو الذي شغل رئاسة المجلس التشريعي في قطاع غزة مدة طويلة . ولم يترك منصبه الا بعد انتخابه عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير .

وكي يعرف عبد القادر ياسين المناخ الجماهيري

الصهيونية في بيع الاراضي كما قال عبد القادر ياسين في الطليعة .

ان عبد القادر ياسين الذي ناقض ما سبق وكتبه في العام ١٩٧٢ ، لم يكن امينا مع التاريخ ايضا اذ حاول النيل من حركة التوميين العرب عند حديثه عن احتضان الادارة المصرية لها وعن ان الاجهزة الرسمية وبكافة اجهزة الامن المصرية ظلت تحتضن حركة التوميين العرب منذ وفدت الى القطاع في اواخر العام ١٩٥٧ وحتى وقوع نكسة ١٩٦٧ اضافة الى وقائع اخرى نثرها هنا وهناك ادعاه وقائع تاريخية وفيه لوقائع اخرى ، متناسيا انه لم يكن يمسك بين يديه لسان الميزان الذي يحرك التاريخ . وبشأن الفقرات ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ ، الميثة بالادعاء والتزوير ، لا بد من ايضاح ما يلي :

ان حركة التوميين العرب وبرغم انها كانت جزءا منظما من التيار الناصري الذي قاد الحركة الوطنية العربية طيلة عقد من الزمن ، فانها لم تفقد استقلاليتها التنظيمية ، بل على العكس من ذلك فان تطورها قد اتخذ اتجاهها متعاكسا نسبيا للتطور الذي سارت عليه الناصرية كمواسمات وكتظام ، الامر الذي ادخل العلاقة بينهما في عدة مآزق سياسية انتهت بالطلاق الكامل بعد ١٩٦٧ وكانت تعبيرا عن طبيعة تطورهما واختلاف نظراتهما تجاه الامور ؛ فمن الصدام الصعب مع الاجهزة الرسمية المصرية في الين عام ١٩٦٦ بشأن دمج الجبهة القومية بتحالف السلاطين والسياسيين التقليديين ممثلا بجبهة تحرير الجنوب الى صدام الحركة بفرعها الفلسطيني وبالتحديد في قطاع غزة مع الاجهزة الرسمية المصرية التي كانت مع ما سمي بعقد مصالحة وطنية في قطاع غزة وذويان كافة القوى السياسية في منظمة التحرير التي كانت تحظى بدعم ومباركة الاجهزة المصرية . وعبد القادر ياسين يعرف بأمر مؤتمر المصالحة الذي عقد في ١٩٦٦ والذي عقد تحت دعوة الجميع كسي « يتخلوا عن حزبيتهم والانصهار في منظمة التحرير » كما دعا الحاكم الاداري العام حينذاك للسواء العجرودي في خطبته التي القاها في افتتاح المؤتمر المذكور .

ويعرف عبد القادر ان ممثلي ( كل ) الاحزاب

سياسيا وعسكريا واقتصاديا وان لا تكون الكلمة الاخيرة لمجلس الجامعة بل تكون لاهل فلسطين والا فسيكون هذا كيانا فلسطينيا لجامعة الدول العربية وعلى مزاجها . ونحن نريد كيان فلسطيني على مزاج اهل فلسطين .

واما بشأن قول عبد القادر ياسين بان « طلائع المقاومة الشعبية » لم تضم كافة القوى الموجودة في القطاع بل اقتصرت على القوميين العرب واثنين من خلفائهم هما فاروق الحسيني وابن عمته منير الرئيس كما لم تشكل الطلائع الا في تشرين الثاني وليس تموز ١٩٦٧ وثمة جبهة غيرها لعبت الدور الاساسي في نضال القطاع في المدة المشار اليها هي الجبهة الوطنية المتحدة ، هنا نقول لعبد القادر ياسين :

١ — شكرا لاعلامنا بان منير الرئيس هو ابن أخت أب فاروق الحسيني ! برغم ان احدا غير معنى بحسب ونسب فلان وعلان .

٢ — عندما نقول ان طلائع المقاومة الشعبية قد ضمت كافة القوى الموجودة في القطاع ، فاننا نرجو ان نضيف جملة تعريفية بالقوى المقصودة ، اننا نعني القوى الملتزمة بخط الكفاح المسلح .

٣ — اما بشأن دور الجبهة الوطنية الاساسي في نضال القطاع : لن نعلق على هذه التغطية شيئا لاننا لا نستطيع ان نقول لعبد القادر ياسين الكلام الذي يجب ان يقال ولكن ، ذات مرة سرت في قطاع غزة اشاعة تقول : ان قبور الشهداء تتحرك وان الشهداء يتملطون في قبورهم وأصابع جيفارا غزة ويوسف الخطيب ، وكل الرجال التي كانت تعرف كيف تكتب التاريخ بالدم والرصاص ، التاريخ الذي كتبه لا يستطيع كل حبر المسالم ان يمحيه .

وما تبقى تفاصيل .

نشير عليه بمراجعة الوثائق الفلسطينية وبالذات جلسة المجلس التشريعي المنعقدة في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٣ وما تلاها حتى لا ينجأ بسقوط احد اعضاء اللجنة التنفيذية في الانتخابات التي جرت بعد ذلك . يقول عضو المجلس التشريعي ، وهو المحامي جمال الصوراني ، ما يلي : « ان تاريخنا مع جامعة الدول العربية تاريخ مليء بالثقل والشك والارتياب منذ ١٩٤٨ عندما تسلمت زمام قضيتنا وهي تسلك بنا معارج ملتوية . لا ندري لها اول من اخر . ففي ١٩٥٩ تقدمت الجمهورية العربية المتحدة بمشروع قرار لابراز الكيان الفلسطيني ونام في ادراج جامعة الدول العربية والان قرأنا في الجرائد ان جامعة الدول العربية تسرت ان يكون السيد احمد الشقيري ممثلا لفلسطين في جامعة الدول العربية واغلب ظني لو ان المرحوم احمد حلمي باشا لم يتوفى لما اثير هذا الموضوع لان وقت جامعة الدول العربية عزيز وغال لا يتسع لقضية فلسطين ، قضية العرب الاولى واغلب ظني انهم اكتفوا ان يملأ السيد الشقيري كرسي فلسطين وان يشكل الوفد . اما ابراز الكيان الفلسطيني فاجلوه لشهر شباط ١٩٦٤ لان هذا الموضوع ليس حيويا ولا يهم العرب ولو تأخر خمسة شهور او ستة وحتى لو اجتمعوا في شباط فقد يؤجلوه الى شباط ١٩٦٥ وهكذا دواليك ... واننا اذا اردنا ان نقول كلمتنا في قضيتنا ونفي مصيرنا فان هذه القضية وهذا المصير يجب ان يكون بمنأى عن جامعة الدول العربية والا فسيكون هدف الجواز الفلسطيني هو تليل أمزجة اعضاء جامعة الدول العربية ... ان تاريخنا مع جامعة الدول العربية ليس تاريخنا مشرفا بالنسبة للجامعة . كما دائما بالنسبة لها مغدورين ولذا فاننا اتقول ان هذا الكيان الفلسطيني عندما يبرز يجب ان يكون بعيدا عن أمزجة الجامعة واهضاء مجلس الجامعة ويجب ان يكون اهل فلسطين لهم كل السلطة بالنسبة لفلسطين وفي مدمسهم

**حسين ابو النمل**

[ ١ ]

## كيف يتم احيانا الوقوع في فخاخ الصهيونية

مبادئها في هذا المجال ، ولذلك قاومت انشاء دولة اسرائيل العنصرية المتطرفة في عنصريتها . وبما ان دستور المملكة هو القرآن الكريم ، والقرآن يحرم التمييز العنصري القائم على أسس الجنس واللغة واللون ، فان الحكومة السعودية لا يمكن بحال من الاحوال ان تكون حكومة تمييز عنصري او ديني . وعلاوة على ذلك فان حقوق السيادة تمنح كل دولة حرية التصرف بأمورها فتقبل في اراضيها من تقبل وترفض فيها من ترفض . واخيرا فان سفارة السعودية ترى في محاولات اتهامها بالعنصرية مؤامرة مبيتة تستهدف افشال زيارة وزير خارجية هولندا للسعودية ، تلك الزيارة التي ستساهم في تدعيم الروابط بين البلدين والشعبين . ان توجيه تهمة العنصرية لسفارة السعودية محاولة مدموسة تستهدف نسف العلاقات الطيبة بين البلدين وتستهدف ضرب مصالحهما التقليدية المشتركة ، كما تهدد باثد المخاطر مصالح هولندا بالذات .

ومنذ أن اشتمت الصحف الموالية لاسرائيل رائحة هذا الخلاف الدائر بين سفارة المملكة السعودية ووزارة الخارجية الهولندية ، اخذت تنفخ فيه هواء حقدتها وانتهازيتها ، مما زاد الامر تعقيدا بطبيعة الحال بالنسبة لحكومة هولندا . فمئذ أشهر وصحف الصهيونية وبعض البرلمانين المؤازرين لها يثيرون بصورة مشبوهة وواضحة الاغراض ، قضية أسموها قضية « التمييز العنصري » لدى الدول العربية التي تصر على شهادات موثوقة من طالبها تأشيرات السفر الاجانب تتر بأنهم غير يهود ، في سبيل السماح لهم بدخول بعض البلاد العربية . وقد كان التوقيت في هذه

قالت عدة صحف هولندية يوم ٧ و ٨ آذار ، ان وزير خارجية هولندا السيد فان در ستول قد يعدل عن زيارته الرسمية للعربية السعودية بين ٢٢ و ٢٥ من الشهر ، ما لم تسمح الحكومة السعودية لجميع الصحفيين الذين ستشملهم رحلته بهرافقه . وكاتت صحيفة اسمها « فراي ندرلاند » قد ذكرت يوم الثامن من آذار ان سفارة المملكة السعودية في لاهاي رفضت منح تأشيرة دخول لصحفي اسمه فان غيسيل بحجة انه يهودي ولكنها امتنعت عن ايراد الاسباب التي ذكرتها السفارة لمدوب الصحفية في حجب التأشيرة عنه . فالسفارة قالت لذلك المدوب ان السعودية خلال التاريخ لم تتصف بأي انحياز ضد اليهود ، كيهود ، ولكن من اختبارات السبع والعشرين سنة الفاتنة تبين لها ان اليهودي اينما اقام يدين بالولاء لدولتين ، الدولة التي يعيش فيها واسرائيل . وبما ان السعودية تعارض ازدواج الولاء والجنسية ، وتعارض قيام دولة اسرائيل المشادة على اسس عدوانية وعنصرية ، فان من حثها رفض دخول اليهود اراضيها .

يوم ٧ آذار قالت صحيفة البارول الاشتراكية ان وزير خارجية هولندا صرح قائلا انه سيكون من الصعب التمييز بين الصحفيين الهولنديين على اسس دينية او عنصرية . في الوقت نفسه نشرت الصحفية المذكورة البيان الذي أصدرته سفارة السعودية في لاهاي والذي جاء فيه القول « ان حكومة السعودية من أشد دول العالم مقاومة للتمييز العنصري والديني وانها تاطعت السدول العنصرية قبل ان تقاطعها الامم المتحدة تمسها مع

ليلة الثاني عشر من آذار أعلن السيد فان در ستول في البرلمان وعلى التلفزيون انه قرر تأجيل زيارته للسعودية لوقت لاحق ، مبينا انه يتفهم تماما موقف الحكومة السعودية التي تملك الحق في منح تأشيرات السفر لمن تريد وحجبها عن من تريد بموجب اعراف السيادة الوطنية ، ولكنه لا يستطيع التمييز بين صحفي هولندي وآخر على اساس ديني ، وذلك لان الدستور لا يسمح بالتمييز بين الناس على اساس دينية او عنصرية او سياسية . ومع الاعراب عن اسفه الشديد على تأجيل الزيارة ، اعراب عن فائق امله بأن لا تحول هذه الحادثة دون توطيد العلاقات بين البلدين وهي العلاقات التي تجهد حكومة هولندا بكل طاقاتها للمحافظة عليها وتمتينها وتعزيزها .

صباح الثالث عشر من آذار علقت الصحف الرئيسية جميعا على الموضوع ، والملفت للنظر انها رغم تضامنها اللامع مع السيد فان در ستول ، فقد كانت في غاية التادب والحذر والتمسك بلغة العقل في تحليلها للموقف السعودي ، باستثناء صحيفة الطغراف المحافظة الواسعة الانتشار التي كانت حتى وقت قريب مضى تسند اسرائيل بأسلوب عاطفي سقيم ، وصارت اليوم بدافع مصالحها الاقتصادية تدعم رجال الاعمال الذين اصبحوا يؤثرون مصالحهم مع الاقطار العربية على مصالحهم مع اسرائيل . هذه الصحيفة ، يوم ١٣ نشرت خبرا كبيرا مفاده ان اسرائيل فزعة بسبب تحول رجال الاعمال الغربيين عنها ، متجاهلة قصة فان در ستول تماما ، ولكنها يوم ١٤ آذار سارت مع التيار وقالت ان قرار وزير الخارجية كان قرارا صائبا تماما لان هولندا لا تميز بين الناس في مجال الدين او العنصر . كما لم تشر ابدا الى الموقف السعودي . هذا مع العلم بأن هذه الصحيفة معادية لوزير الخارجية ولحزب العمال الذي يمثلها وهو الحزب الحاكم حاليا .

صحيفة القراو البروتستانتية الكلفانية الصادرة في امستردام قالت انها تقر وزير الخارجية على موقفه لدواع هولندية ومسيحية . فان هولندا لا تفرق بين مواطنيها على اساس دينية . لكن اتهام بعض الصحف الهولندية الحكومة السعودية باتخاذ اجراءات عنصرية اتهام خاطيء تماما . فالسعودية لا ترحب باليهود على اساس سياسي بحت . اكثر

الحملة ذا هدف معين ايضا . كان التوقيت المتقن يستهدف وصول الحملة ذروتها ، عندما تبدأ رحلة وزير خارجية هولندا للسعودية في آذار لتعقبها رحلة مشابهة لمصر في آيار . هذه المصادر نفسها كانت بحملتها التي ابتدأت قبل اشهر تستهدف نفس زيارات قد تؤدي فيها لو تحققت الى تحسن ما في العلاقات العربية الهولندية . ورغم ذلك ، فقد التمس الامر على ما يبدو على سفارة السعودية في لاهاي ، فلم تكن متأهبة له عندما فتحت تلك المصادر النار عليها . ولو كانت متأهبة ، لقامت بأحد أمرين . الامر الاول ، الاكتفاء ببيان تقول فيه انها امتنعت عن منح ذلك الصحفي الهولندي فان فيميل تأشيرة دخول لانه يعمل في اسرائيل مراسلا لبعض الصحف الهولندية ، ويدفع ضريبة عن مرتباته لحكومة اسرائيل ويكتب في عدة صحف اسرائيلية ، وفي هذا ما يكفي من الاسباب لانتاع أي انسان بأنه لا حق لهذا الصحفي بدخول البلاد العربية ، بدون اي ذكر على الاطلاق لواقع انه يهودي او ما شابه ذلك . فالعرب يعرفون ان نضالهم ضد اسرائيل والصهيونية لا علاقة له بالصهيونية . كما يعرفون ان هذا الموضوع يجب ان يذكر بكل اصرار وتكرار كلما سنحت الفرص في سبيل انفساد خطط المفرضين الذين لا يفتأون يذيعون ان العرب يعادون اسرائيل لانهم يعادون اليهود . وهذا ما فات سفارة السعودية لسوء الحظ . ففي بيانها كانت تصر على ان حجب التأشيرة عن ذلك الصحفي كان بدافع الانتفاع بأن كل يهود العالم دون استثناء موالون لاسرائيل العدوانية العنصرية ، علما بأن العرب يعرفون ان من اليهود فريقا معاديا للصهيونية لا يحل اي ولاء لدولة اسرائيل ، وان قيمة النضال العربي ضد الصهيونية واسرائيل لا بد ان تتصدع لدى الآخرين اذا ما صبوا نار عدائهم السياسي على اليهود وليس على الصهيونيين . والامر الثاني ، منح هذا الصحفي تأشيرة فيما لو كان صحيحا ما ذكرته الصحف الهولندية المعتدلة من ان حكومة السعودية منحت اربعة صحفيين اميركيين يهود تأشيرات دخول وهم يصاحبون كيسنجر في احدى رحلاته . فلا يمكن للصحفيين الهولنديين او غيرهم ان يتلبوا بمعاملة الصحفي اليهودي الاميركي بغير ما يعامل به الصحفي اليهودي الهولندي او البلجيكي او الدنماركي .

شديد ، لأنه لم يجد سبيلا لمقاومة الضغط الشديد الموجه له . إن العناصر الصهيونية قوية في حزبه ، وهو حزب العمال الحاكم . والصراع بين رجال الحكم في الحزب ورجال القاعدة ، يجري على أشده منذ أزمة البترول . الحكومة منذ ذلك أدركت خطأ الانحياز إلى إسرائيل ، فكانت لها مواقف ايجابية وسليمة ، وخاصة عندما أمرت مندوبيها في الأمم المتحدة بالامتناع عن التصويت أثناء بحث صفة منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة . تلك كانت المرة الأولى التي لا تصوت فيها هولندا بجانب إسرائيل وامدقاتها . وذلك كانت أول مرة يشهد فيها الرأي العام نقاشا مكشوفنا حادا ومزعجرا بين رجال الحكومة الكبار من جهة والنواب والصحفيين العاطفين على إسرائيل من جهة أخرى ، حول تفسير موقف الحكومة الجديد . ومنذ ذلك الوقت ، وحكومة هولندا متحفظة أشد التحفظ في كل ما تفعله وتقوله أملا في أن تعدل الحكومات العربية نظرتها إليها . بل لقد سميت أكثر من مرة للتهديد لزيارات يقوم بها وزير الخارجية للبلاد العربية . وفي كل مرة ، كانت الصهيونية القوية في هولندا تطع لمبة ما لإنساد هذه الرحلات واحدة بعد الأخرى ، وكانت تنجح . وأغلب الظن أن تهينة الظروف لرحلات يقوم بها السيد فان در ستول ، من شأنها إزالة الكثير من سوء الفهم أو التوتر . وقد يقول قائلون أن هولندا لا قيمة لها في المجال الدولي . وسواء كان هذا التقدير صحيحا أو غير صحيح ، فإن هولندا ستصعب ذات قيمة بالنسبة لصراع الشرق الأوسط فيما لو قدر لها أن ترى صورة ذلك الصراع بصورة واضحة تمام الوضوح . فإن من شأن ذلك أن يجرد إسرائيل من بعض ركائزها داخل المنظمة الأوروبية الاقتصادية . علاوة على ذلك ، نفسي هولندا عناصر شريفة يجب عدم الاستهانة بها ، تستند القضية الفلسطينية وتدافع عن كل قضايا التحرر في العالم وتدعم العالم الثالث في حربه ضد الاستغلال والفقير . وهذه العناصر موجودة داخل لجنة فلسطين الهولندية وداخل اللجان الجامعية وفي الأوساط الثقافية ولحد ما داخل حزب العمال الحاكم . كل هذه المجموعات التي تناصر القضية الفلسطينية ، لحد شن حرب لا هوادة فيها على الصهيونية وإسرائيل ، انتقدت بيان سفارة السعودية لأنها وجدته عنصري الطابع ، رغم

من ذلك أن العرب ما كانوا يوما في تاريخهم الطويل لإسمايين . كل ما هنالك أن الدول العربية تعتبر نفسها في حالة حرب مع إسرائيل التي تحصل على مؤازرة معظم اليهود في العالم . فإذا كان اليهود أعداء للعرب ، في نظر العرب ، فإن هذا أمر مفهوم . والقول أن هذا العداء عنصري ، ليس سوى كليشيه أوروبية قديمة عنى عليها الزمن .

صحيفة ن ر س هاندلسبلاد الروتردامية الليبرالية ، اعربت عن شديد الأسف لهذا التحول ، لأنه قد يعرقل المساعي التي بذلتها حكومة هولندا الحالية في السنتين الأخيرتين ، وبكل صدق وإخلاص ، لتثبيت للعرب أنها غير منحازة لأحد في صراع الشرق الأوسط ، لأنها فريق لا يد له في النزاع . كما قالت أن من سوء الحظ أن يقع هذا الحادث في وقت أصبح فيه الرأي العام الهولندي يعالج قضية الشرق الأوسط بتعقل وحكمة وليس من وحي اضطهاد النازية لليهود ، أو من وحي تأنيب الضمير ، الذي كان في المسابق السر الكامن وراء التعاطف مع إسرائيل .

صحيفة الخمين داخ بلاد الروتردامية المستقلة ، قالت أنه كان من واجب الحكومة أن تدرك سلفا نتائج انضمام صحفي يهودي للوفد المرافق لوزير الخارجية . فإسرائيل عدو سياسي للعرب ، وما كان لحكومة السعودية أن ترحب بذلك الصحفي . في نفس الوقت ، أننا نفهم تماما دوافع وزير الخارجية التي ادت به إلى تأجيل الزيارة ، فهو غير قادر أبدا على التمييز بين صحفي وآخر على أسس دينية .

صحيفة فولكرانت التقدمية الواسعة الانتشار ، والصادرة في أمستردام ، اعربت عن املها بأن يتفهم العرب ، ولو بعض التفهم ، الموقف الهولندي . فتأجيل الزيارة لم يقصد به الإساءة للعرب أبدا . كما أننا نرجو أن تزول العقبات التي تحول بين العرب وتقديرهم للمبادئ الهولندية التي تساوي تماما بين جميع الشعوب .

في الواقع ، لقد عثرت الصهيونية على فجوات في بيان السفارة السعودية عبرت منها إلى صفوف الحكومة وإلى نقابة الصحفيين ، وحصلت على تأييد شبه شامل بضرورة الغاء أو تأجيل رحلة وزير الخارجية . وقام هو بذلك فعلا ، ولو على مضض

او الفترات الحرجة ، لتخريب الفخاخ التي تنصبها الصهيونية للعرب او للرأي العام الغربي . فالتأهب الدائم لمواجهة هذه الفخاخ ، هو الضمانة لعدم السقوط فيها وتعطيل مفعولها بالرد عليها الرد الملائم ، في كل مناسبة ، بما يتماشى معها ويصلح لها .

أ. ق.

اجتباادات السفارة الواضحة لاثبات العكس . كذلك الصحف التي صارت في هولندا تنحو منحى الواقعية والعدل في معالجة قضية الشرق الاوسط ، وجدت في البيان مادة صالحة لدعم وزير الخارجية على قراره . احيانا كثيرة ، يتم في لحظات تهديم ما تم بناؤه في سنوات . وذلك لعدم التعمق في اساليب الصهيونية وعدم التعمق في تفهم المجتمعات الاخرى ، وعدم اتخاذ موقف التأهب في الساعات

[ ٢ ]

## السينما الصهيونية في مهرجان « كان » ١٩٧٥

الفيلم جيمس بوند انجليزي ( بيتر أوتول ) يعمل في العن مراسلا في باريس لمجلة نيوزويك الامريكية ويعمل في السر عميلا للمخابرات المركزية الامريكية يستأجره الآباء الاثرياء ( من بين الذين يؤدون دور الآباء المتتاعين راف فالرن وبيتر لوفورد وعمدة نيويورك السابق باك ليندساي !! ) ليقوم بسلسلة من المغامرات السخيفة في ربوع أوروبا والشرق الاوسط ، تتوج به منتصرا على الفدائيين الفلسطينيين ، محررا بنات ملوك المال واسرائيل .

ومما يلغى النظر ان هذا الهراء السينمائي — وهو هراء باجماع النقاد — قد أفردت مجلة «سينما ١٩٧٥» لحدث برمنجر عنه عشر صفحات ، من بينها اربع صفحات مصورة بالكامل للمخرج ونجمه الاول بيتر أوتول . في حين ان نفس المجلة لم تفرد في عددها التالي ( يونيه ) سوى خمس صفحات لكترقاسم ، فيلم برهان طوية عن المذبحة التي دبرتها الصهيونية للفلاحين وعمال كترقاسم من العرب قبل العدوان الثلاثي على مصر بساعات معدودات وذلك رغم انه حصل على الجائزة الكبرى لمهرجان ترطاج للعام ١٩٧٤ ، وانه في رأي ناقد

« روز بد » اسم يخت لرجل يهودي واسع الثراء ... يعطيه لابنته الصفري ، التي تدعو اربع صديقات ، في مثل سنها ، الى رحلة على ظهره في عرض البحر ... يقوم الارهابيون الفلسطينيون باختطاف الخمس فتيات ... وليس المال هو هدفهم من عبثية الاختطاف ... ان الحصول على فرصة تتيح لهم شرح تفضيتهم للعالم هو الهدف ... »

بهذه الكلمات ، التي ظاهرها البراءة — وان كان استعمال كلمة ارهابيين في وصف الفدائيين لما يقطع بسوء نية صناحبها — استهل أوتو برمنجر ، مخرج الفيلم الصهيوني المعروف « الخروج » ، حديثه مع الناقدة دومينيك رابوردين ، والمنشور في عدد مايو من مجلة « سينما ١٩٧٥ » الفرنسية ، بغاية الدعاية لفيلمه الصهيوني الجديد « روز بد » ( زنبقة الورد ) . وهو فيلم مستوحى عن قصة لجان هنجواي وبول بونكاريه ، مدارها عملية انتقاخ خمس حسناوات من بنات اصحاب الملايين من برائن منظمة ايلول الاسود . والمنفذ في

كتابة فصلها الثالث والآخر في نيويورك خلال العام ١٩٢٠ ، اي بعد مروره بباريس ٠٠٠ وهو المرور العابر الذي أعلن فيه اعتناق الدين اليهودي . ولا يسع من يشاهد هذه الأوبرا الا ان يلاحظ ان كلماتها انما تردد دعوة الصهيونية لليهود الشتات بالتححر من العبودية والخوف والعودة الى ارض اللبن والعسل ، ارض اسرائيل .

و « شارع هستر » و « مواجهة » و « ليني » تركز ، هي الأخرى ، على اضطهاد يهود الشتات ، ولكن في الامنة القريبة . وأحداث الفيلم الاول تدور في شارع هستر ، قريبا من نهاية القرن التاسع عشر ، وبالتحديد عام ١٨٩٦ ، أي وقت قضية دريفوس ، تلك القضية التي اتخذت منها الصهيونية ذريعة للدعوة الى انشاء وطن لليهود في فلسطين . والشارع في الفيلم واحد من شوارع حي اليهود شرقي نيويورك . والغالبية الغالبة من يهود مهاجرون من اوربا الشرقية الى العالم الجديد فرارا من الاضطهاد العنصري في روسيا القيصرية .

والصراع في شارع هستر يدور بين « جيك » ، الزوج المنحل الفردي ، الذي أفسدته الحياة في الشتات ، فتحوّلت به الى شخص يفخر بجنسيته الامريكية ، وينادي باندمج اليهود في المجتمع الجديد ، باعتبارهم مواطنين عاديين ، ليس لهم حق الانفراد بأي كيان مستقل ، وبين « جيلت » الزوجة الفاضلة المؤمنة ، التي تسلك في الحياة سلوكا جوهره عدم الذوبان في هذا المجتمع الامريكي الغريب اي الاحتفاظ بشخصيتها اليهودية المتميزة . وينتهي الفيلم بالانتصار لقيم الزوجة على قيم الزوج ، بأن تنجح في الحصول على الطلاق مع الاحتفاظ بابنتها من مطلقها لتتزوج من « برنشتين » ، الذي لا يكل ولا يمل من قراءة التلمود ، ولا يردد سوى قولين : « اليهودي يهودي » و « اللعنة على كولومبس » لانه اكتشف العالم الجديد !

وأحداث الفيلم الثاني « مواجهة » ، تبدأ بعد ٣٠ من يناير للعام ١٩٣٣ ، اي بعد استيلاء هتلر على الحكم في ألمانيا بقليل . وهي أحداث حقيقية وقعت بالفعل ، بطلها طالب يهودي معتل الصحة اسمه « دافيد فرانكورتير » يضطره الاضطهاد العنصري في ألمانيا الهتلرية الى اللجوء لسويسرا ، ليكمل دراسته . وفي مستقره الجديد يغاجأ بأن

المجلة كلود ميشيل كلوني عمل يتسم بوحدة السرد وجمال التشكيل وحدة التحليل السياسي ودرس رائع في السينما السياسية .

وهذا الانحياز الى جانب السينما الصهيونية ، والتماس العطل والمعاذير لها ، نراه أشد ما نراه في تصرف لجنة الثلاثة عشر ناقدا فرنسيا ، وفي الافلام التي اختارتها لتعرض في الاسبوع الدولي للفيلم الفرنسي ضمن مهرجان كان للعام ١٩٧٥ . فقد اقترح عليها سبعمائة فيلم لتختار من بينها سبعة أفلام ، تعرض باسم نقاد السينما في فرنسا ، على شاشة الصالة الكبرى بقصر المهرجانات المطل على شاطئ الرينييرا . وكان كفرقاسم من بين الافلام التي اقترحت . فما هو الاختيار الذي انتهت اليه ؟ انتهت الى عدم اختيار رائعة برهان علوية « كفرقاسم » ، رغم ما لها من منزلة فنية كبيرة . ولم تكف بذلك بل اصغت في انحيازها ، واختارت فيلمين صهيونيين ، هما : « مواجهة » للمخرج السويسري رولف ليسبي ، و « شارع هستر » للخرجة الامريكية جوان ميخلين سلفر . وهكذا ، وبفضل هذا الاختيار المتوتري ، ارتفع عدد الافلام الاسرائيلية والانسلاص الصهيونية المنتجة خارج اسرائيل المعروضة ضمن افلام العروض الرسمية او ضمن افلام السوق الى حوالي احد عشر فيلما روائيا طويلا . هذا في الوقت الذي لم يكن فيه لاي فيلم من افلام المشرق العربي المحيط باسرائيل اي وجود ضمن افلام المهرجان .

ولولا الأيام السينمائية السياسية ، التي نظّمها الحزب الاشتراكي الموحد الفرنسي ، والتي بفضلها عرض فيلم « كفرقاسم » في دار عرض بعيدة عن قصر المهرجانات لانتهى المهرجان دون ان يرى احد اي فيلم عن كفاح الشعب الفلسطيني ضد بربرية الاستيطان الصهيوني لارض فلسطين .

وبعد ، قريبا يكون من الخير ان تعرض ، في اختصار ، للأفلام التي انتجتها الصهيونية خارج اسرائيل ، وعرضت بمهرجان كان الآخر ، وهي : « موسى وهارون » و « شارع هستر » و « مواجهة » و « ليني » و « تلحيزة دافيد كرافيتز » .

و « موسى وهارون » ، لصاحبه المخرج الألماني جان ماري ستروب ، فيلم يصور اوبرا « ارتولد شوانبرج » التي انتهت من تلحين فصلها الاول والثاني فيما بين ١٩٣٠ و ١٩٣٢ ، ثم انتهت من

أعماله . وهي ذكريات تنتهي بنا الى الايمان بليوني مسيحا جديدا ، مسيحا يهوديا يجيء الى العالم الذي يعاتب اليهود بأشغال شاقة مؤيدة منذ ألفي عام ، لأن واحدا من اجدادهم اتهم بقتل المسيح . يجيء اليه برسالة محاربة النفاق والتبشير بالحب وتحرير الانسان من رق الخوف والخرافات . وهو في الفيلم يقول عن نفسه « أنا لست كوميديا . . . ولست مريضا ، العالم هو المريض . . . وأنا الطبيب ، الجراح الذي يملك مبضعا تجتث به القيم الزائفة » .

وإذا ما انتقلنا الى الفيلم الصهيوني، الآخر « تلمذة دافيد كرافيتز » ، لصاحبه المخرج تد كوتشيف - وهو فيلم كندي حصل على جائزة الدب الذهبي لمهرجان برلين السينمائي العام ١٩٧٤ وتدور أحداثه في كندا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية - فنسجد ان قصته بسيطة كل البساطة بطلها شاب يهودي غريب معلق لا يدري من اين جاء وان كان يدري الى اين يمضي : ان له عملا ينبغي ان يؤديه هو ان يمتلك قطعة أرض . فتصيحة جده له ، منذ ان كان صبغرا ، هي ان يكون لحياته غاية : ان يحصل على قطعة أرض ، لأن الانسان بلا أرض بلا قيمة . وتختلف عليه أحداث تنتهي به الى شراء قطعة أرض كبيرة ، هي اقرب الى جنة تجري من تحتها الانهار . وهو في سبيل الاحتفاظ بها يجنح الى استعمال وسائل ملتوية ، هي الى الاحتيال والجريمة اقرب . ثم ينتهي به الفيلم بعد كثير من الخطوب الى الانتصار . لقد استطاع ان يحتفظ بالأرض وان يصون حياته من الخواء والجذب . وواضح من السياق المتقدم ان قصة « دافيد كرافيتز » زاخرة برموز ، قصد بها تأكيد ضرورة « عودة » يهود الشتات الى الارض « أرض الميعاد » وتبرير الوسائل الاجرامية التي تستعملها الصهيونية في سبيل الاحتفاظ بها اغتصب من أرض العرب في فلسطين وغيرها .

## مصطفى درويش

للحزب النازي غرعا قويا يمارس، بحرية ، النشاط السياسي في سويسرا تحت زعامة عميل الماني اسمه « جوستوف » . فيتسلط عليه الاكثاب والياس . ويفكر في الانتحار فيشتري مسدسا . ولكنه يستعمله في أمر آخر . يستعمله في اغتيال الزعيم النازي ، ويسلم نفسه الى الشرطة . وأمام القضاء يطالب ممثل الاتهام بالحكم عليه بأقصى العقوبة المقررة لجريمة القتل ، وهي ثمانية عشر عاما . ويطالب الدفاع بالحكم بالبراءة على اساس ان من حق المتهم ، بل من الحق عليه ، ان يثار لما حدث للشعب اليهودي على أيدي هتلر وجلاديه . وتنتهي المرافعات وتحجز القضية للحكم ، الذي يصدر بأقصى العقوبة دون ادنى تخفيف . الا ان المتهم لا ينفذ العقوبة بالكامل . فالمانيا الهنزية تندحر ، وغور اندحارها يخرج من السجن ليتول للصحفيين انه ذاهب الى أرض الميعاد في فلسطين . وفي نهاية الفيلم ينتقل بنا المخرج السويسري الى تل ابيب ، لنرى دافيد الحقيقي ( أول من قتل نازيا ) في مشهد تسجيلي مضاف ، وهو يأكل ويتسامر مع أسرته . ثم وهو يقول ان المآسي التي حدثت له ولشعبه من الممكن ان تحدث في أي مكان آخر من العالم . وغني عن البيان انه يغفل القول بأن ما حدث لليهود في المانيا الهنزية مسا زال يحدث لشعب آخر اسمه الشعب الفلسطيني ، على أرض اخرى اسمها فلسطين !

اما الفيلم الثالث « ليني » فهو ، عندي ، أخطر الافلام الصهيونية التي عرضت في المهرجان ، لان مخرجه هو « بوب فوس » ، صاحب فيلم « كاباره » ، الحاصل على عدة جوائز اوسكار ، ولان ممثله هو داستن هوفمان ، النجم المتألق في سماء السينما العالمية ، ولان الشركة الموزعة له هي « شركة الفنانين المتحديين » ، ذات الخبرة الكبيرة في توزيع الافلام . وبطل الفيلم « ليني بروس » يهودي كوميدي ساخر ، عمل في ملاهي الليل بأمريكا أيام المكارثية السوداء . ومات في سن الأربعين مضطهدا مخدرا . ومآساته يحكيها الفيلم من خلال ذكريات امه وزوجته ومديـر

[ ١ ]

## تحليل للدعاوة الصهيونية في شهر مايو - أيار ١٩٧٥

### أحداث أيار في لبنان

لاحظنا في تقرير الشهر الماضي ، انه لا شيء يقلج صدر الدوائر الصهيونية الحاكمة ، أكثر من الاقتتال العربي الداخلي ، وعلى الاخص حين تكون الثورة الفلسطينية طرفا في هذا الامر ، دفاعا عن وجودها ومضالها ضد الرجعية العربية . بصرف النظر عن مسألة الدور المباشر او غير المباشر للصهيونيين في اثاره او توجيه مثل هذه الصراعات الغربية الداخلية ، فان من الواضح بجلاء تام ، ان مثل هذه الاحداث التي شهدها لبنان في شهري نيسان وايار ١٩٧٥ ، تقدم خدمة جلى لا تقدر بثمن للمصالح الامتراجية العليا سواء للصهيونيين او للامبريالية الغربية ، وعلى الاخص في هذا الوقت بالذات الذي اصبحت فيه تصفية المقاومة الفلسطينية ، او على الاقل عزلها وتحييدها ، هدفا رئيسيا لجميع القوى والعناصر المحلية والدولية التساعية إلى فرض « تسوية » على المنطقة .

ليس شأننا في هذا التقرير ان نقرر ما اذا كانت احداث لبنان هي محصلة لجهود متمدة من جانب الصهيونيين من تحريك عملائهم المحليين ، بغرض تدمير او اضعاف الثورة الفلسطينية في لبنان . ( على ان من المؤكد بالطبع ، ان أية مخططات صهيونية وامبريالية تسعى في المستقبل لتحقيق هذا الهدف ، سوف تحاول الوصول اليه بتحريك العملاء المحليين كما حدث في الاردن في

١٩٧٠ - ( ١٩٧١ ) .

ستتابع في تقريرنا لهذا الشهر ما بدأناه في تقرير الشهر الماضي ( الذي نشر في عدد تموز ، يوليو ، من هذه المجلة ) : في القسم الاول ستعالج مرة اخرى الخط الصهيوني بشأن الاقتتال في لبنان . وسيبين في بحثنا لاحداث مايو - أيار حدوث تغيرات مهمة في نقاط التركيز الصهيوني ، وسنرى كيف ان الخط الذي اعتمده الدعاه الصهيونية في شهر نيسان - ابريل ، تقوض كليا في خضم السياق الموضوعي للاحداث ، الامر الذي استوجب نبذه والتخلي عنه في اواخر مايو - أيار .

وفي القسم الثاني من تقريرنا التحليلي هذا ، سنتصدى مرة اخرى ، لدراسة موضوعات الهجة الاعلامية الاسرائيلية المستمرة على ما يسمى اعادة تقييم سياسة الولايات المتحدة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط . وفي معرض هذا البحث ، سيتاح لنا ان نرى درجة عالية من الاصرار الدؤوب على الخط الدماوي الصهيوني ، كما يتجسد في مختلف ما يطرحه الناطقون المؤيدون للصهيونية . كما سنعطي تركيزا خاصا على الحجة الصهيونية القائلة ان من صميم المصالح الامريكية الخالصة تثبية جميع طلبات اسرائيل ومساندتها الى ابعاد الحدود . وسنلتفت ايضا الى ما ولدته هزيمة الولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا من تاثيرات ، بالاضافة الى مذكرة الشيوخ الامريكيين الداعمة لاسرائيل والخط الاعلامي الصهيوني على السواء .

\*

اعطاء صبغة طائفية للصراع .

خامسا : الإيحاء ضمنا بأن لبنان في مجمله يتحول بصورة متزايدة ضد المقاومة .

وإذا القينا نظرة على الدعاوة الصهيونية خلال شهر ايار ، ندرك ان نواحي التركيز الاعلامي الصهيوني لحقتها تغييرات كبيرة . ومع ان النقاط الواردة آنفا لا تزال واردة في الدعاوة الصهيونية بصيغة او بأخرى ، الا ان التركيز الدعاوي الصهيوني الآن هو على ان الصراع أصبح بوضوح **وصراحة** « لبنانيين ضد فلسطينيين » . كما ان الاعلام الصهيوني لم يعد يكتفي بالاعتراف ضمنا بأن الكتائبيين هم الذين أشعلوا الفتنة وصعدوا الاقتتال ، بل انه يقول هذا بصراحة ، ويضيف اليه الادعاء بأن الكتائبيين بموقفهم هذا يمثلون مصالح لبنان ككل .

كانت هذه خطوط الاعلام الصهيوني المتقدم للقراء الاجانب بشأن الازمة السياسية اللبنانية ، حتى قبل ان يتجدد الاقتتال في وقت مبكر من الشهر . الا اننا سنرى ، كيف ان هذه الخطوط الدعاوية الصهيونية لم تعد صالحة للاستعمال ، بعد تأليف الحكومة العسكرية ، وردة الفعل السلبية القوية في جميع الاوساط الوطنية والتقدمية في لبنان ، وكيف ان الصهيونيين اضطروا للاتلاع عن هذا التصوير للامور ، واضطروا لتقديم تقارير واقعية الى حد ما عن تطورات الامور .

ولعل أفضل نموذج لتتبع هذا التطور غير الاعتيادي في الدعاوة الصهيونية فيما يخص أحداث ايار ، تحليل سلسلة المقالات التي نشرت خلال هذه الفترة في **الجورناليم بوست** ، بقلم « مراسل الشؤون العربية » عنان صفدي ، الذي هو أيضا « الخبير بالشؤون العربية » في اذاعة اسرائيل باللغة الانجليزية ( لسوء الحظ لم يكن هناك سوى القليل من الدعاوة الاسرائيلية الحقيقية بشأن الموضوع مدار البحث في الصحافة الصهيونية الصادرة باللغات الاجنبية في خلال الفترة التي يتناولها هذا التقرير . على اننا سنتطرق اليها بايجاز في وقت لاحق ) . ظهرت المقالة الاولى لعنان صفدي على الصفحة الاولى من **الجورناليم بوست** يوم الرابع عشر من ايار ، وكانت بعنوان : « عداء متزايد ضد المخربين في بيروت » . وبعد ان

ولطالما تنبأ المعلقون الصهيونيون بأن أحداث الاردن سوف تتكرر في لبنان في يوم من الايام ، وكانوا يعمدون الى تفسير أية حادثة او بادرة عنف على انها المرحلة التمهيدية لمثل تلك المجابهة . وبما ان الدوائر الصهيونية الحاكمة راغبة في ان ترى مثل تلك المجابهة ، وبما انها تتوقّب مثل تلك المجابهة ، وبما انها على الأرجح تخطط لمثل تلك المجابهة ، فان من المحتم علينا ان نستوعب ونتفحص بمنتهى الدقة الخط الدعاوي الصهيوني فيما يخص الأحداث الراهنة في لبنان ، نبهذا نمثلك فكرة مسميئة على جانب من الدقة والنفذ ، حول الخط الاعلامي الصهيوني المحتل انتهاجه فيما لو وقعت مثل تلك المجابهة الشاملة ، وبهذا تكون أكثر قدرة على التنبؤ واحتماب المواقف عند الحاجة .

درسنا في تقرير الشهر الماضي الهيكل الايديولوجي العام الذي من ضمنه يأتي تناول الاعلام الصهيوني لجميع المسائل المتصلة بالعلاقات بين المقاومة الفلسطينية وبين الحكومات العربية . وراينا كيف ان هذا الخط يعطي تركيزا أساسيا على الطبيعة التناحرية المفترضة لهذه العلاقات ، وكيف ان الصورة المرسومة للثورة الفلسطينية على الدوام هي صورة القوة التخريبية التي تتألف من عناصر منغلقة عن أية سيطرة في سبيل العنف والتدمير ، وكيف ان هذه الثورة للفلسطينية تكافح بلا هوادة وبصورة مستمرة لتقويض الحكومات العربية القائمة واطاحتها . ولقد خرجنا بنقاط معينة في تحليلنا السابق :

أولا : بذل المعلقون الصهيونيون كل جهدهم للاستفادة من جهل الرأي العام العالمي بحقيقة الوضع والتطورات السياسية في لبنان ، وذلك لتبرير تحليلاتهم المفترضة للأحداث ، ولتبرير عدد من الخرافات الصهيونية المحفوظة عن الثورة الفلسطينية .

ثانيا : كان هناك اعتراف ضمنى بدور الكتائب في اشعال الاقتتال .

ثالثا : الريشة الصهيونية ترسم الكئاسب باعتبارها الطليعة التي تدافع عن السيادة اللبنانية والمصالح الوطنية .

رابعا : اتهام المقاومة الفلسطينية بمحاولة

لبنان . ويضيف صفدي مثيرا الحقيقة ، ان سقوط جميع حكومات سليمان فرنجية الخمس ، يعود الى « النزاع اللبناني مع منظمة التحرير الفلسطينية » .

ويتابع عنان صفدي ولعه المفرط بنشر الاكاذيب في ما تبقى من سلسلة مقالاته عن أحداث أيار . على ان هذه الاكاذيب لا تؤدي الى تقديم دعاوية هشة فحسب ، بل انها — وكما سنرى بعد قليل — مسؤولة عن خلق ارتباكات مهمة في بعض المعطيات . والمثال الجيد لهذا نجد في مقالة صفدي يوم الحادي والعشرين من أيار ، الذي كان اول تقرير يظهر في **الجورناليم بوست** بعد استئناف القتال في لبنان . وينسب صفدي الى «مسئول في شرطة بيروت» قوله: «ان قتال الشوارع الذي شهدته بيروت أمس أثارته منظمة التحرير الفلسطينية» . وبعد هذه « الفبركة » الرخيصة ، نأتي الى ما هو أكثر طراوة . فان صفدي يقول في العبارة التالية مباشرة : « ان منظمة المخربين [ منظمة التحرير الفلسطينية ] تقاوم محاولة كاتيبية — لبنانية لابعادها عن بيروت وغيرها من المناطق الاهلة بالسكان » . وهكذا فان الكاتب يتحدث عن الفلسطينيين في الفقرة نفسها مرتين ، مرة باعتبارهم **أثاروا** الاقتتال ، ومرة أخرى باعتبارهم **يقاومون** هجوما كاتيبيا .

هذا التناقض النموذجي الصارخ ، هو النتيجة المنطقية للخط الدعائي الصهيوني المتقلب فيما يخص كل مسألة المقاومة الفلسطينية في لبنان ، فان هذا الخط سيجهل في أحشائه تناقضه الذاتي ، اذ هو يسعى — من جهة — الى امتداح الكاتيب لخططاتها العدوانية ضد المقاومة الفلسطينية ، وفي الوقت نفسه يلقي بمسئولية الاضطرابات وأعمال العنف على المقاومة الفلسطينية بصورة مباشرة .

وينبغي ان نوضح في هذا المقام ان الجانب الاشد خطورة في الخط الاعلامي الصهيوني، والاكثر اذاء فيما لو أتيح له اقتناع الرأي العام الدولي ، هو التأكيد المستمر على ان الشعب اللبناني في مجموعه يتقلب على المقاومة الفلسطينية . هذه الفرية بالذات ، تمثل أهم ما في ترسانة الاعلام الصهيوني — الامبريالي في حال تنظيم حشد

يبحث الكاتيب في الاستقالة الوشيكة لحكومة رشيد الصلح ، ودور الكاتيب في اشعال الازمة ، ينقل انطباعات «متنف عربي في القدس» مجهول الهوية، عاد لتوه من بيروت الى فلسطين المحتلة . ويزعم صفدي ان ذلك المتنف العربي قال ان « المجابهة بين السلطات اللبنانية وبين منظمة التحرير الفلسطينية تبدو امرا محتما » . ويضيف ذلك « المتنف العربي » قائلا : « ان الظاهرة الاشد بروزا في بيروت الان ، هي ان النزاع لم يعد مسيحيا — اسلاميا ، بل مجابهة لبنانية — فلسطينية » كما لاحظ ان العديد من زعماء المسلمين في لبنان الذين وقفوا في السابق الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية ضد المؤسسة المسيحية المهيمنة في البلاد ، يحتشدون الان في « كتلة وطنية لبنانية » تسمى لاعادة فرض سيادة القانون ووحدة الاراضي اللبنانية .

ان الكاتيب عنان صفدي ، يحاول عن طريق « فبركة » شخصية وهوية لذلك « المتنف العربي » الخرافي ، ان يستغل بصورة فعالة جهل قرائه بحقيقة الوضع في لبنان ، وذلك للترويج لانكار قسبية بصورة فظة . ذلك انه لم يرد في أي مكان، سواء في الصحافة العالمية او العربية او حتى الصحف اللبنانية الرجعية ، ان مسلمي لبنان انقلبوا على المقاومة الفلسطينية . ان هذا غير موجود الا في مكان واحد من اعلام السيد صفدي الدعوية الصهيونية .

وبينما كان الموقف السياسي يتدهور في لبنان ، تابع السيد صفدي في مقالاته مخادعة قرائه بشأن المعنى الحقيقي للحدث ، طبقا للخط الاعلامي الصهيوني . ففي الثامن عشر من أيار ، وبعد استقالة حكومة رشيد الصلح ، قال صفدي ان « استقالة الصلح تبدو انتصارا سياسيا بارزا لحزب الكاتيب الذي يقوده بيار الجميل ، الذي يعارض وجود منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ... وقيل ان نفوذ الجميل أخذ في الازدياد حيث ان القدرة القتالية للميليشيا التابعة لكاتيب الجميل تمثل الان قوة مضادة خطيرة الشأن أمام منظمة التحرير الفلسطينية » . ومن الطبيعي ان الكاتيب يغفل الاشارة اطلاقا الى ما ورد في كتاب استقالة حكومة الصلح من تحميل حزب الكاتيب كامل المسئولية عن الاضطرابات التي شهدتها

من أعمال الشعب واثارة القلاقل ، ولم يكن له من غرض غير اثارة الاقتتال الطائفي الذي لطالما اتهم الصهيونيون المقاومة الفلسطينية بمحاولة اثارته واللجوء اليه . ومع ذلك فان أقاويل عبود حتى بالصيغة التي نشرت بها تناقض الطرح الاساسي في الاعلام الصهيوني الذي يزعم - كما مر بنا - ان لبنان في مجله قد انقلب على الثورة الفلسطينية ، وان الثورة الفلسطينية حاولت اثارة الشقاق الطائفي لنيل السدعم الاسلامي ، وانها اخفقت في ذلك .

ان الضعف الشديد الذي يلزم هذا الخط الاعلامي الصهيوني الذي يقوم على كذبات صريحة ومتعددة ، تكشف بجلال بعد تأليف الحكومة العسكرية . وعندما هب المسلمون ، والمسيحيون المعتدلون ، وجميع القوى الوطنية والتقدمية هبة الرجل الواحد رفضا للحكومة العسكرية ، وجد الصهيونيون أنفسهم فجأة بلا خط اعلامي يصلح للطرح والاستعمال . ومنذ تأليف الحكومة العسكرية بدأ الصهيونيون بعرض النزاع كما يبدو في أعين جميع المراقبين : انه نزاع لبناني داخلي في أساسه ويتصل بالتوزيع غير المتكافئ للسلطة السياسية والاقتصادية . ولم يكن الفلسطينيون - بالقدر الذي اشتهروا به في الاحداث - سوى كبش محرقة لتصلب القوى الرجعية ، وأداة لاثارة لاطلاقي الخوف والحقد الطائفي غير العقلانيين ، وذلك خدمة للمصالح الضيقة للكثائبيين وحلفائهم . وكما سيتبين لنا بعد قليل ، فلقد كانت هذه الصورة للاحداث واضحة بجلال حتى في تقارير الصحافة الغربية عن الازمة اللبنانية خلال الفترة مدار البحث .

عند هذا الحد من تطور الازمة ، كان الموقف السياسي الموضوعي جليا بصورة كافية للمراقبين ، الى حد انه حتى عنان صفدي ( الذي كانت ردة فعله الاولى على الحكومة العسكرية ، هو التعبير عن الرأي القائل انها مجرد تمهيد للانتقاض اللبناني النهائي والشامل على المقاومة الفلسطينية ) ، اضطر - صفدي هذا - الى ان يوقف أكاذيبه . فنيبا يناقض كل « تحليلاته » السابقة المشحونة بالاكاذيب ، كتب صفدي في السادس والعشرين من أيار يتحدث عن « المعارضة المتصاعدة من جانب مختلف العناصر الاسلامية والقوى السياسية

شامل يسمى لتوجيه ضربة طاحنة للمقاومة في لبنان . ونظرا لخطورة هذه الكذبة ، فان عنان صفدي لم يمل تكرارها عدة مرات . وكما نذكر فلقد أشرنا في تقريرنا السابق الى ان الدعاوة الصهيونية تقول هذا الامر **ضمنا وتلميحا** . لكنهم الان يقولونه بكل **صراحة ووضوح** . وكتب صفدي يقول في الموضوع الرئيسي على الصفحة الاولى من عدد الثالث والعشرين من أيار من **الجورناليم بوست** : « كانت منظمة التحرير الفلسطينية تناور خلال المجابهات السابقة باللعب على النزاعات الاسلامية - المسيحية . لكن يبدو ان الكتابيين نجحوا هذه المرة بحشد اللبنانيين من مسلمين ومسيحيين في كتلة واحدة ، وذلك بتنظيم قوة شبه عسكرية جيدة التدريب ، تتوقف عليها اعادة سيادة الدولة والاستقرار الداخلي » .

ويوضح صفدي في المقالة نفسها ان الكتابيين هم الذين سعوا الى المجابهة ، وذلك حين يكتب انهم « يصعدون ضغطهم من أجل ازالة مختلف مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت وغيرها من المناطق الاهلة » .

ونشرت **الجورناليم بوست** في الثالث والعشرين من أيار ، تقريرا مقتضبا حول تصريح لشخص وصفته بأنه « أمين سر » الموارنة في اسرائيل ، أنيس عبود . ويقول التقرير ان عبود كان يعزم مناشدة الولايات المتحدة وفرنسا بذل جهودها لوقف سفك الدماء في لبنان حيث « يتعرض » اخوانه في الدين « للخطر » . وتبضي المقالة في مزاعمها فتدعي ان عبود قال « ان مسلمي لبنان يحاولون انتزاع السلطة في البلد » وذلك « من أجل تصعيد العمليات الارهابية ضد اسرائيل » ، وان « المخربين المسلمين ، بدعم نشيط من سوريا ومصر ، أثاروا الاقتتال الحالي » . وان عبود قال ان اول رئيس لدولة اسرائيل حاييم وايزمان كان قد تعهد للبطريرك الماروني الاسبق انطون عريضة ، بان « الدولة اليهودية ستهب » عند قيامها ... الى « مساعدة الموارنة في لبنان اذا ما تعرضوا للخطر » . لكن المقالة لم تذكر ما اذا كان عبود يعتبر ان هذا هو الوقت الذي يتوجب فيه على اسرائيل ان « تساعد » موارنة لبنان « المتعرضين للخطر » .

كان نشر أقاويل عبود ، بلا ريب ، هملا خالصا

بعد تأليف الحكومة العسكرية ، حين انضمت الابعاد الحقيقية - للارضة ، وأصبحت التخريجات الرجعية عاجزة عن الصمود . وهكذا فان تقارير التايهز اللندنية ، والجارديان اللندنية ، والنيويورك تايمز الامريكية ، وبرقيات وكالات الانباء رويتر والاسوشيتدبرس ويوناييتدبرس ، كانت في مجملها متوازنة وموضوعية بصورة عامة . حتى مراسل الديلي تلجراف البريطانية الرجعية قدم تقارير على جانب من المنطق والموضوعية . ولغت نظرنا ان نيوزويك المجلة الامريكية التي قدمت أسوأ نماذج التشويه في الشهر الماضي ، التزمت ان الصمت المطبق أمام أخطر أزمة يمر بها لبنان منذ العام ١٩٥٨ . ونشرت لوموند الفرنسية عدة مقالات بقلم مراسلها في بيروت ادوار صمب كانت معادية للفلسطينيين بصورة مكررة وخبيثة . وادعى صمب غداة تأليف الحكومة العسكرية ان قطاعات واسعة من المجتمع اللبناني استقبلتها بالترحاب . ويعد ذلك كان استبدل ادوار صمب لفترة مؤقتة بمراسل آخر كان أقل تحيزا في تقاريره عن الازمة . ولقد نشرت مقالات في عدة صحف عن التطورات السياسية اللبنانية ، دلت بصورة جلية على اطلاع حسن على وجهة نظر الفلسطينيين والحركة التقدمية اللبنانية ( على سبيل المثال انظر الجارديان يوم الرابع والعشرين من ايار ) ، وكذلك بعض المقالات الانتاحية ( مثلا التايهز اللندنية يوم الثامن والعشرين من ايار ) . ولم يظهر الخط الدعوي الصهيوني في أي مكان ، مثلما ظهر في بعض الانحاء خلال الشهر الماضي .

#### اعادة تقييم السياسة الامريكية في منطقة

#### الشرق الاوسط و«الخط الاسرائيلي المتصلب»

سنتابع في تقرير هذا الشهر تحليل الموضوع الرئيسي الثاني الذي تناولناه في تقرير الشهر الماضي ، أعني به اعادة تقييم الولايات المتحدة لسياستها في منطقة الشرق الاوسط ، وردة الفعل الصهيونية . وكما لاحظنا في الشهر المنصرم ، فلقد كانت ردة الفعل الصهيونية حملة اعلامية واسعة وضارية ذات ابعاد شملت كل الولايات المتحدة . واستمرت هذه الحملة خلال ايار ، معطية تركيزا أدق وأوفى على الموضوعات الرئيسية . ولقد توجت الحملة بالرسالة المشهورة

اليمارية « للحكومة العسكرية ، ودعما للمقاومة الفلسطينية . وبدءا من هذا الوقت ، أصبحت مهمة صغدي تقتصر على مجرد تقديم تقارير تكتفي بنقل تطورات الوقائع والاحداث ، مع التخلي الكامل عن الخط الاعلامي الصهيوني كما وصفناه في تقريرنا هذا وفي تقرير الشهر الفائت .

لكن هذا لا يعني ان الصهيونيين لن يعودوا الى بعث واحياء ذلك الخط الاعلامي في المستقبل عندما تتفتري حاجتهم ذلك في المناسبة الملائمة . ان أي شكل من التدخل من قبل الصهيونيين او الامبرياليين في الشؤون الداخلية للاتطار العربية ، كما كان في الاردن عام ١٩٧٠ وكما يحتمل ان يكون في لبنان في المستقبل ، لا بد ان تسببه وتهد له ، وكذلك ترافقه ، مجموعة ملائمة و « مقبولة » من الحجج والذرائع . وان من مهمة الاعلام الصهيوني تدبير تلك الحجج والذرائع . ومع ذلك ، وكما تبين لنا بشأن أحداث ايار ، فان المدى الذي يمكن ان يصل اليه رجال الدعاوة الصهيونية في استخدامهم لمثل تلك الاراجيف الدعاوية ، يبقى محدودا ومحصورا في اطار منجزات وبيانات القوى الوطنية والتقدمية في لبنان نفسه . وكلما أظهرت هذه القوى في بياناتها وتصريحاتها استعدادا أكبر للكفاح دفاعا عن المصالح الوطنية اللبنانية والتلاحم اللبناني - الفلسطيني ، كلما غدت مهمة الدعاويين الصهيونيين أكثر صعوبة ومشقة ، وأصبحت مهمة الدوائر الصهيونية الحاكمة أشد تعقيدا ، مما يقل كثيرا من احتمالات التدخل المكشوف في الاحداث اللبنانية الداخلية .

#### ملحوظة عن تقارير الصحافة الغربية

بشأن أحداث مايو - ايار في لبنان  
كشفنا في تقريرنا السابق عن بعض نواحي التحريف والتشويه ، سواء المتعمدة والمعرضة ، او الناتجة عن الجهل ونقص المعلومات ، في تقارير عدة مراسلين صحافيين غربيين خلال أحداث نيسان في لبنان . وأوضحنا أهمية إقامة علاقات واتصالات وثق بين المراسلين الغربيين وبين المساومة الفلسطينية ، كي لا تنفرد الدوائر الرجعية بتقديم وجهة نظرهما وتفسيراتها للاحداث .

ولقد لاحظنا بعض التحسن في تغطية الصحافة الاجنبية للاحداث خلال شهر ايار ، وعلى الاقل

من جانب العرب في اتجاه التسوية .

ثانيا : ليس في صالح الولايات المتحدة الامريكية الضغط على اسرائيل . بل ان من صميم المصالح الامريكية تقديم أقصى درجات الدعم والمساعدة لاسرائيل في هذا الوقت بالذات .

ثالثا : وترتدي النقطة الثانية الانف ذكرها أهمية خاصة على ضوء انهيار السياسة الامريكية في جنوب شرق آسيا ، ولذا فان من الضروري اظهار وقتة امريكية قوية بجانب اسرائيل كي لا تبدو الولايات المتحدة وكأنها تركت الشؤون العالمية للاتحاد السوفياتي .

النقطة الاولى تظهر على نطاق واسع في الصحافة الصهيونية والمساندة للصهيونية . ولقد ركزت عليها بقوة سلسلة من المقالات ظهرت في الجويش أبرزهم خلال أيار وأوائل حزيران . ان المقالة الافتتاحية التي نشرتها هذه الصحيفة يوم الثالث والعشرين من أيار ، تحاول التأكيد على ان التصلب كان في الجانب العربي ، وان اسرائيل كانت مرنة : « كانت اسرائيل خلال جولات كيسنجر الاخيرة على استعداد لان تقدم عمليا كل شيء » ، في مقابل بيان بانهاء حالة الحرب . وفيما يتعلق بالفلسطينيين ، أكدت اسرائيل مرارا ان مسألة طبيعة وتكوين الدولة في الضفة الشرقية من نهر الاردن هما من اختصاص العرب أنفسهم ليتخذوا ما يناسبهم من قرارات وليس من اختصاص اسرائيل . انما هل العرب مستعدون لدفع الثمن السياسي الذي تطالب به اسرائيل عن حق ؟ ان القادة العرب لم يعبروا عن هذا الاستعداد في أي من بياناتهم العلنية التي اذاعوها في الاسابيع الاخيرة » .

وتكرر هذا الطرح عن المرونة الاسرائيلية والتصلب المصري مرة اخرى بعد اسبوعين في افتتاحية رئيسية أخرى ، في اعقاب اعلان اسرائيل تخفيض تواتها على امتداد قناة السويس . لقد اغتمت محررو الجويش أبرزهم الجو العالمي المؤاتي ارتياحا للخطوة الاسرائيلية ، ليميدوا « الدق » على النقطة اياها في افتتاحية السادس من حزيران : « انه لن الضروري على أي حال التأكيد على ان معظم « التنازلات » التي قدمها السادات بكبر من الجعجمة والطنطنة لم تتمخض سوى

التي بعث بها ستة وسبعون شيخا امريكي الى الرئيس غورد يطالبون فيها بتأكيد أقوى الدعم الامريكي لاكثر المطالب الاسرائيلية تطرفا وتصلبا .

استخدمت الصلة الدصاوية الصهيونية التي سبقت ثم واكبت « رسالة الشيوخ » ، انواعا شتى وأنباطا مختلفة من وسائل ووسائل الدعوة، بما في ذلك الاعلانات في الصحف مثلما نشر في نيويورك تايمز، ونيويورك بوست، وكذلك الرسائل المحررة باليد ، والخطر شانا الخطب والزيارات من جانب العديد من الوزراء والمسؤولين الاسرائيليين ، والشخصيات الرسمية الامريكية الصهيونية . ولاحظت « تايم » الامريكية « انه كان يبدو في بعض الايام ان هناك عددا من المسؤولين الاسرائيليين في الولايات المتحدة أكثر مما في اسرائيل !! » .

قامت الصلة الدصاوية الصهيونية على اعادة تقييم السياسة الامريكية على عدة موضوعات أساسية . وأينا في تقرير الشهر الماضي كيف ان المعتنقين الصهيونيين بذلوا جهودهم لاقتناع الجمهور الامريكي بأن أي تغيير للسياسة الامريكية تجاه اسرائيل سيكون مصدرا للخطر ، لانه سوف يشجع الاتحاد السوفياتي و « عملاء » العرب على شن حرب جديدة . وهكذا فان الزعماء الاسرائيليين أكدوا للجميع ان اعادة التقييم ليست سوى حركة دبلوماسية صورية من جانب كيسنجر وغورد ، وهي حركة لم تجد أية مساندة حقيقية في أوساط الجمهور الامريكي ولا بين أعضاء الكونجرس . الا ان هذا اليقين والتأكيد من جانب اسرائيل أصبحا أقل قوة في خلال شهر أيار ، ربما خوفا من تنفير غير ضروري للإدارة الامريكية ، ومع ذلك فان الناطقين الصهيونيين وصلوا تأكيدهم على ان اسرائيل سوف تصمد على « خطها المتصلب » في أية مفاوضات للتسوية السلمية مع الدول المجاورة . وتعزيزا لهذا الالتزام بالخط المتصلب ، استخدم الدعاويون الصهيونيون الطروحات التالية :

أولا : ان اسرائيل لم تكن متصلة . فخلال جولات كيسنجر قدمت عروضاً واقعية بلومونسة قابلها الجانب المصري بالرفض . وان البواذر العربية كفتح مصر لقناة السويس ، والبيانات التوثيقية للملك حسين ، لا تقدم تنازلاً حقيقياً

الموضوع هو محاولة صريحة للمعب على مخاوف الامريكيين من ان تصح النظرة اليهم بعد هزيمتهم المعينة على ايدي شعوب الهند الصينية ، انهم « نهر من ورق » . وتجدد هذا الخط في كتابات الصهيونيين وانصارهم على السواء .

ومن هذا القبيل ، ان **الديلي تلجراف** الصحيفة اللندنية الرجعية ، نشرت بعد أقل من اسبوع على الهزيمة الامريكية في سايقون ، ان « الاسرائيليين يميلون الى الشعور بان احدى تأثيرات انهيار فينتام ، جعل الولايات المتحدة تنفق بكل صلاحية الى جانب اسرائيل ... واذا ارادت الولايات المتحدة ، بدءا من الرئيس ومروورا بالكونجرس وانتهاء بالشعب ، اظهار عدم خوفها ، فانه لا توجد قضية أكثر قبولاً او شعبية من قضية اسرائيل » .

وفي **الجويش أيزرغر** ظهرت مقالة كتبها عضو هيئة التحرير « بن آزي » في الثاني من ايار ، تكرر الفكرة ذاتها : « اسرائيل ليست فينتام . واكثر من ذلك فان مجرد كون الولايات المتحدة قد واجهت الازدلال في الهند الصينية ، يجب ان يكون حافزا يدفعها الى التصحيح على عدم الخضوع في المجابهة التالية » .

ويضي آزي الى الاعراب عن اعتقاده بان اسرائيل هي بالنسبة لأمريكا « الحليف الوحيد الصادق والثابت » . وظهرت الاقوال نفسها في مقالات كثيرة أخرى ، من أبرزها ما كتبته **الاكونومست البريطانية** الاسبوعية الموضوعية في العادة .

بعد هزائم الولايات المتحدة في الهند الصينية ، أصبح موضوع اسرائيل المفضل هو الحديث عن دور اسرائيل الذي لا يقدر بشئ ، باعتبارها حلينا قويا وحيويا للمصالح الامريكية في منطقة الشرق الاوسط . وكما سنرى بعد قليل فان هذه الفكرة عنصر أساسي في الملتق الذي تقوم عليه رسالة الشيوخ الستة والسبعين . على ان هناك نموذجا ليس اعتياديا للحجج الاسرائيلية نجده في مقالة **الجزواليم بوست** يوم الخامس من ايار ، بقلم مناحيم سافيدور ، زعيم حزب الاحرار الاسرائيلي . فبعد ان يبين سافيدور « مسألة » ما أنفقته الولايات المتحدة على اسرائيل ، بالقياس الى ما

عن النزر اليسر على صعيد التطبيق العملي ، لكنه نجح في خلق انطباع في اذهان غير المطلعين على هذه المسائل بصورة كافية ، بان مصر كانت الطرف اللين في النزاع ، وان اسرائيل كانت الطرف المتشدد » .

ان جميع هذه المقالات تتجاهل بالطبع ان اسرائيل هي التي تحتل الاراضي ، وان عليها ان تقدم تنازلات في القضايا المهمة الاخرى المتعلقة بالجولان والضفة الغربية وشرم الشيخ ، كما تتجاهل على الدوام لماذا يتوجب على أي بلد عربي ان يقبل اقامة أي نوع من السلام مع اسرائيل في ظل هذه الشروط والظروف .

ويتكرر هذا الخط الاعلامي حول المبروتة الاسرائيلية والتصلب العربي في كل مكان خلال هذه الفترة . فحتى بيانات الملك حسين التي أدلى بها باسم الدول العربية خلال زيارته للولايات المتحدة ، والتي أظهر فيها الاستعداد للاعتراف باسرائيل مقابل انسحابها الكامل من جميع الاراضي العربية المحتلة وتحقيق « حقوق الفلسطينيين » ، رفضها المعلقون الصهيونيون ، واعتبروها مجرد « كلام منق » . كان هذا بالضبط تعليق **النيويورك تايمز** على تصريحات الملك حسين ، الذي نشرته يوم الرابع والعشرين من ايار . فلقدا دافعت في هذه الافتتاحية عن « تشكك » اسرائيل بنوايا الزعماء العرب ، وأضرت على ضرورة ان يحددوا بصورة دقيقة مفهومهم للسلام مع اسرائيل : « ان هذه التصريحات ملأى بالفوض والمواربة ، واذا كان الزعماء العرب راغبين في ان يجعلوا نعمتهم التوفيقية الجديدة قابلة للتصديق ، فما عليهم الا ان يقدموا تحديدا أكثر دقة بشأن طبيعة الترفيعات المستقبلية التي يرتأونها للتعايش بين الفلسطينيين والاسرائيليين » .

والموضوع الرئيسي الثاني في الخلة الدعاوية الاسرائيلية — القائل ان المصالح الامريكية تقتضي بتقديم دعم تام لاسرائيل في موعينها التفاوضي — لاقى تغييرات واسعة النطاق كذلك ، ويتضمن بهذا الموضوع بصورة وثيقة الموضوع الثالث ايضا القائل انه بعد فينتام ، أصبحت اسرائيل « حالة الاختبار » النموذجية لظهور عزيمة وتصميم الولايات المتحدة في الشؤون العالمية . ومن الجلي ان هذا

وان تعليقات الناطقين بلسان الشيوخ موقعي الرسالة ، تقدم تأكيدا آخر لثباتهم على السخط الصهيوني .

ومن هذا القبيل ، ان الشيخ همغري ، النائب السابق لرئيس الجمهورية ، ابلغ مؤتمرا صحافيا ان « اعادة التقييم لا تعني التراجع » . وتحدث شيخ آخر باسم الموقعين ، هو الشيخ بيرت بايه ، قائلا انهم شعروا « بأهمية ان يعلنوا للعالم اجمع ، غداة هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام وكبوديا ، ان الالتزام الامريكى باسرائيل بقي ثابتا ووطيدا » ( انظر الجارديان عدد الثالث والعشرين من ايار ) .

لقد كان هذا التعبير القوي من الدعم الامريكى لاسرائيل ، افضل براءة وأقوى تبرير يعطيان لسياسة حكومة راين القائمة على تجاهل الضغوط الامريكية . ومن وجهة النظر الدعاوية ، اتاحت الرسالة للاسرائيليين ان يتمسكوا بمنتهى السهولة بأقصى مطالبهم ومواقفهم تطرفا ، وان يبرروا خطهم المتصلب وعنادهم بالاستناد الى رسالة الشيوخ . وفي اوائل يونيو - حزيران ، أصبح المتصلب الامريكى حقيقة مبسما بها صراحة . وفي أول هذا الشهر ( حزيران ) اجرت الأبرزفر البريطانية مقابلة مطولة مع رئيس وزراء اسرائيل يتسحاق راين ، دافع فيها بجلاء تام عن خطه المتصلب ، وأوضح كليا انه لن تكون هناك أية « تنازلات » اضافية من اسرائيل ، ما لم تتراجع مصر عن الموقف الذي اتخذته اثناء مهبة كيسيترجر الاخيرة » .

وتؤكد مقالة نشرت في القايمز اللندنية يسوم السابع والعشرين من ايار ، بقلم مراسل الصحيفة في القدس ، ان الاسرائيليين جعلوا التشدد عنصرا صريحا في خطهم الدعاوي . وبعد ان يسجل الكاتب ان اسرائيل الان اقل رغبة في المساومة مما كانت عليه قبل شهرين ، يضيف ان « المستر راين تلقى جرعة كافية من الجراة من رسالة الشيوخ ، جعلته يتجاهل استياء البيت الابيض ، ويلتصق بخطه المتصلب » . وبكلمات أخرى يمكن القول ان اسرائيل سوف تعترف ابتداء من الان بانها متصلبة ، وسوف تباهي بهذا المتصلب كذلك .

### ادريس الخالدي

انفتحت في للهند الصينية وغيرها من المناطق في العالم ، يقول ان اسرائيل تخدم دورها باعتبارها « حصن استراتيجي ضد التوسعية السوفياتية » في الخليج « الفارسي » ، وانها ثقل موازن « للكتلة العربية » ، و « مخفر امامي حيوي مواصلاتي ازاء الاحتمالات المستقبلية الطارئة » . وينتهي الى الفكرة ذاتها : « اسرائيل هي الحليف الاوثق - ان لم يكن الوحيد - للولايات المتحدة ، وتمثل الموقع الاستراتيجي القوي والاشد أهمية في منطقة الشرق الاوسط الشديدة الحساسية ، ذلك كله مقابل أقل الاعباء على دافع الضرائب الامريكى ، ودون تقديم أية تضحيات من جانب الارواح الامريكية » .

ومع ان هذه الفكرة - لسوء الحظ - غير صحيحة ، الا ان قطاعات واسعة من الجمهور الامريكى مقتنعة فعلا بأن اسرائيل تمثل « صفتة » طيبة للولايات المتحدة .

هذا الخط الدعاوي الصهيوني هو ذاته العنصر الحيوي في رسالة الشيوخ الامريكين الستة والسبعين الى الرئيس فوردي . ومن الواضح ان التقصد من هذه الرسالة كان توجيه ضربة قاضية لسياسة اعادة تقييم الموقف الامريكى في الشرق الاوسط . ونجد في الرسالة الموضوعات ايها التي يطرحها الاعلام الصهيوني في كل مجال ، في خضم حملته الدعاوية الراهنة . ويقول مراسل الجويش كرونينكل في القدس عن الرسالة يوم الثلاثاء من ايار ، انها « ملأت الاسرائيليين غبطة » . ولا حاجة بنا للبحث عن السبب طبعاً . فلقد حذرت الرسالة من « مخاطر » تعليق الامدادات العسكرية الامريكية الى اسرائيل ، لان هذا سوف « يثني العرب » عن اعتدالهم ، ويشجعهم على اشعال الحرب . وتضيف الرسالة : « اننا لنؤمن بأن اسرائيل القوية تشكل الحاجز الجدير بأن يعول عليه لمنع هيمنة الاطراف الخارجية على المنطقة . واذا اخذنا في اعتبارنا السيل الهائل من الاسلحة السوفياتية التي تتدفق على الدول العربية ، فان من المهم ان نضعى لعدم السماح لميزان القوى بان يميل ضد اسرائيل » .

هذه هي الحجج نفسها التي نجدتها في تعليقات جميع الصحف الصهيونية والمساندة للصهيونية .

## التطورات على جبهة النفط

بدون أية مائدة وتسدد بالتفصيل على مدى عشر سنوات بعد مرور فترة سماح مدتها عشر سنوات أيضا . وتقدم هذه الاموال الى الدول المعنية عبر المندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . وخلال ١٩٧٥ سيجري استخدام المعايير ذاتها في توزيع هذه الاموال الا ان الحصص المخصصة لكل بلد قد تختلف بعض الشيء عن السنة الماضية .

(٢) فحوض المؤتمر الامين العام للمنظمة دراسة مشروع لانشاء مؤسسة عربية للطاقة وذلك استنادا الى تقرير تقدم به بعض الخبراء حول المصادر البديلة للطاقة وافضل السبل للاستفادة من استخدام البترول الى اقصى حد .

(٣) احوال المؤتمر الى امانة السر والسلطات المختصة في البلدان الاعضاء مسألة وضع وحدة نقدية تستخدم في تقييم الاستثمارات وحسابها في المشاريع المشتركة التي تقدم عليها بلدان المنظمة . اذ يتطلب هذا الموضوع مزيدا من الدروس على ما يبدو . ولا بد من الاشارة الى ان الوحدة النقدية المذكورة لا علاقة لها على الاطلاق باسعار البترول او المدفوعات المتعلقة به .

(٤) قرر المؤتمر انشاء ثلاثة معاهد بحرية في جدة والذوخة والبصرة .

(٥) اعطى المؤتمر التوجيهات اللازمة السلي الحوض العربي لبناء السفن وصيانتها من اجل مشروع انشاء حوض جاف في الجزء العربي من منطقة البحر الابيض المتوسط .

وتقد حاول بعض أعضاء المنظمة ادراج موضوع ضبط انتاج البترول على جدول أعمال المؤتمر الا ان الملكة العربية السعودية عازت بشدة واحبطت المحاولة .

**الحوار العربي - الاوروبي واتفاق اسرائيل مع السوق الأوروبية المشتركة :** وقعت اسرائيل في ايار ١٩٧٥ اتفاقا يتناول التجارة والتعاون مع السوق الأوروبية المشتركة . وكان لهذا الحدث بعض التأثيرات السلبية في العالم العربي وخاصة

شهدت الفترة الاخيرة مجموعة من التطورات الهامة على صعيد الجبهة النفطية . ويمكننا تلخيصها بالاحداث التالية :

### اجتماع منظمة الدول العربية المصدرة للنفط :

عقد وزراء نفط الدول التابعة لمنظمة الدول العربية المصدرة للنفط اجتماعا في الكويت بتاريخ ٣ - ٤ ايار ( مايو ) ( الملكة العربية السعودية ، العراق ، الكويت ، ليبيا ، دولة الامارات العربية المتحدة ، مصر ، سوريا ، قطر ، البحرين ) قرروا فيه انشاء الشركة العربية للخدمات البترولية التي سيكون مقرها في ليبيا وسيكون رأسمالها الاسمي ١٠٠ مليون دينار لبيي ( ٢٢٨ مليون دولار ) ورأسمالها المكتتب ١٥ مليون دينار لبيي ( ٥٠٧ مليون دولار ) يسهم فيه جميع الدول الاعضاء بصورة متساوية . وستقوم هذه الشركة بانشاء فروع لها في البلدان الاعضاء تأخذ شكل مشاريع مشتركة مع شركات دولية متخصصة في كل ميدان من ميادين الخدمات البترولية المختلفة مثل المنسج الجيوفيزيقي وصيانة آبار البترول وهندسة التخزين ، الخ . وستتمتع هذه الشركة بالامتيازات نفسها التي تتمتع بها الشركات الوطنية في كل واحد من هذه البلدان . بالاضافة الى ذلك اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

(١) استعرا الدول الاعضاء في المنظمة بتقديم القروض الخاصة ( خلال ١٩٧٥ ) الى البلدان العربية المحتاجة والمستوردة للنفط استنادا الى المخصصات المقررة لعام ١٩٧٤ ( ٨٠ مليون دولار ) . وتجدر الاشارة الى انه جرى خلال ١٩٧٤ تخصيص مبلغ ٨٠ مليون دولار تقدمت به سبعة من الدول الاعضاء ( باستثناء مصر وسوريا والبحرين ) وتم توزيعه على ست بلدان هي موريتانيا : ٤٧ ملايين دولار ، السودان : ٢٧٣ ملايين دولار ، الصومال : ٧٣ ملايين دولار ، الجمهورية العربية اليمنية : ١١ مليون دولار ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية : ١١٣ ملايين دولار ، المغرب : ٨٢ ملايين دولار . وتقدم هذه القروض

باتا ونهايا مما أدى الى فشل المفاوضات بين الطرفين .

لقد وقعت الدول الأوروبية المعنية الاتفاق المذكور مع اسرائيل على الرغم من التهديد الذي أطلقته دول الجامعة العربية بأن على أوروبا أن تتحمل النتائج المترتبة على جعل اسرائيل أول شريك في السوق ضمن إطار سياسة السوق الجديدة الرامية الى عقد اتفاقات افضلية مع بلدان البحر الابيض المتوسط . لذلك كانت ردود الفعل العربية على الخطوة الأوروبية شديدة اول الامر .

جاء أول رد فعل عربي من الجزائر حيث بعثت الحكومة بمذكرة عاجلة الى الامانة العامة للجامعة العربية تطالب فيها بتعليق الحوار مع الدول الأوروبية ( الذي كان سيبدأ في ١٠ حزيران ١٩٧٥ ) وتشدد على ضرورة تبني موقف عربي مشترك حول هذه المسألة . وقد جرى توزيع المذكرة على الدول الاعضاء في الجامعة العربية وتمت الدعوة لعدد اجتماع لخبراء الجامعة في ٢٠ ايار لمناقشة النتائج المترتبة على الاتفاق الاسرائيلي - الأوروبي بالنسبة للحوار العربي مع دول السوق المشتركة .

وفي ١٢ ايار اوضح القائم بأعمال السفارة الجزائرية في القاهرة موقف بلاده بقوله ان السوق الأوروبية عقدت اتفاقا تجاريا مع اسرائيل يعتبر تأييدا لاستمرارها في احتلال الاراضي العربية وذلك في وقت تعمل فيه الدول العربية على إعادة الحوار العربي - الأوروبي وقبذ كل جهد ممكن لانجاحه خدمة لمصالح الطرفين . وازداد القائل بالاعمال قائلا ان الخطوة الأوروبية تتطلب موقفا عربيا مشتركا لمواجهة الوضع الناجم عنها . وفي اليوم نفسه علقت صحيفة « المجاهد » الجزائرية على الموضوع بقولها ان أوروبا أعلنت بوضوح عن دعمها للحكومة الاسرائيلية لان الاتفاقية تقدم مساعدات مالية جديدة الى الاقتصاد الاسرائيلي الذي هزته الحرب . وذكرت « المجاهد » ان هذه الخطوة تقدم للحكومة الاسرائيلية تسهيلات واسعة تخفف من المشكلات المالية التي تعانيها وتسمح لها بالاندفاع قدما في مخططاتها العسكرية . كما أن السوق الأوروبية هددت بعملها احتمالات البدء

بالنسبة لمستقبل الحوار العربي - الأوروبي المزمع إجراؤه منذ فترة . وتجدر الإشارة هنا الى ان فكرة الحوار العربي - الأوروبي كانت تتمتع بثلاثي بعض المصاعب حتى قبل توقيع الاتفاق مع اسرائيل . فقد تأجل الاجتماع الأول لمدة اشهر بسبب الخلاف على مسألة تمثيل الفلسطينيين في الحوار . فقد طالبت الدول العربية بادىء الامر ان يمثل الفلسطينيون بوعد مستقل في حين رفضت دول السوق الأوروبية هذا الاقتراح . وتوصل الطرفان الى حل وسط بحيث يمثل الفلسطينيون كجزء من الوفود العربي الموسع الذي سيحاور وفدا أوروبا موحدا . وقد وافقت منظمة التحرير على هذا الترتيب لتسهيل مهمات الحوار . ومن ناحية أخرى ترك انبهار الاجتماع التحضيري بين الدول المنتجة للنفط والدول المستهلكة - الذي انعقد في باريس في شهر نيسان المنصرم - تأثيرا سلبيا على مستقبل الحوار العربي - الأوروبي . فقد صرح السفير الجزائري في بروكسل ورئيس وفد بلاده في محادثات باريس ( في مؤتمر صحافي عقد في ٢٣ نيسان ) ان الموقف الذي اتخذته دول السوق المشتركة في اجتماع باريس يتناقض بصورة أساسية مع وجهة نظر الدول المنتجة . وحذر الدول الأوروبية بأن ما جرى في اجتماع باريس لا بد وان يترك آثاره السلبية في وقت يجري فيه الكلام عن الحوار العربي - الأوروبي وعن رغبة العرب اعطاء أوروبا مركزا ممتازا في تعاملهم مع بقية الدول .

وكان هناك دوما مصدر آخر للتوتر بين دول السوق الأوروبية المشتركة والعرب وهو موضوع المقاطعة العربية لاسرائيل . وقد اثرت هذه المسألة خلال المفاوضات التي جرت في ٢٤ - ٢٦ اذار بين دول السوق الأوروبية المشتركة ودول افريقيا الشمالية ( الجزائر وتونس والمغرب ) من أجل عقد صفقات تجارية جديدة واتفاقات تعاون . وقد ذكرت المصادر الصحافية الجزائرية يومها ان وفد السوق الأوروبية طالب بتعمد من البلدان الافريقية الشمالية الثلاثة بعدم تطبيق أي من اجراءات المقاطعة على الشركات التي يكون مقرها دول السوق الأوروبية المشتركة حتى لو خرقت هذه الشركات قوانين المقاطعة . وبطبيعة الحال رفضت الدول العربية المعنية هذا الشرط الأوروبي رفضا

اذ بإمكان الدول العربية ان تستغني عن هذا الحوار باعتبارها لا يشكل ضرورة حيوية بالنسبة لها في حين ليس بإمكان الاطراف الاخرى تجاهل البلدان التي تسيطر على مصادر الطاقة .

في ٢٠ - ٢١ أيار عقد ممثلو الدول العربية اجتماعا في القاهرة ولكنهم لم يتمكنوا من التوصل الى قرار نهائي حول المباشرة بالمحادثات مع دول السوق الأوروبية أم لا . واهيئت المسألة الى لجنة فرعية مؤلفة من ممثلي ١٠ دول هي الاردن ومصر وسوريا وتونس والكويت والمملكة العربية السعودية والجزائر والمغرب وبلجيكا ودولة الامارات العربية المتحدة وذلك بهدف اجراء المزيد من الدراسة . وفي هذه الاثناء أعلنت الحكومة الليبية قرارها بمقاطعة الاجتماعات المزمع عقدها في القاهرة في ١٠ حزيران بين الدول العربية ودول السوق الأوروبية المشتركة . وواضح ان الموقف الليبي جاء احتجاجا على توقيع الاتفاقية بين اسرائيل ودول السوق .

على الجانب الاخر جاء ممثلان عن السوق الأوروبية الى القاهرة في الاسبوع الثاني من شهر أيار لايضاح وجهة نظر الدول الاعضاء حول الاتفاقية مع اسرائيل . بالاضافة الى ذلك قام السيد جاريت فيتزجيرالد ، رئيس مجلس وزراء السوق الأوروبية المشتركة ، بجولة شملت الاردن ولبنان وسوريا ومصر للهدف ذاته .

وفي ٢٦ أيار أعلن رئيس وزراء مصر بأن حكومته تلقت ايضاحات مقنعة وضمائم كافية بالنسبة لاتفاقية التجارة والتعاون بين السوق الأوروبية واسرائيل . جاء هذا الكلام امام مجلس الشعب حيث أعلن ممدوح سالم بأن الحوار العربي - الأوروبي سيبدأ الآن . ومن ناحية اخرى اجتمع جاريت فيتزجيرالد الى محمود رياض ، أمين عام الجامعة العربية ، في القاهرة في ٢٤ أيار . وصرح رياض بعد الاجتماع بأنه شرح وجهة النظر العربية الى السيد فيتزجيرالد وطلب دول السوق الأوروبية بالعمل على تنفيذ بيانها الصادر في ٦ تشرين الثاني (نومبر) ١٩٧٣ الذي يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . كما ذكر ان السيد فيتزجيرالد قدم ايضاحات حول الاتفاقية

بالحوار العربي - الأوروبي مما سيكون له تأثيره على الجهود العربية لتخطي العقبات التي تعترض هذا الحوار .

أيدت منظمة التحرير الفلسطينية الاقتراح الجزائري وطلبت الدول العربية باتخاذ موقف قوي ردا على الموقف الأوروبي المعادي . ووصفت منظمة التحرير الانتفاضة بين اسرائيل والسوق الأوروبية المشتركة بأنها ضربة موجهة الى اهداف الحوار العربي - الأوروبي ، خاصة وان اية مساعدة مالية او اقتصادية تقدمها الدول العربية الى السوق الأوروبية ستكون عمليا نوعا من تقديم المساعدة غير المباشرة الى الاقتصاد الاسرائيلي .

وفي ١٣ أيار صرح وزير خارجية سوريا في بون - حيث كان في زيارة رسمية - ان من شأن الاتفاقية الاسرائيلية - الأوروبية دفع اسرائيل الى مواقف أكثر تصلبا مما يعني انه اما ان يجسري تطبيق هذه الاتفاقية او التعويض على الدول العربية المعنية بسبب الخسائر التي تكبدتها . وفي اليوم التالي طالبت صحيفة « الثورة » السورية الدول العربية بفرض المقاطعة الاقتصادية على السوق الأوروبية المشتركة بسبب الاتفاقية الجديدة مع اسرائيل . كما طالبت بسحب الارصدة العربية من بلدان السوق كرد على ما جرى مؤكدة ان أوروبا ستكتشف قريبا بأن محاولة اغراء الدول العربية باتفاقات مشابهة لن تجدي .

اما في الكويت فقد صرح ناطق بلسان وزارة الخارجية ( صحيفة « الرأي العام » ، ١٢ أيار ) قائلا بأن توقيع الاتفاقية الاسرائيلية - الأوروبية يضع عائقا في طريق استمرار التعاون العربي - الأوروبي ويمنع الوصول الى مقدار اكبر من التفاهم بين الطرفين حول القضايا المطلوب مناقشتها بينها .

وفي مصر ذكرت « الاهرام » في ١٣ أيار بأنه يصعب على الانسان ، بعد مثل هذه الخطوة ، ان يصدق بأن تكون السوق الأوروبية المشتركة جادة في رقيتها باحياء الحوار العربي - الأوروبي بعد الاشهر التي مرت بدون ان يحقق هذا الحوار اي تقدم خاصة وان هدف هذا الحوار ليس خدمة المصالح العربية فقط وهو ليس هبة اوروبية بل يهدف الى خدمة المصالح الأوروبية الحيوية كذلك .

( ٣ ) تنمية القطاع الصناعي العربي وتنويع مصادر دخله وتنمية الصناعات الاساسية والوسيطه فيه وزيادة تصنيع المواد الاولية المتوفرة للاستهلاك المحلي وللتصدير .

( ٤ ) تطوير المنتجات الزراعية والحيوانية والغذائية في الدول العربية ، خاصة وان امكانيات هذه الدول في الميادين المذكورة واسعة . وهذا يعني البحث عن الطرق والاساليب المناسبة لتحقيق هذا الهدف وتحديد طبيعة المشاركة الاوروبية في هذا القطاع .

( ٥ ) تقديم تسهيلات تجارية وجمركية خاصة للمنتجات الزراعية والصناعية العربية لضمان وضعها التنافسي المناسب في الاسواق الاوروبية .

( ٦ ) تقديم الضمانات والتسهيلات الكافية للاستثمارات العربية في الدول الاعضاء في السوق الاوروبية .

( ٧ ) الاستفادة من الخبرة الاوروبية في الاعمال المصرفية والمالية لتنمية الاسواق المالية العربية .

( ٨ ) جمع الراسمال العربي والاوروبي بالتكنولوجيا المتقدمة في مشاريع يجري تنفيذها في الدول العربية .

( ٩ ) ضمان معاملة العمال العرب في دول السوق على قدم من المساواة مع العمال الاوروبيين بالنسبة للضمان الاجتماعي والتعليم ومستوى المعيشة وغيرها من التسهيلات والحقوق الاساسية.

( ١٠ ) زيادة التبادل الثقافي بين الدول العربية والدول الاعضاء في السوق .

وقد تم الاتفاق على ان يجري الحوار على ثلاث مراحل . تكون المرحلة الاولى على مستوى الخبراء ، والمرحلة الثانية على مستوى الهيئة العامة للتفاوضين ، والمرحلة الثالثة على مستوى وزراء الخارجية .

وعلى اثر انتهاء الاجتماعات في ١٤ حزيران صدر بيان مشترك حدد اهداف الحوار في ميادين الزراعة والتنمية الريفية والتصنيع والتعاون المالي والتجارة والتعاون العلمي والتكنولوجي والتبادل الثقافي والاجتماعي والعمالي . أي تبنى البيان المشترك بصورة عامة النقاط التي حددها رئيس الوفد العربي في خطابه . كما ذكر البيان ان

مع اسرائيل ووعده بدراسة الملاحظات العربية بهدء الشأن .

في ١٠ حزيران بدأ الحوار المنتظر مع دول السوق الاوروبية المشتركة في القاهرة في مقر جامعة الدول العربية . ترأس الوفد العربي السيد نجم الدين الدجاني - سفير الاردن في المانيا الغربية - باعتبار ان الاردن هو حاليا رئيس مجلس الجامعة العربية . وضم الوفد ممثلين عن كافة الدول العربية بالإضافة الى منظمة التحرير الفلسطينية باستثناء ليبيا. وترأس الوفد الاوروبي، الذي ضم ممثلين عن الدول الاعضاء التسعة في السوق ، السيد ايمون جالاجهر ، مساعد الامين العام لوزارة الخارجية الايرلندية .

افتتح الحوار السيد محمود رياض بخطاب حث فيه الجانب الاوروبي على التقيد بالمبادئ التي انطوى عليها بيان دول السوق الصادر في ٦ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٣ ، كما عبر عن امله بأن يعمل الخبراء العرب والاوروبيون لتحقيق التعاون الاقتصادي والتقني بين السوق الاوروبية والدول العربية ، وبأن يؤدي الحوار الى علاقات جديدة بين الطرفين تخدم مصالحهما المتبادلة . وتكلم ايضا في الجلسة الافتتاحية رئيس الوفد العربي حيث اشار الى ان الاتفاق الذي عقد بين دول السوق واسرائيل في ١١ ايار لا ينسجم مع المبادئ التي انطوى عليها بيان دول السوق المذكور سابقا . كما عبر عن امله هو ايضا بأن يشكل الحوار مدخلا الى جبهة جديدة من التعاون الشامل بين الدول العربية والسوق الاوروبية . على اثر ذلك حدد رئيس الوفد العربي النقاط العشر التي يرجو الجانب العربي ان تكون اساس الحوار ، وهي :

( ١ ) الوصول الى اتفافية شاملة هدمها التنمية السريعة للدول العربية بدون التأثير على أية اتفادات قائمة ( ثنائية كانت ام متعددة الأطراف ) بين أي بلد من البلدان العربية ودول السوق الاوروبية المشتركة .

( ٢ ) تثبيت التعاون بين الطرفين على أساس من المساواة وتعزيز العلاقات بناء على المصالح المشتركة واحترام سيادة كل دولة على مواردها الطبيعية .

واضح من النقد الفوري الذي وجهته الجزائر لمقترحات الوزير الأمريكي ومعروف ان الجزائر تتزعم طموح دول العالم الثالث لاعادة ترتيب النظام الاقتصادي العالمي بما يضمن مصالحه بصورة أفضل . وواضح من اقتراحات كيسينجر ان الخط الأمريكي المتصلب حول معظم القضايا المطروحة في ميادين الطاقة والاقتصاد والتمويل ما زال على حاله باستثناء بعض الليونة ( الشكلية طبعاً ) ازاء الدول المنتجة للنفط .

ونذكر القارئ هنا ان مصدر فشل مؤتمر باريس المذكور كان اصرار جبهة العالم الثالث على جدول اعمال يتناول مجموع المشكلات الاقتصادية العالية وبخاصة الطاقة والمواد الأولية واصلاح نظام النقد العالمي وحماية القوة الشرائية للعائدات التي تحصل عليها الدول النامية ( مما قد يعني ربط اسعار مصادر الطاقة وبعض المواد الأولية بمعدل التضخم العالمي ) . امر ممثلو العالم الثالث على مناقشة كل هذه القضايا باعتبارها متساوية من حيث اهميتها وخطورتها ، في حين اصر الطرف الاوروبي — الأمريكي على اعطاء مشكلة الطاقة ( البترول بصورة رئيسية ) موقع الصدارة واعتبارها متقدمة على باقي المشكلات في خطورتها واهميتها . وبطبيعة الحال لا مانع لدى دول العالم الثالث من تناول هذه القضايا من قبل لجان متخصصة مختلفة شريطة الا يكون في ذلك خدعة تفصل فصلاً تعسيفياً بينها وشريطة ان يتم احراز التقدم بصورة متوازنة في عمل كل لجنة من هذه اللجان الى ان يصل المؤتمر الى حلول شاملة . وواضح ان كيسينجر يحاول الالتفاف حول هذه الخلافات المحورية باقتراحه تأليف اللجان الثلاث المذكورة بعد احياء مؤتمر باريس مجدداً وتبرير الموقف الاوروبي — الأمريكي من خلال تنازل شكلي ولعبة مخض اجرائية . فالاقتراحات التي طرحتها الوزيرة الأمريكية في خطابها أمام لجنة الطاقة الدولية لا تبين أي تراجع في هذا المجال ، بل على العكس من ذلك فقد بينت لنا لا يترك مجالاً للشك انه على الرغم من تشكيل ثلاث لجان ستنصب الاهتمام بالدرجة الاولى على قضية الطاقة والبترول وعلى اللجنة التي تختص بهما ، وان دور اللجنتين الباقيتين لن يتعدى « تدعيم عمل لجنة الطاقة وتوجيهه وتكاملته » . وذكر كيسينجر ، في معرض

الجانبيين ووفقاً على عقد اجتماعات للخبراء بصفة دورية في إحدى المدن الأوروبية في شهر تموز ( يوليو ) المقبل . وصرح الدكتور الدجاني بأن المؤتمر أعد مذكرة مشتركة تضمنت الاطار السياسي العام لفكرة الحوار العربي — الاوروبي مشدداً على ضرورة التمسك ببيان ٦ تشرين الثاني ( نوفمبر ) لعام ١٩٧٣ . وصرح الامين العام للجامعة العربية قائلاً بأن الاجتماعات كانت ايجابية وبناءة وتم خلالها الوصول الى أهداف واضحة ومحددة ووضع الخطوط العريضة للتعاون بين الطرفين . اما رئيس الوفد الاوروبي فقد ذكر ان الاجتماعات كانت ناجحة ومفيدة خاصة وانها اول اجتماعات من نوعها .

### الحوار بين الدول المنتجة للنفط والمستهلكة له :

عاد الدكتور كيسينجر الى اعادة فتح ملف الحوار الاقتصادي بين الدول المنتجة للبترول والمواد الخام الاخرى ( دول العالم الثالث ) والدول الصناعية المستهلكة . جاء ذلك في خطابين القاها في باريس في ٢٧ و ٢٨ أيار ( مايو ) وبعد ان انتطع الحوار عند انهيار المؤتمر التحضيري الذي انعقد في باريس في نيسان المنصرم\* . تلقى كيسينجر خطابه الاول أمام مؤتمر وكالة الطاقة الدولية ( المؤلفة من ١٨ دولة صناعية ) حيث قال ان الولايات المتحدة على استعداد للعودة الى عقد مؤتمر باريس المذكور على الاسس السابقة ذاتها على ان يجري انشاء ثلاث لجان تتناول قضايا : ( أ ) الطاقة ، ( ب ) المواد الأولية والبترول ، ( ج ) مشكلات البلدان المتأثرة أكثر من غيرها ( في العالم الثالث ) نتيجة ارتفاع اسعار البترول . ولقى خطابه الثاني أمام اجتماع وزراء منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية حيث طرح اقتراحات محددة للتعاون الدولي في أربعة ميادين هي الغذاء والمواد الأولية والتجارة والتمويل .

ويمكننا ان نقول ، من خلال معرفتنا بأسباب انهيار مؤتمر باريس بين الدول المنتجة للمواد الخام والمستهلكة لها ، بأن مقترحات كيسينجر الجديدة ( فكرة اللجان الثلاث ) لن تكون كافية لانجاح المؤتمر ان هو عاد الى الانعقاد أصلاً . وهذا

\* انظر « شؤون فلسطينية » ، عدد ٤٦ ، حزيران ( يونيو ) ١٩٧٥ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٨ .

التعاون والتنمية الاقتصادية ان يظهر بمظهر من يقترح اجراءات هدفها مساعدة الدول الاكثر تخلفا في ميادين مثل الاغذية والمواد الاولية ( باستثناء البترول ) والتجارة والتمويل . ولكن التدقيق في كلامه يبين أنه لم يذكر في لائحة الموضوعات التي يفترض أن يجري النقاش حولها بين الدول الصناعية والدول المصدرة للبترول مسألة حماية القوة الشرائية لعائدات هذه الدول — وهي قضية محورية من صلب هذا الخلاف وفي أساسه .

بعبارة أخرى ما زالت الولايات المتحدة متمسكة بموقفها المعارض لاي ربط لاسعار البترول بمعدلات التضخم بأي صورة من الصور . وبميل الموقف الأمريكي في التصريحات الاخيرة الى التشدد في رفض هذا الربط بالنسبة لكافة المواد الاولية وليس بالنسبة للبترول فحسب . وما لم تبد الحكومة الامريكية ليونة أعظم حول موضوع ربط أسعار البترول بمعدلات التضخم لا يبدو ان أي حوار سيؤدي إلى أية نتائج . وقد اشار وزير المال الكويتي ، عبد الرحمن العتيقي ، في باريس ٢٨ ايار ( مايو ) ، الى ذلك بقوله ان دول الاوبك ترفض الدخول في أية محادثات ما لم يتنازل المعسكر الاخر عن موقفه بالنسبة لموضوع ربط اسعار النفط بمعدل التضخم .

أمام هذه المواقف المتصلبة لم يعد أمام الولايات المتحدة الا اللجوء إلى التهديد الذي يكون أحيانا بالتلميح وأحيانا بالتصريح . لذلك أعلن كيسينجر في باريس ان حكومته ستعارض أية زيادة جديدة في أسعار النفط لانه لن يكون لها أي مبرر اقتصادي ( كذا ) كما انها تأمل بأن تنكر دول الاوبك مليا بوقع رفع الاسعار على الاقتصاد العالمي . ولا شك ان ملاحظات كيسينجر هذه جاءت استباقا لاجتماع دول الاوبك الذي انعقد في ٩ حزيران ( يونيو ) في ليرفيل في جمهورية الجابون ، حيث كان من المتوقع مناقشة امكانات فرض زيادة طفيفة على اسعار البترول كتعويض عن الهبوط الذي طرأ على قيمة الدولار الأمريكي وكجزء من اجراءات الانتقال من التعامل بالدولار إلى مجموعة العملات المسماة « بحقوق السحب الخاصة » والتي سيجري حساب اسعار النفط ونفا لها في المستقبل القريب .

**اجتماع الاوبك المنعقد في ليرفيل : عقدت دول**

محاولته تقوية موقفه ، ان حكومته اجرت محادثات اولية مع بعض — وليس مع كل — الدول المنتجة للنفط حول الاقتراح الأمريكي ( انشاء اللجان الثلاث ) وان البلدان التي جرت المشاورات معها « تجاوبت مع حكومته بشكل عام على ما يبدو » .

وواضح ان الجزائر لم تكن بين الدول التي تشاورت معها الحكومة الامريكية بدليل النقد الغوري الذي وجهته وكالة الانباء الجزائرية ( والاذاعة أيضا ) للمشروع الكيسينجيري حيث قالت الوكالة ان « الحوار المحدود » الذي يقترحه الوزير الأمريكي لا يصلح كأساس لتجديد الجهود الرامية الى عقد مؤتمر دولي من النوع المطلوب لان بيان الوزير يثبت ان امريكا ما زالت تحاول الدخول- في مناورات للسيطرة ليس على العالم الثالث فحسب بل على البلدان الصناعية الغربية أيضا وهي تعد حلا امريكي لا يأخذ بعين الاعتبار سوى المصالح الامريكية . كما ذكر راديو الجزائر ان كيسينجر ووكالة الطاقة الدولية يريدان مرة أخرى تجزئة القضايا بحيث يدفعان قداما بالمشكلة الوحيدة التي تهتمها ، أي الطاقة والبتترول . أما وزير الصناعة الجزائري ، بلعيد عبد السلام ، فقد أقر بأن موقف الولايات المتحدة « أظهر بعض التحسن » الا انه أكد ان مقترحات كيسينجر الاخيرة غير كافية بحد ذاتها للعودة الى الحوار .

وأبرز الوزير الجزائري للسليبيات التي يشكو منها الموقف الأمريكي كما عرضه كيسينجر باشارته : اولاً ، الى الموقف الأمريكي السلبى من فكرة ربط أسعار البترول والمواد الخام بمعدل التضخم النقدي العالمي . وثانياً ، الى محاولة الحكومة الامريكية تجزئة القضايا المطروحة من جانب العالم الثالث الى دوائر معزولة عن بعضها مع التشديد دوماً على موضوع الطاقة واعمال مسألة المواد الاولية وغيرها من مشكلات العالم الثالث الاقتصادية . وثالثاً ، الى غياب أي ذكر أمريكي لامكان مناقشة اصلاح النظام النقدي العالمي والقضايا المرتبطة بذلك . لذلك استنتج الوزير الجزائري بأن العالم الثالث حدد موقفه بوضوح تام وأصبح عبء التحرك القادم يقع حاليًا على البلدان المستهلكة .

نلاحظ هنا ان كيسينجر حاول بعد الهجوم الجزائري ، في الخطاب الذي ألقاه امام منظمة

بالتقاسم الى العملات الـ ١٦ التي تتألف منها حقوق السحب الخاصة . علما بأن عمليات الدفع الفعلية ستكون ، بطبيعة الحال ، إما بالدولار أو الاسترليني أو غيره من العملات وفقا للترتيبات التي يجري الاتفاق عليها .

جدير بالملاحظة هنا انه كان متوقعا بأن يقرر مؤتمر ليبرفيل البدء بالعمل بحقوق السحب الخاصة ابتداء من ١ تموز ( بدلا من ١ تشرين الاول ) وأن يرفع سعر البترول بالدولار لتعويض عن الانخفاض الذي طرأ على قيمة العملة الامريكية منذ شهر أيلول الماضي . لكن خلافات نشبت داخل المؤتمر حول الموضوع . اذ يعتمد اقرار مثل هذه الزيادة على الشهر الذي يجري اختياره كأساس للانطلاق في عملية التحول من التعامل بالدولار الى التعامل بوحدات حقوق السحب الخاصة في حساب أسعار البترول الخام ، وكان خبراء اللجنة الاقتصادية في الاوبك قد اجتمعوا قبل انعقاد مؤتمر المنظمة وتوصلوا الى صياغة عدد من البدائل التي يمكن للمؤتمر ان يختار بينها ان هو اراد تطبيق وحدات حقوق السحب الخاصة ابتداء من ١ تموز . استندت البدائل المطروحة الى سعر الاوبك السائد (١٠.١٢ دولارا للبرميل الواحد) للبترول « العربي الخفيف » وهي :

( ١ ) اعتبار شهر تشرين الاول ١٩٧٤ كأساس للتخلي عن الدولار ( المعدل الشهري : دولار واحد = ٨٢٨٦٥٠ ر. حقوق السحب الخاصة ) وهذا يعني ان الزيادة في سعر النفط ستبلغ حوالي ٤٧ سنتا في سعر البرميل الواحد من البترول الخام .

( ٢ ) اعتبار شهر كانون الاول ١٩٧٤ كأساس المعدل الشهري : دولار واحد = ٨٢٣٩٤٩ ر. حقوق السحب الخاصة . وهذا يعني زيادة تبلغ ٢٧ سنتا في سعر البرميل الواحد من البترول الخام .

( ٣ ) اعتبار المعدل العام لسنة ١٩٧٤ كلها كأساس وهذا يعني زيادة حوالي ٣٤ سنتا في سعر البرميل الواحد من البترول الخام ( تقدم بهذا الاقتراح خبراء الوفد الايراني ) .

في بداية المؤتمر ظهر ان الاكثية تميل الى اعتبار اما شهر كانون الاول ١٩٧٤ او المعدل

الاوبك آخر اجتماعاتها في جمهورية الجابون بين ٩ - ١١ حزيران . أكد المؤتمر مجددا القرار الذي اتخذته في شهر كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٧٤ بالاستمرار بتجديد اسعار البترول الخام حتى نهاية أيلول (سبتمبر) ١٩٧٥ . لكن في الوقت ذاته نبه بومسوخ الى انه سيجري «تعديل» هذه الاسعار ابتداء من ١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٥ نظرا لزيادة معدلات التضخم النقدي العالمي وانخفاض قيمة الدولار وتدهور القيمة الحقيقية للعائدات التي تحصل عليها الدول الاعضاء . كذلك قرر المؤتمر حماية القوة الشرائية للعائدات البترولية من التقلبات التي يعاني منها الدولار الامريكي وذلك بتبني حقوق السحب الخاصة التابعة لصندوق النقد الدولي باعتبارها الوحدة التي سيجري حساب اسعار البترول الخام وفقا لها ابتداء من ١ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٥ . أما اسلوب تطبيق هذا الاجراء فسيتم تحديده في الاجتماع المقبل للمنظمة الذي سيعقد في ٢٤ أيلول ( سبتمبر ) في فيينا . ويعني كل ذلك انه مهما كان مستوى الاسعار البترولية الذي سيتم الاتفاق عليه في المؤتمر المقبل للاوبك سيجري التعبير عن هذه الاسعار ( ابتداء من ١ تشرين الاول ) بوحدات حقوق السحب الخاصة كما تكون سائدة وقتها . مما يعني بدوره تعويم القيمة الدالارية للبترول

✽ كانت حقوق السحب الخاصة أصلا تساوي ١ دولار امريكي ولكنها زادت الى ١٢٠٦٢٥ دولار نتيجة تخفيض قيمة الدولار في ١٩٧٢ و ١٩٧٣ . وفي ١ تموز ( يوليو ) ١٩٧٤ جرى تحديد التبدلات في قيمة حقوق السحب الخاصة استنادا الى التغيرات التي تطرأ على قيمة مجموعة من العملات التابعة لـ ١٦ دولة تشكل صادرات كل واحدة منها خلال ١٩٦٨ - ١٩٧٢ وأحد بالمائة أو ما فوق من مجموع الصادرات العالمية . وتضم مجموعة العملات هذه كميات من عملات الدول المذكورة بصور تناسب مع تجارتها (بالإضافة الى كميات من الدولارات من أجل التأكيد على أهمية الدولار في الصفقات الدولية) . ويجري تحديد قيمة حقوق السحب الخاصة دوريا استنادا الى قيمة العملات المعنية ووفقا لاسعارها في سوق لندن المالية .

وانه سيتقدم باقتراح بديل في اجتماع الاوبيك القادم في فيينا . ويرر ذلك بقوله انه اذا تحسنت قيمة الدولار - وهي قيد التحسن الان - ستخسر الدول المنتجة الكثير عند حساب اسعارها استنادا الى وحدات حقوق السحب الخاصة . ويبدو ان السلطات الايرانية تفضل ابقاء دول الاوبيك للدولار كوحدة للتعامل شريطة ان تتخذ الدول الاعضاء قرارا في الاجتماع المقبل بربط أسعار البترول بأسعار مجموعة من السلع والبضائع الاساسية في التجارة الدولية بحيث تعوض الدول المنتجة خسائرها الناجمة عن التضخم وعن أي تدهور في القوة الشرائية لعائداتها . وأعلن الوزير الايراني عن توقعه بأن يقر الاجتماع المقبل للاوبيك رفع اسعار البترول لكن ليس بحدود ٣٠ بالمائة كما تشيع بعض الامساخ . كما رد على تهجمات وزير المالية الامريكية ، وليم سايمون ، المتعلقة بزيادة اسعار البترول بقوله ان « السيد سايمون يلعب لعبة حرب اعصاب سخيفة ضدنا » .

اما الموضوع الرئيسي الاخر الذي ناقشه مؤتمر ليبرفيل فكان فوارق الاسعار الناتجة عن النوعيات المختلفة للبترول الخام ( أي كميات الكبريت الموجودة في البترول ) وعن أجور شحته . وعلى الرغم من ان خبراء اللجنة الاقتصادية التابعة للاوبيك قدموا تقارير غنية حول هذا الموضوع لم يجر أي اتفاق حوله بسبب الخلافات القائمة . هناك وجهتا نظرا اساسيتان داخل الاوبيك حول هذه المسألة . تقول وجهة النظر الاولى بشرورة تبني صيغة ثابتة يجري تطبيقها بصورة آلية من حين الى حين من اجل حساب الفوارق في اسعار النفط الناتجة عن اختلاف نوعياته وجودته . وترفض وجهة النظر الاخرى هذا الاقتراح وتقول بأن تحديد مثل هذه الصيغة الثابتة وتطبيقها على النحو المذكور مسألة متعذرة عمليا . ويفضل اصحاب هذا الرأي اسلوب الاتصال بين الاطراف المعنية والتشاور فيما بينها من حين الى آخر حول اعادة النظر بالاسعار وفوارقها الناتجة عن الاختلاف في نوعية البترول المستخرج . وواضح ان اغلبية الدول المنتجة في الخليج العربي غير مستعدة ( في الوقت الحاضر على اقل تعديل ) لاية خطوة منسقة ومنتظمة باتجاه خفض اسعار بترولها ذي النوعية العالية ( لا يحوي على كميات كبيرة من الكبريت )

العام لسنة ١٩٧٤ كأساس للتخلي عن الدولار بما يعني زيادة في اسعار البترول تراوح بين ٢٧ و٢٤ سندا . وكانت بعض الدول المعروفة بمواقفها الراديكالية مثل الجزائر والعراق وليبيا تدفع باتجاه تبني الاحتمال الاخر اي الذي يؤدي الى زيادة مقدارها ٤٧ سندا للبرميل الواحد . الا ان الموقف النهائي للمؤتمر قررته المملكة العربية السعودية ( كالمعادة ) التي وافقت على مبدأ تبني وحدات حقوق السحب الخاصة في حساب اسعار النفط ولكنها في الوقت نفسه اعلنت انها تفضل ان يتم الانتقال من الدولار الى الوحدات الجديدة بدون أن تطرأ اية زيادات على اسعار البترول محسوبة بالدولار ، وانه اذا تم الاتفاق على اقرار اية زيادات فان المملكة لن تقبل الا بشهر كانون الثاني ( يناير ) ١٩٧٤ كأساس للتخلي عن الدولار ( المعدل الشهري دولار واحد = ٨١١١٨٨٣ر . حقوق السحب الخاصة ) مما يعني ارتفاعا بالاسعار لا يزيد عن (١ سندا للبرميل الواحد .

بسبب هذه الاختلافات قرر المؤتمر تأجيل التخلي عن الدولار واعتماد حقوق السحب الخاصة في حساب اسعار البترول من تموز الى شهر تشرين الاول المقبل مما يفسح المجال لمزيد من المناقشات والبحث في موضوعي الاسعار والتضخم قبل انعقاد مؤتمر الاوبيك في شهر ايلول . وقد عبر عدد من كبار خبراء الاوبيك عن ارتياحهم لهذا التأجيل لانه سيعطيهم الفرصة للتعمق أكثر في دراسة مشكلة تعديل الاسعار بالنسبة لمعدل التضخم النقدي من ناحية، وبالنسبة لتقلبات اسعار العملات الرئيسية من ناحية ثانية . كما ستعقد مجموعة من هؤلاء الخبراء اجتماعا في فيينا في اوائل شهر تموز لدراسة موضوع ربط اسعار البترول بمعدلات التضخم واعداد تقرير مفصل بهذا الصدد يجري رفعه الى مؤتمر المنظمة القادم .

على الرغم من القرار الذي اتخذته دول الاوبيك بالاجماع حول تبني وحدات حقوق السحب الخاصة ابتداء من ١ تشرين الاول فقد اصدرت الحكومة الايرانية في ١٩ حزيران بيانا أعلنت فيه رفضها لهذه الخطوة . أعلن وزير الداخلية الايراني ( الذي يمثل بلاده عادة في مؤتمرات الاوبيك ولكنه كان غائبا خلال المؤتمر الاخر بسبب الانتخابات في ايران ) بأنه ضد تبني وحدات السحب الخاصة

السناد والاستعانة بخبراء من الخارج .

( ٢ ) قرر المؤتمر تنسيق سياسات تسعير الغاز بحيث تكون متسجمة مع سياسات تسعير البترول .

( ٣ ) قرر المؤتمر انشاء وكالة خاصة ضمن اطار الاوبك لتشجيع التعاون بين شركات النفط الوطنية في البلدان الاعضاء وخاصة في ميدان التسويق والارجح أن تأخذ هذه الوكالة شكل دائرة خاصة او لجنة دائمة للتنسيق في الامانة العامة .

يمكننا ان نقول ان الجو الذي ساد مؤتمر ليبرفيل يتصف اولا وآخرا بالاعتدال بالنسبة لموضوع الاسعار . وهذا يعني بدوره مهادنة جبهة الدول المستهلكة وعدم استفزاز الولايات المتحدة بعد كل التهديدات العنيفة التي اطلقتها . ولكن استنادا الى ما جرى في هذا المؤتمر تشير كل الدلائل الى ان ارتفاعا لا بأس به سيطرأ على اسعار البترول في الخريف القادم للتهويض عن الارتفاع الحاصل في معدل التضخم النقدي العالمي وعن الخسائر التي تتحملها الدول المنتجة تبعا لذلك . وقد ألمح خبراء الاوبك بأن الخسائر في القوة الشرائية لعائدات هذه الدول قد بلغت ٣٥ بالمائة كحد ادنى منذ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ . طبعا سيعتمد مقدار هذه الزيادة وكيفية تطبيقها الى حد ما على ما سيجري على صعيد الحوار بين الدول الصناعية والعالم الثالث .

### رهف بدوي

اي انها لا تريد السير على الطريق التي سارت عليها ابو ظبي في آذار ( مارس ) الماضي . لذلك جدد المؤتمر موضوع الفوارق في الاستعاز لاجراء المؤيد من الدراسات المفصلة حوله . وسيجتمع في الشهر القادم بعين الخبراء لدراسة هذه المشكلة واعداد اقتراحات ( تدخل في تنفيذها الادمثة الالكترونية ) لوضعها امام مؤتمر الاوبك القادم . وهذا يعني ان خروج ابو ظبي من سياسة باقئ دول الخليج فيما يتعلق بالبترول ذو النوعية العالية باق على حاله في الوقت الحاضر .

وناقش مؤتمر ليبرفيل ايضا الموضوعات التالية:

( ١ ) التقارير التي رفعتها اللجان الفنية الثلاث المولجة بمتابعة القضايا التي طرحها بيان دول الاوبك الصادر في آذار الماضي وهي : ( أ ) القضايا البترولية بما في ذلك الاسعار ، ( ب ) اصلاح نظام النقد الدولي ، ( ج ) المساعدات التي مستقدها دول الاوبك للبلدان النامية الاخرى ( بصورة رئيسية مشروع مصنع الاسبدة الذي امرته الاوبك ) . لن تجري متابعة القضايا التي درستها اللجنة الاولى ( بما في ذلك برمجة الانتاج ) من قبل اللجنة الاقتصادية التابعة للاوبك . اما النتائج التي توصلت اليها لجنة اصلاح النظام النقدي العالمي فسيجري رفعها الى اجتماع وزراء المال لدول المنظمة الذي سينعقد خلال شهر تموز . وحول المؤتمر الامانة العامة للاوبك صلاحية العمل على وضع الدراسات الفنية اللازمة لمشروع مصنع

## صناعة الاسلحة الاسرائيلية ومضمونها

طلاعة بشرية ضخمة ذات كفاءة عالية ، لا سيما وان الصناعة العسكرية قد اصبحت على جانب كبير من التعقيد مما يتطلب تنظيم صناعات مختلفة تخدم الصناعة العسكرية وتوفر لها احتياجاتها - كالصناعات الالكترونية .

اذا أخذ بالمعطيات السابقة كمقياس لامكانيات قيام صناعة عسكرية في اسرائيل ، لامكن الوصول الى بدهية بانه من المستحيل على الكيان الاسرائيلي في حدود الارض الضيقة التي يقم فوقها . وفي حدود امكانياته البشرية التي لا تزيد على ثلاثة ملايين ، وفي حدود قدرته الاقتصادية - الانتاجية اقامة صناعة عسكرية . ولكن طرح قضية اقامة صناعة عسكرية في حدود الكيان الاسرائيلي هو طرح خاطيء من ناحيتين . الاولى هي ان اسرائيل لا تعيش وجودها في حدود الارض المحتلة من فلسطين . ثمي تعتمد في طاقتها البشرية على مستودع الصهيونية المنتشر في انحاء العالم . وهي تعتمد في اقتصادها على ارتباطها بالمتروسات والكراتلات الدولية وعلى ما توفره لها التنظيمات الصهيونية من متطلبات مادية وهي تعتمد في تفتيتها وتقدمها العلمي على ما توفره لها الامبريالية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان مخطط الصناعة الاسرائيلية لا يعتمد على الامكانيات الحالية وانما يرتبط بالمخطط السياسي والاستراتيجي الذي تحدد ابعاده قوة ثلاثة يمكن وضعها في اطار معادلة ايضا وهي تطلعات الامبريالية الاستراتيجية الاقتصادية للعالم العربي + مخطط الصهيونية العالمية للسيطرة على العالم العربي + مطامع قادة اسرائيل المتوافقة مع التطلعات الامبريالية والمخططات الصهيونية والتي تلبى من ناحية اخرى تطلعات الصهيونية العالمية لرسم الخارطة الجغرافية من الفرات الى النيل .

انطلاقا من هذه المعادلة ، استطاع الكيان الاسرائيلي انشاء بعض فروع الصناعة الحربية كصناعة بناء الطائرات والصواريخ والصناعة الالكترونية الحربية ، كما تجري الابحاث المستمرة

صرح عميد معهد الدراسات العليا ( التخنيون ) العميد الاحتياطي عاموس حوريف بان اسرائيل في حاجة الى صناعة عسكرية كبيرة جدا ويعتقد بان اسرائيل قادرة وملزمة بتخصيص الانتاج وكيفيته حتى تستطيع الصناعات العسكرية خدمة الغاية المتجهة اليها وبكيات كبيرة . واضاف ان اسرائيل اثبتت امكانياتها في انتاج عتاد محكم الصنع لا يقل ببيزاته من اي صناعة عسكرية عالية واليوم علينا ان نبذل مجهودا اكبر لتوسيع القاعدة الصناعية الامر الذي لم يسبق ان نهج في الماضي لاسباب كنا نجعلها ولخطأ في التقدير(١) . وكان وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيرس قد صرح في وقت سابق بان الصناعة الحربية الاسرائيلية التي قدمت طائرة كثير ، تستطيع تحقيق التسوق على القوات العربية .

يتطلب بحث اقامة الصناعة العسكرية الاسرائيلية ، الاستناد الى عدد من المعطيات الثابتة والمعروفة ، يمكن ايجازها بما يلي :

١ - الصناعة العسكرية ، هي صناعة انتاجية وليست استهلاكية، بمعنى ان نجاحها واستمرارها يتوقف على توفر القدرة في ايجاد اسواق لها . وحتى تستطيع اقتحام هذه الاسواق فانه لا بد لها من توفر شرطين : الجودة والاسعار المنافسة .

٢ - الصناعة العسكرية باهظة التكاليف ، تتطلب مخصصات ضخمة وموازنات كبيرة ولهذا تعمل كثير من المؤسسات الكبرى ذات الصناعة المتنافسة على عقد اتفاقات فيما بينها للاشتراك في انتاج نوع معين ومثال ذلك انتاج طائرة جاكوار GR, MKI بمجهود مشترك فرنسي - بريطاني . وكذلك انتاج صواريخ هوت - وميلان بمجهود مشترك الماني - فرنسي .

٣ - تتطلب الصناعة العسكرية توفر المواد الأولية الضرورية - كصناعة الحديد والصلب - والمواد المشعة الى جانب وجود تقدم منباعي وخبرة تقنية عالية وتقدم علمي .

٤ - وتحتاج الصناعة العسكرية ايضا الى

في الصناعات الالكترونية نسبة تتراوح بين ( ٤٢٪ ) و ( ٦٠٪ ) (٤) غير ان اهم منابع الدعم المالي على الاطلاق هو المنظمات الصهيونية العالمية فمبذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٠ قدمت هذه المنظمات الى اسرائيل قرابة ٧ مليارات دولار . وكذلك ترد الى اسرائيل سنويا اموال باهظة كمدفوعات وتعويضات ، حتى بلغت المساعدة المادية التي منحتها المانيا الغربية لاسرائيل حتى ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ ما قيمته ٨٢ مليار دولار (٥) وتسهم بعض الشركات العالمية الاقتصادية بدعم الانتاج الحربي الاسرائيلي والصناعة الحربية الاسرائيلية . وقد تم عقد اجتماع في نهاية شهر ايار ( مايو ) ١٩٧٢ في مدينة القدس المحظية حضره ١٢٠٠ شخص من ممثلي هذه الشركات واكد المجتمعون موافقتهم على الخطة المتضمنة ايداع مبلغ ٦٠ مليار ليرة اسرائيلية في الاقتصاد الاسرائيلي حتى نهاية عام ١٩٧٨ . وفي اعقاب حرب تشرين ( اكتوبر ) ١٩٧٢ طار وزير خارجية اسرائيل ابا ايبان الى امريكا وحصل على مساعدة قدرها ١٤٠٠ مليون دولار منها ٧٥٠ مليون دولار نقدا و ٦٥٠ مليون دولار كقرض عسكري (٦) .

وبخصوص المواد الاولية والطاقة البشرية ، تعتبر مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية من اكثر الصناعات تطورا في اسرائيل . وقد تزايد عدد العمال بدرجة مذهلة . فبينما كان عدد العمال لا يتجاوز ٧٠ عاملا عام ١٩٥٧ ، اذ به يتفزز الى ١٢٥٠٠ عاملا في عام ١٩٧٢ و ٢٠٠٠٠ عاملا عام ١٩٧٥ (٧) .

وتستوعب مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية معظم خريجي معهد ( التخنيون ) في حقل العلوم الفضائية والجوية ولكن هؤلاء لا يكونون لسد حاجات التوسع التي تزايدت تزايدا كبيرا وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لذلك حاولت استخدام مهندسين وفنيين من الخارج وعلى الرغم من ان شركات صناعة الطائرات في الولايات المتحدة قد تخلت عن اعداد كبيرة من العاملين فيها ، وعلى الرغم ايضا من ان الولايات المتحدة هي المصدر الرئيسي للمهاجرين التقنيين الى اسرائيل فقد فشلت صناعة الطائرات الاسرائيلية في استخدام الخبراء والفنيين الامريكيين . فقد بلغ عدد الامريكيين الذين استطاعت المؤسسة تطويعهم في

في مجال الاسلحة النووية . واصبح في اسرائيل ما يزيد على ٦٠٠ نوع من انواع الاسلحة والذخيرة . وامكن بذلك توفير الشروط الضرورية لنمو صناعة الاسلحة وتطورها .

فبالنسبة لتصدير الصناعات الحربية وتسويقها ، تضاعف انتاج الاسلحة الاسرائيلية المصدرة في الفترة ما بين عام ١٩٦٧ و ١٩٧٢. تضاع مرات وبلغ ثمنها ٩٠ مليون دولار ، وتم تصدير القسم الاكبر من هذه الاسلحة الى جنوب افريقيا التي نسقت في السنوات الاخيرة علاقاتها مع اسرائيل ثم توجهت بتحالف عسكري . وفي عام ١٩٧٠ صدرت اسرائيل الى حكومة روديسيا وغيرها من الاسلحة ما قيمته ١٠ ملايين دولار ، بينما زادت القيمة في عام ١٩٧٢ ثلاثة اضعاف ، علما بان قيمة الشحنات الامريكية السنوية لهذه البلاد لا تتجاوز ٢٠ مليون دولار ، كما منحت حكومة اسرائيل نظام الحكم في روديسيا ترخيصا بانتاج الرشاش ( عوزي ) . ولقد وصل المبلغ الذي حصلت عليه اسرائيل نتيجة لصادراتها الخاصة من الاسلحة ( الرشاش عوزي والصاروخ غابرييل ) الى اكثر من ٧٠ مليون دولار (٨) .

وفي مجال تغطية التكاليف ، تعتمد اسرائيل على دعم الشركات العالمية . ففي عام ١٩٥٢ تم تكوين نواة شركة صناعة الطائرات الاسرائيلية - مؤسسة بيديك - وتمت تغطية المشروع بفقد اتفاقات مع عدة شركات طيران عالمية لصيانة طائراتها في مطار اللد ، ومارست الحكومة الامريكية دورا كبيرا بدعم هذه الشركة ، واعترفت بيديك ، على انها مركز صيانة وكالة الطيران الفيدرالية الامريكية . وشجعت على عقد اتفاقات لصيانة طائرات النقل التابعة لمتسلح الجو الامريكي والفرنسي (٩) . اما بالنسبة للصناعات الالكترونية فتعتبر شركة الرون Elron - ثالث اكبر شركة للصناعة الالكترونية في اسرائيل وقد تأسست في عام ١٩٥٥ كمشتر ثم تحولت التي مصنع في عام ١٩٦٠ ، ومولت التحول جماعة من الامريكيين منهم دافيد ولورانس روكنلر ، وتوزع ملكية هذه الشركة كما يلي ( ٢٢٪ ) الجماعة الامريكية ( ٢٧٪ ) P.E.C. ( ٥١٪ ) بنك اسرائيل ديسكاوت . ويشكل رأس المال الامريكي

انه في عام ١٩٧١ توجهت اعمال ٤٨ معبدا ومركزا من مراكز البحوث العلمية الموجودة في اسرائيل الى اكثر من ٢٢٦ تصميما من تصاميم الصناعات الحربية المختلفة ، بطلب من الولايات المتحدة الامريكية التي قدمت من اجل هذا الغرض بعونة مالية بقيمة ٢٦ مليون ليرة اسرائيلية . وتقدم ألمانيا الغربية ايضا نصيبتها في دعم وتطوير فروع الصناعة واعمال البحوث العلمية العسكرية للدولة الصهيونية . فمن ٥٠٠ اختصاصي يعملون في اسرائيل يزاول ٧٣ اختصاصيا اعمال البحث المختلفة في مركز البحوث العلمية المسمى ( غيسمان ) وهو المعهد الذي يقوم بأعمال انتاج الاسلحة النووية .

#### أهم الصناعات الحربية الإسرائيلية ومنتجاتها

أ - الصناعة الجوية الاسرائيلية وميزاتها : بدأت مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية عملها في شهر تشرين الاول ( اكتوبر ) من عام ١٩٥٣ ، وكان اسمها وقتئذ ببيديك - اي المراقبة والصيانة - وكان هناك هدفان وراء انشاء هذه المؤسسة الاول تقديم المساعدة الى سلاح الجو الاسرائيلي بالنسبة لصيانة الطائرات التجارية الاسرائيلية والغربية التي تعمل في مطار اللد . غارتبطت ببيديك بوزارة الدفاع الاسرائيلية ، وكان رأس مال المؤسسة عند انشائها ( ٦٠٠ ) الف دولار وفي عام ١٩٧٠ تحولت الى مؤسسة حكومية شبه مستقلة رأس مالها ( ٣٠ ) مليون دولار . وتقسم هذه المؤسسة اداريا الى ( قسم ببيديك - او قسم الصيانة - وقسم الهندسة - وفيه يتم وضع تصاميم الطائرات والمعدات الجديدة ، والتعديلات المقترح ادخالها على الطائرات الموجودة . ويضم هذا القسم مختبرا تستخدم فيه حاسبة الكترونية حديثة ضخمة ويأتي بعد ذلك قسم صناعة الطائرات وهو المسؤول عن صنع الطائرات وقطع الغيار ويضم اكثر من ٤٥٠٠ عامل وفني ) والى جانب الاقسام الرئيسية الثلاثة المذكورة اعلاه ، تضم مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية مجموعة من المصانع والشركات التابعة لها ، ومنها : -

المصنع ب - ويتم فيه صنع و انتاج صواريخ غبرئيل البحرية والحواجز الالكترونية المخصصة لاعتراض الفدائيين اثناء عبورهم الحدود .

فترة ١٨ شهرا انتهت في شهر تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٠ ( ١٢٥ ) شخصا فقط ، قرر عدد ضئيل من بينهم البقاء في اسرائيل مدة تزيد على ٣ سنوات (٨) وبلغ عدد العاملين في الصناعة الالكترونية في اسرائيل عام ١٩٧٠ نحو ( ٩٠٠٠ ) عامل ( ولا يشمل هذا الرقم العاملين في الصناعة العسكرية وصناعة الطيران ) موزعين كما يلي ( ٨٪ ) مهندسون ( ٢٠٪ ) تقنيون ( ٦٪ ) عمال صناعيون . أما الباقيون فهم الجهاز الاداري والكتابة والمعلمون في التسويق . وتعتمد الصناعة الحربية الاسرائيلية على الفنيين والاختصاصيين والخبراء الذين يتم التعاقد معهم للعمل في اسرائيل وفق عقود قصيرة الامد او طويلة الامد بغية اعطاء هؤلاء الخبرة الفنية والمعرفة العلمية للفنيين والاختصاصيين الاسرائيليين العسكريين ، وكذلك لتعليمهم وتدريبهم . وعلى سبيل المثال كان ( دوم وزينكر ) وهما باحثان اسرائيليان كيران في صناعة الصواريخ ويعملان حاليا في المعهد السياسي الموجود في ( تخنيون ) كانا قبل قدومهما الى اسرائيل يعملان كمساعدين في المعاهد العليا للانتاج الحربي في الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . وكذلك الامر بالنسبة للاختصاصيين الاسرائيليين في حقل انتاج الاسلحة النووية كالبروفيسور في الفيزياء ( زاخاروس ) والبروفيسور في علوم الالكترون ( فيزير ) والبروفيسور في الكيمياء ( فيزر ) وهو احد صانعي التنبال ، وكل هؤلاء كانوا يعملون في مجالات اختصاصاتهم داخل الولايات المتحدة الامريكية . وفي عام ١٩٧٢ ، وصل الى اسرائيل للعمل بشكل دائم وتقديم المساعدة الفنية والخبرة التكنولوجية المالية في بناء المفاعلات الذرية واحد من اكبر العلماء الامريكيين العاملين في مجال الفيزياء الذرية وهو البروفيسور ( رادكوفسكي ) . وكان هذا البروفيسور قد ترأس لمدة ٢٠ عاما لجنة المفاعلات النووية للطاقة الذرية في الولايات المتحدة الامريكية ، وهو الذي نفذ كل العروض الهامة التي تقدمها له البنتاغون . وقد نما في السنوات الاخيرة تعاون وثيق بين اختصاصيي الهيئات والمصالح الحربية المختلفة في الولايات المتحدة الامريكية ومؤسسات البحوث العلمية الاسرائيلية في مجال البحوث العسكرية . وتثبت الاحصاءات التي نشرتها الصحف الغربية

اسرائيل محركات هذه الطائرات من شركة جنرال الكترينك الامريكية التي تصنعها خصيصا لاسرائيل، الا انه من المحتمل ان يتم تصنيع هذه المحركات ايضا في اسرائيل ذاتها خلال السنوات القريية القادمة وبالتاكيد قبل الثمانينات . كما توجد طائرات نقل حربية بمحرك مروحي توربينى من نوع عراقا ٢٠١ ، وطائرة نقل حربية من نوع بيست فيند ويستخدم هذان النوعان من الطائرات كوسائط نقل خارجية<sup>(١٠)</sup>. ان صناعة الطائرات في اسرائيل لا زالت تعتمد على التكنولوجيا الاجنبية ولا زالت تصطم بكثير من العقبات ، ففي مشروع الكومودور جت ، اشترت الحكومة الاسرائيلية الادوات الخاصة لصنع طائرات جيت كوماندور النفائة والصغيرة المخصصة لنقل رجال الاعمال من شركة ايرد - كوماندور - دو كويل الامريكية بمبلغ ٢٥ مليون دولار . وقد تضمنت صفقة الصنع ايضا شراء ٤٩ طائرة كانت الشركة الامريكية قد انتهت او على وشك الانتهاء من صنعها ، ولكن هذا المشروع فشل بسبب عدم تمكن الشركة من تحقيق اهدافها في الانتاج وذلك لاصرار شركة صناعة الطائرات الاسرائيلية على ادخال تعديلات كثيرة على الطائرة وحتى عام ١٩٧٢ لم تستطع الشركة حتى من بيع الـ ٤٩ طائرة ، وزاد الاستثمار على المقاييس التي كانت موضوعة بتدى كبير جدا حتى بات مشكوكا فيه ان تغطي المبيعات النفقات<sup>(١١)</sup>. اما بالنسبة لمشروع طائرة عراقا فقد تم بوجبه وضع تصميم في عام ١٩٦٦ من قبل مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية وذلك لصنع طائرة نقل خفيفة معدة للاستخدام من المدني والعسكري ، وفي عام ١٩٦٧ ، بدأ العمل في انتاج هذه الطائرة التي سميت عراقا ، وكانت التصاميم موضوعة على اساس تبكين الطائرة من الاقتلاع والهبوط على مدارج قصيرة وغير معدة . وفي كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٦٩ ، حلقت عراقا اول مرة وكان من المتوقع ان يبدأ الانتاج التجاري سنة ١٩٧١ بمعدل ٤ طائرات شهريا . لكن الصعوبات بدأت تترص لمشروع سنة ١٩٧٠ ، ففي تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٠ تحطم النموذج الاول للطائرة اثناء رحلة تجريبية وقتل فيه كبير طياري الاختبار في مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية ، وقد ادى هذا الحادث الى تأخير تقدم

مصنع التا - ويتم فيه تصنيع المعدات الالكترونية .

مصنع المعدات الارضية ، في منطقة بئر السبع ، ويقوم باعمال الطلاء المعدني وصنع المعادن وتطعيمها ، ويقم في هذا الصنع انتاج المعدات الارضية الخاصة بخدمة الطائرات وخزانات الوقود من الفولاذ الذي لا يصدأ وخزانات الوقود والمياه التي يمكن نقلها من مكان الى اخر .

مصنع بريسيجن ميكانيكز . ومركزه في ( يهود ) وينتج مجموعة واسعة من المعدات الكهروميكانيكية وعلب السرعة والمحركات واجهزة القوة المضاعفة . مصنع اورلايت . وينتج المواد البلاستيكية ، واجزاء الطائرات والسيارات واجهزة لجبل الاسمنت ومعدات بحرية منها زوارق .

مصنع سيرفو هيدروليك . وينتج القطع الهيدروليكية للطائرات ، ومخدرات لامتماص اهزازات مراوح الطائرات العمودية من نوع سيكورسكي واجهزة هبوط الطائرات .

صناعات تامام بريسيجن . وتلك هذه الشركة الفرعية مختبرات ومصانع لتصميم وانتاج المعدات الدقيقة والقطع الكهرو - ميكانيكية واجهزة ضبط الاتجاه وقطع اخرى متعلقة بالاجهزة الملاحية .

مصنع بيت شيمش للمحركات . وهو فرنسي الصنع ينتج محركات الطائرات المطابقة لما ينتجه مصنع ماريو بوديه ٦. ويستخدم على الطائرات نوفا ماجستير النفائة ، كما يصنع عدة محركات للطائرات العمودية ( هليكوبتر ) . وفق ما ينتجه مصنع تربوميكا الفرنسي ايضا . وتصنع اسرائيل محركات من انواع اتار ٩٠٠ . واعلن مصدر غربي ان مصانع بيت شيمش ستكون قادرة على بناء محركات نفائة لطائرات اسرع من الصوت<sup>(١٢)</sup> .

بدأت اسرائيل في عام ١٩٧١ انتاج الطائرات النفائة الحربية من طراز ( باراك ) وهي طائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت . وتؤكد الصحافة العسكرية الغربية انها نموذج تعدل لطائرة المراج ٣ الفرنسية ، ولهذه الطائرة عدة نماذج ، ومنها الطائرة المعاطة القادرة على حمل الاسلحة النووية ومنها الطائرة المعاطة النهارية والليلية ، وقد زودت القوات الجوية الاسرائيلية في عام ١٩٧٢ ب ٢٤ طائرة من نوع باراك ، وتؤمن

المشروع (١٢)، ومن ثم فقد تعرض هذا المشروع للهجوم ومما قيل فيه [ ان سلاح الجو الاسرائيلي لم يقدم طلبا للحصول على هذا النوع من الطائرات . وان هذه الطائرة حظيت الان بهزء وزير الدفاع نفسه . كما ان سبب عدم نجاح تسويق هذه الطائرة يعود الى ان شهرة اسرائيل لم تكن تائبة على الصناعات الدقيقة . وطبعما

ليس على الطائرات (١٢) . اما اذا تم الانتقال بعد ذلك الى طائرة (كثير) المستحدثة والتي اثبتت ضجة حول تسليح القوات الجوية الاسرائيلية بها فان الامر يتطلب اجراء مقارنة بينها وبين بعض الطائرات المستخدمة في الجيوش العربية والاسرائيلية . وتظهر هذه المقارنة - وفق ما هو متوفر من المعلومات بالجدول التالي : - (١٤).

جدول للمقارنة بين بعض انواع الطائرات المستخدمة عند العرب واسرائيل

الخصائص	الفانتوم ف ٤ ف	الميراج*	الميج ٢١	الميج ٢٣	كثير الاسرائيلية الصنع
النوع	مقاتلة متعددة المهام	مقاتلة متعددة المهام	مقاتلة معترضة	مقاتلة معترضة	مقاتلة معترضة
قوة المحرك	٨١٢٠ كغ مع حارق اضافي	٧٢٠٠ كغ مع حارق اضافي	٦٢٠٠ كغ	١١٠٠٠ كغ مع حارق اضافي	٨١٢٠ كغ مع حارق اضافي
<b>الابعاد</b>					
امتداد الجناحين	١١٠٧١ م	٨٤٤٠ م	٧٤١٥ م	١٢٤٢ م	٨٤٤٠ م
الطول	١٩٤٢٠ م	١٥ م	١٥٤٧٦ م	١٩٤٨ م	١٥ م
الارتفاع الكلي	٤٤٩١ م	٤٤٥ م	٤٤٥ م	٦ م	٤٤٥ م
مساحة الجناحين	٤٩٤٢٤ م <sup>٢</sup>	٢٢٥ م <sup>٢</sup>	٢٢٣ م <sup>٢</sup>	٥٩٤٥ م <sup>٢</sup>	٢٢٥ م <sup>٢</sup>
<b>الاوزان</b>					
فارغة	٢٤٨٠٠ كغ	٧٤٤٠٠ كغ	٨٤٥٠٠ كغ	١٥٤٢٥ كغ	١٥٤٢٥ كغ
الوزن الاجمالي	٢١٤٥٠٠ كغ	١٤٤٩٠٠ كغ	٩٤٤٠٠ كغ	٢٩٤١٥٠ كغ	٢٩٤١٥٠ كغ
<b>الميزات</b>					
السرعة العادية	١٤٢ ماك	١٤٢ ماك	١٤١٥ ماك	٢٤٧٥ ماك	٢٤٧٥ ماك
السرعة القصوى	٢٤٢٧ ماك	٢٤٢٧ ماك	٢٤١ ماك	٣٤٢ ماك	٣٤٢ ماك
نصف القطر	١٨٥٠ كم	٦٥٠ كم	١١٠٠ كم	١٣٠٠ كم	١٣٠٠ كم
العمليتي	١٩٤٦٨٥ كم	١٨٤٥٠٠ كم	١٨٤٠٠ كم	٢٢٢٢٥٠ كم	٢٢٢٢٥٠ كم
التسلح	مدفع ٢٠ مم + صواريخ سبارو وسايدوندر	مدفعان ٣٠ مم مع ٧ نقاط لتحميل وزن ٤٠٠٠ كغ ذخيرة	صاروخان أو قنبلتان وزن الواحدة منهما ٥٠٠ كغ	٤ صواريخ جو - جو	مدفع ٣٠ مم + صاروخ جو - جو

\* - هناك اختلاف بين مواصفات طائرة الميراج المذكورة وطائرة ميراج م ٥٤ ولكنها غير أساسية في حدود الميزات العامة .

وعدد من المحطات لتقديم التقارير . ومن المتوقع ان تندمج الشبكة التي هي من انتاج ( هيوز ) مع شبكة محطات الرادار المتحركة الاسرائيلية من انتاج ( وستينغهاوس ) ذات المدى الطويل ومحطات الرادار التابعة لصواريخ هوك للمدى القصير . كما تعمل اسرائيل على تطوير نموذج حديث من صاروخ جو - أرض من نوع زوني الموجه بواسطة اشعة لايزر<sup>(١٥)</sup> . وللمرئ من الطائرات تستخدم اسرائيل ايضا صواريخ جو - أرض من طراز شاميزر الزودة باجهزة تسديد معتمدة على الاشعة تحت الحمراء وهي تؤمن الرمي المجدي حتى مسافة ٢٠ كم . وقد جهزت القوات البرية الاسرائيلية بصواريخ من نوع شافيت ٢ التي تطلق الى مسافة ١٥٠ كم ( صاروخ عملياتي ) ويجري العمل الان لانتاج الصاروخ ( أريخون ) الذي سيصل مداه حتى ٥٠٠ كم<sup>(١٦)</sup> . اما بالنسبة للصواريخ البحرية ، فان اسرائيل تعمل على تطوير الصواريخ البحرية غيرنيل ٢ ، وكانت اسرائيل قد اعلنت انها طورت نوعين من صواريخ غيرنيل ، يبلغ مدى الاول ٢٥ كم بينما يبلغ مدى الثاني ٤١ كم ، ولذلك فانه من المرجح ان تزود اسرائيل زوارقها الجديدة بصواريخ غيرنيل ذات المدى الاطول ٤١ كم الذي اشارت اليه المصادر الغربية باسم غيرنيل<sup>(١٧)</sup> .

ج - صناعة اسلحة القوات الارضية وميزاتها: تمارس المصانع والمجمعات الاسرائيلية اجراء تعديل دبابات السنثوريون مارك ٥ وبرز هذه التعديلات تغيير المدفع الاصلي من عيار ٨٥ مم بمدفع ١٠٥ مم مما يسمح بتوحيد الذخيرة في السلاح المدرع الاسرائيلي ويوفر للدبابة تسليحا اقوى . كما يتم استبدال المحرك الذي يعمل على البنزين وقوته ٦٥٠ حصانا بمحرك ديزل امريكي من نوع كوتننتال تبلغ قوته ٧٥٠ حصانا مما يوفر للدبابة قوة دفع اكبر ويزيد من سرعتها ويجنبها خطر الاحتراق فزادت بذلك سرعة الدبابة من ٢٥ كم في الساعة الى ٤٢ كم . كما زادت حمولة الدبابة من الذخيرة . وعملت مصانع الاسلحة الاسرائيلية ايضا على تعديل الانواع الاخرى من الدبابات الموجودة لديها ، فزودت دبابات شيرمان القديمة بمدافع جديدة من عيار ١٠٥ مم فرنسية الصنع بعد ان اعيد تصميم البرج وتجهيز الدبابة بجهاز هيدروليكي جديد ، وتم

ان مقارنة الخصائص والميزات في جدول المقارنة تظهر النقاط التالية :

— يتميز جيل طائرات الثمانينات او الجيل المتقدم عن جيل طائرات السبعينات بمجموعة من الخصائص مثل زيادة قوة المحرك ( وهو للميغ ٢٣ ما يعادل ١١ كيلو غرام للطائرة الامريكية واي. ف ١٦ بما يعادل ١١٢٤٠ كغ ) في حين تنقص هذه القدرة في طائرة كفسر التي تستخدم محرك السبعينات . مما يوفر للطائرة المتقدمة ( الثمانينات ) ميزات المرونة ، والسرعة ، والقوة . — زيادة ابعاد الطائرة ، مما يحقق لها المزيد من التوازن والاستقرار والقدرة على الحمل لا سيما في مجال زيادة مساحة الجناحين ( على سبيل المثال ٥٩٥ م ٢م للميغ ٢٣ و ٤٩٢٤ م ٢م للفانتوم ف ٤ ) في حين ان هيكل طائرة كفسر هو اقرب الى نماذج السبعينات في ابعاده .

— وبتنتج عن زيادة الابعاد في الطائرة ايضا زيادة في قدرة الحمل للصواريخ ، ويلاحظ ان الجيل المتقدم للثمانينات يزيد في قدرته على حمل الصواريخ والذخائر .

— ان طائرة كفسر الاسرائيلية والتي هي تركيب لمحرك الفانتوم على هيكل المراج ف ٥ . سيجعل من طائرة كفسر ذات كفاءة اكبر في قوة الحركات مع فقد ميزات الفانتوم المتفوقة في مساحة ابعادها وقدرتها على الحمل . مما يفقدها بالتالي ميزات الفانتوم وميزات المراج كطائرة اعتراضية . وعلاوة على ذلك فان تسليح الطائرة كفسر هو مماثل لتسلح طائرة المراج مما لا يمنح طائرة كفسر ميزات جديدة من حيث القدرة القتالية . وبذلك يمكن القول ان الطائرة الاسرائيلية المولدة (او الهجينة) كفسر هي من الناحية الفنية مجردة من ميزات الطائرات المتقدمة ، وهي بذلك اقرب الى جيل السبعينات منها الى جيل الثمانينات .

ب - الصواريخ في اسرائيل . اشترت اسرائيل من الولايات المتحدة الامريكية قذائف متطورة تصيب الهدف بمساعدة آلة تصوير . واخذت اسرائيل في العمل لتطوير نوع من القذائف التي تتحرك بواسطة اشعة لايزر ، وتتكون شبكة الدفاع الجوي التي تقام في اسرائيل من ستة مراكز قيادية دائمة مزودة بحاسبات الكترونية لتحليل المعطيات

البليوتونيوم يكفي لصناعة عشر قنابل ذرية .

### واقع الصناعة الحربية الاسرائيلية

يظهر العرض السابق الحقيقة الواضحة والاكيدة وهي ان صناعة الاسلحة في اسرائيل قد تأسست وتطورت بدعم الاحتكارات الاجنبية وخاصة الامريكية والالمانية الغربية والفرنسية ، ويعتمد الانتاج بشكل اساسي على التكنولوجيا الامريكية المستوردة - هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان صناعة الاسلحة الاسرائيلية لم تحقق حتى الان التقدم التكنولوجي المرجو بحيث يمكن لاسرائيل توفير متطلباتها - واحتياجاتها من الاسلحة والعتاد الحربي ، ولهذا فان اسرائيل قد فشلت الى حد كبير في تحقيق الاكتفاء الذاتي في انتاج الاسلحة وانها تعتمد اعتمادا كلياً على الولايات المتحدة في تأمين احتياجاتها من الاسلحة والصواريخ والطائرات والعتاد وكذلك اجهزة الاتصال الحديثة والمتطورة . ويمكن القول بايجاز ان ما يمكن ان تنتجه المؤسسات الصناعية العاملة في الفروع المختلفة في صناعة الاسلحة بما في ذلك مؤسسات وزارة الدفاع هي الاسلحة الخفيفة وادخال تعديلات محدودة على الاسلحة الثقيلة وكذلك انتاج الذخيرة بما في ذلك انتاج عدد محدود من انواع الصواريخ واجهزة الاتصال العسكرية التي لا تحتاج الى دقة كبيرة والى مستوى رفيع من التكنولوجيا . وهذا الانتاج لا يكفي من حيث الكمية او النوعية لسد احتياجات اسرائيل من الاسلحة لتحقيق اغراضها العدوانية والتوسعية في الوطن العربي . ولكن ومهما كان عليه واقع الصناعة الحربية الاسرائيلية ، فانه من الخطأ طرح هذا الواقع بعزل عن احتمالات المستقبل وبمعزل عن المهتدف السياسي والتطلعات الاستراتيجية للقيادة الاسرائيلية وقادة المنظمات الصهيونية .

تركيب مدافع ميدان من عيار ١٠٥ مم و ١٥٥ مم ومدافع هاون عيار ١٦٠ مم على هياكل دبابات شيرمان(١٨). وتأسل اسرائيل استبدال الرشاش عوزي المستخدم حالياً بالبندقية الآلية المسماة غاليل(١٩). وتنتج اسرائيل زهاء ٩٠٪ من حاجة قواتها من الذخائر والمفرعات . وقد ارتفعت قيمة ما تنتجه اسرائيل من الاسلحة والمعدات والذخائر من ( ٣٠ ) مليون جنيه استرليني في عام ١٩٦٧ الى ( ٣٠٠ ) مليون جنيه استرليني عام ١٩٧١ .

د - صناعة الاسلحة البحرية : كانت البحرية الاسرائيلية تلقى اهتماما اقل من الاهتمام بتطوير القوات الجوية والقوات الارضية والمدربة منها بصورة خاصة . وتلقت البحرية الاسرائيلية ضربتين كبيرتين بعد حرب ١٩٦٧ وهما اغراق المدمرة ايلات وفقدان الغواصة داکار . وكانت اسرائيل تتسلم زوارق سعير من فرنسا ، ثم اعلن عن صنع زوارق اسرائيلية جديدة تتميز بقوة ضاربة تعادل ضعف قوة زوارق سعير ، وقد انتهت اسرائيل في الاونة الاخيرة من بناء زورقين حربيين من طراز ريشيف ، وتم انزالهما الى الماء . وقد عملت القيادة الاسرائيلية على انشاء قواعد بحرية جديدة على البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر، وتم تحويل عدة سفن تجارية الى سفن ناقلات للجنود تابعة لسلاح البحرية .

هـ - في مجال التسلح الذري : ان نشاط اسرائيل في مجال التسلح الذري معروف ( انظر شؤون فلسطينية - العدد ٤٣ - الخيار النووي الاسرائيلي ص ٩٠ - ١٠٠ ) ويمكن القول هنا ان الشواهد جميعها تشير الى ان اسرائيل قد اصبحت تبذل المجهودات اللازمة من العيار صفر الحجم . وتؤكد المعلومات التي وضعها معهد استوكهولم للابحاث العامة ان اسرائيل في الفترة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٦٩ قد كدست احتياطاً من

٣ - Flight International, March 26, 1964, p. 465.

٤ - نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،

ملحق العدد ٢ ، ١٦/١/١٩٧٢ ، ص ٥٥ -

١ - الاذاعة العربية ، الساعة ١٠.٠٠ يوم ١٩٧٥/٤/١٩ عن نشرة الارض، السنة الثانية، العدد ١٦ .

٢ - المجلة العسكرية السورية، السنة الخامسة والعشرون ، العددان ٦ و٧ ص ٥٦ .

- ٥ - وفق تأكيدات صحيفة ( زودويتش تسليتوك ،  
١٩٧٢/٩/٥ ) .
- ٦ - المصور رقم اثنين ، ص ٥٨ .
- ٧ - Israel Economist, April 1970.
- ٨ - Aviation Week, November, 16, 1970.
- ٩ - نشرة الارض المصادرة عن مؤسسة الارض  
للدراستات الفلسطينية ، السنة الثانية ، العدد  
٤ ، ص ١٦ و ١٧ .
- ١٠ - المجلة العسكرية السورية ، السنة  
الخامسة والعشرون ، العددان ٦ و ٧ ، ص  
٥٥ .
- ١١ - هارتس ، ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ .
- ١٢ - Aviation Week, November 30, 1970.
- ١٣ - هارتس ، ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ .
- ١٤ - المعلومات عن الطائرات الموجودة في  
الجدول المارن مستخلصة من المجلة العسكرية  
السورية ، العدد ٩ ، السنة الخامسة  
والعشرون ، ص ٦١ - ٨٠ ، وكذلك الاسبوع  
العربي ، العدد ٨٣٠ ، ص ٢٧ .
- ١٥ - نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،  
١٩٧٢/٨/١٦ .
- ١٦ - المجلة العسكرية السورية ، السنة  
الخامسة والعشرون ، العددان ٦ و ٧ ، ص ٥٧ .
- ١٧ - نشرة الارض ، المصدر السابق ، ص ١٩ .
- ١٨ - نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،  
١٩٧٢/٣/١٦ .
- ١٩ - المصدر نفسه السابق رقم ١٦ .

بسام العسلي

صدر عن مركز الابحاث

فلسطين

في مذكرات القاوقجي

١٩٣٦ - ١٩٤٨

اعداد الدكتورة خيرية قاسمية

سعر النسخة ١٢ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد الجوي .

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ - بيروت

## الحزب الشيوعي في اسرائيل

توفيق طوبي، منسق الامانة العامة وعضو الكنيست، افراهام ليفرنباوم عضو المكتب السياسي وعضو الكنيست، توفيق زياد عضو الكنيست الجديد، ولفا ايرليخ رئيس لجنة المراقبة المركزية، اميل توما، عضو المكتب السياسي، اميل حبيبي عضو المكتب السياسي رئيس تحرير الاتحاد، ديفد حنين (ساشا) عضو المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية، زاهي كركبي عضو اللجنة المركزية، و. ا. اونغار عضو اللجنة المركزية ورئيس تحرير زو هادبرخ صحيفة الحزب الاسبوعية العبرية .

يقدم راکاح التوجيه لعصبة الشبيبة الشيوعية، وحركة النساء الديموقراطيات، والجمعية الاسرائيلية للناضلين ضد الفاشية وضحايا النازية، وجرعة الصداقة الاسرائيلية - السوفياتية ( وولد ماركسيست ريفيو، آذار - مارس، ١٩٧٤، ص ١٤ ) .

وفي انتخابات الكنيست الثامن التي جرت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ حصل راکاح على ٥٣٣٥٠ صوتا مقابل ٢٨٨٢٧ صوتا عليها عام ١٩٦٩، اي بزيادة ٣٦٪ . كانت تلك هي المرة الاولى منذ ١٩٦٥ التي يحصل فيها راکاح على اكثر من ٥٠ الف صوت . ومن هذه الاصوات كان نحو ٤٣٠٠٠ من العرب والبقية اصوات يهودية . وكان التقدم الذي حققه راکاح واضحا في الناصرة، اكبر مدينة عربية في اسرائيل، حيث نال الحزب ٥٩٪ ( او ٧٠٧٠٧ ) من الاصوات، مقابل ٤٧٪ من الاصوات ( او ١٨٥٧٨ ) عام ١٩٦٩ . واجتذب راکاح ١٨٢٩ صوتا آخر في كفر قاسم، و ١٠٩٥٠ صوتا بدلا من ٤٠٠ في أم الفحم ( الأرض، العدد العاشر، ٧ شباط - فبراير، ١٩٧٤، دمشق ) . ومن المهم ان نلاحظ ان الجيش التي من الاصوات لراکاح اكثر بأربع مرات مما التي في ١٩٦٩ ( انغورميشن بوليتين، ص ١٠ ) . ويمكن عزو الزيادة في الاصوات العربية للحزب الى حرب تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣ التي زادت من المشاعر القومية بين العرب .

في أعقاب قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ - أعيد توحيد الجماعات الشيوعية اليهودية المختلفة في فلسطين كحزب شيوعي اسرائيلي واحد (بيفلاغا كومونيستيت يزرانيليت، او ماكي) . وقبل الحزب بالدولة الجديدة، ولكنه أنكر وجود أي رباط بين الشعب اليهودي في اسرائيل و«التشتت»، وأيد حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة او تلقي التعويضات، ودعا الى تأسيس دولة عربية فلسطينية في الاراضي التي خصصها لها مشروع تقسيم الامم المتحدة لعام ١٩٤٧ . وزادت السياسة السوفياتية نحو المواطنين اليهود ونحو اسرائيل والبلدان العربية من الخلاف ضمن الحزب . ونتيجة لذلك انشق الحزب في آب ( أغسطس ) ١٩٦٥ الى فئتين - فئة ميكونيس - سنيه، التي احتفظت باسم الحزب، وفئة فيلنر - طوبي، التي دعيت نفسها القائمة الشيوعية الجديدة ( ريشيما كومونيستيت حداشا، او راکاح ) . وانجذبت اكثرية الشيوعيين اليهود نحو فئة ميكونيس - سنيه التي مالت نحو الراء الصهيونية كالاغتراف بوجود رباط بين الشعب اليهودي في اسرائيل و«التشتت» )، في حين انضمت اكثرية الشيوعيين العرب ( وبعض الشيوعيين اليهود ) الى فئة فيلنر - طوبي التي استمرت تلتزم براء الحزب القديم .

والحزبان صغيران جدا، ويميل دورهما في الحياة السياسية الاسرائيلية الى ان يكون هامشيا . ولم يشترك أي منهما في ائتلاف حاكم كما لم يسمح لملتحبيهما باحتلال مقاعد في لجان الامن الحساسة في الكنيست . وكلا الحزبين شرعي .

### راکاح

يؤلف اليهود نحو ٣٠٪ من عضوية راکاح، فيما يؤلف العرب الاكثرية . وتنفذ الهيئة العليا، او المؤتمر، مرة كل أربعة اعوام . وينتخب المؤتمر للجنة المركزية ولجنة المراقبة . وتنتخب اللجنة المركزية بدورها المكتب السياسي والامانة العامة ( السكربتاريا ) . وبين زعماء الحزب البارزين مئير فيلنر الامين العام وعضو الكنيست،

فلسطينية « يائسة » وصفها انها « حقاء » وانها تهدد مصالح الفلسطينيين بالخطر . وانتقد رايكاح سياسة الحكومة الجديدة ، برئاسة رابين ، وهي سياسة الاراضي والحدود الآمنة ( وبالتالي فانها استمرار لسياسة الضم التي كانت تنتهجها غولدا مئير ) ، لانها لن تؤدي الى السلام بل الى المزيد من الحرب ( راديو موسكو ، ٦ حزيران - يونيو ، ١٩٧٤ ) . والى ذلك انتقد الحكومة الحالية لعدم اعترافها بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ولمعارضتها اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في اعمال مؤتمر جنيف ( برافدا ، ٢٥ تموز - يوليو ، ١٩٧٤ ) . ومن الناحية الاخرى ، اتى الحزب على اتفاقتي فك الارتباط مع سوريا ومصر بوصفهما خطوات « ايجابية » على الطريق نحو اقامة سلام عادل ومتين في الشرق الاوسط ( راديو موسكو ، البرنامج العربي ، ٣ يونيو ، ١٩٧٤ ) . وحث الحزب الحكومة تكرارا على الاسراع في عقد مؤتمر جنيف بغية التعجيل في تحقيق سلام مستقر ( القدس ، البرنامج المحلي ، ٤ اكتوبر ، ١٩٧٤ ) .

وعارض رايكاح تشكيل حكومة وحدة وطنية او حكومة طوارئ مع اشتراك مجموعة ليكود اليمينية المتطرفة باعتبار ان حكومة كهذه من شأنها ان تحبط جهود مؤتمر جنيف وتفضي مباشرة الى حرب جديدة ( انفورميشن بوليتين ، كانون الثاني - يناير ١٩٧٤ ، ص ٤ ) . وايد في البداية تاليف حكومة رابين بوصفها اهون الشرين ، ولكنه لم يصوت لها .

وانتقد رايكاح حكومتي مئير رابين لتفقاتهما العسكرية الباهظة ( من موازنة بلغت ٣٥ بليون ليرة اسرائيلية السنة الماضية ، انفق ٢١ بليون ليرة على اغراض عسكرية ) . وادت مثل هذه السياسة الى زيادة في الاسعار بنسبة ٣٨,٧٪ وعجز في التجارة الخارجية بلغ ٢٥ بليون ليرة . ونتيجة لذلك ازدادت الاعباء الضريبية ، مسببة العذاب بنوع خاص لتلك الطبقات من السكان التي تعيش على الاجور والرواتب ( بودابست ، Nepszabadsag ، ٢٥ اغسطس ، ١٩٧٤ ) .

والى هذا ، اتهم رايكاح الحكومة ، بواسطة صحيفته الاسبوعية ، بمضايقة اعضائه والمتعاطفين

ولدى الحزب اليوم اربعة اعضاء في الكنيست ، بزيادة عضو واحد عما كان لديه في ١٩٦٩ ، ولولا قانون بادر - اوغر المالىء للاحزاب الكبيرة ، لكان كسب رايكاح مقعدا اخر .

وينحو رايكاح باللوم على الحكومة الاسرائيلية لتجدد الحرب بين العرب والاسرائيليين في اكتوبر ١٩٧٣ . وفي الخامس عشر من اكتوبر ، ١٩٧٣ ، في ما كانت الحرب ما تزال جارية ، اصدر مئير فيلنر تصريحاً ينتقد الحكومة الاسرائيلية . وفي تلك الرسالة يقول ان مصر والبلدان العربية كانت مستعدة للاعتراف بحق اسرائيل في الوجود كدولة ذات سيادة ولكن حكومة غولدا مئير رفضت تكرارا جميع مبادرات السلام التي عرضتها الامم المتحدة ومشروع روجرز (ذي راديكال كوميونست ، اكتوبر ١٩٧٤ ، ص ٩٥) . وزعم ان الاسباب الحقيقية لحرب اكتوبر هي تبني وثيقة غاليلسي ( مخطط لتوسيع ومواصلة سياسة ضم المناطق المحتلة ) ، والعمليات العسكرية العدوانية المتعمدة ضد سوريا ولبنان ( الغارة الجوية الاسرائيلية على سوريا ، خطف طائرة مدنيّة لبنانية ، الغارة والهجوم على بيروت ) ، والانكار المستمر للحقوق الشرعية لشعب فلسطين العربي . وانتقد الحزب ايضا النتائج التي توصلت اليها اللجنة الحكومية للتحقيق في حالة استعداد البلد للحرب في اكتوبر ١٩٧٣ ، وقد انحلت باللوم الكلي للاخفاق التام في اكتوبر على الاخطاء واساءات التقدير التي ارتكبت في حرب اكتوبر وتجاهلت تجاهلا تاما السبب الرئيسي - الصفة الاخلاسية للخط السياسي الحكومي .

واستجد حزب رايكاح بن قرارى مجلس الامن التابع للامم المتحدة ، الرقمين ٢٤٢ و ٢٨٨ ، برنامج سلام من اربع نقاط يطلب انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، وضمان سيادة وسلامة اراضي جميع بلدان المنطقة بما فيها اسرائيل ، والاعتراف بالحقوق الشرعية للفلسطينيين ، والاعتراف بحقوق مرور السفن الاسرائيلية عبر قناة السويس ومضائق تيران ( بودابست ، Nepszabadsag ، ٢٥ اب - اغسطس ، ١٩٧٤ ) . ورفض رايكاح كلا من مطالبات اسرائيل بالاراضي العربية والاعمال التي تقوم بها جماعات

الكنيست السابق والأمين العام للحزب حتى الرابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ . وقد برز في ١٩٧٤ توتر بين الزعيم القديم والمؤسس شموئيل ميكونيس وعضاء الجيل الجديد واخذ هذا التوتر يتحول الآن من النفور الى انشقاق تام . ويتركز التوتر حول اندماج ماكي مع الحركة الزرقاء - الحمراء التي تحافظ على تعاون وثيق مع موكد . ويعارض ميكونيس الدمج ويرفض المشاركة في عمل اللجنة التي تحضر للجلسة الثانية من المؤتمر السابع عشر المقرر عقدها في الخريف . فهو يريد أن يكون ماكي حزبا شيعيا مستقلا مهمته الدفاع عن مصالح الشغيلة وشرح الموقف « العادل » لاسرائيل في الحركة الشيوعية الدولية . ويقول ميكونيس انه لن يكون عضوا في الحركة الجديدة ( هارتس ) ، ٢٤ يونيو ، ١٩٧٤ ، ( ص ٤ ) . وبعد ذلك ، في الرابع عشر من نوفمبر ، ١٩٧٤ ، استقال ميكونيس من منصبه كأمين عام للحزب احتجاجا على قرارات الحزب واعماله التي لا يسعه الموافقة عليها . وأشار بنوع خاص الى امتناع الحزب عن معارضة نشاطات الحكومة في المناطق المحتلة فضلا عن غارات الجيش الانتقامية ضد لبنان ( ذا جيروساليم بوست ويكلي ، ١٩ نوفمبر ١٩٧٤ ، ص ٣ ) . والى ذلك يبدو أن ماكي يواجه مصاعب مالية . ولفترة من الوقت توقف عن اصدار المجلة الشهرية المنتظمة Israel at Peace ، التي تصدر الآن بصورة غير منتظمة لعدم توفر المال اللازم .

خاض ماكي انتخابات الحادي والثلاثين من ديسمبر ، ١٩٧٣ ، على لائحة موكد ، في ائتلاف مع الحركة الزرقاء والحمراء . ونال الائتلاف ٢٢٤٧٠ صوتا ( اي ١٤٪ ) ، مقابل ١٥٧١٢ صوتا ( ١١٪ ) نالها في الكنيست السابع عام ١٩٦٩ . وبكلام آخر حصل الحزب على ٤٠٪ ( ٦٤٣٥ ) من الاصوات اكثر مما حصل في الانتخاب السابق . ولم يفز موكد الا بمقعد واحد في الكنيست ( مثير باثيل ) . ولولا قانون يادر - اوغر الذي يعطي المزيد من الاصوات للحزب الكبيرة لكان فاز موكد بمقعد ثان في الكنيست ( Israel at Peace ، العدد ١ - ٢ ، مارس ، ١٩٧٤ ، ص ٣ ) .

وفي الجلسة الرابعة عشرة التي عقدتها اللجنة

معه ( وخصوصا العرب ) ، ونشر مقالات عديدة تتعلق بالاتامة الجبرية في المنزل ، والسجن وغيرهما من الوان الازهال . وتسببت تصيدة لعضو الكنيست الجديد توفيق زياد بعنوان « العبور العظيم » ، ارب فيها عن اعتزازه بالانجازات الاولى التي احرزتها الجيوش العربية في حرب اكتوبر ، في اثاره حجة كبيرة في الكنيست . وقد شكك بعض الاعضاء في ولاء زياد للدولة وهم يريدون التخلص منه ( ذا جيروساليم بوست ، الثلاثاء ، ٢٩ اكتوبر ، ١٩٧٤ ، ص ٤ ) .

وتعترف معظم الاحزاب الشيوعية الاجنبية براكاح بوصفه الحزب الشيعي الشرعي في اسرائيل . وخلال هذه السنة ، قام عدة مؤغدين من راکاح بزيارة الاحزاب الشيوعية في اوروسيا الشرقية والاتحاد السوفياتي . كذلك استقبل الحزب عدة مؤغدين من احزاب شيوعية اجنبية . ويثني الحزب باستمرار على سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط ، قائلا انها تهدف الى السلام والعدالة لجميع شعوب المنطقة . وترتكز السياسة السوفياتية على تنفيذ القرارين ٢٤٢ و ٢٣٨ ( المذكورين اعلاه ) . وانتقد راکاح الحملات المناهضة للشيوعية وللاتحاد السوفياتي التي قامت بها الاوساط اليبينية الاسرائيلية ، والتي لا تتفق اهدافها الرامية الى شق واضعاف القوى الديمقراطية وانصار السلام مع مصالح جميع الشعوب ومثل الديمقراطية والاشتراكية ( اومانيتيه ، باريس ، نيسان - ابريل ، ١٩٧٤ ) .

وتشتمل منشورات راکاح على الاسبوعية العبرية **زو هاديرخ** ( هذه هي الطريق ) ، ورئيس تحريرها ا. اونغار ، **دير فيغ** ( الطريق ) المناطقة بالبيديش ، و**الاتحاد** المناطقة بالعربية والتي يرأس تحريرها اميل حبيبي عضو المكتب السياسي ، والمجلتين **النظريتين اراخيم** ( قيم ) العبرية و**الدرب** العربية ، ونشرة اعلام **Information Bulletin** شهرية . وبالإضافة الى ذلك تصدر عصبة الشغيلة الشيوعية « **الغد** » بالعربية و**أنيان** بالعبرية .

### ماكي

يشتمل زعماء ماكي على يائير تاسبان رئيس تحرير **كول هاعام** ، مجلة الحزب ، ويائير زاهان رئيس المكتب السياسي ، وميكونيس عضو

مارتش ، ١٩٧٤ ، ص ٦٦ ) . ويعارضون ماكني وشركاؤه ضم الحزب الديني الوطني الى الحكومة لان سياسة هذا الاخر نحو معتقي اليهودية الجدد والقوانين المدنية ستكون عقبة في طريق الجهود الرامية الى بناء جسر فوق الفجوة الاجتماعية ( **جيروساليم بوست** ، ١٢ سبتمبر ، ١٩٧٤ ، ص ٣ ) .

ومنذ الانقسام في ١٩٦٥ ، صار ماكني معزولا عن الاحزاب الشيوعية في الخارج في ما عدا تأييد محدود من تلك الاحزاب الشيوعية المختلفة مع موسكو . وقررت اللجنة المركزية في اجتماعها السادس عشر المنعقد في الثاني من مارس ، ١٩٧٤ ، وارتكازا الى قرار اقره مؤتمر الحزب السابع عشر ، الانضمام الى المؤتمر اليهودي العالمي ( **Israel at Peace** ، مارس ، ١٩٧٤ ، ص ٦ ) . وينتقد ماكني سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط ونحو اقليته اليهودية ( **التدسس ، البرنامج الداخلي بالعبرية** ، ٩ سبتمبر ، ١٩٧٤ ) . ويشجب نفي الكاتب السوفياتي الكساندر سولجنستين فضلا عن الرقابة التي تفرضها السلطات السوفياتية على الفن والادب ( **المصدر نفسه** ، ص ٦ ) . وقد نشرت **كول هاعام** ، صحيفة الحزب التي تصدر مرة كل اسبوعين ، عدة مقالات حول مؤتمر الاحزاب الشيوعية من بلدان اوربوا الغربية الرأسمالية الذي عقد بين السادس والعشرين والثامن والعشرين من يناير ، ١٩٧٤ ، في بروكسيل . وقد وجه هذا المؤتمر النقد الى سياسة الاتحاد السوفياتي . وكان ماكني يعدد الامل على اقامة اتصال مع مؤتمرات مماثلة في المستقبل ( **Israel at Peace** ، ص ٧ ) .

و **كول هاعام** ( صوت الشعب ) التي تصدر مرة كل اسبوعين هي الناطقة الرئيسية باسم الحزب . ومجلة **Israel at Peace** الشهرية ( والناطقة باللغتين الانكليزية والفرنسية ) تصدر الان بصورة غير منتظمة لاسباب مالية . وبالإضافة الى ذلك ، يصدر الحزب منشورات اخرى من حين لآخر بلغات مختلفة .

## الدكتور اياد القزاق

المركزية لحزب ماكني في السابع عشر من نوفمبر ١٩٧٤ ، شجبت اللجنة سياسة فولدا مئر التي تركز على صنع حقائق واقعة في المناطق المحتلة والتي ترفض الاعتراف بحقوق الفلسطينيين في تقرير المسير ( **Israel at Peace** ، مارس ١٩٧٤ ، ص ٢ ) . ويعتقد ماكني ان القرارين ٢٤٢ و ٣٢٨ يؤفران اساسا سليما لحل النزاع . ويعتقد ان على الحكومة ان تقوم بتنازلات واسعة النطاق للعرب ، بما في ذلك اعادة جميع الاراضي المحتلة تقريبا التي من شأنها تشجيع السادات وحسين ، وقسم من الفلسطينيين ، على التفاوض ، والا فان سياستها ستؤدي الى حل مفروض او حرب اخرى ( **جيروساليم بوست** ، ١٢ ايلول - سبتمبر ، ١٩٧٤ ، ص ٣ ) . ويعارض ماكني تأسيس مستوطنات في الاراضي المحتلة . وقد هدد الحكومة بان الحزب سيلجأ الى نشاطات خارج البرلمان ، بما في ذلك الاضطرابات ، لاقاف المزيد من المحاولات لتأسيس مستوطنات في الضفة الغربية . الا ان هذه التهديدات لم تنفذ قط . ويعارض الحزب ، كذلك ، ضم الحزب الديني الوطني الى الحكومة لانه يعتقد بان مثل هذه الخطوة ستعوق مبادرات السلام التي يؤديها الحزب .

واتى الحزب على فك الارتباط بين اسرائيل ومصر وسوريا بوصفه خطوة مهمة نحو السلام في المنطقة .

وانتقد الحزب سياسة الحكومة الاقتصادية التي تغني الاثرياء وتفقر الفقراء . وقد وزع ماكني ، هو وشركاؤه في الائتلاف ، الكثير من المناشير والمصقات في المناطق الصناعية مطالبا الحكومة بما يلي : ( ١ ) « العودة عن قرار الالفاء الجزئي للمعونة المالية الحكومية للمواد الغذائية الاساسية الحيوية ، ووقف الارتفاع السريع في الاسعار ، وممارسة رقابة فعالة على الاسعار ، ( ٢ ) ان تدفع بصورة آلية علاوة غلاء معيشة كلما ارتفعت الاسعار بنسبة ٣٪ ، ( ٣ ) رفع الحد الأدنى للأجور الى ٧٥٠ ليرة اسرائيلية شهريا ، ( ٤ ) زيادة الرواتب الشهرية للجنود المجندين ( ايضا الى ٧٥٠ ليرة اسرائيلية ) ، ( ٥ ) فرض ضرائب على ارباح الحرب ، ( ٧ ) الغاء خفض ضريبة الدخل الممنوح للرأسماليين ( **Israel at Peace** )

## ( ١ ) المقاومة الفلسطينية

جانب ثالث فان الكتائب تستفيد من استمرار الازمة لجهة انها جزء من حملة الاستنزاف للجهـــد الفلسطيني المقاوم باعتبارها واحدة من الوسائل التي يتوسل بها الى ثل نضال الثورة الفلسطينية العسكرية والسياسي الدولي . واخرا وكهدف آتي من استمرار الازمة وتأجيجها فهي تخدم الكتائب من حيث انها تريدها أداة ضغط دموية تثيلها مأربها في المشاركة في الحكم .

كان اجتماع القمة الفلسطينية — اللبنانية خطوة في سبيل التهدئة ، غير ان البيان الذي أصدره الاخ أبو عمار في ٦/٢٦ « حول الاخوة اللبنانية — الفلسطينية » كان خطوة اخرى أكدت الموقف الفلسطيني الذي ينبع من قناعات ترتكز على أساس واحد هو ان مصلحة الثورة هي في تجنب الاحداث الجانبية وان « لب الموضوع [ كما ورد في بيان أبو عمار ] للحفاظ على معادلة الاخوة اللبنانية الفلسطينية تكمن في التالي : اولاً — احترام الثورة الفلسطينية للسيادة اللبنانية احتراماً لا تحفظ فيه ولا ابهام . ثانياً — اقرار لبنان بحق الثورة في التواجد على ارضه ضمن الالتزام نصاً وروحاً بالاتفاقات المتعددة . ثالثاً — توفر الثقة المتبادلة مع جميع الفئات ، والطوائف وازاحة غشاوة المخاوف من الازهان والبصائر . رابعاً — ترسيخ القناعة بأن الخندق واحد ، والعدو واحد ، والمصر واحد . خامساً — تجلي ارادة التنسيق من القمة الى القاعدة وبالعكس .»

وعلى الرغم مما تضمنه البيان من نية صادقة لتهدئة تفجرات الوضع فقد استمرت مدغمة الكتائب مدغومة بأطراف من السلطة تتصرف الاحياء الوطنية

الوضع في لبنان : بعد هدوء نسبي تخللته حوادث ارادية تفجر الوضع في لبنان مجدداً بدءاً من ليل ٢٤/٢٣ حزيران ( يونيو ) الماضي . وكان الملاحظ والمثير للريب ان تجدد الاشتباكات حدث مباشرة في أعقاب اجتماع القمة الفلسطينية — اللبنانية الذي ضم الاخ ابو عمار والرئيس فرنجية في ٢٢ حزيران واستمر ست ساعات . وعلى الرغم من ان الانباء التي تسربت عن الاجتماع كانت تشير الى الجو « الحاد » الذي ساد بداية الاجتماع ، الا ان الانفراج الذي ساد الجزء الاخير منه كان يشير الى ان انفراجاً مماثلاً ومستوحى منه كان متوقعا ان ينعكس على الازمة المستحكمة بالوضع اللبنانية ويضع حداً لنزيف الدم ويفتح المجال امام حل لهذه الازمة . من هنا فان تجدد الاشتباكات بعد ساعات قلائل من انتهاء الاجتماع ، بالنعف الذي لم تشهده ساحة الصدام في المرات السابقة ، كان يشير باصبع الاتهام والادانة الى الجهة الوحيدة المستفيدة من تطاول الازمة واستمرارها بل تصعيدها نعني حزب الكتائب في الاساس . فالكتائب وحدها دون الفرقاء جميعاً تستفيد من استمرار الازمة لاجل : فهي تثبت مواقفها الطائفية من جانب ، كما انها من جانب ثان تمنحها فرصتها الذهبية في التصدي للحركة الوطنية التقدمية اللبنانية . وقد استفلت الكتائب هذه الفرصة استغلالاً كثيفاً أكد ليس طائفتها الانعزالية فحسب وانما هتك ستر انتمائها الطبقي أيضاً عندما جعلت أهدافها حزام الفقر الذي يحيط ببيروت والمتمثل بأحياء الشياح والنبعة والكرنتينا وما مائلها ، وهي الاحياء — البؤر الخصبة المؤهلة أكثر من سواها للنماء الثوري الاجتماعي . من

على الاسباب الاجتماعية - السياسية الحقيقية  
للأزمة ، كما ان هذه الجماهير خرجت أكثر تمرسا  
بأساليب النضال وأكثر ثقة بقدراتها الذاتية .

ومن جهة ثانية ، فان الكتابات ان كانت قد  
وضعت النموذج الاردني نصب عينها في تصديها  
لحركة المقاومة فان معطيات الساحة اللبنانية  
تجعل هذا النموذج مثالا سيئا للتقليد في هذه  
الساحة المختلفة في تناقضاتها وتوازنها عن تلك  
الموجودة في شرق الاردن . وهذه المعطيات هي  
التي مكنت حركة المقاومة ، بالإضافة الى قدراتها  
الذاتية ، من الصمود في وجه الزوابع التي أثيرت  
في وجهها مرات متكررة في لبنان والتي لم تستطع  
ان تبتز منها أي تنازل مجدي . وكانت المواجهة  
الأخيرة تجسيدا حيا لهذا الواقع .

من جهة ثالثة ، استهدفت الكتابات من فتح  
المعركة الأخيرة ، كما جرت الإشارة ، ان تجعل  
منها أداة ضغط تجبر الأطراف الأخرى على قبولها  
شريكا في الحكم تحت شعار « حكومة الاتحاد  
الوطني » . وكانت الكتابات كما ظهر من مجرى  
« العمليات الحربية » البعياء التي نفذتها في بيروت  
والضواحي على استعداد لعمل كل شيء بما في  
ذلك حرق « لبنان الأخضر » لاشباع شهيتها في الحكم  
باعتراف ان الحكم في لبنان بما يؤديه من خدمات  
مصلحية هو الوسيلة الأكثر جدوى لتحقيق المطامح  
الفئوية . بيد انه ظهر من ضراوة الاقتتال ان ثمة  
« توازن رعب » رضخت الكتابات من جرائه لتسوية  
تمثلت في ان يمثلها في الحكم حليفها كميل شمعون ،  
رئيس حزب الوطنيين الأحرار . وعلى الرغم من  
ان هذه التسوية استبعدت ، بالإضافة الى  
الكتابات ، الحزب التقدمي الاشتراكي برئاسة  
الاستاذ كمال جنبلاط ، الا ان الجانب الإيجابي  
فيها انها مكنت الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية  
من اكتشاف قدراتها وتأثيراتها في صنع القرار  
ليس على الصعيد الشارع الوطني فحسب وإنما  
داخل مؤسسة الحكم نفسها .

وقد كان خاتمة هذه المرحلة الاعلان من تشكيل  
الحكومة ( أعلنت أسماء الوزراء الستة بمن فيهم  
رئيس الحكومة في ٦/٣٠ ووزعت الحقائق في ٧/١ )  
بهدف وضع حد للاشتباكات . وقد كان لمسامي  
السيد عبد الجليم خدام ، نائب رئيس الوزراء

في بيروت والضواحي حتى وصل التصف الى مقر  
الآخ ابو عمار مما جعل وكالة الأنباء الفلسطينية  
( وفا ) في ٦/٢٧ تنبه « الى خطورة اساءة فهم  
هذا البيان ، لان اساءة فهمه قد تدفع نحو فواجع  
أضخم وأعم ، لبنان بغنى عنها والفلسطينيون  
بغنى عنها » . وحذرت الوكالة من « ان المقاومة  
الفلسطينية بكافة فصائلها والتي تتف صفا واحدا  
متراسا وقويا ، تؤكد انها وهي تأخذ موقع الجسر  
الصلب والحقيقي للتفاهم والمودة والأخاء ، لا  
يمكن ان تسبح لكائن من كان ان يدفع بأدوات  
دماره وتخريبه عبر هذا الجسر ، فلحمة هذا  
الجسر أجسادنا وأجساد جماهيرنا وأجساد كل  
المخلصين في هذا البلد وفي الأمة العربية » . ولم  
يكن هذا التحذير بمعزل عن ممارسته عملا فالثورة  
ملزمة بالدفاع عن وجودها كما هي ملزمة في الوقت  
نفسه بالرد على حملات التصفية التي كانت تتعرض  
لها الجماهير الوطنية الحليف الطبيعي للثورة  
والدرع التي تقي ظهرها من الطعنات الغائلة .

وعلى الرغم من الخراب الكبير الذي لحق  
بساحات القتال ومئات القتلى وآلاف الجرحى  
والمشوهين فان الكتابات استطاعت ان تحقق نجاحا  
ما في استحقاق الغرائز الطائفية واستغلالها  
لمصلحتها مع ما يظم هذا النجاح من بروز اتجاهات  
جديدة في الطائفة نفسها التي تنتمي اليها الكتابات ،  
ترفض مطلقا الكتابات الطائفية - الانعزالية -  
ويمكن المراهنة على اتساع نفوذها وعلى ان  
تكون المعادل المستقبلي لهذه الطائفية - الانعزالية ،  
تقول ان الكتابات ان استطاعت ان تحقق هذا النجاح  
المطلوب في هذا الصدد فقد خانها حساباتها في  
الميادين الأخرى : فمن جهة واحدة أظهر مجرى  
الأحداث قدرة الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية  
على الالتصاق بالشارع الوطني وضبط عفويته  
من أجل الدفاع عن المواقف التي تحتلها هذه  
الحركة ، كما أظهر ان الطاقات النضالية المخترنة  
لدى الجماهير الوطنية المريضة قابلة للتفجر  
عندما تتعرض للتحدي ، بقدرات اجتياحية تفوق  
مردوداتها الوطنية ما كان منتظرا منها . وإذا  
كانت الزعامات التقليدية قد استثمرت هذه الحقيقة  
وظلقتها لمصلحتها بعد ان كثفت الأزمة الى حجم  
تشكيل الحكومة ، فان المواجهة الأخيرة تحمل بذور  
أرادة التغيير الجذرية لانها فتحت أعين الجماهير

والانعزالية الى الاستمرار في التآمر، هو استنادها الى الدعم الذي تلقاه من الامبريالية والصهيونية اللتين تسعيان الى ضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في لبنان ، كمقدمة نحو عرض الحل الاستسلامي الاميركي على العرب على حساب حركة التحرر الوطني العربية .

**احتجاز مورغان : واحد من الذبول :** في الثاني من تموز ( يوليو ) الماضي كشف الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية ان رجالا مسلحين أخذوا كولونيليا في الجيش الاميركي من سيارة تاكسي في بيروت يوم ١/٢٩ وان الضابط لا يزال مفقودا منذ ذلك الحين . وفي بيروت اوشحت السفارة الاميركية ان الكولونيل مورغان يعمل رئيسا لموظفي التخطيط في بعثة المساعدات العسكرية الاميركية في انقرة . ونكرت مصادر صحافية ان مورغان كان قد وصل بيروت في يوم احتجازه آتيا من باكستان لتمضية ليلة واحدة يتابع بعدها سفره الى مقر عمله في انقرة ، وان الاحتجاز تم بعد خروجه من فندقه الى مطار بيروت « لشراء صحف ومجلات » . وقد ظهر واضحا منذ بداية القضية ان الولايات المتحدة انصقت تهمة الخطف بالمقاومة الفلسطينية . فقد نكرت والدة الضابط الاميركي لوكالسة « الاسوشيتدبرس » ( ٧/٣ ) انها تلقت برقية من مكتب وزير الجيش الاميركي بعد يومين من اختفائه جاء فيها «خطف وطينون فلسطينيون ابنك الكولونيل ارنست مورغان » .

بيد ان التطور المفاجيء كان اعلانا مما سمي « منظمة العمل الاشتراكي الثوري » عن مسؤوليتها عن خطف الضابط الاميركي . وقد جاء هذا الاعلان في رسالة وجهت الى غودلي ، السفير الاميركي في بيروت ، مساء ٧/٦ بواسطة مكتب « وكالة الصحافة الفرنسية » فركت فيها المنظمة انها « منظمة ثورية لبنانية » وحددت مهلة ثلاثة ايام تنتهي في الساعة ٢١ من يوم ٧/٩ « لتنفيذ طلباتنا المرفقة والا فاننا غير آسفين على حياة احد جواسيسكم وجلادكم » وحددت هذه المطالب بما يلي : « ١ - نشر هذا الكتاب على الصحف والوكالات واذاعته من اذاعة صوت اميركا بالعربية ومن كافة اذاعاتكم وبكل اللغات التي تبثون بها . ٢ - الطلب من السلطات اللبنانية ان تكف عن

ووزير الخارجية السوري ، تأثير في التهدة . وقد شارك في الاجتماع الذي عقد في ٧/١ - اثر تشكيل الحكومة - في منزل السيد رشيد كرامي وحضره كرامي نفسه على رأس وفد لبناني عسكري ، والاخ ابو عمار ممثلا الجانب الفلسطيني الذي ضم عددا من قادة المقاومة . وقد صدر عن الاجتماع بيان أعلن ان المجتمعين اتفقوا « في المرحلة الراهنة على التدابير الكفيلة بإعادة الثقة الى النفوس وتحقيق الامن واعادة الحياة الى مجراها الطبيعي وهي :

- ١ - التأكيد على وقف اطلاق النار غورا والقبض على العناصر غير المنضبطة وتسليمها الى القضاء .
- ٢ - ضبط النفس بعدم الرد بالنار على النار من كلا الطرفين والاتصال بمركز الارتباط لمعالجة الموقف .
- ٣ - القبض على العناصر التي تقوم بعمليات الخطف وتسليمها الى القضاء .
- ٤ - ازالة المظاهر المسلحة من مختلف النقاط ، وذلك بسحب المسلحين والاسلحة الثقيلة ( هواوين ، صواريخ ، وآرمي جي ) وازالة كل المتاريس .
- ٥ - العمل على جعل كل الطرق سالكة وآمنة في العاصمة وفي مختلف المناطق .
- ٦ - تركيز قوات الامن الداخلي في كل المناطق ، خصوصا الحساسة .
- ٧ - تكلف الاشراف على التنفيذ لجنة التنسيق العليا ومركز الارتباط بمعاونة لجان الارتباط المشتركة » .

وعلى الرغم من بعض الحوادث المنفرقة التي أعقبت الاتفاق الا ان الهدوء ساد تدريجيا في وقت لاحق ، مع ابقاء هذا السؤال معلقا : هل انتهت ؟ وقد اجاب عن السؤال المكتب التنفيذي للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية في اجتماعه الذي عقده يوم ٧/٩ برئاسة الامين العام للجبهة الاستاذ كمال جنبلاط وحضور الاخ ابو عمار ، اجاب بقوله « أجمع الحاضرون على ان المؤامرة التي دبرتها القوى الفاشية والانعزالية ضد المقاومة الفلسطينية وضد الحركة الوطنية في لبنان لم تنته بعد على الرغم من الهزيمة التي نزلت بتلك القوى المعادية لعروبة لبنان والمعادية لتضحية الشعب الفلسطيني ، وعلى الرغم من الكوارث التي جرتها المؤامرة الكتابية الانتحارية على لبنان وعلى الشعب اللبناني والاضرار التي ألحقتها هذه المؤامرة بالثورة الفلسطينية . ولاحظ الحاضرون بأن السبب الاساسي الذي يدفع بالقوى الفاشية

البحث والتقصي عن مكان وجود جاسوسكم .  
٣ - انكم تعرفون جي المسلخ في بيروت ، هم من الفقراء العمال الذين تستغلهم رؤوس اموالكم ورؤوس اموال عملائكم في لبنان . ان هذا التجمع البيكاني قد تعرض مؤخرا الى القصف الوحشي من قبل حزب الكتائب اليميني الفاشي العميل لكم وتسبب في قتل وجرح العشرات وكذلك تهديم مئات الاكواخ . لذا نأبركم بصرف المواد التالية الى التجمع السكاني في الحي المكتوب : ٢٠ طن سكر ، ٢٠ طن رز ، ١٠ اطنان سمن للطعام ضمن علب صغيرة ، ١٠ اطنان حليب للاطفال ، ٢٠٠ طن طحين ، ٢٠٠ زوج اذنية جديد ، ٢٠٠٠ زوج من الملابس الداخلية ، ٤٠٠ طن اسمنت ، ٢٠٠ طن حديد للبناء . تسلم هذه المواد الى لجنة شعبية في حي المسلخ وتقوم بدورها بمهمة التوزيع . تمنع السلطة من التدخل . وقد امتنع الناطق الاميركي الرسمي عن الاجابة عما اذا كانت الولايات المتحدة مستجيبة لهذه المطالب لتأمين الانعراج عن مورغان .

وتعالقت القضية على اكثر من صعيد وفي مساء ٧/٩ صدر بيان عن قيادة الثورة الفلسطينية بالاشتراك مع الحركة الوطنية اللبنانية بشأن حوادث الخطف عامة وحادثة الضابط الاميركي خاصة ، وقد اتهم البيان عناصر من جبهة النضال الشعبي بخطف الكولونيل وتسليمه الى احد عناصر الجبهة الشعبية - القيادة العامة ، كما ذكر « ان المنظمة التي ادعت مسؤوليتها عن وجود مورغان عندها منظمة وهبية لا وجود لها » وقال البيان « ان الثورة تجد في كل هذه الحوادث الفرعية واللائقراطية تهديدا لامننا ومحاولة للتخريب في صفوفنا ودعوة لتسليم عداء القوي المتريضة بها واعطائها المبررات لمواقفها التأميرية والتصفوية على الثورة » وأنهى بأن « الثورة سوف تتخذ من جانبها كافة الاجراءات الضرورية لحماية مكاسبها وأمنها واستقرار المواطنين . وتأمل قيادة الثورة من الجهات المعنية تسليمها كافة المطلوبين لوضع حد جذري لهذا التخريب الفوضوي حتى لا تضطر الى وضع يدها على هذه العناصر بالطرق التي تراها مناسبة » .  
وردا على هذا البيان أصدرت « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية » بيانا هاجمت فيه قيادة م.ت.ف. ، غير ان البيان لم ينف ولم يؤكد في الوقت نفسه وجود مورغان لدى الجهة التي اتهمتها م.ت.ف. ، ولكنه ذكر « ان اتخاذ قضية مورغان الكولونيل الاميركي الذي جاء الى لبنان في مهمة ليست سياحية كوسيلة للهجوم والتشهير بقوى الرفض ، انما يخدم الامبريالية وعملها اذ كان موقف قيادة منظمة التحرير من قضية اختفائه مستغربا » .  
ومع انتهاء المهلة المحددة في بيان « منظمة العمل الاشتراكي الثوري » مددت « المنظمة » مهلة ٧٢ ساعة اضافية لتحقيق مطالبها . وفي ٧/١١ وصلت الى محلة المسلخ شاخنتان لبنانيتان تحملان خمسة اطنان من السكر وخمسة اطنان من الرز وقد ذكرت « النهار » (٧/١٢) انها علمت من مصادر مطلعة « ان توزيع المؤن هو جزء من ضيقة تسوية تم التوصل اليها ، في مفاوضات واتصالات سرية ، اشتركت فيها اطراف عديدة بينها مسؤول لبناني كبير ورجل أعمال بارز وشخصيات فلسطينية مستقلة ومسؤول قذافي من خارج م.ت.ف. . ووفقا لهذه الضيقة يفترض ان يسلم الخاطنون الكولونيل المخطوف قبل التاسعة من مساء اليوم [ ٧/١٢ ] . وقبل تسليم الضابط حدث تطور مفاجيء مساء ٧/١١ اذ وزعت « وفا » بيانا للجنة الشعبية لمنطقة المسلخ اعلنت فيه « رفضها كل ندية اميركية واصرارها والتزامها بالشعارات والمواقف لم.ت.ف. قائدة نضال شعبنا الفلسطيني وبمواقف الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية وایمانها بأن كل زيادة على هذه المواقف هي عمل لا يخدم المصالح الاميركية » . وفي ٧/١٢ جرى تسليم مورغان الى السيد رشيد كرامي ، رئيس الحكومة اللبنانية ، ضمن غيبش اعلامي متعمد وتمتتم على الجهة التي قامت بتسليمه . وقد وزعت « وكالة الصحافة الفرنسية » ووكالة « اليونيتد برس » الاميركية نياين ذكرا ان المنظمة الخاطنة ابلغتهما انها لم توافق على اطلاق مورغان الا لان السفارة الاميركية انتجست لطلباتها .  
وبذلك انتهى أحد الذبول بعد ان كاد يسبب شرخا في الصف الفلسطيني الذي ظهر موحدا متماسكا خلال الازمة جميعها .

وردا على هذا البيان أصدرت « جبهة القوى

وفي ٧/١٢ تعرض مخيم عين الحلوة قرب صيدا لغارة اسرائيلية جديدة وحسب بلاغ الناطق العسكري الفلسطيني (٧٥/٢٢٢) « قامت طائرات العدو في الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر بالاغارة وقصف منطقتي صيدا ومخيم عين الحلوة ، مستخدمة القاذف الصاروخية والاسلحة الرشاشة. وقد استهدف القصف المنشآت المدنية ، واستمرت الغارة حتى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين ، وعاود طيران العدو في الساعة الثالثة وعشر دقائق قصف مخيم عين الحلوة ومدينة صيدا ، واستمر القصف عشرين دقيقة . وعلى الفور تصدت الجماهير اللبنانية - الفلسطينية في صيدا الهاسلة ومخيم عين الحلوة والمقاومة الشعبية في المنطقة لغارات طيران العدو بمختلف الاسلحة، وقد تمكنت مقاومتنا الارضية من اسقاط احدى طائرات العدو المعيرة في منطقة الصرند ، كما شوهدت اخرى تهوي محترقة في اتجاه البحر. وقد أسفر العدوان الصهيوني عن استشهاد أربعة من المواطنين واصابة عشرين آخرين بجسروح طفيفة ». وفكرت الانباء الصحافية ان صواريخ سام ٧ كانت تلاحق الطائرات المعيرة في كل اتجاه وتمكن احدها من اصابة طائرة معادية وقال شهود عيان انهم رأوا مظلة طيارها تسقط داخل الاراضي اللبنانية شرقي المخيم .

م.ت.ف. وتخفيض خدمات الأونروا : في ١٠ حزيران ( يونيو ) اوردت وكالات الانباء ان الدكتور خالد همام ، الأمين العام للامم المتحدة ، وجه نداء عاجلا من أجل تقديم التبرعات الضرورية لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين ( الأونروا ) لان العجز في موازنتها هذه السنة الذي يقدر بنحو ٣٠ مليون دولار « بلغ من الضخامة حدا لم يعمد من قبل ». وقال في البيان الذي اصدره ان هذا العجز ناتج عن التضخم المالي وخفض أسعار العملات، ويمثل نحو نصف المبلغ المطلوب للابقاء على برامج الاغاثة والصحة والتعليم للاجئين حتى نهاية ١٩٧٥. وحذر من « ان الوضع المالي الان خطير الى حد انه ما لم يتم ورود تبرعات اضافية فلن يكون هناك بديل من اجراء خفض في البرامج او تعليقها خلال النصف الثاني من السنة ١٩٧٥ » وزاد انه « ينظر بقلق بالغ الى احتمال اجراء تخفيضات شديدة في مخصصات اعاشة اللاجئين والالغاء

الاعتداءات على المخيمات والجنوب : مع التصعيد العسكري الذي مارسه الثورة الفلسطينية في داخل الارض المحتلة خلال الاسابيع الماضية ( راجع جدول العمليات العسكرية في هذا العدد ) لجأت القوات الاسرائيلية الى قصف مخيمات الفلسطينيين والمناطق الجنوبية المدنية في جنوب لبنان . ففي ١٥ حزيران ( يونيو ) تعرضت كفرشوبا لخمس غارات بطائرات الفانتوم والسيكاهوك والميراج فصلت الغارة عن الاخرى بضع دقائق وكانت الخسائر في هذه الاعتداءات ثقيلة واربعة جرحى وتدمير ما تبقى من منازل القرية التي كانت قد تعرضت للقصف في ١٦ كانون الثاني ( يناير ) الماضي الذي استمر اربعة ايام متتالية. وقد ذكر بيان الناطق العسكري الفلسطيني ( رقم ٧٥/١٩٥ ) ان العدو استهدف بعدوانه تواعد الثورة الفلسطينية والمناطق اللبنانية المدنية وان القصف الجوي والمدفعي شمل مناطق عديدة في قطاع العرقوب .

وفي ليلة ٧/٦ تموز ( يوليو ) قامت القوات الاسرائيلية الجوية والبحرية والبرية بهجمات استهدفت المخيمات الفلسطينية في منطقة صور والرشيديية وبعض مناطق الجنوب اللبناني وقد ذكر الناطق العسكري الفلسطيني ( تصريح رقم ٧٥/٢١٣ ) ان « ثوارنا تصدوا ببسالة وكفاءة لقوات العدو المهاجمة واستطاعوا دحرها وايقاع خسائر فادحة في صفوفها واسقاط طائرة من طراز سكاي هوك وتدمير زورق وأسر قارب بمعداته وتجهيزاته ». وذكرت التقارير الصحافية انه سقط تسعة شهداء في هذا الهجوم بينهم أربعة اطفال .

وفي الوقت نفسه تعرضت عدة قرى جنوبية للقصف الاسرائيلي مما سبب استشهاد مسيدة في بلدة عديسة وجرح سيدة اخرى وطفلة .

وقد كان رد المقاومة سريعا على هذه الاعتداءات فقصفت صباح ٧/٧ مدينة صفد وضواحيها بالصواريخ الثقيلة وكذلك نهاريا وضواحيها . وقد ذكر الناطق العسكري الفلسطيني ( بلاغ رقم ٢١٥ - ٧٥ ) ان هذا الرد يؤكد « ان حملات الارهاب والتفكيك التي يشنها العدو ضد جواهرنا ... ومدنا وقرانا لن تلقى من ثوارنا الا مزيدا من تصعيد عملياتهم ».

على- أن تظل خدمات الوكالة مسؤولة بقولها ما المجتمع الدولي المسؤول من تطبيق قراراته الخاصة بعودة الفلسطينيين الى وطنهم . وبين الاخ ابو ميزر بوضوح ان م.ت.ف. ضد أي انتقام من هذه المسؤولية وقال ان م.ت.ف. ستقف ضد أية محاولة لوضع تلك المسؤولية على عاتق الدول العربية ، او على مؤسسات غير متخصصة . وقالت « وفا » ان المفوض العام أشار الى انه سيتابع جهوده لزيادة التبرع لزيادة ميزانية الوكالة على أساس ان تمويل الوكالة بوصفها منظمة دولية يجب ان يظل مسؤولة دولية .

#### العلاقات الدولية :

● استقبل الاخ ابو عمار مساء ٦/١٢ في بيروت وليم فولبرايت ، الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي . وذكرت « وفا » انه جرى في اللقاء استعراض شامل وواضح للقضية الفلسطينية من مختلف جوانبها المحلية والدولية . وقد ادلى فولبرايت في وقت لاحق بحدث لصحيفة « الثورة » السورية (٦/٢٠) سئل فيه عن اجتماعه بأبو عمار فأجاب « ان ما يطلبه السيد مرغبات طلب منطقي ، وأنا أمل جدا في ان يتم الاعتراف بشعبنا وأن يتواءم النص القانوني الذي يؤمن كياننا خاصة للشعب الفلسطيني » .

● في ٦/١٢ قررت منظمة العمل الدولية في اجتماعها في جنيف قبول م.ت.ف. عضوا مراقبا في المنظمة، كما قبلت حركات التحرير في جنوب افريقيا ونامبيا وزمبابوي اعضاء مراقبين ايضا . وذكرت « وفا » (٦/١٣) ان بوب هول ، زعيم نقابات العمال الأسترالية ، والمعروف بمبوله الصهيونية حاول التشويش على القرار فدعا الى عدم السماح لم.ت.ف. بحضور اجتماعات المنظمة الدولية الا بعد ان تتخلى عن هدفها بتدمير اسرائيل وأيده في جهوده مندوبو نقابات العمال في الولايات المتحدة والسويد وكولومبيا وكندا والمانيا الغربية وبريطانيا . وعلى الرغم من ذلك فقد اتخذت المنظمة قرارها المذكور فانسحب مندوبا امركة واسرائيل من الاجتماع فور اتخاذ القرار . وحضر اجتماع المنظمة وفد فلسطيني برئاسة الاخ

الفعلي لبرنامج التعليم المدرسي» . وفي ٦/١٥ عقد الاخ عبد المحسن ابو ميزر الناظر الرسمي باسم اللجنة التنفيذية لم.ت.ف. ، مؤتمرا صحافيا في دمشق حدد فيه موقف المنظمة من هذه القضية . وذكر ان مجلة من الاخطار ترتب عن التوقف عن تقديم الخدمات الحيوية للفلسطينيين أهمها حرمانهم من هذه الخدمات التي تقدمها الوكالة في مجالات الصحة والتعليم والغذاء . وانها خدمات ١٥ الف موظف ومستخدم في اقسام الوكالة المختلفة « وهذا سيؤدي الى تطع ارزاق أكثر من ٧٥ الف شخص من عوائل هؤلاء الموظفين والمستخدمين » وأكد عناصر الموقف التالية : « اولا - ان مشكلة اللاجئين قد فرضها العدوان الصهيوني على فلسطين ، وان استمرارها نجم عن رفض اسرائيل المتواصل والدعوم بتأييد الولايات المتحدة والدوائر الامبريالية الأخرى ، للانصياع الى مقررات الامم المتحدة المتعلقة بعودة اللاجئين الى ديارهم . وان لا حل لهذه المشكلة الا بعودة شعبنا الى وطنه ودياره واملاكه . ثانيا - ان محاولات تصفية خدمات وكالة الفوث تخفي وراءها ، وفي هذا الوقت بالذات ، أهدافا سياسية سافرة ، تستهدف تصفية قضية اللاجئين خارج وطنهم فلسطين . ثالثا - ان المجتمع الدولي هو الذي يتحمل مسؤولية استمرار هذه المسألة وبالتالي المسؤول عن توفير الاموال الكافية لوكالة فوث اللاجئين . رابعا - ان المفوض العام [لوكالة] والدول المضيفة مطالبون بالعمل ، منذ الآن ، بعرض هذا الموضوع على الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها المقبلة ، لتأمين موارد ثابتة لميزانية الوكالة وعدم ايثاقها كما هي الآن معتادة على التبرعات الطوعية . خامسا - اننا نؤكد رغبتنا لتوجهات المفوض العام الرامية الى الحاق عيب ومسؤولية تمويل ميزانية الوكالة على عاتق الدول العربية ، ولمارساته التي من هذا النوع الخارجة أصلا عن اختصاصاته » .

وفي ٦/١٨ أوردت « وفا » ان الاخ ابو ميزر استقبل في دمشق السيد جون رني ، المفوض العام لوكالة الفوث وبصحبته مديرا الوكالة في كل من سوريا ولبنان . وذكرت الوكالة الفلسطينية ان رني استمع الى وجهة نظر م.ت.ف. التي تصر

والاوضاع في البحر المتوسط عامة تستوجب عقد اجتماع مشترك لمناقشة الاوضاع الراهنة وتبادل وجهات النظر ازاءها» وقد ترك الحزب للمنظمة تحديد تاريخ عقد الاجتماع المشترك .

● اجتمع ابو عمار مساء ٦/٢٢ في دمشق بالرئيس القبرصي الاستقف مكاريوس بحضور الاخوين زهير محسن ، رئيس الدائرة العسكرية في م.ت.ف. وعبد المحسن ابو ميزر . وذكرت « ونا » ان الرئيس مكاريوس أكد مجدداً في اللقاء دعم قبرص وتأييدها للتضال العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني . هذا ، وكان مكاريوس قد أعلن في وقت سابق في مؤتمر صحفي عقده في القاهرة في ٦/١٨ اعتراف بلاده بـ م.ت.ف. باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، كما أعلن موافقته على فتح مكتب للمنظمة في قبرص .

● اجتمع ابو عمار في ٦/٢٢ في دمشق بالسيد يوريس يوناماريوف ، العضو المرشح للمكتب السياسي/سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، وحضر الاجتماع من الجانب الفلسطيني الاخوة زهير محسن وعبد المحسن ابو ميزر وعبد العزيز الوجيه ومحمد زهدي النشاشيبي أعضاء اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ، وخالد الحسن عضو المجلس المركزي ، وعن الجانب السوفياتي : السادة رومانتييف ، رئيس قسم الشؤون الدولية في الحزب الشيوعي السوفياتي، وفونوغرادوف ، العضو المرشح لعضوية اللجنة المركزية ، ونور الدين محيي الدينوف ، السفير السوفياتي في دمشق . وقد صرح الاخ ابو ميزر عقب انتهاء الاجتماع بأنه « جرى تبادل الرأي ووجهات النظر بين الوفدين الفلسطيني والسوفياتي في جو من التفاهم . وقد تم استعراض الوضع العالمي وانعكاساته على الوضع في المنطقة . وقد أكد الرفيق يوناماريوف التأييد الحازم والمثابر من الاتحاد السوفياتي لتضال الشعب الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه الوطنية ، كما عبر عن مساندة الاتحاد السوفياتي لـ م.ت.ف. بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ايما وجد ، بكل الوسائل والامكانات . . . وقد شكر الاخ ابو عمار باسم اللجنة التنفيذية وجماهير شعبنا الفلسطيني موتف الاتحاد السوفياتي المبدي

عبد العزيز الوجيه ، عضو اللجنة التنفيذية .

● ذكرت « ونا » (٦/١٤) ان وعدا فلسطينيا برئاسة الاخ فاروق القدومي ( ابو الطيف ) ، رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. ، اجتمع في بلجراد بوزير خارجية يوغسلافيا وتم في الاجتماع « استعراض الوضع الراهن في منطقة الشرق الاوسط واحتمالات عقد مؤتمر جنيف ودور دول عدم الانحياز في دعم التضال العربي عسامة والفلسطيني بوجه خاص ، كذلك جرت مناقشة الوضع الحالي في الساحة اللبنانية » .

● التقى سفير جمهورية كوريا الديمقراطية في دمشق مساء ٦/١٥ بالاخوين ابو جهاد وابو ماهر، من قيادة فتح ، وذكرت « ونا » انه جرى في اللقاء بحث القضية الفلسطينية كما أكد السفير الكوري مساندة بلاده للشعب الفلسطيني في كافة المجالات .

● في اليوم ذاته استقبل الاخوان المذكوران سفير جمهورية فيتنام الديمقراطية في دمشق الذي أكد من جديد دعم بلاده المطلق للتضال البطولي الذي يخوضه الشعب الفلسطيني بقيادة طلائعهم المقاتلة .

● في ٦/١٨ قام سفير جمهورية المانيا الديمقراطية في لبنان بزيارة ابو عمار وجرى خلال الزيارة بحث الاوضاع الراهنة .

● استقبل ابو عمار في ٦/٢٠ في بيروت اللورد كارادون ، وذكرت « ونا » ان كارادون أبدى في اللقاء « رغبته وحرصه » من خلال المعاناة والالام التي عاناها الشعب الفلسطيني ، على نيل حقوقه المشروعة والعادلة في أقرب فرصة ممكنة « وقال « انه اذا لم تتحمل كافة الاطراف المعنية مسؤولياتها وتنتهز هذه الفرصة المؤاتية الآن ، فان حربا مدمرة ستنشأ في منطقة الشرق الاوسط » .

● اجتمع ابو عمار مساء ٦/٢٠ بالسفير الهندي في لبنان ، وتناول البحث آخر تطورات القضية الفلسطينية والوضع الدولي الراهن .

● ذكرت « ونا » (٦/٢١) ان حزب وحيدة البروليتاريا في ايطاليا وجه رسالة لـ م.ت.ف. جاء فيها « ان الحزب يرى ان هذه الظروف الخطرة التي تمر بها القضية الفلسطينية بشكل خاص

بنغلاديش في لبنان، وذكرت « وفا » انه جرى في اللقاء التأكيد على أهمية ترسيخ العلاقات وتعميقها بين م.ت.ف. وبنغلاديش .

● استقبل ابو اللطف بمقر الدائرة السياسية في بيروت الدكتور قريشي ، السفير الباكستاني في لبنان ، وذكرت « وفا » (٦/٢٦) انه دار في الاجتماع « بحث العلاقات الاخوية الباكستانية - الفلسطينية ».

### عصام سخيني

والصادق من الثورة الفلسطينية وكفاح أمتنا العربية . هذا، وقد اجتمع ابو عمار في وقت لاحق (٧/٢) بالسيد الكسندر سولداتوف ، سفير الاتحاد السوفياتي في لبنان ، وتم في الاجتماع بحث آخر تطورات الموقف في الشرق الاوسط عامة والموقف الحالي على الساحة اللبنانية بشكل خاص .

● استقبل الاخ ابو اللطف في ٦/٢٥ في بيروت السيد شهاب الدين ، القائم بأعمال سفارة

## (٢) القضية الفلسطينية دولياً

المسابقة وخاصة وعدها بالسماح للضحايا السابقين الاسرائيلية بالمرور عبر قناة السويس . ( ب ) ان محادثاته مع فوردي اطمعته بأن بعض التفجرات قد طرأت على الموقف المصري السابق . ( ج ) ان حكومته تحبذ قيام اتحاد اسرائيلي - اردني - فلسطيني في الضفة الغربية كحل للمشكلة الفلسطينية . وفي هذا الكلام إشارة الى الموقف الاسرائيلي المعروف حول الإصرار على التعامل مع النظام الاردني بشأن الضفة الغربية بحيث « يعبر الشعب الفلسطيني عن طموحاته القومية من خلال الكيان الاردني » على حد قول العبارات الاسرائيلية الدارجة حالياً . ( د ) ان اسرائيل ترحب بجانب من الاتصالات الأردنية - السورية الأخيرة لأن في ذلك تدعياً لموقف النظام الاردني في وجه منظمة التحرير وخاصة بالنسبة لاية تدسية مستقبلياً للقضية الفلسطينية . ( هـ ) ان الطريق الوحيد الذي يمكن لاسرائيل ان تسير فيها هي طريق الاتفاقات الجزئية والمؤقتة لأن « التسوية الشاملة »

ما زالت قضية إعادة النظر التي تجربها الحكومة الامريكية في سياستها الشرق اوسطية تشكل الجوز الذي دارت حوله التطورات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية في الفترة الأخيرة . وكانت عملية إعادة النظر المفترضة قد بدأت بعد فشل مهنة كيسينجر الأخيرة في الشرق الاوسط ، وآخر تطور بارز على هذا الصعيد كان انعقاد قمة سالزبورج بين الرئيسين فوردي والسادات (راجع « شؤون فلسطينية » ١٧ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٢ ) . واستكمالاً لمساورات هذه القمة سافر رابين الى واشنطن في منتصف شهر حزيران حيث أجرى محادثات مطولة مع الرئيس فورد وكبار المسؤولين الامريكين بمن فيهم كيسينجر (أنظر المرجع السابق) ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ) . وخلال وجوده في واشنطن ادلى رابين بسلسلة من التصريحات السياسية نجعل أهم ما جاء فيها بالنتقاط التالية : ( أ ) ان اسرائيل لن توافق على أي اتفاق جزئي جديد مع مصر إلا اذا احترمت الأخيرة « كافة تعهداتها

يمكن التنازل عنها لاسباب أمنية اسرائيلية. وشدد خدام على ان اعادة الجولان الى السيادة السورية لا يمكن ان يرتبط بخطوات جزئية ومرحلية وان الموقف الاسرائيلي من موضوع الجولان لا هدف له الا التهرب من ضرورات ايجاد حل شامل للنزاع في المنطقة . ( ب ) ان الجانب الامريكى لم يكن راضيا عن الموقف السوري وهذا واضح من التصريحات المقتضية جدا التي صدرت عن الطرفين بخصوص الزيارة والتي لم ترد فيها حتى العبارات الدبلوماسية التقليدية حول حدوث تقدم في المحادثات . وفي مقابل الموقف السوري تطالب أمريكا بأن لا تصر سوريا على ربط الانسحاب الاسرائيلي الجزئي في سيناء بالانسحاب من الجولان . بعبارة اخرى ترصد الولايات المتحدة فصل الجبهة السورية عن الجبهة المصرية وتغطية ذلك دبلوماسيا بابقاء سوريا ضمن اطار المساعي السياسية الجارية « لتحقيق السلام » في المنطقة على حد التعابير المستخدمة كثيرا في الوقت الحاضر . في حين يصر الجانب السوري على وحدة الجبهتين العربيتين ان كان في المهملات الحربية او العمليات الدبلوماسية .

وأثناء عودة الوزير خدام الى سوريا توقف في باريس حيث اجرى محادثات مع وزير الخارجية الفرنسي . وذكرت الأنباء ان خدام اوضح لزميله ضرورة عدم اقتصر فك الارتباط الجديد على جبهة سيناء وحدها وأهمية شموله للجبهات العربية الثلاث معا . وأوضح خدام ان هذا لا يعني اصرار سوريا على حدوث الانسحابات الاسرائيلية في وقت واحد في الجبهات الثلاث بل ان يتخذ القرار المبدئي في هذا الشأن في وقت واحد ووفقا لجدول زمني معقول .

بعد زيارة خدام نشرت صحيفة « النيويورك تايمس » تحليلا لعملية اعادة النظر في السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ذكرت فيه ان الحكومة الامريكية قد توصلت الى عدد من النتائج أهمها الخؤول دون اندلاع حرب جديدة في الشرق الاوسط حماية للمصالح الامريكية هناك وزيادة في تدعيم نفوذها في المنطقة . ابتعاد الحكومة الامريكية عن فكرة انعقاد مؤتمر جنيف والعودة الى سياسة الخطوة خطوة للوصول الى السلام عن طريق المراحل . ان الرئيس السادات زعيم يمكن

تطوي على صعوبات كبيرة تتناول حدود اسرائيل المستقبلية والمشكلة الفلسطينية ونوعية التسوية نفسها . وطالب رابين الولايات المتحدة بعدم الالتزام بالبحث عن اية تسوية شاملة ونهائية وهو يشير بذلك الى ما تردد حول الضغط الذي تمارسه الولايات المتحدة لانجاز التسوية الجزئية المؤقتة في جبهة سيناء من طريق التلميح للاسرائيليين بأنه ما لم تتم مثل هذه التسوية في المستقبل القريب ستضطر الولايات المتحدة عندئذ الذهاب الى مؤتمر جنيف حيث لا بد من مناقشة النزاع في الشرق الاوسط مناقشة كلية وطرح حلول شاملة . وهذا تماما ما لا تريده اسرائيل . ( و ) ذكر رابين انه عرض على فوردي « خطة سلام » اسرائيلية تحتفظ اسرائيل بموجبها بشرم الشيخ وبطريق ربط بينها وبين ايلات كما تحتفظ بترفعات الجولان بعد ادخال بعض التعديلات على الحدود القائمة فيها . أما بالنسبة للاردن فتدعو الخطة الاسرائيلية الى اتحاد فيدرالي بين اسرائيل والاردن لحل المشكلة الفلسطينية ضمن اطاره على ان تبقى الضفة الغربية تحت السيطرة العسكرية الاسرائيلية والاردنية معا . وذكر رابين بأنه لجأ الى الخرائط لايضاح خطة للرئيس الامريكى .

تمثلت الخطوة الرئيسية الأخيرة في عملية اعادة تقييم السياسة الامريكية في المشاورات التي اجراها وزير خارجية سوريا عبد الطيم خدام في واشنطن مع الرئيس فوردي ووزير خارجيته وذلك في النصف الاخير من شهر حزيران المنصرم . ذكرت المصادر السورية الرسمية ان مناقشات خدام تناولت آخر التطورات في الشرق الاوسط . اما الجانب الامريكى فقد أعلن ان زيارة خدام لواشنطن هي امتداد للمشااورات التي تجريها الولايات المتحدة مع الحكومات المعنية في الشرق الاوسط ، وان الزيارة جاءت نتيجة طلب الحكومة الامريكية من الرئيس الاسد ارسال من يمثل سوريا الى واشنطن . و جدير بالاشارة ان خدام توقف في لندن حيث اجرى محادثات مع وزير خارجية بريطانيا . وذكرت الأنباء الصحافية ، استنادا الى المصادر الدبلوماسية العربية والامريكية المطلعة في واشنطن المعلومات التالية حول زيارة خدام : ( أ ) ان الوزير السوري عبر اثناء محادثاته عن رفض بلاده لمنطق اسرائيل المقاتل بأن الجولان بقعة صغيرة لا

خفض قواتها في المنطقة المحدودة التسلح في جبهة سيناء . وفي ٢٧ حزيران صرح جوزيف سيسكو قائلاً بأن منظمة التحرير غير مؤهلة للتفاوض باسم الضفة الغربية وأكد ان الملك حسين يجب ان يقوم بدور المفاوض مع اسرائيل حول مستقبل الضفة .

واضاف سيسكو قائلاً ان منظمة التحرير منقسمة على نفسها وسترفض اسرائيل الاعتراف بها طالما « بقيت المنظمة منظمة اريابية ترفض الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود » . لذلك أكد ان المطلوب حالياً هو الخروج بقرار فلسطيني يؤكد حق اسرائيل في الوجود وبدون ذلك من المستحيل التوصل الى تسوية حقيقية في المنطقة . ويبدو لنا ان سيسكو قد عبر في تصريحاته المذكورة عن النتائج التي توصلت اليها الحكومة الامريكية بعد اعادة النظر في سياستها بالنسبة للقضية الفلسطينية عموماً ومنظمة التحرير بصورة خاصة .

بالنسبة للجانب المصري أجرت صحيفة «النهار» (١٧. حزيران) مقابلة مطولة مع الرئيس السادات شرح فيها منظوره للسياسة الامريكية « الجديده » ( أي بعد اعادة النظر ) في المنطقة . وكان أهم ما قاله السادات ما يلي : ( ١ ) ان امريكا اخذت تفكر جدياً لأول مرة بطرح حل شامل وكامل للنزاع في المنطقة « وهذا ما لم تفعله منذ ١٩٦٧ » . وعزا الرئيس السادات هذا « التطور الايجابي » في السياسة الامريكية الى حرب أكتوبر ونتائجها . وبهذا الصدد كرر السادات أيضاً ما كان قد قاله الرئيس فورد سابقاً حول استخدام السياسة الامريكية لدبلوماسية الخطوة خطوة والعمل في الوقت نفسه على انعقاد مؤتمر جينيف . وصف السادات هذا الاتجاه بقوله انه « محاولة للقيام ببسعى جديد بانتظار عقد مؤتمر جينيف وهو محاولة اخرى لسياسة الخطوة خطوة لاتمام ما لم يتم في اسوان ... والذهاب الى جينيف واتمام الخطوة خطوة من داخل جينيف » . ( ٢ ) أشاد السادات بشدة كبيرة بالرئيس فورد واصفاً اياه بأنه « ليس « كرابوي زي جونسون » بل هو رجل « من المدمومت » ( أي أواسط الولايات المتحدة حيث أنطلق الزراعة الكبري ) حيث الناس فلاحون وعند الفلاحين تجد دائماً خلق الاستقرار والكلمة والبساطة والصراحة والذهاب الى الهدف مباشرة » . وعبر الرئيس المصري عن مساعده بأنه

للولايات المتحدة ان تثق به وتعتمد عليه بصفتها زعيماً معتدلاً يعمل على تحويل بلاده نحو الغرب وبعيداً عن الاتيحاد السوفياتي ، خاصة وان الحكومة الامريكية حريصة على الوجود الضخم الذي أوجدته لنفسها مؤخراً في البلدان العربية والقاهرة هي مفتاح هذا الوجود . وشبهت الصحيفة الامريكية توطيد علاقات الولايات المتحدة بالحكومة المصرية بتوطيد العلاقات مع السعودية وايران وغيرها من الدول بهدف استمرار تدفق النفط الى الغرب وابعاد المنطقة « عن مناطق النفوذ السوفياتي » .

لا بد من الاشارة ايضاً الى ان انتهاء عملية اعادة النظر في السياسة الامريكية قد انتجت سلسلة من التصريحات الامريكية والمصرية على أعلى المستويات . بالنسبة للجانب الامريكي ألقى كيسينجر خطاباً في ٢٥ حزيران بسط فيه الخطوط العامة للسياسة الامريكية بعد « اعادة النظر » المذكورة . وكان أهم ما جاء في خطابه ما يلي :

( أ ) التأكيد على التزام بلاده التاريخي والمعنوي ببقاء اسرائيل وزفاهيتها . ( ب ) التأكيد على مصالح امريكا الضخمة في العالم العربي « الذي يضم أكثر من ١٥٠ مليون نسمة ويكون أكبر مخزون من النفط في العالم » على حد قول الوزير الامريكي . ( ج ) التأكيد على ان تصاعد النزاع في الشرق الاوسط وتلوجه نقطة الخطر سيؤثر على علاقات امريكا بحلفائها ( اوروبا واليابان ) تأثيراً سلبياً كما يمكن أن يؤدي الى نشوب أزمة دولية كبرى حول النفط تهدد رفاهية الدول الصناعية المتقدمة بالاضافة الى اختصار حدوث مواجهة امريكية سوفياتية مباشرة . ( د ) التأكيد على ان سياسة حكومته هي حماية كل مصالحها في الشرق الاوسط . بسبب انغماسها « الاقتصادي والسياسي والعسكري » في المنطقة . ( هـ ) التأكيد على ان الاعتبارات التي جرى بسطها تتطلب من الحكومة الامريكية تحركاً مستمراً ونشطاً نحو تحقيق تسوية دائمة في المنطقة على ان تأخذ الحلول المطروحة بعين الاعتبار السلامة الإقليمية لجميع شعوب المنطقة ودولها وحققها في العيش بأمان وسلام . ( و ) رحب كيسينجر باعادة فتح قناة السويس وبقرار سوريا تمديد مدة ائتمانات قوات الطوارئ الدولية ستة اشهر اخرى وبقرار حكومة اسرائيل

الممكنة لإسرائيل وعن طريق الحصول على تنازلات مصرية جديدة . وفي الوقت الحاضر الاتصالات العلنية والسرية جارية على قدم وساق في أعلى المستويات للوصول إلى هذا الهدف . وقد طُغنت على السطح عدد من التصريحات والبيانات والبيانات المضادة والانباء الموثوقة والتكذيبات التي تشير كلها إلى المناورات الجارية حالياً لتحقيق التسوية الجزئية المذكورة وتجميد الوضع بالمنطقة ليضع سنوات قادمة بالإضافة إلى وضع كل من سوريا ومنظمة التحرير في موضع الأحرار السياسي الكبير والعزلة الدبلوماسية في المنطقة .

غفي ٢٩ حزيران صدر تصريح رسمي في تل أبيب يقول بأن إسرائيل أصيبت بخيبة أمل بسبب دعم الولايات المتحدة لمطلب مصر بانسحاب القوات الإسرائيلية من الممرين الاستراتيجيين في سيناء وحقول النفط في أبو رديس . وبعد بضعة أيام صدرت انباء من القاهرة تقول بأن الاختلاف الأساسي حول فك الارتباط الجديد يدور حول حجم الانسحاب الإسرائيلي من سيناء . وذكرت هذه الأنباء أن مصر أكدت على مطلبها الأساسي المذكور وأبدت استعدادها لوضع الممرات تحت سيطرة قوات الأمم المتحدة بدلا من القوات المصرية وجعل مدة الاتفاق الجديد حوالي ثلاث سنوات . وفي هذه الأثناء أعلن فوردي في مقابلة نشرتها صحيفة « الواشنطن بوست » ( ٢ تموز ) أن حكومته ستدعو إلى استئناف محادثات مؤتمر جينيف للسلام إذا لم يتم الوصول إلى اتفاق مؤقت بين مصر وإسرائيل من خلال دبلوماسية الخطوة خطوة .

وواضح أن في هذا التصريح حثا لطرفي النزاع على تحقيق الهدف المطلوب بدون تأزيم للعلاقات مع أي منهما خاصة وإن إسرائيل أبعد ما تكون عن الرقبة في انعقاد مؤتمر جينيف والرئيس السادات غير متحس للفترة حالياً كما هو واضح من سياساته ( في حين يصر الاتحاد السوفياتي على ضرورة انعقاد المؤتمر ) . وحذا كيسينجر حذو رئيسه في تصريح أدلى به في ٦ تموز حث فيه على اغتنام الفرصة المتاحة الآن للوصول إلى اتفاق مؤقت مع مصر في صحراء سيناء مؤكداً بأن الحرب مستترة عواقب وخيمة خاصة بالنسبة لإسرائيل . وفي ٩ تموز وزعت هيئة الإذاعة البريطانية نبأ أسندته إلى مصادر مطلعة في العواصم المعنية يقول

وجد كل هذه « الصفات الحبيدة » في الرئيس الأمريكي . وأكد أن فوردي مصمم على الوصول إلى حل لمشكلة الشرق الأوسط ولن يسمح بعودة « حالة الركود أو الغموض » لتخيم على الأزمة مرة أخرى . ( ٣ ) أكد السادات أن على العرب أن يكونوا واضحين ومركزين لنقطة هامة هي أنه لا فوردي ولا الكونغرس يستطيعان التخلي عن إسرائيل أو عن علاقتهم الخاصة بها . وأكد السادات بأنه لم يطلب شيئا من هذا القبيل من الحكومة الأمريكية بل طلب موقفا أمريكيا واضحا خاصة وأن إسرائيل ضربت مهمة كيسينجر الأخيرة وأساءت إلى السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط . ( ٤ ) شدد السادات في كلامه على التزامه بمقررات مؤتمر قمة الرباط التي تنص على عدم التسليم بشبر من الأرض أو المساومة على حقوق الشعب الفلسطيني . ( ٥ ) ألح السادات على أن المسألة الحيوية المطروحة حالياً على الفلسطينيين هي تشكيل حكومة مؤقتة لأن مثل هذه الحكومة هي وحدها القادرة على بلورة الموقف الفلسطيني بصورة قاطعة وعلى تحديد المطالب الفلسطينية بصورة جازمة ونهائية . وألح السادات بشكل غير مباشر نوعا ما إلى « أن أمريكا لا تستطيع الاتصال بحركة تحرير ، كبدأ عام ، في حين يمكنها الاتصال بحكومة مؤقتة » . يضاف إلى ذلك أن تشكيل مثل هذه الحكومة سيُعطي الفلسطينيين « الأداة التي تجعلهم يتصرفون كما يتصرف كل واحد منا » . أي كما تصرف « كل حكومة من الحكومات العربية » فتكون المقاومة قادرة عندئذ على تقرير « ماذا تريد ما هو موقفها تجاه السلم وموقفها في الحرب » . وأضاف قائلا حول هذا الموضوع الهام بأنه حتى اليوم لا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كان الفلسطينيون قد أجمعوا على الذهاب إلى جينيف أم لا . « وحتى الذين يوافقون على الذهاب إلى جينيف لا يقولون ذلك ولا تعرف حسانياتهم ثم نسمع جبهات الرفض وكلامها ومناقشاتها . ولا نعرف إلى أي حد يمكن أن تنضبط هذه الجبهات في إطار موقف فلسطيني موحد » .

يبدو أن النقطة الجوهرية في السياسة الأمريكية - الإسرائيلية الحالية هي التوصل إلى تسوية جزئية منفصلة ومنعزلة في سيناء بأفضل الشروط

الإشادة بفورد قائلا « ينبغي ان اعترف بصراحة بأنني أحببت الرجل ( أي فورد ) وان صورته هي الصورة التي إنفقدتها امريكا منذ إزنهاور وكينيدي » . بعد كل هذه البلبلة صدرت تصريحات أخرى عن القاهرة تقول بأن اتوال السادات قد خضعت لبعض التحريف وسوء الفهم .

أما الجانب الإسرائيلي فقد « نفى » هو بدوره على لسان رايبن ما قالته هيئة الإذاعة البريطانية الا ان نفيه كان ضعيفا واخذ صيغة القول « بأن الانباء المتعلقة بالتوصل الى اتفاق مؤقت سابقة لاوانها » ونصح بالامتناع عن تداول مثل هذه الاخبار حتى يتم التوصل الى اتفاق بالفضل .

واستمرارا للاتصالات الحثيثة الجارية للتوصل الى تسوية جزئية في سيناء التقى رايبن بوزير الخارجية الامريكي في المانيا الغربية خلال الاسبوع الثاني من شهر تموز . قبل اجتماعه الى كيسينجر ادلى رايبن بتصريحات تناولت الوضع في الشرق الاوسط عموما واتسارت بصورة خاصة الى موضوع التسوية الجزئية والى بعض بنود الاتفاق كما نشرتها هيئة الإذاعة البريطانية . ويمكننا تلخيص أهم ما جاء في تصريحات رايبن بالنقاط التالية : ( أ ) أكد مجددا ان الحكومة الاسرائيلية ترفض الدخول في أية مناقشات « مع المنظمات الإرهابية التي جعلت هدفها المطن تدمير اسرائيل » . ( ب ) أشار الى مستقبل الضفة الغربية قائلا بأن اسرائيل ترغب باتفاق سلام مع الأردن على اساس وجود دولتين مستقلتين هما اسرائيل وعاصمتها مدينة القدس الموحدة ودولة عربية فلسطينية ( وأردنية ) الى الشرق من اسرائيل حيث يتمكن الفلسطينيون العرب من التعبير عن شخصيتهم الوطنية . نفى ان تكون اسرائيل متصلة بالنسبة للتسوية الجزئية مع مصر واكد بأن حكومته ستقدم تنازلات لموسسة على صعيد الارض وحقوق النفط على الرغم من ان ما ستحصل عليه في المقابل ليس الاكلام مكتوب على الورق . ( ج ) أشار الى ان مواضيع مثل انهاء ضغط المقاطعة العربية على الشركات التي تتعامل مع اسرائيل وتخفيف الحملات العربية ضد اسرائيل وكيفية الإشراف على اجهزة الانذار المبكرة في الممرات الاستراتيجية هي قيد الدرس حاليا في المفاوضات الجارية حول التسوية الجزئية المذكورة . ( د ) أكد رايبن مجددا ان

بأن مصر واسرائيل قد توصلتا عمليا الى اتفاق جديد لفصل القوات . وأوردت هيئة الإذاعة البنود الأساسية للاتفاق على النحو التالي : ( ١ ) تنسحب اسرائيل من الممرات وحقول النفط بشرط ان تبقى مراكزها العسكرية على المسفوح الشرقية لمري مثلا وجسدي . ( ب ) يدين خبراء عسكريون امريكيون مواقع الرادار الاسرائيلية في ممر جدي ويقدمون جميع المعلومات التي تتجمع في هذه المواقع حول القوات المصرية الى السلطات الاسرائيلية . ( ج ) تكون المناطق التي يتم الجلاء عنها تحت ادارة مصرية مدنية ويمنع اي وجود عسكري مصري فيها وتعتبر هذه المناطق جزءا من منطقة الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية وتسكر فيها قوات الامم المتحدة . ( د ) تضمن مصر تجديد انتداب مدة قوات الطوارئ الدولية لمدة الثلاث سنوات المقبلة . ( هـ ) ترفع مصر المقاطعة المفروضة على الشركات الامريكية التي تتعامل مع اسرائيل كما تخفف من حملاتها الدعائية والاعلامية ضد اسرائيل .

سبب هذا النبا الفصل بليلة دبلوماسية وعددا من التصريحات المتضاربة . الا انه يبدو لنا ان مقارنة هذه التصريحات ببعضها تجعلنا اكثر ميلا للنظر الى نبا هيئة الإذاعة البريطانية على أنه يمكن الى حد كبير الخطوط العامة للاتفاق الذي تعمل الولايات المتحدة للتوصل اليه في جبهة سيناء . بالنسبة للجانب المصري أصرب وزير الخارجية اسماعيل فهمي عن دهشته قائلا ان حكومته لم تطلق حتى الآن أي جديد من الولايات المتحدة حول موضوع التسوية . الا انه لم ينفى نفيها مياثرا وصريحا نفيها الإذاعة البريطانية . وفي ١٠ تموز نطقت وكالات الانباء تصريحات للرئيس السادات ادلى به الى صحيفة « بوسطن هيرالد اميركان » قال فيه بأن مصر واسرائيل قد اتفقتا على الشروط الأساسية لاتفاق جديد لفصل القوات في سيناء . وذكر النبا ان السادات قال بأنه ابلغ الرئيس فورد في سبالزبورج انه بإمكان الولايات المتحدة الاشراف على اجهزة الانذار في مضيقي مثلا وجدي بعد ان تنسحب اسرائيل منها . كما التزم بتحديد مهمة قوات الطوارئ بصورة سنوية بدلا من تمديدتها كل ثلاثة او سعة اشهر . وعاد السادات الى

الكلي على دبلوماسية كيسينجر في المنطقة بمعزل عن الاتحاد السوفياتي . وذكرت الأنباء الصحافية الموثوقة بأن ليونيد بريجنيف قد تخلى نهائيا عن فكرة زيارة القاهرة ( كما كان يفترض ان يفعل منذ عدة شهور ) في المرحلة الراهنة على أقل تعديل .

بالنسبة لاوروبا ادلى الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان بتصريح مطول الى صحيفة « النيويورك تايمس » تناول فيه مشكلة الشرق الاوسط . ذكر الرئيس الفرنسي بأن حكومته كانت صريحة جدا مع الاسرائيليين بقولها لهم بأنهم لن يحصلوا على شروط افضل لتسوية نزاعهم مع العالم العربي من الشروط المطروحة حاليا لان الدول العربية عموما وافقت على حدود اسرائيل كما كانت قبل حرب حزيران ١٩٦٧ . وأكد ديستان ان فرصة اسرائيل في الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة معدومة وان اسرائيل مخطئة بانطلاقها من المبدأ القائل بأن الوقت يعمل لمصلحتها خاصة وأن الولايات المتحدة لن ترسل جنودها الى المنطقة لحماية اسرائيل في حال اندلاع حرب جديدة بين طرفي النزاع .

وفي هيئة الامم صرح فالدهايم في مؤتمر صحافي في الاسبوع الاول من تموز قائلا بأنه لا يستبعد انعقاد مؤتمر جنيف قبل نهاية هذا العام لكن كل شيء يتوقف الان على نتيجة الجهود الامريكية المبذولة حاليا من اجل الوصول الى اتفاق جزئي مع مصر . واعتبر فالدهايم الحلول الجزئية مساهمة في خلق الاجواء المناسبة للوصول الى حل شامل ونهائي في آخر المطاف .

التسوية الشاملة والنهائية في المنطقة لا يمكن ان تعني ابدأ تنازل اسرائيل عن كل الاراضي العربية المحتلة في ١٩٦٧ اذ ان اسرائيل تعتقد ان الحدود التي كانت قائمة قبل حرب حزيران لا يمكن الدفاع عنها . ( ه ) أوضح رمض اسرائيل لفكرة اي اتفاق مؤقت في جبهتي الجولان والاردن « لاسباب جغرافية وطلوبوغرافية » على حد قوله .

وعلى اثر مباحثاته مع كيسينجر أعلن رابين انه ما تزال هناك بعض العقبات التي لم يتم تخطيها بعد في طريق التوصل الى اتفاق جزئي مصري - اسرائيلي . وأوضح بأنه يأمل هو والوزير كيسينجر في ازالة هذه العقبات بعد أن قدم الوزير الامريكي ايضا احاطة معينة اثناء البحث في كل جوانب الاتفاق الجزئي المذكور . كما ذكر رابين ان مجلس وزرائه سيناقش نتائج مباحثاته مع كيسينجر ويقوم بعدها السفير الاسرائيلي في واشنطن بنقل نتائج مداولات مجلس الوزراء الاسرائيلي الى واشنطن والى الدكتور كيسينجر بالتخصيص . وقد ذكرت مصادر صحافية مطلعة بأن الخطوط العريضة للاتفاق الجزئي مع مصر قد أصبحت واضحة نوعا ما وتكهنات بجولة اخرى للوزير كيسينجر في المنطقة وبمباحثات عسكرية مباشرة بين مصر واسرائيل قبل اعلان الصيغة النهائية للاتفاق حوالي نهاية شهر آب .

على سعيد آخر ما زالت العلاقات المصرية السوفياتية على حالها من حيث البسوء والركود . ومما زاد في تدهور الوضع الحملة التي شنتها الصحافة المصرية على صفقة الاسلحة الليبية السوفياتية واستمرار الرئيس السادات في الاعتماد

### (٣) المناطق المحتلة

#### الانعكاس السياسي لانفجار النلاجية

كان أهم حدث شهدته المناطق المحتلة خلال الفترة القصيرة الماضية ، الانفجار الذي شهده ميدان صهيون بالقدس في تاريخ ٧/٧/٤٠ وادى الى مقتل وجرح العشرات . ولم تتوقف أهمية هذا الحدث عند عدد القتلى والجرحى ، بل في النتائج المباشرة التي ترتبت على وقوعه .

فلقد كانت ردة الفعل الاسرائيلية الرسمية اعتقال اعداد كبيرة من الشبان العرب من سكان القدس بلغ عددهم كسما ذكرت وسائل الاعلام الاسرائيلية نحو ٣٠٠ معتقل . وبالرغم من ان حملة القمع هذه كانت متوقعة بعد حدوث الانفجار ، خاصة وان عشرات الشبان قد امقلوا قبل الحادث بأيام قليلة ، الا ان امتداد حملة القمع على ايدي جهات اسرائيلية غير رسمية لتصل مواطنين غرب عاديين مثل البائعين التجوليين واصحاب المجلات التجارية والمارة وغيرهم ، كان هو الابرز والاهم في ردة الفعل الاسرائيلية . فمن خلال هياج عشرات الشبان اليهود المتدينين والمطرفين واعتداءاتهم العنصرية العنصرية على المواطنين العرب ، برزت حقيقة سياسة « التعايش » التي جهدت السلطات الاسرائيلية لغرضها على السكان العرب المحتلين والمتهورين في ديارهم ووطنهم .

وادر كبار القادة الاسرائيليين خطورة الاعمال الانتقامية ضد المواطنين العرب على ايدي الجماعات اليهودية المتطرفة . وساقوا التحذير تلو التحذير لتجنب المس بسياسة « التعايش » . وكان هذا هو ما أعلنه سلومو هيلل وزير الشرطة الاسرائيلية محذرا بان هدف الفدائيين هو ضرب سياسة التعايش تلك التي تسعى اسرائيل الى بسطها في المناطق المحتلة وخاصة في مدينة القدس . وادر ك رئيس بلدية القدس تيدي كولك ما ادركه هيلل حين صرح بان الرد الاسرائيلي على عمليات الفدائيين يجب ان يكون في المزيد من اجراءات الضم والتوحيد في مدينة القدس .

على ان الاجراء السياسي الاسرائيلي الاكثري خطورة والذي ترتب على عملية القدس ، تمثل في

اغلاق الجسور على نهر الاردن لمدة قصيرة ومن ثم اصدار قرار يمنع سفر سكان الضفة الغربية الى الدول العربية ، على ان يشمل هذا المنع الاشخاص الذين تتراوح اعمارهم بين ١٦ - ٤٠ سنة ( ر . ا . ا . عدد ٨٥٦ ) .

وكان الحاكم العسكري الاسرائيلي للضفة الغربية المحتلة قد اصدر امرا مماثلا قبل فترة من وقوع عملية القدس ، وذلك احساسا من سلطات الاحتلال بتصاعد موجة اعمال المقاومة في المناطق المحتلة وخاصة في الضفة الغربية . فقد نشرت صحيفة الشعب في عددها الصادر يوم ٧٥/٥/١٩ تفاصيل امر الحاكم العسكري الذي بدأ سريانه اعتبارا من تاريخ ١٩٧٥/٦/١٥ .

وجاء في الامر ان قرار منع السفر ينطبق على الشبان من مواليد ٥٠ - ١٩٥٩ الذين يرغبون في الخروج على ان لا يعودوا الا بعد ٦ اشهر باستثناء بعض الحالات منها حالة الوفاة او المرض او الزواج .

وطلب من الراغبين في السفر في هذه السن ، مراجعة رؤساء البلديات كل في منطقتهم ، وتقديم أوراق ثبوتية في الحالة المعنية ، لرفعها للحاكم العسكري للنظر فيها . أما في حالة الطلبة الراغبين بالسفر من اجل تقديم الامتحانات في الجامعات العربية ، فيطلب منهم مراجعة رئيس البلدية واحضار اوراقهم الثبوتية من مكتب التربية والتعليم او مكتب تسجيل الجامعات .

والذي يهمنا من خلال كل تلك الاجراءات ، هو ان سياسة الجسور المفتوحة التي ارسى دعائمها موشيه ديان منذ حوالي ثماني سنوات ، معرضة الان للعطب بفعل عمليات المقاومة التي دأب الاعلام الاسرائيلي على تحميل مسؤولياتها لاناس من الخارج . فنتيجة لهذه السياسة الاعلامية ، كثرت النقاشات الاسرائيلية داخل الكنيست ولدى الاحزاب الاسرائيلية حول جدوى وضرر سياسة الجسور المفتوحة هذه . وفي الاونة الاخيرة ، فان كثيرا من الاوساط بدأت تطلب بقوة بالتخلي عن سياسة الجسور المفتوحة ووضع حد لها . وما

وبعد الادانات المتتالية والاستنكارات العميقة التي أحدثتها سياسة الإبعاد هذه ، قررت محكمة العدل العليا الاسرائيلية مؤخرا انه يحق لمن يصدر ضده حكم بالإبعاد الاعتراض على هذا الحكم الى ان تبت في أمره المحكمة .

وقد جاء قرار المحكمة هذا في معرض نظرهما بالطب الذي تقدمته المحامية فيلتسيا لانغر لاصدار أمر بعدم ابعاد ٢٨ معتقلا اداريا الى لبنان او اي مكان آخر . وقد وافقت المحكمة على ما تلقته المحامية لانغر بأن الإبعاد تم لغاية الان بصورة غير قانونية ، اذ انه لم تعط للمبعدين امكانية الاستئناف على قرار الإبعاد كما هو منصوص عليه في القانون .

وأصدرت المحكمة قرارها الذي جاء فيه انه يحق لمن يصدر ضده امر بالإبعاد التوجه الى اللجنة الاستشارية التي اقيمت بموجب البند ٨/١١٢ من قانون الطوارئ لعام ١٩٤٥ . وقررت المحكمة انه بعد ان تنظر هذه اللجنة في الامر تقدم توصياتها الى الحكومة . وازداد القرار انه حتى لو صدر في المستقبل امر ابعاد ، فان لمن يتعلق به أمر الإبعاد ، الحق بالاستئناف للجنة الاستشارية وبمعدنذ يطرح الموضوع امام الحكومة .

وبالرغم من رفض طلب المحامية لانغر باصدار امر عدم الإبعاد ، فانه يمكن الاستئناف من هذه الفقرة ، انه على الاقل ، حصلت المحامية لانغر على احد اهدافها من القضية ، حيث تقرر انه لا يمكن ابعاد شخص من وطنه دون اعطائه امكانية للاستئناف على امر الإبعاد ، وهو الشيء الذي لم يكن موجودا لغاية الان .

وكانت المحامية لانغر قد قدمت الطلب المذكور الى محكمة العدل العليا بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٠ ، بتكليف من أبناء عائلات ٢٨ من المعتقلين من المناطق المحتلة الموقوفين اداريا منذ نيسان ( ابريل ) العام الماضي . وقد جدد اعتقالهم مؤخرا لمدة ثلاثة اشهر اضافية . واصدرت المحكمة لدى تقديم الطلب امرا مؤقتا بمنع طرد المعتقلين المذكورين لحين صدور قرار نهائي عن المحكمة .

وقد جدد الامر المؤقت لمدة ١٥ يوما اضافيا بتاريخ ١٩٧٥/٥/١٢ . وامرت المحكمة بحسامية المعتقلين المحامية لانغر بالتوجه الى وزير الدفاع

الاجراءات الجديدة حول الجسور والتشدد في عمليات العبور على النهر، خاصة في هذا الصيف، الا دليل على الاحساس الاسرائيلي المتزايد بخطورة استمرار سياسة الجسور المفتوحة ، على الرغم من المكاسب والمزايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تجنيها اسرائيل عبر هذه السياسة .

من ناحية اخرى ، وضمن سلسلة ردود الفعل الاسرائيلية على حادث الانفجار الكبير قدم بنيامين هاليفي عضو الكنيست المنشق عن كتلة ليكود المعارضة ، مشروع قانون الى الكنيست لتطبيق عقوبة الاعدام على مرتكبي الحوادث التي تتخذ شكل « اغتيالات جماعية » . ومن الجدير بالذكر ان هاليفي كان احد القضاة الثلاثة الذين حكموا على ايحمان بالاعدام ، ثم استقال من القضاء بعد ذلك وانضم الى حيروت احد الاحزاب اليمينية المتطرفة . وقال هاليفي في معرض تقديمه لذلك الاقتراح في الكنيست انه يجب رفع كل القيود المفروضة على المحاكم العسكرية والتي تمنعها من اصدار احكام بالاعدام .

وفي هذه الاثناء طالب زميل لهاليفي في كتلة الليكود هو شموئيل تامر ، الحكومة الاسرائيلية القيام بهجاءة جذرية لسياسة الجسور المفتوحة على نهر الاردن . وقال في معرض وصفه لهذه السياسة بأنها لم تعد تتجاوب مع اي هدف من الاهداف التي حددت لها في بداية تطبيقها بعد حرب العام ١٩٦٧ .

وكانت الصحف الاسرائيلية من جهتها قد دأبت خلال الايام الاخيرة على الاشارة الى ان حرية الدخول والخروج عبر جسور نهر الاردن ، هي سبب الموجة المتصاعدة من الاعمال الفدائية في المناطق المحتلة .

### حق الاستئناف للمبعدين قبل ابعادهم

لقيت النضالات الجماهيرية في الارض المحتلة ضد حملات الإبعاد للمواطنين العرب ، استجابة وتأييدا كبيرين من مختلف أوساط الرأي العام العالمي . وشاركت قطاعات ديمقراطية اسرائيلية ذوي المعتقلين في مظاهرات الاستنكار والاعتصام ضد سياسة الإبعاد التي ظلت تمارسها السلطات المحتلة طوال سنوات الاحتلال السابقة .

طالباً آخر جميعهم من بلدة دورا-نفسها .  
( الشعب ١٠/٦/١٩٧٥ ) .

وكانت عمليات الاعتقال والتفتيش قد اتسعت في المنطقة الشمالية من الضفة الغربية وفي منطقة طولكرم بالذات ، على اثر الاشتباك الذي وقع بين الفدائيين ودوريات تابعة لقوات الاحتلال على مفترق طريق بيت ليد يوم ٨/٥/١٩٧٥ . فذكر راديو اسرائيل في ذلك الحين ان سلطات الاحتلال لا تزال تفرض نظام منع التجول على قرية شويكة في قضاء طولكرم بعد ان اعتقدت ان الشخص او الاشخاص الذين نفذوا العملية المذكورة هو من قرية الشويكة . واعترف الراديو بأن عمليات التمشيط في القرية وفي أماكن أخرى كانت مما زالت مستمرة وأنه بنتيجة ذلك اعتقل العشرات من أبناء قرية الشويكة للتحقيق معهم . وأضافت الصحف الاسرائيلية من جهتها ان منع التجول قد فرض في المنطقة وان أبناء القرية قد جمعوا في المدرسة المحلية للتحقيق معهم . وتدرت الصحف الاسرائيلية عدد الذين اعتقلوا في تلك المنطقة اثر وقوع انفجار في كنفار سبابا في تلك الاونة بحسب الوالي شخصياً .

وفي منطقة الخليل اعلن ناطق عسكري ان سلطات الاحتلال قامت بحملة تفتيش واسعة النطاق في قرية سغيم اثر ادعائها باكتشاف شبكات مسلحة في القرية ( الشعب ١٠/٥/١٩٧٥ ) .  
وفي رام الله ، اعتصم طلاب المدينة في مقبر الحاكم العسكري احتجاجاً على العقوبات الجماعية التي فرضت على المدينة والمنطقة التابعة لها اثر تصاعد العمليات الفدائية هناك . كما اعلن الطلاب احتجاجهم على القيود الخاصة بمنعهم من السفر الى البلاد العربية لتقديم الامتحانات السنوية في الجامعات التي يدرسون فيها . وقد انضم الي الطلاب المعتصمين رؤساء بلديات رام الله والبيره وشلواد محتجين على العقوبات الجماعية التي فرضت على منطقتهم . وعلى اثر ذلك وافق الحاكم العسكري على الفداء القويود الخاصة المفروضة على الطلاب . وبذلك لا يبقى على طلاب رام الله والبيره سوى القيود العامة الجديدة التي فرضت على سفر الشباب من الذكور والتي اشهرنا اليها في مكان سابق .

والاستفسار منه عما اذا كان في نيته ابعاد المعتقلين لان طلب الحماية لانقر حسب رأي المحكمة لا اساس موجب له .

وجاء رد المستشار القضائي لمنطقة الضفة الغربية على رسالة الحماية لانقر انه لا توجد نية لابعاد المعتقلين في المرحلة الحالية . ومع ذلك زعم المستشار القضائي في رسالته ان أية عملية ابعاد اتخذت او ستتخذ من طرف سلطات الحكم العسكري في المستقبل بشأن الموقوفين ، جرت بشكل قانوني وبموجب القانون المعمول به . ويقصد بذلك قانون الطوارئ لعام ١٩٤٥ .

وردت الحماية لانقر على جواب المستشار القضائي قائلة ، انه يتضمن امراً خطيراً جداً ، اذ يتخذ المستشار بشكل واضح عن هذه المرحلة فقط ، لكن من يعرف ماذا سيحدث في المستقبل ؟ وهل سوف لا يحدث لهم ما حدث لاصدقائهم وزملائهم في الزاوي وفي السجن .

وكان قد جاء في قرار محكمة العدل العليا المشار اليه ان المحكمة لن « تقيد يد السلطات الى الابد ، وسوف تمنع الابعاد اذا كانت هناك ضرورة لذلك » ( الفجر ، ٣/٥/١٩٧٥ ) .

### حملة الاعتقالات مستمرة

لم تتوقف حملة الاعتقالات والمحاكمات في المناطق المحتلة منذ احتلالها عام ١٩٦٧ . وقد ازدادت واتسعت حملة الاعتقالات بصورة خاصة خلال الفترة الأخيرة ، نظراً لاتساع موجسة المقاومة وتضاعد نشاطها الذي شمل مختلف المناطق المحتلة .

فذكرت صحيفة الشعب نقلاً من مكتب الحماية فلسطينياً لانقر ان سلطات الاحتلال اعتقلت للمرة الرابعة السيدة خديجة ابو عرقوب من بلدة دورا مساء يوم ٢١/٥/١٩٧٥ . وحاولت الحماية لانقر مقابلة المعتقلة الا ان الشرطة في الخليل رفضت ذلك ، كما رفضت ان تقوم الحماية بأخذ توقيع المعتقلة على اوراق التوكيل حتى ترفع عنها . واعتقلت السلطات بعد ذلك بايام عدداً من الطلاب من بلدة دورا ايضاً وهم : امين محمد عمرو ، جمال عمرو ، ناصر الدرايع . واعتقلت السلطات ايضاً خليل ابو عرقوب وماجد الذمورة وعشرين

قرية دير ديوان تعرف حالياً باسم باعل حنصور ،  
وهي معسكر سابق للجيش الاردني .

وكان عدد من اليهود المتطرفين والمتدينين تد  
سعوا في وقت سابق من العام الحالي واواخر  
العام الماضي الى اقامة عدة مستوطنات في الضفة  
الغربية في مناطق اريحا ونابلس ورام الله والقدس  
وغيرها . الا ان الحكومة الاسرائيلية ، ولاسباب  
تتعلق بوضعها الداخلي وغيره ، وقفت ضد هذه  
المحاولات وارغمت القائمين عليها على الجلاء من  
المناطق التي حاولوا استيطانها .

غير انه اتضح اخيراً ان جماعة من المستوطنين  
ما زالت تقيم في باعل حنصور يعلم من الحكومة  
تحت اسم مجموعة من العمال .

وكثيف ردود شمعون بيريس على استجوابات  
بعض أعضاء الكنيست عن موافقة الحكومة  
الاسرائيلية الصامتة على محاولة الاستيطان في  
منطقة رام الله . فقال بيريس ان اقامة منشآت  
عسكرية ومدنية في باعل حنصور جاءت عقب قرار  
حكومي ، وان اقامة جماعة من العمال المدنيين  
في تلك الجهة تمت بموافقة الحكومة . واضاف ان  
الحكومة لم ترد بعد على اقتراحه اقامة مبان مدنية  
في تلك الجهة ، ولذلك فان العمال يستخدمون  
مباني الجيش الاردني . وقال انه لا توجد  
مخضصات كافية لاقامة اثني عشر مسكناً مدنياً ،  
وانه ابلغ جماعة العمال صراحة ، بانهم لا يقيمون  
مستوطنة او نقطة محصنة في باعل حنصور .  
واضاف قائلاً « ولكني اذا شعرت ان هناك حاجة  
لاقامة مستوطنة هناك فانني سأقدم الاقتراح علناً  
وبضمير صاف » .

لقد جاءت اقوال بيريس هذه لتؤكد اتهام  
الحائمين من أعضاء الكنيست بان الحكومة تتصرف  
بالتستر لتنفيذ سياسة الاستيطان الزاحف .  
ولم يقتنع منتقدو هذه السياسة بقول بيريس بان  
المنشآت في باعل حنصور يتوجب عليها العمل ليل  
نهار ، لذلك فانه يفضل ان يبيت العمال المدنيون  
هناك . وقد اثارته هذه التبريرات بعض الاعضاء  
الذين وجهوا لبيريس كلمات قاسية ( جروزاليم  
بوست ١٨/١٩٧٥ ) .

### عيسى الشعيبي

وفي نابلس ذكرت المحف العربية ان قوات  
الاحتلال القت القبض على السيدة فايزة عبد  
المجيد المناضلة المعروفة في نابلس . وكانت السيدة  
عبد المجيد - ٥٥ سنة - قد عادت من جولة في  
الدول العربية . واشتبهت السلطات المحتلة بقيام  
السيدة عبد المجيد باجراء اتصالات مع منظمات  
عدائية . وقد اثار هذا الاعتقال استنكاراً واسعاً  
في نابلس قامت على اثره ممثلات المنظمات النسائية  
في نابلس بمقابلة الحاكم العسكري للمطالبة  
بالاخراج عن السيدة عبد المجيد ( القدس ، الشعب  
١٩٧٥/٧/١ ) .

وبلغت ذروة اتساع موجة الاعتقالات مداها في  
منطقة بيت لحم . حيث اعتقلت السلطات المحتلة  
اكثر من مئة شخص اتهموا بانهم اعدوا لاعمال  
اغتيال ونسف . والنسبة الكبيرة من هؤلاء المعتقلين  
هم من طلاب المدارس الثانوية ومن الطلاب الذين  
يدرسون في الجامعات العربية بالانتساب . وزعم  
المراسلون العسكريون في الصحف الاسرائيلية ان  
طلاب الجامعات المعتقلين في منطقة بيت لحم قد  
تطوعوا للقيام باعمال غذائية مقابل منح دراسية  
تقدمها لهم منظمات المقاومة . وقالت وكالة الانباء  
الاسرائيلية ان بعض المعتقلين هم من المقيمين في  
البلاد العربية ، وقد جاءوا الى الضفة الغربية  
في اطار برنامج الزيارات الصيفية ، والتي القبض  
عليهم قبل ان يتمكنوا من تنفيذ خططهم .

ومن جهة اخرى ذكرت الصحف الاسرائيلية ان  
الدكتور انطوان منصور البالغ من العمر ٣٩ عاماً  
وعميد كلية بيت لحم الجامعية هو من بين المعتقلين .  
والدكتور منصور الذي اتم دراسته في الاتحاد  
السوفياتي متزوج بسيدة سوفياتية وهو متهم بانه  
حاول تنظيم شبكة غذائية في بيت لحم . ويذكر  
ان حوالي ثلث المعتقلين المئة هؤلاء من المقيمين في  
بيت لحم . ( الشعب ٢٩/٦/١٩٧٥ ) .

### استيطان « سري » في منطقة رام الله

كشفت سلسلة استجوابات مقدمة من أعضاء  
حزب مبايم في الكنيست الى وزير الدفاع الاسرائيلي  
شمعون بيريس ، ان الحكومة الاسرائيلية تستتر  
على مستوطنة أقيمت في منطقة تقسح على مسافة  
٨ كم شمالي شرق المدينة على طريق اريحا قرب

## (-٤-) - إسرائيليات

[ ١ ]

رحلة راين الى واشنطن  
محاولة لاستئناف مساعي  
التسوية الجزئية

محور القاهرة - طهران ، بينما تدعم السعودية ودول عربية أخرى هذا المحور اقتصاديا وسياسيا . ولا يوجد لاسرائيل دور في هذه الخطة الشاملة . وهناك من ينظر اليها على أنها مصدر متاعب « ( ناحوم برناع - داغار ١٢/٦/١٩٧٥ ) .

وادمى اخر ( شموئيل سيفف - معاريف ، ١٥/٦/١٩٧٥ ) ان زيارة راين الى واشنطن حتى وان أدت الى تخسين العلاقات الاسرائيلية الاميركية والى امكانية « حرب » اسرائيل الى التسوية الجزئية ، فمن المتوقع ان يحدث احتكاك بين اسرائيل والولايات المتحدة على المدى الطويل .

وهذا « بسبب الاستراتيجية الاميركية التي بدأت في عام ١٩٧٢ ، ووصلت ذروتها بعد حرب يوم الغفران [ حرب تشرين ] . فحتى طرد المستشارين السوفييت من مصر ، ارادت الولايات المتحدة ان تثبت لمصر انها لا تستطيع بالسلاح السوفييتي القضاء على اسرائيل . ولكن الآن تمام محور القاهرة - الرياض ، المتحالف مع امريكا . والاميركيون يعتقدون ان لهم نفوذا في دمشق يزيد على نفوذ الاتحاد السوفييتي . . . ان مصلحة امريكا الاساسية ، منذ عام ١٩٥٥ ، هي تعليم النفوذ السوفييتي في المنطقة ، وتدقق البترول من الخليج الفارسي عبر قناة السويس بدون خطر تدخل معاد . . . وهناك خوف من ان الولايات المتحدة قد تضغط من اجل الانسحاب من الجولان بهدف المحافظة على مكاسبها في سوريا فيما اذا كان يجري فيها نفس التحول الذي حدث في مصر .

على هذه الازضية ، دعا احد الملحقين الى التخلص من خطط نورد - كيسنجر المستقبلية بالنسبة للشرق الاوسط بانواع احدى طريقتين : « ( ١ ) علينا ان نحقق جيدا ماذا يمكن ان يعطي الاتحاد السوفييتي [ لاسرائيل ] مقابل اشتراك

احاطت وسائط الاعلام الاسرائيلية رحلة راين الاخيرة الى واشنطن بموجة من الاخبار والتعليقات المتناقضة من حيث التناول والتشاور ، ان كان ذلك لجهة نتائج هذه الرحلة بالنسبة لامكانيات التسوية في المرحلة القادمة ، او بالنسبة للملاقات الثنائية بين اسرائيل والولايات المتحدة . ومع ذلك ، اجتمعت وسائط الاعلام هذه ، على ان رحلة راين كانت رحلة صعبة ، بل انها « اصعب » رحلة يقوم بها رئيس حكومة اسرائيل الى واشنطن في السنوات الاخيرة « ( داغار ، ١٢/٦/١٩٧٥ ، ويديعوت أحرونوت ، ١٠/٦/١٩٧٥ .

فسر الملحقون الامرائيليون « صعوبة » رحلة راين على النحو التالي ( ١ ) انتهت الولايات المتحدة اسرائيل بانها هي التي انشلت مفاوضات كيسنجر في اذار الماضي . وبها انها قالت « لا » للدكتور كيسنجر في المرة الماضية ، سيكون من الصعب ان تقول « لا » لنورد نفسه ، هذه المرة ايضا ، خاصة وان اسرائيل تنتظر من الرئيس الاميركي ان يطلب من الكونغرس مساعدة ضخمة لها في عام ١٩٧٦ ، وتوقع ان يستمر تدفق الاسلحة الاميركية الحديثة اليها . ( ٢ ) يعتقد البعض ان « تحولا خطيرا حدث في الاستراتيجية والفكر السياسي لدى ادارة الحزب الجمهوري الحاكم . وحدث هذا التحول منذ حرب تشرين وادى الى محاولة تقزيم دور اسرائيل في المصلحة القومية للولايات المتحدة ، والى سياسة تقارب خطيرة تجاه العرب « ( من افتتاحية داغار ، ١٢/٦/١٩٧٥ ) .

وتطرق اكثر من معلق الى هذه الناحية . فكتب احدهم ان « اسرائيل قلقة من بلورة خطة اميركية شاملة ، بدأت منذ سنة ونصف السنة ، ترمي الى تأسيس النفوذ الاميركي [ في المنطقة ] على

حدث من قتل لغولدا مئر ولليفي اشكول « لان الاشياء تبدو واضحة اكثر عندما ينظر اليها من فوق » (محرر يديعوت احرنون ، ١٠/٦/١٩٧٥) .  
 واثار ادهم الى ان موصف راينين ازيداد قوة داخل الحكومة الاسرائيلية قبل سفره الى العاصمة الاميركية ، ومساعدته في قوله « لا » لكيسنجر في جولة المفاوضات الماضية ، وكذلك « اسكات » المتطرف اريئيل شارون بتعيينه مستشارا له ( اريئيل غيناي - يديعوت احرنون ، ١٢/٦/١٩٧٥ ) .  
 وذهبت مجلة هاغولام هلازيه ( ١٨/٦/١٩٧٥ ) الى حد وصف راينين بانه اصبح يحكم حكما فرديا ، وانه استعاض عن وزراء الحكومة الائتلافية بمجموعة من المستشارين ، مثل شارون ورحبعام زئيفي وعموس عران وغيرهم . وقالت المجلة ان راينين حصل ، قبل سفره الى واشنطن ، على تفويض من الحكومة بان يفعل ما يشاء خلال محادثاته في العاصمة الاميركية . وقيل سفره وخلال جولته ، صرح راينين اكثر من مرة انه لن يقدم افكارا جديدة ، الا اذا قدمت مصر بدورها افكارا كهذه . وخلال وجوده في نيويورك عاد راينين واكد ان « اسرائيل لن توقع على اتفاق جديد قبل تطبيق كل بنود الاتفاق السابق [ اي ان تسمح مصر بمرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس ] » .  
 يجب عدم ربط اتفاق مع مصر باتفاق مشابه مع سوريا . . . ولا مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية « ( شومئيل سيف - معاريف ، ١٥/٦/١٩٧٥ ) .  
 وطالب راينين مصر ، اذا كانت تريد التوصل مع اسرائيل الى تسوية جزئية في سيناء ، ان تظهر ثلاث « اشارات سلام » :  
 « (١) تظريف الضغوط الديبلوماسية خاصة في دول العالم الثالث ، والتي تهدف الى قطع العلاقات مع اسرائيل ، ( ٢ ) تظريف المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل وخاصة ضد شركات اميركية ، ( ٣ ) اقامة جسور مفتوحة بين مصر واسرائيل ، اسوة بالجسور المفتوحة على الاردن » ( المصدر نفسه ) .  
 وذكر احد المحررين ان راينين اظهر خلال محادثاته في واشنطن ثلاثة امور : « ( ١ ) وضع لنفسه حدا ، لم يكن مستعدا لتجاوزه . ( ٢ ) أجل اتخاذ القرارات الحاسمة الى ان يتضح اين يقف العدو واين نقف نحن . ( ٣ ) لم يتزحزح عن موقفه بانه لن تكون هناك تنازلات من جانبها . بدون

الفعال في هذه المسرحية الاميركية ، من اساسها ، والتي يلعب دور الممثلين الرئيسيين فيها كل من السادات وكيسنجر وينضم الاسد اليهما رويدا رويدا . . ( ٢ ) الوسيلة الثانية لعرقلة هذه المسرحية هي وضع المسألة الفلسطينية على رأس جدول المباحثات ، لكي تكون المفاوضات الاقليمية مشروطة بالاتفاق حول هذه المسألة مقدما . ان كل مناورة اخرى معناها معركة انسحاب في اطار مسرحية كيسنجر - السادات المشتركة « (شلومو اهرونسون - هارتس ، ١٢/٦/١٩٧٥) .

وعلى هذه الارضية ايضا - كما تصورهما المصادر الاسرائيلية - « تقسم » البعض رحلة راينين الى جزئين ، الاول هو اللقاء « الصعب » مع الادارة الاميركية ، والثاني هو « اللقاء غير الرسمي مع الجمهور اليهودي والشعب الاميركي . وهذا الجزء يكتسب اهمية بالغة ازاء التحول الخطير في الاستراتيجية والفكر السياسي لدى ادارة الحزب الجمهوري الحاكم . . . » ( دافار ، ١٢/٦/١٩٧٥ ) .

ان ذكر ادارة الحزب الجمهوري الحاكم بهذا الشكل الصريح ، وحقيقة ان راينين اكثر فعلا من المقابلات مع رجال الكونغرس والمنظمات الصهيونية ومؤسسات الاعلام الاميركية ، لهما دلالة خاصة ازاء كون الولايات المتحدة مقبلة على انتخابات الرئاسة في السنة القادمة . ولوحظ خلال وجود راينين في اميركا ان صحيفة دافار شبه الرسمية حذرت « الشعب الاميركي » من مقبلة « التحالف مع العرب الذين برهنت السوابق انه لا يمكن الاعتماد على التحالف معهم » ( المصدر نفسه ) .

### راينين يسافر ويعود بجناحي « صقر »

رغم ان المصادر الاسرائيلية رددت في الاسابيع الماضية ان الولايات المتحدة تعتبر اسرائيل مسؤولة عن فشل رحلة كيسنجر في اذار الماضي ، وانها بناء على ذلك تنتظر من راينين ان يأتي الى واشنطن حاملا « افكارا جديدة » ، ظهر من تصريحات راينين قبيل رحلته واثباتها ، انه يتبع موقفا متشددا . ووصف البعض راينين بانه كان « حيامة » عند توليه منصب رئيس الحكومة ، ولكنه تحول الان ، وبعد مرور سنة على توليه هذا المنصب ، الى « صقر » . فقد حدث له ما

ذلك ظاهرة. تسريب المعلومات الرسمية الى الصحف في اسرائيل . وذكر بعض المطلعين ايضا ان راين توقع « ان ينقل اليه فور تنازلات مصرية جديدة ، ولكن فور لم يفعل ذلك » ( ناحوم يرناغ — دافار ، ٧٥/٦/١٣ ) ، بينما اضاف آخر ان « فور أعلم راين انه لدى مصر استعداد لتقديم تنازلات ولكنه لم يعط تفصيلا بذلك » ( دان مرغلين — هارتس ، ٧٥/٦/١٢ ) .

ومن مراجعة ما نشر حول مواضيع البحث في لقاء فور — راين ، فهم ان هذه المواضيع كانت : ( ١ ) امكانية التوصل الى تسوية جزئية في سيناء . ( ٢ ) قدم راين لفورد تصوره للحل الشامل ، ولكنه لم يعلن قرارات محددة ، بل « مبادئ عامة » . ( ٣ ) « بحث موضوع المساعدات الاميركية الى اسرائيل ، ولكن كموضوع منفصل عن الموضوع السياسي » ( المصدر نفسه ) .

وبخصوص التسوية الجزئية نقل عن راين تصريحه ، لدى وصوله الى واشنطن ، ان النقطة الرئيسية التي يجب اقرارها للتوصل الى تسوية جزئية مع مصر هي « مسألة مدة الانسحاق ... وكينسجر قال ان اهم شيء بالنسبة لاسرائيل هو الوقت . اما العوامل الاخرى فهي هامشية » ( هارتس ، ٧٥/٦/١١ ) . وفي اليوم نفسه نقلت صحف اسرائيل تصريحاً لشعون بريس قال فيه هو الاخر ان « المشكلة الحقيقية هي طول الفترة المطلوبة لان نقتنع ان مصر انتقلت من الحرب الى التطوير » ( المصدر نفسه ) .

ولكن بعد ايام قليلة بدأ المطلعون الاسرائيليون يتحدثون عن « قضايا اساسية » اخرى يجب تسويتها للتوصل الى التسوية الجزئية ، فقال احدهم : « المهم الان ليس طول مدة الاتفاق بل المهم هو الخط الذي ستتسحب اليه اسرائيل » ( دان مرغلين — هارتس ، ٧٥/٦/١٧ ) . و اضاف آخر : « يبدو ان مصر مستعدة للتعهد لامريكا بان تكون مدة الاتفاق ثلاث سنوات . والمشكلة الان هي ان اسرائيل تطلب من مصر عدم التدخل في اية حرب خلال فترة الاتفاق ... ببسودو ان متمر مستعدة لان تقول ، انها لن تدخل في حرب تبدأها سوريا ، ولكن مصر تستطيع دائماً ان تقول ان اسرائيل هي التي بدأت الحرب » ( ماتى غولان — هارتس ، ٧٥/٦/١٧ ) .

تنازلات من جانب مصر » ( هرتسل روزنبلوم — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/١٥ ) .

وقبل عودته من واشنطن ، صرح راين لمجلة امريكية انه « سيكون من الصعب التوصل الى اتفاق مع مصر ، وان على المصريين التفاوض على ثلاث قضايا اساسية : ( ١ ) مدة الاتفاق . تزيد ان نعرف ما هي الفترة التي تقترحها مصر كحد أدنى . ( ٢ ) اذا لم يطرأ تغيير على حالة الحرب وطالبت مصر بكل حقوق الدولة المحاربة ، فلن نستطيع التخلي عن مواقفنا الدفاعية في الممرات في سيناء . ( ٣ ) نطالب مصر باشارات سلام وخطوات سلام رمزية تدل على اننا في الطريق الى السلام » ( دافار ، ٧٥/٦/١٥ ) .

وبعد عودته من واشنطن ، صرح راين لصحيفة معاريف ( ٧٥/٦/٢٠ ) انه اقترح على فور ان تكون حدود اسرائيل النهائية وفقاً لبرنامج حزب العمل الانتخابي ( النظرية الشقوية ) ، الذي أعلن عنه سكرتير الحزب مؤخراً والذي ترفض اسرائيل بموجبه الانسحاب من الجولان وشمرو الشيخ والقدس وغيرها .

رغم ذلك صرح راين ، من ناحية ثانية ، انه بعد محادثاته في واشنطن « أصبح هناك أساس للتوصل الى تسوية جزئية مع مصر » ( دافار ، ٧٥/٦/١٢ ) . وذكرت معظم المصادر الاسرائيلية ان محادثات راين ادت الى « تحسن العلاقات » مع الولايات المتحدة الاميركية ، والتي قيل انها توترت منذ فشل مهمة كينسجر في آذار الماضي . وقال بعض المطلعين ان راين « أظهر ليونة في موقفه من التسوية الجزئية مع مصر ... [ولذلك] مهدت الطريق امام التسوية الجزئية . ولكن لكي يتجنب ... اثاره معارضة داخلية مسبقة ، صاغ تصريحاته بعبارة مبهمة » ( دان مرغلين — هارتس ، ٧٥/٦/١٥ ) .

#### مواضيع المحادثات

أشارت بعض الدوائر الاسرائيلية ، تعليقا على محادثات راين — فور ، ان الرئيس فور اطلع راين على نتائج لقاؤه مع الرئيس السادات في سالزبورغ في مطلع الشهر الحالي . ولكن مصادر اخرى ذكرت ان فور امتنع عن الدخول في تفاصيل ما تم الاتفاق عليه في سالزبورغ ، وان من اسباب

الى انه « لم يحدث اي شيء حاسم [ في محادثات رابين ] ، ولكنها خلقت جوا ملائما لجولة جديدة ، قد تؤدي الى التسوية الجزئية ، وخفت حدة التوتر في العلاقات الاميركية - الاسرائيلية ... لم يطرأ أي جديد في مجال التسليح . والشيء المهم هو ان الطرفين اتفقا على انه لاجل التوصل الى اتفاق اسرائيلي مصري ، يجب ان يقدم الجانبان تنازلات - وليس الجانب الاسرائيلي فقط » . واضاف آخر : « ان النتيجة الايجابية لمحادثات رابين هي الرغبة المشتركة في السعي الى تسوية على مراحل . واذا حدث تحرك مصري فعلى الحكومة الاسرائيلية ان تعيد النظر في شروطها من خلال أخذ الموقف الاميركي بعين الاعتبار » ( دافار ، ١٧ / ٦ / ٧٥ ) .

ومن واشنطن ، كتب احد المعلقين ( شموئيل سيفغ - معاريف ، ١٥ / ٦ / ٧٥ ) : « لقد تعلم رابين كيف تنظر الولايات المتحدة الى الحل الشامل ... فالخلاف [ مع اميركا ] حول حدود المستقبل ، لن يكون أقل من الخلاف في ايام روجرز . والولايات المتحدة لا يمكن ان تشارك اسرائيل موقفها من الحدود النهائية في مؤتمر جنيف . ستساعد التسوية الجزئية غورد في معركة الانتخابات القادمة ، وستتيح لاسرائيل ان تستعد للحل الشامل ، بينما ستعد مصر اقتراحا لحل القضية الفلسطينية ، ربما يكون مقبولا من قبل الاطراف المعنية ... ومن هنا ان محادثات رابين نتجتان على المدى القصير ، وهما : تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة وتمكين اسرائيل من « الهرب » الى التسوية الجزئية . واما على المدى الطويل فمن المتوقع ان يحدث احتكاك بين اسرائيل والولايات المتحدة بسبب التحول في استراتيجيتها الوالات المتحدة في المنطقة ... » .

ولخص معلق آخر ( اريئيل غيناي - يديعوت احرونوت ، ١٥ / ٦ / ٧٥ ) محادثات رابين بقوله « ان المفاوضات التي قطعت في آذار بدأت من جديد ، وأعلن رابين ان تحركا مبرريا قد حدث . ولذلك من المتوقع ان يحدث تغيير في موقف اسرائيل ايضا . ان احدي العقبات الرئيسية الان ، هي ان مصر تطالب بالانسحاب من كل الممرات ، بينما تستعد اسرائيل للانسحاب الى ما وراء الممرات بدون التخلي عنها كليا » . وكان محرر معاريف

اما بخصوص خط الانسحاب الجديد فقد ذكر ان اسرائيل ترفض الانسحاب من كل الممرات « وتريد ان تبقى قواتها في الجزء الشرقي منها ، او ان تحافظ على اجهزة انذار الكترونية في منطقة ام خشبة ، في القسم الشرقي من الممرات ... وقد وعد كيسنجر بأن ينقل رد مصر على ذلك بعد اسبوعين » ( هارتس ، ١٦ / ٦ / ٧٥ ) . ونهم ان الولايات المتحدة ستجري مفاوضات بالطرق الدبلوماسية بين الاطراف لتسوية النقاط المعلقة في اطار التسوية الجزئية « ولح كيسنجر ان سوريا ستشارك في هذه الاتصالات الدبلوماسية » ( المصدر نفسه ) .

وذكر آخر ان « الفكرة التي تبلورت في محادثات رابين هي انسحاب اسرائيلي لمسافة ٣٠ - ٤٠ كم . وتعطى مصر مهرا الى حقول النفط وتسيطر عليها ، بينما تسيطر قوة الامم المتحدة على الممرات [ المتلا والجدي ] ، ويسمح لمصر ان تضع فيها قوة رمزية . كذلك يسمح لاسرائيل ان تحافظ على اجهزة انذار في ثلاثة مواقع في الجزء الشرقي من الممرات » ( ناحوم برنغ - دافار ، ١٦ / ٦ / ٧٥ ) .  
ونقل احدهم عن « خبراء اميركيين » قولهم انه « من الممكن ان تظهر مصر ليونة في موضوعين فقط ، وهما : ( ١ ) التوقيع على اتفاقية جديدة لمدة ثلاث سنوات ، بشرط ان تستمر المفاوضات مع دول عربية اخرى . ( ٢ ) من الممكن التوصل الى حل وسط حول طلب اسرائيل الحانظة على اجهزة انذار الكترونية » ( دان مرغلين - هارتس ، ١٧ / ٥ / ٧٥ ) .

### نتائج المحادثات

تباينت تحليلات المعلقين الاسرائيليين لنتائج مباحثات رابين في الولايات المتحدة. فقال احدهم : « عاد رابين بدون سلاح . بدون تسوية . وبدون وعد اميركي بأن تؤيد اميركا اسرائيل في موقفها من التسوية الشاملة . مع ذلك لا يمكن القول ان الرحلة كانت فاشلة . فقد مهدت الطريق للتوصل الى تسوية جزئية ، ووسعت بدرجة كبيرة امكانية استئناف التسليح ، وازفت المجري الخطير لاعادة تقييم السياسة الاميركية فيما يتعلق بالحدود النهائية » ( تميم كيتي - يديعوت احرونوت ، ١٥ / ٦ / ٧٥ ) . وأشار محرر معاريف ( ١٦ / ٦ / ٧٥ )

من الأراضي السورية المحتلة. وكذلك من القضية الفلسطينية. فقد أعلن شمعون بيريس في مقابلة مع دافار، ٧٥/٦/١٢: « في هذه المرحلة لا يوجد لسورية ما تقترحه علينا ولا يوجد لدينا ما نقترحه عليها في تسوية جزئية ». وقال احد المعلقين: « ان بقاينا في الجولان هو الشرط الحتمي لان نتوصل معنا نخوريا لاي تسوية كانت. وتتركزنا في الجولان هو الشرط لان تحافظ سوريا على مثل هذه التسوية » (يهودا هرتيل - معاريف، ١٢/٧٥/٦). وبينما أعلن رابين في نيويورك انه سيكون راضيا فيما اذا ادى التوسيق السوري - الاردني الى ان يمثل الاردن الفلسطينيين، اعرب شمعون بيريس عن قلقه من التقارب السوري - الاردني (دافار، ٧٥/٦/١٢).

أما بالنسبة لموقف الانحداد السوفيتي في المرحلة الزاهنة، فقد ذكر انه لم يعد يتخذ موقفا ملحا من عقد مؤتمر جنيف ولا يريد الاشتراك في التحضيرات الدقيقة لهذا المؤتمر، ويسعى الى منح تدهور العلاقات مع مصر وايقاف سوريا من السير على طريق التقرب الى المغرب، « ويؤيد » حاليا الوساطة الاميركية. « ومما يدل على تجاهل الاتحاد السوفيتي لمؤتمر جنيف ان غروميكو الذي خطب بمناسبة الانتخابات القادمة في الاتحاد السوفيتي لم يذكر جنيف في خطابه » (دوف ايفل - دافار، ٧٥/٦/١٥).

ومن ناحية ثانية اجتمعت الحكومة الاسرائيلية في ٧٥/٦/١٧ واستقر اجتماعها عن تفويض كل من رابين وبيريس والون « لمواصلة المفاوضات » بهدف التوصل الى اتفاق حول تسوية جزئية مع مصر، ولاحضار نتائج المفاوضات التي جلسها تعتمدها الحكومة « (دافار، ٧٥/٦/١٨). وذكر احدهم ان رابين ابلغ الوزراء الاسرائيليين ان « التنازلات المصرية غير كافية... وهو وبيريس يعتقدان ان اسرائيل يجب ان لا تتخلى عن الممرات بكاملها لاسباب عسكرية... ولن تتخذ الحكومة قرارات محددة الى ان تنقل اليها معلومات جديدة من واشنطن [حول نتائج الاتصالات الدبلوماسية الجارية مع مصر] » (يوسف حاريف - معاريف، ٧٥/٦/١٧).

ولخصت مجلة هامولام هازيه (٧٥/٦/١٨) رحلة رابين والموقف الراهن بقولها « اقترح رابين

(٧٥/٦/١٥) قد ذكر ان كيسنجر هو الذي ضغط على رابين لان يعلن انه حدث « تحرك مصري وهذا يعني ان على اسرائيل ان تغير موقفها وان تقبل الاقتراح الجديد. وذلك لكي لا يكون لدى حكومة رابين التي ستجتمع قريبا مجالا للمناورة ». وفي الوقت نفسه نشرت انباء مفادها ان اتفاقا جزئيا قد تم التوصل اليه فعلا. « ويضمن هذا الاتفاق على انسحاب اسرائيل من الممرات، مقابل تهديد مصر لعمل قوات الامم المتحدة في سيناء مدة ثلاث سنوات. وتقول مصادر في واشنطن، انه تقرر احاطة الاتفاق بالسرية، لتجنب ظهور معارضة داخل حكومة رابين... وتعهد السادات ايضا في مقابل ذلك ان يخفف المقاطعة الاقتصادية المصرية، وليس العربية، لاسرائيل. والملح انه سيسمح لطواقم ملاحين اسرائيليين بالمرور في قناة السويس. ولكنه لم يوافق ان يُلطف الضغط الدبلوماسي. واما بخصوص العلاقة بين الاتفاق في سيناء و« التحرك » في الجولان فقد علم ان رابين تعهد ان يقترح على الحكومة، التوصل الى « تفاهم شخصي » حول هذا التحرك... على الرغم من ان علاقته... مع الانسحاب في سيناء لن تكون جزءا من الاتفاق الشكلي مع مصر. وستبحث امكانيات هذا التحرك مع الوزير خدام اثناء لقائه في واشنطن مع فورد وكيسنجر... وقد وافق رابين على ذلك لانه لا يستطيع ان يقول « لا » لفورد ولان عدم القبول قد يضر بالعلاقات مع امريكا في المستقبل. ومقابل ذلك ستحصل اسرائيل على مساعدات كبيرة من امريكا » (شموئيل سيفغ - معاريف، ٧٥/٦/١٧). غير ان مكتب رئيس الحكومة سارع الى نشر تكذيب لهذا النبا...

وعلق محرر معاريف (٧٥/٦/١٧) على هذا النبا بقوله انه قد يكون « بالون اختبار او مصيدة... لكي يقال مرة اخرى ان اسرائيل هي التي افشلت التسوية الجزئية ». اما محرر يدعيوت احروروت (٧٥/٦/١٧) فقد أعلن عن استغرابه « لان مصر تبدي ضبط النفس حول محادثات رابين... لذلك لا يكفي ان تبث الحكومة نتائج رحلة رابين، بل يجب ان تناقش ذلك في الكنيست ايضا على الاقل. فالامر يتعلق بمصرنا... ».

هذا وقد استمرت التصريحات الرسمية والصحفية تبدي موقفا متشددا من مسألة الانسحاب

مصري معلن ، حقيقي او اسمي ، واقترح ان تبذل  
امريكا اسراييل بالسلاح والمال ... »

### يوسف حمدان

على الولايات المتحدة تأجيل اية تسوية شاملة ،  
وتأجيل مؤتمر جنيف ... وتجديد وضع قطاع غزة  
والضفة الغربية والجهة السورية . كذلك اقترح  
انسحابا محدودا جدا من سيناء ، مقابل تنازل

[ ٢ ]

## حكومة راين تواصل سياسة « ربح الوقت »

احد خيارين : اتفاقية جزئية صعبة او تسوية  
شاملة مضرة ، ومصحوبة بخفض الدعم العسكري  
والاقتصادي ... ان الولايات المتحدة ، مع انها  
كذبت الذبا حول توجيه اذار البنا، مهنية بالتسوية  
الجزئية . ولو اننا لم نؤيد هذا الموقف لكننا في  
صدام معها حول تسوية شاملة بروح روجرز ...  
والاتحاد السوفييتي لا يعرقل مساعي الولايات  
المتحدة لانه مشغول بقطف المكاسب في اوربا «  
( هارتس ، ٧٥/٧/٢ ) .

وذكر اكثر من معلق ان الاقتصاد السوفييتي  
« منهك الآن بالتحضير لمؤتمر الامن الاوروبي الذي  
سيعقد في هلسنكي في اواخر الشهر الحالي ، حيث  
يريد تثبيت مكاسبه في اوربا » ( اريئيل غينايا -  
يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/٢٧ ) وهو لذلك غير  
معني بعرقلة المساعي الامريكية في الشرق الاوسط  
قبل عقد المؤتمر .

من ناحية ثانية ، تقول المصادر الاسرائيلية ،  
ان الوضع الدولي في المرحلة الراهنة ، وكذلك  
الايضاحات الداخلية في كل من اسراييل والولايات  
المتحدة ومصر وسوريا ، تخلق وضعا يساعد على  
التوصل لتسوية جزئية . فادارة الرئيس غورد تريد  
احراز نجاح يساعده في الانتخابات القادمة ،  
« واسراييل ومصر تعانيان من مشاكل اقتصادية ،  
ولن تنلقيا الدعم الكافي الا بعد التوصل الى تسوية  
جزئية . كذلك فان عدم التوصل الى مثل هذه  
التسوية ، لا يشجع اصحاب رؤوس الاموال في  
مجال الاستثمار في الدولتين خوفا من استقرار  
التوتر » ( المصدر نفسه ) .

وبالنسبة لسوريا ، تقول المصادر الاسرائيلية  
- نقلا عن مصادر امريكية - انها احتلت مكانا

بعد فشل مهمة كيسنجر في اذار الماضي ، أعلن  
الرئيس الامركي جيرالد غورد ان هناك ثلاث طرق  
للتوصل الى تسوية في الشرق الاوسط: (١) سياسة  
الخطوة خطوة . (٢) عقد مؤتمر جنيف بهدف التوصل  
الى تسوية شاملة . (٣) سياسة الخطوة خطوة  
باشراف مؤتمر جنيف . وعاد غورد وأكد الموقف  
نفسه بعد لقائه مع رئيس الحكومة الاسرائيلية  
يتسحاق راين في ١١ حزيران الماضي ( داغار ،  
٧٥/٧/١ ) . وقد اسفرت المحادثات التي اجراها  
الرئيس غورد مع كسل من الرئيس السادات ،  
ورئيس الوزراء الاسرائيلي يتسحاق راين ، ونائب  
رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري عبدالحليم  
خدام ، في الشهر الماضي ، عن استئناف الخيار  
الاول ، وهو استمرار وساطة الولايات المتحدة في  
سياسة الخطوة خطوة . وقد استمريض في هذه  
المرّة عن « دبلوماسية الكوك » التي قام بها  
كيسنجر ، بالطرق الدبلوماسية العادية بحيث  
يتنقل السفير الامركي في القاهرة . هرمان ايلتس بين  
مصر والولايات المتحدة ، بينها يتنقل السفير  
الاسرائيلي سمحه دينتس بين الولايات المتحدة  
واسراييل . وعن طريق السفيرين تنقل المقترحات  
والايضاحات بين الحكومات المعنية حول التسوية  
المرحلة في سيناء . وقد ترك الباب مفتوحا لعودة  
كيسنجر الى المنطقة .

### لماذا الخطوة خطوة ؟

أشارت بعض التمريرات الرسمية والتعليقات  
الصحفية في اسراييل الى عدة عوامل ادت الى  
استئناف سياسة الخطوة خطوة ، رغم فشلها في  
اذار الماضي . وأعلن يتسحاق راين في اجتماع  
كثلة المعراخ بتاريخ ٧٥/٧/١ : « اننا نقف امام

( حناي ايشد - دافار ، ٧٥/٦/٢٩ ) .

وهاجم أكثر من معلق انتقاد وزارة الخارجية الاميركية بتسريب المقترحات الاسرائيلية الى صحيفة نيويورك تايمز ، تلك المقترحات التي تبين مدى « التنازلات » الاسرائيلية والتي من شأن نشرها « ان يعرقل نوايا الإدارة الاميركية للضغط على اسرائيل . واطهارها كمسؤولة عن فشل التسوية فيها اذا لم يتم التوصل اليها » ( اريئيل غيناي - يديعوت احرונوت ، ٧٥/٦/٢٧ ) . وذهب البعض الى القول ان مهاجمة كيسنجر لتسريب المقترحات الاسرائيلية « قبل اخذ رأي الحكومة الاسرائيلية واستيضاح الحقائق ، يعني ان الولايات المتحدة لا تريد ان يعرف الرأي العام الاسرائيلي ما تنوي الحكومة الاسرائيلية اقتراحه ، لكي لا يتعطل مجرى المفاوضات . وتريد [ الولايات المتحدة ] بذلك خلق الانطباع اننا سنكون مسؤولين عن تفجير المفاوضات . لذلك ، ولكي لا تستمر اميركا بتقديم المزيد من التنازلات على حساب اسرائيل ، يجب ان لا تنسحب من المرات » ( موثي زاك - معاريف ، ٧٥/٦/٢٧ ) .

وحذر بعض المعلقين من ان امكانيات الضغط الاميركي على اسرائيل ستكون اقوى بعد التوصل الى تسوية جزئية مع مصر . فاسرائيل التي تعتمد على الولايات المتحدة عسكريا واقتصاديا ، سيزيد اعتمادها عليها عسكريا بعد التخلي عن المرات الاستراتيجية في سيناء ، وسيزيد اعتمادها عليها اقتصاديا بعد فقدان آبار النفط هناك ، وستستطيع الولايات المتحدة ان تقول ، مثلا ، في مجال الضغط من اجل توقيع تسوية جزئية اخرى مع سوريا : « هل تريدون حزب استنزاف جديدة مع سوريا ، يشترك فيها الأردن في هذه المرة ؟ » ( يوسف حاريف - معاريف ، ٧٥/٦/٢٧ ) . لذلك طالب رابين الإدارة الاميركية بأن لا تضغط من اجل التوصل الى اي حل آخر خلال ٣ - ٤ سنوات ولكن الولايات المتحدة لم توافق على هذا « التنسيق الاستراتيجي » مع اسرائيل . وأعلن ايضا ان فورد هدد رابين أثناء محادثاتها في واشنطن انه اذا لم يتم التوصل الى تسوية جزئية مع مصر « فمن هذه الغرفة ستخرج خطة مغلطة للحل الشامل حتى لو ادى ذلك الى مصاعب داخلية . . . وستجد اسرائيل نفسها امام شح في المساعدات

بارزا في محادثات واشنطن ، وان واشنطن تعهدت لها ، انها « اذا اتاحت لمصر ان تخرج من دائرة الحرب ، فان الولايات المتحدة لن تترك اسرائيل ، الى ان توقع على اتفاق جزئي مع سوريا ايضا » ( ماتي غولان - هارتس ، ٧٥/٦/١٩ ) . ولذلك ، يقول البعض ، تلتزم سوريا بالهدوء حول مساعي التوصل الى تسوية جزئية مع مصر ، علما منها ان « دورها سيجيء » .

ومن ناحية ثانية ، تطرق احد الكتاب الاسرائيليين الى موقف حكومته من مساعي التسوية في المنطقة بقوله : « ان اسرائيل تريد التسوية الجزئية وتفضلها على الحل الشامل ، لانها في الواقع تريد ان يكون الحل الجزئي هو الحل الاخير . انها تصاوم سعيا لربح الوقت وتظهر انها تتنازل تحت الضغط . فاذا ما حصل الحل الجزئي لن يأتي بعده حل آخر ، فالولايات المتحدة ستكون مشغولة بانتخابات الرئاسة القادمة ، واسرائيل ستستغل الوقت لتقوية الجيش ، وبناء المستوطنات ، وتقول « لا » لسوريا وللفلسطينيين » ( بوغز عفرون - يديعوت احرונوت ، ٧٥/٦/٢٧ ) .

### استمرار الحديث عن « الضغط » الاميركي

ذكرت المصادر الاسرائيلية ان الولايات المتحدة لم تؤيد المقترحات الاسرائيلية التي قدمها رابين لمصر ، اثناء زيارته لواشنطن . وازافت ان « اجوبة مصر السلبية وتضامن الولايات المتحدة معها ، ومقابلة فورد مع السفير دينتس ، تدل على ان واشنطن تضغط من اجل التوصل الى التسوية الجزئية بسرعة ، وقبل انعقاد مؤتمر هلسنكي . . . وقد استخدمت واشنطن وسيلة ضغط اخرى اتخذت شكل نيا نشر في نيويورك تايمز ، يقول انه اذا لم يتم التقدم نحو التسوية خلال اسبوعين ، فان الولايات المتحدة ستسبر نحو تسوية شاملة في جنيف » ( من افتتاحية دافار ، ٧٥/٦/٢٩ ) .

وقد وصفت الصحف الاسرائيلية الاجتماع الذي عقده الرئيس فورد مع السفير الاسرائيلي سمحه دينتس في ٧٥/٧/٢٧ لمدة ١١ دقيقة ، بأنه اتخذ صفة الانذار « بهدف تقديم المزيد من التنازلات بواسطة اسرائيل » ( ناخوم برناع - دافار ، ٧٥/٦/٢٩ ) . وقيل ان « القدس تشعر بخيبة الامل من اللهجة الانذارية التي سمعها دينتس » .

عندما ساعدت الملك حسين بشكل غير مباشر في سحق المخربين ، اما اليوم فلا توجد اية امكانية لتنسيق كهذا مع اسرائيل . واميركا تنضل ان تنسق مع حليفها الجديدة : مصر . لذلك على قرارات اسرائيل ان تكون نابعة من اعتبارات امنها على مدى سنين طويلة ... » ( المصدر نفسه ) .

اما السفير سبحة دينتس فقد سئل عند مغادرته اسرائيل التي واشطن في ٧/٧/٧٥ عن صحة التقارير حول وجود ضغط اميركي على اسرائيل فأجاب بحذر : « كلفة ضغط ، لا تلائم الوضع الراهن » ( دافار ، ٧/٨/٧٥ ) .

### صقور وحمائم

منذ اواخر الشهر الماضي ، ومع تزايد الحديث عن « الضغط الاميركي » ، بدت الاوساط السياسية الاسرائيلية منقسمة الى معسكرين : معسكر صقور يدعو الى عدم التنازل عن الممرات في سيناء وعدم « الرضوخ للشروط المصرية — الاميركية » ، ومعسكر حمائم يدعو الى تقديم التنازلات ، لعدم الدخول في مواجهة مع الولايات المتحدة . وينطبق التقسيم نفسه ايضا على المسؤولين العسكريين وكبار الضباط ، فقسم منهم تحدث عن اهمية الممرات العسكرية ودعا الى عدم الانسحاب منها ، او على الاقل من الجزء الشرقي منها . وقسم آخر تحدث عن عدم اهمية الممرات عسكريا ودعا الى الانسحاب منها .

تعلّى صعيد الوزراء ، قيل ان رابين وبيريس يرئسان مجموعة الصقور مع انها يبديان استعدادا لنقل الخط الاسرائيلي من منتصف الممرات الى الجزء الشرقي منها . واما الون فيتف على رأس الحمايم الذين يطالبون بتقديم المزيد من التنازلات ( ماتي غولان — هارتس ، ٧/٣٠/٧٥ ) .

وعلى صعيد المراح ذكر ان الاكثية تؤيد التنازلات ، وهذه الاكثية ممثلة في كتلتى مجاي ومبام ، وفي جزء من كتلة احدوت هعفوداه ( الون — حمامة ، وغليلي — صقر ) . اما كتلة رافي فتعارض التنازلات ( ما عدا يتسحاق نافون ) ، بما يتلاءم مع تصريح موشي دايان الداعي الى عدم التنازل عن الممرات بدون انتهاء حالة الحرب ( معاريف ، ٧/٤/٧٥ ) . وذكر ايضا ان الوزراء

العسكرية والاقتصادية » ( المصدر نفسه ) . ولكن رغم ذلك بقي « موقف رابين صلبا ، لا يريد التنازل حتى للولايات المتحدة . وعندما سئل ماذا ستفعل اذا اتجهت اميركا نحو الحل المفروض ، اجاب : عندها سنصعد في المواجهة معها » ( المصدر نفسه ) .

واوضح احد المرسلين ان الاسرائيليين يدرسون النتائج التي تد تترتب على قول « لا » مرة اخرى لغورد . فقد حلل الخبراء خط يد غورد « واكتشفوا انه ثابت في رايه وقد يظهر رد فعل عاطفي يتمسك به لدة طويلة ... لذلك فالسؤال الان هو : ماذا تحصل اسرائيل من الولايات المتحدة وليس من مصر مقابل الممرات ؟ هناك امران بارزان : ( ١ ) الدمم العسكري والاقتصادي لمدة سنتين ، ( ٢ ) التزام اميركا بان ترد على خرق مصر للاتفاق » ( دان مرغليت — هارتس ، ٦/٣٠/٧٥ ) .

وفي مجال الحديث عن الضغط الاميركي ايضا ذكر ان كيسنجر ومساعديه سألوا دينتس الذي اجتمع بهم بعد اجتماعه بغورد : هل اسرائيل مستعدة للمجابهة مع الولايات المتحدة اذا امرت على التمسك بالممرات في سيناء ؟ وأشاروا ايضا الى ان الولايات المتحدة في حال عدم التوصل الى تسوية جزئية مع مصر ، لن تستطيع مساعدة اسرائيل اذا جرت محاولة لطردها من الامم المتحدة ( شموئيل سيف — معاريف ، ٧/٤/٧٥ ) .

وأشار البعض ايضا الى وجود جو من عدم الثقة بين الولايات المتحدة واسرائيل . فاسرائيل تشعر ان اميركا توجه اليها « ضغطا غظا » وتضحى بمصالحها على مذبح الصداقة مع العرب . والولايات المتحدة ايضا لا تثق باسرائيل بسبب عرقلة اتفاق التجارة مع الاتحاد السوفييتي ، وبسبب رسالة ال ٧٦ شيخا . وهناك موظفون في الادارة الاميركية يشكون من ان اسرائيل تحاول تأجيل التوصل الى اتفاق املا منها في ان يستقل غورد في الانتخابات القادمة ، وفي ان يدخل البيت الابيض رجل اكثر ميلا لها مثل هنري جاكسون . وبالإضافة الى ذلك فان غورد يعتبر ممثل صناعة السيارات الكبيرة في الولايات المتحدة ، وهو لذلك يريد ان يحول دون حظر نفط عربي جديد . ثم ان اسرائيل فقدت منذ حرب تشرين اهميتها في نظير الغرب « كشرطي الشرق الاوسط » . ففي عام ١٩٧٠ « اثبتت اسرائيل اهميتها الاستراتيجية

## حوار حول الممرات

نشرت الصحف الاسرائيلية في الاسبوعين الماضيين تصريحات متناقضة تماما ، صادرة عن عسكريين اسرائيليين ، حول اهمية الممرات العسكرية بالنسبة لاسرائيل . فقد أعلن وزير الدفاع شمعون بيريس « ان الانسحاب من الممرات سيؤدي الى كشف كل سيناء امام الجيش المصري » ( هآرتس ، ٧٥/٧/٢ ) ، بينما اضاف رئيس الازكان مردخاي غور « ان السيطرة على الجزء الشرقي من الممرات يمنع دخول قوات مهاجمة ، اما اذا اعيدت [ الى مصر ] فستكون الطريق مفتوحة الى الحدود البعيدة » ( داغار ، ٧٥/٦/٢٩ ) .

وأعلن العميد سمح ماعوز ، وهو « ضابط كبير في هيئة الازكان العامة » ، امام ٢٠٠ صحفي دعوا لزيارة الممرات : « اذا انسحبنا من الممرات فيجب ان نتخلى ايضا عن منطقة رفيديم [ بئر جنجفة - وفيها مطار عسكري ] . والحد الأدنى المطلوب للدفاع عن المتلا والجدي هي السيطرة على عمق ٥ كم من الطرف الشرقي للممرات » ( يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٧/٤ ) .

ونقل عن شارون ودايان انهما عبرا عن الموقف نفسه بالنسبة لاهية الممرات عسكريا ( داغار ، ٧٥/٧/٦ ) .

من ناحية ثانية ، أعلن الجنرال المتقاعد يشعياهو غافيش : « ان التخلي عن الممرات لا يعني كشف سيناء » ( يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٧/٦ ) . وصرح عيزر وايزمن قائد سلاح الطيران سابقا انه : « يجب قبول المقترحات المضرة كما هي ، والتخلي عن الممرات والنفط مقابل ٣ سنوات من الهدوء تستغل للبناء الداخلي ، اجتماعيا واقتصاديا » ( داغار ، ٧٥/٧/٣ ) .

ودعا الوزير حاييم بارليف ، رئيس الازكان السابق ، الى قبول التسوية المقترحة انطلاقا من قلقه على الوضع الاقتصادي والخشية من خفض المساعدات الاميركية ( ر.ا.ا. ، ٧٥/٧/٩ ) .

واضاف الجنرال المتقاعد متتياهو بيليد : « ان سبب التوتر في العلاقات مع الولايات المتحدة ليس الممرات بل افلاس التكتيك الديبلوماسية ، الذي يجعل من الحجة الامنية ستارا لكل هدف سياسي .

الكبار السابقين منقسمين الى معزور وحائم ، فقولدا ملير ودايان يقفان ضد التسوية المقترحة ، واما ابا ايبن وبخاس سابير فيؤيدانها ( هآرتس ، ٧٥/٦/٣٠ ) .

اما على صعيد البرلمان فيقف ليكود والمفدال وكتلة رافي ضد التسوية المقترحة . ومع ذلك فقد ذكر انه بسبب الاعتبارات السياسية الداخلية ، يستطيع رايبين ان يحظى بتأييد الاكثية فيها اذا قال « نعم » او « لا » لاميركا سواء في الحكومة او في المراهق او في الكنيست . نفى الحكومة ، واذا قال « نعم » لاميركا ، سيصوت معه كل الوزراء ما عدا بيريس ويعقوبي وربما ثلومو هليل . وسيصوت ضده ايضا وزير المدفدال . كذلك اذا قال « لا » لاميركا ، سيحصل على تأييد الاكثية في الحكومة لان الوزراء الحائتم سيخشون من سقوط الحكومة فيها اذا صوتوا ضده ( معاريف ، ٧٥/٧/٤ ) . وفي الكنيست ايضا يستطيع رايبين الحصول على اكثية اذا قال « نعم » لاميركا ، اذ من المستبعد ان يصوت اعضاء رافي ضد الحزب ( العمل ) ويخلقون بذلك ازمة حزبية ووزارية . كذلك اذا قال « لا » لاميركا يستطيع ان يحصل على اكثية في الكنيست بمساعدة المعارضة ( المصدر نفسه ) .

والمح بعض الرافيين الى ان رايبين قد يستمر في موقفه المتصلب الى حد تفشيل المفاوضات الجارية مرة اخرى ، وذلك لاعتبارات داخلية وخارجية . فمن حيث الاعتبارات الداخلية ، وفي حال رفضه الاستجابة للطلبات الاميركية « سيقتوى تحالفه مع بيريس ، ويضمن لنفسه حياة مريحة مع المفدال ، وسينجح في تحييد المعارضة ... » ( ران كسليف - هآرتس ، ٧٥/٧/٢ ) . ومن حيث الاعتبارات الخارجية « فرايبين ايضا يريد التسوية الجزئية . ولكن لان الواجبة مع اميركا تكاد تكون حتمية ، فمن الافضل ان تحدث ، ونحن في مواقع نستطيع فيها الصمود امام الضغط المصري والاميركي [ اي بدون الانسحاب من الممرات وحقول النفط ] . والولايات المتحدة قد تختار توقيت هذه الواجبة بعد الانتخابات » ( يوسف حاريف - معاريف ، ٧٥/٧/٤ ) .

وتستطيع اسرائيل ان تقول انه بقي لها موقع في المرات .

٢ - مدة الاتفاق : ثلاث سنوات تبدأ بعد ان يتم الانسحاب الاسرائيلي .

٣ - ابو رديس : الطريق الغربي الذي يصل بين خليج السويس وأبو رديس يكون تحت الحكم المدني المصري وتحت سيطرة قوات الامم المتحدة . أما الطريق الشرقي الموازي فيبقى تحت سيطرة اسرائيل .

٤ - تتعهد مصر بعدم مقاطعة شركات امريكية تتعامل مع اسرائيل .

٥ - توافق مصر على ان تبقى شبكات انذار مسبق في جانبي المرات ، بشرط ان يشغلها غزيون اميركيون .

٦ - تكون مصر مستعدة للالتزام بعدم أخذ مبادرة ضد اسرائيل في الامم المتحدة ولا تستغل نفوذها في افريقيا لهذا الهدف .

واضافت مصادر اخرى ( دافار ، ٧٥/٧/٩ ) ان اسرائيل تشترط على مصر بالاضافة الى ما ذكر : جعل معظم المناطق التي ستنسحب منها اسرائيل منزوعة من السلاح ووقف الدعاية المعادية ضد اسرائيل ، وتشكيل دوريات مشتركة ، وتطوير سياحة بين البلدين . هذا الى جانب تعهدات امريكية ملزمة ، منها :

١ - تتعهد الولايات المتحدة بأن تقدم لاسرائيل مساعدات اقتصادية بقيمة ٧٠٠ مليون دولار ومساعدات عسكرية بقيمة ١٨٠٠ مليون دولار .

٢ - تعلن الولايات المتحدة عن نيتها في دعم اسرائيل دبلوماسيا ، ومن الممكن ان يتم ذلك على شكل مقابلة صحفية .

ويرى البعض ( زئيف شيف - هارتس ، ٧/٩ ) ان الرئيس السادات يمسك بالاوراق الراجعة ، سواء اذا تمت التسوية الجزئية او لم تتم . فاذا لم تتم التسوية سينتقم هدف مصر والعرب في حدوث ازمة بين امريكا واسرائيل . وسيستغلون هذه الازمة لطرد اسرائيل من الامم المتحدة ، ولاتنازع الولايات المتحدة بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية . وستكون الولايات المتحدة غير مقيدة في مؤتمر جنيف . من ناحية ثانية ،

ان الخط الحالي ليس الافضل عسكريا بالنسبة لاسرائيل . . . لا يجب ابقاء أي جزء من المرات تحت سيطرتنا » ( معاريف ، ٧٥/٧/٤ ) .

### أين وصلت المفاوضات ؟

توقع بعض المراقبين ان يتم التوصل الى قرارات نهائية حول التسوية الجزئية في اجتماع الحكومة الاسرائيلية في ٧٥/٧/٦ . وهو الاجتماع الذي عقد بعد الحديث عن « انذار » امركي وبعد دعوة السفير ديتنس من واشنطن للمشاركة في الاجتماع ، خاصة وان ديتنس تسلّم من واشنطن ردود مصر على آخر المقترحات الاسرائيلية والنقى مع فورد وكيسنجر وسيسكو . ولكن اجتماع الحكومة الذي سبقه اجتماع زاين الى زعيم المعارضة مناخم بيغن ، والى لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، لم يسفر عن قرارات حاسمة . وخول مرة اخرى الفريق الوزاري المفاوض (رابين ، بيريس ، ألون ) بالاستمرار في المفاوضات . وفهم بعض المراسلين ان عدم توصل الحكومة الى قرارات نهائية معناه ، ان الدكتور كيسنجر سيجتمع مع يتسحاق رابين في المانيا الغربية في ٧٥/٧/١٢ ، لكي يسمع رابين من كيسنجر التعهدات الامريكية التي نقلها السفير ديتنس الى الحكومة الاسرائيلية في حال التوصل الى اتفاق ( هارتس ، ٧٥/٧/٧ ) .

وحذر رابين قبل اجتماعه بكيسنجر الصحفيين من توقع الكثير من اجتماعه هذا موحيا ان المفاوضات قد تدوم طويلا . ولم يسفر اجتماع الحكومة الاسرائيلية في اليوم التالي (٧٥/٧/١٣) ايضا عن قرارات حاسمة ، وتقرر غقط ان يستمر الوزراء الثلاثة في المفاوضات « حتى النتيجة البانحة » . وقد اجتمع الوزراء الثلاثة في ٧/١٤/٧٥ « لدراسة التطورات بعد اجتماع الحكومة الاسرائيلية » ( ١٠١٠ ، ٧٥/٧/١٤ ) .

أما آخر ما نشر عن عناصر التسوية الجزئية التي يجري التفاوض عليها الان : فهو ما يلي ( ملتي غولان - هارتس ، ٧٥/٧/٨ ) :

١ - خط الانسحاب : من المحتمل ان يتم التوصل الى صيغة حل وسط يربط الجيش الاسرائيلي بموجيها خارج المرات ولكن الخط الاسرائيلي يمر في عمق ٣ كم في ممر التلا . وبذلك تستطيع مصر ان تقول ان اسرائيل خرجت من كل المرات

تدفع لسوريا لكي يستطيع السادات - فصل نفسه عنها » .

وعلى أي حال ، « ان وضع مصر مزيج وهي تستطيع ان تجلس بهدوء ، الا اذا « جنّت » اسرائيل وحاربت ، وقلبت الوضع رأسا على عقب » ( المصدر نفسه ) .

• ح •

سينخفض تسليح الجيش الاسرائيلي وسيوفر لدى الجيش المصري الوقت الكافي لاعادة بناء نفسه ، وستضعف اسرائيل بسبب النزاعات الداخلية .

اما اذا تمت التسوية بالشروط المصرية ، فسيتربح مصر اقليميا وسياسيا وعسكريا ، وسيوجه ضغط امركي بهدف الوصول الى تسوية جزئية في الجولان ، « اذ سيطلب من اسرائيل ان

[ ٣ ]

### الحكومة الاسرائيلية تصدر قرارا دائما بخفض قيمة عملتها وتستعد لتطبيق الاصلاح في الضرائب المباشرة

وأوضح وزير المالية الاسرائيلي رايبونفيتش ان الهدف من قرار الحكومة هذا هو اتباع طريقة جديدة لاحداث ملائمة جارية في قيمة الليرة بهدف تقليص الفجوة بين الواردات والصادرات . اما ميزة هذه الطريقة فهي انها تمنع ، في المستقبل ، حدوث تخفيضات كبيرة وفجائية في قيمة الليرة قد تؤدي الى زعزعة الاقتصاد والمجتمع في آن واحد . كذلك ستضمن هذه الطريقة ، حسب رأي رايبونفيتش ، « عدم تأثر سرعة التضخم المالي التي لا زالت تفوق عندنا سرعتها في معظم الدول ، على قدرة المنافسة لدينا في الاسواق الخارجية » . ولهذا الامر اهمية خاصة عندنا الان بعد دخولنا الى السوق الاوروبية المشتركة . ان الطريقة التي اتبناها اليوم تضمن قدرتنا على الاستثمار في زيادة صادراتنا من البضائع والخدمات في آن واحد « ( داغار ، ٧٥/٦/١٨ ) .

وكشف رايبونفيتش عن سبب آخر دفعه الى اقتراح اتباع هذه الطريقة في تخفيض العملة ، وهو رغبته في منح المضاربين بالعملة الصعبة في السوق السوداء ، والثراء السهل الذي يرافق التخفيضات الشديدة في قيمة الليرة ( المصدر نفسه ) .

ويبدو ان هذه الطريقة تعتبر « اصلاحا بعيد المدى في الحقل المالي ، يتمثل في تخفيض دائم لليرة » ( داغيد ليفكين - داغار ، ٧٥/٦/١٨ ) .

قررت الحكومة الاسرائيلية بتاريخ ٧٥/٦/١٧ تخفيض قيمة عملتها ، للمرة العاشرة منذ قيام اسرائيل ، بنسبة ٢٪ أي من ٦ ليرات للدولار الى ٦.١٢ ليرة للدولار ، وكذلك منح وزراء المالية ، التجارة والصناعة ، والعدل ، صلاحية تخفيض قيمة الليرة في المستقبل حتى ٢٪ اذا اعتقدوا ان هناك حاجة لذلك ، شرط ان يكون قد مر ثلاثين يوما على التخفيض الاخر ، وذلك بناء على رأي رئيس الحكومة وبعد استشارة محافظ بنك اسرائيل ( البنك المركزي في اسرائيل ) . كذلك قررت الحكومة عدم رفع اسعار البنزين والموصلات العامة واربعة عشر مادة غذائية اساسية ، منها الخبز والزيت والسكر والحليب والبيض ، نتيجة للتخفيض . وبحسب تقدير وزارة المالية الاسرائيلية سيؤدي تخفيض قيمة الليرة الى ارتفاع الاسعار للمستهلك بنسبة ٥٠٪ ، بينما دعا امين عام الهستدروت ، يرواحام ميشل الى وجوب إعفاء المستهلك من نسبة الغلاء هذه وفرض اوتصاصها على ارباب العمل ( داغار ، ٧٥/٦/١٨ ) . ونتيجة لتخفيض الليرة سيصبح السعر الحقيقي للاستيراد ( السعر الرسمي للدولار بالاضافة الى ضريبة الاستيراد القائمة بنسبة ١٥٪ ) نحو ٧.٠٤ ليرة للدولار ، والسعر الحقيقي للتصدير ( السعر الرسمي للدولار مع حوافز التصدير ) ٧.٩٧ ليرة للدولار .

الاسلوب المناقض لاتفاقنا الدولية ، سواء مع صندوق النقد الدولي او مع السوق الأوروبية المشتركة ... لذلك رأينا انه يجب تخفيض قيمة الليرة بين الحين والآخر ، الأمر الذي يعمل حتى نفس اتجاه الاسلوبين السابقين « ( هارتس ، ٧٥/٦/١٨ ) .

### تقرير بنك اسرائيل السنوي والمطالبة بالغاء ربط الليرة بالدولار

سبق تخفيض قيمة الليرة اقتراح تقدم به محافظ بنك اسرائيل موشي زئبار ، حول الغاء ربط الليرة بالدولار وربطها ، بدلا من ذلك ، بمجموعة من العملات . « واساس هذا الاقتراح هو ان قيمة الدولار يمكن ان ترتفع في المدى القريب بالنسبة لقيمة العملات الأوروبية بعد ان هبطت باستمرار خلال السنتين الاخيرتين . ان هذه الخطوة لا تغير بحد ذاتها من قيمة الليرة بالنسبة لمجموعة العملات المختارة ، وانما تسمح باعتبار الدولار كاحدى العملات المهمة الاخرى ، وذلك من اجل منع اهتزازات غير مخطط لها وغير مرغوب فيها في قيمة الليرة بالنسبة للعملات الأوروبية « ( هارتس ، ٧٥/٦/١ ) . وحسب هذا الاقتراح سيكون ربط الليرة بمجموعة العملات ذا انعكاس ايجابي على تجارة اسرائيل الخارجية « في حال ارتفاع قيمة الدولار فقط . وهذا الافتراض قائم اليوم في عالم الاعمال وبين المهتمين بالتجارة الدولية ، خاصة بعد انتهاء حرب فيتنام التي استثمرت الولايات المتحدة فيها مليارات الدولارات « ( المصدر نفسه ) .

وثمة فرق بين اقتراح زئبار هذا وبين تحرير الليرة على شرار ما هو متبع بالنسبة للعملات الاساسية في العالم التي « تتمتع قيمتها حسب العرض والطلب في السوق » ، اذ ان اسرائيل لا تستطيع اتباع هذا الاسلوب بسبب عدم وجود سوق مالي حر للعملة الاجنبية فيها ( دوف غنوفسكي - يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/١ ) . اما الذلغ لتتقدم اقتراح زئبار هذا فهو تجنب احتمال تعويم الليرة ، الامر غير المرغوب فيه في اسرائيل « فالليرة الاسرائيلية موجودة في وضع غريب الان . انها محررة بالنسبة لجميع العملات في العالم ، باستثناء الدولار الاميركي ... ولكن بما ان الدولار نفسه محرر بالنسبة لجميع العملات

ولكن سيكون لها ، مع مرور الوقت ، تأثيرا واضحا على الاقتصاد الاسرائيلي ، رغم ان التخفيض في المرحلة الاولى لم يتعد ٢ ٪ ، « اذ سيصل مجموع معدلات التخفيض هذه ، خلال بضعة اشهر ، الى ١٢ - ١٦ ٪ ، الامر الذي يلزم ملاعبة الاسعار - اي حدوث غلاء « ( المصدر نفسه ) .

ويبدو ان الطريقة القديمة في تخفيض قيمة العملة المتبلة في اجراء تخفيضات كبيرة خلال فترات بعيدة ( انظر « قضايا اسرائيلية » ، عدد ( ٤ ) ، ١٩٧٤/١٢/١٤ ، ص ١٢٤ - ١٣٠ ) لا تلائم الوضع الحالي للاقتصاد الاسرائيلي ، اذ انها تؤدي ، بالاضافة الى المضاربات السريعة بالعملة الصعبة ، الى ارتفاع كبير في الاسعار ومطالب لرفع الاجور ومشاكل اجتماعية . لذلك فان الانتقال الى الاسلوب الجديد في التخفيض سيفشل اذا جر وراءه ارتفاعات جديدة في الاسعار (المصدر نفسه) .

كذلك فان تعاقب استخدام هذه الطريقة سيكون متعلقا بصورة كبيرة بتطور سرعة التضخم المالي في اسرائيل ، بالمقارنة مع ما يحدث في الخارج : « فاذا بقيت سرعة التضخم المالي عندنا في المستقبل اعلى عما هي عليه في الخارج ، ستكون هناك حاجة الى عمليات تخفيض اضافية في قيمة العملة . وهذا من شأنه ان يطعن المصدرين الاسرائيليين ويدفعهم للعمل بثقة اكبر . اما تجار العملة الصعبة فيسردكون ان هذه الطريقة لن تدر عليهم سوى الربح القليل . لذلك يمكن القول ان مبادئ السياسة الاقتصادية للمستقبل قد كشفت ، ومن هذه الناحية بدأنا فترة جديدة « ( ابراهام طال - هارتس ، ٧٥/٦/١٨ ) .

### الهدف : تشجيع الصادرات

يظهر ان الهدف الاساسي من وراء تخفيض قيمة الليرة هو تشجيع الصادرات الاسرائيلية ، خاصة بعد الانفاق الذي وقعته اسرائيل منسح السوق الأوروبية المشتركة ، وهذا ما اشار اليه محافظ بنك اسرائيل موشي زئبار ، عندما أعلن « ان الاقتصاد الاسرائيلي بحاجة دائمة الى تشجيع الصادرات ... وقد تبنا بذلك حتى الان بواسطة منح حوافز للتصدير من جهة واحدة ، وهو اسلوب محظور علينا الان الاستمرار فيه ، وبواسطة فرض ضرائب على الاستيراد من جهة اخرى ، وهو

ملاءمة قيمتها من حين لآخر مع كل واحدة من مركبات المجموعة كرد على التغييرات في نظام قيمة العملة في العالم . وبهذه الطريقة يمكن منح انزلاق قيمة الليرة في اتجاه منقضى لمتطلبات الاقتصاد الإسرائيلي . ويتم التنفيذ بصورة جارية بواسطة قواعد معينة ، ووفق قرار الهيئة المختصة « ( داغار ، ١٧٥/٦ ) .

ولكن يظهر ان الحكومة الإسرائيلية غير مقتنعة تماما حتى الان بوجوب تنفيذ اقتراح بنك اسرائيل هذا . وقد علق زئبار على ذلك بعد التخفيض الاخير في قيمة الليرة بقوله : « ان ١٢ اغورا [ قيمة التخفيض ] لا تصل المشكلة ، ولكنها تسهلها وتساعد على تخطي الفترة المقبلة - بينما مثلكتنا هي دائمة ، ليس لشهر او لسنة وانما لفترة اطول . لذا اعتقد بوجوب الانتقال الان الى الاسلوب الاخير الذي اقترحه » ( داغار ، ١٨/٧٥ ) .

#### الخطوات الاقتصادية التي اتخذت في سنة ١٩٧٤ لم تكن كافية

من جهة اخرى ، تطرق تقرير بنك اسرائيل الى « التطورات الاقتصادية خلال السنة الماضية التي لم تكن متجانسة في طبيعتها ، فقد بدأت تلك السنة بامادة تجتمع القوى في الاقتصاد نتيجة الحرب ، وباستمرار الانخفاض في النشاط الاقتصادي ، وانتهت بفترة توقع تخفيض الليرة واتباع سياسة اقتصادية جديدة . اما المشاكل الاساسية في الاقتصاد فهي ميزان المدفوعات وارتفاع الاسعار . وقد برز في سنة ١٩٧٤ التأثير التراكم لفائض الطلب والضعف التضخمية من الفترة السابقة ، ثم الارتفاع الكبير في اسعار الواردات » ( هارتس ، ٧٥/٦١ ) .

واشار التقرير الى الفائدة التي تحققت من وراء سياسة الكبح الاقتصادي التي اتبعت في منتصف ١٩٧٤ ، « التي كانت ضرورية لتحسين ميزان المدفوعات وصد التضخم المالي » ، فذكر ان هذه الفائدة تمثلت في انخفاض الدخل الفردي والاستثمارات في الخدمات وتطعيم العمل في البناء وبعض الفروع الصناعية الاخرى التي تنتج للسوق المحلي ، ثم في ثبات الاستيراد . ورغم ذلك يشير التقرير الى ان هذه السياسة لم تكن كافية لاحداث التغييرات المطلوبة في بنية الاقتصاد : تحويل عمال

الاخرى ، فان الليرة الاسرائيلية تحررت بواسطته تجاه الليرة الاسترليني والمارك الالمانى والفرنك الفرنسى والفلورين الهولندي ، الخ » ( المصدر نفسه ) . ويعني هذا ان تحرر الليرة الاسرائيلية بالنسبة لهذه العملات لا يتم نتيجة لقيمة الليرة ، وانما حسب قيمة الدولار ، نسبيا ، تجاه تلك العملات . « والمشكلة هنا ان [ قيمة ] الدولار يمكن ان تتغير في المستقبل القريب بشكل لا يلائم رغبتنا ... اذ يتوقع ارتفاع قيمته مقابل باقى العملات . ان ارتفاع قيمة الدولار ، عندما تكون مرتبطين به على هذا النحو ، ومحررين بواسطته فقط تجاه العملات الاخرى ، يعني تعويم الليرة الاسرائيلية ، الامر غير المرغوب فيه » ( المصدر نفسه ) . ومن اجل منح هذا التطور قدم محافظ بنك اسرائيل اقتراحه المتمثل في « قطع العلاقة القوية بين الليرة والدولار » بواسطة ربط الليرة بمجموعة من العملات تتألف ، حسب رايه ، بنسبة ٤٠ ٪ من الدولارات و ٢٠ ٪ من الليرات الاسترلينية و ٤٠ ٪ من العملات الاخرى ( هارتس ، ٧٥/٦١ ) .

وهناك دافع آخر لاقتراح زئبار هذا ، وهو ان ربط الليرة بمجموعة العملات المذكورة سيقلل من الاهتزازات اليومية في نسب التبادل ، التي لا تعتبر في صالح المستهلك الاسرائيلي . بالاضافة الى ذلك هناك « اعتبار الاندماج بأوروبا والحاجة الى ملاءمة الجهاز المالي عندما مع الشروط التي يفرضها الاتفاق مع السوق الأوروبية المشتركة ، الذي سيبدأ سريان مفعوله بعد شهر تقريبا . فاذا كنا نريد تشجيع الاستثمارات الأوروبية ، وزيادة الصادرات الى أوروبا ، ينبغي تمكين المبادرين الأوروبيين والاسرائيليين من التخطيط للمدى الطويل ، الامر الذي يلزمه حدوث ثبات في قيمة الليرة » ( يوفال بيتسور - معاريف ، ٧٥/٦١ ) .

ويبدو ان اقتراح زئبار هذا يحظى بتأييد كبار الاقتصاديين في بنك اسرائيل ، فقد كشف النقاب عن مذكرة داخلية قدمها خبير اقتصادي يدعى يوسف يوران ، من كبار العاملين في دائرة البحث في البنك المذكور ، تدعو الى تحديد قيمة الليرة الاسرائيلية بمجموعة من العملات المهمة حسب نسب معينة . « ومعنى هذا الحفاظ على معدل قيمة الليرة الاسرائيلية بالنسبة لمجموعة العملات بواسطة

عمليات اخفاء الضرائب، اعلن ان الاصلاح المقترح يعتمد على عدة اساس ، منها : ( ١ ) ان تكون الضريبة عامة ، بدون تمييز بين فئة واخرى . ( ٢ ) ان تعمل على تشجيع زيادة الدخل . ( ٣ ) ان تتم ملاءمة مركبات جهاز الضريبة بصورة اوتوماتيكية مع ارتفاع الاسعار . ( ٤ ) ان يكون جهاز الضريبة الجديد بسيطاً وقوانينه سهلة الفهم . واطاف الوزير ان الاصلاح الجديد سيوسع قاعدة الضريبة « الامر الذي سيؤدي الى توزيع العبء بصورة عادلة ... بحيث ان ٧٢ ٪ من المأجورين و ٥١ ٪ من المستقلين ، سيعفون تماما من دفع الضريبة او سيدفعون ضريبة مستحقة بنسبة ٢٥ ٪ فقط » ( المصدر نفسه ) .

كذلك أعلن المسؤول عن مداخل الدولة ، موشي تويدرفر ( في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ١٢ / ٧٥/٦ ) ان الاصلاح المقترح في الضرائب يهدف الى تطبيق الاسس التالية : ( ١ ) الغاء العيوب السلبية التي قللت من الرغبة في العمل والربح وأدت الى الاضرابات . ( ٢ ) رفع مستوى الكشوفات التي يقدمها المكلفون ، بهدف تحسين اخلاقية دفع الضرائب . ( ٣ ) توسيع قاعدة الضريبة لمنع الشعور بالظلم بين المكلفين . ( ٤ ) زيادة عائد جباية الضرائب وتوزيع عادل للمداخل .

### الاصلاح يسبب خفض مداخل الدولة من الضرائب

رغم التناؤل الذي عم اوساطا عديدة في اسرائيل ، وخاصة الهستدروت ، نتيجة عزم وزارة المالية على تنفيذ مشروع الاصلاح نسي الضرائب المباشرة ، ظهر بعض التحفظ من جانبها ازاء التأثير السلبي الذي يمكن ان يكون لهذا الاصلاح على الوضع الاقتصادي العام في اسرائيل . والسبب في ذلك ان خزينة اسرائيل ستخسر مبلغا يقدر بـ ٥٠٠ مليار ليرة ، حسب تقدير وزارة المالية ، نتيجة خفض الضرائب المباشرة ، وهذا يعني بقاء هذا المبلغ بين ايدي الجمهور ، الامر الذي سيؤدي الى زيادة الاستهلاك ورفع الاسعار. وبما ان الاقتصاد الاسرائيلي يعاني اساسا من مشكلة التضخم المالي السريع فان هذه المشكلة ستزداد حدة ، اذا لم تتخذ الاجراءات اللازمة لاستعادة المبلغ . وقد أعلن رابينوفيتش في مؤتمر

ومصانع من الانتاج للسوق المحلي السى فرع الصادرات وتقليص الطلب على الواردات . وقد تقرر تخفيض قيمة الليرة ( في تشريسن الثاني من السنة الماضية ) من أجل احراز تقدم في هذه المجالات « ولكن مع انه حدث تغيير في الاتجاهات للمدى القصر ( الارتساع في فوائض المعاملة الصعبة ) ، لا توجد حتى الان دلائل تشير الى زيادة في الصادرات » ( المصدر نفسه ) .

### الاستعداد لتطبيق الاصلاح في الضرائب المباشرة

قدم وزير المالية يهوشوا رابينوفيتش الى البرلمان الاسرائيلي ( الكنيست ) ، في ١٠/٦/٧٥ ، ثمانية مشاريع قوانين للقراءة الاولى تتعلق بالاصلاح في الضرائب المباشرة ، حسب توصيات لجنة بن - شاحار ، التي اعلن عنها في مطلع شهر نيسان من هذه السنة ( انظر « تضاييا اسرائيلية » ، العدد ٧ ( ١٤ ) ، ٣/٤/٧٥ ، ص ٢٤٧ - ٢٥٢ ) . وكان وزير المالية قد اعلن في الماضي عن نيته في تطبيق هذه التوصيات ابتداء من اول شهر تموز المقبل - ويبدو انه مصمم على ذلك ، اذ دعا الكنيست الى الاسراع في بحث مشاريع القوانين هذه والمصادقة عليها بأسرع وقت ممكن. وبالفعل وافق الكنيست على هذه المقترحات في القراءة الاولى ، وتم تحويل مشاريع القوانين التي قدمها الوزير الى اللجنة المالية في الكنيست لتحضرها للقراءتين الثانية والثالثة والمصادقة عليها في اقرب وقت .

### قبول توصيات بن - شاحار كوحدة متكاملة

اعلن رابينوفيتش في عرضه امام الكنيست بعد تقديم مشاريع القوانين المذكورة ، ان الاصلاح المقترح في الضرائب المباشرة جاء حسب توصيات لجنة بن - شاحار التي « تمثلت مهمتها في تقديم مشروع يضمن توزيعا عادلا للدخل ... وابطال العيوب وتأثيراتها السلبية على انتاجية العمل واخلاقية الضرائب ، ثم توسيع قاعدة الضريبة وتسهيل أسلوب دفعها . وقد وافقت الحكومة على قبول هذه التوصيات كوحدة متكاملة كما اقترحت اللجنة » ( داغار ، ١١/٦/٧٥ ) . وبعد ان عدد رابينوفيتش العيوب في جهاز الضرائب الحالي ، المتبذلة اساسا في نسب الضريبة المرتفعة وفي

للإصلاح الضريبي ، المتثلثة بانخفاض نسبة الضرائب التي يدفعها الاسرائيليون ، محدودة « لان دولة إسرائيل لا تستطيع ان تسمح لنفسها بهتعة تخفيض الضرائب ، وما استخسره في الضرائب المباشرة ستحصله من الضرائب غير المباشرة » (دوف غنحوفسكي - يديعوت احرونوت ، ١٢/٧٥/٦) . لذلك تقتصر الاهمية الاساسية لهذا الإصلاح ، على المجال الاجتماعي والاخلاقي ، خاصة بعد ان ادت الضرائب الباهظة التي يدفعها الاسرائيليون الى لجوء بعضهم الى الغش والخداع للتخلص من جزء من هذا العبء ، وذلك بتقديم كشوفات كاذبة الى دوائر الضريبة ، والبحث عن مصادر دخل وهمية تكون معفية من الضرائب ، وما الى ذلك من اساليب اكتشفها الاسرائيليون خلال الوقت ، وكلفت خزينة اسرائيل خسارة مبلغ باهظة ، تقدر بمليارات خلال السنين ، حسب اعتراف وزير المالية نفسه . وقد قدمت لجنة بن - شاحار توصيات مغضلة بهذا الشأن لتعميق جباية الضرائب والقضاء على هذه الظواهر .

#### المطالبة بتמידد اتفاقات العمل وتحديد علاوة غلاء المعيشة

سينتهي في مطلع شهر تموز سريان مفعول اتفاقات العمل التي مددت بعتمد الاجراءات الاقتصادية في شهر تشرين الثاني الماضي . وقد طالبت وزارة المالية في ذلك الحين بتמידدتها سنة كاملة حتى نهاية ١٩٧٥ ، الا ان الهستدروت اصرت على تمديدتها حتى منتصف هذه السنة فقط ، بينما تطالب الحكومة الان باعادة تمديدتها . ويبدو ان هناك اتفاقا بين الحكومة والهستدروت بهذا الشأن « اذ أشار زعماء الهستدروت الى استعدادهم للموافقة على تمديد اتفاقات الاجور حتى شهر كانون الثاني المقبل ، اذا نفذ الإصلاح في الضرائب المباشرة » ( اريئيل فانيشتاين - مماريف ، ٦/٧٥/٦ ) .

أما بالنسبة لوضع علاوة غلاء المعيشة المستحقة في اول شهر تموز أيضا ، فقد عينت وزارة المالية لجنة من الخبراء ، برئاسة دكتور تسيبي زوسمان من بنك اسرائيل ، لبحث هذه المسألة ودراسة امكانية دفع جزء من هذه العلاوة . ويجدر بالذكر ان علاوة غلاء المعيشة هذه ستكون خاضعة للضريبة حسب الإصلاح الجديد ، في حال تطبيقه .

صحفي عقده في تل ابيب ، ان جزءا من هذا المبلغ سيغطي بواسطة فرض ضريبة القيمة الاضافية خلال هذه السنة ، والجزء الاخر بواسطة تقليص ميزانية الدولة ( مماريف ، ١٢/٦/٧٥ ) . ولكن يبدو ان المشكلة اكثر تعقيدا ، اذ أعلن المدير العام الجديد لوزارة المالية ارنون غفني ، انه يتوقع ازدياد مبالغ النقد المتداول بين الجمهور بمبلغ ٢٥ مليار ليرة ، على النحو التالي : ٥١ مليار ليرة نتيجة الإصلاح في الضرائب المباشرة ، ٥١ مليار ليرة نتيجة للزيادة في الميزانية الاصلية و ٢٥ مليار ليرة نتيجة التأخير في جباية الضرائب وتحويل مبالغ الى السلطات المحلية . وبحسب رايه « ينبغي تغطية جزء من هذه الاموال بواسطة تقليص الميزانية والجزء الاخر بواسطة زيادة الدخل » بعد فرض ضريبة القيمة الاضافية ( في حديث مع ابراهام كوشنير - داغار ، ٦/٦/٧٥ ) . وهذا ما اعلنه ايضا المسؤول عن مداخل الدولة موشي نويدرغر ( في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ١٢/٦/٧٥ ) .

ولكن يبدو ، من ناحية ثانية ، انه بالرغم من ان الجميع يدعو الى تقليص الميزانية العامة فان هناك ضغوطا ائتلافية شديدة تحول دون ذلك ، خاصة عندما يتعلق الامر بميزانية الدفاع ، والدليل على ذلك زيادة هذه الميزانية في جلسة مشتركة للجنة المالية والخارجية والامن في الكنيست ، بنصف مليار ليرة ، بعد الاعلان عن تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية بيوم واحد . وخلال تلك الجلسة قدم ٣ نواب ( من المدال ) اقتراحا لاضافة نصف مليار ليرة لميزانية الدفاع ، زيادة على اقتراح الحكومة في الميزانية الاصلية ( ٢٢٤ مليار ليرة ) . وقد حظي هذا الاقتراح بأغلبية اثناء التصويت ( داغار ، ١٨/٦/٧٥ ) ، الامر الذي اثار عاصفة شديدة بين اعضاء الائتلاف الحكومي .

لذلك فان الدعوة الى تقليص الميزانية تبقى محدودة ، خاصة وان الميزانيات الاخرى ، وأولها تلك المتعلقة بالامور الاجتماعية ، قد تعرضت للتقليص خلال تقديم مشروع الميزانية الجديدة لهذه السنة ( انظر « تضايا اسرائيلية » ، عدد ٦ ( ١٣ ) ، ٧٥/٢/٢٠ ، ص ٢٠١ - ٢١٢ ) .

#### الناحية الاجتماعية في الإصلاح الضريبي

يظهر من خلال ما ذكرنا ، ان الاهمية الاقتصادية

بمكسب معين من وراء الاصلاح في الضرائب - اذا تحقق - فسيحصلون على علاوة على اجرهم الاساسي نتيجة تخفيض اتفاقات العمل . ويعتبر هذا الامر جزءا من سياسة تجميد الاجور وخفض الاستهلاك الفردي التي اتبعتها الحكومة خلال السنة الاخيرة ، في اطار محاربتها للتضخم المالي . ويحدث هذا في الوقت الذي تزداد فيه اضرابات العمال في اسرائيل وتدهور علاقات العمل بشكل لا مثيل له . ويمكن الاستنتاج من ذلك ان تجميد اتفاقات العمل واقتطاع جزء من علاوة غلاء المعيشة سيزيد الاوضاع سوءا ، بين قطاعات كثيرة من العمال ، الامر الذي يبشر بموجة جديدة من الاضرابات .

### حنه شاهين

وتحدد العلاوة حسب معدل الغلاء خلال فترة معينة، ويقدر معدلها الحالي ، بحسب البحث الدائر في اللجنة المختصة ، بـ ٧٠٪ ليرة شهريا ( المصدر نفسه ) . وينتظر الان ان تقوم هذه اللجنة بتقديم توصياتها الى وزارة المالية لتحديد نسبة العلاوة التي ينبغي دفعها في مطلع الشهر المقبل . وكان احد امضاء تلك اللجنة قد أعلن ان « دفع علاوة غلاء معيشة كاملة سيدفع الحكومة الى [ اتخاذ اجراءات ] لامتناع اموال جديدة من الجمهور ، الامر الذي لا نرغب فيه » ( المصدر نفسه ) ، مما يدل على ان اللجنة تنوي تقديم توصية باقتطاع جزء من العلاوة . لذلك فان الفترة المقبلة ستكون صعبة من الناحية الاقتصادية بالنسبة للمأجورين والمستخدمين الاخرين ، اذ رغم أنهم سيحفظون

## (٥) القضية الفلسطينية عسكرياً

[ ١ ]

### العمليات الفدائية في الأرض المحتلة والرد الإسرائيلي عليها

الشباب العسكرية ( ناحال ) في مستعمرة كفار يوفال حيث تمكنوا من اقتحام المنزل واحتجاز عدد من الرهائن ، وطالبوا باطلاق سراح عدد من المعتقلين الموجودين في السجون الاسرائيلية وبينهم المطران كيوجي والشيخ ابو طير والفدائي الياباني ( اوكموتو ) و٢٩ من الاسرى العرب وعدد من اليهود من اعضاء الجبهة الخراء المسجونين لتعاونهم مع المقاومة . و اضاف الناطق قائلاً : « ان المجموعة نفذت العملية بناء على اوامر من قيادة فرع الداخل لقوات جبهة التحرير العربية ، وان جيش العدو قام بحاصرة المنزل ومن ثم مهاجمته بعد ان تمكن الفدائيون من احتجاز الرهائن لمدة ثلاث ساعات ونصف . وقد اسفرت العملية عن استشهاد الفدائيين الاربعة ومقتل عدد من الاسرائيليين » ( النهار ١٦/٥/١٩٧٥ ) . أما الناطق الاسرائيلي فقد قال « بأن مجموعة من الفدائيين حاولت التسلل الى مستوطنة « كفار يوفال » الى اول منزل في طريق المستوطنة ، فواجهت ثيران الحراس ، وخلال تبادل اطلاق النار لجأ الفدائيون الى منزل قريب واقتحموه ، وكان في المنزل ( ٦ ) اشخاص تم احتجازهم كرهائن » . ثم اضاف قائلاً « ان قوات الجيش الاسرائيلي الموجودة في المكان طوقت المنزل وسيطرت عليه . وبعد ذلك اقتحصت القوات المنزل حيث قتل الفدائيون الاربعة في حين قتل اثنان وجرح ( ٦ ) اشخاص من الرهائن ، كما قتل عدد من الجنود الذين هاجموا المنزل » ( ر أ أ . عدد ٨٤٠ تاريخ ١٦/٦/١٩٧٥ ) . وعلى الفور وصل الى مكان الحادث شمعون بيريس وزير الدفاع يرافقه رئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال مردخاي غور وقائد القطاع الشمالي الكولونيل رفائيل ايتان . ومما قاله بيريس « ان القوات الاسرائيلية تستخدم كل الوسائل لحماية المستوطنات الشمالية » . ( النهار ١٦/٥/١٩٧٥ ) .

واصلت الثورة الفلسطينية تصعيد كفاحها المسلح في الأرض المحتلة في الوقت نفسه الذي تخوض فيه معركة سياسية ضارية على كافة الاصعدة في داخل الأرض المحتلة وعلى الساحتين العربية والدولية . وهي بذلك انما تظهر مدى قدرتها على خوض المارك على كافة الجبهات السياسية والعسكرية اثناء مسيرتها الثورية بهدف التصدي للمؤامرات التصوفية وتحقيق الوحدة الوطنية بين صفوف المناضلين والمقاتلين في الداخل والخارج .

وازاء هذا التصعيد في العمليات جاءت ردود فعل العدو في الداخل بقيام السلطات المحتلة في ١٢/٦/١٩٦٥ بحملة اعتقالات واسعة في صفوف المواطنين العرب في الأرض المحتلة شملت ( ٤ ) من أهالي نابلس و ( ١٠ ) من أهالي الخليل في الضفة الغربية المحتلة بتهمة الانتماء الى حركة المقاومة الفلسطينية . ( النهار ١٤/٦/١٩٧٥ ) . وكان ناطق عسكري باسم الثورة الفلسطينية قد أعلن عن قيام الثوار الفلسطينيين فجر يوم ١٢/٦/١٩٦٥ بنسف الكابل الرئيسي للهاتف في منطقة بيسان . وادى ذلك الى تدمير الكابل تدميراً كاملاً حيث تم قطع الاتصال الهاتفي في منطقة بيسان ( المصدر نفسه ) .

وفي فجر يوم ١٥/٦/١٩٧٥ نفذ الثوار الفلسطينيون عملية جريئة في داخل الأرض المحتلة استهدفت اقتحام مبنى مركز منظمة الشباب الصهيوني العسكري ( ناحال ) في مستعمرة « كفار يوفال » التي تبعد مسافة ( ٥ ) كيلومترات الى الشمال الشرقي من مستعمرة « كريات شمونه » في الجليل الاعلى . فقد ادلى ناطق بلسان جبهة التحرير العربية ببيان جرى توزيعه في بيروت جاء فيه « ان اربعة فدائيين ( فلسطيني ، عراقي ، مغربي ، وتركي ) ينتمون الى الجبهة نفذوا في صباح ١٥/٦/١٩٧٥ عملية اقتحام منزل منظمة

الطائرات تطبقها في الجو مستخدمة القنابل المضيفة على طول الحدود . ( المصدر نفسه ) . وكانت قوة من الفدائيين داخل الارض المحتلة قد قصفت اهدافنا عسكرية في مدينة نهاريا في الساعة ( ١٨٠٠ ) من يوم ١٩٧٥/٦/١٥ وعلى منطقة كتار جلعادي في الجليل الاعلى في الساعة ( ٠٦٠٠ ) من يوم ١٩٧٥/٦/١٦ ، وقد استخدمت المجموعتان قذائف الكاتيوشا من عيار ( ١٢٠ ) ملم ( رآ . عدد ٨٤٠ تاريخ ١٩٧٥/٦/١٦ ) و ( النهار ١٩٧٥/٦/١٦ ) .

لقد دلت الاحداث التي وقعت في الجليل الاعلى وعلى طول الحدود اللبنانية في يومي ١٥ و ١٦/٦/١٩٧٥ ان المقاومة اصبحت تملك القوة على مهاجمة عمق الاراضي المحتلة متى شاعت وانه اصبح يمتدورها الرد بضربات موجعة على كل اعتداء يقوم به الطيران الاسرائيلي على المناطق المدنية الفلسطينية - واللبنانية الآمنة . لقد حاولت اسرائيل شل الحياة في الطرف الاخر من الحدود في الجبهة اللبنانية لكنها فشلت في تحقيق هدفها وحول هذه المسألة يقول مراسل الاذاعة الاسرائيلية العسكري في المنطقة الشمالية والذي زار المنطقة بعد الاشتباكات في يوم ١٩٧٥/٦/١٦ « اليوم يبرز وجودهم ( اي الفدائيين ) على طول الحدود اكثر من اي يوم مضى ، انهم يحاولون ان يثبتوا ان الكفاح المسلح مستمر بكل قوته » . و اضاف « وعلى الرغم من كل ما قيل فان الحياة في الجانب الاخر من الحدود لم تتبدل ابدا كما يبدو فاليوم كالامس شوهد فلاحون لبنانيون يثقلون اراضيهم في الاماكن نفسها التي يتطلق منها الفدائيون ، ويصعب ان نؤكد على ضوء احداث الـ ٢٤ ساعة الاخيرة ما اذا كانت هذه بداية مرحلة عمليات متواصلة ولكن يبدو ان شروط مثل هذا الوضع متوفرة » ( رآ - عدد ٨٤١ - تاريخ ١٩٧٥/٦/١٧ ) .

بعد الاحداث الاخيرة اقدمت قيادة الدفاع المدني في المنطقة الشمالية في يوم ١٩٧٥/٦/١٨ على استنفار كافة اجهزتها وبوشر في تسليح واعداد احتياطي المستوطنات ودعوة سكان مستعمرات الحدود من الذين يستطيعون ويرغبون في حمل السلاح الى الالتحاق في صفوف الامن اليومي في الجبهة الشمالية . وقال ضابط كبير « ان التدريب

وردا على عملية كتار يوفال شنت الطائرات الاسرائيلية ٥ غارات على قرية وخراب «كفرشوبا» بدأت الفارة الاولى في الساعة ( ٩٠٧ ) من اليوم نفسه واستمرت بصورة متقطعة حتى الساعة ( ١١٣٠ ) . وقد نجم عن هذه الغارات الخمس تدمير ما تبقى من منازل في القرية . وكانت الطائرات الاسرائيلية قد هاجمت القرية قبل ( ٥ ) أشهر ودمرت عددا من منازلها . كما استشهدت امرأة وجرح اربعة اشخاص ونفذ واحد ( النهار ١٩٧٥/٦/١٦ ) . وفي بيروت صرح ناطق عسكري لبناني بقوله « تعرضت بلدة « كفرشوبا » قبل ظهر اليوم لتصف مركز من قبل طيران العدو ومدفيعته الارضية . اعطيت الاوامر بالتصدي للمخارطة والرد على مصادر نيران العدو بكل وسائل دفاعنا » ( المصدر نفسه ) .

أما الناطق العسكري باسم قيادة الثورة الفلسطينية فقدم ادلى بعدة تصريحات نوجزها بالآتي :

« قام طيران العدو في الساعة ( ٠٩٣٠ ) بتصف مركز لمناطق كفرشوبا والخريبة والمرتفعات الشرقية في قطاع العرقوب في جنوب لبنان ، وفي الساعة ( ١٠٥٠ ) عاود طيران العدو تصف المنطقة بالقنابل والصواريخ مستهدفا قواعد الثورة الفلسطينية والمناطق المدنية اللبنانية . وفي الساعة ( ١١٠٠ ) وسع العدو نطاق عدوانه وبدأ بتصف مناطق كفرحمام ، وراشيا الفخار ومثلث شبعما بالدنعية المتوسطة والثقيلة . وفي الساعة ( ١٣٢٥ ) استقط ثوارنا طائرة للعدو من طراز « فانقوم » وذلك في اثناء تصدي مقاومتنا الارضية لطيران العدو . ويعتقد ان قائد الطائرة ومساعدته لم يتمكنوا من الهبوط بالمظلة بسبب اصابة الطائرة اصابة مباشرة . وقد شوهدت الطائرة وهي تهوي محترقة في منطقة الحدود بالعين المجردة . وما زال القصف مستمرا حتى الساعة ( ١٤٣٠ ) » ( المصدر نفسه ) .

في منتصف ليلة ١٥ - ١٦/٦/١٩٧٥ تصف العدو بدفاعه تلال العرقوب وردت مدفعية المقاومة الفلسطينية بنيران كثيفة . مما اضطر العدو الى الرد بتصف « النبطية » من مسكف عام وابل القمح في الاراضي المحتلة . وردت المدفعية اللبنانية على مصادر النيران . ثم واصلت

العاشرة من صباح ١٩٧٥/٧/٤ في حي صهيون ، الذي يعتبر من أكبر الأحياء في القسم اليهودي من القدس المحتلة ، أدى الى الحاق أضرار بالغة في المباني والمحلات التجارية المجاورة لمكان الانفجار والى قتل ( ١٢ ) واصابة ( ٧٨ ) بجروح بينهم ( ١٠ ) جروحهم خطيرة . وبعد الانفجار ، مرت سيارة عربية بسرعة في مكان الانفجار وفتحت النار على المتجهين صـسـول مكان الانفجار . وقد وقع الانفجار في وقت كانت السلطات الاسرائيلية منهكة في الاعداد لتشييع جنازة وزير الشؤون الاسرائيلي حيث اضطرت الى سحب عدد كبير من رجال الامن من الشوارع لرافعة الجنازة . وهو عامل استغله رجال المقاومة الذين تمكنوا من ترك ثلاثة صغيرة قديمة وفيها ( ١٥ ) كيلو غرام من المواد الناسفة والمتفجرة في احد اكثر شوارع القدس ازدحاما . وعلى الاثر توجه الى مكان الانفجار اسحق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلي وشمعون بيريس وزير الدفاع لتفتد الاضرار وطوق رجال الشرطة المنطقة وعزلوها ، وبعد ذلك تم اعتقال ٢٠٠ من المواطنين العرب ممن كانوا على مقربة من مكان الانفجار . ( النهار ١٩٧٥/٧/٥ ) . ( رأى — ٨٥٤ — ١٩٧٥/٧/٥ ) وفي القدس القرى شلومو هيلل تبة الانفجارات على التأييد العالمي المتزايد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتعد بأن تزيد اسرائيل تدابير الامن ضد العرب القادمين الى المدينة وخاصة الزوار الذين يأتون في فصل الصيف عبر نهر الاردن . ( المحرر ١٩٧٥/٧/٥ ) . كما ان مصادر اسرائيلية صرحت انه منذ نيسان ١٩٧٤ قتل نحو ١٠٠ اسرائيلي وجرح ٣٠٠ نتيجة عمليات الفدائيين . ( النهار ١٩٧٥/٧/٥ ) وقد ساد مدينة القدس موجة قلق بعد العملية وحاول عدد من اليهود الاعتداء على مكان القدس العربية المحتلة لكن الشرطة فرقتهم .

وردنا على عملية القدس شنت اسرائيل هجوما ( بحريا وجويا ) على مخيم الرشيدية وبعض القرى في قضاء صور استمر لمدة ثلاث ساعات وخمس واربعين دقيقة ، اسفر عن استشهاد ٩ وجرح عدد آخر واصابة نحو ( ٤٠ ) منزلا . فقد صرح ناطق عسكري لبناني بما يلي « في الساعة ( ٠٢:٠٠ ) من يوم ١٩٧٥/٧/٧ قصفت ٣ زوارق حربية

والمعدات الجديدة زادت من قدرة المستوطنين على الدفاع الذاتي » . ( رأى — ٨٤٢ — ١٩٧٥/٦/١٨ ) . هذا وقام اعضاء الكوتيمات والمستوطنات في الجليل الغربي بالتدريب على استخدام الاسلحة التي لم يسبق وان عرفوها وشمل ذلك اجهزة الاتصال وادارة الاتصالات ( رأى — ٨٤٨ تاريخ ١٩٧٥/٦/٢٥ ) . وقد توسع الجبيع في اسرائيل قيام الفدائيين بموجة جديدة من الضربات الخاطفة — اضرب واهرب . لهذا تم استنفا القيادة الشمالية خاصة وان الفدائيين اخذوا بضربون بشكل موجه ومؤثر على معنويات سكان المستوطنات الشمالية .

وفي ١٩٧٥/٦/٢٢ اعلنت حركة المقاومة ان الفدائيين في داخل الارض المحتلة نفذوا عملية في منطقة تل ابيب استهدفت موقعا للسيارات وباصات الركاب في قلب المدينة . فقد وضع رجال المقاومة عددا من العبوات الناسفة الموقوتة داخل عدد من سيارات العدو وباص للركاب لشركة ( دان ) ، وقد ادى الانفجار الى تدمير ( ٤ ) سيارات والباص واصابة عدد من السيارات المجاورة باضرار بالغة . ( النهار ١٩٧٥/٦/٢٤ ) .

ومن جهة اخرى وقع اشتباك بين مجموعة من الفدائيين وافراد من الجيش الاسرائيلي في حوالي منتصف الليل بالقرب من كيبوتس ادبيت في الجليل الاعلى قرب الحدود اللبنانية ، بعد ان تمكن افراد المجموعة من فتح ثغرة في السياج المكهرب في محاول للتسلل الى الكيبوتس . ووقع الاشتباك قرب خط الحدود تماما . وقد ذكر الناطق الاسرائيلي ان ( ٤ ) فدائيين قد استشهدوا في حين جرح احد افراد الدورية الاسرائيلية ( رأى — ٨٤٩ — ١٩٧٥/٦/٢٦ ) .

وفي ١٩٧٥/٧/١ اعلن ناطق عسكري باسم الثورة الفلسطينية ان رجال المقاومة في داخل الارض المحتلة فجروا عبوات حارقة في مخازن الورق في « بتاح تكنا » كما نسف الثوار في رأس العين على طريق القدس — تل ابيب مستودعات الاخشاب . ( النهار ١٩٧٥/٧/٢ ) .

وفي القدس قام رجال المقاومة في داخل الارض المحتلة باكثر عملية فدائية في هذه المدينة ، اعتبرت المصادر الصحفية العالمية اكبر العمليات التي نفذها الثوار حتى الان فقد وقع انفجار في

والمتوسطة. والثقيلة. ومنها صواريخ ( سام ٧ ) المضادة للطائرات وصواريخ أخرى مضادة للسفن . وقد اورد المراقبون انها اول مرة منذ مدة طويلة يغشل فيها هجوم اسرائيلي مدبر خلط له بعناية فائقة. واشتركت فيه قوات بحرية وبرية وجوية . ( المحرر ١٩٧٥/٧/٨ ) .

وردنا على الهجوم الغادر فقد قامت وحدات الثورة العاملة في الداخل منذ صباح ١٩٧٥/٧/٨ بتصف الاهداف العسكرية في مدينة صنف وتجمع اليات العدو في كيبوتس « جدعون » كذلك تصفت مدينة نهاريا وضواحيها . وقد اعترف العدو بهذه الهجمات وزعم انه لم تقع خسائر في الممتلكات والارواح ( رأأ - ٨٥٦ - ١٩٧٥/٧/١٨ ) .

ومن جهة اخرى جددت مدفعية العدو تصفها لبلدة عديسة لليوم الثالث على التوالي ونتج عن القصف استشهاد امرأة وجرح اثنين واصابة منزل باضرار في البلدة . ( المحرر ١٩٧٥/٧/٨ ) .

وفي دمشق ، اعلن السيد محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية في ١٩٧٥/٧/٨ تعليقا على الاعتداءات الاسرائيلية الاخيرة على جنوب لبنان ومخيمات الفلسطينيين « اننا في معركة مستمرة مع العدو ويجب ان نتوقع منه مثل هذه الاعتداءات ما دمنا نسمى الى التحرير ، ولا بد ان نقوم بواجبنا في تحمل الخسائر وفي الحاق الخسائر بهذا العدو حتى نرغمه على الاستجابة لمطالبنا العادلة » ( النهار - ١٩٧٥/٧/٩ ) .

اما في القاهرة. فقد حذرت صحيفة الاهرام اسرائيل من « مغبة اعتداءاتها المستمرة على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين » . وقالت « ان اسرائيل تخطيء اذا اعتقدت انها بعملياتها هذه قادرة على ردع المقاومة او دفعها الى التخلي عن العمليات التي اصبحت تجريها . بنجاح متعظم في عقر دار العدو » ونهبت العدو الاسرائيلي السى « ان خريطة المنطقة السياسية للمنطقة لم تعد مماثلة لما كانت عليه قبل حرب تشرين الاول ، وليس المخرج هو دفع المواجهة مع الفلسطينيين الى حد تحطيم كل الجهود الراهنة لتخطي النزاع بل التسليم بان الفلسطينيين حاربهم حقوقهم المشروعة المتكافئة اسوة ببقية اطرافه » ( المصدر نفسه ) .

اسرائيلية يدعمها طيران حربي كثيف مخيم الرشيدية جنوب صور نردت عليها قواتنا بكل الاسلحة . توقف الاشتباك في الساعة ( ٠٢٤٥٥ ) . وقد نجم عن القصف نشوب حرائق في المخيم فارسلت اليه سيارات الاطفاء . وفي الساعة ( ٠٣٤٢٠ ) . عاود العدو تصف منطقة البرغلية من البحر فردت عليه قواتنا . توقف القصف في البرغلية في الساعة ( ٠٤٤٣٠ ) لكن الطيران المعادي استمر بالتطيق وبين الساعة ( ٠٥٤٤٠ - ٠٥٤٤٠ ) . تصفت الطائرات الاسرائيلية مخيم شهر معروف شرق القاسمية » . وجاء في تصريح ثان للناطق العسكري اللبناني انه « ليل ٦ - ١٩٧٥/٧/٧ تعرضت جبهة الحدود الجنوبية الى قصف مدفعي متقطع من قبل العدو الاسرائيلي استهدف القرى والاماكن المدنية ( النهار ١٩٧٥/٧/٨ ) .

لما الناطق العسكري الفلسطيني فصرح بما يلي : « قامت قوات العدو الصهيوني الجوية والبحرية بهجوم غادر على مخيماتها في منطقة صور والرشيدية وبعض مناطق الجنوب اللبناني في الساعة ( ١١٤٤٥ ) من ليلة ٧/٦ وحتى الساعة ( ٠٥٤٢٠ ) من صباح ١٩٧٥/٧/٧ . وقد تصدى قوارنا ببسالة وكفائة لقوات العدو المهاجمة واستطاعوا دحرها وايقاع خسائر فادحة في صفوف القوة التي نزلت على الشاطئ من زوارق مطاطية . وقد تم اسقاط طائرة ( سكايهوك ) وتدمير زورق واسر قارب بمعداته وتجهيزاته » ( المصدر نفسه ) .

اما في تل ابيب فاعلنت القيادة العسكرية الاسرائيلية ان قوات برية وبحرية وجوية اسرائيلية اغارت الليلة الماضية وصباح امس ١٩٧٥/٧/٧ على ما زعمت انها قواعد للفدائيين على الساحل اللبناني . فقد قامت القوات الاسرائيلية بعملية مشتركة وعادت الى قواعدها سالمة ( النهار ١٩٧٥/٧/٨ ) .

فقد تصدت المقاومة الفلسطينية لجنود الكوماندوس الاسرائيلي الذين تمكنوا من التسلل بواسطة الزوارق الحربية والمطاطية وبواسطة طائرات الهليكوبتر الى المنطقة برفاوة وكبدتهم خسائر فادحة في الارواح والمعدات . واستخدم الثوار في دفاعهم من المخيم كافة الاسلحة الخفيفة

الجوي الاسرائيلي في الساعة ( ١٤٤٣٥ ) مخيم عين الحلوة في صيدا ، واستغرقت الغارة الاولى ( ١٥ ) دقيقة تمكنت الطائرات خلالها من القاء حملتها على اهداف مدنية في داخل المخيم . وحال ظهور الطائرات فوق المدينة والمخيم فتحت المقاومة الارضية الفلسطينية واللبنانية نيرانها على الطائرات المغيرة . وفي الساعة ( ١٥٤١٠ ) عادت الطائرات وقد زاد عددها واخذت تهاجم اهدافها في المخيم من جديد ، فتصدت لها المقاومة الارضية اللبنانية والفلسطينية مرة اخرى ، واطلقت باتجاهها صواريخ موجهة من نوع ( سام - ٧ ) . حيث اصيبت طائرة شوهد طيارها يهبط بالمظلة . وعلى الفور توجهت دوريات من الجيش والمقاومة لاقاء القبض عليه ، تساعدها طائرة هليكوبتر تابعة للجيش اللبناني . هذا ونجم عن الاعتداء الجوي اصابة الطرف الجنوبي الشرقي للمخيم بأضرار حيث تهدم وتصدع ( ٤٠ ) منزلا ومكتبا وكوخا . واستشهد ( ٥ ) وجرح ( ٣٥ ) مدنيا . ان هذه الغارة تأتي في اعقاب تصعيد رجال المقاومة في الداخل من عملياتهم ضد الاهداف الحيوية الاقتصادية والعسكرية وفي اعقاب فشل الغارة التي شنها العدو برا وبحرا وجوا على مخيم الرشيدية . ( النهار ١٤/٧/١٩٧٥ ) .

وكعادتها ، ردت قوات المقاومة في الداخل على الغارة الاسرائيلية على مخيم عين الحلوة بقصف مستعمرة « روش هنيكراه » ومدينة « نهاريا » الواقعتين على الشاطئ ، ومستعمرة المالكية في اقصى الطرف الشمالي الشرقي لفلسطين المحتلة ( الانوار ١٤/٧/١٩٧٥ ) .

وفي تل ابيب ابلغ اسحق رابين البرلمان الاسرائيلي « ان اسرائيل ستعبد الى الحرب الوجودية وحرب الاستنزاف والعتاب ضد المنظمات الفلسطينية حيثما استطعنا الوصول اليهم » ( المصدر نفسه ) .

### الرائد الطيار حسين عويضة

وفي تعليقتها على الاحداث والتصعيد الخطير للعمليات الفدائية في الداخل ذكرت صحيفة معاريف الحكومة الاسرائيلية « بانها مضى عليها سنوات وهي تعد بعد كل عملية يقوم بها الفدائيون بمقابلة الارهاب العربي دون هوادة » . ومضت الصحيفة قائلة « الا ان السنوات مضت حتى الان ، وكانت ترجمة هذا الوعد دائما انزال ضربة مرتبطة بالضربة العربية التي تسبقتها » . وتقول « انه يبدو ان غاية الحكومة الوحيدة هي تهدئة مشاعر الغضب والانتقام في قلب الجمهور ، وطالما ان مقاومة الارهاب تجري طبقا للواعد التي يحددها الفدائيون ، فلن تحدث محاولة جادة من جانب اسرائيل لاخذ المبادرة من ايديهم . ولقد حان الوقت لان تعمل الحكومة طبقا لتصرحاتها فتشن حربا متواصلة ومتلاحقة ضد الارهاب » ( رأ! - ٨٥٧ - ١٩٧٥/٧/٩ ) .

ولما تمض ٢٤ ساعة على مطالب معاريف الداعية الى شن حرب متواصلة على الفدائيين ، هاجم الفدائيون المحطة الرئيسية لضخ النفط الخسام في المنطقة الجنوبية على البحر الاحمر وتقع بين « ايلات » و « بئر اورا » في النقب الجنوبي وقام الغوار بضرب هذا الهدف الحيوي في الساعة ( ٢٤٣٠ ) من يوم ١٩٧٥/٧/٩ . وقد تم تدمير المحطة تدميرا تاما واشتملت النيران في المحطة والنفط المتدفق من الانابيب وشوهدت من مسافات بعيدة . وقد ترتب عن هذا الهجوم قطع الطريق الرئيسية المؤدية الى مدينة ايلات وتوجهت السى المنطقة قوات كبيرة من الجيش الاسرائيلي حيث منعت السير والحركة على هذا الطريق والطرق المتفرعة عنه . وقد اعترفت صحيفة « يديعوت احرونوت » ان خط الانابيب الذي ينقل النفط من ايلات الى مصفاة النفط في اسدود اصيب بأضرار بالغة نتيجة انفجار ، وادى ذلك الى وقف تدفق النفط في الانبوب ومنع السير على الطريق الرئيسية في المنطقة ( النهار ١٠/٧/١٩٧٥ ) .

وفي ١٩٧٥/٧/١٢ هاجمت طائرات السلاح

## الممرات الاستراتيجية في سيناء وأهميتها العسكرية

أكبر في كل خط آخر محتمل والمغزى الذي يكاد يكون مباشراً : عبء احتياطي أثقل « ( ر أ ، عدد ٩٥٢ ، ٧٥/٧/١ ) . بالإضافة الى ان اوضاع الجيش الاسرائيلي الدفاعية ستكون اضعف مما هي عليه الان ، اذا علمنا ان طول خطوط القتال الحالية تبلغ حوالي ( ١٧٠ ) كم وتمتد من « عيون موسى » في الطرف الجنوبي للقناة الى « بالوظه » في الشمال . كما ان هذه الممرات تسيطر سيطرة تامة على المحاور الثلاثة التي تربط قناة السويس بشرقي سيناء وبالحدود الفاصلة بين فلسطين المحتلة ومصر ، وهذه المحاور هي :

١ - محور السويس - ممر متلا - صدر الحيطان - نخل التيد - الكونتيل وطلوه حوالي ٢٣٥ كم .

٢ - محور السويس - ممر متلا - صدر الحيطان - بير تماده - بير حسنه - القسيمه - جبل الصبحة على الحدود مع فلسطين المحتلة وطلوه ٢١٠ كم .

٣ - محور البحيرات المرة - ممر الجدي - بير تماده - بير حسنه - القسيمه - جبل الصبحة وطلوه ١٩٥ كم .

٤ - محور البحيرات المرة - ممر الجدي - بير جفجفاه - جبل لبنى - ابو عجيله - والذي يمتد الى الحدود باتجاه عوجة الحفير في اراضي فلسطين المحتلة . ويبلغ طوله ٢١٠ كم .

٥ - محور الاسماعيلية - الطامسه - ممر الختيمه - بير جفجفاه - جبل لبنى - ابو عجيله - والعوجه وطلوه ٢٠٠ كم .

٦ - محور الاسماعيلية - الطامسه - ممر العريش - بير جفجفاه - جبل لبنى - بير لهنان والعريش وطلوه ٢٥٠ كم .

٧ - المحور الشمالي والذي يمتد على طول الساحل الشمالي لسيناء من القنطرة على قناة السويس مارا بحاذة بحيرة البردويل - بير العبد - المزار - ثم العريش وطلوه حوالي ١٦٠ كم .

منذ بدأت المفاوضات غير المباشرة عبر طرف ثالث هو الولايات المتحدة بين كل من مصر واسرائيل في اعقاب توقف القتال في ٢٥/١٠/١٩٧٣ بهدف التوصل الى فصل للقوات على الجبهة الجنوبية في سيناء ، تركزت عيون كافة الاطراف المعنية بالصراع والراغبين العسكريين المتتبعين لتطورات الاوضاع العسكرية بالمنطقة على الممرات الاستراتيجية ( متلا وجددي والختمه ) في سيناء . ان هذه الممرات تشكل مفتاح الموقف بالنسبة لاوضاع قوات طرفي النزاع في سيناء . فهي تسيطر على المحاور الرئيسية الثلاثة التي تربط غربي سيناء بشرقيها . وتبعد هذه الممرات عن قناة السويس مسافة تتراوح بين ٣٠ - ٣٥ كم . وبعد حرب تشرين وفي اعقاب سقوط « خط بارليف » في ايدي الجيش المصري ، اضطرت اسرائيل الى اقامة التحصينات الضخمة في هذه الممرات حيث صرفت عليها مبالغ طائلة بلغت مئات الملايين من الليرات الاسرائيلية ، كما اقامت في « ام خشيب » وعلى سفوح الجبال المتحركة بالممرات والمطله على القناة والصفتين الشرقية والغربية محطة للمراقبة زودتها بأجهزة حديثة للانذار وللكشف عن تحركات الجيش المصري في الصفتين . وهكذا لم تفقد اسرائيل زمام الموقف في سيناء في اعقاب سقوط « خط بارليف » بل ظلت قواتها تتحكم في شبه الجزيرة عن طريق سيطرتها على هذه الممرات . ان اسرائيل تحتاج من الناحية العسكرية الى هذه الممرات ، ذلك لانها تخفف عليها الاعباء العسكرية وابرزها تقليل حجم القوات التي تحتاجها القيادة الاسرائيلية للمرابطة في الخطوط الامامية الحالية . ولولا هذه الممرات لكانت اسرائيل مضطرة الى وضع أعداد أكبر بكثير من القوات التي تراهب حالياً في خطوطها الدفاعية في مواجهة الجيش المصري ، مع ما يلحقه ذلك من آثار سيئة على النواحي المعنوية والاقتصادية في داخل اسرائيل . فقد اشار الى ذلك الجنرال غور رئيس الاركان الاسرائيلي بقوله « ان الانسحاب من الممرين الجبلين يلزم الجيش الاسرائيلي الاحتفاظ بقوات

الطبيعية بشكل فعال ، بالإضافة الى التحصينات التي نجحت في اقامتها في هذه الجبهات . ولولا المبرات المذكورة لكانت اسرائيل في ورطة نظرا لKبر مساحة الاراضي في سيناء وطول سواحلها خاصة بعد اجتياح الوحدات المصرية لـ « خط بارليف » . ذلك لانها لا تملك العدد الكافي من الطاقة البشرية لتشغيلها في جبهة عريضة وعميقة كجبهة سيناء . ومن حسن طالع اسرائيل ان تجيء طبيعة الاراضي في سيناء على هذه الشاكلة حيث تشكل سلسلة الجبال في الجنوب حماية ليسرة قواتها على حين تشكل الاراضي الرملية الرخوة والمستنقعات في الطرف الشمالي لسيناء حماية لKجنة قواتها . اذا تبقى خطوط القتال في اواسط سيناء ذي اهمية كبيرة ، واسرائيل قادرة عن طريق مرابطة قواتها في المبرات وبمساعدة طراناها على معالجة أي وضع حربي كان . لكن بقي ان نعلم ان الوسائل المتاحة في هذه الايام للجيش المعاصرة ، قلت الى حد كبير من اهمية الموانع الطبيعية والتحصينات الدفاعية الثابتة . فأصبح بمقدور سفن الانزال حمل مجموعات كبيرة من الجنود وانزالها في أي مكان تحدده الخطة ، كما وانه اصبح بمقدور الطائرات حمل تشكيلات مقاتلة كاملة جوا والقائها بالمظلات بعيدا خلف جبهات القتال ، بالإضافة الى طائرات الهليكوبتر التي اصبحت ايضا من الوسائل التي تعتمد عليها الجيوش في جروبها والتي بإمكانها نقل الجنود الى خلف الخطوط بسهولة كبيرة . لكن مما يساعد اسرائيل على معالجة هذه الاوضاع هو طراناها القوي . لذلك تسعى هذه الايام للحصول على الطائرات المتفوخة من الولايات المتحدة لمواجهة القوى العربية النامية .

ان ابلغ وصف لاهمية المبرات الاستراتيجية بالنسبة لاسرائيل جاء على لسان « شمعون بيريس » وزير الدفاع الاسرائيلي الذي قال عنها « هذان جبلان يساعدان شعبنا صغيرا بدون طاقة بشرية كافية في الدفاع عن مداخل بلاده . ان مصر مصرة على انسحاب اسرائيل من الممرين كليا ولو كان لدينا ما يكفي من البشر لكان بالامكان التخلي عن الجبال والحفاظ على الحدود بالاستمانة بالبشر ، ولكن عندما تكون الطاقة محدودة تحل الجبال مكان الاشخاص وبالامكان وضع نقاط مراقبة على الجبال وهكذا نحافظ على بلادنا من

يستدل من ذلك ان كافة الطرق المؤدية الى الشرق لا بد وان تمر عبر المبرات الثلاثة باستثناء الطريق الساحلي . لذلك ان ما يهم اسرائيل هو الاستفادة منها كونها موانع طبيعية مثالية لانامة خطوطها الدفاعية التي تأمل اسرائيل ان تساعدنا في صد أي هجوم تقوم به القوات المصرية باتجاه الشرق في محاولتها لاستعادة سيناء من القوات الاسرائيلية المحتلة . ثم ان القاء نظرة على خارطة سيناء يتضح من خلالها الطبيعة الجغرافية لسيناء التي تبلغ مساحتها حوالي ( ٦٠٠٠٠٠ ) كم مربع ، حيث تنقسم اراضيها الى قسمين قسم شمالي يصلح لعبور الاليات عبر المبرات التي مر ذكرها والقسم الجنوبي الذي يمتد جنوبا من خط بور توفيق في الطرف الجنوبي لقناة السويس والى الشرق حتى رأس النقب الواقعة في الطرف الجنوبي للحدود الفاصلة بين فلسطين المحتلة وسيناء وهو عبارة عن سلسلة جبال يصعب حتى على جنود المشاة ارتيادها . ان المناطق او المحاور الصالحة لعبور الاليات تتمثل في الطريقين الساحليين اللذين يمتدان على طول الساحل الشرقي والساحل الغربي لسيناء . فالاول يمتد من رأس النقب - نويبع - دهب - نبق - شرم الشيخ وطولته حوالي ٣٠٠ كم . والثاني يمتد من ميون موسى - ابو رديس - ممر الفردان - الطور - شرم الشيخ وطولته حوالي ٣٠٠ كم .

اذن يفهم من كل ذلك ان المناطق الصالحة للتحركات العسكرية ولعبور الاليات والدبابات التي تمثل رأس الحربة بالنسبة للجيش المعاصرة تكمن في الجزء الشمالي الذي تشكل المبرات بواباته . ومما يزيد من اهمية هذه المبرات انها تتحكم في المحاور الوحيدة المؤدية الى شرقي سيناء والتي بمقدور الدبابات وناقلات الجنود والاليات المرافقة لها عبورها ، وهذه الاليات عادة تكون محملة بالذخائر ومواد التموين التي تحتاجها الدبابات والاليات والطواقم المقاتلة اثناء عملها وقتالها اذا علمنا ايضا ان المناطق الواقعة شمالي المبرات تكثر فيها المناطق الرملية الرخوة ولا تصلح لعبور الاليات المرافقة للدبابات وناقلات الجنود مما يصعب عملها .

ثم ان القيادة الاسرائيلية والتي تشكو من نقص في الطاقة البشرية فانها تسعى الى استغلال الموانع

خلفية ما لم يعقبه اتفاق مماثل مع سوريا . وكما قال بيريس « ان على اسرائيل ان تسعى بعد تحقيق الاتفاق مع مصر على تحقيق اتفاق آخر مع سوريا لان اي اتفاق مع مصر سيكون لا قيمة له اذا لم يتم التوصل الى اتفاق مع سوريا ، اذ بإمكان سوريا ان تبدأ بإطلاق النار في أية لحظة وهذا سيجر مصر على التقدم لنجدتها وهي لمي اوضاع عسكرية-وجغرافية متفوتة » . الا ان اسرائيل لا توافق على التوصل الى اتفاق جزئي مع السوريين وهي تطالب باتفاق شامل ذلك لان الاراضي التي تحتلها القوات الاسرائيلية في الجولان لا تمثل العمق الكافي الذي يتيح لقوات الطرفين بالتحرك .

اذا القضية أصبحت مترابطة ولم يعد ممكنا معها التوصل الى اتفاق مع طرف واحد . لهذا ظلت اسرائيل تتهرب من اتخاذ قرارها التاريخي على امل ان تحصل على أكبر قدر ممكن من الضمانات التي تحتاجها .

هذه هي قصة المرات من كافة جوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية التي تعتبرها مصر مجرد خطوة عسكرية اخرى للفصل بين القوات على حين تحاول اسرائيل ان تجعلها تأخذ ابعادا سياسية واقتصادية وكما قال عنها مسؤول مصري « انهم يتكلمون عن ترتيبات سياسية واقتصادية ونحن نؤكد ان البحث الان يتناول خلق الجو المناسب للاعداد للحل السلمي عن طريق خطوات عسكرية لا ترقى الى مستوى المسائل السياسية وهدفنا من مناقشة هذه الترتيبات العسكرية اختبار النيات واثبات حسن النية واظهار الرغبة في الانتقال من حالة الحرب الى حالة السلام وهو طريق طويل وشاق يحتاج الى اعداد دقيق مثل الاعداد للحرب تماما » . ( النهار ١٩٧٥/٧/٤ )

٠٤٠٣

الهجوم المفاجيء » ( ر أ ، عدد ٨٤٤ ، تاريخ ١٩٧٥/٦/٢٠ ) .

هذه هي الهمية العسكرية للمرات. تبقى مشكلة حقول النفط في « ابو رديس » هذه الحقول التي تحصل منها اسرائيل يوميا على ما مجموعه (١٠٠) الف برميل وما قيمته ٢٥٠ - ٤٠٠ الف دولار. غير ان اسرائيل لا تنظر الى اهمية الابار من الناحية الاقتصادية فقط بل ومن الناحية الاستراتيجية ايضا وهي الناحية الالهة . ذلك لان هذه الابار تؤمن لها المادة الاساسية لتسيير آلتها الحربية . فقد لمست اسرائيل اهبة آبار النفط في ابو رديس في الحرب الاخيرة حيث تمكنت البحرية المصرية بمساعدة من القطع البحرية التابعة لدولتي اليمن من اغلاق مضيق باب المندب في وجه ملاحتها وهو اجراء اوقف شحن النفط اليها بعد ان كانت السفن التجارية-وناقلات النفط تفرغ فيها سنويا نحو (١٨) مليون طن من النفط الخام ، حيث كان يجري ضخه بعد ذلك من ميناء ايلات الى مصفاة النفط في ميناء اسدود على البحر الابيض المتوسط . لهذا ترفض اسرائيل التخلي عن هذه الابار وتصر على ضرورة الحصول من الولايات المتحدة على ضمانات كافية لتأمين هذه المادة الاستراتيجية بعد تسليمها هذه الابار الى الادارة المصرية . فقد اوردت صحيفة معاريف ان الولايات المتحدة ابدت استعدادا لتحويل بناء خزانات ضخمة من الوقود في اسرائيل اضافة الى تمهدها بتزويدها بالوقود في حالة السلام كما في حالة الحرب . ( النهار ١٩٧٥/٧/٤ ) . لكن اسرائيل تظل متخوفة من الابدان على هذه الخطوة الاستراتيجية التي تعتبر من أخطر الخطوات التي ستقدم عليها اسرائيل منذ تاسيسها في عام ١٩٤٨ .

ان اسرائيل تدرك جيدا ان اقدامها على الانسحاب من المرات ومن الابار هي مفتاح الموقفين السياسي والعسكري برمتهم في المنطقة . فهي تدرك ان أي اتفاق مع مصر لن تكون له أية قيمة

## عملية القدس تسبب صدمة في إسرائيل والسلطات الإسرائيلية تتشن حملة أرهاب واعتقالات واسعة

اجسور فليخرج من يريد الخروج مهما بلغ ، «  
( ر أ ، ٧٥/٧/٨ ) . أما موشي دايمان فقد أعلن  
« انه لا يجوز تجاهل حقيقة ان منظمات « الارهاب »  
تتمتع بمساعدات من الدول العربية وان جميع هذه  
الدول ، وعلى رأسها مصر ، جعلت منظمات  
المخربين تتحدث باسم الفلسطينيين ، ولهذا ينبغي  
ان يأتي ردنا في نطاق مواجهة الصراع العربي  
[ بأسره ] « ( المصدر نفسه ) . وقد أيدت معظم  
الكتل التتديد بهذه العملية ما عدا اراكاح الذي  
صوت ضد التتديد ، وموكيد الذي امتنع عن  
التصويت .

وسئل رئيس بلدية القدس ، تيدي كوليك ،  
غيا اذا كان يرى في هذا الانفجار بميدان صهيون  
تصعيدا للعمليات الفدائية في العاصمة ، فاجاب:  
« عرفنا طيلة الوقت ان القدس هي الهدف الرئيسي  
لدى المخربين ... وقد حدثت خلال الفترة الاخيرة  
نحو ٤٠ عملية في القدس . وقد هنأنا أنفسنا يوما  
بعد يوم بأنه لم تحدث كارثة ، ولكننا خفنا من ان  
يحدث شيء ما في أحد الايام «ويعصطادوننا» . وهنا  
حدثت الكارثة المخيفة « ( معارف ، ٧٥/٧/٧ ) .  
وعلقت صحيفة دافار شبه الرسمية في افتتاحيتها  
( ٧٥/٧/٦ ) على هذه العملية بقولها « ان الانفجار  
في ميدان صهيون في القدس يفوق من حيث خطورته ،  
عمليات الارهاب في العاصمة منذ مدة طويلة في  
نتائج الملتحة بالدماء » . وطالبت الصحيفة  
باطلاع كافة الجهات ، سواء الحكومات او  
المنظمات التابعة للأمم المتحدة ، على نتائج هذه  
العملية ، لان هذه المنظمات منحت ، او تدرس  
منح الاعتراف لمنظمة « القتل » ومثيلها . واشارت  
الى ان الاستعداد الداخلي ضد « الارهاب »  
ليس كافيا ، حيث ان اجهزة المراقبة والاشراف  
الروتينية غير ناجحة ، « ويجب استخدام مجموعة  
من القوانين التي تمنع وضع الافراض في أي مكان  
عام . وان الاهمال بهذا الشأن معروف لكل من  
يعيش في مدن إسرائيل » .

نفذ السديسون الفلسطينيين واحدة من أهم  
العمليات الفدائية ضد الكيان الصهيوني ، وذلك  
بميدان صهيون في شارع يافا في مدينة القدس .  
وحدثت العملية يوم ٧٥/٧/٤ ، حيث وضعت كمية  
كبيرة من المتفجرات داخل ثلاثة قديمة . وقد نتج  
عن الانفجار الكبير مقتل ١٤ شخصا وجرح اكثر  
من ٧٠ آخرين ، ومعظمهم من الذين كانوا على  
بعد عشرات الامتار من مكان الانفجار ( دافار ،  
٧٥/٧/٦ ) . وهرع الى مكان الحادث رجال الشرطة  
وقوات حرس الحدود الذين أغلقوا المنطقة ،  
وقاموا باعتقال المئات من المواطنين العرب ، وكذلك  
حضر الى المنطقة رئيس الحكومة ووزير الدفاع  
ورئيس بلدية القدس وقائد المنطقة الوسطى  
والفتش العام للشرطة .

ومن جهة أخرى ، اثاره هذه العملية ردود  
فعل عنيفة ومتفاوتة لدى مختلف الجهات  
الإسرائيلية ، ودعى الكنيست الى اجراء نقاش  
حولها . وأعلن رئيس الحكومة ، يتسحاق رابين  
خلال تلك الجلسة ، معلقا على الحادث بقوله ،  
ان القتل في ميدان صهيون يجب ان يكون علامة  
تحذير من الوقوع في الاوهام الخطرة بالنسبة  
لاتجاهات منظمات « الارهاب » . ولذلك فاننا  
سنواصل التمسك بسياسة إسرائيل الداعية الى  
عدم اجراء أية مفاوضات مع تلك المنظمات . ان  
اللغة الوحيدة التي يفهمونها هي لغة السيف  
وسنخاطبهم بها ( هارتس ، ٧٥/٧/٨ ) .

كما تحدث في تلك الجلسة النائب حاييم لاندوا  
( ليكود ) الذي اتهم الحكومة باتباع وسائل دفاعية  
فقط في حربها ضد « الارهاب » ، وبأنها لا تنتهج  
خط الهجوم المضاد المستمر . وقال « ان العملية  
التي نفذت هذه الليلة في لبنان لا تساعد كثيرا لانها  
مجرد عملية انتقامية فقط » . واقترح لاندوا  
السماح للزوار العرب الذين تزيد اعمارهم على  
٦٠ عاما فقط بالدخول عبر جسور الأردن الى  
المناطق المحتلة . اما « بالنسبة للخروج عبر

### حملة اعتقالات واسعة

من المعتقلين هم من الفلسطينيين المسيحيين . كما تم اعتقال طلبة جامعيين من بين الذين يدرسون في البلدان العربية ، الذين حضروا لقضاء العطلة الصيفية ( دانار ، ٧٥/٧/٨ ) . ويلاحظ مدى عنف وشراسة حملة الاعتقالات هذه في قيام السلطات الاسرائيلية باعتقال معظم الطلبة العرب الذين يدرسون في الخارج والتحقيق معهم ، وكذلك اعتقال مئات الأشخاص بمجرد الاشتباه بهم .

إضافة الى حملة الاعتقالات الاخيرة ، التي جاءت بسبب عملية القدس ، تقوم السلطات الاسرائيلية - كما اشرنا - منذ بضعة أشهر بحملات اعتقال واسعة في المناطق المحتلة . وتشير بعض المصادر ( يديعوت احرونوت ، ٧٥/٧/٦ ) الى ان عدد المعتقلين ، منذ شهر كانون الثاني الماضي وحتى اليوم بلغ ١١٧٨ شخصا ، منهم ٧٦١ لا يزالون رهن الاعتقال وسيقدمون للمحاكمة . ويلاحظ ان النشاط الفدائي في تصاعد منذ مؤتمر الرباط وخطاب عرفات في الامم المتحدة .

ومن بين المعتقلين في الضفة نحو ٦٠ من طلبة المدارس الثانوية . كذلك اعتقل مدير كلية بيت لحم ، الدكتور انطون صنصور ، الذي أطلق سراحه بعد ٥ ايام من اعتقاله . وقد تم اعتقال الطلاب الثانويين بعد ان ازداد النشاط المعادي لاسرائيل لدى هذه الاوساط ، في الوقت انذني يساعدهم فيه المعلمون والمدراء بطرق مختلفة ، رغم ان السلطات امتنعت حتى الان من اعتقال اولئك واكتفت بالانذار ( معاريف ، ٧٥/٦/٢٩ ) .

وضمن حملة الاعتقالات الاخيرة ، تم اعتقال نحو ٥٠ شخصا من منطقة الخليل ، اتضح ان نصفهم على الاقل كانوا في بداية اقامة تنظيم معاد . وقد دهمت ٣ بيوت في المنطقة واغلق بيتان آخران . واكتشفت خلية فدائية في منطقة طولكرم ، يبلغ عددها سبعة أشخاص ، معظمهم من الطلاب . واعتقل ايضا أكثر من ٣٠ شخصا في جنين ونابلس ( المصدر نفسه ، ٧٥/٦/٢٧ ) .

ومن جهة ثانية اعتقلت أجهزة الامن الاسرائيلية قبل نحو ثلاثة اسابيع علي سعيد عيود زبيدات ، وعمره ٢٣ سنة ، من قرية مخنين في الجليل بتهمة القيام بنشاط معاد . وقال المتحدث باسم الشرطة الاسرائيلية ، ان المتهم جند من قبل «فتح»

تقوم السلطات الاسرائيلية منذ مدة بشن حملات اعتقال واسعة في كافة انحاء المناطق المحتلة لمكافحة النشاط الفدائي . وقد ازدادت حملات الاعتقال هذه حدة بعد تنفيذ عملية القدس ، واقامت عشرات الحواجز على الطرقات بهدف اعتقال الأشخاص الذين وضعوا الملاجئ في الميدان . كما تم اعتقال المئات من المواطنين العرب ، والتحقيق معهم . ووصفت بعض المصادر هذه الحملة بقولها : « ان الجهد الكبير من قبل أجهزة الامن من أجل القبض على متفذي هذه العملية التخريبية في القدس هو بحجم لم يسبق له مثيل منذ سنوات ، منذ « ليلة القنابل » والانفجار في سوق محانيه يهودا [ في القدس سنة ١٩٦٨ ] » ( معاريف ، ٧٥/٧/٧ ) .

وعلى اثر حدوث الانفجار في القدس أغلق جسر النبي ودامية ، وذلك للحيلولة دون محاولة هروب متفذي العملية الى الاردن . ولكن المصادر الاسرائيلية اشارت بعد ذلك ، الى ان بعض افراد المجموعة الفدائية التي نفذت العملية ، تجحوا في العبور الى الاردن عن طريق الجسور ( يديعوت احرونوت ، ٧٥/٧/٨ ) . ومن جهة ثانية ، تدرس سلطات الامن الاسرائيلية امكانيات اخرى لتقييد الحركة على جسور نهر الاردن ، بهدف تقليص استعمال الجسور « لاغراض التخريب » قدر الامكان . وقد تقرر مؤخرا تقييد خروج الشبان العرب من المناطق المحتلة الى الدول العربية الى فترة لا تقل عن ستة شهور . وبهذه الوسيلة تريد السلطات الاسرائيلية ان تقيد سفر الشباب بشكل يصعب معه عليهم اقامة علاقات وثيقة مع المنظمات الفدائية . كما تدرس تلك السلطات مقترحات مختلفة من أجل احباط هروب « مخططي ومنفذي العمليات التخريبية » ( معاريف ، ٧٥/٧/٨ ) .

وفي هذا الاطار ، يجري ايضا فحص وتفشيح مئات السيارات من الضفة الغربية من قبل قوات الامن الاسرائيلية ، وخاصة تلك التي تشسبه السيارة التي استعملها الفدائيون لنقل الملاجئ الى القدس ، واعتقل عدد من سائقي هذه السيارات . هذا وتتركز حملة الاعتقالات بصورة خاصة في منطقة بيت لحم والخليل ، والكثيرين

وأشارت المصادر الاسرائيلية الى ظاهرة تنوع العمليات الفدائية ، ومنها عمليات ضد محطات نقل الجنود ، في القدس وبالقرب من بيت جبرين وآدوريم . كذلك نفذت عمليات أخرى منها سكب السولار وزرع المسمار على الطرقات ، التي تمر فيها السيارات العسكرية . ومن الجدير بالذكر هنا ، ان الصحافة الاسرائيلية أكثر من الحديث خلال الفترة الاخيرة ، عن وجود عشرات من الطيارين الفلسطينيين التابعين للمنظمات الفدائية ، ويخدمون في بعض أسلحة الطيران العربية ، الذين يمكن أن يقوموا بهجمات فردية ضد اسرائيل ( معارف ، ويديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/٢٣ ) .

### اساليب محاربة « الارهاب »

ادى تزايد العمليات الفدائية الى اعتراف الاسرائيليين بوجود تعاون وثيق بين العرب في المناطق المحتلة والمقيمين في اسرائيل مع المنظمات الفدائية واستعداد هؤلاء للاشتراك في هذه العمليات . ونجم عن هذا الوضع توجيه مزيد من اللوم للسلطات الاسرائيلية بسبب تقصيرها في منع هذا التعاون . وعلق أحدهم على ذلك بقوله : « من الصعب التخلص من الشعور بالتقصير ، عندما نستعرض الميزان الدموي لاهمال القتل والارهاب ، التي تنفذها منظمات المخربين داخل الدولة مقابل نجاح اسرائيل الجزئي في حربها ضد هذه المنظمات . علينا الا نخدع أنفسنا وننصرف كالتعمية في هذه المسألة الحاسمة . علينا ان نسأل [ السلطات ] : أين نجحتم ؟ فالمنظمات التخريبية ، بصورة او بأخرى ، قائمة وتعمل ضد اسرائيل ... لا يوجد لدي احصائية ، ولكن مئات من مواطني الدولة قد قتلوا وأكثر من هذا جرحوا ، نتيجة لعمليات الارهاب والتخريب العربية . وقد تم استثمار أموال طائلة وطاقات بشرية في حراسة حدود الدولة ... وبعد السنوات الطويلة من فقدان الاحياء واستثمار خيرة الوسائل والتمويل ، علينا ان تجري ثورة في سياسة وأساليب اسرائيل في محاربتها ضد منظمات الارهاب والقتل » ( أوري بن - آرى - ويديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/٢٣ ) .

وعاد البعض الى الاقتراحات القديمة ، التي كانت تقدم من حين لآخر ، لمحاربة الفدائيين ومنها اقامة وحدة خاصة في الجيش الاسرائيلي ، تكون

عندما كان في أوروبا ، وزود بجواز سفر تونسي ونقل الى بيروت حيث تم تدريبه على الاسلحة والمتفجرات ثم عاد الى أوروبا ، ومنها الى اسرائيل للقيام بعملية تنظيم داخلها . والمتهم خريج جامعة حيفا ( هارتس ، ٧٥/٧/٤ ) .

### الفدائيون يشكلون قوة عسكرية لا يستهان بها

أدى تطور العمليات الفدائية وكثافتها ، الى مطابئة العديد من الاسرائيليين بعدم الاستهانة بقدره المنظمات الفدائية ، والعمل على مواجهتها بأساليب وطرق متطورة أكثر من تلك المتبعة حتى الان . وعلق أحد المراسلين العسكريين على ذلك بقوله : « ان صورة الوضع لدى منظمات المخربين ، كما تبدو في نهاية شهر حزيران ١٩٧٥ ، لا يوجد فيها ما يشجع سكان اسرائيل . ففي الوقت الذي أصيبت فيه قوتهم السياسية بالاضرار ، الى حد ما ، في أعقاب الاجراءات السياسية الاخيرة في الدول العربية ، زادت المنظمات التخريبية من قوتها العسكرية بأحجام كبيرة جدا . وفي حال اندلاع حرب أخرى في منطقة الشرق الاوسط ، فإنه من غير الممكن تجاهل هذه القوة العسكرية التي تشخذ اسمائها في سوريا ، وبصورة خاصة في لبنان . وهذا يمكن ان يكون بكل تأكيد عاملا عسكريا ذا وزن متزايد ، يتطلب من الجيش الاسرائيلي اعطاء أجابة لعدد من الاسئلة ... » ( ايتان هابر - ويديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/٢٣ ) .

وتحدثت المراسل نفسه عن الاهداف التي يسعى الفدائيون لتحقيقها من وراء التركيز على العمليات في القدس فأعرب عن رأيه في ان السبب في ذلك يعود الى ان كل عملية في القدس تحظى بصدى دولي كبير . وان الفدائيين يقصدون ضرب امكانية التعايش بين العرب واليهود في المدينة ، والاثبات للعالم بأن ذلك لن يتحقق طالما انه لم يتم حل المشكلة الفلسطينية ( المصدر نفسه ، ٧٥/٧/٦ ) . كما أشار الى التصعيد في عدد العمليات الفدائية فذكر ان ١٥٥ عملية وقعت منذ الاول من كانون الثاني ١٩٧٥ ، ابتداء من عملية كنفار يوفال وانتهاء بوضع حواجز الحجارة على الطرقات وقطع أسلاك الهاتف ، وان نصف العمليات ( ٧٢ ) وقعت في الضفة الغربية ، ومنها ٥٢ عملية في القدس ( المصدر نفسه ) .

بالضربة العربية التي تسبقها « ( معاريف ،  
٧٥/٧/٩ ) . « ان غاية الحكومة الوحيدة هي  
تهذئة مشاعر الغضب والانتقام في قلب الجمهور .  
وطالما ان مقاومة الارهاب تجري طبقا للتواعد  
التي يحددها المخربون فلن تحدث محاولة جديدة  
من جانب اسرائيل لاختذ المبادرة من ايديهم . ولقد  
حان الوقت لان تعمل الحكومة طبقا لتصريحاتها ،  
فتشن حربا متواصلة ومستمرة ضد الارهاب »  
( المصدر نفسه ) .

هذا ووصل رد الفعل لدى بعض الفئات  
الاسرائيلية الى حد تكوين منظمة لمحاربة الفدائيين،  
اطلقت على نفسها اسم « الارهاب ضد الارهاب » .  
وقد اعتقلت الشرطة الاسرائيلية اربعة شبان يهود  
من أعضاء هذه المنظمة ، في القدس القديمة ،  
وهم في طريقهم لتنفيذ عملية حرق في أحد المساجد  
( هآرتس ، ٧٥/٦/١٨ ) .

## حمدان بدر

مسؤولة عن محاربة المنظمات الفدائية بأساليب  
غير روتينية بهدف تحقيق الانتصار في هذه الحرب .  
وأعلن أحدهم « ان هناك طريقة واحدة لجعل  
هذه الحرب ناجحة ، وهي ضرب مصادر تمويل  
ودعاية وتنظيم الارهاب العربي خارج حدود الدولة  
وحتى خارج حدود الشرق الاوسط . وهنا يجب  
العمل ببدأ النفس بالنفس والدم بالدم والبيت  
بالبيت . . . ويجب ان تحدث اولا ثورة في أساليب  
تجنيد وتنظيم الشبيبة اليهودية في العالم في جهاز  
من « الدفاع الذاتي » . . . وانه لمن الصعب الاعتقاد  
بان زعامتنا الحالية قادرة على احداث هذه الثورة  
العبيقة » ( موشي شامير - معاريف ، ٧٥/٦/١٧ ) .  
وسخر البعض من تصريحات الحكومة حول نيتها  
محاربة الفدائيين ، بقوله « ان الحكومة تعد منذ  
سنوات ، ويعد كل عملية يقوم بها الفدائيون  
بمحاربة الارهاب العربي دون هوادة . الا ان  
سنوات طويلة مضت حتى الان ، وكانت ترجمة  
هذا الوعد دائما انزال ضربة واحدة مرتبطة

[ ٤ ]

## كفرشوبا البوصلة ، ورأس السهم

اذن من المراهبين الدوليين وبالتالي من قبل العدو الصهيوني ، وصمود قوى الثورة الفلسطينية اضافة لمصمود الاهالي الى البلدة ، ولمساندة مجموعات اخرى من الحركة الوطنية ، الغي هذا الاذن ، والغى الاحتلال غير المعلن وقبر المباشر على هذه القرية .

٢ - ادى نزوح الاهالي من كفرشوبا الى نزوح اهالي كفرحمام وراشيا الفخار ، وقسم من اهالي الهبارية ، وكانت العودة الى كفرشوبا ، العودة الجزئية والقصيرة ، تهدف للضغط على الدولة باتجاه التعمير ، اضافة الى ان مساندة القوى الوطنية في الضغط كان لهذا الهدف والعودة القصيرة والمؤقتة ، ساعدت الذين نزحوا من القرى الثانية على العودة الى قراهم ، وكان هذا يعني انقشال ما كانت تريده اسرائيل من افراغ الارض ، تمهيدا لتحقيق اطماعها .

٣ - واذا كانت اسرائيل تريد من كفرشوبا ان تكون رأس الرمح الموجه الى صدر الحركة الوطنية ، والى صدر الثورة الفلسطينية ، فان القوى الوطنية من اهالي كفرشوبا ومن القوى التي ساعدت الاهالي ، كانوا يريدون ان تكون كفرشوبا رأس الرمح الموجه ابدا باتجاه الجولان والجليل وكل الارض المفتتحة . وتطور الاتجاه المطالب بالتعمير والتحصين تمهيدا للعودة ، اذ كان يرى ان التخلي عن الارض ، ارض كفرشوبا، بداية لتوجيه السهم الصهيوني باتجاه الثورة الفلسطينية ، وباتجاه الحركة الوطنية اللبنانية ويعني ذلك تحقيق الحلم الصهيوني . وكان هذا الاتجاه يرى بعقم التعامل مع قضية كفرشوبا كقضية لاجئين ، ولهذا كان الاصرار على التعمير تمهيدا للعودة . اذ ان قضية كفرشوبا ، هي قضية جزء من الوطن شرد ، وعلى كافة القوى الوطنية ان تعمل من اجل الرجوع الى هذا الجزء من الوطن . وعلى اساس الدفاع عن الارض استشهد قسم من اهالي كفرشوبا ، اولهم حسين

عندما قام العدو الصهيوني بهجومه على كفرشوبا في ١١/١/١٩٧٥ قام المحللون الصهاينة بدراسة انعكاسات هذا الهجوم على الوضع اللبناني من جهة ، وعلى الوضع داخل فلسطين المحتلة من جهة ثانية . وتوصل المحللون آنذاك الى تقديم النصائح للقيادة الصهيونية ، موصين بعدم تكرار هكذا عمليات ، وبالتركيز على العمليات في المدن ، وفي العمق وقد اعتبر البعض من المحللين الصهاينة بان عملية كفرشوبا كانت فاشلة ولا يجب أن تتكرر . ولكن لماذا اعتبرت من العمليات الفاشلة ؟ لان اسرائيل خلال اربعة ايام متواصلة وبقوة كثيفة حاولت الدخول للبلدة ولكنها لم تستطع ، نتيجة لصمود قوى الثورة ، ونتيجة لمصمود الاهالي ودفاعهم عن ارضهم ، ولهذا فقد دمرت البلدة ، اذ من اصل ثلاثماية وخمسين منزلا دمر ما يزيد عن مائتي وخمسين منزلا . كما أعادت الكرة في ١٥/٦/١٩٧٥ ، فدمرت القسم الباقي من البيوت . وهذا ما أدى الى تشريد حوالي ٢٥٠٠ مواطن « سكان القرية » عن منازلهم . ورغم ما حصل استمرت قوى الثورة في التواجد واستمر الاهالي في صعودهم للقرية . وغشل العدو في تحقيق اي من اهدافه ...

هذا وكان للهجوم الصهيوني انعكاسات مهمة على الصعيد الداخلي ، اذ طورت اتجاها بالتصدي للعدو الصهيوني ، وقد شكلت مجموعة من اهالي كفرشوبا ، والذين تصدوا للعدو الصهيوني الى جانب قوى الثورة الفلسطينية النوى المتقدمة في ذلك ، كما لعبت الجبهة الوطنية الطلابية اضافة الى مجموعة من المؤسسات والقوى الوطنية دورا رائدا على هذا الطريق . وقد حقق هذا الاتجاه بالنسبة لكفرشوبا بعض النجاح اذ أدى الى ما يلي :

١ - فور تهديم كفرشوبا من قبل العدو الصهيوني والى حوالي بداية الشهر الثاني من عام ١٩٧٥ ، كان الصمود الى كفرشوبا بحاجة الى

٢ — علينا بالعمل من أجل تطوير وإيجاد شبكة مستوصفات ومستشفيات في كل منطقة الجنوب وخاصة في المناطق الحدودية ، وكذلك إيجاد ملاجئ حصينة تستطيع ان تحمي المواطنين من الاعتداءات الصهيونية المتكررة .

٣ — هناك عشرات المصابين ، والمشوهين ، والشهداء ، من جرائم الاعتداءات الصهيونية ، ولهؤلاء حق في العيش الكريم كمواطنين ولا يجب ان نهملهم ، بل يجب ان نفتخر ونعتز بهم لانهم قدموا دمهم من أجل الدفاع عن الوطن . لهذا علينا بالعمل من أجل إيجاد مؤسسات مهنية ، يعملون بها ومن خلالها يصار الى الاعتناء بهم وبعائلاتهم .

٤ — علينا ان تناضل من أجل ان يكون الجنوب المنطقة الحصينة والاكثر صمودا من حيث وجود قوى تدافع عنها . وهذا بحاجة الى الثقة وتطوير الوحدة الوطنية ، وتطوير العلاقات الجبهوية بين كل القوى الوطنية العاملة في الجنوب وفي الوطن العربي وما الانتصارات التاريخية على المساحة العربية الا دليلا على ذلك .

وأخيرا .. فالجنوب وبشكل خاص المناطق الحدودية وخاصة كفرشوبا المهتدة باستمرار بالاحتلال ، بعد تهديم منازلها ، وتشريد أهلها ، بحاجة الى دعم ومساندة من قبل الشعب العربي والقوى والحركات الوطنية منه . وذلك من أجل ان تكون نغلا قلعة للصمود . ومكانا نفتخر به على مر التاريخ .

## فرحان صالح

علي قاسم ، وآخرهم ام هاني وابراهيم حمد وعلى هذا الطريق جرح العشرات من الاهالي وعلى طريق تحرير فلسطين ، وعلى طريق التمسك بالارض وبقدسيتهما نشأت وتطورت الثورة الفلسطينية والاحزاب القومية والوطنية ، وفي هذا الاتجاه نشأت وتطورت الجيوش العربية ، وعلى هذا الطريق نشأ وتطور الارادة العربية الصلبة ومن بينها تبلور ارادة أهالي كفرشوبا وتصميمهم على تعمير بلدتهم تهييدا للعودة اليها .

كفرشوبا ، تجسد اليوم البوصلة ، التي يجب ان نتوجه باتجاهها دائما . فهي عنوان الصمود ، وهي نقطة الخطر . نقطة الصمود اذا عملنا من أجل تعميرها وتحسينها والعودة اليها مع الدفاع منها . ونقطة الخطر اذا ارتضينا باللجوء المهين والتخلي عنها كقضية لها ابعاد وطنية ذات اهداف بعيدة .

واليوم اذ نتوجه للرأي العام في لبنان والوطن العربي طالبين العمل من أجل ما ذكر ، نتوجه ونحن نرفع شعارا « ادفع قرشا تساعد في تعمير كفرشوبا وفي تعمير وتحصين الجنوب » .

ولتحقيق ما ذكر يلزم ما يلي :

١ — العمل على تعمير كفرشوبا ، مع توفير الشروط الاقتصادية لاهاليها ، ولكل منطقة الجنوب ، وذلك بايجاد بعض الصناعات التي يمكن ان تشغل القسم الاكبر من أهالي المناطق الحدودية خاصة . مع التركيز على تنفيذ مشروعى مرفأ صيدا والليطاني .

### ثلاث ملاحظات من « كفار يوغال »

ثانيا ، ثم ثالثا وأخيرا العجز الاسرائيلي امام العمل الفدائي الفلسطيني .

● اسرائيل — ومن قبلها ومعها الصهيونية بكل اخطبوطها العالمي — بارعة ، ماهرة في الاعلام وفي ميدان الدعاية واستشارة المواطنين . وخبراء الدعاية الاسرائيليون يعرفون كيف يخاطبون الرأي العام العالمي والغربي بصفة خاصة وكيف يستميلونه اليهم ، أو يزيدون ميله اليهم . ولذلك أصبحت تتكرر في كل عملية فدائية ينفذها الفدائيون في احدى مدن أو مستعمرات اسرائيل ، صورة الام التي فقدت طفلها في هذا الهجوم . الطفل هذه المرة رضيع بل ان وكالة انباء امريكية هي الاسوشيتدبرس قالت ان الارهابيين احتجزوا عدة اطفال ، جرح واحد منهم !! فضلا عن ان الاسرة كلها نكبت بالقتلى والجرحى . نفس الشيء قالت اسرائيل من قبل تقريبا في عمليات مماثلة في كريات شمونة ، ومعالوت ، وبيسان . والحديث عن الاطفال « اليهود » نغمة ثابتة في الاعلام الاسرائيلي والصهيوني . ما من فيلم صهيوني عن الحرب العالمية الثانية الا وتجد فيه بشكل أو آخر لمسة عن الاطفال .

ان التصوير الاسرائيلي مهما كانت براعته لن يضل الا الذين حددوا جواقمهم وانتهوا الى مفاصلة اسرائيل على طول الخط ، والذين لا يكفون انفسهم مؤونة السؤال : وماذا عن الاطفال العرب ؟ في دير ياسين وكفر قاسم وبحر البقر والكرامة وتقليلية وغيرها وغيرها ، او ماذا عن هؤلاء الشباب في عمر الورد يقومون بعمليات انتحارية . لماذا . . لماذا ؟

والتباكي الاسرائيلي الدعائي لا يمكن ان يغطي على القتل الحقيقيين . والعالم لم يعد أصبا عن سماع كلمة الحق العربي .

● فرضت اسرائيل سرية مطلقة او « تعتيما » على انباء العملية . ولم تخرج من اسرائيل الا الصورة الرسمية التي يرئسها قادة اسرائيل ان ينقلوها الى العالم ، بل والى مواطنيهم أيضا .

مرة أخرى ، صمم أربعة فدائيين على أن يرووا ثرى فلسطين بدمائهم . ودم الشهيد عطر الارض ، وأرض فلسطين اليه ظمأى . والدم ضريبة واجبة السداد وبدون تأخير عندما لا يصير لدى المرء ما يفقده سوى حياته ، فيحسب تأثيرها وأثرها في البشرية منذ وجدت الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، فيكون الاقدام على الاستشهاد هو الفعل الوحيد الذي يجعل للحياة معنى . والاستشهاد هو الشهادة على براءة النصر ، والشهادة أيضا بأنه طالما هناك من يدفعون حياتهم ، وعن طواعية ، ثمنا . فان المستقبل لن يكون الا للشهداء . للعالم الذي يريدون ، ومن أجله يستشهدون ، وللحياة التي تنموها ، فمدوا أجسادهم جسرا اليها ، وبالدماء رشوا الطريق ليعبدها ويمهدوها . والانسانية الحقبة ، على ضفاف الاستشهاد تنمو . وطعم الشهادة لا يعرفه الا من يكابده . وحين تصعد روح الشهيد لا يستطيع ان يكرر الفعل ، ولا يحدثنا عن التجربة ولكنه يدعونا ان نتذوقها ويقول لنا تعالوا الي . ويضيف : ولا تكونوا مع الذين يقولون لآخوانهم هلموا الينا ، ولا يأتون اليأس الا قليلا . والكلمات صامتة ، عاجزة ، قبيحة ، متحجرة ، أما الاستشهاد فناطق بأوضح لسان ، وبأوضح بيان . واللجنة على من يبيع الكلمات ويتاجر بالقول دون الفعل .

هذه بعض حكمة الاستشهاد . وما نراه نحن — جفا وصدقا — الشهادة والتضحية ، العدو لا يراه — ولا يمكن ان يراه — الا اربابا وعدوانا ، مع ان العدو هو آخر من يحق له الحديث عن الارهاب والعدوان . وحين ترمي اسرائيل بعض أعمالنا بأنها ارباب وعدوان ، يجب ان لا نفرغ من ذلك .

وفي ضوء هذا ، يرد على ما جرى في كفار يوغال — وهي مستعمرة زراعية في الجليل الاعلى المقنص منذ سنة ١٩٤٨ — ثلاث ملاحظات حول التباكي الاعلامي الاسرائيلي اولا وحول السرية المطلقة التي فرضتها اسرائيل على هذه العملية

ارض الواقع ، وفضلت الاغلبية ان يكتفى ببيانات رسمية . وحين يصل الامر الى حد ان اغلبية « شعب » ما تطالب بحرماتها من المعلومات ، فان هذا يكشف مدى التدهور — ! — في هذا المجتمع ، الذي طالما تم تصويره على انه «مجتمع نموذجي»!! مجتمع الكيبوتزيم ، والموشاف ، والقريبة الصهيونية ، مجتمع الجدناع والجيش الذي يعتمد على الاحتياطي ! فاذا به اليوم المجتمع الذي لا يريد ان يرى وجهه !

● ووقوع هذه العملية بعد كل اجراءات اسرائيل عن الامن وحراسة حدودها مع لبنان ، والقوات الخاصة لتعقب الفدائيين ، والحرس المدني ، وقوات الحدود وغيرها ، يدل على ان اسرائيل عاجزة عن « مكافحة الفدائيين » .

ويستط شهيد ... ويرتفع لواء ثورة حتى النصر .

**عبد العال الباقوري**

وكان شمعون بيريز وزير دفاع اسرائيل قد أصدر تعليماته بعد عملية الهجوم الفدائي على غنشدق سافوي في تل ابيب في مارس الماضي ، بعدم ذهاب رجال الاعلام — الاسرائيلي والاجنبي — الى ارض اي عملية فدائية ، وادعى بيريز ان هذا يعطل عملية الانتقاذ . وبناء عليه منعت التغطية الاعلامية لعملية كفار يوغال من ارض المعركة ، وانتظرت وكالات الانباء واذاعة اسرائيل وصحفها المسائية التصريحات الرسمية عن العملية . وهي بالطبع بلاغات غامضة وكاذبة . والهدف من كل هذا هو تجنب التأثير الذي تتركه الروح الفدائية الفلسطينية على سكان اسرائيل ، من ناحية ، والبعيد عن التصوير الحقيقي للحدث الذي يكشف ان اسرائيل ترفض دائما مطالب الفدائيين ، وتهاجمهم وتتسبب في سقوط الضحايا .

ومن اغرب الامور ان الرأي العام الاسرائيلي نفسه ، كما اشارت الى ذلك نتائج استفتاء اجري اخيرا ، لا يريد ان يتابع بدقة التغطية الخيرية من

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

كتاب

**القوات المدرعة الاسرائيلية**

**عبر اربع حروب**

بقلم

محمود عزمي

٥٢٢ صفحة باربع لسرات فقط

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

## جدول بالمهمات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٦/١٣ - ١٩٧٥/٧/١٤

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلح	خسائر العدو البشرية	خسائر المقاومة	المصدر :
					المستعمل	قتل جرح	١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩	البلاغ العسكري تاريخه
١	٦/١٣ -	—	بيسان	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	— — — — —	٧٥/١٩٢
٢	٦/١٤ -	٧٤٠٠	ابوكبير/جنوب يافا (١)	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	— — — — —	٧٥/١٩٣
٣	٦/١٥ -	٥٤٠٠	كفار يوغال	مجوم	أسلحة مخفية	٣٧ ٢٢	٤ — — — —	٧٥/١٩٤
٤	٦/١٦ -	—	نهاريا	تصفد	مزاريح ثقيلة	غير محدد	— — — — —	٧٥/١٩٦
٥	٦/١٨ -	—	ممشيل هفتسا	تفجير	عبوة ناسفة	—	— — — — —	٧٥/١٩٧
٦	٦/١٠ -	٢٤٠٠	مشمشال ديتيد	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	— — — — —	٧٥/١٩٨
٧	٥/٢٠ -	—	ابوطولقة/سنيان	تفجير	لغم	—	— — — — —	٧٥/١٩٩
٨	٥/٢٧ -	—	خان بونفس	تفجير	لغم	غير محدد	— — — — —	٧٥/١٩٩
٩	٦/٢ -	—	بين رنج والعريش	مجوم	أسلحة رشاشة وتفابل يودية	غير محدد	— — — — —	٧٥/١٩٩

تدمير بلدوز  
تدمير سيارة عسكرية وقتل  
وشرح من فيها والاستيلاء  
على أسلحة ومعلومات

تدمير سيارة عسكرية وقتل  
وشرح من فيها

٦/٢٠	٧٥/٢٠٠	—	—	تدمير عدد من السيارات التابعة للخبرات العدو في كراخ بشراخ بجرانس واصابة المباني المجاورة بأضرار	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	تل ابيب	—	٦/٢٠ — ١٠
٦/٢٢	٧٥/٢٠١	—	—	تدمير اربع سيارات وباص لشركة دان واصابة السيارات الاخرى بأضرار	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير اوربويد/جنوب شرقي تل ابيب (١)	٤٤٠٠	٦/٢٣ — ١١	
٦/٢٣	٧٥/٢٠٢	—	—	تدمير سيارة فضابة في الجيش وقتل وجرح من فيها	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	تل ابيب	١٢٤٠٠	٦/٢٣ — ١٢
٦/٢٣	٧٥/٢٠٣	—	—	مقتل صعد من اللقبين والهندسين في جيش العدو اثر انفجار العبوات المشرقة داخل أحد الكابلات الرئيسية للهاتف التابع لجيش العدو	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	بين جنين ونابلس	—	٦/٢٣ — ١٣
٦/٢٥	٧٥/٢٠٤	—	—	اشغال الطيران داخل بيت الشباب التابع للمعتقلين قرب الحرم الابراهيمي	غير محدد	عبوات حارقة	تفجير	الخليل	١٨٤٣٠	٦/٢٤ — ١٤
٦/٢٦	٧٥/٢٠٥	—	٤	تدمير عدد من آليات العدو ومهاجمة مركز حرس الحدود	غير محدد	مخالف صاروخية وأسلحة رشاشة	مجموع	ادميت/الخليل العربي	٢٢٤٤٥	٦/٢٥ — ١٥

الرقم	تاريخ العملية الرقم	موقعها	النوعية	السلح	خسائر المدو	خسائر المدو	المصدر :
	الرقم	بوتقها	العملية	المستعمل	البشرية	خسائر القاذورة	البلاغ المسكوي تاريخه
١٦ - ١٦	١/٢٦	—	—	عبوة ناسفة	—	—	٧٥/٢٠١
		ريح	تفجير				
١٧ - ١٧	١/٢٩	طربيا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	—	٧٥/٢٠٧
١٨ - ١٨	١/٢٠	باج فكفا	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	—	٧٥/٢٠٨
١٩ - ١٩	١/٢٠	رأس المون	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	—	٧٥/٢٠٨
٢٠ - ٢٠	٧/٢	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	٧٥/٢٠٩
٢١ - ٢١	٧/٤	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	٢٠٠ ١٥	—	٧٥/٢١٠

تدمير محطة المياه المركزية  
وقطع المياه عن جميع  
المستوطنات المجاورة  
الريف

تدمير واقتحام النيران في  
مبنى البلدية

احراق مخازن الورق النابذة  
لجيش العدو

اقتحام النيران في مستودع  
الخباب

تدمير سيارة في شارع هليل  
واصابة عدد من السيارات  
والمباني بتفجير

تدمير احدى المنشآت وعدد  
الحلات والابنية منها مركز  
الشبيبة الطلابية  
المسيونية وأحد البنوك  
وعدد من السيارات  
واقتحام النيران فيها  
وقطع التيار الكهربائي  
والاتصال الهاتفي عن  
المنطقة

٧/ ٦	٧٥/٢١١١	— — —	تدمر جزء كبير من مبنى يسكنه أحد كبار ضباط مخابرات العدو	غير محدد	ميوارات ناسفة	تفجير	بيت عام/جنوب تل ابيب	١٠٤٠٠	٧/ ٥ — ٢٢
٦/٢٥	٧٥/٢١١٢	— — —	اشغال النيران في خزانات غاز تابعة لجيش العدو وامتدادها لمنبع للزجاج	—	عبوات ناسفة	تفجير	حيفا	١٤٤٢٠	٦/٢٥ — ٢٣
٧/ ٧	٧٥/٢١١٤	— — —	امسابة عدد من المنشآت والاشغال النيران فيها	غير محدد	مواربخ ثقيلة	قصف	حند	٦٤٢٠	٧/ ٧ — ٢٤
٧/ ٧	٧٥/٢١١٤	— — —	امسابة عدد من الآليات العدو	غير محدد	مواربخ ثقيلة	قصف	جزعون/الجيل الشرقي	٧٤٠٠	٧/ ٧ — ٢٥
٧/ ٧	٧٥/٢١١٥	— — —	امسابة عدد من المنشآت	غير محدد	مواربخ ثقيلة	قصف	نهاريا	١٠٤٥٥	٧/ ٧ — ٢٦
٧/ ٨	٧٥/٢١١٦	— — —	تدمر جزء كبير من مبنى سكني في شمسارح غاليقسيون والاشغال النيران فيه	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	تل ابيب	٨٤٠٠	٧/ ٧ — ٢٧
٧/ ٨	٧٥/٢١١٧	— — —	امسابة مبنى سكني بأفران كما أمسييت الهلبي والحلات المجازرة في حي طيوت	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	القدس	١٤٤٠٠	٧/ ٧ — ٢٨
٧/ ٨	٧٥/٢١١٨	— — —	تدمر مستودع ذخيرة والاشغال النيران فيه وامتدادها الى مستودعات اخرى	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	عقبات	١١٤٠٠	٧/ ٨ — ٢٩
٧/ ٩	٧٥/٢١١٩	— — —	تدمر محطة ضخ النفط الخام والاشغال النيران فيها	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	بين ايلات وبئر اورا اللقب الجنوبي <sup>(٢)</sup>	٢٤٢٠	٧/ ٩ — ٣٠
٧/١١	٧٥/٢٢٠	— — —	تم اكتشاف العبوة في محطة الباصات المسكونية وابلل مغزولها	—	عبوات ناسفة	تفجير	القدس	١٤٤٠٠	٧/١٠ — ٣١

الرقم	تاريخ العملية	المسافة	موقعها	نوع العملية	السلح	خسائر العدو	خسائر المدو	خسائر المقاومة	المصدر :
	اليوم				المستعمل	البشرية	المادية	ف : ن : ج :	البلاغ العسكري تاريخه
٢٢	٧/١٢ -	٦٤٠٠	ابوت/شمال ابلات	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدد	اصابة عدة مفخات في المستوطنة	— — —	٧/١٢ ٧٥/٢٢١١
٢٣	٧/١٢ -	١٢٤١٥	راس العين	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	احراق مبات الدونجات من الاشجار الحرشية واحراق مستودع رئيسي للاحتياط	— — —	٧/١٢ ٧٥/٢٢٢
٢٤	٧/١٤ -	٢٠٤٢٠	نهاري ٤ راس الناقورة، كيونس الكليجة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدد	اصابة عدد من المفخات واشعل النيران فيها	— — —	٧/١٤ ٧٥/٢٢٤
٢٥	٧/١٤ -	١٤٤٠٠	ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمر جزء كبير من مبنى سكني لاجد كبار قبائل مخبرات العدو واصابة عدد من المباني والسجلات الجوزة بالامر	— — —	٧/١٤ ٧٥/٢٢٥
٢٦	٧/١٤ -	١٤٤٢٠	ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	—	تم اكتشاف عبوات داخل دراجة نارية وابطل مفعولها	— — —	٧/١٤ ٧٥/٢٢٥

- ١ - ادعى المدعو بين احكاما بالاستسلام الكويتية ادى الى اخصال النيران الى زجاجات العنبريات الروحية امتدت النيران الى قوارير الغاز مما ادى انفجارها الى تدمير جزء من المبنى واشعل النيران فيه . ( راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل العدد ٨٤٠ ، صفحة ٣٤٥ ، بتاريخ ١٩٧٥/٦/١٦ ) .
  - ٢ - اعترف المدعو بان امرارا طليعة لاحت باربع سيارات وباص لشركة دان اور التلاخ حريق تحت هذه السيارات ويمكن رجال الاطفاء من اخماده . ( راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٨٤٧ ، صفحة ٥٥٧ ، بتاريخ ١٩٧٥/٦/٢٤ ) .
  - ٣ - اعترف المدعو بان انفجارا وقع في انبوب النقط ايلات - اشكون وادعى بان الانفجار ناتج عن حقل قنص . وقد ادى النسيب ملكات الاطفاء من النقط . ( راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٨٥٧ ، صفحة ١٧٠ ، بتاريخ ١٩٧٥/٧/١ ) .
- ملاحظة : تصدر البلاغات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالمهمات العسكرية التي امتزقها العدو الصهيوني من ٦/١٣ - ١٩٧٥/٧/١٤

الرقم	تاريخ العملية	المساحة	موقعها	العملية	نوع	السلح	خسائر العدو البشرية	خسائر العدو المادية	خسائر القاذوة	تاريخه
١	٦/١٥ -	٥٤٠٠	كفار يوفال	الفتحام والفتحات	القصف	موزارنج كافيوشا	٢	٢	٤	٦/١٦ ٢٥١ عدد ٤٨٢ ص
٢	٦/١٦ -	٦٤٠٠	كفار جلعادي/ الجليل الاعلى	القصف	٢	٢	٢	٢	٤	٦/١٦ ٣٥٨ ص ٤٨٠ عدد
٣	٦/١٨ -	٦٤٠٠	كفار ايب	القصف	٢	٢	٢	٢	٤	٦/٢٠ ٤٨٠ عدد ٤٨٢ ص
٤	٦/٢٠ -	٦٤٠٠	كفار ايب	القصف	٢	٢	٢	٢	٤	٦/٢٠ ٤٨٠ عدد ٤٨٢ ص
٥	٦/٢٥ -	٧٤٣٠	زرعيت	القصف	٢	٢	٢	٢	٤	٦/٢٥ ٥٩٢ عدد ٤٨٤ ص
٦	٦/٢٦ -	٢٤٤٠٠	الحميت	الفتحات	١	١	١	١	٤	٦/٢٦ ٦١٧ ص ٤٨٢ عدد
٧	٧/٤ -	٧٤٣٠	القدس	القصف	١٢	١٢	١٢	١٢	٤	٧/٥ ٦٢٤ ص ٤٨٥ عدد
٨	٧/٥ -	٧٤٣٠	بيت ام	القصف	١٢	١٢	١٢	١٢	٤	٧/٥ ٦٢٤ ص ٤٨٥ عدد

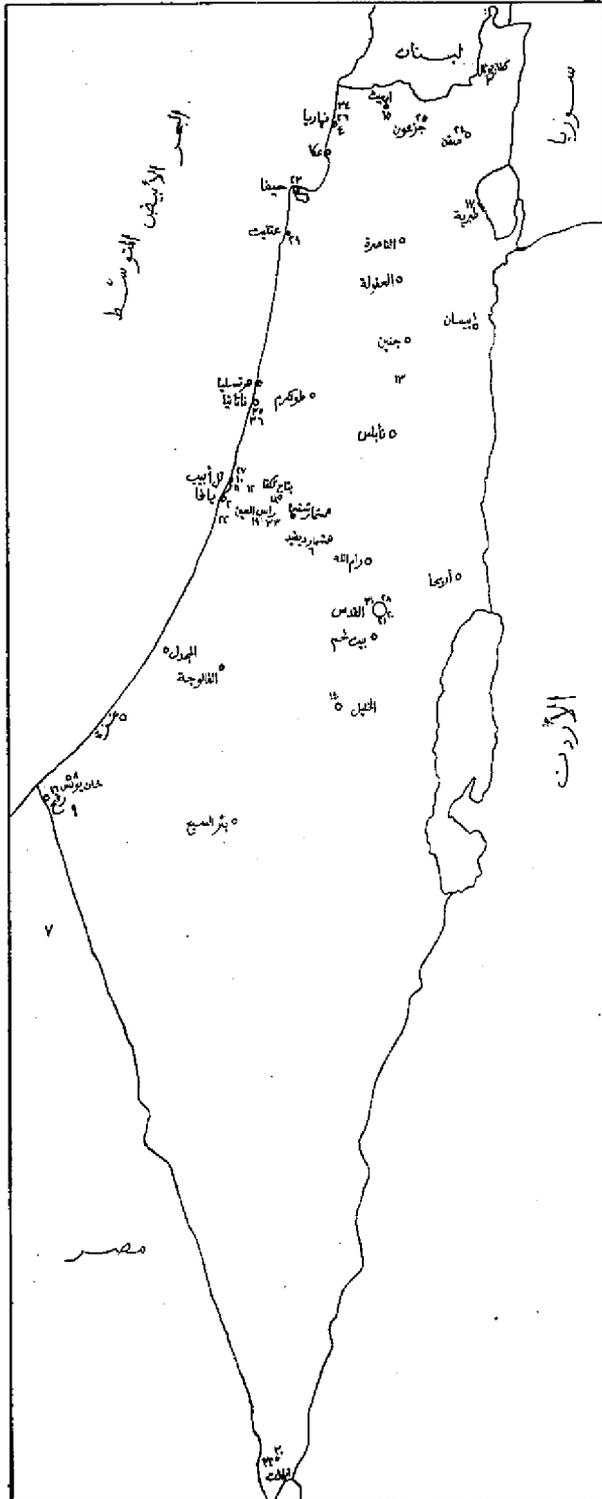
٧/٧	١١٤ عدد٤٨٥٥	—	—	—	—	—	—	—	—	١٤٣٠	٧/٧	٩
٧/٧	١١٤ عدد٤٨٥٥	—	—	—	—	—	—	—	—	٧٤٠٠	٧/٧	١٠
٧/٩	١٦٣ عدد٤٨٥٧	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٧/٨	١١
٧/١١	٢١٧ عدد٤٨٥٩	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٧/١٠	١٢

تم اكتشاف الصورة قرب  
محطة نقل الجثود  
وأبطل بنموها

١٢ ن - نشرة « رصد إذاعة اس ائيل » تصدر يومياً عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

خارطة تبين المواقع التي نفذت فيها العمليات العسكرية الوارد نصها في الجدول



عندما تفكر في العمل التجاري والمصرفي ففكر في

# البنك الأهلي التجاري

## THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

الإدارة العامة: جده ص.ب. (٣٥٥٥) هاتف (٣٣٥٨٠) - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤

Telex 40102 NCBFORX SJ

مواقع فروع البنك الأهلي التجاري داخل المملكة



- البنك الذي يعرف بالاد معرفة افضل
- تجده في كل مكان ليساعدك من البداية
- علاقات وثيقة مع مراسلين في جميع أنحاء العالم
- شبكة غريضة من الفروع الداخلية
- مؤسسات مالية شقيقة البنك العربي الاوربي

لوكسمبرج - بروكسل - فرانكفورت

# الثقافة العربية

ثقافة عربية أصيلة وتكر السالف متفتح

مجلة شهرية جامعية - تصدرها  
المؤسسة العامة للصحافة  
في الجمهورية العربية الليبية

رئيس التحرير: محمد علي الشويدي

نخبة من كبار المفكرين  
والكتاب والشعراء العرب

يشترك

في تحريرها

نحو ١٣٠ صفحة من الطبع اللبير تحوي مجموعة من  
المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقومية  
والاقتصادية والعامة، إلى جانب الأنواع  
الثابتة من شعر وقصة وفتوى.

ليبيا ١٠٠ درهم • ع.م.ع ١٠٠ ملهم • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش  
الكويت ١٥٠ فلس • الاردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ١٥٠ فلس  
دبي، ريال ونصف • السعودية: ريال ونصف • أبوظبي: درهمان  
مسقط ٢٠٠ عيسه • قطر: ريال ونصف • السودان ١٠٠ ملهم • الجزائر: ديناران  
تونس ١٠٠ ملهم • المغرب: درهم ونصف • عدن ١٥٠ فلس • اليمن ١٠٠ نقشة

نحو العدد

في الجمهورية العربية الليبية: ١٠٠٠ درهم ليبي، وفخارج الجمهورية العربية  
الليبية: ١٠٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها اجور البريد.

الاشتراك السنوي

مجلة «الثقافة العربية» من ب. ٤٨٤٥ - طرابلس ع.ع.ل.

المعلومات

# الأقلام

مجلة فكرية عامة تصدرها شهرياً وزارة الاعلام/بغداد

الأقلام مجلة الأدب العربي الجديد

أقرأ في كل عدد قصائد وقصصاً ودراسات  
لأبرز أدباء العربية إضافة إلى رسائل  
ثقافية تغطي النشاطات الإبداعية في  
العالم والوطن العربي  
والعراق

سعر النسخة

العراق	١٠٠ فلسد
لبنان	١٠٠ ليرة لبنانية
مصر	١٠٠ مليم مصري
السودان	١٠٠ مليم سوداني
البحرين	١٠٠ فلس بحريني
الكويت	١٥٠ فلساً كويتي
تونس	١٠٠ فلس تونسي

المراسلات: العراق / بغداد / وزارة الاعلام - مجلة الأقلام

# دار الآداب

## أحدث منشوراتها

- محاولة رقم ٧ ( شعر ) محمود درويش  
بيروت ٧٥ ( رواية ) غادة السمان  
امراتان في امرأة ( رواية ) د. نوال السعداوي  
ابتسمي حتى تمر الخيل ( شعر ) محمد الفيتوري  
قصائد مهربة الى حبيبي آسيا ( شعر ) محمد علي شمس الدين  
الفكر العربي في معركة النهضة د. أنور عبد الملك  
ثقافتنا في مفترق الطرق د. لويس عوض  
خليل مطران ( مختارات من شعره ) تقديم أحمد حجازي  
أفكار في صراع ترجمة د. عبد الكريم أحمد

## مجلة « الآداب »

المجلة الأدبية الأولى في العالم العربي

كل عدد منها وثيقة أدبية هامة

رئيس التحرير

الدكتور سهيل أدريس

بناية مركز الكتاب - ص.ب ٤١٢٣ ، بيروت

# مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية



فصلية علمية تعنى بشؤون الخليج والجزيرة العربية  
السياسة - الاجتماعية - الاقتصادية - الثقافية - العلمية

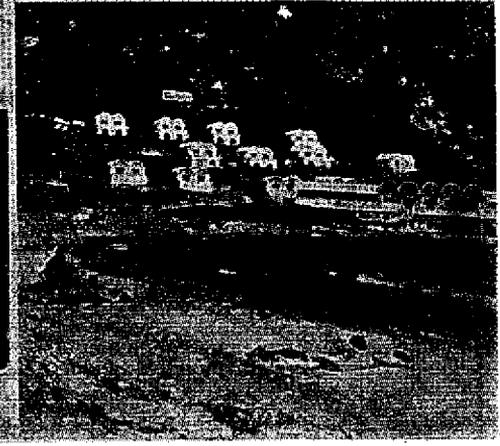
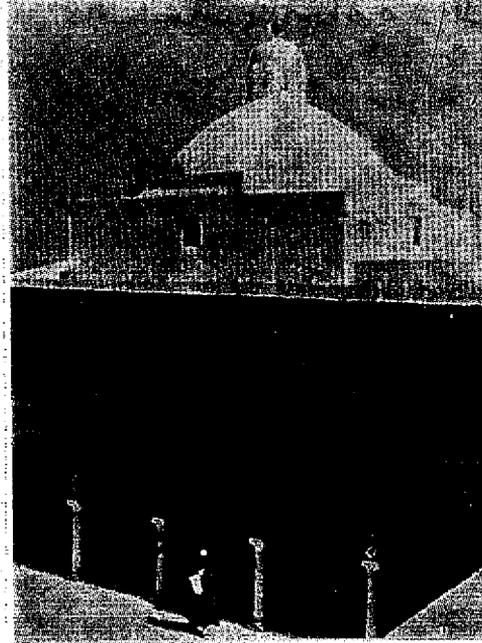
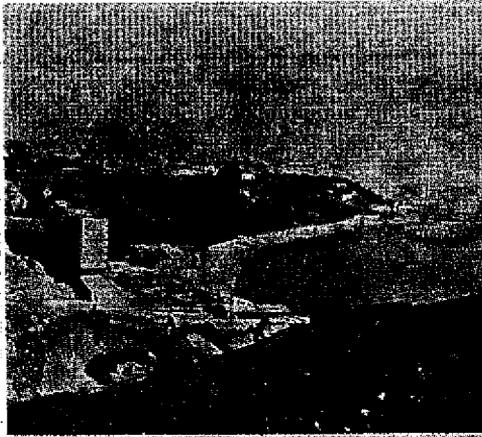
رئيس التحرير : الدكتور محمد الرشيد

صدر العدد الاول في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥

- يحتوي العدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :
  - مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
  - عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
  - أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - بيبلوجرافيا .
  - ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية .
- ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج .
- الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ٣ دنانير كويتية في الوطن العربي « بالبريد الجوي » ، ١٥ دولارا امريكيا او ٥ جنيهات استرلينية في سائر انحاء العالم « بالبريد الجوي » .
- للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ٨ دنانير كويتية ، في الخارج ٣٠ دولارا امريكيا او ١٠ جنيهات استرلينية .

العنوان : جامعة الكويت - مبنى ٢ - الدور الثاني - الخالدية - ص.ب ١٧٠٧٣

هاتف : ٨١٦٦٢٢ - جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .



## تونس ترحب بالاخوان العرب

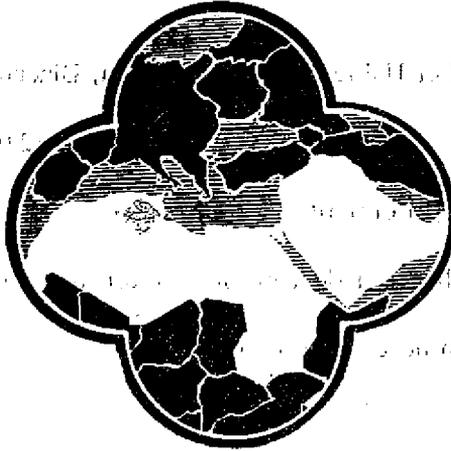
مساحتها حوالي 150.000 كم مربع وتعد حوالي خمسة ملايين من السكان وقد توالى فيها حضارات عديدة ما زالت آثارها موجودة لحد الان ، ولكن الحضارة العزبية الاسلامية طغت عليها جميعا. وأثرت في البلاد تأثيرا عميقا وأصبح جميع التونسيين من العرب المسلمين . وتتمتع تونس بمناخ معتدل ومناظر طبيعية خلابة وشواطئ رملية جميلة تمتد على طول 1200 كلم بما جعل المسؤولين التونسيين يطورون القطاع السياحي الذي أصبح قطاعا مزدهرا وجاء السواح الى تونس من كافة الاقطار وخاصة من اوربوا . وتوجد بتونس مئات الفنادق من جميع الاصناف تمتد على طول الشواطئ توفر لحرافئها كاهل ظروف الراحة والرفاهية والنزهة . ومنذ بضعة سنوات أخذ عدد السواح العرب يتكاثر وما زال هذا العدد يكثر كل عام وأملنا ان يتمكن كل عربي من التعرف على وطنه العربي الكبير والملاحظ ان عدد السواح بلغ في تونس سنة 1974 720.000 ومن المتوقع ان يبلغ المليون سائحا في سنة 1975 . وان تونس تفتح ذراعيها للسواح العرب . للحصول على معلومات دقيقة الرجاء الاتصال ببنمازات الجمهورية التونسية بكافة الاقطار العربية او المراسلة مع :

الديوان القومي للسياحة - 1، شارع محمد الخامس - تونس .

بالمحيرة والنجاح والسمعة أعمال الشركة التونسية  
البنك منذ نشأتها سواء بتونس أو إفريقيا.  
ولقد حققت هذه المؤسسة المالية المشاهير التي شجعته  
دوماً، كل الآمال التي وضعتها قديماً،

البيب، ورئيس  
رئيس الجمهورية التونسية

شاهر



الشركة التونسية للبنك  
انتهج الحبيب شاهر - تونس

شركة رأس مالها، 4 000.000 الفانت في 280.000 - 242 833 الفوات التلفازية، س.ت. ب. ن. ك.ه. تلاكس 377 تونس

**SOCIETE DES CEMENTS  
PORTLAND DE BIZERTE**

**BAIE DE SEBRA**

**BIZERTE**

**TUNISIE**

**Siège social et Usine : Baie de Sebra, Bizerte**

**Téléphone : 02.31.444 Télex : 12.039**

**Fabrication du ciment et de la chaux.**

**Commercialisation de tous les matériaux de Construction.**

**Agence Commerciale à Tunis :**

**61, AVENUE FARHAT HACHED - TUNIS -**

**Téléphone : 240.459 - et 241.484.**

**Dépôts à Tunis et à Sfax.**

# وكالة الاستثمار والتطوير الصناعي

18 شارع محمد الخامس - تونس

مؤسسة عمومية وقع انشاؤها عملا بالقانون الخاص بالصناعات التصديرية الصادر في 27 اغريل 1972 والذي يهدف الى جلب التكنولوجيا العصرية وتشغيل اليد العاملة بتونس .

## مهمتها :

- تنمية الاستثمارات في قطاع الصناعات العملية بتونس .
- دراسة المشاريع الصناعية من حيث الجدوى والتقنية ثم المصادقة عليها .
- مساعدة المستثمرين على تركيز مشاريعهم في نطاق السرعة والرونة .

بهذا تعتبر الوكالة المرجع الوحيد في مجال

الاستثمار الصناعي بالجمهورية التونسية .

## اهدفنا الوحيد

تمويل وتنمية السياحة بالبلاد التونسية



## نشاطنا متعدد

- ترويج متوسطة المدى
- ترويج طويلة المدى وساعده في اشراف مشاريع لها علاقة بمبادىء مختلفة منها :
- الايجار
- النقل
- المطاعم
- الترفيه
- التشييط

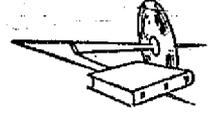
## الشركة المالية والسياحية

شركة خفية الاسم رأسمالها ( 5.000.000 ) دينار تونسي ( 10.000.000 ) دولار امريكسي  
13 شارع باريس - تونس . الهاتف : 245.200  
تيلكس كوفتور ( CoFTUR ) 12.265 تونس .

SOCIÉTÉ TUNISIENNE DE DIFFUSION



الشركة التونسية للتوزيع



5، شارع قرطاج - تونس - الهاتف : 255.000  
عنوان البرق STUDIFFUSION التيليكس 12521

هدفنا : تزويد البلاد بكميات كافية وبصورة منتظمة وفي الوقت المناسب بجميع المواد التي تدخل في نطاق اختصاص الشركة التونسية للتوزيع وخاصة في ما يتعلق بالكتاب .

سياسةنا التجارية : التخفيض من الاسعار بفضل تنويع المواد المستوردة من الخارج او التي تنتجها شركتنا وذلك لتشجيع المستهلك وجعل أسعار الكتاب في متناول الجميع .

هذا وان الشركة التونسية للتوزيع لها مركزان صناعيان أحدثا أخيرا وهما « مصنع الكتاب » ومعمل « النغم لصنع الاستوانات ».

شركة اريكولتور

54 نهج تركيا - تونس

Société AGRICULTOR

54, Rue de Turquie Tunis - Tél.: 243.200

- Tracteurs à Roues.
- Matériel de Génie Civil.
- Tracteurs Industriels.
- Autres Matériels Agricoles et Industriels.
- Service après Ventes.
- Pièces de Rechange.
- Représentation dans les principaux Centres de Tunisie.



شركة اوتوتراكتور

49 نهج علي درغوث - تونس

SOCIÉTÉ AUTOTRACTOR

49, Rue Massicault — TUNIS

Concessionnaire exclusif en Tunisie

FORD-FRUEHAUF-WILLEME

LA FUREUR DES VOITURES

« ESCORT »

Téléphone : 245.811

TUNIS



## الاتحاد البنكي للصناعة والتجارة

شركة خفية الاسم رأس مالها 1.651.500 دينار - المقر الاجتماعي : 7 و 9 نهج جمال عبد الناصر  
- تونس ، الرئيس المدير العام : السيد عبد السلام بن عياد

### الوكالات :

الهاتف : 245-923	74 نهج الحبيب بورقيبة - تونس	وكالة بورقيبة :
الهاتف : 245-877	7 و 9 نهج جمال عبد الناصر - تونس	وكالة الصادقية :
الهاتف : 296-066	64 شارع الحبيب بورقيبة	وكالة مقربين :
الهاتف : 02.31424	13 نهج ابن خلدون	وكالة بنسرت :
الهاتف : 04.21945	نهج الهادي شاكر	وكالة صفاقس :
الهاتف : 05-20255	84 نهج الحبيب بورقيبة	وكالة قسابس :

وفي القريب العاجل نابل وسوسة .

8 مناطق كبيرة صناعية وتجارية .

8 وكالات كبيرة للاتحاد البنكي للتجارة والصناعة

بنك اختصاصي في التجارة والصناعة . الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة هو المؤسسة التي لها أكبر شبكة في العالم وافريقيا - قطرا امريكا - آسيا - أوروبا - اوقيانيا . الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة هو البنك الثالث بالمكان والبنك الخامس الاول حسب جلة ميزاته . الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة هو البنك الذي ارت احسن التقاليد المصرفية من حيث مصادره ( الاندماج مع البنك القومي للتجارة والصناعة الافريقي ومع الاتحاد المالي والتقني في 1961 ثم مع بنك الخصم والصناعة للبلاد التونسية في 1970 ) .

يضع الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة كل تجربته في خدمة الاقتصاد التونسي باعابته الضخمة لتصنيع البلاد التونسية وبمساهمته المباشرة في مجهود تنمية الوطن .

الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة هو في خدمتكم .

## الشركة القومية العقارية للبلاد التونسية

SOCIETE NATIONALE IMMOBILIERE DE TUNISIE

عمارة انطلاق ، حي المهرجان المنزه ، الهاتف 286.155 ، الحساب الجاري بالبريد 139.80  
Immeuble Intilak, Cité Mahrajane - EL MENZAH, Téléphone: 286.155

C.C. Postal No. 139.80

تأسست الشركة القومية المقارية للبلاد التونسية بمقتضى القانون الصادر بتاريخ 10 سبتمبر 1957 وهي تخضع الى التشريع الخاص بالشركات الخفية الاسم والى قانونها الاساسي .  
أما رأس مالها الاجتماعي فهو مكون بمساهمة من الدولة يبلغ قدرها 100.000 دينار .  
وقد كانت مهمة الشركة عند الانطلاقة تنحصر في التصرف في املك الدولة العقارية وانجاز مشاريع البناء سواء كان ذلك بمساهمة الحكومة او بعدم مساهمتها .  
ومنذ شهر سبتمبر 1969 دعيت الشركة القومية المقارية بوصفها المؤسسة الوحيدة لانجاز المشاريع القومية في كل ما يتعلق بالسكن وخاصة الذي يكتسي الصبغة الاجتماعية .  
وهكذا أصبحت مشاريعها السنوية في نمو الى ان اجتازت ابتداء من السنة المذكورة معدل الف مسكن سنويا وبلغت الاعداد التالية :

5.000 مسكن في عام 1969 ، 9.500 مسكن في عام 1970 ، 8.400 مسكن في عامي 1971/72 ،  
10.500 مسكن في عام 1973 ، 13.500 مسكن في عام 1974 .

هذا وان التموليات قد بلغت 27.500.000 دينار بالنسبة لبرنامج عام 1974 بعد ان كانت 7.000.000 دينار بالنسبة لمشاريع سنة 1969 . ومما يجب ذكره هو ان المشرقين للمساكن يساهمون في التموليات على سبيل التسيقة بنسبة 30% أما بقية ثمن المسكن وقدرها 70% تدفع في صورة قرض يمنح لهم من طرف الشركة القومية المقارية على مالها الخاص او على القروض التي تتحصل عليها من سائر المؤسسات المالية .

## MAISON TUNISIENNE DE L'ÉDITION

Institution Nationale d'Édition  
d'Impression et de Diffusion

54, Av. de la Liberté - TUNIS

Tél. : 285.873

285.878

R. G. 33510

C. C. P. 77228

Adr. Télég. : MATÉDITION

**الدار التونسية للنشر**  
الهيئة التونسية للطباعة والنشر والتوزيع  
54 شارع الحرية - تونس  
الهاتف : 285 873  
285 878  
البريد البريدي 33 510  
المسابح البريدية 77 228

### الدار التونسية للنشر ، وأدب المعركة \* الثقافة كفاح واسهام في كل كفاح

ذلك هو مفهوم الثقافة في نظر الدار التونسية للنشر ولذلك حرصت ان تشارك بمواضع قسطها في ادب المعركة باصدار دفعة اولى من انتاجها في هذا الصدد وهي :

العرب امام قضية فلسطين  
زلزال في تل ابيب  
نسر ونصر  
اسرائيل والعرب  
للإستاذ الشاذلي القليبي  
للإستاذ الميداني بن صالح  
للإستاذ منور صمادح  
جان فرنسيس هلد - جان ريمون لاكوتير  
تحت الطبع :

تاريخ القدس  
تاريخ فلسطين  
خيام في الافق  
للدكتور رشاد الامام  
للإستاذ بشاره خذر  
لجميل الجودي

**بيع التشرق**  
**تحملكم الى**  
**دمشق وبغداد**



TU 614	TU 613
الشرق	الشرق



جريدة التعاون العربي  
وقروديا المغرب العربي  
من الشرق  
الخطوط الجوية التونسية  
خطا جديدا انصرو في خطنا  
حسب الجدول التالي

S  
I  
A  
P  
E  
  
I  
C  
M

## SOCIETE INDUSTRIELLE

D'Acide Phosphorique et d'Engrais

Capital : 1.850.000 DT.  
Production : Superphosphate triple à  
45% P 205.  
Capacité : 250.000t/an P 205.  
Usine : à SFAX.



## INDUSTRIES CHIMIQUES MAGHREBINES

Capital : 6.000.000 DT  
Production : Acide phosphorique à 54%  
P 205.  
Superphosphate triple à  
45% P 205.  
Capacité : 250.000t/an P 205.  
Transport : 2 navires phosphoriquiers:  
M.T. «GABES». 4500 Tonnes.  
M.T. «GAFSA». 10.500 Tonnes.  
Usines : à GABES.

Durées:  
22, rue Pierre de Cou-  
bertin - Tunis.  
Téléphone: 249.600  
(ligne groupées).  
Téleg: CHIMAG TUNIS  
Télex: CHIM 12398 TN

ELFOULADH

SOCIETE TUNISIENNE DE SIDERURGIE



الفولاذ

الشركة التونسية لصناعة الحديد

Siège Social : 122, Rue de Yougoslavie - TUNIS.

Usine : Menzel Bourguiba.

FONTE HEMATITE D'AFFINAGE, BILLETES DE COULEE  
CONTINUE, RONDS ABETON CRENELES : TUNSID 42, TUNSID  
45, TUNSID 50, DIAMETRES ALLANT DE 8 A 32 mm.

FIL MACHINE D'ACIER DOUX, FIL MACHINE D'ACIER DUR.

TREFILES STANDARDS, FIL CLAIR, FIL  
RECUIT, FIL GALVANISE, FIL PICK UP,  
FIL POUR SOMMIER.

TREFILES POUR BETON PRECONTRAIT,  
STRUCTURES METALLIQUES EN RONDS  
GALVANISES (Pylones - Hangars)

N'HESITEZ PAS A CONSULTER NOTRE DIREC-  
TION DES VENTES A MENZEL BOURGUIBA.

Tél.: 02.60522 — 02.60.304.

Telex : 355 SIDER MENZEL.



REPUBLIQUE TUNISIENNE

OFFICE DU COMMERCE  
DE LA TUNISIE

11, Rue Sidi Bou Mendil  
Téléph. : 242.499  
T U N I S

الجمهورية التونسية  
الدّيوان التّونسي للتجارة  
13 نهج سيدي بومنديل، تونس  
الهاتف : 247.499  
المنوان التلغرافي : د.ت.ت. - تونس  
تلاّس : 391

Adresse Télégraphique : OCT/TUNIS  
Télex : 391

للحائبة مع  
التعاونة العامة للتأمين  
القرلا اجتماعي، 6 شارع الحبيب ثامر، تونس  
المكاتب : 35 نهج جمال عبدالناصر، تونس  
الهاتف : 011-258 الرقم القري، 249

### اختروا أحد العقود الآتية:

1. ضمان جارية القاعد
2. الضمان الوفاقي للوفاء
3. الضمان مدى الحياة
4. الخصلة العائلية



الشركة التجارية التونسية — SOCOTU

مساحة النصر تونس ، الهاتف 258.100  
تيلكس (SO.CO.TU): 12048

ممثلة للمنظمة العالمية ياناطا  
(Shipping Agency) (TRANSIT) للنبيات البحرية

معاملاتها : التسريح  
تجارة الفحم الحجري تصدير الباكورات والحوامض

وكالاتها في قابس : 208 شارع الرئيس الحبيب بورقيبة ، الهاتف 05.20504  
صفاقس : 9 نهج رمادة الهف ، الهاتف 04.21568 - 04.20975  
سوسة : 5 نهج علي بلهوان ، الهاتف 03.20012 - 03.21631  
بنزرت : 10 و 8 نهج عاصمة الجزائر  
حلق الوادي : الهاتف : 276.857 - 276.748  
مراسلون في جميع انطار العالم

SOCIÉTÉ  
NATIONALE  
DES  
CHEMINS DE FER  
TUNISIENS

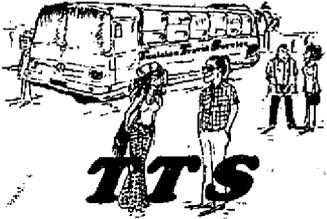


الشركة القومية  
للشبكة الحديدية  
التونسية

SECURITE - RAPIDITE - CONFORT - REGULARITE

Direction : 67, Avenue F. Hached - TUNIS - Tél. : 242.188.  
Ateliers : Sidi Fathallah - Tél. : 295.512.

Nos clients sont  
satisfaits



Dès notre création nous avons décidé:  
«Notre client rentrera chez lui heureux.»

Depuis?  
... de plus en plus de touristes,  
de plus en plus de programmes...

- |   |                        |
|---|------------------------|
| ■ ALLOTEMENTS DANS LES HOTELS   | ■ TRANSPORTS           |
| ■ CIRCUITS TOURISTIQUES   | ■ EXCURSIONS           |
| ■ SEGE SOCIAL: TUNIS<br>20, Rue Ben Khaldoun - TUNIS<br>Téléphone : 256.265 — 256.718<br>Télex : 729 TRAVESLTUNIS | ■ TOURS ARCHEOLOGIQUES |
| ■ BILLETTRIE TUNIS<br>18, Avenue Habib Bourguiba<br>Téléphone : 244.020 - TUNIS                                   | ■ EXPEDITIONS SAHARA   |
| ■ SOUSSE — Av. H Bourguiba<br>TAL : 02 21 825 — TUNIS : 20 718  | ■ ORGANISATION DE      |
| ■ HANNAMET — TEL : 02 80 040  | ■ CHASSES/CRUISEES     |
| ■ JENNA — Téléphone : 05 57 021   | ■ PROMENADES EN MER    |
|   | ■ ORGANISATION         |
|   | ■ DE CONGRES           |
|   | ■ LOCATION DE VOITURES |

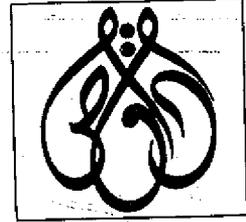
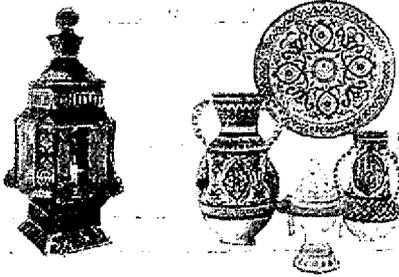
الحظ ينتظركم

كسونا على موعد معسه  
السبت الاول من كل شهر  
يقع سحب اليانصيب القومي  
ان اقبالكم على هذا المشروع  
يعتبر تشجيعا للتضامن القومي  
الاجتماعي .

أديوان القومي للصناعات

التقليدية التونسية

انتاج يدوي جيد نياهي به في كل اقطار العالم



العنوان : الدندان — تونس

الهاتف : 260.422

260.875

الديوان القومي للمناجم

26 نهج انقلسرا

تونس

الهاتف : 253.122

## Société Tunisienne du Sucre

S. A. au Capital de 3.400.000 Dinars

1, Rue du Caire — TUNIS

Société d'Economie Mixte au capital de : 3.400.000 Dinars

Siège Social : 1, Rue du Caire - TUNIS - TÉL. : 259.714

Usine : SUCRERIE - RAFFINERIE DE BEJA

PRODUITS FABRIQUES : — Sucre raffiné de canne, et cristallisé de betterave.

— Mélasse de betterave et mélasse de canne

— Pulpes sèches de betterave.

الشركة التونسية للسكر

شركة مخفية الاسم رأس مالها 3.400.000 دينار  
2، نهج القاهرة تونس

## شركة المعادن بتونس METALLURGIQUE DE TUNISIE

SOCIETE ANONYME — CAPITAL 99.000 DINARS



SIEGE SOCIAL : 47, Avenue Farhat Hached — TUNIS

TEL. : 255.259 — C. C. P. TUNIS N° 246.61 — R. C. TUNIS N° 404

USINE A DJEBEL DJELLOUD ( PRES TUNIS ) TEL : 242.662



## بنك التنمية للاقتصاد التونسي

تمويل الصناعة والسياحة

68 شارع الحبيب بورقيبة — تونس

الهاتف : 245.600 — فاكس : 12382

ان اعداد الصفحات الاشهارية لهذا العدد قد  
كان من خصائص الوكالة الاشهارية « كريما »  
التي اشرقت على تنظيمها وتقديمها لخضرات القراء  
الكرام نزولا عند رغبة مركز ابحاث منظمة  
التحرير الفلسطينية .

**CREPUMA PUBLICITE**

2 نهج عنابة — تونس

الهاتف : 249.873

## Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria LL 50, other Arab countries LL 60 or equivalent, Africa and Europe LL 80, elsewhere LL 100; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 50. *Address*: P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان  
٤ ل.س. في سوريا  
٤٥٠ فلساً في الكويت والعراق  
٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية